



الافتتاح

على وجه القصة

تأليف

أحافظ جلال الدين الشيوطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحضيري المصري الشافعي

الولود بأسبوط سنة ٨٤٩ هـ والتوفي بهاسنة ٩١١ هـ

رحمته الله تعالى

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات

دار الكتب العلمية بيروت

الملك المتحدة السعودية

الانقياد
في
علم القياس

تأليف

أَحْفَظُ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ

أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْخُضَيْرِيِّ الْمَصْرِيِّ الشَّافِعِيِّ

أَمْلُوهُ بِأَسْطُوطِ سَنَةِ ٨٤٩ هـ وَالتَّوْفِ بِهَا سَنَةِ ٩١١ هـ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تحقیق

محمد ابو الفضل ابراهيم

مِنْ إِصْدَارَاتِ

وزاد الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

١ — جلال الدين السيوطي

لم يكبد ينتصف القرن السابع الهجري حتى وقعت الأمة الإسلامية في موجة من الضعف والتخاذل والانحلال ، وتوالى عليها الأحداث ، تهزّ كيانه ، وتقوّض بنيانه ، وتوشك أن تقضى على حضارة مؤثله عتيقة ... سقطت الخلافة العباسية ببغداد ، وآتى هولاكو فيها من منكرات الأمور وفظائع التخريب مالا ينساه التاريخ ، ثم انحازت العراق وفارس إلى المغول ، وآل الأمر في اليمن إلى إمارات صغيرة ؛ في عدن وزبيد وصنعاء ، وانتهت حكومات المغرب إلى دويلات بحارب بعضها بمصا ، وفي الأندلس أخذ ظل الإسلام ينحسر عن هذه البلاد ، إلى أن انجلت عنها في صورة حزينة مؤلمة .

ولكن لأمر أراد الله لحفظ كتابه وحماية دينه ، قامت مصر والشام ، فحملتا لواء الزعامة الإسلامية ، وأخذتا بزمام الحركة العلمية والأدبية ، وأصبحتا الملجأ الوحيد لأبناء هذا اللسان ، في مملكة واحدة ؛ حاضرتها القاهرة ولفتها العربية ، وغابتها حاية الدين والملة ، فوجدوا فيها الحرم الآمن ، والظل الوارف ، والمورد المذهب السائغ ؛ ولم يجد الملوك الأيوبيون والأمراء من الممالك ، ما يوطد سلطانهم ، ويمكن لحكمهم ، إلا أن يعظّموا الدين وأهله ، وبأخذوا بيد العلم ، ويرفعوا من قدر العلماء ؛ فأسسوا المدارس والمعاهد ، وأقاموا الرُّبُطَ واتّخاذا ، وأرصدوا الأموال والضياع لطلاب العلم والمعرفة ، وأنشئوا دور الكتب ، وجلبوا إليها أنفس الكتب والمصنفات ، وأصبحت القاهرة والإسكندرية وأسيوط وقوص ودمشق وحلب وحمص تخرج بأعيان العلماء ؛ من الفقهاء والأدباء والمؤرخين والشعراء ، وأصحاب المعاجم ومؤلفي الموسوعات ؛ وكان منهم ابن

خَلْدُكَان، وابن منظور، والصفدي، وابن نباتة، والنويري، والعمرى، وابن تيمية،
والسخاوى، والمقريزى وغيرهم؛ من جهابذة العلم وأعيان المحققين .

فى هذا العصر الزاهى الزآخر بألوان المعارف والفنون والآداب، نشأ عالمنا الجليل
جلال الدين عبد الرحمن بن السكّال أبى بكر السيوطى، أحد أفراد الدهر علما وتصنيفا،
وإمام وقته شهرة وذىوعاً، وكانت نشأته وحياته كما أوردها فى كتابه حسن المحاضرة :
« كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد، بمسّهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانائة،
وحملت فى حياة أبى إلى الشيخ أبى محمد المجدوب - رجل كان من كبار الأولياء بحوار
المشهد الحسينى - فبارك علىّ، ونشأت يتيمًا، فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين، ثم
حفظت العمدة ومنهاج الفقه والنحو على جماعة من الشيوخ، وأخذت الفرائض عن العلامة
فرضى زمانه الشيخ شهاب الشارمساحى، الذى كان يقال له : بلغ السنّ العالية، وجاوز
المائة بكثير، قرأت عليه شرحه، وأجزتُ بتدريس العربية فى مسّهل سنة ست وستين
وثمانائة . وقد ألفت فى هذه السنّ، فكان أول شيء ألفتُه شرح الاستعاذة والبسملة،
وأوقفتُ عليه شيخنا علم الدين البلقينى، فكتب عليه تقریضا، ولازمته فى الفقه إلى
أن مات، فلزمتُ ولده، وقرأتُ عليه من أول التدريس لوالده إلى الوكّالة، وسمعت
من أول الحاوى الصغير إلى العدد، ومن أول منهاج إلى الزكاة، ومن أول التنبيه إلى
الزكاة، وقطعة من الرّوضة من باب القضاء وقطعة من تكملة شرح منهاج للزركشى ومن
إحياء الموت إلى الوصايا أو نحوها، وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست
وسبعين وثمانائة، وحضر تصديرى . ولما توفى سنة ثمان وسبعين وثمانائة، لزمتُ
شيخ الإسلام شرف الدين المناوى، فقرأتُ عليه قطعة من منهاج، وسمعتُ عليه
فى التقسيم؛ إلّا مجالس فانتنى، وسمعتُ عليه دروساً من شرح البهجة ومن حاشيته عليها،
ومن تفسير البيضاوى، ولزمتُ فى الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين
الشبلى الحنفى، فواظبته أربع سنين . ولم أفك عن الشيخ إلى أن مات . ولزمتُ شيخنا
العلامة أستاذ الوجود محيى الدين الكافى أربع عشرة سنة، فأخذتُ عنه الفنون من

التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب لى إجازة عظيمة . وحضرت
 عند الشيخ سيف الدين الحنفى دروساً عديدة فى الكشاف والتوضيح وحاشية عاىه
 وتلخيص المفتاح والعقد . وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند
 والمغرب والتكرور . ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمر ؛ منها أن أصل فى الفقه
 إلى رتبة الحافظ ابن حجر . وعقدت مجالس إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين
 وسبعين وثمانئة . ورزقت التبخر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ،
 والمعانى ، والبديع ، والبيان ؛ على طريق العرب والبلقاء ؛ لاعلى طريق العجم وأهل الفلسفة ؛
 والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التى
 اطلعت عليها لم يصل إليها أحد من أشياخى فضلاً عن دونهم ؛ وأما الفقه فلا أقول
 فيه ذلك ، بل شيخى فيه أوسع نظراً ، وأطوع باعاً ... »

ثم أخذ يعدد كتبه إلى حين تأليف كتابه ؛ فذكر منها ثلاثمائة كتاب (سوى
 ماغسله وتاب عنه) فى التفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة والعربية
 والآداب . وقد عد له الأستاذ بروكلمان ٤١٥ مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط ؛ وذكر له
 الأستاذ فلوجل والأستاذ جميل العظم قريباً من هذا العدد ؛ وقال ابن إياس : « بلغت
 مؤلفاته ٦٠٠ مؤلف » .

وأياً كان الخلاف فى عدد هذه الكتب ، فإنها فى مجموعها قد تناولت فروع الثقافة
 الإسلامية والعربية جميعاً ، وحفظ فيها من منقول الكتب من أقوال العلماء والشرّاح
 ما لم يُنقل إلينا عن طريق سواها .

وقد أثارَت المنزلة الكريمة التى نالها السيوطى فى حياته ، ووفرة فتاويه وأمالىه
 ومصنفاته ، خصومةً بينه وبين منافسيه من أقرانه ، وعرضته لمختلف الطعون ، ورُمى بالتطويع
 على كتب المكتبة المحمودية ، وادعائها لنفسه ؛ بعد أن غيرَ فيها وبدلَ ، وقدمَ وأخرَ ؛
 وكان على رأس هؤلاء شمس الدين السخاوى المؤرخ فيما كتب عنه فى كتابه الضوء

اللامع، ثم من جرى في شوطه كبرهان الدين بن زين الدين المعروف بابن الكركي،
وأحمد بن الحسن المكي المعروف بابن العليّ، وأحمد بن محمد القسطلاني، ومن لفّ لفهم .
وقد انتصر السيوطي نفسه في عدة كتب ؛ منها كتاب الكاوي على تاريخ
السخاوي ، والجواب الزكي عن قامة ابن الكركي ، والقول الجمل في الردّ على المهمل
والصارم المندى في عنق ابن الكركي ؛ كما انتصر له أمين الدين الأقصريّ وزين الدين
قاسم الحنفي وسراج الدين العبادي والفخر الدينيّ وكثير من تلاميذه ومُرّبيه .

وقد كانت خصومة جرت على غير السنن المستقيم ؛ إلا أن السيوطي خرج منها
سليماً معافى ؛ وحسبه من الفضل تلك المصنّفات العالية الذريّ ، الشاخة البنيان ؛ والتي
لم يتطرق التشكّ في نسبتها إليه ؛ كالزهر في اللغة ، والاقتراح وجمع الجوامع والأشباه
والنظائر في النحو وأصوله ، وحسن المحاضرة وتاريخ الخلفاء وبغية الوعاة في التاريخ
والتراجم ، والدرّ المنشور في التفسير ، والجامع الصغير في الحديث ؛ إنها كتب تجعله في
الكوكبة السامية من أعيان الزمان .

وقد شغل السيوطي بجانب عمله في التصنيف والتأليف ؛ ببعض الوظائف ؛ تولى
منصب الإفتاء زماناً ، ودرّس بالمدرسة الشيخونية ، ثم بالمدرسة البيبرسيّة ؛ وحينما تقدّمت
به السن أخذ إلى الراحة ، وعزّف عن الأسفار ، واعتزل الناس في منزله بالرّوضة ،
متجرّداً للمباداة والتصنيف ؛ وألف كتابه الذي أسماه : « التنفيس عن الفتيا
والتدريس » .

وكان رحمه الله إلى جانب علمه ووفرة محصوله ، عفيفاً كريماً ، صالحاً تقيّاً رشيداً ،
لا يمدّ يده إلى سلطان ، ولا يقف من حاجة على باب أمير أو وزير ؛ روى أن السلطان
الغوري أرسل إليه مرّة عبداً وألف دينار ؛ فردّ الدنانير وأخذ العبد وأعتقه ، وجعله
خادماً في الحجرة النبوية .

وكان الأسماء والوزراء يأتون لزيارته ، ويقرضون عليه أعطياتهم وهباتهم فيردّها ؛

قال صاحب السنن الباهر بتكميل النور السافر : ولما مات لم يتعرض أحدٌ لتركته ، مع أن الزمن كان زمن جور . وقال السلطان النورى : لم يقبل الشيخ منا شيئاً في حياته ، فلا نتعرض لتركته بعد مماته .

وفي سحر يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة توفى ذلك الإمام الكبير ، ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة في القاهرة ؛ بعد أن سارت كتبه مع الركيان ، وتسومع بذكره في كل مكان .

٢ — كتاب الإتيان في علوم القرآن

وكتابه الإتيان في علوم القرآن ، هو الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية ؛ أحسنها تصنيفاً وتأليفاً ، وأكثرها استيعاباً وشمولاً ؛ جمع فيه من أشات الفوائد ، ومنثور المسائل ما لم يجتمع في كتاب .

ولم تكن هذه الدراسات قد اتخذت وضعاً مستقلاً في العصور الإسلامية الأولى ؛ وإنما وردت متفرقة في روايات محدثين وأقوال العلماء ، ومقدمات كتب المفسرين ، كالطبري والزحشرى والحوافى ، وابن عطية والقرطبي . وجاء قدرٌ منها في كتب البلاغة والنقد ؛ كدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والصناعتين وند النثر ومفتاح العلوم ؛ ومثلها في كتب الجدل والمناظرات ، كالاتصار للباقلاني والمغنى للقاضى عبد الجبار ، ومثلها أيضاً في كتب القراءات والرسم والأحكام ؛ مما ذكره الكواشى والكيما المراسى والجعبرى والنوى وابن الجزرى في كتبهم التى صنفوها .

وأول كتاب صُنف مستقلاً في هذا الفن ، كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى ، أحد فقهاء الشافعية في القرن الثامن ؛ جمع فيه عصاره أقوال المتقدمين ، وصفوة آراء العلماء المحققين ؛ وجعله في سبعة وأربعين باباً ؛ في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع القراءات وصنوف الرسم ودلائل الإعجاز ، وغيرها . وظل هذا الكتاب بعيداً عن أنظار العلماء حتى المقدمين منهم زماناً .

ثم جاء الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان العسقلاني أحد علماء الحديث بمصر ، والمتوفى بها سنة ٨٢٤ ، فوضع كتاباً أسماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » أداره على فصول محدودة في أسباب النزول ورجال السند وطرق الأداء والألفاظ المتعلقة بها ، ثم للمعانى المتعلقة بالأحكام . ثم قام الإمام محي الدين السكافيجي ، فدوّن كتاباً لطيفاً في هذا الشأن ، ذكر فيه جملاً من التفسير والتأويل وطرفاً من آداب العالم والمتعلم ؛ وهذان الكتابان رأهما السيوطي وقال : « إن ماورد فيهما لم يشف غليلاً ، ولم يهد إلى المقصود سبيلاً » .

ثم جاء الجلال السيوطي وأحسن أن هناك أنواعاً في هذا الفن لم يتسن لأحد من العلماء الكلام عليها ، ومهمات وفوائد لم يقصد أحد إليها ؛ فجرد المهمة لتأليف كتاب استوفى فيه الأبواب والفصول ، وذيل كل كتاب بما شاء من المسائل والفروع ، وأسماه كتاب « التعبير في علوم التفسير » ، أداره على أكثر من مائة باب .

ثم بدا له بعد تأليفه أن يأخذ هذا الكتاب بالتنقيح والتتأيب ، ويدمج بعض الأبواب في بعض ، ويضيف إليه ما عن له منها ، ويوشيه بما وقع له بعد ذلك من متشعب الأغراض ومختلف المعارف ، وينزهه عن اللبس والغموض ، ويبنأى به عن الإبهام والتعقيد ؛ فكان هذا الكتاب الذي أسماه : « الإتيان في علوم القرآن » ، وجعله مقدمة لكتابه في التفسير الذي أسماه « مجمع البحرين ومطلع البدرين » ، وجعله في ثمانين باباً ؛ ذكر أنها على سبيل الإدماج ، ولونوعت باعتبار ما أذمجه في ضمنها لأوفى عددها على الثلاثمائة .

وقد ذكر في مقدمة الكتاب مئات الكتب التي استمدت منها مادة كتابه ؛ على حسب منهاجه في كثير من كتبه ؛ كما فعل ذلك في مقدمة حسن المحاضرة ومقدمة بغية الوعاة ومقدمة الجامع الصغير ؛ وتؤلف مراجع الإتيان دائرة من المعارف الإسلامية في التفسير والحديث والفقه واللغة والقراءات والرسم والأحكام والتاريخ .

بدأ الكتاب بالكلام على المدني والمكي ، ثم الكلام على الحضري والسفري ، ثم

النهارى والليلي ، والتاسخ والنسوخ ، وأسباب النزول ، وأنواع القراءات وآداب حمل القرآن وحفظه ، وهكذا مضى في الأبواب إلى أن ختمها بالنوع الثمانين في طبقات المفسرين . وطريقته في التصنيف ؛ أن يذكر عنوان الموضوع ؛ ويذكر أشهر من ألف فيه ، ثم يشفعه بفائدة معرفته ، وأهميته في تفهم القرآن وتفسير معانيه ، ثم يذكر مسائله ؛ وما عساه أن يكون لها من فروع وذيل ؛ مستشهدا في كل ذلك بالقرآن أو الحديث أو أقوال العلماء ، وينقل نصوصا من الكتب التي ألفت فيه ؛ فصولا كاملة أو مختصرا منها ؛ وكثيرا ما يذيل هذه الأبواب برأيه بعد أن يورد كلمة : « قلت » ؛ فهو مثلا يقول في النوع التاسع في معرفة أسباب النزول ..

أفرد بالتصنيف جماعة ، أقدمهم على بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدى على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري ، فحذف أسانيده ، ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا مات عنه مسودة ، لم تنف عليه كاملا ؛ وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا ، لم يؤلف مثله في هذا النوع ، سميته : « لباب القول في أسباب النزول » ..

ثم يقول : قال الجعبري : نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال . ثم يمضى في ذكر فائدة هذا الباب ؛ ويرد على من زعم أنه لا طائل تحته لجرىانه مجرى التاريخ ، ثم يذكر طائفة من أسباب النزول ويذكر الآيات ، وأقوال العلماء والمفسرين ؛ وينهى الباب بقوله : « تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة ، واشدد به يدك ، فإني حررت واستخرجته بفكرى من استقرأ الأئمة ومتفرقات كلامهم ، ولم أسبق إليه » . وعلى هذا النسق وما يشبهه يمضى في أبواب الكتاب .

ومن خير ما امتاز به كتاب الإتيقان ، أنه أورد فيه كثيرا من نصوص الكتب التي لم تقع لنا ، من كتب الجعبري والباقلاني والكي الهراسي والزمكاني وابن الأنباري وغيرهم بعد أن نثرها متفرقة في الفصول والأبواب .

ويؤخذ على السيوطي أنه أورد في الكتاب كثيرا من الروايات الضعيفة والأحاديث

التي لم تثبت صحتها عند المحدثين ؛ ولكنه أوردتها بإسنادها ، وإن كان في ذكر السند ما يميز الصحيح من الضعيف عند العلماء .

وفي الجملة فإن كتاب الإتيان بما حواه من معارف وفنون ، وما جمع فيه من أخبار وأقوال - يعد بحق من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

٣ - تحقيق الكتاب

وقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي طبعت في القرن الماضي ؛ طبع في كلكتا سنة ١٢٧١ ، وطبع بمصر سنة ١٢٧٨ ، وبالطبعة الكاستلية سنة ١٢٧٩ ، وبالطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٦ ، وبالطبعة الميمنية سنة ١٣١٧ ، وبالطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨ ثم توالى طبعاته .

وأصح هذه الطبوعات طبعة الكاستلية ؛ امتازت بما ألحق بها من تصحيحات وتعليقات من وضع الشيخ نصر الموريني ، وتقع في ١٢ صفحة .

وحينما عزمنا على تحقيق هذا الكتاب تهتماً إلى الحصول على نسخة جيدة نفيسه مصورة عن أصلها المخطوط بالمكتبة الأصفية بمحيدراً باد بالهند برقم ١٦٣ - تفسير ؛ وهي مما صوره مهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من نقائس الكتب ونوادير المخطوطات ؛ نسخها الإمام جراسمرد الناصري الحنفى ، تلميذ السيوطى وراوى كتبه ، كتبها سنة ٨٣٣ ، ثم قرأها على السيوطى ، وأجازها بها ، وهذا نص إجازته :

« الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد سمع على جميع هذا الكتاب تأليفى صاحبه وكاتبه الفاضل المتقن المشغل المحصل الضابط ، نادرة أبناء جنسه جراسمرد الناصرى المرقى نفعه الله ونفع به ، وزاده فضلاً وعلماً على ما أتى ، وقد أجزت له أن يرويه عنى وجميع مرويأتى ومؤلفاتى . وكتب عبد الرحمن السيوطى فى ذى العقدة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . »

وتعد هذه النسخة - باعتبار أن كاتبها من الضابطين ، وأنه قرأها على المؤلف ، وعليها خط السيوطى وإجازته - من أنفس المخطوطات وأتقنها وأندرها .

وتقع في ٧٢؛ صفحة ، في كل صفحة ٢٩ سطرأ وفي كل سطر ٢٠ كلمة تقريبا ؛ وقد ضبطت ضبطا صحيحا متقنا .

وقد اتخذتها أصلا في التحقيق ، كما رجعت إلى المطبوعة الكاستلية المذيلة بتصحيحات الشيخ نصر المهوريني وتعليقاته ، وذلك لما عساه أن يكون أصلها قد قوبل على نسخة أخرى نفيسة ، وقد رمزت لها بالحرف (ط) .

هذا وقد عنيت عناية كبرى بتحرير النص وتحقيقه ، والتعريف ببعض الكتب والأعلام ، كما عنيت بعمل فهرسه الفنية ؛ على قدر ما وسع الجهد ووقع التوفيق .
وأسأل الله هداية ورشدا ، بمنه وكرمه .

محمد أبو الفضل إبراهيم

٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ هـ
مصر الجديدة في : ١ أغسطس سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 يقول سيدنا شيخنا الامام العالم العلامة تهر العباسي رحمه الله جلالة الدين نجل سيدنا الامام
 العلامة كاشغري الذي هو في حق الله في مدته الحسنة الذي جازى ليلي عبد الحكيم
 تبحر لا في الابواب . واورثه من تراث العلوم والحكمة العجيب العجيب . وجعله اجلا
 قدرا . واغزى بها علماء واعظمها تقيا والتمت بها ذالمخاطب . فانا عظمى غير ذي عوج .
 لاشبهة فيه ولا ارتياب . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارباب . الذي
 لا يقوى عليه الوجود . وخضعت لمظنه الرقاب . واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله
 من اكرم الشعوب . واشهد ان شابه ابي بكر الصديق بافضل كتابه صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه
 والاتباء . صلاة وسلاما وامين الى يوم المآب . وبعد . فان العلم بحر زخار لا يدرك له من
 قرار . وطود شامخ لا ينفك الى قلته . ولا يقصده من اراد ان يسلك الى استقصائه لم يبلغ الا ذلك
 وصولا ومن رام الوصول الى احصائه لم يجد الى ذلك سبيلا . كيف وقد قال لقمان عظيم الحكمة
 وما اوتيتم من العلم الا قليلا . وان كتابنا القرآن هو فخر العالمين وسنمناه . واديرة شمسها وظلها
 اودع فيه سبحانه علم كل شئ . واما في كل هذا الذي فري كل ذي فقه . يستمد وعليه يعتمد
 فالقضية يستنبط منه الاحكام . ويخرج علم الحلال والحرام . والتعوي يبنى منه قواعد الزمان . وبر
 اليه زعموه خطأ القول من سوابقه . والبيان يمتد به الى حسن النظام . ويعتبر سائر البلاء
 في صوح النظام . وفيه من القصور والاعمار ما ذكرنا في اول الكتاب . ومن الموعظة والارشاد ما يرد
 به ادراك الفكر والاعتبار الى غير ذلك من علوم طاعتها قد رتبها الله من علومها هذا من جهة واحدة
 لفظ وبلاغة أسلوب . تميز القول وتسلية القلوب . وانما في نظم لا يقدّر عليه الا علماء الفنون
 ولقد كنت في زماننا نطلب النجاة في الدنيا من ذلها . ونواكبنا في انواع علوم القرآن . وكانوا
 ذلك بالنسبة الى علم الحديث . فسمعت شخصا استاذنا في الدين . والشيخ من الساطع خلاصة الوجود
 علامة الزمان فخر العصر وعين الاول . يا عبد الله محمد بن الحسين الكاشغري . فاجله واسعه عليه ظله
 يقول . وقد كنت في علوم النجاة . وكما بالاربعين . فكتبته عنه . فاذا هو صغير الحجم جدا . وحاصل
 ما فيه بيان الاول في ذكر معنى التفسير . والما قبل . والقرآن . والسورة . والآية . والناحية . شروط
 فيه بالرب . وبعد ما خاتمة في اذابة لغام . والتعلم . فمكتوب . وذلك خلاصة . ولم يمد في المقصود
 سبيلا . ثم اذ في نجاتنا . في الامانة . في خلاصة الاسام . حاملوا المذهب . فطلبوا علم
 الدين . فليقتني رحمه الله تعالى على كتاب في ذلك لاجله . فاحصا لبقية جلال الدين . مما وقع العلم
 من انواع العلوم . فراهبه . تالفا لظواهره . ومجوعا غريبا . ذات رتب . وفقر . ونوع . وتجبر . قال
 في خطبته . فاستمرت . والامام . فانا في بعض خطبته . فاحصا لبقية جلال الدين . مما وقع العلم
 انواع القرآن . فاحصا لبقية جلال الدين . فاحصا لبقية جلال الدين . فاحصا لبقية جلال الدين .

نسخة من
 كتاب
 في بيان
 شروط
 العلم



الافتتاح

في
عَلَامَةِ الْقُرْآنِ

تأليف

الحافظ جلال الدين السيوطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخصبري المصري الشافعي

المتوفى بأسيوط سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى بمكة سنة ٩١١ هـ

ترجمه الله تعالى

المجلد الرابع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات

دار الكتب والعلوم الإسلامية في القاهرة

أتملكه المكتبة السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوَعُّدُ الرَّابِعُ وَالسِّتُونَ
فِي إعْجَابِ الْقُرْآنِ

أفرده بالتصنيف خلائق ؛ منهم الخطاطي ، والرماني ، والزُّمْلَكَاني ، والإمام
الرازي ، وابن سُراقَة ، والقاضي أبو بكر الباقلاني : قال ابن العربي : ولم يصنف
مثل كتابه .

اعلم أن المعجزة أمرٌ خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالمٌ عن المعارضة ؛ وهي إما
حسِّيَّة وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسِّيَّة لبلادهم ، وقلة
بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم ، وكال أفهامهم ، ولأن
هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ، خُصَّت بالمعجزة
العقلية الباقية ؛ ليراها ذوو البصائر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مامن الأنبياء نبي
إلا أعطى مأمثله آمن عليه البشر ؛ وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعا » . أخرجه البخاري ، قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء
انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا مَنْ حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى
يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالغيبات ، فلا يمرّ عصر من
الأعصار إلا وبظهر فيه شيءٌ مما أخبر به أنه سيكون ؛ يدلّ على صحة دعواه . وقيل : المعنى
أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسِّيَّة تشاهد بالأبصار كمنافاة صالح وعصا موسى ،
ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون مَنْ يتبعه لأجلها أكثر ؛ لأن الذي يشاهد
بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته ، والذي يشاهد بعين العقل باقي ، يشاهده كلُّ مَنْ
جاء بعد الأول مستمرا .

قال في فتح الباري : ويمكن نظم القولين في كلام واحد ؛ فإن محصلهما لا يُنافي

بعضه بعضاً ، ولا خلاف بين العقلاء ، أن كتاب الله تعالى معجزٌ لم يقدر واحدٌ على معارضته بعد تحدّثهم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فلو أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٢) ، فأخبر أن الكتاب آية من آياته ، كافٍ في الدلالة ، قائم مقام معجزات غيره وآيات مَنْ سواه من الأنبياء ، ولما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ، وكانوا أفصح الفصحاء ، ومصاقع الخطباء ، وتحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طول السنين فلم يقدرُوا ، كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ^(٣) ، ثم تحدّاهم ببشرِ سورٍ منه في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ، ثم تحدّاهم بسورة في قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾ ^(٥) الآية ، ثم كرّر في قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾ ^(٦) الآية ، فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء ، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن ، فقال : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ^(٧) ، هذا وهم الفصحاء اللدّ ، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره ، وإخفاء أمره ، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجّة . ولم يُنقل عن أحدٍ منهم أنه حدّث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه ، بل عدلوا إلى العناد تارة ، وإلى الاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا : « سحر » وتارة قالوا : « شعر »

(٣) الطور ٣٤

(٦) البقرة ٢٣

(٢) العنكبوت ٥٠ ، ٥١

(٥) يونس ٣٨

(١) التوبة ٦

(٤) هود ١٣

(٧) الإسراء ٨٨

وتارة قالوا « أساطير الأولين » ، كل ذلك من التحير والانقطاع ، ثم رضوا بتعظيم
السيف في أعناقهم وسبى ذراريهم وحرمهم ، واستباحة أموالهم ، وقد كانوا آنف شيء
وأشدّه حمية ، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه ؛ لأنه كان أهون عليهم ؛
كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له ؛ فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم ، إن قومك
يريدون أن يجمعوا لك مالا ليمطوكه ؛ فإنك أتيت^(١) محمداً لتعرض لما قبله^(٢) ، قال : قد علمت
قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك كاره له ، قال :
وماذا أقول ! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشمر مني ، ولا برجزه ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار
الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه
لطلاوة ، وإنه لم يشر^(٣) أعلاه ، مغدق أسفله ، وأنه ليعلو ولا يعلو عليه ، وأنه ليحطم ما تحته ،
قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : دعني حتى أفكر ، فلما فكر قال :
هَذَا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، يَأْتِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ .

قال الجاحظ : بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعراً
وخطيباً ؛ وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عُدّة ، فدعا أقصاها ، وأدناها إلى توحيد
الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر ، وأزال الشبهة ، وصار القدي
يمنعهم من الإفراز الموى والحمية ، دون الجهل والخبرة ، حملهم على حفظهم بالسيف ،
فنصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم ،
وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان
كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة ، فكلموا ازداد تحدياً لهم بها ، وتقريماً لمجزم عنها
تكشف من أنفسهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفياً ، فحين لم يجدوا حيلة ولا
حجة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف ؛ فلذلك يمكنك مالا يمكننا .
قال : فهاتوها مفتريات ، فلم يرهم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولا طبع فيه
لتكلفه ، ولو تكلفه لظلم ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابد فيه ،
(١) ط : د ثلاثا تأتي ، (٢) ط : د قاله ، (٣) في الفصل : « منير » . وما أثبتته من ط

ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ، فدلّ ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم ، واستحالة لفهمهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء أصحابه ، وخطباء أمته لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وأبلغ في تكذيبه ، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإفلاق الأموال ، وهذا من جليل التّذير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأى والعقل بطبقات ، ولم يقصده المجيب ، والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصار الموجزة ، ولم الأسجاع والمزدوج ، واللفظ المنثور ، ثم يتحدّى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدنانهم ، فحال - أكرمك الله - أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر ، والخطأ المكشوف البين ، مع التفرع بالنقص ، والتوقيف على العجز ، وهم أشدّ الخلق أفةً ، وأكثرهم مفاخرةً ، والكلام سيّد عملهم ، وقد احتاجوا إليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر ! وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة ، فكذلك محال أن يتركوه ، وهم يعرفونه ، ويحدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه ! انتهى .

فصل

لما ثبت كون القرآن معجزة نبيّنا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز ، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً ، فبين محسن ومسيء ، فزعم قوم أن التحدّى وقع بالكلام القديم الذي هو صفه الذات ، وأن العرب كلّت في ذلك ما لا يطاق ، وبه وقع عجزها . وهو مردود ؛ لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدّى به ، والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدالّ على القديم ، وهو الألفاظ .

ثم زعم النظام^(١) أن إعجازه بالصّرفة ، أى أن الله صرف العرب عن معارضته

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ وأحد رموس المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى في خلافة الحفص سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه في المواقف ٦٢٢

وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، لكن عاقبهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات . وهذا قول فاسد بدليل ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ ... ﴾ ^(١) الآية ، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم ، لمنزلة منزلة اجتماع الموتى ، وليس عَجَزُ الموتى مما يحتفل بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن ، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز ! بل المعجز هو الله تعالى ، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله .

وأيضاً فيلزم من القول بالصَّرْفَةِ زوال الإعجاز بزوال زمان التحدّي ، وخلوّ القرآن من الإعجاز ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة ؛ أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن .

قال القاضي أبو بكر : ومّا يبطل القول بالصَّرْفَةِ أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وإلّا ما منع منها الصَّرْفَةُ ، لم يكن الكلام معجزاً ، وإلّا ما يكون بالمنع معجزاً ، فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه . قال : وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم إن الكل قادرون على الإتيان بمثله ؛ وإلّا تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ، ولا بأعجب من قول آخرين : إن المعجز وقع منهم ؛ وأما من يمدّم في قدرته الإتيان بمثله ؛ وكل هذا لا يعتدّ به ^(٢) .

وقال قوم : وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، ولم يكن ذلك من شأن العرب .

وقال آخرون : ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها .

وقال آخرون : ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر ، من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة الإسراء ٨٨ (٢) إعجاز القرآن ٤٣ ، ٤٤ بتصرف (٣) آل عمران ١٢٢

(٤) المجادلة ٨

وقال القاضي أبو بكر : وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ومُبينٌ لأساليب خطاباتهم . قال : ولهذا لم يمكنهم معارضته .

قال : ولا سبيلَ إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر ، لأنه ليس مما يخرق العادة ، بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به ، كقول الشعر ، ورضف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحدق في البلاغة ، وله طريق تُسلك ، فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى ، ولا إمام يُقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً . قال : ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر ، وفي بعضه أدق وأغض .

وقال الإمام نضر الدين : وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب .

وقال الزمكاني : وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به ، لا مطلق التأليف ، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزناً ، وعُلت مركباته معنىً ، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى .

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحدّاق في وجه إعجازه ، أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ؛ وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ، فإذا ترتب^(١) اللفظة من القرآن ، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر يعقّمهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله ، فصرفوا عن ذلك ، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط .

ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ، ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جراً ، وكتاب الله تعالى لو نزعَتْ منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد . ونحن نقين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق ، وجودة القريحة . وقامت الحجة على العالم بالعرب ؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ، ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة ، وفي معجزة عيسى بالأطباء ؛ فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أرفع ما تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته ؛ وكذلك الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) . وقال حازم في منهاج البلغاء : وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاء في جميعه ؛ استمراراً لا يوجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم ، لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاء في العالي منه إلا في الشيء اليسير المحدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام وروقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه ، بل توجد في تفريق وأجزاء منه ^(٢) .

وقال المراكشي في شرح المصباح : الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان ، وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحرز به عن الخطأ في تأدية المعنى ، وعن تعقيد ، وتعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال ؛ لأن جهة إعجازه ليست مفردات أفاضله ، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ولا مجرد تأليفها ؛ وإلا لكان كل تأليف معجزاً ، ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزاً ، ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً ، والأسلوب الطريق ، ولكان هذان مسيلة معجزاً ؛ ولأن الإعجاز يوجد دونه ، أي الأسلوب في نحو ﴿ فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(٤) ، ولا بالصرف عن معارضتهم ؛ لأن

(١) مقدمة التفسير المطبوعة ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ونقله الزركشي في البرهان ٢ : ٩٧

(٤) (٤) الحجر ٩٤

(٣) يوسف ٨٠

(٢) نقله في البرهان ٢ : ١٠١

تَعْجِبُهُمْ كَانَ مِنْ فَصَاحَتِهِ ؛ وَلَئِنْ مَسِيلَةُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ ، وَالْمَعْرَى وَغَيْرِهِمْ قَدْ تَعَاطَوْهَا فَلَمْ يَأْتُوا إِلَّا بِمَا تَمَجَّجَهُ الْأَسْمَاعُ ، وَتَفَرَّغَتْ مِنْهُ الطَّبَاعُ ، وَيُضْحِكُ مِنْهُ فِي أَحْوَالِ تَرْكِيبِهِ ، وَبِهَا ، أَى بَتْلُكَ الْأَحْوَالِ أَعْجَزَ الْبَلْغَاءِ وَأَخْرَسَ الْفَصَحَاءِ ، فَعَلَى إِعْجَازِهِ دَلِيلٌ إِبْجَالِيٌّ ، وَهُوَ أَنَّ الْعَرَبَ عَجَزَتْ عَنْهُ وَهُوَ بِلِسَانِهَا ، فَفِيْرُهَا أُخْرَى ، وَدَلِيلٌ تَفْصِيلِيٌّ مُقَدِّمَتُهُ التَّفَكُّرُ فِي خَوَاصِ تَرْكِيبِهِ ، وَنَتِيجَتُهُ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ الْحَيِطِ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

وَقَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ : اعْلَمْ أَنَّ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ ذَكَرَ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا إِعْجَازٌ يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ ، وَالثَّانِي بِعَرَفِ النَّاسِ عَنْ مَعَارِضَتِهِ ، فَلِأَوَّلِ إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ ، أَمَّا الْإِعْجَازُ الْمُتَعَلِّقُ بِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ فَلَا يَتَعَلَّقُ بِعَنْصَرِهِ ؛ الَّذِي هُوَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ أَلْفَاظَهُ أَلْفَاظَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾ ^(٢) ، وَلَا بِمَعْنَاهِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مَوْجُودٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ رَبِّكَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٣) ؛ وَمَا هُوَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَبَيَانِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ ، وَالْإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ ؛ فِإِعْجَازِهِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَى الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ هُوَ قُرْآنٌ ؛ بَلْ لِكُونِهَا حَاصِلَةٌ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَعْلِيمٍ وَتَعَلُّمٍ ، وَيَكُونُ الْإِخْبَارُ بِالْغَيْبِ إِخْبَارًا بِالْغَيْبِ ؛ سِوَاهُ كَانَ بِهَذَا النِّظْمِ ، أَوْ بغيرِهِ ، مَوْجُودًا ^(٤) بِالْعَرَبِيَّةِ أَوْ بِلُغَةٍ أُخْرَى ، بِعِبَارَةٍ أَوْ بِإِشَارَةٍ ؛ فَإِذَا نَظَّمُ بِالْمَحْصُورِ صُورَةَ الْقُرْآنِ وَاللَّفْظُ وَالْمَعْنَى عِنْصَرُهُ ، وَبِاخْتِلَافِ الصُّوَرِ يَخْتَلِفُ حُكْمُ الشَّيْءِ وَاسْمُهُ لَا بِعَنْصَرِهِ ، كَالْخَاتَمِ وَالْقُرْطِ وَالسَّوَارِ ، فَإِنَّهُ بِاخْتِلَافِ صُورِهَا اخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهَا ، لَا بِعَنْصَرِهَا الَّذِي هُوَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْحَدِيدُ ، فَإِنَّ الْخَاتَمَ الْمُتَخَذَ مِنَ الذَّهَبِ وَمِنَ الْفِضَّةِ وَمِنَ الْحَدِيدِ يَسْمَى خَاتَمًا ، وَإِنْ كَانَ الْعَنْصَرُ مُخْتَلِفًا ، وَإِنْ أَخَذَ خَاتَمٌ وَقُرْطٌ وَسَوَارٌ مِنْ ذَهَبٍ اخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهَا بِاخْتِلَافِ صُورِهَا ، وَإِنْ كَانَ الْعَنْصَرُ وَاحِدًا .

قَالَ : فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْإِعْجَازَ الْمُخْتَصَّ بِالْقُرْآنِ يَتَعَلَّقُ بِالنِّظْمِ الْخُصُوصِ .
وَبَيَانُ كَوْنِ النِّظْمِ مُعْجَزًا يَتَوَقَّفُ عَلَى بَيَانِ نِظْمِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ بَيَانُ أَنَّ هَذَا النِّظْمَ مُخَالَفٌ لِنِظْمِ مَا عَدَاهُ ، فَتَقُولُ : مَرَاتِبُ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ خَمْسٌ :

الأولى : ضم الحروف البسطة بعضها إلى بعض ، لتحصل الكلمات الثلاث : الاسم والفعل والحروف .

والثانية : تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض ، لتحصل الجمل المفيدة ، وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعاً فى مخاطباتهم ، وقضاء حوائجهم ، ويقال له المنشور من الكلام .
والثالثة : ضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مبادٍ ومقاطع ، ومداخل ومخارج ، ويقال له المنظوم .

والرابعة : أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له المسجع .

والخامسة : أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر : والمنظوم ، إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكتوبة ويقال له الرسالة ؛ فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ، ولكل من ذلك نظم مخصوص ، والقرآن جامع لحاسن الجميع ، على نظم غير نظم شئ منها ؛ يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له ، رسالة ، أو خطابة ، أو شعر ، أو سجع ، كما يصح أن يقال : هو كلام ، والبلغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عده من النظم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ^(١) ، تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر ، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخرى .

قال : وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته ، فظاهر أيضاً إذا اعتبر ؛ وذلك أنه ما من صناعة محمودة كانت أو مذمومة ؛ إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية ، وانفاقات حمّية ؛ بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف ، فيشرح صدره بملابستها ، وتطيعه قواه فى مباشرتها ، فيقبلها بانسراج صدر ، ويزاولها باتساع قلب ^(٢) ، فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل وادٍ من المعانى بسلطة لسانهم إلى معارضة القرآن ، وعجزهم عن الإتيان بمثله ، ولم يتصدّوا لمعارضته لم يخف على أولى الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك ، وأتى إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلاغاء

تَبَيَّنَتْ، في الظاهر عن معارضته ، مصروفة في الباطن عنها . انتهى .

وقال السكاكي في المفتاح : اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة . وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا باتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما .

وقال أبو حيان التوحيدي : سئل بُندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن؟ فقال : هذه مسألة فيها حَيْف على المعنى ، وذلك أنه شبهه بقولك : ماموضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان ؛ بل متى أشرت إلى جماعته فقد حَقَّقْتَهُ ، ودَلَلْتَ على ذاته ، كذلك القرآن ، لشرفه لا يشار إلى شيء فيه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ، ومعجزة لمحاولة ، وهدى لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه ؛ فلذلك حارت العقول ، وتاهت البصائر عنده .

وقال الخطابي^(١) : ذهب الأكثرون من علماء النظر ، إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة ، لكن صُعب عليهم تفصيلها ، وصغّوا إلى حكم الذوق .

قال: والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في درجات البيان متفاوتة ؛ فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح الغريب السهل ، ومنها الجائر الطلق الرسل ؛ وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود ؛ فالأول أعلاها ، والثاني أوسطها ، والثالث أدناها وأقربها ، فخازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصّة ، وأخذت من كل نوع شعبة ، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف تَمَطُّ من الكلام يجمع صفتي الفخامة والمُعذوبة ، وهما على الانفراد في نوعيهما كالتضادّين ؛ لأنّ المعذوبة نتاج السهولة ؛ والجزالة والمثانة يمالجان نوعاً من الزّعورة ؛ فكان اجتماع الأمرين في نظمه ، مع نبوّ كلّ واحد منهما عن الآخر فضيلة خُصَّ بها القرآن ؛ ليكون آية بيّنة لنبيّه صلى الله عليه وسلم .

(١) هو عبد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، في كتابه بيان إعجاز القرآن ، طبع ضمن ثلاثة رسائل بمطبعة المعارف .

وإنما تعدّر على البشر الإتيان بمثله لأُمور ؛ منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني ، ولا تدرك إفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظم^(١) التي بها يكون اختلافها ، وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوها إلى أن يأتوا بكلام مثله ، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظاً حاصل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ؛ حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه ؛ ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً ، وأشدّ تلاوماً^(٢) وتشاكلاً من نظمه ؛ وأما معانيه فكل ذي لبّ يشهد له بالتقدم في أبوابه ، والترقى إلى أعلى درجاته .

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ؛ فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه ، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ، ودعاء^(٣) إلى طاعته ، وبيان لطريق عبادته ، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها ، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعاً أخبار القرون الماضية ، وما نزل من مثلات الله بمن مضى ، منبهاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الآتية من الزمان ، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ؛ ليكون ذلك آكد للزوم ما دعاً عليه ، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه .

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشدّها حتى تنظم وتنسق أمرٌ تعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرتهم ، فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، أو مناقضته في شكله . ثم صار الماعنون له يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظوماً ،

ومرة أنه سحر لما رأوه معجوزاً عنه ، غير مقدور عليه . وقد كانوا يجدون له وقفاً في القلوب ، وقرعاً في النفوس ، يُريبهم ويحيرهم ، فلم يتالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف ، ولذلك قالوا : إن له الحلاوة ، وإن عليه لطلاوة . وكانوا مرة يجهاهم يقولون : ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ^(١) ، مع علمهم أن صاحبهم أُمِّي ، وليس بمحضرة من يملئ أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل ، والمعجز .

ثم قال : وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس ، وهو صنيمه في القلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب ؛ من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في حال آخر ، ما يخلص منه إليه ، قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(٣) . انتهى

وقال ابن سريّة : اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن ، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره ، فقال قوم : هو الإيجاز مع البلاغة .

وقال آخرون : هو البيان والفصاحة .

وقال آخرون : هو الرّصف والنظم .

وقال آخرون : هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم ، والنثر ، والخطب ، والشعر ، مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلامهم ، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم ، وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم ؛ حتى إن من اقتصر على معانيه ، وغير حروفه أذهب رونقه ، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته ؛ فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه .

وقال آخرون : هو كون قارئه لا يكلل ، وسامعه لا يمل ، وإن تكررت عليه تلاوته .

وقال آخرون : هو مافيه من الإخبار عن الأمور الماضية .

وقال آخرون : هو مافيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع .

وقال آخرون : هو كونه جامعاً لعلوم بطول شرحها ، ويشق حصرها . انتهى .

وقال الزركشي في البرهان : أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ماسبق من الأقوال ؛ لا بكل واحد على انفراده ؛ فإنه جمع ذلك كله ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده ، مع اشتماله على الجميع ، بل وغير ذلك مما لم يسبق ؛ فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم ، سواء المقرّ والجاحد . ومنها أنه لم يزل ولا يزال غصاً طرياً في أسمع السامعين ، وعلى ألسنة القارئين . ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة ؛ وهما كالتضادين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر . ومنها جعله آخر الكتب غنياً عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بَقِصٌ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

وقال الرماني : وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارض ، مع توفر الدواعي ، وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة ، والإخبار عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة . قال : ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة ، منها الشعر ، ومنها السجع ، ومنها الخطب ، ومنها الرسائل ، ومنها المنشور الذي يدور بين الناس في الحديث ؛ فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة ، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة ، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام . قال : وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة ؛ إذ كان سبيل فلق البحر وقلب المصاحبة ، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً

واحداً في الإعجاز، إذ خرج عن العادة ، وقعد الخلق فيه عن المعارضة .

وقال القاضي عياض ^(١) في الشفا : اعلم أن القرآن منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أولها : حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام ، وأرباب هذا الشأن .

الثاني : صورة نظمه المعجيب ، والأسلوب الغريب ، المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له . قال : وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأسلوب الغريب بذاته ، نوع إعجاز على التحقيق ، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما ، إذ كل واحد خارج عن قدرتها ، مبين لفصاحتها وكلامها ، خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب .

الوجه الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار بالمفاتيح وما لم يكن ، فوجد كما ورد .
الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه ، وهو آتى لا يقرأ ولا يكتب .
قال : فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة لاتزاع فيها . ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك آتى وردت بتمجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها ، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك ، كقوله لليهود : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴿ ٢ ﴾ ، فما تمنّاه أحد منهم ، وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث .

ومنها الروعة التي تالحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والهيبة التي تعزيرهم عند

(١) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصي الأندلسي ، صاحب كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وغيره وإمام وقته في الحديث وعلمه . توفي سنة ٥٤٤ . الديباج المذهب ١٦٨

(٢) البقرة ٩٤ ، ٩٥

تلاوته ، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، قال : فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ الْمُسْتَطَرُونَ ﴾ ^(١) ، كاد قلبي أن يطير . قال : وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي . وقدمات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف . ثم قال : ومن وجوه إعجازه كونه آيةً باقية ، لا يعدم ما بقيت الدنيا ، مع تكفل الله بحفظه .

ومنها أن قارئه لا يملّه ، وسامعه لا يملّجه ، بل الإكباب على تلاوته يزيد حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، وغيره من الكلام بعبّادى إذا أعيد ، ويُملّ مع الترديد ، ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه « لا يخلق على كثرة الرداد » ^(٢) .

ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ، ولا أحاط بعلومها أحد ، في كلمات قليلة ، وأحرف معدودة .

قال : وهذا الوجه داخل في بلاغته ؛ فلا يجب أن يعدّ فناً مفرداً في إعجازه . قال : والأوجه التي قبله تعدّ في خواصّه وفضائله ، لا إعجازه . وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأولى فليعتمد عليها . انتهى .

تنبيهات

الأول : اختلف في قدر المعجز من القرآن ، فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن ، والآيتان السابقتان تردّه .

وقال القاضي : يتعلق الإعجاز بسورة ؛ طويلة كانت أو قصيرة ، تشبّهًا بظاهر قوله : ﴿ بسورة ﴾ .

وقال في موضع آخر : يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام ، بحيث يبين فيه تفاضل

(٢) في الأصل : « الرد »

(١) الطور ٣٥ - ٣٧

قوى البلاغة ؛ قال : فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز .

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .

وقال قوم : لا يحصل الإعجاز بآية ، بل يشترط الآيات الكثيرة .

وقال آخرون : يتعلق بقليل القرآن وكثيره ، لقوله : ﴿ فَلْيَأْنُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ^(١) ، قال القاضى : ولا دلالة في الآية ، لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة .

الثانى : اختلف في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ؟ قال القاضى : فذهب أبو الحسن الأشعرى إلى أن ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال : قال : والذي نقوله إن الأجمعي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً ، وكذلك من ليس ببليل ، فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب ، وغرائب الصنعة ؛ فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله .

الثالث : اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة ، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه ؛ فاختر القاضى المنع ، وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا ؛ وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض . واختار أبو نصر القشيري وغيره التفاوت ، فقال : لا ندعى أن كل ما في القرآن أرفع الدرجات في الفصاحة ، وكذا قال غيره : في القرآن الأنصح والفصيح .

وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم أورد سؤالاً وهو أنه : لم لم يأت القرآن جميعه بالأنصح ؟ وأجاب عنه الصدر موهوب الجزرى ، بما حاصله : أنه لو جاء القرآن

على ذلك ؛ لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصح ،
فلا تتم الحجة في الإعجاز ؛ فجاء على نمط كلامهم المعتاد ، ليتم ظهور المعجز عن معارضته ،
ولا يقولوا مثلاً : أثبت بما لا قدرة لنا على جنسه ؛ كما لا يصح من البصير أن يقول
للأعمى : قد غابتك بنظري ؛ لأنه يقول له : إنما تتم لك الغلبة ؛ لو كنت قادراً على
النظر ، وكان نظرك أقوى من نظري ، فأما إذ قد أصل النظر ، فكيف يصح
منى المعارضة !

الرابع : قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون ، مع أن الموزون من
الكلام ، رتبته فوق رتبة غيره ؛ أن القرآن منبع الحق ، وجمع الصدق ، وقصارى أمر
الشاعر التخيل ؛ بتصوير الباطل في صورة الحق والإفراط في الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء
دون إظهار الحق ، وإثبات الصدق ، ولهذا نزه الله نبيه عنه ، ولأجل شهرة الشعر
بالكذب سمي أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان
والكذب شعريّة . وقال بعض الحكماء : لم ير متدين صادق للهجة ، مفلق في شعره .

وأما ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون ، فالجواب عنه أن ذلك لا يستلزم
شعراً ؛ لأن شرط الشعر القصد ؛ ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له في كلامه شيء
موزون شاعراً ، فكان الناس كلهم شعراء ، لأنه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك ، وقد
ورد ذلك على ألسنة الفصحاء ، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطنن عليه ، لأنهم
كانوا أحرص شيء على ذلك ، وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى في الانسجام .
وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يستلزم شعراً ، وأقل الشعر بيتان فصاعداً ،
وقيل : الرجز لا يستلزم شعراً أصلاً ، وقيل : أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات ،
وليس ذلك في القرآن بحال .

الخامس : قال بعضهم : اتحدى إنما وقع للإنس دون الجن ، لأنهم ليسوا من

أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا في قوله : ﴿ قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ ^(١) تعظيماً لإعجازه ، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة مالم يس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع الثقلين فيه ، وظاهر بعضهم بعضاً ، وعجزوا عن المعارضة ، كان الفريق الواحد أعجز .

وقال غيره : بل وقع للجن أيضاً وللملائكة منويون في الآية ، لأنهم لا يقدرُونَ أيضاً على الإنيان بمثل القرآن .

قال الكرماني في غرائب التفسير : إنما اقتصر في الآية على ذكر الإنس والجن ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة .

السادس : سئل الفزالي عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) .

فأجاب : الاختلاف لفظ مشترك بين معانٍ ، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه ؛ بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن ، يقال : هذا كلام مختلف ، أى لا يشبه أوله آخره في الفصاحة ، أو هو مختلف الدعوى ، أى بعضه يدعو إلى الدين ، وبعضه يدعو إلى الدنيا ؛ وهو مختلف النظم ، فبعضه على وزن الشعر ، وبعضه منزهف ، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة ، وبعضه على أسلوب يخالفه ، وكلام الله منزّه عن هذه الاختلافات ، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره ، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة ، فليس يشتمل على الفث والسمين ، ومسوق لمعنى واحد ، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى ، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين ، وكلام الآدمين تنطرق إليه هذه الاختلافات إذ كلام الشعراء والمرسلين إذا قيس عليه ، ووجد فيه اختلاف في منهاج النظم ، ثم اختلاف في درجات الفصاحة ، بل في أصل الفصاحة ؛ حتى يشتمل على الفث والسمين ، فلا تنساوى رسالتان ولا قصيدتان ، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة

وأبيات سخيفة ، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراضٍ مختلفة ؛ لأن الشعراء والفصحاء في كلِّ وادٍ يهيمون ، فتارة يمدحون [الدنيا] ، وتارة يذمونها ، وتارة يمدحون الجبنَ ويسمونونه حزمًا ، وتارة يذمونونه ويسمونونه ضِعْفًا ، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونونها صرامة ، وتارة يذمونونها ويسمونونها تهورًا ؛ ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات ؛ لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال ، والإنسان يختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ، وتتعذر عليه عند الانقباض ، وكذلك تختلف أغراضه ، فيميل إلى الشيء مرة ، ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلافًا في كلامه بالضرورة ، فلا يُصادف إنسانٌ يتكلم في ثلاث وعشرين سنة - وهي مدة نزول القرآن - فيتكلم على غرض واحدٍ ومنهاج واحد ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بشراً يختلف أحواله . فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا .

السابع : قال القاضي : فإن قيل : هل تقولون إن غير القرآن من كلام الله معجز ، كالنوراة والإنجيل ؟ قلنا : ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف ؛ وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمّن من الإخبار بالغيوب ؛ وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ؛ ولأنّا قد علمنا أنه لم يقع التحدى إليه ، كما وقع في القرآن ، ولأنّ ذلك اللسان لا يأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع فيه التفاضل الذي ينتهى إلى حد الإعجاز ، وقد ذكر ابن جني في الخطاريات في قوله : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ ^(١) : أن العدول عن قوله : « وإما أن نلقى » لفرضين : أحدهما لفظي ، وهو المزاجعة لرؤس الآي ، والآخر معنوي ، وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطاعتهم على موسى ، فجاء عنهم باللفظ آثم وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه .

ثم أورد سؤالاً ، وهو : إمّا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان ، فنذهب بهم

هذا المذهب من صنعة الكلام ! وأجاب : بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية ، إنما هو معرب عن معانيهم ، وليس بحقيقة ألفاظهم ، ولهذا لا يشك في أن قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرٌ أَوْ نَجْوَىٰ بِرِجَالِكُمْ لَا يَظُنُّ غَوِيٌّ بِهِمْ فَكُحْلٌ وَلَا يَنبُؤُا بِشَيْءٍ إِلَّا سِحْرٌ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَرَدًا مِّنَ السَّمَاءِ لَا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ هَاجِرٌ سَوَاءٌ لَّكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ بِخَيْرٍ هَآءِهِمَا يُخَرِّجُهُمَا آلِهَتُهُمْ لِئَلَّا يُزَاكِرَ فِيهِمَا الَّذِينَ لَا لِلَّهِ حِزْبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا لِيَوْمِ الْحُكْمِ ﴾ (١) ؛ أن هذه الفصاحة لم تجر على لغة المعجم .

الثامن : قال البارزى في أول كتابه « أنوار التحصيل في أسرار التنزيل » : اعلم أن المعنى الواحد قد يجبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ؛ وكذلك كل واحد من جزأى الجملة ، قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ، ولا بد من استحضار معانى الجمل ، أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ، ثم استعمال أنسبها وأفصحها ، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال ؛ وذلك عتيد حاصل في علم الله تعالى ، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه ، وإن كان مشتملا على النصيح والأفصح ، والليح والألمح ، ولذلك أمثلة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (٢) ، لو قال مكانه : « وثمر الجننتين قريب » ، لم يعم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجننتين ، ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يجنى فيها ، ومن جهة مؤاخاة الفواصل . ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَقُولُ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ ﴾ (٣) ، أحسن من التعبير : « تقرأ » لثقله بالهمزة . ومنها « لا ريب فيه » (٤) أحسن من « لا شك فيه » لثقل الإدغام ، ولهذا كثر ذكر الريب منها . ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ (٥) ، أحسن من « ولا تضعفوا » لخفته . ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ (٦) أحسن من « ضَعُف » لأن الفتحة أخف من الضمة . ومنها « آمن » (٧) أخف من « صدق » ، ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق . ﴿ آتَرَكَ اللَّهَ ﴾ (٨) أخف من « فضلك » . ﴿ آتَى ﴾ (٩) أخف من « أعطى » . ﴿ أَنْذَرَ ﴾ (١٠) أخف من « خوف » . ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (١١) أخف من « أفضل لكم » ،

(٣) العنكبوت ٤٨

(٦) مريم ٤

(٩) البقرة ١٧٧

(٢) الرحمن ٥١

(٥) آل عمران ١٣٩

(٨) يوسف ٩١

(١١) البقرة ١٨٤

(١) طه ٦٣

(٤) البقرة ٢

(٧) البقرة ٦٢

(١٠) الأحقاف ٢١

والمصدر في نحو ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ ^(١) ، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ^(٢) ، أخف من «مخلوق» و«الغائب» ، و﴿تَنكِحَ﴾ ^(٣) أخف من «تزوج» ، لأن «تفعل» أخف من «تفعل» ، ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر .

ولأجل التخفيف والاختصار ، استعمل لفظ الرحمة والفضب والرضا والحب والقت في أوصاف الله تعالى ، مع أنه لا يوصف بها حقيقة ، لأنه لو عبّر عن ذلك بألفاظ الحقيقة لطال الكلام ، كأن يقال : يعامله معاملة الحب والمساقت ، فالجواز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره ، وابتناؤه على التشبيه البليغ ، فإن قوله : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ ^(٤) ، أحسن من « فلما عاملونا معاملة المفضب » ، أو « فلما أتوا إلينا بما يأتونه المفضب » . انتهى .

التاسع : قال الرماني : فإن قال قائل : فلعلّ السور القصار يمكن فيها المعارضة ! قيل : لا يجوز فيها ذلك من قبل أن التحدى قد وقع بها ، فظهر العجز عنها في قوله : ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ﴾ ^(٥) ، فلم يخصّ بذلك الطوال دون القصار . فإن قال : فإنه يمكن في القصار أن تغير الفواصل ، فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها ، فهل يكون ذلك معارضة ؟ قيل له : لا ، من قبل أن اللحن يمكنه أن ينشئ بيتاً واحداً ، ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون ، فلو أن مفحماً رام أن يجعل بدل قوافي قصيدة رؤبة ^(٦) :

* وقائم الأعماق حاوى المحترق مشتهب الأعلام لناع الخفق *

* بكلّ وفد الريح من حيث انخرق *

فجعل بدل المحترق « المرقق » وبدل الخفق « الشفق » ، وبدل انخرق « انطلق » لأنه يمكنه ذلك ولم يثبت له به قول الشعر ، ولا معارضة رؤبة في هذه القصيدة عند أحد أدنى معرفة ، فكذلك سبيل من غير الفواصل .

(٢) البقرة ٢٣

(٢) البقرة ٣

(١) لقمان ١١

(٦) خزائن الأدب ١ : ٣٩

(٥) يونس ٣٨

(٤) الزخرف ٥٥

التَوْحُّدُ الْخَامِسُ وَالسَّتُونَ
فِي الْعُلُومِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ

قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن » ، قيل : وما الخرج منها ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » . أخرجه الترمذى وغيره .

وأخرج سعيد بن منصور ، عن ابن مسعود ، قال : « مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلِمَهُ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنْ فِيهِ خَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ » قال البيهقي : يعنى أصول العلم .

وأخرج البيهقي عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة والإنجيل والزيور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان .

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن .

وقال أيضاً : جميع ما حكم به النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فهو مما فهمه من القرآن . قلت : ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى لَا أَحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَلَا أَحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ » ؛ أخرجه بهذا اللفظ الشافعى فى الأم .

وقال سعيد بن جبير : ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إِلَّا وجدت مصداقه فى كتاب الله .

وقال ابن مسعود : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى ؛ أخرجهما ابن أبى حاتم .

وقال الشافعي أيضاً : ليست تنزل بأحدٍ في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها ، فإن قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنة ، قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة ، لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفرض علينا الأخذ بقوله .

وقال الشافعي مرة بمكة : سلوني عما شئتم أخبركم عنه في كتاب الله ؛ فقليل له : ما تقول في المحرم بقتل الزنبر ؟ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(١) .

وحدثنا سفيان بن عُيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ربيعة بن حراش ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » .

وحدثنا سفيان ، عن مسعر بن كدام ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر ابن الخطاب ؛ أنه أمر بقتل المحرم الزنبر .

وأخرج البخاري ، عن ابن مسعود ، أنه قال : لعن الله الواشحات والمتوشحات ^(٢) ، والمتنمصات ^(٣) ، والمتفاجات للحسن ، المفيرات خلق الله تعالى ؛ فبلغ ذلك امرأة من بني أسد ، فقالت له : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت ! فقال : وما لي لألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله تعالى ! فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول ؛ قال : لئن كنت قرأته لقد وجدته ، أما قرأت : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ! قالت بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

وحكى ابن سُرَاقَة في كتاب الإعجاز ، عن أبي بكر بن مجاهد ، أنه قال يوماً : ما شئ في العالم إلا وهو في كتاب الله ، فقليل له : فأين ذكر الخانات فيه ؟ فقال في قوله :

(١) المحشر ٧

(٢) قال ابن الأثير : الوشم أن يفرز الجلد بآبرة ثم يمدى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر .

(٣) قال ابن الأثير : النامصة والتمصة : التي تنف الشعر من وجهها .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ ^(١)
 فهي الخانات .

وقال ابن برجان : ما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن به أوفيه
 أصله ، قُرْبُ أو بَعْدُ ، فِيمَهُ من فِهُم ، وِعَمَهُ عنه من عَمِه ، وكذا كلِّ ما حكم أو قضى ،
 وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده ، وبذل وسعه ، ومقدار فهمه .

وقال غيره : ما من شيء إلا يمكن استخراجُه من القرآن لن فهمه الله ، حتى أن
 بعضهم استنبط عُمرَ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة
 المنافقين : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ ^(٢) ؛ فإنها رأس ثلاث وستين سورة ،
 وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن ^(٣) في فقهه .

وقال ابن أبي الفضل المرسى في تفسيره : جَمَعَ القرآن علومَ الأوَّلين والآخِرِينَ ،
 بحيث لم يُحِطْ بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خلا
 ما ستأثر به سبحانه وتعالى ؛ ثم ورث ذلك عنه معظم ذلك السادات الصحابة وأعلامهم ، مثل
 الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لوضاع لى عِقالٍ بعير لوجدته في
 كتاب الله تعالى ؛ ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت
 العزائم ، وتضائل أهل العلم ، وضمفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه ،
 وسائر فنونه ، فنوعوا علومه ، وقامت كلُّ طائفة بفنٍّ من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط
 لغاتِهِ ، وتحرير كلماتِهِ ، ومعرفة مخارج حروفِهِ وعددها ، وعدد كلماتِهِ وآياته وسُورِهِ
 وأحزابِهِ وأنصافِهِ وأرباعِهِ ، وعدد سجّداتِهِ ، والتعليم عند كلِّ عشر آيات ، إلى غير ذلك
 من حَصْرِ الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة ؛ من غير تعرّضٍ لمعانيهِ ، ولا تدبّرٍ لما
 أودع فيه ، فُسِّمُوا القراء .

واعتنى النحاة بالعرب منه والبنّى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ،

(٣) قال الراغب : « التغابن

(٢) المنافقون ١١

(١) النور ٢٩

يوم تبدل الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا » .

وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال ، واللازم والمتعدي ، ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمة كلمة . واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ، ولفظاً يدل على معنيين ، ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه ، وأوضحوا معنى الخفى منه ، وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذى المعنيين والمعانى ، وأعمل كل منهم فكره ، وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ^(١) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه ، وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به ، وسمّوا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة منهم معانى خطابه ، فرأت منها ما يقتضى العموم ، ومنها ما يقتضى الخصوص ، إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغة ^(٢) من الحقيقة والحجاز ، وتكلموا فى التخصيص والإخبار ، والنص والظاهر ، والجمل والمحكم والمنشابه ، والأمر والنهى ، والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء ، وسمّوا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر ، فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام ، فأسسوا أصوله ، وفرّعوا فروعها ، وبسطوا القول فى ذلك بسطاً حسناً ، وسمّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً .

وتلّحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ، ودوّنوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء ، وسمّوا ذلك بالتاريخ والتقصص .

وتنبّه آخرون لِمَا فيه من الحُكْم والأمثال والمواعظ ، التي تتفاضل قلوب الرجال ، وتكاد تُدَكِّدُك الجبال ، فاستنبطوا ممَّا فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ؛ وذكر الموت والمعاد ، والنشر والحشر والحساب ، والعقاب ، والجنة والنار فصولاً من المواعظ ، وأصولاً من الزواجر ؛ فسمُّوا بذلك الخطباء والموعظ .

واستنبط قوم ممَّا فيه من أصول التعبير ؛ مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السماء ، وفي منامي صاحبي السجن ، وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة ، وسموه تعبیر الرؤيا . واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب ؛ فإن عزَّ عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب ؛ فإن عسر فمن الحُكْم والأمثال ، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم ، وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله : ﴿ وَأُمِرُّ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(١) .

وأخذ قوم ممَّا في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها ، وغير ذلك علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ، ومسائل العول ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدلالات على الحُكْم الباهرة في الليل والنهار ، والشمس والقمر ومنازله ، والنجوم والبروج وغير ذلك ؛ فاستخرجوا منه علم المواقيت . ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق ، واللبادئ والمقاطع ، والمخالص ، والتلوين في الخطاب ، والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع .

ونظر فيه أربابُ الإشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معاني ودقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها ، مثل النناء ، والبقاء ، والحضور ، والخوف ، والهيبة والأنس ، والوحشة ، والقبض ، والبسط ، وما أشبه ذلك ، هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه .

وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل ، مثل الطب ، والجَدَل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والنَّجَامة وغير ذلك ؛ أما الطب فمداره على حفظ نظام الصَّحة واستحكام القوَّة ؛ وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ^(١) ، وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله تعالى : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، ثم زاد على طبِّ الأجسام بطبِّ القلوب وشفاء الصدور .

وأما الهيئة فى تضاعيف سُورِهِ ، من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والأرض ، وما بثَّ فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات .

وأما الهندسة فى قوله : ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ ... ﴾ ^(٣) ، الآية . وأما الجدَل فقد حوت آياته من البراهين ، والمقدمات ، والنتائج ، والقول بالموجب والمعارضة ، وغير ذلك شيئاً كثيراً ، ومناظرة إبراهيم نمرود ومحاجته قومه أصلٌ فى ذلك عظيم .

وأما الجبر والمقابلة ، فقد قيل : إن أوائل السور فيها ذكر مُدَد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة ، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة ، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى وما بقى ، مضروب بعضها فى بعض .

وأما النَّجَامة فى قوله : ﴿ أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ^(٤) ، فقد فسره بذلك ابن عباس . وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة فى قوله : ﴿ وَطَقِيقًا يَخْصِفَانِ ﴾ ^(٥) .

والحدادة ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾^(١)، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ...﴾^(٢) الآية .

والبناء في آيات .

والنجارة ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٣) .

والغزل ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾^(٤) .

والنسج ﴿كَمَثَلِ الْفُكْبَانِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾^(٥) .

والفلاحة ﴿أَقْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ...﴾^(٦) الآية .

والصيد في آيات .

والنوص ﴿كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾^(٧)، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حُلِيَّةً﴾^(٨) .

والصياغة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا﴾^(٩) .

والزجاجة ﴿صَرَخَ مُرَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾^(١٠)، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾^(١١) .

والفخارة ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ﴾^(١٢) .

والملاحة ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ ...﴾^(١٣) الآية .

والكتابة ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١٤) .

والخبز ﴿أَحْلِلْ قَوْقُ رَأْسِ خُبْزٍ﴾^(١٥) .

والطبخ ﴿بِمَجْلٍ حَنِيدٍ﴾^(١٦) .

والفسل والقسارة ، ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾^(١٧) . قال : الحواريون ، وهم القصارون .

والجزارة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾^(١٨) .

(١) الكهف ٩٦	(٢) سبأ ١٠	(٣) هود ٣٧
(٤) النحل ٩٢	(٤) العنكبوت ٤١	(٥) الواقعة ٦٣
(٦) ص ٣٧	(٧) النحل ١٤	(٨) الأعراف ١٤٨
(٩) النمل ٤٤	(١٠) النور ٣٥	(١١) القصص ٣٨
(١٢) الكهف ٧٩	(١٣) الملق ٤	(١٤) يوسف ٣٦
(١٥) هود ٦٩	(١٦) المدثر ٤	(١٧) المائدة ٣

والبيع والشراء في آيات .

وَالصَّبْغُ ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾ ^(١) ، ﴿جُدَّدٌ بَيْضٌ وَخُمْرٌ﴾ ^(٢) .

والحجارة ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ^(٣) . والكيالة والوزن في آيات ،

والرمي ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ^(٤) ، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ^(٥) .

وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات والمشروبات والنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(٦) . انتهى كلام المرسى ملخصاً .

وقال ابن سраقة : من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والمواقفة ، والتأليف ، والناسبة والتنصيف ، والمضاعفة ، ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله ، وأن القرآن ليس من عنده ؛ إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ، ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة .

وقال الراغب : إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم مختصة ، وشرائعهم بشريعته من وجه من نسخة ، ومن وجه مكملته متممة ، جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التي أولاها وأولئك ، كما نبه عليه بقوله : ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ * **فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ** ^(٧) ، وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجَمِّ ، بحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه ، والآلات النبوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْهَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ^(٨) ، فهو وإن كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يره ونفع ما يوليه

(٣) الشعراء ١٤٩

(٦) الأنعام ٣٨

(٢) فاطر ٢٧

(٥) الأفعال ٦٠

(٨) لقمان ٢٧

(١) البقرة ١٣٨

(٤) الأفعال ١٧

(٧) البينة ٢

كالبدْر من حيث التفت رأيتَه يَهْدِي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في كبدِ السماء وضوؤها يَفْشِي البلاد مشارقاً ومغاربا

وأخرج أبو نعيم وغيره ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، قال : قيل لموسى عليه السلام : يا موسى ؛ إنما مثل كتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن ؛ كلما مَحَضْتَهُ أخرجت زبدته .

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى قانون التأويل : علومُ القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم ، وسبعة آلاف علم ، وسبعون ألف علم ؛ على عدد كلم القرآن ، مضروبة فى أربعة ، إذ لكل كلمة ظهر وبطن ، وحدّ ومطلع ، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط ، وهذا ما لا يحصى ، ولا يعلمه إلا الله . قال : وأما علوم القرآن فن ثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام ؛ فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتذكير منه الوعد والوعيد ، والجنة والنار وتصفيه الظاهر والباطن . والأحكام ؛ منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهى والتنبؤ ، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن ، لأن فيها الأقسام الثلاثة ، وسورة الإخلاص لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد ^(١) .

وقال ابن جرير : القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد والإخبار ، والذِّبَانَاتِ ، ولهذا كانت سورة الإخلاص مُثْلته ، لأنها تشمل التوحيد كله .

وقال على بن عيسى : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتشبيه ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقراء بسم الله ، وبصفاته وأفعاله ، وتعليم الاعتراف بأنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والرد على الملحدين ، والبيان عن الرغبة والرغبة ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ، ومدح الأبرار ، وذم الفجار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتقريع ،

والبيان عن ذم الأخلاق ، وشرف الآداب .

وقال شيدلة : وعلى التحقيق إن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها ، فإن القرآن لا يستدرك ، ولا تحصى عجائبه .

وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكات السموات والأرض ، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى ، وبدء الخلق ، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة ، كقصة آدم مع إبليس في إخراجهم من الجنة ، وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ، ورفع إدريس ، وغرق قوم نوح ، وقصة عاد الأولى والثانية ، وثمود والناقة ، وقوم يونس ، وقوم شعيب والأولين والآخرين ، وقوم لوط ، وقوم تبع ، وأصحاب الرّس ، وقصة إبراهيم في مجادلة قومه ومناظرته نمرود ووضع إسماعيل مع أمه بمكة ، وبنائه البيت ، وقصة الذبيح ، وقصة يوسف وما أسقطها ، وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم ، وقتل القبطى ، ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب ، وكلامه تعالى بجانب الطور ، ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوه ، وقصة المجمل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة ، وقصة القليل وذبح البقرة ، وقصته مع الخضر ، وقصته في قتال الجبارين ، وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين ، وقصة طالوت ، وداود مع جالوت وفتنته ، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ ، وفتنته ، وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماهم الله ثم أحيام ، وقصة ذى القرنين ، ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها ، وبنائه السد ، وقصة أيوب ، وذى الكفل ، وإلياس ، وقصة مريم وولادتها ، وعيسى وإرساله ورفع ، وقصة زكريا وابنه يحيى ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة أصحاب الرقيم ، وقصة بخت نصر ، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة ، وقصة أصحاب الجنة ، وقصة مؤمن آل يس ، وقصة أصحاب القليل . وفيه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم به ، وبشارة عيسى ، وبعثه وهجرته ،

ومن غزواته : سرية ابن الحضرمي في البقرة ، وغزوة بدر في سورة الأنفال ، وأحد في آل عمران ، وبدر الصغرى فيها ، والخندق في الأحزاب ، والحديبية في الفتح ، والنضير في الحشر ، وحنين وتبوك في براءة ، وحجة الوداع في المائدة ، ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته ، وتظاهر أزواجه عليه ، وقصة الإفك ، وقصة الإسراء ، وانشقاق القمر ، وسحر اليهود إياه .

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت ، وقبض الروح وما يفعل بها بعد ، وصعودها إلى السماء ، وفتح الباب للمؤمنين وإلقاء الكافرة ، وعذاب القبر والسؤال فيه ، ومقرّ الأرواح ، وأشرط الساعة الكبرى ، وهي نزول عيسى ، وخروج الدجال وبأجوج ومأجوج ، والدابة ، والدخان ، ورفع القرآن ، والحسف ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغلق باب التوبة ، وأحوال البعث من النفخات الثلاث : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام . والحشر والنشر ، وأحوال الموقف ، وشدة حر الشمس ، وظل العرش ، والميزان ، والحوض ، والصراط ، والحساب لقوم ونجاة آخرين منه ، وشهادة الأعضاء ، وإتيان الكتب بالآيمان والشامل وخلف الظهر ، والشفاعة ، والمقام المحمود ، والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار ، والأشجار والثمار والحلى والأواني والدرجات ورؤيته تعالى . والنار وأبوابها وما فيها من الأودية ، وأنواع العقاب وألوان العذاب ، والزقوم ، والحميم . وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث ، ومن أسمائه مطلقاً ألف اسم ، ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم جملة .

وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون ، وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر . وفيه أنواع الكبائر ، وكثير من الصفات . وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات .

وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه القرآن من الأحكام كالقاضي إسماعيل وبكر بن العلاء ، وأبي بكر الرازي والسيكيا المراسي ، وأبي بكر بن العربي ، وعبد المنعم بن الفرس ، وابن خويز مَنداد . وأفرد آخرون كتباً فيما تضمنه من علم الباطن ، وأفرد ابن يَرْجَان كتاباً فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث . وقد ألفت كتاباً سمّيته « الإكليل في

استنباط التنزيل « ذكرت فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية ، أو اعتقادية ، وبعضاً مما سوى ذلك ، كثير الفائدة جمّ العائدة ، يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع ؛ فليراجعه من أراد الوقوف عليه .

فصل

قال الفرزالي وغيره : آيات الأحكام خمسمائة آية . وقال بعضهم : مائة وخمسون ، قيل : ولعل مرادهم المصريح به ؛ فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام .

قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام في كتاب الإمام في أدلة الأحكام : معظم آي القرآن لا يخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة ، وأخلاق جميلة ، ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام ، فمنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط ؛ إما بلا ضمّ إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(١) ، وصحة صوم الجنب من قوله : ﴿ قَالَانَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ ^(٢) ، إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْضَ... ﴾ ^(٣) الآية ، وإما به كاستنباط أن أقلّ الجمل ستة أشهر من قوله : ﴿ وَفَصَالَهُ فِي غَامِنٍ ﴾ ^(٤) ، قال : ويستدل على الأحكام تارة بالصفة وهو ظاهر ، وتارة بالإخبار مثل ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ ^(٧) ، وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شرّ ، أو نفع أو ضرر ، وقد نوع الشارع ذلك أنواعاً كثيرة ، ترغيباً لعباده ، وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم ، فكل فعل عظّمه الشرع أو مدحه أو مدّح فاعله لأجله أو أحبه أو أحبّ فاعله ، أو رضى به أو رضى عن فاعله ، أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب ، أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين ، وبالنفس اللوامة ، أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبه

(٣) لقمان ١٤

(٦) البقرة ١٨٣

(٢) البقرة ١٨٧

(٥) المائدة ٣

(١) السد ٣

(٤) البقرة ١٨٧

أو لثواب عاجل أو آجل، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه
وتكفير سيئاته أو لقبوله، أو لنصرة فاعله، أو بشارته، أو وصف فاعله بالطيب، أو
وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفي الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو
نُصب سبباً لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسول بمحصله، أو وصفه بكونه قُرْبَةً، أو بصفة
مدح، كالحياء والنور والشفاء، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.
وكلّ فعل طلب الشارع تركه، أو ذمّه أو ذمّ فاعله، أو عتبَ عليه، أو مقت فاعله
أو لعنه، أو نفي محبته أو محبة فاعله، أو الرضا به أو عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهايم
أو بالشياطين، أو جعله مانعاً من الهدى أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو
أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه أو جمل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل،
أو لذمّ أو لوم أو ضلالة أو معصية، أو وصف بخبث أو رجس أو نجس، أو بكونه فسقاً أو إثمًا، أو
سبباً لإثم أو رجس أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حدّ من
الحدود، أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله ومحاربتة أو لاستهزائه، أو
سخريته، أو جعله الله سبباً لتسيانه فاعله، أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم، أو بالصفح
عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبته إلى عمل الشيطان،
أو تزينه، أو تولّى الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذمّ ككونه ظملاً أو بغيًا، أو
عدواناً أو إثمًا أو مرضاً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا إلى الله من
فاعله، أو جاهرُوا فاعله بالعداوة، أو نهوا عن الأسى والحزن عليه، أو نصب سبباً
لخيبة فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتبّ عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف فاعله بأنه
عدوّ لله، أو بأن الله عدوه، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم
غيره، أو قيل فيه: لا ينبغي هذا أو لا يكون، أو أمر بالتقوى عند السؤال عنه،
أو أمر بفعل مضادّه، أو بهجر فاعله، أو تلاعن فاعلوه في الآخرة، أو تبرأ بعضهم
من بعض، أو دعا بعضهم على بعض، أو وصف فاعله بالضلالة، وأنه ليس من الله
في شيء، أو ليس من الرسول وأصحابه، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعله سبباً لإيقاع

العداوة والبغضاء بين المسلمين ، أو قيل : هل أنت متته ، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله ، أو رتب عليه إبعاداً أو طرداً ، أو لفظة « قتل من فعله » أو « قاتله الله » ، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليه ولا يزكّيه ، ولا يصلح عمله ، ولا يهدي كيده ، أو لا يفلح ، أو قيض له الشيطان ، أو جعل سبباً لإزاحة قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل ؛ فهو دليل على المنع من الفعل ، ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة .

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ، ونفى الجناح والحرج والإثم والواخذة ، ومن الإذن فيه والعفو عنه ، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع ، ومن السكوت عن التحريم ، ومن الإنكار على من حرّم الشيء من الإخبار بأنه خلق أو جعل لنا ، والإخبار عن فعل من قبلنا من غير ذمّ لهم عليه . فإن اقترن بإخباره مدح ، دلّ على مشروعيته وجوباً أو استحباباً . انتهى كلام الشيخ عز الدين .

وقال غيره : قد يستنبط من السكوت . وقد استدلت جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ، وقال : إنه مخلوق ، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق ، ولما جمع بينهما غير ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * 》 .

النوع السادس والستون

في أمثال القرآن

أفرد بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماوردي^(١) من كبار أصحابنا ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّنَضْرِبَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٣) .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْقُرْآنُ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال » .

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال ، وإغفالهم المثالات ، والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام ، والناقة بلا زمام .

وقال غيره : قد عدّه الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته .

وقال الشيخ عز الدين : إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً ، فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب ، أو على إحباط عمل ، أو على مدح أو ذم أو نحوه ، فإنه يدل على الأحكام .

وقال غيره : ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة المحسوس ، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص ، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الفهم

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوروي الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين ، وغيرها ، توفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ .
(٢) الروم ٢٧
(٣) العنكبوت ٤٣

فيها بالحواس ، ومن ثمَّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفيِّ بالجليِّ ، والغائب بالشاهد .
وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب
والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله ، قال تعالى :
﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ ^(١) ، فامتّن علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد .

وقال الزركشي في البرهان : ومن حكمته تعليم البيان ؛ وهو من خصائص
هذه الشريعة .

وقال الزمخشري : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني ، وإدناء التوهم من
الشاهد ، فإن كان الممثل له عظيماً ، كان الممثل به مثله ، وإن كان حقيراً كان الممثل
به كذلك .

وقال الأصمباني : لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس
بالخفيِّ في إبراز خفيات الدقائق ، ورفع الأستار عن الحقائق ، تريك التخيل في صورة
المتحقق ، والتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفي ضرب الأمثال
تبكيتٌ للخصم الشديد الخصومة ، وقمعٌ لسورة الجامح الأبيِّ ؛ فإنه يؤثر في القلوب
ملا يؤثر في وصف الشيء في نفسه ؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه
الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال ، وفشت في كلام النبي صلى الله
عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء .

فصل

أمثال القرآن قسمان : ظاهر مصرّح به ، وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه ؛ فمن أمثلة الأول
قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا . ﴾ ^(٢) الآيات ، ضرب فيها للمناقضين
مثلين : مثلاً بالنار ، ومثلاً بالطير .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ، كانوا يعتزّون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ، ويوارثونهم ويقاسمونهم النّفي ، فلما ماتوا سلبهم الله العزّ كما سلب صاحب النارضوءه ، ﴿ وتركهم في ظلمات ﴾ ، يقول في عذاب. ﴿ أو كصيب ﴾ هو المطر ، ضرب مثله في القرآن ﴿ فيه ظلمات ﴾ يقول : ابتلاء ، ﴿ ورعد وبرق ﴾ ، تخويف ، ﴿ يسكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ يقول : يكاد يحكم القرآن بدل على عورات المنافقين ، ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ ^(١) ، يقول : كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزّاً اطمأنوا ، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ، ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ ... ﴾ ^(٢) الآية .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةً بقدرها ... ﴾ ^(٣) الآية ، أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس ، قال : هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر بقينها وشكها ، ﴿ فأما الزبد فذهب جفاء ﴾ ^(٤) ، وهو الشك ، ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ ^(٥) ، وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار ، فيؤخذ خالصه ، ويترك خبثه في النار ، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

وأخرج عن عطاء قال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وأخرج عن قتادة ، قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ، يقول : كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ، ولا ترجى بركته ، كذلك بضمحل الباطل عن أهله ، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأسرعت وربت بركته ، وأخرجت نباتها ، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار ، فأذهب خبثه . كذلك يبقى الحق لأهله . وكما

اضمحل خبث هذا الذهب حين أدخل في النار ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ... ﴾ ^(١) الآية ، أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق علي بن عباس ، قال : هذا مثل ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب وعمله طيب ؛ كما أن البلد الطيب ثمرها طيب ، والذي خبث ضرب مثلاً للكافر ، كالبلد السبخة المالحة ، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ... ﴾ ^(٢) الآية ؛ أخرج البخاري عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية نزلت : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؟ قالوا : الله أعلم ، [ففضض عمر وقال : قولوا : نعم أو لا نعم !] فقال ابن عباس : في نفسي منهاشيء ، فقال : يا بن أخي ، قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غني يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .

وأما الكامنة ، فقال الماوردي : سمعت إبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم ، يقول : سمعت أبي ، يقول : سألت الحسين بن الفضل فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ؛ فهل تجد في كتاب الله « خير الأمور أوسطها » ؟ قال نعم : في أربعة مواضع : قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ ^(٥) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ ^(٦) .

قلت : فهل تجدد في كتاب الله « مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ » ؟ قال نعم : في موضعين ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ ^(١) ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴾ ^(٢) .

قلت : فهل تجدد في كتاب الله : « احذر شرَّ من أحسنت إليه » ؟ قال : نعم ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) .

قلت : فهل تجدد في كتاب الله « ليس الخبر كالبيان » ؟ قال في قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي ﴾ ^(٤) .

قلت : فهل تجدد « في الحركات البركات » ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ ^(٥) .

قلت : فهل تجدد « كاتدين تدان » ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَفْعَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ^(٦) .

قلت : فهل تجدد فيه قولهم : « حين تنقلى تدرى » ؟ قال : ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴾ ^(٧) .

قلت : فهل تجدد فيه « لا يبلغ المؤمن من حجر مرتين » ؟ قال : ﴿ هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٨) .

قلت : فهل تجدد فيه « من أعان ظالماً سُلط عليه » ؟ قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلَّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٩) .

قلت : فهل تجدد فيه قولهم : « لاتلد الحية إلا حية » ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ^(١٠) .

(٣) التوبة ٧٤

(٦) النساء ١٢٣

(٩) الحج ٤

(٢) الأحقاف ١١

(٥) النساء ١٠٠

(٨) يوسف ٦٤

(١) يونس ٣٩

(٤) البقرة ٢٦٠

(٧) الفرقان ٤٢

(١٠) نوح ٢٧

قلت : فهل تجدد فيه : « للحيطان آذان » ؟ قال : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ (١) .
قلت : فهل تجدد فيه : « الجاهل مهزوق والعالم محروم » ؟ قال : ﴿ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ (٢) .

قلت : فهل تجدد فيه : « الحلال لا يأتيك إلا قوتنا ، والحرام لا يأتيك إلا جُزافاً » ؟ قال :
﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَقْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا هُمْ يُنصِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ (٣) .

فائدة

عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب باباً في ألفاظ من القرآن ، جارية مجرى المثل ؛ وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل ، وأورد من ذلك قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (٤) .
﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا بِمَا نُحِبُّونَ ﴾ (٥) .
﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ (٦) .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ (٧) .
﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ﴾ (٨) .
﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٩) .
﴿ أَلَيْسَ الصَّنِيعُ بَقَرِيبٍ ﴾ (١٠) .
﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (١١) .
﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ (١٢) .

(٣) الأعراف ١٦٣

(٦) يوسف ٥١

(٩) يوسف ٤١

(١٢) الأنعام ٦٧

(٢) مريم ٧٥

(٥) آل عمران ٩٢

(٨) الحج ١٠

(١١) سبأ ٥٤

(١) التوبة ٤٧

(٤) النجم ٥٧

(٧) يس ٢٨

(١٠) هود ٨١

- ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(١) .
- ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ﴾^(٢) .
- ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾^(٣) .
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾^(٤) .
- ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾^(٥) .
- ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾^(٦) .
- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(٧) .
- ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾^(٨) .
- ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾^(٩) .
- ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾^(١٠) .
- ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾^(١١) .
- ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ ﴾^(١٢) .
- ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾^(١٣) .
- ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾^(١٤) .
- ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(١٥) .
- ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾^(١٦) .

(٣) البقرة ٢١٦

(٦) التوبة ٩١

(٩) يونس ٩١

(١٢) الروم ٣٢

(١٥) البقرة ٢٨٦

(٢) الإسراء ٨٤

(٥) المائدة ٩٩

(٨) البقرة ٢٤٩

(١١) فاطر ١٤

(١٤) سبأ ١٣

(١) فاطر ٤٣

(٤) المدثر ٣٨

(٧) الرحمن ٦٠

(١٠) الحجر ١٤

(١٣) الأنفال ٢٣

(١٦) المائدة ١٠٠

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١).

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢).

﴿لِيُنْبِلَ هَذَا فَلَيعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾^(٣).

﴿وَقَلِيلٌ مَا أُنْمِ﴾^(٤).

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(٥).

فِي الْفَاقِ أٌخَر .

النوع السَّامِعُ وَالسَّتُونُ فِي أَقْسَامِ الْقُرْآنِ

أفرد ابن القيم^(١) ، بالتصنيف في مجلد سَمَاء « التَّيْبَان » ، والقصد بالقسم تحقيق الخبر توكيده ، حتى جعلوا مثل ﴿ وَاللَّهُ بِشَهْدِ الْإِنِّ الْمُنَافِقِينَ لَكَادِبُونَ ﴾^(٢) قَسَمًا ؛ وإن كان فيه إخبار بشهادة ؛ لأنه لما جاء توكيداً للخبر سَمَى قَسَمًا .

وقد قيل : مامعنى القسم منه تعالى ؛ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد !

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً . وأجاب أبو القاسم القشيري بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدا ؛ وذلك أن الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة وإما بالقسم ، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة ، فقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٤) ، وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾^(٥) صرخ وقال : مَنْ ذَا الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى أَلْجَأَهُ إِلَى الِئْمِينِ !

ولا يكون القسم إلا باسم معظم ، وقد أقسم الله تعالى : بنفسه في القرآن في سبعة مواضع :

الآية المذكورة بقوله : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾^(٤) .

(١) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي ، صاحب ابن تيمية ، وأحد أئمة العلماء في التفسير والحديث أصول الدين ، وصاحب المصنفات في كل ذلك وغيرها توفي سنة ٧٥١ هـ .
 (٢) المنافقون ١
 (٣) آل عمران ١٨
 (٤) يونس ٥٣
 (٥) الذاريات ٢٢ ، ٢٣

﴿ قُلْ لِي وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ ^(١) .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٣) .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤) .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ^(٥) .

والباقي كله قسم بمخلوقاته، كقوله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ، ﴿ وَالصَّافَّاتِ ﴾ ،
﴿ وَالشَّمْسِ ﴾ ، ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ ، ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ﴾ .

فإن قيل : كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله !

قلنا : أجيب عنه بأوجه :

أحدها : أنه على حذف مضاف ؛ أي وربّ التين وربّ الشمس ؛ وكذا الباقي .

الثاني : إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء ، وتقسم بها ، فنزل القرآن على ما يعرفون .

الثالث : أن الأقسام إما تكون بما يعظمه المقسم أو بحجته وهو فوقه ، والله تعالى ليس شئ فوقه ، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته ؛ لأنها تدل على باري و صانع .

وقال ابن أبي الإصبع في أسرار القوامح : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل ؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الحسن ، قال : إن الله يُقسم بما شاء من خلقه ، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله .

وقال العلماء : أقسم الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لعمرك ﴾ ^(٦) لتعرف

الناس عظمته عند الله ومكانته لديه . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس، قال : ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحدٍ غيره ، قال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَقْعَمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال أبو القاسم القشيري : القسم بالشئ لا يخرج عن وجهين ، إما الفضيلة أو المنفعة ، والفضيلة كقوله : ﴿ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴾ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿ ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال غيره : أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء ؛ بذاته كالآيات السابقة ، وبفعله نحو : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿ ^(٣) ، وبمفعوله نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَالطُّورِ ﴾ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿ ^(٥) .

والقسم إما ظاهر كالآيات السابقة ، وإما مضمر ، وهو قسمان : قسم دلّ عليه اللام نحو : ﴿ لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ ^(٦) ، وقسم دلّ عليه المعنى ، نحو : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ^(٧) تقديره : « والله » .

وقال أبو علي الفارسي : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابه كقوله : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا ﴾ ^(٩) ، ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ ^(١٠) ، وهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً ، وأن يكون حالاً لخلوه من الجواب .

والثاني ما يتلقى بجواب القسم ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١١) ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أُمِرْتُمْ لَتَخْرِجَنَّ ﴾ ^(١٢) .

(٣) الشمس ٥ - ٧

(٦) آل عمران ١٨٦

(٩) البقرة ٦٣

(١٢) النور ٥٣

(٢) التين ١ - ٣

(٥) الطور ١ ، ٢

(٨) الحديد ٨

(١١) آل عمران ١٨٧

(١) الحجر ٧٢

(٤) النجم ١

(٧) مريم ٧١

(١٠) التوبة ٩٦

وقال غيره : أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء آتت بالفعل ، كقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٢) ، ولا تحذف الباء مع حذف الفعل ، ومن ثم كان خطأ من جعل قسماً ﴿ بِاللَّهِ إِنْ شَرِكْتَ لَظَلَمَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ ^(٥) .

وقال ابن القيم : اعلم أنه سبحانه وتعالى يقسم بأمور على أمور ، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته ، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه ببعض الخلق دليل على أنها من عظيم آياته ، فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب ، كقوله : ﴿ قَوْرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٦) ، وإما على جملة طلبية كقوله : ﴿ قَوْرَبِكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ؛ مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق القسم عليه ، فيكون من باب الخبر ، وقد يراد به تحقيق القسم ؛ فالقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ، وذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها ؛ فاما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها ، وما أقسم عليه الرب فهو من آياته ، فيجوز أن يكون مقصداً به ولا ينعكس ، وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ، ويحذفه أخرى ؛ كما يحذف جواب « لو » كثيراً للعلم به .

والقسم لما كان يكثر في الكلام ، اختصر فصار فعل القسم محذف ، ويكتفى بالباء ، ثم عرّض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة ، والتاء في اسم الله تعالى ، كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ ^(٨) .

قال : ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها ،

(١) النور ٥٣

(٢) التوبة ٦٢

(٣) الزخرف ٤٩

(٤) النور ٥٣

(٥) المائدة ١١٦

(٦) الحجر ٩٢

(٧) الأبيات ٥٧

(٨) م ٤ - الإنسان ج ٢

تارة يقسم على التوحيد ، وتارة يقسم على أن القرآن حق ، وتارة على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة يقسم على حال الإنسان .

فالأول كقوله : ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ ^(١) .

والثاني كقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ إنه لقرآن كريم ^(٢) .

والثالث كقوله : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ إِنَّا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ... ﴾ ^(٤) الآيات .

والرابع كقوله : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ ^(٦) .

والخامس كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ... ﴾ ^(٧) الآيات ، ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَالْمَعْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ... ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَالتِّينِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ... ﴾ ^(١٠) ، الآيات ، ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ ^(١١) .

قال : وأكثر ما يهدف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه ، فإن المقصود يحصل بذكره ، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز ، كقوله : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ^(١٢) ، فإنه في المقسم به من تعظيم القرآن ، ووصفه بأنه « ذوالذكر » المتضمن لتذكير العباد بما يحتاجون إليه ، والشرف والقدر ، ما يدل على المقسم عليه ، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ، ولهذا قال كثيرون : إن

(١) الصافات ١ - ٤	(٢) الواقعة ٧٥ - ٧٧	(٣) يس ١ - ٣
(٤) النجم ١ - ٢	(٥) الذاريات ١ - ٦	(٦) المرسلات ١ - ٧
(٧) الليل ١ - ٤	(٨) العاديات ١ - ٦	(٩) المعصر ١ - ٢٠
(١٠) التين ١ - ٤	(١١) البلد ١ - ٤	(١٢) ص ١

تقدير الجواب «إن القرآن لحق» ، وهذا مظهر في كل ما شابه ذلك ، كقوله : ﴿قَدْ وَفَّرْنَا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾^(١) ، وقوله : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) ، فإنه يتضمن إثبات المعاد ، وقوله : ﴿وَالْفَجْرِ ...﴾^(٣) الآيات ، فإنها أزمان تتضمن أفعالا معظمة من الناسك وشعائر الحج التي هي عبودية محضة لله تعالى وذلك وخضوع لعظمته ، وفي ذلك تعظيم ماجاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قال : ومن لطائف القسم قوله : ﴿وَالضُّحَى﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ...^(٤) الآيات ، أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له ؛ وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته . وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه ، حتى قال أعداؤه : ودع محمد إربته ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

التنوع الثامن والستون

في جَدَالِ الْفِئْرَانِ

أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفي^(١)؛ قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم ونحذير يُبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به ، لكن أوردته على عادة العرب ، دون دقائق طرق المتكلمين ، لأسرين :

أحدهما : بسبب ما قاله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(٢) .
والثاني : إن المسائل إلى طريق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ؛ فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغصان الذي لا يعرفه إلا الأقلون ؛ ولم يكن ما فرغاً ، فأخرج تعالى مخاطباته في حاجة خلقه في أجل صورة ، ليفهم العامة من جليلها^(٣) ما يفهمهم ، وتلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يري على ما أدركه فهم الخطباء^(٤) .

وقال ابن أبي الإصبع : زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن ، وهو مشحون به ، وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام . ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة ، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن أول سورة الحج إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(٥) . خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات : قوله ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾^(٦) ؛ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى

(١) هو العلامة سليمان بن عبد القادر بن عبد الكريم المعروف بنجم الدين الطوفي سنة ٧١٦ .

الدور الكائنات ٢ : ١٥٤

(٢) إبراهيم ٤

(٣) البرهان : ٥ جليها ٥

(٥) الحج ٧

(٤) نقله في البرهان ٢ : ٢٤

(٦) الحج ٦

أخبر بزلزلة الساعة معظما لها ، وذلك مقطوع بصحته ، لأنه خبرٌ أخبر به مَنْ ثبت صدقه عن ثبوت قدرته ، منقول إلينا بالتواتر ، فهو حق ، ولا يخبر بالحق عماسيكون إلا الحق ، فالله هو الحق . وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى ؛ لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ، ليشهدوا تلك الأهوال التي يعملها الله من أجلهم ؛ وقد ثبت أنه قادر على كل شيء . ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى ، وأخبر أنه على كل شيء قدير ؛ لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ، ومن يجادل فيه بغير علم يُذقه عذاب السعير ، ولا يقدر على ذلك إلا مَنْ هو على كل شيء قدير ، فهو على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ؛ لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب ، إلى قوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ^(١) . وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي يزل عليها الماء ، فتهز وتربو ، وتثبت من كل زوج بهيج ، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت ، ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد العدم فأحيها بالخلق ، ثم أماتها بالمخل ، ثم أحيها بالخصب ؛ وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب ؛ حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره في الإتيان بالساعة ، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث مَنْ في القبور ؛ لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة ، فهي آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه وتعالى يبعث مَنْ في القبور ^(٢) .

وقال غيره : استدلّ سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني بضروب :

- أحدها قياس الإعادة على الابتداء ، كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ^(٣) .
 ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ ^(٤) . ﴿ أَوَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾ ^(٥) .
 ثانيها : قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى ، قال تعالى :
 ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ ... ﴾ ^(٦) الآية .

(١) الحج . ٥

(٢) بديع القرآن ٣٧ ، ٣٨ ،

(٣) الأعراف ٢٩

(٥) يس ٨١

(٤) ق ١٥

(٤) الأنبياء ١٠٤

ثالثها : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات .

رابعها : قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر . وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف جاء بعظيم فقتة ، فقال : أيحيى الله هذا بعد ما بلى ورم ! فانزل الله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ^(١) ، فاستدل سبحانه وتعالى برّد النشأة الأخرى إلى الأولى ، والجمع بينهما بملة الحدوث . ثم زاد في الحجاج بقوله : ﴿ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ ^(٢) ، وهذه في غاية البيان في ردّ الشيء إلى نظيره ، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما .

خامسها : في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى ... ﴾ ^(٣) ، الآيتين ، وتقريرهما أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه ، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ، والحق في نفسه واحد ، فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة ، وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ، ويرفع عنا الاختلاف ، إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرنا ، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجيلة ، ونقلها إلى صورة غيرها ، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة ، فيها يرتفع الخلاف والعداء ، وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها ، فقال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ ^(٤) ، فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون . كذا قرره ابن السيد .

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد ، بدلالة التامع المشار إليها في قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ^(٥) ، لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجرى تدبيرهما على نظام ، ولا يتسق على أحكام ، ولكان العجز ياحقهما أو أحدهما ؛ وذلك

(٣) الأعراف ٤٣

(٢) النحل ٣٨ ، ٣٩

(١) يس ٧٩ ، ٨٠

(٤) الأنبياء ٢٢

لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته ؛ فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض
لاستحالة تجزئ الفعل إن فُرِض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فُرِض الاختلاف ،
وإما ألا تنفذ إرادتهما ، فيؤدى إلى عجزهما، وألا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدى إلى عجزه ،
والإله لا يكون عاجزاً .

* * *

فصل

من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدَل السُّبَر والتقسيم ، ومن أمثلته في القرآن
قوله تعالى : ﴿ تَمَنَّيْنِ أَنْزَوَّاجٍ مِنَ الضَّانِّ اثْنَيْنِ ... ﴾ ^(١) الآيتين ، فإن الكفار لما
حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناتها أخرى ، ردّ تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم
فقال : إِنْ أَلْخَلَقَ لِلَّهِ ، خَلَقَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مَآذَرَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، فَمِمَّ جَاءَ تَحْرِيمٌ مَآذَرَ كَرْتُمْ ؟
أى ما علته إلا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتمال الرِّجَم الشامل
لهما ، أو لا يُدرى له عِلَّةٌ ، وهو التعميدى ، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى ، والأخذ عن الله
تعالى ؛ إما بوحى وإرسال رسول ، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقى ذلك عنه ، وهو معنى
قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ ^(٢) ، فهذه وجوه التحريم ؛ لا تخرج
عن واحد منها . والأوّل يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً ، والثانى يلزم عليه
أن يكون جميع الإناث حراماً ؛ والثالث يحرم عليه تحريم الصنّفين معاً ، فبطل ما فعلوه
من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة ، لأن العلة على ما ذكر تقتضى إطلاق التحريم ،
والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه ، وبواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأت
إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى ، وهو أن
ما قالوه افتراء على الله وضلال .

ومنها القول بالوجوب ، قال ابن أبي الأصم : وحقيقته ردّ كلام الخصم من غوى كلامه .

وقال غيره : هو قسمان :

أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم ، فيثبتها لغير ذلك الشيء ، كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّا نَرَجِعُكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ... ﴾ ^(١) الآية ، «الأعز» وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، و«الأذل» عن فريق المؤمنين ، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم ، وهو الله ورسوله والمؤمنون ، وكأنه قيل : صحيح ذلك ، ليخرجن الأعز منها الأذل ، لكن هم الأذل المخرج ، والله ورسوله الأعز المخرج .

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بدكر متعلقه ، ولم أر من أورده مثالا من القرآن ، وقد ظفرت بآية منه ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ^(٢) .

ومنها التسليم ، وهو أن يفرض الحال ، إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع ، لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ، ثم يسلّم وقوع ذلك تسليماً جديلاً . ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ، كقوله تعالى : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبَّى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) . المعنى : ليس مع الله من إليه ، ولو سلّم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إلّه من الاثنين بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ، ولا ينفذ حكم ، ولا تنظم أحواله ؛ والواقع خلاف ذلك ، ففرض إلهم فصاعداً محال لما يلزم منه المحال . ومنها الإسجال ، وهو الإنيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به ، نحو ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ^(٤) ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ ^(٥) فإن في ذلك إسجالاً بالإيتاء والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده . ومنها الاتيغال ، هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه ، لكون

(٣) المؤمنين ٩١

(٢) التوبة ٦١

(١) المنافقون ٨

(٥) غافر ٨

(٤) آل عمران ١٩٤

الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول ، كما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له ﴿الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ^(١) فقال الجبار : ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعقته ، ومن لا يجب عليه قتله ، فلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبار له وجهاً يتخاص به منه ، فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ^(٢) ، فاقطع الجبار وبُهِت ، ولم يمكنه أن يقول : أنا الآتي بها من المشرق ؛ لأن مَنْ هو أَسَنُّ منه يكذبه .

ومنها المناقضة ، وهي تعليق أمرٍ على مستحيل ، إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَمِزَّجَ الْجَهْلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ .

ومنها مجازاة الخصم ليعثر ، بأن يسلم بعض مقدماته ، حيث يراد تبكيته وإلزامه ، كقوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ... ^(٣) الآية ، قهولهم : ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾ الآية ، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصودين على البشرية ، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم ، وإيس مراداً ، بل هو من مجازاة الخصم ليعثر ؛ فكأنهم قالوا : ما ادّعيت من كوننا بشراً حق لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة .

التَوْعُ النَّاسِغُ وَالسَّتُون
فيما وقع في القرآن من الأسماء، ولكن الألقاب

في القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون، هم مشاهيرهم :

[أسماء الإنبياء والمرسلين في القرآن]

١ - آدم أبو البشر ؛ ذكر قوم أنه « أفلح » ، وصف مشتق من الازمة ، ولذا منيع الصرف .

قال الجواليقي : أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة : آدم ، وصالح ، وشعيب ومحمد ^(١) .
وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : إنما سُمِّيَ آدم لأنه خُلِقَ من أديم الأرض .

وقال قوم : هو اسم سرياني أصله « آدم » بوزن « خاتام » ، عُرِّبَ بحذف الألف الثانية .
وقال الثعلبي : التراب بالعبرانية آدم ، فسُمِّيَ آدم به .
قال ابن أبي خيثمة : عاش تسعمائة سنة وستين سنة .

وقال النووي في تهذيبه : اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة ^(٢) .
٢ - نوح ؛ قال الجواليقي : أعجمي معرَّب ^(٣) . زاد الكرماني ، ومعناه بالسريانية « الساكن » ^(٤) .

وقال الحاكم في المستدرک : إنما سُمِّيَ نوحاً لكثرة بكاؤه على نفسه ، واسمه عبد الغفار . قال : وأكثر الصحابة على أنه قَبِلَ إدريس .

وقال غيره : هو نوح بن لَمَك - بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف - بن مَثُوشَلَح - بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها وفتح الشين المعجمة واللام ، بعدها معجمة - بن

أَخْنُوخ - بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة ؛ وهو إدریس فیما یقال .

وروی الطبرانی عن أبی ذرّ ، قال : قالت : یارسول الله ، مَنْ أَوَّلُ الأنبياء ؟ قال : آدم ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : نوح ، وبينهما عشرون قرناً .

وفی المستدرک عن ابن عباس قال : کان بین آدم ونوح عشرة قرون . وفیه عنه مرفوعاً : « بئس الله نوحاً لأربعین سنة ، فلبث فی قومه ألف سنة إلا خمین عاماً يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستین سنة حتی کثر الناس وفشوا » .

وذكر ابن جریر أن مولد نوح کان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاماً .

وفی التهذیب للنووی ، أنه أطول الأنبياء عمراً ^(١) .

٣ - إدریس ؛ قيل إنه قبل نوح . قال ابن إسحاق : کان إدریس أَوَّلَ نبیِّ آدم أعطی النبوة ، وهو أخنوخ بن یزید بن مهلائیل بن أنوش بن قینان بن شیث ابن آدم .

وقال وهب بن منبه : إدریس جدّ نوح ، الذی یقال له خنوخ وهو اسم سریانیّ ، وقيل : عربیّ مشتق من الدراسة ، لکثرة درسه الصحف .

وفی المستدرک بسندٍ واهٍ عن الحسن عن سمرة ، قال : کان نبیّ الله إدریس أبيض طويلاً ، ضخماً البطن ، عريض الصدر ، قليل شعر الجسد ، كثير شعر الرأس . وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى ، وفی صدره نكتة بيضاء من غير برص ، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم فی أمر الله ، رفعه إلى السماء السادسة ، فهو حیث یقول : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ^(٢) .

وذكر ابن قتیبة أنه رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة .

وفي صحيح ابن حبان ، أنه كان نبياً رسولاً ، وأنه أول من خط بالقلم .

وفي المستدرک عن ابن عباس قال : كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة .

٤ — إبراهيم ؛ قال الجواليقي : هو اسم قديم ليس بعربي ؛ وقد تكلمت به العرب على وجوه ؛ أشهرها إبراهيم ، وقالوا : إبراهيم ، وقرئ به في السبع ^(١) . وإبراهيم بحذف الياء ، وإبرهَم ^(٢) وهو اسم سرياني معناه أب رحيم ، وقيل : مشتق من البرهة ، وهي شدة النظر ، حكاه الكرماني في عجائبه . وهو ابن آزر ، واسمه تَارَح - بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة - بن ناحور - بنون ومنهلة مضمومة - بن شاروخ - بمجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة - بن راغو - بنين معجمة - بن فالخ ، بفاء ولام مفتوحة ومعجمة - ابن عابر - بمهملة وموحدة - بن صالح - بمجمعتين - بن أرغشد بن سام بن نوح .

قال الواقدي : ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم .

وفي المستدرک من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة ، قال : اختن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة . ومات ابن مائتي سنة .

وحكى الذروي وغيره قولاً أنه عاش مائة وخمسة وسبعين ^(٣) .

٥ — إسماعيل ؛ قال الجواليقي : ويقال بالنون آخره ^(٤) .

قال النووي وغيره : هو أكبر ولد إبراهيم ^(٥) .

٦ — إسحاق ؛ ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة ، وعاش مائة وثمانين سنة . وذكر

أبو علي بن مسكويه في كتاب نديم الفريد ، أن معنى إسحاق بالعبرانية الضحك .

٧ — يعقوب ؛ عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة .

(٢) م قراءة هشام بن عمار ، أحد القراء السبعة . وانظر التيسير

(٣) تهذيب الاسماء واللغات ١ : ٩٨

(٥) تهذيب الاسماء واللغات ١١٣ : ١٢٠

(١) المغرب ١٣

لأبي عمرو الداني

(٤) المغرب ١٤ .

٨ — يوسف في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة ، مرفوعاً «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .
وفي المستدرک عن الحسن ، أن يوسف أُلقي في الحب ، وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ولقي أباه بعد الثمانين ، وتوفي وله مائة وعشرون .

وفي الصحيح أنه أُعطي شطر الحسن ؛ قال بعضهم : وهو مرسل لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ^(١) . وقيل : ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب . ويشبه هذا ما في العجائب للكرماني في قوله : ﴿ وَبَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٢) ، أن الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان ، وأن امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان ، قال : والقول بأنه يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم غريب . انتهى .

وما ذكر أنه غريب هو المشهور ، والغريب الأول ، ونظيره في الغرابة قول نوف البكالي : إن موسى المذكور في سورة الكهف في قصة الخضر ليس هو موسى نبي إسرائيل ، بل موسى بن منشى بن يوسف ، وقيل ابن إفرايم بن يوسف ، وقد كذبه ابن عباس في ذلك . وأشد من ذلك غرابة ، ما حكاه النقاش والماوردي أن يوسف المذكور في سورة غافر من الجن ، بسم الله رسولا إليهم ؛ وما حكاه ابن عسكراً أن عمران المذكور في آل عمران هو والد موسى ، لا والد مريم .

وفي يوسف ست لغات ؛ بثلاث السين مع الياء والهمز [و بتركه] ^(٣) ، والضواب أنه مجتمى لا اشتقاق له .

٩ — لوط ؛ قال ابن إسحاق : هو لوط بن هارن بن آزر . وفي المستدرک عن ابن عباس ، قال : لوط ، ابن أخى إبراهيم .

١٠ — هود ؛ قال كعب : كان أشبه الناس بآدم ، وقال ابن مسعود : كان رجلاً جَلَدًا ، أخرجهما في المستدرک .

وقال ابن هشام : اسمه عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
وقال غيره : الراجح في نسبه أنه هود بن عبد الله بن رياح بن حاوذك بن عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح .

١١ — صالح ؛ قال وهب : هو ابن عبيد بن حابر بن ثمود بن حابر بن سام بن نوح ، بُعث إلى قومه حين رافق الحلم ، وكان رجلاً أحمر إلى البياض ، سَبَطَ الشعر ، فلبث فيهم أربعين عاماً .

وقال نوف الشامي : صالح من العرب ، لما أهلك الله عاداً عمّرت ثمود بعدها ، فبعث الله إليهم صالحاً ؛ غلاماً شاباً ، فدعاهم إلى الله حتى شبط وكبر ، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبي إلا هود وصالح ، أخرجهما في المستدرک .

وقال ابن حجر وغيره : القرآن يدل على أن ثموداً كان بعد عاد ، كما كان عاد بعد قوم نوح .

وقال الثعلبي ، ونقله عن النووي في تهذيبه ، ومن خطه نقلت : هو صالح بن عبيد ابن أسيف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ؛ بعثه الله إلى قومه وهو شاب ، وكانوا عرباً ، منازلهم بين الحجاز والشام ، فأقام فيهم عشرين سنة ، ومات بمكة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ^(١) .

١٢ — شعيب ، قال ابن إسحاق : هو ابن ميكائيل كذا بخط الذهبي في اختصار المستدرک . وقال غيره : ابن ملكان ، وقيل ابن ميكيل بن يشجن بن لاوي بن يعقوب . ورأيت بخط النووي في تهذيبه : ابن ميكيل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل ، كان يقال له خطيب الأنبياء ؛ وبعث رسولا إلى أمتين ، مدين وأصحاب الأيكة ، وكان كثير الصلاة ، وعمر في آخر عمره .

واختار جماعة أن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة .

قال ابن كثير : ويدلّ لذلك أن كلاًّ منها وعظ بوفاء المكيال والميزان ، فدلّ على أنها واحد . واحتجّ الأول بما أخرجه عن الثدّي وعكرمة قلا : ما بعث الله نبياً مرتين إلّا شعيباً ، مرة إلى مدين ، فأخذهم الله بالصيحة ، ومرة إلى أصحاب الأيكة ، فأخذهم الله بمذاب يوم الظلة .

وأخرج ابن أبي عسّاكر في تاريخه ، من حديث عبدالله بن عمرو ، مرفوعاً ، أن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً . قال ابن كثير : وهو غريب ، وفي رفعه نظر ، قال : ومنهم من زعم أنه بعث إلى ثلاث أسم ، والثالثة أصحاب الرّس .

١٣ — موسى ؛ هو ابن عمران بن بصّهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام ؛ لاخلاف في نسبه ، وهو اسم سرياني .

وأخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : إنما سمّي موسى ، لأنه ألقى بين شجر وماء ، فإلّاه بالقبطية « مو » والشجر « سا » .

وفي الصحيح ، وصفه بأنه آدم طوال جفد ، كأنه من رجال شنوءة .
قال الشعبي : عاش مائة وعشرين سنة .

١٤ — هارون ؛ أخوه شقيقه ؛ وقيل لأمه فقط ، وقيل لأبيه فقط ، حكاه الكرماني في عجائبه . كان أطول منه ، فصيحاً جداً ، مات قبل موسى ، وكان وُلد قبله بسنة .

وفي بعض أحاديث الإسراء : صعدت إلى السماء الخامسة ، فإذا أنا بهارون ، ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود ، تكاد لحيته تضرب سُرّة من طولها ، قتلت : ياجبريل ، من هذا ؟ قال : المحبّب في قومه هارون بن عمران .

وذكر ابن مسكويه ، أن معنى هارون بالعبرانية « المحبّب » .

١٥ - داود ؛ هو ابن إيشي - بكسر المعزة وسكون التحتية وبالشين المفجمة - بن عوبد - بوزن جعفر ، بمهمله وموحدة - بن باعر - بموحدة ومهمله مفتوحة - بن سلمون بن يحنون بن نعي بن يارب - بتحتية وآخره موحدة - بن رام بن حضرون - بمهمله ثم معجمة - ابن فارص - بفاء وآخره مهمله - بن يهود بن يعقوب .

في الترمذي أنه كان أعبد البشر ؛ قال كعب : كان أحمر الوجه ، سبط الرأس ، أبيض الجسم ، طويل اللحية ، فيها جعودة ، حسن الصوت والخلق ، وُجِّعَ له النبوة والملك . قال الثَّوَوِيّ : قال أهل التاريخ : عاش مائة سنة ، مدة ملكه منها أربعون سنة ، وكان له اثنا عشر ابناً ^(١) .

١٦ - سليمان ولده ؛ قال كعب : كان أبيض جسيماً وسيماً وضيقاً ، جميلاً خاشعاً متواضعاً ، وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره ، مع صغر سنه ، لوفور عقله وعلمه . وأخرج ابن جبير عن ابن عباس قال : ملك الأرض مؤمنان : سليمان وذو القرنين ، وكافران : عموذ وبخت نصر .

قال أهل التاريخ : ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ، ومات وله ثلاث وخمسون سنة .

١٧ - أيوب ؛ قال ابن إسحاق : الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ، ولم يصح في نسبه شيء إلا أن اسم أبيه أبيض .

وقال ابن جرير : هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن إسحاق .

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط ، وأن أباه ثمن آمن بإبراهيم ، وعلى هذا فكان قبل موسى .

وقال ابن جرير : كان بعد شعيب .

وقال ابن أبي خيثمة : كان بعد سليمان ، ابتلي وهو ابن سبعين ، وكانت مدة بلائه سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة ، وقيل ثلاث سنين .

وروى الطبرني أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة .

١٨ — ذو الكفل ؛ قيل هو ابن أيوب . في المستدرک عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبياً . وسماه ذا الكفل ، وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ ، وكان مقياً بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة .

وفي المعجائب للكرماني : قيل هو إلياس ، وقيل هو يوشع بن نون ، وقيل هو نبي اسمه ذو الكفل . وقيل كان رجلاً صالحاً تكفل بأمور فوفى بها ، وقيل : هو زكريا من قوله : ﴿ وَكَلَّمَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ^(١) . انتهى .

وقال ابن عسکر : قيل هو نبي تكفل الله له في عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء . وقيل لم يكن نبياً وإن اليسع استخلفه فتكفل له أن يصومَ النهار ويقوم الليل ؛ وقيل : أن يصلّي كل يوم مائة ركعة ، وقيل : هو اليسع وإن له اسمين .

١٩ — يونس : هو ابن متى ، مفتاح الميم وتشديد التاء الفوقية ، مقصور . ووقع في تفسير عبد الرازي أنه اسم أمه .

قال ابن حجر : وهو مردود بما في حديث ابن عباس في الصحيح ، ونسبه إلى أبيه . قال : فهذا أصح ، قال : ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه ، وقد قيل إنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس . روى ابن أبي حاتم ، عن أبي مالك ، أنه لبث في بطن الحوت أربعين يوماً . وعن جعفر الصادق سبعة أيام ، وعن قتادة ثلاثة ، وعن الشعبي قال : التقمه نحى ، ولفظه « عشيّة » .

وفي يونس ست لغات : تثليث النون مع الواو والهمزة ، والقراءة المشهورة بضم النون مع الياء ، قال أبو حيان : وقرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس ويوسف ، أراد أن يجعلهما عربيين مشقين من « أنيس » و « أسيف » وهو شاذ .

٢٠ — إيلياس ؛ قال ابن إسحاق في المبتدأ : هو ابن ياسين بن فنحاص بن العميزار ابن هارون أخى موسى بن عمران .

وقال ابن عسكر : حكى القُتَيْبِيُّ أنه من سَبَّط يوشع .
وقال وهب : إنه عُمر كما عُمر الخضر ، وإنه يبقى إلى آخر الدنيا ^(١) .

وعن ابن مسعود أن إيلياس هو إدريس ، وسيأتي قريباً ؛ وإيلياس بهمة قطع ، اسم عبراني ، وقد زيد في آخره ياء ونون ، في قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِيْلَاسِينَ ﴾ ^(٢) ، كما قالوا في إدريس : « إدراسين » ، ومن قرأ ﴿ آل يَسْ ﴾ ^(٣) قليل : المراد آل محمد .

٢١ — اليسع ؛ قال ابن جبير : هو ابن أخطوب بن العجوز . قال : والعامّة تقرأه بلام واحدة مخففة ، وقرأ بعضهم : ﴿ واليسع ﴾ ^(٤) بلامين وبالتشديد ، فعلى هذا هو عجمي ، وكذا على الأولى ، وقيل : عربيّ منقول من الفعل ، من وسع يسع .

٢٢ — زكريا ؛ كان من ذرية سليمان بن داود ، وقُتِلَ بعد قتل ولده ؛ وكان له يوم بُشِّرَ بولده اثنتان وتسعون سنة ، وقيل : تسع وتسعون ، وقيل : مائة وعشرون . وزكريا اسم أعجمي ، وفيه خمس لغات : أشهرها المدّ ، والثانية القصرى ، وقرى بهما في السبع ، وزكريّا بتشديد الياء وتخفيفها ، وزَكَرَ كَقَلَمَ .

٢٣ — يحيى ولده ، أول من سَمِيَ يحيى ، بنص القرآن ، ولد قبل عيسى بستة أشهر ، ونبي صغيراً ، وقُتِلَ ظُلماً ، وسلط الله على قاتليه نحت نصر وجيوشه . ويحيى اسم عربيّ . قال الواحدى : وعلى القولين لا ينصرف .

قال الكرماني : وعلى الثاني إنما سَمِيَ به ، لأنه أحياء الله بالإيمان ، وقيل لأنه حَيَّ به رَحِمَ أمّه ، وقيل : لأنه استشهد ، والشهداء أحياء ، وقيل : معناه « يموت » ، كالمغازة للمهلكة ، والسلام للدينغ .

(٢) الصافات ١٣٠

(١) ط : « الزمان »

(٣) هي قراءة الحسن ، وانظر تفسير القرطبي ج ١٥ : ١١٩

(٤) من قوله تعالى في سورة الأنعام ٨٦ ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ ﴾

٢٤ — عيسى بن مريم بذت عمران ، خلقه الله بلا أب ، وكانت مدة حمله ساعة ، وقيل ثلاث ساعات ، وقيل ستة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ، وقيل تسعة ، ولما عشر سنين ، وقيل خمسة عشرة ، ورُفِعَ وله ثلاث وثلاثون سنة ، وفي أحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ، ويولد له ، ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين ، ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفي الصحيح أنه رُبْعَةُ أَحْمَر ، كأنما خرج من ديماس — يعني حمّامًا . وعيسى اسم عبراني أوسرياني .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس قال : لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

٢٥ — محمد صلى الله عليه وسلم ، سَمِيَ بأسماء كثيرة ، منها محمد وأحمد .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة ، قال : خمسة سُمُوا قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا : محمد ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ^(١) ، ويحيى ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ ^(٢) ، وعيسى ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وإسحق ويعقوب ﴿ قَبَشْرُنَاهَا يَاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٤) .

قال الراغب : وخص لفظ « أحمد » فيما بشر به عيسى ، تنبيهًا على أنه أحمد منه ومن الذين قبله .

[أسماء الملائكة]

وفيه من أسماء الملائكة :

٢، ١ — جبريل وميكائيل ؛ وفيه الغات : جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز ، وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز ، وجبرائيل بهمزة بعد الألف ، وجبرائيل بياء بلا همز ، وجبرئيل بهمز وياء بلا ألف ، وجبرئيل مشددة اللام وقرى بها . قال ابن جنى : وأصله « كوريال » ، فعبر بالتمريب وطول الاستعمال إلى ماترى ، وقرى « ميكائيل » بلا همز ، وميكايل وميكال .

أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله ، وكل اسم فيه « إيل » فهو معبد لله .

وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال : إيل الله بالعبرانية .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبد العزيز بن عمير ، قال : اسم جبريل في الملائكة خادم الله . (فائدة) : قرأ أبو حيوة ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ ^(١) بالتشديد ، وفسره ابن مهران بأنه اسم لجبريل ، حكاه الكرماني في عجائبه .

٤، ٣ — وهاروت وماروت ؛ أخرج ابن أبي حاتم ، عن علي ، قال : هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء ، وقد أفردت في قصتهما جزءا .

٥ — والرعد ؛ ففي الترمذي ، من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن الرعد ، فقال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : الرعد ملك يسبح .

وأخرج مجاهد : إنه سئل عن الرعد فقال : هو ملك يسبح الرعد ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٢) .

٦ — والبرق ، فقد أخرج ابن أبي حاتم ، عن محمد بن مسلم ، قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه نور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع ^(٣) بذنبه فذلك البرق .

٧ — ومالك؛ خازن النار.

٨ — والسجل؛ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر، قال: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه.

وأخرج عن ابن عمر قال: السجل ملك. وأخرج عن السدي قال: ملك موكل بالصحف. ٩ — وقعيد؛ فقد ذكر مجاهد، أنه اسم كاتب السيئات، أخرجه أبو نعيم في الحلية. فهؤلاء تسعة.

١٠ — وأخرج ابن أبي حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة، أن ذا القرنين ملك من الملائكة؛ فإن صح أكل العشرة.

١١ — وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾^(١) قال: تلك من أعظم الملائكة خلقاً فصاروا أحد عشر.

١٢ — ثم رأيت الراغب قال في مفرداته في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، قيل: إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه، كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر.

[أسماء الصحابة]

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثة.

والسجل في قول من قال إنه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، أخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عباس.

[أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل]

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل:

عمران؛ أبو مريم، وقيل أبو موسى أيضاً وأخو هارون، وليس بأخي موسى كما في حديث أخرجه مسلم، وسيأتي آخر الكتاب.

وعزير ، وتبع - وكان رجلاً صالحاً - كما أخرج الحاكم ، وقيل نبى . حكاها الكرماني في عجائبه .

ولقمان ؛ وقد قيل إنه ، كان نبياً ، والأكثر على خلافه ؛ أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس ؛ قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً .

ويوسف الذى فى سورة غافر .

ويعقوب فى أول سورة مريم على ما تقدم .

وتقى فى قوله فيها : ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ ^(١) . قيل : إنه اسم رجل كان من أمثل الناس ، أى إن كنت فى الصلاح مثل تقى ، حكاها الثعلبى . وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء . وقيل إنه ابن عمها أناها جبريل فى صورته ، حكاها الكرماني فى عجائبه .

[أسماء النساء]

وفيه من أسماء النساء :

مريم لاغير ، لاسكتة تقدمت فى نوع الكناية ، ومعنى مريم بالعبرية الخادم . وقيل : المرأة التى تفازل الفتیان ؛ حكاها الكرماني .

وقيل إن بعلأ فى قوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ ^(٢) ؛ اسم امرأة كانوا يعبدونها ؛ حكاها ابن عسك .

[أسماء الكفار]

وفيه من أسماء الكفار :

قارون ، وهو ابن يضر بن عم موسى ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

وجالوت ، وهامان ، وبشرى الذى ناداه المذكور فى سورة يوسف بقوله :

﴿ يَا بُشْرَى ﴾ ^(٣) ، فى قول السدّى ، أخرجه ابن أبي حاتم .

وآزر أبو إبراهيم ، وقيل اسمه تارح وآزر لقب ؛ أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحَّاك عن ابن عباس قال : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ؛ إنما كان اسمه تارح ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : معنى آزر الصنم .
وأخرج عن السدِّي قال : اسم أبيه تارح ، واسم الصنم آزر .
وأخرج عن مجاهد ، قال : ليس آزر أبا إبراهيم .
ومنها النسي ، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي وائل ، قال : كان رجل يسمى النسي من بني كنانة ، كان يحمل المحرم صفرا يستحل به الغنائم .

[أسماء الجن]

وفيه من أسماء الجن :
أبوهم إبليس ، وكان اسمه أولا عزازيل ، أخرج ابن أبي حاتم وغيره ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل .
وأخرج ابن جرير عن السدِّي ، قال : كان اسم إبليس الحارث ، قال بعضهم : هو معنى عزازيل .

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحَّاك ، عن ابن عباس قال : إنما سمي إبليس ؛ لأن الله ألبسه من الخير كله ، آيسه منه .
وقال ابن عسكر : قيل في اسمه قتره ، حكاه الخطابي . وكنيته أبو كزْدوس ، وقيل أبو قتره ، وقيل أبو مرة ، وقيل أبولبني ، حكاه السهيلي في الروض الأنف .

[أسماء القبائل]

وفيه من أسماء القبائل :
يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم .
[أسماء الأقسام بالإضافة]

وفيه من الأقسام بالإضافة :
قوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم تبع ، وقوم إبراهيم ، وأصحاب الأيكة - وقيل : هم مدين -

وأصحاب الرس ؛ وهم بقية من نمود، قاله ابن عباس . وقال عكرمة : هم أصحاب ياسين ، وقال قتادة : هم قوم شعيب ، وقيل هم أصحاب الأخدود ، واختاره ابن جرير .

[أسماء الأصنام]

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس .

ودّ ، وسواع ، ويعوق ، ونسر ، وهي أصنام قوم نوح ، والآلات والعزى ومناة ، وهي أصنام قريش ، وكذا الرّجز فيمن قرأه بضم الراء ، ذكر الأخفش في كتاب الواحد والجمع أنه اسم ضم .

والجبت والطاغوت ، قال ابن جرير : ذهب بعضهم إلى أنها صلمان كان المشركون يعبدونهما ، ثم أخرج عن عكرمة قال : الجبت والطاغوت صلمان .

والرشاد في قوله في سورة غافر : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(١) ، قيل : هو اسم ضم من أصنام فرعون ، حكاه الكرماني في مجانبه .

وبعل : وهو ضم قوم إلياس .

وآزر ، على أنه اسم ضم .

روى البخاري عن ابن عباس : ودّ وسواع ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجاسمهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ؛ ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتناخس العلم عبت . وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه .

وأخرج البخاري عن ابن عباس ، قال : كان الآلات رجالاً يلت سويق الحاج ، وحكاه ابن جني عنه أنه قرأ ﴿ الآلات ﴾^(٢) بتشديد التاء ، وفسره بذلك ، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد .

[أسماء البلاد والأمكنة]

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال :

بكة اسم لمكة ؛ فقيل الباء بدل من الميم ، وماخذه من تمككت العظم ،

أى اجتذبت ما فيه من الملح ، وتمسكك الفصيلُ ما فى ضَرْع الناقة؛ فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الأقوات . وقيل : لأنها تمكّ الذنوب، أى تذهبها ، وقيل لقلة ماها . وقيل لأنها فى بطن وادٍ تمسكك الماء من جبالها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . وقيل الباء أصل ، ومأخذه من البكّ ، لأنها تبكّ أعناق الجبابة ، أى تكسرهم فيذلّون لها ويخضعون وقيل من التباكّ وهو الازدحام ، لازدحام الناس فيها فى الطواف ، وقيل مكّة الحرم ، وبكّة المسجد خاصة ، وقيل مكّة البلد ، وبكّة البيت ، وموضع الطواف ، وقيل البيت خاصة .

والمدينة ؛ سميت فى الأحزاب يثرب ، حكاية عن المنافقين ، وكان اسمها فى الجاهلية ، قيل لأنه اسم أرض فى ناحيتها ، وقيل سميت يثرب بن وائل من بنى إرم بن سام بن نوح ؛ لأنه أوّل مَنْ نزلها ، وقد صحّ النهى عن تسميتها به ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكره الاسم الخبيث ، وهو يشمر بالثرب وهو الفساد ، أو التثريب وهو التوبيخ .

وبدر : وهى قرية قرب المدينة ، أخرج ابن جرير عن الشعبي ، قال كانت بدر لرجل من جهينة يسمّى بدرأ ، فسميت به . قال الواقدي : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه ، وقالوا : لأى شئ سميت الصفرأ ورابع هذا ليس بشئ ؛ إنما هو اسم الموضع . وأخرج عن الضحاك قال : بدر ما بين مكّة والمدينة .

وأحد : قرئ شاذاً ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ ^(١) .

وحنين : وهى قرية قرب الطائف .

وجمع : وهى مزدلفة .

والشعر الحرام : وهو جبل بها .

وقع : قيل هو اسم لما بين عرفات إلى مزدلفة ، حكاية الكرماني .

ومصر . وبابل ، وهى بلد بسواد العراق .

والأبيكة. وليكة، بفتح اللام: بلد قوم شُعَيْب، والثاني: اسم البلدة والأول اسم السكورة .
والحِجْر: منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى .
والأحقاف: وهي جبال الرمل بين عُمان وحضر موت، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها جبل بالشام .

وطور سيناء: وهو الجبل الذي نودي منه موسى .
والجودى: وهو جبل بالجزيرة .

وطوى: اسم الوادي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس . وأخرج من وجه آخر عنه أنه سُمِّيَ طوى لأن موسى طواه ليلاً . وأخرج عن الحسن قال: هو وادٍ بفلسطين، قيل له طوى، لأنه قدس مرتين، وأخرج عن مبشر بن عبيد، قال: هو وادٍ بأيلة، طوى بالبركة مرتين .

والكهف: وهو البيت المنقور في الجبل .

والرقيم، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: زعم كعب أن الرقيم القرية التي خرجوا منها، وعن عطية قال: الرقيم وادٍ . وعن سميد بن جبيرة مثله، وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الرقيم وادٍ بين عقبان وأيلة دون فلسطين، وعن قتادة قال: الرقيم اسم الوادي الذي فيه الكهف، وعن أنس بن مالك قال: الرقيم الكلب .
والعريم: أخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء، قال: العريم اسم الوادي .

وحَرْد: قال السُّدِّي: بلغنا أن اسم القرية حَرْد، أخرجه ابن أبي حاتم .
والصريم: أخرج بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة، أنها أرض باليمن تسمى بذلك .
وق: وهو جبل محيط بالأرض .

والجُرُز: هو اسم أرض، والطاغية: قيل اسم البقعة التي أهلكت بها ثمود، حكاهما الكرماني .

[أسماء الأماكن الآخروية]

وفيه من أسماء الأماكن الآخروية :

القرورس ، وهو أعلى مكان في الجنة .

وعليون ، قيل أعلى مكان في الجنة ، وقيل اسم لسادون فيه أعمال صلحاء النقلين .

والكوثر نهر في الجنة ، كما في الأحاديث المتواترة .

وسلسيل وتسليم : عينان في الجنة .

وسجّين ، اسم لمكان أرواح الكفار .

وصمود : جبل في جهنم ، كما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً .

وغىّ وأثام وموبق والسعير وسائل وسُخَق : أودية في جهنم ، أخرج ابن أبي

حاتم ، عن أنس بن مالك في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴾ ^(١) ، قال : وادٍ في جهنم من

قيح ، وأخرج عن عكرمة في قوله : ﴿ مَوْبِقًا ﴾ قال : هو نهر في النار .

وأخرج الحاكم في مستدرّكه عن ابن مسعود في قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْقُونَ غِيًّا ﴾ ^(٢) ،

قال : وادٍ في جهنم ، وأخرج الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويل : وادٍ في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً ،

قبل أن يبلغ قعره » ،

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال : « ويل وادٍ في جهنم من قيح » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال : في النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها : غليظ

وموبق وأثام وغىّ .

وأخرج عن سعيد بن جبيرة قال : السعير وادٍ من قيح في جهنم وسُخَق وادٍ في جهنم .

وأخرج عن أبي زيد في قوله : ﴿ سَأَلْ سَائِلٌ ﴾ ^(٣) ، هو وادٍ من أودية جهنم

يقال له : سائل . والفلق : جَبُّ في جهنم ، في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير .

ويعموم : دخان أسود ، أخرجه الحاكم عن ابن عباس .

وفيه من المنسوب إلى الأماكن ، الأثني ، قيل نسبة إلى أم القرى مكة .
وعبقرى ، قيل إنه منسوب إلى عبقر ، موضع للجن ينسب إليه كل نادر .
والسامري قيل : منسوب إلى أرض يقال لها سامرون ، وقيل سامرة .
والعربي - قيل منسوب إلى عربية وهي باحة دار إسماعيل عليه السلام ، أنشد فيها :
وعَرَبِيَّةُ أَرْضٍ مَا يَحِلُّ حَرَامُهَا * مِنْ النَّاسِ إِلَّا اللُّوذَعِيُّ الْخَلَّاحُ
يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

[أسماء الكواكب]

وفيه من أسماء الكواكب الشمس ، والقمر ، والطارق ، والشعري .

فائدة

[في أسماء الطير]

قال بعضهم : سمي الله في القرآن عشرة أجناس من الطير : السوى ، والبعوض ،
والذباب ، والنحل ، والمنكبوت ، والجراد ، والهدهد ، والغراب ، وأبائيل ، والنحل ؛
فإنه من الطير لقوله في سليمان : ﴿ عَلَّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ ﴾ ^(١) ، وقد فهم كلامها .
وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين .

فصل

[في الكنى والألقاب في القرآن]

أما الكنى ، فليس في القرآن منها غير أبي لهب ، واسمه عبد العزى ، ولذلك لم
يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً ؛ وقيل للإشارة إلى أنه جهنمي .
وأما الألقاب فمنها إسرائيل ، لقب يعقوب ، ومعناه عبد الله ، وقيل صفوة الله ،
وقيل سري الله لأنه أسرى لهما هاجر ؛ أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس ،
أن إسرائيل كقولك عبد الله .

وأخرج عبيد بن حميد في تفسيره ، عن أبي مجاز ، قال : كان يعقوب رجلاً بطيشاً ، فلقى ما كسا
فمالجه فصرعه الملك ، فضرب على نغذيه ، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به ، فقال : ما أنا

بتاركك حتى تسميني اسماً فسماه إسرائيل ، قال أبو نَجَاز : ألا ترى أنه من أسماء الملائكة ! وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام ، وقرئ بلا همز .

قال بعضهم : ولم يُخاطَب اليهود في القرآن إلا : « يا بني إسرائيل » دون « يا بني يعقوب » ، لنسكته وهو أنهم خوطبوا بعبادة الله ، وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم ، وتنبيهاً من غفلتهم ، فسموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى ، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله في التأويل ، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة بمعقب آخر ، فناسب ذكر اسم يشمر بالتعقيب .

ومنها المسيح ، لقب لعيسى ، ومعناه قيل الصديق ، وقيل : الذي ليس لرجله أخمص ، وقيل : الذي لا يمسح ذا عاهة إلا برئ ، وقيل : الجليل ، وقيل : الذي يمسح الأرض ، أى يقطعها ، وقيل غير ذلك .

ومنها الياس ؛ قيل إنه لقب إدريس . أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود ، قال : الياس هو إدريس ، وإسرائيل هو يعقوب ، وفي قراءته ، ﴿ وإن إدراسن لمن المرسلين ﴾ ^(١) ﴿ سلام على إدراسين ﴾ ^(٢) ، وفي قراءة أخرى ﴿ وأن إبليسين ﴾ ﴿ سلام على إبليسين ﴾ . ومنها ذو الكفل ؛ قيل إنه لقب الياس ، وقيل لقب اليسع ، وقيل لقب يوشع ، وقيل لقب زكريا .

ومنها نوح ، اسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي .

ومنها ذو القرنين واسمه إسكندر ، وقيل عبد الله بن الضحّاك بن سعد ، وقيل المنذر بن ماء السماء ، وقيل الصعب بن قرين بن الهمال . حكاهما ابن عسكرو . ولقب ذا القرنين لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب ، وقيل لأنه ملك فارس والروم ، وقيل كان على رأسه قرنان ، أى ذؤابتان ، وقيل كان له قرنان من ذهب ، وقيل : كانت صفحتا رأسه من نحاس ، وقيل : كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة ، وقيل إنه ضرب على قرنيه فأت ، ثم بعثه الله ، فضربوه على قرنيه الآخر ، وقيل : لأنه كان كريم الطرفين ،

وقيل أنه انقضى في وقته قرنان من الناس وهو حيّ، وقيل: لأنه أُعْطِيَ علم الظاهر وعلم الباطن، وقيل: لأنه دخل النور والظلمة .

ومنها فرعون، واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس، وقيل أبو الوليد، وقيل: أبو مرة .

وقيل إن فرعون لقب لكل من ملك مصر .

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان فرعون فارسياً من أهل إصطخر .
ومنها تبع، قيل كان اسمه أسعد بن ملكي - كَرِبَ، وسميَ تَبَعًا لكثرة مَنْ تَبِعَهُ . وقيل إنه لقب ملوك اليمن، سُمِّيَ كُلُّ واحدٍ منهما تَبَعًا، أي ينبع صاحبه، كالخليفة يخلف غيره .

النوع السُّبُون في المَبْصَرَاتِ

أفرده بالتأليف السهل^(١)، ثم ابن عساكر^(٢)، ثم القاضي بدر الدين بن جماعة^(٣).
ولى فيه تأليف لطيف جُمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صِغَر حجمه
جداً، وكان من السلف مَنْ يعتنى به كثيراً. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته
مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة.

[أسباب الإيهام في القرآن]

وللإيهام : في القرآن أسباب :

أحدهما : الاستغناء ببيانه في موضع آخر ، كقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) ، فإنه مبين في قوله : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ ﴾^(٥) ^{الطاهر} والشهداء والصالحين^(٥) .

الثاني : أن يتعین لاشتهاره ، كقوله : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(٦) ، ولم يقل : « حواء » لأنه ليس له غيرها .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾^(٧) ، والمراد عمروذ لشهرة ذلك ؛ لأنه المرسل إليه ، قيل : وقد ذكر الله فرعون في القرآن باسمه ولم يسمَّ عمروذ ؛ لأن فرعون كان أذكى منه ، كما يؤخذ من أجوبته لموسى ، وعمروذ كان بليداً ، ولهذا قال : ﴿ أَنَا أُخِي وَأُمِّي ﴾ ،

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهلي ، صاحب كتاب الروض الأثف على سيرة ابن هشام ، ولد بمالقة سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي بمراكس سنة ٥٨١ هـ وأخر ترجمته ومراجعتها في إنباء الرواة ١٦٢ : ٢ .
واسم كتابه التعريف والإعلام لما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام .

(٢) هو محمد بن علي بن الحضر المعروف بابن عساكر ، واسم كتابه التكميل والإتمام .

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، بدر الدين ، من علماء الحديث ، واسم كتابه « غرر البيان لمبهمات القرآن » ، توفي سنة ٧٢٢ هـ ، سكت الهيمان ٢٣٥ .

(٤) الفاتحة ٦ (٥) النساء ٦٩ (٦) البقرة ٣٥ (٧) البقرة ٢٥٨

وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر ، وذلك غاية البلادة .

الثالث : قُضد السَّتر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، نحو ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ ^(١) الآية ، هو الأخنس بن شريق ؛ وقد أسلم بعدد وحسن إسلامه .

الرابع : ألا يكون في تعيينه كبير فائدة ، نحو ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ ^(٣) .

الخامس : التنبيه على العموم ، وأنه غير خاص ، بخلاف مالو عين ، نحو ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ ^(٤) .

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ، نحو ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ ^(٧) ، والمراد الصديق في الكل .

السابع : تخفيفه بالوصف الناقص ، نحو ﴿ إِنْ شَاءَ نَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ^(٨) .

تنبيه

قال الزركشي في البرهان : لا يُبحث عن مبهم أخبر الله باستثنائه بعلمه ، كقوله : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ ^(٩) قال : والمعجب ممن تجرأ وقال : إِيَّاهُمْ قَرِيبَةً ، أو من الجن ^(١٠) .

قلت : ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم ، وإنما المنقى علم أعيانهم ، ولا

(١) البقرة ٢٠٤ (٢) البقرة ٢٥٩ (٣) الأعراف ١٦٣ ، قال في البرهان : المراد آية أو طبريه
(٤) النساء ١٠٠ (٥) النور ٢٢ ، نزلت في الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثانته بنافعة أبدا
بعد ما قال في عائشة لما قال .

(٨) الكوثر ٣

(٧) التوبة ٤٠

(٦) الزمر ٣٣

(١٠) البرهان ١ : ١٥٠

(٩) الأنفال ٦٠

ينافيه العلم بكونهم من قُرَيْظَةَ ، أو من الجن ، وهو نظير قوله في المناقبين : ﴿ وَبَيْنَ حَوْلِكُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ ^(١) فإن المنفى علم أعيانهم . ثم القول في أولئك بأنهم بنو قُرَيْظَةَ ، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد ، والقول بأنهم من الجن ، أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عبد الله بن غريب ، عن أبيه مرفوعاً ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا جرة .

فصل

[في ذكر آيات المبهات]

اعلم أن علم المبهات مرجعه النقل المحض ؛ لاجمال للرأى فيه ، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يُذكر فيها أسماء المبهات والخلاف فيها ، دون بيان مستند يرجع إليه ، أو عُرِفَ بِعُتْمَدٍ عَلَيْهِ ، أَلْقَتِ الْكِتَابَ الَّذِي أَلْفَتَهُ ، مَذْكُوراً فِيهِ عَزْوُ كُلِّ قَوْلٍ إِلَى قَائِلِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ ، مَعْرُوضاً إِلَى أَصْحَابِ الْكِتَابِ الَّذِينَ خَرَجُوا ذَلِكَ بِأَسَانِيدِهِمْ ، مَبِيناً فِيهِ مَا صَحَّ سَنَدُهُ وَمَا ضَعُفَ ، فَجَاءَ لِذَلِكَ كِتَاباً حَافِلاً لِنَظِيرِهِ لَهُ فِي نَوْعِهِ ، وَقَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَى تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَا أَتَخَصَّصُ هُنَا مَهْمَاتِهِ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ ، تَارِكاً الْعَزْوَ وَالتَّخْرِيجَ غَالِباً ، اختصاراً وإحالة على الكتاب المذكور ، وأرتبه على قسمين :

القسم الأول : فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملكٍ أو جنٍّ ، أو مثنى أو مجموع عرِفَ أسماء كلهم ، أو مَنْ ، أو الَّذِي ، إذا لم يُردَّ به العموم :

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٢) ، هو آدم وزوجه حواء ، بالبدء ، لأنها خلقت من حي .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ ^(٣) ، اسمه عاميل .

(١) التوبة ١٠١

(٢) البقرة ٣٠

(٣) البقرة ٧٢

﴿وَابْقَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^(١) ، هو النبي صلى الله عليه وسلم .
 ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾^(٢) ، هم إسماعيل وإسحاق ومدين وزمران وسرح
 ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورح ولوطان وناقش .
 ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾^(٣) : أولاد يعقوب اثنا عشر رجلاً : يوسف ، وروبل ، وشمعون ،
 ولاوى ، ويهوذا ، ودان ، ونفثالى بقاء ومثناة ، وجاد ، وأشير ، ويشجر ، وريالون ،
 وبنيامين .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾^(٤) ، هو الأخنس بن شريق .
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾^(٥) ، هو صهيب .
 ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا﴾^(٦) ، هو شمويل ، وقيل : شمعون ، وقيل : يوشع .
 ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾^(٧) ، قال مجاهد : موسى . ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
 دَرَجَاتٍ﴾^(٧) ، قال : محمد .

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٨) ، نمرود بن كنعان .
 ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾^(٩) ، عزيز ، وقيل أرمياء ، وقيل حزقييل .
 ﴿أَمْرَأَةً عِمْرَانَ﴾^(١٠) ، حنة بنت فاقوذ .
 ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾^(١١) ، هى أشباع ، أو أشيع بنت فاقوذ .
 ﴿مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(١٢) ، هو محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) البقرة ١٢٩	(٢) البقرة ١٣٢	(٣) من قوله تعالى في البقرة ١٣٦ (ويعقوب والأسباط).
(٤) البقرة ٢٠٤	(٥) لقمان ٢٠٧	(٦) البقرة ٢٤٦
(٧) البقرة ٢٥٣	(٨) البقرة ٢٥٨	(٩) البقرة ٢٥٩
(١٠) آل عمران ٣٥	(١١) آل عمران ٤٠	(١٢) آل عمران ١٩٣

﴿إِلَى الطَّاعُوتِ﴾^(١) : قال ابن عباس : هو كعب بن الأشرف ، أخرجه أحمد .

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾^(٢) ، هو عبد الله بن أبي .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(٣) ، هو عامر بن

الأضبط الأشجعي ، وقيل مرداس ، والقائل ذلك نفر من المسلمين ، منهم أبو قتادة

وعلم بن جثامة . وقيل إن الذي باشر القول محم ، وقيل إنه الذي باشر قتلها أيضاً ، وقيل :

قتله القداد بن الأسود ، وقيل : أسامة بن زيد .

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾^(٤) ،

هو ضمرة بن جندب ، وقيل ابن العيص ؛ رجل من خزاعة ، وقيل : أبو ضمرة بن العيص ،

وقيل اسمه سبرة ، وقيل : هو خالد بن حزام ، وهو غريب جداً .

﴿وَبِمَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَى عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٥) ، م : شموع بن زكور من سبط روبييل ،

وشوقط بن حوري من سبط شمعون ، وكالب بن يوفنا من سبط يهوذا ، وبعورك بن

يوسف من سبط إيشاجر ، ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف ، وبلطي بن

روفوا من سبط بنيامين ، وكراييل بن سودي من سبط زبالون ، وكدي بن شاس من سبط

منشا بن يوسف وعماييل بن كسل من سبط دان ، وسقور بن ميخائيل من سبط

أشير ، ويوحنا بن وقوسي من سبط نفتالي ، وإل بن موخا من سبط كاذلوا .

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾^(٦) ، هما يوشع وكالب .

﴿نَبَأَ ابْنَى آدَمَ﴾^(٧) ، هما قابيل وهابيل ، وهو المقتول .

﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾^(٨) ، بلعم ، ويقال : بلعام بن آبر ،

(٢) النساء ٧٢

(١) البقرة ٢٥٧ من قوله تعالى (بالحب والاطاعت)

(٥) المائدة ١٢ وقد وقع ضبط

(٤) النساء ١٠٠

(٣) النساء ٩٤

أسماء النقباء اختلاف كثير في المراجع ، واعتمدت هنا ما من مخطوطة الأصل . وانظر تفسير الطبري ١٠ :

١١٤ ، وتفسير القرطبي ٦ : ١١٣ ، وما سبق في هذا الجزء من ٨٢ (٦) المائدة ٢٣

(٨) الأعراف ١٧٥

(٧) المائدة ٢٧

ويقال باعر ، ويقال باعور . وقيل : هو أمية بن أبي الصلت ، وقيل : صيفي بن راهب وقيل : فرعون ؛ وهو أغربها .

﴿ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ﴾ ^(١) ، عني سُرَاقَةُ بْنُ جُشَمٍ .
 ﴿ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكَفْرِ ﴾ ^(٢) ، قال قتادة : هم أبو سفيان وأبو جهل وأمّية بن خلف وسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَعَتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ .
 ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ ^(٣) ، هو أبو بكر الصديق .
 ﴿ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ ^(٤) ، قال مجاهد : هم عبد الله بن أبي بن سلول ورفاعة ابن النابوت وأوس بن قَيْظِيٍّ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِي ﴾ ^(٥) ، هو الجُدَّ بن قيس .
 ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْعَنُ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(٦) ، هو ذُو الْخَوَيْصِرَةِ .
 ﴿ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(٧) ، هو عُثْمَانُ بْنُ حَمِيرٍ .
 ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ ^(٨) ، هو ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ .
 ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٩) ، قال ابن عباس : هم سبعة : أبو لبابة وأصحابه ؛ وقال قتادة : سبعة من الأنصار : أبو لبابة ، وجدّ بن قيس ، وخُذَامٌ ، وأوس وكردم ، ومرداس .

﴿ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ ﴾ ^(١٠) ، هم هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب ابن مالك ، وهم الثلاثة الذين خلفوا .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ ^(١١) ، قال ابن إسحاق : اثنا عشر من

(٣) التوبة ٤٠

(٦) التوبة ٥٨

(٩) التوبة ١٠٣

(٢) التوبة ١٢

(٥) التوبة ٤٩

(٨) التوبة ٧٥

(١١) التوبة ١٠٧

(١) الأمل ٤٨

(٤) التوبة ٤٧

(٧) التوبة ٦٦

(١٠) التوبة ١٠٦

الأنصار: خذام بن خالد، وثعلبة بن حاطب، وهومن بن أمية بن زيد، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعبد بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجتمع وزيد، ونبيل ابن الحارث وبجرج وبجاد بن عثمان ووديعه بن ثابت.

﴿لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١)، هو أبو عامر الراهب.
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢)، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٣) هو جبريل، وقيل هو القرآن وقيل: أبو بكر، وقيل: علي.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾^(٤)، اسمه كنعان، وقيل يام.

﴿وَامرَأَةٌ قَائِمَةٌ﴾^(٥) اسمها سارة.

﴿بَنَاتِ لُوطٍ﴾^(٦): رينا ورغوئا.

﴿لِيُؤْسِفُ وَأُخُوهُ﴾^(٧)، بنيامين شقيقه.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾^(٨)، هو روبيل، وقيل يهوذا، وقيل شمعون.

﴿فَارْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾^(٩)، هو مالك بن دغر.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾^(١٠) - هو قطيفير، أو أطيخير - ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾^(١١)، هي

راعيل، وقيل: زليخا.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾^(١٢)، هو مجاث وبنوه، وهو الباقي، وقيل

راشان ومرطش، وقيل شرم وسرم.

﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾^(١٣)، هو الساق.

﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(١٤)، هو الملك ريان بن الوايد.

﴿بَاخٍ لَكُمْ﴾^(١٥)، هو بنيامين، وهو المتكرر في السورة.

(١) التوبة ١٠٧	(٢) هود ١٢	(٣) هود ٤٢
(٤) هود ٧١	(٥) هود ٧٨، وهود من قوله تعالى: (هؤلاء بناتي أطهر لكم).	(٦) يوسف ٨
(٧) يوسف ١٠	(٨) يوسف ١٩	(٩) يوسف ١٢
(١٠) يوسف ٢٦	(١١) يوسف ٤٢	(١٢) يوسف ٥٩

- ﴿ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾ ^(١) عنوا يوسف .
- ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ ^(٢) ، هُوَ شَمْعُون ، وَقِيلَ رَوِيل .
- ﴿ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ ^(٣) ، هُمَا أَبُوهُ وَخَالَتُهُ لِيَا ، وَقِيلَ أُمُّهُ ، وَاسْمُهَا رَاحِيل .
- ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَقِيلَ : جَبْرِيل .
- ﴿ أَسْكَتُ مِنْ دُرِّيَّتِي ﴾ ^(٥) ، هُوَ إِسْمَاعِيل .
- ﴿ وَلَوْلَا الَّذِي ﴾ ^(٦) ، اسْمُ أَبِيهِ تَارَح ، وَقِيلَ آزَر ، وَقِيلَ يَازَر ، وَاسْمُ أُمِّهِ مَثَانِي ، وَقِيلَ نَوْفَا وَقِيلَ لِيُونَا .
- ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ^(٧) ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : هُمُ خَمْسَةٌ ؛ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ ، وَأَبُو زَمْعَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوث .
- ﴿ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُكُم ﴾ ^(٨) ، هُوَ أُسَيْدُ بْنُ أَبِي الْعَيْصِر .
- ﴿ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ ^(٩) ، عُمَانُ بْنُ عَفَّان .
- ﴿ كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ ^(١٠) ، هِيَ رِبِطَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيم .
- ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾ ^(١١) عنوا عَبْدُ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ ، وَاسْمُهُ مِقْيَيسٌ ، وَقِيلَ عَبْدُ بِنِ
- له : يَسَارُ وَجَبَر ، وَقِيلَ : عَنْوَا قَيْنًا بِمَكَّةَ اسْمُهُ بُلْعَامُ ، وَقِيلَ سُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ .
- ﴿ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ ^(١٢) ، تَمْلِيخًا ، وَهُوَ رُئُوسُهُمُ وَالْقَاتِلُ : ﴿ فَأَوُّوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ ^(١٣) ، وَالْقَاتِلُ : ﴿ رَبِّكُمْ أَغْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ ^(١٤) ، وَتَكْسَلُهُنَا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ ^(١٥) ، وَمَرْطُوشُ وَبِرَاشِقُ وَأَيُونُسُ وَأَرِسْطَانُسُ وَشَاطِطْيُونُسُ .

(٣) يوسف ٩٩

(٦) إبراهيم ٤١

(٩) النحل ٩٢

(١٢) الكهف ١٦

(٢) يوسف ٨٠

(٥) إبراهيم ٣٧

(٨) النحل ٧٦

(١١) الكهف ٩

(١) يوسف ٧٧

(٤) الرعد ٤٣

(٧) الحجر ٩٥

(١٠) النحل ١٠٣

(١٣) الكهف ١٩

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِكَيْكُمْ﴾^(١)، هو تملیخا .

﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾^(٢)، هو عینة بن حصن .

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾^(٣)، هما تملیخا - وهو الخیر - وفطروس، وهما

الذکوران فی سورة الصافات .

﴿قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ﴾^(٤)، هو یوشع بن نون، وقیل أخوه یثربی .

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾^(٥)، هو الخضر واسمه بلیا .

﴿لَقِيَا غُلَامًا﴾^(٦)، اسمه جیسور، بالجیم، وقیل بالحاء .

﴿وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾^(٧)، هو هدد بن بدد .

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ﴾^(٨)، اسم الأب کازیرا والأم سهوی .

﴿لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾^(٩)، هما أصرم وصریم .

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾^(١٠)، قیل عیسی، وقیل جبریل .

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾^(١١)، هو أبی بن خلف، وقیل أمیة بن خلف، وقیل

الولید بن المغيرة .

﴿أَقْرَأْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(١٢)، هو العاصی بن وائل .

﴿وَقَتَلْتُ نَفْسًا﴾^(١٣)، هو القبطی، واسمه فاقون .

﴿السَّامِرِيُّ﴾^(١٤)، اسمه موسی بن ظفر .

﴿مِنْ أَرْرِ الرَّسُولِ﴾^(١٥)، هو جبریل .

(٣) الکہف ٣٢

(٦) الکہف ٧٤

(٩) الکہف ٨٣

(١٢) مريم ٧٧

(١٥) طه ٩٦

(٢) الکہف ٢٨

(٥) الکہف ٦٥

(٨) الکہف ٨٠

(١١) مريم ٦٦

(١٤) طه ٨٥

(١) الکہف ١٩

(٤) الکہف ٦٠

(٧) الکہف ٧٩

(١٠) مريم ٢٤

(١٣) طه ٤

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾^(١)، هو النضر بن الحارث .
- ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾^(٢)، أخرج الشيخان عن أبي ذر، قال : نزلت هذه الآية في حمزة وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة .
- ﴿وَمَنْ يُرْذِفِيهِ بِالْحَازِ﴾^(٣)، قال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن أنيس .
- ﴿الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾^(٤)، هم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش ، وعبد الله بن أبي ، وهو الذي تولى كبره .
- ﴿وَيَوْمَ يَنْصُ الظَّالِمُ﴾^(٥)، هو عقبة بن أبي معيط .
- ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾^(٦)، هو أمية بن خلف، وقيل أبي بن خلف .
- ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾^(٧)، قال الشعبي : هو أبو جهل .
- ﴿امْرَأَةٌ تَمْلِكُهُمْ﴾^(٨)، هي بلقيس بنت شراحيل .
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ﴾^(٩)، اسم الجاني منذر .
- ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ﴾^(١٠)، اسمه كوزن .
- ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ﴾^(١١)، هو آصف بن برخيا كاتبه ، وقيل : رجل يقال له ذو النور ، وقيل أسطوم ، وقيل مليخا ، وقيل بلخ ، وقيل هو ضبة أبو القبيلة ، وقيل جبريل ، وقيل ملك آخر ، وقيل الخضر .
- ﴿تَسْعَةُ رَهْطٍ﴾^(١٢)، هم رُعَمَى ورُعَيْم وهُرَيْمَى وهُرَيْم ودَاب وصَوَاب ورَّاب ومسطح وقُدَّار بن سالف عافر الناقة .

(٣) الحج ٢٥
(٦) الفرقان ٢٨
(٩) النمل ٣٦
(١٢) النمل ٤٨

(٢) الحج ١٩
(٥) الفرقان ٢٧
(٨) النمل ٢٣
(١١) النمل ٤٠

(١) الحج ٣
(٤) النور ١١
(٧) الفرقان ٥٥
(١٠) النمل ٣٩

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾^(١)، اسم الملقط طابوث .

﴿امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾^(٢)، آسية بنت مزاحم .

﴿أُمُّ مُوسَى﴾^(٣)، يمانذ بنت يصهر بن لاوى ، وقيل ياء وخاء، وقيل أيا ذخت .

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾^(٤)، اسمها مريم، وقيل كلثوم .

﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾^(٥)، هو السامري ، ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٥) اسمه فاتون .

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْقَى﴾^(٦)، هو مؤمن آل فرعون ، واسمه

شيمان ، وقيل شمون ، وقيل جبر ، وقيل حبيب ، وقيل حزقيل .

﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾^(٧)، هما ليا وصفوريا ، وهى التى نكحها، وأبوها شعيب ،

وقيل : يثرون ، ابن أخى شعيب .

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾^(٨)، اسمه باران ، بالموحدة ، وقيل داران ، وقيل أنعم ،

وقيل مشكم .

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾^(٩)، نزلت فى على بن أبى طالب

والوليد بن عقبة .

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾^(١٠)، قال الشدّي : هما رجلان من بنى

حارثة أبو عرابة بن أوس وأوس بن قيطى .

﴿قُلْ لِرِزْوَاجِكُمْ إِنِّي أَنْتَ﴾^(١١)، قال عكرمة : كانت تحته يومئذ تسع نساء ، عائشة وحفصة ،

وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وصفية ، وميمونة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية .

(٣) (القصص ١٠)

(٦) (القصص ٢٠)

(٩٠) (السجدة ١٨)

(٢) (القصص ٩)

(٥) (القصص ١٥)

(٨) (لقمان ١٣)

(١١) (الأحزاب ٥٩)

(١) (القصص ٨)

(٤) (القصص ١١)

(٧) (القصص ٢٣)

(١٠) (الأحزاب ١٣)

وبناته : فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ^(١) ، قال صلى الله عليه وسلم : هم علي وفاطمة والحسن والحسين .

﴿ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ ^(٢) ، هو زيد بن حارثة ، ﴿ أَمْسِكَ ﴾

عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ^(٣) ، هي زينب بنت جحش .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ ^(٤) ، قال ابن عباس : هو آدم .

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴾ ^(٥) ، هما شمعون ويوحنا ، والثالث بولس ، وقيل هم

صادق وصدوق وشلوم .

﴿ وَجَاءَهُنَّ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾ ^(٦) ، هو حبيب النجار .

﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ ﴾ ^(٧) ، هو العاص بن وائل ، وقيل أبي بن خلف ، وقيل

أمية بن خلف .

﴿ قَبِشْرَ نَاحِيَةِ إِدْرِيمَ ﴾ ^(٨) ، هو إسماعيل أو إسحاق ؛ قولان شهيران .

﴿ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ ^(٩) ؛ هما ملكان ، قيل إلهما جبريل وميكائيل .

﴿ جَسَدًا ﴾ ^(١٠) ، هو شيطان يقال له أسيد ، وقيل صخر ، وقيل حقيق .

﴿ مَسْنَى الشَّيْطَانِ ﴾ ^(١١) ، قال نوف : الشيطان الذي مسه يقال له مسعط .

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ ^(١٢) ، محمد ، وقيل جبريل ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ^(١٣) ، محمد صلى

الله عليه وسلم ؛ وقيل أبو بكر .

﴿ الَّذِينَ أَضَلَّانَا ﴾ ^(١٤) ، إبليس وقاييل .

(٣) الأحزاب ٢٧

(٦) يس ٢٠

(٩) ص ٢١

(١٢) الزمر ٣٣

(٢) الأحزاب ٢٧

(٥) يس ١٤

(٨) الصافات ١٠١

(١١) ص ٤١

(١) الأحزاب ٣٣

(٤) الأحزاب ٧٢

(٧) يس ٧٧

(١٠) ص ٣٤

(١٣) فصلت ٢٩

﴿رَجُلٍ مِنَ الْقَرَيَتَيْنِ﴾ ^(١) ، عنوا الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقيل عروة بن ، مسعود من الطائف .

﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ ^(٢) ، الضارب له عبد الله بن الزُّبَيْرِ .

﴿طَعَامُ الْأَيْمِ﴾ ^(٣) ، قال ابن جبير : هو أبو جهل .

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ^(٤) ، هو عبد الله بن سلام .

﴿أُولُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾ ^(٥) ، أصح الأقوال أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

﴿يُنَادِي الْمُنَادِي﴾ ^(٦) ، هو إسرافيل .

﴿ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرَمِينَ﴾ ^(٧) ، قال عثمان بن محسن : كانوا أربعة من الملائكة : جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل .

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ ^(٨) ، قال الكرماني : أجمع المفسرون على أنه إسحاق ، إلا مجاهداً فإنه قال : هو إسماعيل .

﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ^(٩) ، جبريل .

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ ^(١٠) ، هو العاصي بن وائل ، وقيل الوليد بن المغيرة .

﴿يَذْعُ الذَّاعِي﴾ ^(١١) ، هو إسرافيل .

﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ ^(١٢) ، هي خولة بنت ثعلبة ، ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ ^(١٣) هو أوس

ابن الصامت .

(٣) الذخاں ٤٤

(٦) ن ٤١

(٩) النجم ٥

(١٢) المجادلة ١

(٢) الزخرف ٥٧

(٥) الأحقاف ٣٥

(٨) القنارىات ٢٨

(١١) القمر ٦

(١) الزخرف ٣١

(٤) الأحقاف ١٠

(٧) القنارىات ٢٤

(١٠) النجم ٣٣

- ﴿لَمْ نُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ^(١) ، هي سرّيته مارية .
- ﴿أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ ^(٢) ، هي حفصة ، ﴿نَبَأَتْ بِهِ﴾ ^(٣) أخبرت عائشة .
- ﴿إِنْ تَقُوبَا﴾ ^(٤) ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ ^(٥) ، هما عائشة وحفصة ، ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٦) ، هما أبو بكر وعمر ، أخرجه الطبراني في الأوسط .
- ﴿امْرَأَةُ نُوحٍ﴾ ^(٧) ، والعة ؛ ﴿وَامْرَأَةُ لُوطٍ﴾ ^(٨) ، والهة ، وقيل واعلة .
- ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ ^(٩) ، نزلت في الأسود بن عبد يغوث ، وقيل : الأخنس بن شريق ، وقيل : الوليد بن المغيرة .
- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ^(١٠) ، هو النضر بن الحارث .
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ^(١١) اسم أبيه لمك بن مثنى ، واسم أمه شمخا بنت أنوش .
- ﴿سَفِيهِنَا﴾ ^(١٢) ، هو إبليس .
- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ^(١٣) ، هو الوليد بن المغيرة .
- ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى...﴾ ^(١٤) ، الآيات ، نزلت في أبي جهل .
- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ ^(١٥) ، هو آدم .
- ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَامًا﴾ ^(١٦) ، قيل : هو إبليس .
- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأُنْمَى﴾ ^(١٧) ، هو عبد الله بن أم مكتوم ، ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَفْتَى﴾ ^(١٨) ، هو أمية بن خلف ، وقيل هو عتبة بن ربيعة .

(٣) التحريم ٤

(٦) العارج ١

(٩) المدثر ١٠١

(١٢) النبأ ٤٠

(٢) التحريم ٣

(٥) القلم ١٠

(٨) الجن ٤

(١١) الإنسان ١

(١٤) عبس ٥

(١) التحريم ١

(٤) التحريم ١٠

(٧) نوح ٢٨

(١٠) القيامة ٣١

(١٢) عبس ٢ ، ٥

﴿قَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ﴾^(١) ، قيل جبريل ، وقيل محمد صلى الله عليه وسلم .
﴿وَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذْ مَا ابْتَلَاهُ...﴾^(٢) ، الآيات ، نزلت في أمية بن خلف .
﴿وَوَالِدٍ﴾^(٣) ، هو آدم .

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٤) ، هو صالح .

﴿الْأَشَقَى﴾^(٥) هو أمية بن خلف ، ﴿الْأَنْقَى﴾^(٦) هو أبو بكر الصديق .

﴿الَّذِي بَنَى * عَبْدًا﴾^(٧) ، هو أبو جهل ، والعبد هو النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾^(٨) ، هو العاصي بن وائل ، وقيل : أبو جهل ، وقيل :

غعبة بن أبي مغيط ، وقيل : أبو لهب ، وقيل : كعب بن الأشرف .

﴿امْرَأَتُهُ﴾^(٩) امرأة أبي لهب أم جميل الموراء بنت حرب بن أمية .

* * *

القسم الثاني في مبهات الجموع الذين عرفت أسماء بعضهم :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾^(١٠) سُمِّيَ منهم رافع بن حرمة .

﴿سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ﴾^(١١) ، سُمِّيَ منهم رفاعه بن قيس وقرم بن عمرو وكعب

ابن الأشرف ورافع بن حرمة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا...﴾^(١٢) الآية ، سُمِّيَ منهم رافع ومالك بن عوف .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^(١٣) ، سُمِّيَ منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم .

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(١٤) ، سُمِّيَ منهم عمرو بن الجموح .

(٣) البلد ٣	(٢) الفجر ١٦	(١) التكوثر ١٩
(٦) الليل ١٧	(٥) الليل ١٥	(٤) الشمس ١٣
(٩) السد ٤	(٨) الكوثر ٣	(٧) الملق ٩ ، ١٠
(١٢) البقرة ١٧٠	(١١) البقرة ١٤٢	(١٠) البقرة ١١٨
	(١٤) البقرة ٢١٥	(١٣) البقرة ١٨٩

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ﴾^(١)، سُمِّيَ مِنْهُمْ عُمَرُ وَمَعَاذُ وَحْمَزَةُ .
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾^(٢)، سُمِّيَ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ .
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾^(٣)، سُمِّيَ مِنْهُمْ ثَابِتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ وَعَبَادُ بْنُ بَشَرَ وَأَسِيدُ بْنُ الْحَضِيرِ، مَعْصَرُ .
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٤)، سُمِّيَ مِنْهُمْ النِّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ .
- ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾^(٥)، سُمِّيَ مِنْهُمْ فَطْرُسُ وَيَعْقُوبُسُ وَيَحْنَسُ وَأَنْدَرَايُسُ وَفِيلُسُ وَدِرْنَابُوطَا وَسَرْجُسُ، وَهُوَ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبِيهٌ .
- ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا...﴾^(٦)، هُمُ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْيَهُودِ سُمِّيَ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الضَّيْفِ وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو .
- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٧)، قَالَ عِكْرَمَةُ : نَزَلَتْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ وَالْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ بْنُ الصَّامِتِ وَوَحُوحُ ابْنُ الْأَسْلَتِ . زَادَ ابْنُ عَسْكَرٍ : وَطُعَيْمَةُ بْنُ أَبِي رِيقٍ .
- ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٨)، سُمِّيَ مِنَ الْقَائِلِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي .
- ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾^(٩)، سُمِّيَ مِنَ الْقَائِلِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَمُعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ .
- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾^(١٠)، الْقَائِلُ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَالِدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَالْقَوْلُ لَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .
- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾^(١١)، هُمُ سَبْعُونَ ؛ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعُمَانُ وَعَلِيٌّ

(٣) البقرة ٢٢٢

(٦) آل عمران ٧٢

(٩) آل عمران ١٦٧

(٢) البقرة ٢٢٠

(٥) آل عمران ٥٢

(٨) آل عمران ١٥٤

(١) البقرة ٢١٩

(٤) آل عمران ٢٣

(٧) آل عمران ٨٦

(١٠) آل عمران ١٧٢

وَالزَّيْنُ وَسَعْدٌ وَطَلْحَةُ وَابْنُ عَوْفٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَحَذِيفَةُ بْنُ الِیْمَانِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ .

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ ^(١) ، سُمِّيَ مِنَ الْقَائِلِينَ نَعِيمٌ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ .

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ^(٢) ، قَالَ ذَلِكَ فَنَحَاصُ ، وَقِيلَ : حَيَّيٌّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَقِيلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) ، نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ ، وَقِيلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ .

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(٤) ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَوْلَادُ آدَمَ لَصُلبِهِ أَرْبَعُونَ فِي عَشْرِينَ بَطْنًا ، كُلُّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى ، وَسُمِّيَ مِنْ بَنِيهِ قَائِيلٌ وَهَابِيلُ وَإِبَادُ وَشُبُونَةُ وَهَنْدُ وَصَرَايِدُسُ وَنُحُورُ وَسَنْدُ وَبَارِقُ وَشَيْثُ وَعَبْدُ الْمَغِيثِ وَعَبْدُ الْحَارِثِ وَوَدُ وَسَوَاعُ وَيَغُوثُ وَيَعْقُوقُ وَنَسْرُ ، وَمِنْ بَنَاتِهِ أَقْلِيمَةُ وَأَشُوفُ وَجَزُوزَةُ وَعَزُورَا وَأُمَةُ الْمَغِيثِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾ ^(٥) قَالَ عَكْرَمَةُ : نَزَلَتْ فِي رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ ، وَكَرْدَمَ بْنِ زَيْدٍ ، وَأَسَامَةَ بْنِ حَبِيبٍ ، وَرَافِعَ بْنَ أَبِي رَافِعٍ ، وَبَحْرَى بْنَ عَمْرٍو ، وَحَيَّيَّ بْنَ أَخْطَبَ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا ﴾ ^(٦) ، نَزَلَتْ فِي الْجَلَّاسِ بْنِ الصَّامِتِ وَمُعْتَبَرِ بْنِ قُشَيْرٍ وَرَافِعِ بْنِ زَيْدٍ وَبَشَرٍ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ ^(٧) ، سُمِّيَ مِنْهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ﴾ ^(٨) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي هَلَالِ بْنِ عُومِرِ الْأَسْلَمِيِّ وَسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ الْمَدَلَجِيِّ ، وَفِي خُرَيْمَةَ ^(٩) بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

(٣) آل عمران ١٩٩

(٢) آل عمران ١٨١

(١) آل عمران ١٧٣

(٦) النساء ٦٠

(٥) النساء ٤٤

(٤) النساء ١٠

(٩) في الأصول : ٥٠ بنى

(٨) النساء ٩٠

(٧) النساء ٧٧

جذبة ، وما أثبتته من تفسير القرطبي ٣٠٩ :

﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ ﴾ ^(١)، قال الشَّذِّي: نزلت في جماعة، منهم نُعَيْم بن مسعود الأشجعيّ.

﴿ إِنِّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٢) سَمَّى عكرمة منهم عليّ بن أمية بن خلف والحارث بن زمة وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا العاصي بن منبه ابن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه.

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ ^(٣) سَمَّى منهم ابنُ عباس وأمه أم الفضل وعياش بن أبي ربيعة وسلة بن هشام.

﴿ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ^(٤)، بنو أيرق: بشر وبُشير ومبشر.

﴿ لَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ ﴾ ^(٥)، هم أسيد بن عروة وأصحابه.

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ ^(٦) سَمَّى من المسفتين خولة بنت حكيم.

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٧)، سَمَّى منهم ابن عسكر كعب بن الأشرف وفنحاصاً.

﴿ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(٨) قال ابنُ عباس: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ^(٩) سَمَّى منهم جابر بن عبد الله.

﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١٠) سَمَّى منهم الحطيم بن هند البكري.

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ ^(١١)، سَمَّى منهم عدى بن حاتم وزيد بن المهمل

الطائيان وعاصم بن عدى وسعد بن خيشمة وعويمر بن ساعدة.

﴿ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا ﴾ ^(١٢)، سَمَّى منهم كعب بن الأشرف وحُيَّ بن أخطب.

(٣) النساء ٩٨

(٦) النساء ١٢٧

(٩) النساء ١٧٦

(١٢) المائدة ١١

(٢) النساء ٩٧

(٥) النساء ١١٣

(٨) النساء ١٦٢

(١١) المائدة ٤

(١) النساء ٩٠

(٤) النساء ١٠٧

(٧) النساء ١٥٣

(١٠) المائدة ٢

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً...﴾ ^(١) الآيات ، نزات في الوفد الذين جاءوا من عند النجاشي وم انا عشر ، وقيل ثلاثون ، وقيل سبعون ، وسمى منهم إدريس وإبراهيم والأشرف وتميم وتمام وحديد .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ^(٢) ، سَمِيَ مِنْهُمْ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبِي بْنُ خَلْفٍ ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ .

﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ^(٣) ، سَمِيَ مِنْهُمْ صُهَيْبُ وَبِلَالُ وَعُمَارُ وَخَبَّابُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَسُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ .

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَتَزَلَّ اللَّهُ هَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(٤) ، سَمِيَ مِنْهُمْ فَنَحَاصُ وَمَالِكُ بْنُ الضَّيْفِ .

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ ^(٥) ، سَمِيَ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ ^(٦) ، سَمِيَ مِنْهُمْ حَمْلُ بْنُ قُثَيْرٍ وَشُمُويلُ بْنُ زَيْدٍ .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ^(٧) ، سَمِيَ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

﴿وَإِنْ قَرَيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ ^(٨) ، سَمِيَ مِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَمَنْ الَّذِينَ لَمْ يَكْرَهُوا الْمَقْدَادَ .

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ ^(٩) ، سَمِيَ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(١٠) ، هُمْ أَهْلُ دَارِ الْفَدْوَةِ ، سَمِيَ مِنْهُمْ عَتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ وَأَبُو جَهْلٍ وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ

(٣) الْأَنْعَامُ ٥٢

(٦) الْأَعْرَافُ ١٨٧

(٩) الْأَغَالِ ١٩

(٧ م - الْإِنْفَالُ ج ٤)

(٢) الْأَنْعَامُ ٨

(٥) الْأَنْعَامُ ١٢٤

(٨) الْأَغَالِ ٥

(١) الْمَائِدَةُ ٨٢

(٤) الْأَنْعَامُ ٩١

(٧) الْأَغَالِ ١

(١٠) الْأَغَالِ ٣٠

والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأمّية ابن خلف .

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ... ﴾ ^(١) ، الآية ، سُمّيَ منهم أبو جهل والنضر بن الحارث .

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ ^(٢) ، سُمّيَ منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة والعاصي ابن منبّه .

﴿ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى ﴾ ^(٣) ، كانوا سبعين ، منهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وسهيل بن بيضاء .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ، سُمّيَ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك بن الضيف .

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ ^(٥) ، سُمّيَ من المطّوعين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى . ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ^(٥) ، أبو عقيل ورفاعة ابن سعد .

﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ ﴾ ^(٦) ، سُمّيَ منهم العرياض بن سارية وعبد الله ابن مفضل المزني وعمرو المزني وعبد الله بن الأزرق الأنصاري وأبو ليلى الأنصاري .

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ ^(٧) ، سُمّيَ منهم عويم بن ساعدة .

﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ^(٨) ، نزلت في جماعة ، منهم عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة .

(٣) الأنفال ٧٠

(٦) التوبة ٩٢

(٢) الأنفال ٤٩

(٥) التوبة ٧٩

(٨) النحل ١٠٦

(١) الأنفال ٣٢

(٤) التوبة ٣٠

(٧) التوبة ١٠٧

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ ^(١) ، هم طائوت وأصحابه .

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس : نزلت في رجال من قريش ،

منهم أبو جهل وأمّية بن خلف .

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ ^(٣) ، سَمَّى ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَائِلِي ذَلِكَ

عبد الله بن أبي أمّية وذريته .

﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَلَكَ﴾ ^(٤) ، سَمَّى مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ نُوْفَلٍ .

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُبْزَكُوا﴾ ^(٥) ، هم المؤذون على الإسلام بمكة ، منهم عمار بن ياسر .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ^(٦) ، سَمَّى مِنْهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ^(٧) ، سَمَّى مِنْهُمْ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ .

﴿فَبَيْنَهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ ^(٨) ، سَمَّى مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ .

﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ ^(٩) ، أَوَّلُ مَنْ يَقُولُ جَبْرِيلُ فَيَتَّبِعُونَهُ .

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ ^(١٠) ، سَمَّى مِنْهُمْ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعْطٍ وَأَبُو جَهْلٌ وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ

وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ الْأَسُودُ بْنُ يَفُوثَ .

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ ^(١١) ، سَمَّى مِنَ الْقَائِلِينَ أَبُو جَهْلٌ ، وَمِنَ الرِّجَالِ عَمَارُ وَبِلَالٌ .

﴿نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ ^(١٢) ، سَمَى مِنْهُمْ زُوبَعَةُ وَحَسَى وَمَسِيٌّ وَشَاحِرٌ وَمَاصِرٌ وَالْأَزْدُ

وَإِنِّيَانُ وَالْأَحْقَمُ وَسَرَقٌ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبْنِئُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ ^(١٣) ، سَمَّى مِنْهُمْ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ

وَالزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعُمَيْيَةُ بْنُ حِصْنٍ وَعُمَرُو بْنُ الْأَهَمِّ .

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ ^(١٤) ، قَالَ السُّدِّيُّ : نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَفِيلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ ^(١٥) ، نَزَلَتْ فِي قَتِيلَةَ أُمِّ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ

(١) الإسراء ٩٠

(٢) التنبؤات ١٢

(٣) سبأ ٢٣

(٤) الأخفاف ٢٩

(٥) المتحنة ٨

(٦) الإسراء ٧٣

(٧) التنبؤات ١

(٨) الأحزاب ٢٣

(٩) من ٦٢

(١٠) المجادلة ٤

(١) الإسراء ٥٥

(٢) القصص ٥٧

(٣) لقمان ٦

(٤) من ٨

(٥) المجارات ٤

﴿ إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ ^(١٥) ، سُمِّيَ مِنْهُنَّ أُمُ كَلْثُومُ بِنْتُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ ، وَأُمِّيَّةُ بِنْتُ بَشْرٍ .

﴿ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا ﴾ ^(١) ، ﴿ يَقُولُونَ لَيْنِ رَجَعْنَا ﴾ ^(١) سُمِّيَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي .
﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ... ﴾ ^(٢) ، الْآيَةُ ، سُمِّيَ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِسْرَافِيلُ وَلِبْنَانُ وَرُوفِيلُ .

﴿ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ ^(٣) ذُو نَوَاسٍ وَزُرْعَةُ بْنُ أَسَدٍ الْجَمْرِيُّ وَأَصْحَابُهُ .
﴿ أَصْحَابُ الْفِيلِ ﴾ ^(٤) ، هُمُ الْحَبَشَةُ ، قَانِذِمُ أَبْرَهَةَ الْأَثَرَمِ وَدَلِيلُهُمْ أَبُو رِغَالٍ .
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٥) ، نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَالْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدِ ابْنِ الْمَطْلَبِ وَأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ .

﴿ النَّفَّاثَاتِ ﴾ ^(٦) ، بَنَاتُ كَلْبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ .

* * *

وَأَمَّا مَبْهَمَاتُ الْأَقْوَامِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْأَمْكَنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَقَدْ اسْتَوْفَيْتِ الْكَلَامَ عَالِيهَا فِي تَأْلِيفِنَا الْمَشَارِ إِلَيْهِ .

(٣) الحاقة ١٧

(٦) الكافرون ١

(٣) المنافقون ٧ ، ٨

(٥) الفيل ١

(١) المنتحة ١٠

(٤) البروج ٤

(٧) الفلق ٣

النَّوْحُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ

فِي أَسْمَاءِ مَنْ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ

رَأَيْتُ فِيهِمْ تَأْلِيفًا مَفْرَدًا لِبَعْضِ الْقَدَمَاءِ ؛ لَكِنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّرٍ ، وَكُتِبَ أَسْبَابُ النُّزُولِ وَالْمَبَاهِاتُ يَفْنِيَانِ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : ذَكَرَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ الطَّحَّانِ ، أَنَبَانَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَنَبَانَا قَيْسٌ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنِ الْمُهَالِ ، عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ : مَا فِي قُرَيْشٍ أَحَدٌ إِلَّا وَنَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ ؛ قِيلَ لَهُ : مَا نَزَلَ فِيكَ ؟ قَالَ : ﴿ وَيَقْتُلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ .^(١)

وَمِنْ أَمْثَلِهِ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالٍ فِي الْأَدَبِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾^(٢) ، ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾^(٣) ، وَآيَةِ تَحْرِيمِ الْحَمْرِ ، وَآيَةِ الْمِيرَاثِ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ رِفَاعَةَ الْقُرْظِيِّ ، قَالَ : نَزَلَتْ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾^(٤) فِي عَشْرَةِ ، أَنَا أَحَدُهُمْ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي جُمُعَةَ جَنْيدِ بْنِ سَبْعٍ - وَقِيلَ : حَبِيبِ بْنِ سَبْعٍ - قَالَ : فِينَا نَزَلَتْ ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ﴾^(٥) ، وَكُنَّا تِسْعَةَ عَشَرَ ، سَبْعَةُ رِجَالٍ وَامْرَأَتَيْنِ .

النوع الثاني والسبعون

في فضائل القرآن

أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبي شيبة ، والنسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون ، وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفي بعض السور على التعيين ، ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة ، ولذلك صنف كتاباً سمّيته « خاتل الزهر في فضائل السور » ، حرّرت فيه ما ليس بموضوع .

وأنا أورد في هذا النوع فصلين :

الفصل الأول

فيما ورد في فضله على الجملة

أخرج الترمذی والدّارمی وغيرهما من طريق الحارث الأعور ، عن عليّ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون قتن » ، قلت : فما الخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله » ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، هو الحبل المتين ، وهو الذّكر الحكيم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم .

وأخرج الدارمی ، من حديث عبد الله بن عمرو ، مرفوعاً : « القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن » .

وأخرج أحمد والترمذی من حديث شدّاد بن أوس : « ما من مسلم يأخذ بضجعه ، فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلّا وكلّ الله به ملكاً يحفظه ، فلا يقره شيء يؤذيه ، حتى يهب متى يهب » .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجحد مع من يجحد ، ولا يجهل مع من يجهل ، وفي جوفه كلام الله » .

وأخرج البزار ، من حديث أنس ، « أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره » .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر : « ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ، ولا ينالهم الحساب ، هم على كتيب من مسك ، حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ، وأمّ به قوماً وهم به راضون... » الحديث .

وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة : « القرآن غنى لا فقر بعده ، ولا غنى دونه » .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عتبة بن عامر : « لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار » . قال أبو عبيد : أراد بالإهاب قلب المؤمن ، وجوفه الذي قد وعى القرآن وقال [غيره] ^(١) : معناه أن جمع القرآن ، ثم دخل النار فهو شرّ من الخنزير . وقال ابن الأنباري : معناه أن النار لا تبطله ، ولا تقلعه من الأسباع التي وعته ، والأفهام التي حصلت ، كقوله في الحديث الآخر « أنزلت عليك كتاباً لا يفصله الماء » ، أي ، لا يبطله ، ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه ؛ لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يفصله بالقلع من القلوب .

وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك : « لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقتة النار » .

وعنده من حديث سهل بن سعد : « لو كان القرآن في إهاب مامسته النار » .

وأخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس : « من قرأ القرآن يقوم به آناه الليل والنهار يُحِلُّ حلاله ، ويحرِّم حرامه ، حرَّم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيقاً^(١) السَّفَرَةِ ، الكرام البررة ؛ حتى إذا كان يومُ القيامة كان القرآن حجة له . »

وأخرج أبو عبيد ، عن أنس مرفوعاً : « القرآن شافع مشفع ، وماجد مصدق ، مَنْ جعله إمامه قاده إلى الجنة ، وَمَنْ جعله خلفه ساقه إلى النار . »

وأخرج الطبراني من حديث أنس . « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة . »

وأخرج النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس ، قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته . »

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَحْدِثَ ثَلَاثَ^(٢) خَلِيفَاتٍ عِظَامِ سَمَانٍ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « ثَلَاثَ آيَاتٍ يقرأ بهنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِيفَاتِ سَمَانٍ . »

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله : « خير الحديث كتاب الله . »

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس : « من قرأ القرآن في سبيل الله كَتَبَ مع الصَّادِقِينَ والشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحُسِّنَ أَوَّلُكَ وَرَفِيقاً . »

وأخرج الطبراني في الأوسط ، من حديث أبي هريرة : « ما من رجل يعلِّم ولده القرآن إِلَّا تَوَجَّحَ يومُ القيامة بتاج في الجنة . »

وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس : « من قرأ القرآن فأكله ، وعَمِلَ بِهِ ، أَلْبَسَ والده تاجاً يومُ القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس ، في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فاظنُّكم بالذي عمل بهذا ! »

وأخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث علي : « مَنْ قرأ القرآن فاستظهره ،

فأحلّ حلاله وحرّم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفّعه في عشرة من أهل بيته، كلّمهم قد وجبت لهم النار .

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة : « مَنْ تعلّم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه » .

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة : « الماهر بالقُرآن ، مع السّفرة الكرام والبرّة ؛ والذي يقرأ القُرآن ويتنمّع فيه وهو عليه شاقّ ، له أجران » .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث جابر : « من جمع القُرآن كانت له عند الله دعوةٌ مستجابة ، إن شاء عجلها في الدنيا ، وإن شاء أدّخرها في الآخرة » .

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى : « مثل المؤمن الذي يقرأ القُرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القُرآن ، كمثل التّمرّة طعمها طيب ، ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القُرآن كمثل الرّيحانة ، ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القُرآن كمثل الحنظلة طعمها مرّ ، ولا ريح لها » .

وأخرج الشيخان من حديث عثمان : « خيركم - وفي لفظ : إن أفضلكم - مَنْ تعلّم القُرآن وعلمه » - زاد البيهقي في الأسماء : « وفضل القُرآن على سائر الكلام كمفضل الله على خلقه » .

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القُرآن كالبيت الخرب » .

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي ذرّ : « لَأَنْ تَعْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ » .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس : « من تعلّم كتاب الله ثم اتّبع ما فيه ، هداه الله به من الضلالة ، وبوقاه يوم القيامة سوء الحساب » .

وأخرج ابن أبي شَيْبَةَ من حديث أَبِي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيُّ : « إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ سَبَبٌ ،
طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا ، وَلَنْ تَهْلِكُوا
بَعْدَهُ أَبَدًا » .

وأخرج الدَّبْلَمِيُّ من حديث عَلِيٍّ : « حَمَلَةُ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » .
وأخرج الْحَاكِمُ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ : « يُحْيِي صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَيَقُولُ : الْقُرْآنُ يَارَبَّ حَلِّهِ ، فَيَأْبِسُ تَاجُ الْكِرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَارَبَّ زِدْهُ ، يَارَبَّ ارْضَ
عَنْهُ ، فَيَرْضَى عَنْهُ ، وَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقُءْ ، وَيَزَادُ لَهُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةٌ » .

وأخرج من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : « الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ » .
وأخرج من حديث أَبِي ذَرٍّ : « إِنْكُمْ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ »
- يَعْنِي الْقُرْآنَ .

* * *

الفصل الثاني

فِيمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ سُورٍ بَعْضِهَا

مَا وَرَدَ فِي الْقَافَةِ

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ مَرْفُوعًا : « مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أَمِّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ : « أَخْيَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ : « أَفْضَلُ الْقُرْآنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وَالْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمَعَالِيِّ : « أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وأخرج عبد الله في مسنده من حديث ابن عباس : « فآتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن .

ماورد في البقرة وآل عمران

أخرج أبو عبيد من حديث أنس « أن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » .

وفي الباب من ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن مغفل . وأخرج مسلم والترمذي ، عن حديث النواس بن سمعان : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به ، تقدمهم سورة البقرة وآل عمران » . وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ، مانسيتهن بعد ، قال : « كأنها غامتان أو غيابتان ^(١) أو ظلتان سوداوان بينهما شرف ، أو كأنها فرقان من طير صواف ^(٢) يحاجان عن صاحبيهما » .

وأخرج أحمد من حديث بريدة : « تعلموا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة ، تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ^(٣) ، تظللان صاحبيهما يوم القيامة ، كأنهما غامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف » .

وأخرج ابن حبان وغيره من حديث سهل بن سعد : « إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته نهراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليالٍ » .

(١) الغامة والغيابة : كل شيء أظل الانسان فوق رأسه ، سحابة أو غيرهما . وانظر صحيح مسلم ، ص ٥٥٣ .
(٢) الصواف : هي من الطيور لا تبسط أجنحتها
(٣) سميتا الزهراوان بنورهما وهمايتهما .

وأخرج البيهقي في الشعب من طريق الصلصال : « من قرأ سورة البقرة تَوَجَّجَ بتاج في الجنة » .

وأخرج أبو عبيد عن عمر بن الخطاب موقوفاً : « من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كتب من القانتين » .

وأخرج البيهقي من مرسل مكحول : « من قرأ سورة وآل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل » .

فصل

ماورد في آية الكرسي

أخرج مسلم من حديث أبي بن كعب : « أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي » .
وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة « إن لكل شئ سناماً ، وإن سنام القرآن البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن ؛ آية الكرسي » .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة ، عن الحسن مرسلًا : « أفضل القرآن سورة البقرة ، وأعظم آية فيها آية الكرسي » .

وأخرج ابن حبان والنسائي من حديث أبي أمامة : « من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » .

وأخرج أحمد من حديث أنس : « آية الكرسي ربيع القرآن » .

ماورد في خواتيم البقرة

أخرج الأئمة الستة ، من حديث أبي مسعود : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتْ » .

وأخرج الحاكم من حديث النعمان بن بشير : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق

السموات والأرض بالف عام ، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرءان في دار فيقرء بها شيطان ثلاث ليال .

ماورد في آخر آل عمران

أخرج البيهقي من حديث عثمان بن عفان: « من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة » .

ماورد في الأنعام

أخرج الدارمي وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفاً: « الأنعام من نواجب (١) القرآن » .

ماورد في السبع الطوال

أخرج أحمد والحاكم من حديث عائشة: « من أخذ السبع الطوال فهو خير » .

ماورد في هود

أخرج الطبراني في الأوسط بسندٍ واهٍ من حديث علي: « لا يحفظ منافق سوراً: براءة ، وهود ، ويس ، والدخان ، وعم يساءلون » .

ماورد في آخر الإسراء

أخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس: « آية المزمز ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ إلى آخر السورة .

ماورد في الكهف

أخرج الحاكم من حديث أبي سعيد « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجنتين » .

وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء: « مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة

(لهم جلال)

الكهف عصم من الرجال .

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه . ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء .
وأخرج البزار من حديث عمر : « من قرأ في ليلة ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ... ﴾ الآية ، كان له نور من عدن أبين إلى مكة ، حشوه الملائكة » .

ما ورد في ألم السجدة

أخرج أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع « تحيى ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها ، فتقول : لا سبيل عليك ، لا سبيل عليك » .
وأخرج عن ابن عمر موقوفاً قال : « في تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرها من سور القرآن » .

ما ورد في يس

أخرج أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم من حديث معقل بن يسار : « يس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ؛ اقرءوها على موتاكم » .
وأخرج الترمذي والدارمي من حديث أنس : « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » .
وأخرج الدرايم والطبراني من حديث أبي هريرة : « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له » .
وأخرج الطبراني من حديث أنس : « من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات ، مات شهيداً » .

ما ورد في الحواميم

أخرج أبو عبيد عن ابن عباس موقوفاً : « إن لكل شيء لباباً ، وللباب القرآن الحواميم » .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود موقوفاً : « الحواميم ديباج القرآن » .

ما ورد في الدخان

أخرج الترمذى وغيره من حديث أبى هريرة : « مَنْ قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » .

ما ورد فى الفصل

أخرج الدارمى عن ابن مسعود موقوفاً : « إن لكل شىء لباباً وللباب القرآن الفصل » .

الرحمن

أخرج البيهقى من حديث على مرفوعاً « لكل شىء عروس وعروس القرآن الرحمن » .

المسبحات

أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن عرياض بن سارية ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ، ويقول فيهن : « آية خير من ألف آية » . قال ابن كثير فى تفسير الآية المشار إليها قوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) .

وقد أخرج ابن السكيت عن أنس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أومئ رجلأ إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر ، وقال : « إن مت مت شهيداً » .

وأخرج الترمذى من حديث معقل بن يسار : « من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكل الله به سبعين ألف ملك ، يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالمها حين يمسى كان بتلك المزة » .

وأخرج البيهقى من حديث أبى أمامة : « من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار ، فمات فى يومه أو ليلته ، فقد أوجب الله له الجنة » .

تبارك

أخرج الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة : « في القرآن سورة ثلاثون آية ، شَفَعَتْ لرجل حتى غفر له ؛ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » .

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس : « هي المانعة ، هي المنجية ، تنجى من عذاب القبر » .

وأخرج الحاكم من حديثه : « وددت أنها في قلب كل مؤمن ؛ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ » .

وأخرج النسائي من حديث ابن مسعود : « من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة ، منعه الله بها من عذاب القبر » .

الأعلى

أخرج أبو عبيد عن أبي تميم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني نسيبت أفضل المسبحات ، فقال أبي بن كعب : لعليها « سَبِّحْ أَمِّم رَبِّكَ الْأَعْلَى » ؟ قال : نعم .

القيمة

أخرج أبو نعيم في الصحابة ، من حديث إسماعيل بن أبي حكيم المزني الصحابي مرفوعاً : « إن الله ليسمع قراءة « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا » ، فيقول : أبشر عبي ، فوعزني لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى » .

الزلزلة

أخرج الترمذي من حديث أنس : « مَنْ قَرَأَ إِذَا زُلْزِلَتْ ، عُذِلَتْ لَهُ بنصف القرآن »

الماديات

أخرج أبو عبيد من مرسل الحسن : « إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن ، والماديات تعدل بنصف القرآن » .

الهاكم

أخرج الهاكم من حديث ابن عمر مرفوعاً : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ » قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ! قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر ! » .

الكافرون

أخرج الترمذي من حديث أنس : « قل يا أيها الكافرون رُبِع القرآن » .
وأخرج أبو عبيد من حديث ابن عباس قال : « يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » .
وأخرج أحمد والهاكم من حديث نوفل بن معاوية : « اقرأ قل يا أيها الكافرون ، ثم نم على خاتمها ، فإنها براءة من الشرك » .
وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عباس : « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله ؟ تقرأون قل يا أيها الكافرون عند منامكم » .

النصر

أخرج الترمذي من حديث أنس : « إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن » .

الإخلاص

أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة : قل هو الله أحد تعدل ثلث

القرآن . وفي الباب عن جماعة من الصحابة ، وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن الشَّخِير : « مَنْ قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأ كفها حتى تميزه الصراط إلى الجنة » .

وأخرج الترمذی من حديث أنس : « مَنْ قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتي مرة محي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين ، ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ، ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب : يا عبدی ، ادخل عن يمينك الجنة » .

وأخرج الطبراني من حديث ابن الديلمی : « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج في الأوسط من حديث أبي هريرة : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بُني له قصر في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بُني له قصران ، ومن قرأها ثلاثين مرة بُني له ثلاث » .

وأخرج في الصغير من حديثه : « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة ، فكأنما قرأ القرآن أربع مرات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى » .

المعوذتان

أخرج أحمد من حديث عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أعلمك سوراً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت : بلى ، قال : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

وأخرج أيضاً من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أخبرك

بأفضل ما تعود به التعمدون ؟ » قال : بلى ، قال : « قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

وأخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن خبيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تُمسي وحين تصبح ، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » .

وأخرج ابن السني عن حديث عائشة : « مَنْ قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله من السوء إلى الجمعة الأخرى » .

وبقيت أحاديث من هذا الفصل آخرتها إلى نوع الخواص .

تنبيه

أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة ، فإنه موضوع ، كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي ، أنه قيل لأبي عصمة الجامع : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : أني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق ؛ فوضعت هذا الحديث حسبةً .

وروى ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء ، عن ابن مهدي ، قال : قلت لیسرة بن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث ، من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها .

ورويانا عن المؤمل بن إسماعيل ، قال : حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة ، فقال : حدثني رجل بالمدين ، وهو حي ، فصرت إليه ، فقلت له : مَنْ حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بواسط وهو حي ، فصرت إليه ، فقلت له : مَنْ

حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بالبصرة ، فصرت إليه ، فقلت له : مَنْ حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بمبّادان ، فصرت إليه ، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً ، فإذا فيه قوم من المتصوفة ، ومعهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ حدثني ، فقلت : يا شيخ مَنْ حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رَغِبُوا عن القرآن ، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحد من المفسرين ومن ذكره من المفسرين في إبداعه تفاسيرهم .

النوع الثالث والتسعون
في أفضل القرآن وفائده

اختلف الناس : هل في القرآن شيء أفضل من شيء ؟ فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان إلى النعم ، لأن الجميع كلام الله ؛ ولثلاث يوم التفضيل نقص المفضل عليه . ورؤي هذا القول عن مالك ، قال يحيى بن يحيى : تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ؛ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها .

وقال ابن حبان في حديث أبي بن كعب : ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطي لقارئ أم القرآن ، إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ، وأعطاه من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه ، قال : وقوله : « أعظم سورة » ، أراد به الأجر ؛ لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وذهب آخرون إلى التفضيل لطواهر الأحاديث ، منهم إسحاق بن راهوية وأبو بكر بن العربي والغزالي .

وقال القرطبي : إنه الحق ، ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين .

وقال الغزالي في جواهر القرآن : لعلك أن تقول : قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض ، والكلام كلام الله ، فكيف يفارق بعضها بعضاً ؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض ! فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص وسورة تبت ، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستفرقة بالتقليد ، فقل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي أنزل عليه القرآن

وقال : يس قلب القرآن ، وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن ، وآية الكرسي سيده
آى القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ؛ والأخبار الواردة فى فضائل القرآن
وتخصيص بعض السور والآيات بالنزل وكثرة الثواب فى تلاوتها لا تحصى . انتهى .

وقال ابن الحصار : العجب ممن يذكر الاختلاف فى ذلك ، مع النصوص
الواردة بالتفضيل !

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : كلام الله فى الله أفضل من كلامه فى غيره ،
قل هو الله أحد ، أفضل من تبت يدا أبى لهب .

وقال الخوئى : كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين ، وهل يجوز أن يقال : بعض كلامه
أبلغ من بعض الكلام ؟ جوزه قوم لقصور نظرهم .

وينبغى أن تعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا ، أن هذا فى موضعه
له حسن ولطف ، وذلك فى موضعه له حسن ولطف ، وهذا الحسن فى موضعه أكل
من ذاك فى موضعه . قال : فإن من قال : إن قل هو الله أحد أبلغ من تبت يدا أبى لهب ،
يحمل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافر ؛ وذلك
غير صحيح ، بل ينبغى أن يقال : تبت يدا أبى لهب دعاء عليه بالخسران ؛ فهل توجد
عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك فى قل هو الله أحد ؛ لا توجد عبارة
تدل على الوحدة أبلغ منها ؛ فالعالم إذا نظر إلى تبت يدا أبى لهب فى باب الدعاء بالخسران ،
ونظر إلى قل هو الله أحد فى باب التوحيد ، لا يمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الآخر . انتهى .

وقال غيره : اختلف القائلون بالتفضيل ، فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظم الأجر
ومضاعفة الثواب ؛ بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود
أوصاف الملائكة .

وقيل : بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ ... ﴾ الآية ، وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص من الدلالات

على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً ، مثلاً في تبتّ بدا أبي لب ، وما كان مثلها ،
فالتفضيلُ إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها .

وقال الحليمي ، ونقله عنه البيهقي : معنى التفضيل يرجع إلى أشياء :

أحدها ، أن يكون العمل بآية أولى من العمل بأخرى ، وأعوذ على الناس ؛ وعلى
هذا يقال : آيات الأمر والنهي ، والوعد والوعيد خير من آيات القصص ، لأنها إنما يريد بها
تأكيد الأمر والنهي والإبذار والتبشير ، ولا غنى للناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون
عن القصص ، فكان ما هو أعوذ عليهم وأنفع لهم ، مما يجري مجرى الأصول ، خيراً لهم
مما يجعل تبعاً لما لا بد منه .

الثاني : أن يقال : الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته ،
والدلالة على عظمته أفضل ؛ بمعنى أن مخبراتها أسنى ، وأجلّ قدرأ .

الثالث : أن يقال سورة خير من سورة ، أو آية خير من آية ، بمعنى أن القارىء
يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ، ويتأدى منه بتلاوتها عبادة ، كقراءة آية
الكرسى والإخلاص والمعوذتين ؛ فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز عما يخشى ، والاعتصام
بالله ، ويتأدى بتلاوتها عبادة لله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات الملا على
سبيل الاعتقاد لها ، وسكون النفس إلى فضل ذلك بالذكر وبركته ؛ فأما آيات الحكم ،
فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما يقع بها علم .

ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور ، بمعنى أن التعبد
بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها ، أو أنه من حيث
الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج
أولئك الأنبياء ، بل كانت دعوتهم والحجج غيرها ، لكان ذلك أيضاً نظير ما مضى .

وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ، لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما
سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ

بها هذا المقدار لا يظهر لنا ، كما يقال : إن يوماً أفضل من يوم ، وشهراً أفضل من شهر ، بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره ، والذنب فيه أعظم منه في غيره ، وكما يقال إن الحرم أفضل من الحل ، لأنه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره . انتهى كلام الحليسي .

وقال ابن التين في حديث البخاري : « لأعلمنك سورة هي أعظم السور » معناه أن ثوابها أعظم من غيرها .

وقال غيره : إنما كانت أعظم السور ، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ؛ ولذلك سميت أم القرآن .

وقال الحسن البصري : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة . أخرجه البيهقي .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري ، باشتمالها على الثناء على الله تعالى بما هو أهله ، وعلى التعبد بالأمر والنهي وعلى الوعد والوعيد ، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور .

وقال الإمام نضر الدين : المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات ، والمعاد ، والنبوات ، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى ، فقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يدل على الإلهيات ، وقوله : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، يدل على المعاد ، وقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين . ﴾ يدل على نفى الجبر ، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ، إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله ، وعلى النبوات . فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة ، وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن .

١. وقال البيضاوى : هى مشتملة على الحِكم النظرية والأحكام العملية ، التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء .

وقال الطيبي : هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين : أحدها علم الأصول ، ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ومعرفة النبوة وهى المرادة بقوله : ﴿ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ومعرفة المعاد ، وهو الموعى إليه بقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .
وثانيها علم الفروع ، وأشهُ المبادات ، وهو المراد بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ .

وثالثها : علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية ، والاتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .

ورابعها علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة ، والقرون الخالية ، السعداء منهم والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد بحسنهم ووعد مسيئهم ، وهو المراد بقوله : ﴿ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

وقال الغزالي : مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمة ، وثلاثة متنة ، الأولى تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها ، وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرَّح به فيها ، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة ، كما أشير إليه : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، والأخرى تعريف أحوال المطيعين ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ الَّذِينَ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وحكاية أقوال الجاحدين ، وقد أشير إليها : ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . انتهى .

ولا ينافى هذا وصفها فى الحديث الآخر بكونها « ثلثى القرآن » ، لأن بعضهم وجهه بأن دلالات القرآن الكريم ، إما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمن ، أو بالالتزام ، وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة ،

والاثنتان من الثلاثة ثلثان، ذكره الزركشي في شرح التنبيه وناصر الدين بن الميلي، قال :
وأيضاً الحقوق ثلاثة : حق الله على عباده ، وحق العباد على الله ، وحق بعض العباد
على بعض ، وقد اشتملت الفاتحة صريحاً على الحقين الأولين ، فناسب كونها بصريحها
ثلثين . وحديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » شاهد لذلك .

قلت : ولا تنافي أيضاً بين كون الفاتحة أعظم السور ، وبين الحديث الآخر أن
البقرة أعظم السور ؛ لأن المراد به ماعدا الفاتحة من السور التي فصلت فيها الأحكام ،
وضربت الأمثال ، وأقيمت الحجج ؛ إذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ، ولذلك
سُميت فسطاط القرآن .

قال ابن العربي في أحكامه : سمعت بعض أشياخي يقول : فيها ألف أمر ، وألف
نهي ، وألف حكم ، وألف خير ؛ ولعظيم قهها أقام ابن عمر ثمانين سنة على تعليمها .
أخرجه مالك في الموطأ .

وقال ابن العربي أيضاً : إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها ،
فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه وتعلقاته ، وهي في آية القرآن كسورة
الإخلاص في سورته ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين :

أحدهما : أنها سورة ؛ وهذه آية ، والسورة أعظم لآية وقع التحدي بها ، فهي
أفضل من الآية التي لم يتحد بها .

والثاني : أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً ، وآية الكرسي
اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً ، فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين
حرفاً ، ثم يعبر عنه بخمسة عشر ، وذلك بيان لعظيم القدرة والافراد بالوحدانية .

وقال بن المنير : اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى ؛
وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً ، فيها اسم الله تعالى ظهراً في بعضها ومستكناً في
بعض ، وهي : الله ، هو ، الحي ، القيوم ، ضمير « لاناخذ » ، و « له » ، و « عنده »

و « ياذنه » ، و « يعلم » و « علمه » ، و « شاء » ، و « كرسيه » ، و « يؤده » ، ضمير « حفظها » المستتر الذي هو فاعل المصدر ، وهو ، العليّ ، العظيم . وإن عدّدت الضمائر المتحمّله في الحى ، القيوم ، العليّ ، العظيم ، والضمير المقدّر قبل « الحى » على أحد الأعراب ، صارت اثنين وعشرين .

وقال الفزائى : إنّما كانت آية الكرمى سيّدة الآيات ، لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ؛ ليس فيها غير ذلك ، ومعرفة ذلك هى المقصد الأقصى فى العلوم ، وماعداه تابع له ، والسيد اسم للمتبوع المقدم ، قوله : « الله » ، إشارة إلى الذات ، « لا إله إلا هو » إشارة إلى توحيد الذات ، « الحى القيوم » إشارة إلى صفة الذات وجلاله فإن معنى « القيوم » الذى يقوم بنفسه ، ويقوم به غيره ، وذلك غاية الجلال والعظمة . « لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث ، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة ، « لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » إشارة إلى الأفعال كلها وأن جميعها منه وإليه ، « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، إشارة إلى ائتراده بالملك والحكم والأمر ، وأن من يملك الشفاعة ، إنما يملكها بتشريفه بإياه والإذن فيها ، وهذا نقي الشراكة عنه فى الحكم والأمر ، « يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ » إلى قوله : « شاء » إشارة إلى صفة العلم ، وتفضيل بعض المعلومات والافراد بالعلم ، حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه ، على قدر مشيئته وإرادته ، « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » ، إشارة إلى عظمة ملكه وكال قدرته ، « وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا » إشارة إلى صفة القدرة وكالها وتنزيهاها عن الضعف والنقصان ، « وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » إشارة إلى أصلين عظيمين فى الصفات .

فإذا تأملت هذه المعانى ، ثم تلوت جميع آى القرآن ، لم تجد جملتها مجموعة فى آية واحدة ، فإن « شهد الله » ليس فيها إلا التوحيد ، وسورة

الإخلاص ليس فيها إلا التوحيد والتقديس ، و « قل اللهم مالك الملك » ليس فيها إلا الأفعال ، والفاخرة فيها الثلاثة ؛ لكن غير مشروحة بل مرموزة ، والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسي . والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر وأول الحديد ؛ ولكنها آيات لا آية واحدة ، فإذا قابت آية الكرسي بأحد تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد ، فلذلك استحققت السيادة على الآي ؛ كيف وفيها الحى القيوم ، وهو الاسم الأعظم كما ورد به الخبر ! انتهى كلام الغزالي .

ثم قال : إنما قال صلى الله عليه وسلم في الفاتحة « أفضل » وفي آية الكرسي « سيدة » لسرٍّ ، وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل ؛ فإن الفضل هو الزيادة ، والأفضل هو الأزيد ، وأما السؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذى يقتضى الاستتباع وبأبى التبعية ، والفاخرة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة ؛ فكانت أفضل ، وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى ؛ التى هى المقصودة للنبوة التى يتبعها سائر المعارف ؛ فكان اسم السيد بها أليق . انتهى .

ثم قال فى حديث : « قلب القرآن يس » : إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرر فى هذه السورة بأبلغ وجه ، فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الإمام نجر الدين

وقال النسفى : يمكن أن يقال إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة : الوجدانية ، والرسالة ، والحشر ؛ وهو القدر الذى يتعلق بالقلب والجنان ، وأما الذى باللسان وبالأركان ، ففى غير هذه السورة ؛ فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلباً ، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر ؛ لأن فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة ، والأعضاء ساقطة ، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ، ورجع عما سواه ، فيقرأ عنده مايزداد به قوة فى قلبه ، ويشدد تصديقه بالأصول الثلاثة . انتهى .

وإختلف الناس فى معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ، فقيل : كأنه

صلى الله عليه وسلم سمع شخصاً يكررها تكرر من يقرأ ثلث القرآن ، فخرج الجواب على هذا . وفيه بُعد عن ظاهر الحديث ، وسائر طرق الحديث تردّه .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورة الإخلاص كلها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار .

وقال الغزالي في الجواهر : معارف القرآن المهمة ثلاثة : معرفة التوحيد ، والصراط المستقيم ، والآخرة . وهي مشتملة على الأول ؛ فكانت ثلثاً .

وقال أيضاً فيما نقله عنه الرازي : القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته ، إما صفات الحقيقة ، وإما صفات الفعل ، وإما صفات الحكم ، فهذه ثلاثة أمور ، وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة ، فهي ثلث .

وقال الخوئي : المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة ، التي بها يصح الإسلام ، ويحصل الإيمان ، وهي معرفة الله والاعتراف بصدق رسوله ، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى ؛ فإن من عرف أن الله واحد ، وأن النبي صادق ، وأن الدين واقع ، صار مؤمناً حقاً ، ومن أنكر شيئاً منها كفر قطعاً . وهذه السور تنفذ الأصل الأول ، فهي ثلث القرآن من هذا الوجه .

وقال غيره : القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ؛ فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث ، وقيل : تعدل في الثواب ، وهو الذي يشهد له ظاهر الحديث والأحاديث الواردة في سورة الزلزلة والنصر والكافرين ، لكن ضعف ابن عقيل ذلك ، وقال : لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله : « من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنة » .

قال ابن عبد البر : المَكُوث في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : « قلْ

هُوَ اللهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القرآن « ماوجهه ؟ فلم يقل لى فيها على أمر ، وقال لى إسحاق ابن راهويه : معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام ، جعل لبعضه أيضاً فضلاً فى الثواب لمن قرأه ، تحريضاً على تعليمه ، لا أن مَنْ قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ؛ هذا لا يستقيم ، ولو قرأها مائتى مرة . قال ابن عبد البر : فهذان إمامان بالسنة ماقاما ولا قعدا فى هذه المسألة .

وقال ابن الملق فى حديث : « إن الزلزلة نصف القرآن » ، لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة ، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالاً ، وزادت على القارعة بإخراج الأتقال وتحديث الأخبار ، وأما تسميتها فى الحديث الآخر ربماً ، فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان ، فى الحديث الذى رواه الترمذى : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر » ، فاقضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذى دعا إليه القرآن .

وقال أيضاً فى سرّ كون « ألهاكم » تعدل ألف آية : إن القرآن ستة آلاف آية ، ومائتا آية وكسر ، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن ، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن ، فإنها فيما ذكره الفزائى ستة ، ثلاث مهمة وثلاث متممة وتقدمت وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة ، والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أنعم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس .

وقال أيضاً فى سرّ كون سورة الكافرين ربماً وسورة الإخلاص ثلثاً ، مع أن كلا منهما يسمّى الإخلاص ، أن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله على مالم تشتمل عليه « الكافرون » ، وأيضاً فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه ونفى إلهية

ماسواه ، وقد صرّحت بالإخلاص بالإثبات والتقدس ، ولوحت إلى نقي عبادة غيره ، والكافرون صرّحت بالنفي ولوحت بالإثبات والتقدس ، فكان بين المرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والرابع . انتهى .

تذنيب

ذكر كثيرون في أثر أن الله جمع علوم الأولين والآخرين في الكتب الأربعة ، وعلومها في القرآن ؛ وعلومه في الفاتحة ، فزادوا علوم الفاتحة في البسمة ، وعلوم البسمة في بائها ، ووُجّه بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الربّ ، وهذه الباء باء الإلصاق ؛ فهي تلصق العبد بجناب الربّ ، وذلك كمال المقصود . ذكره الإمام الرازي وابن النقيب في تفسيرهما .

النوع الرابع والسبعون في مفردات القرآن

أخرج السَّكَنِيُّ في المختار من الطيوريات ، عن الشعبي ، قال : لقيَ عمرُ بن الخطاب ركباً في سفرٍ ، فيهم ابنُ مسعود ، فأمر رجلا يناديهم : من أين القوم ؟ قالوا : أقبلنا من الفَجِّ العميق ، نريد البيت العتيق ، فقال عمر : إن فيهم لعلماً ، وأمر رجلاً أن يناديهم : أيُّ القرآن أعظم ؟ فأجابه عبد الله ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١) قال : نادهم : أيُّ القرآن أحكم ؟ فقال ابن مسعود : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٢) ، قال : نادهم : أيُّ القرآن أجمع ؟ فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ^(٣) ، فقال نادهم : أيُّ القرآن أحزن ؟ فقال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ^(٤) ، فقال نادهم : أيُّ القرآن أرحم ؟ فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ ^(٥) الآية ، فقال : أفيكم ابن مسعود ؟ قالوا : نعم . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه ،

وأخرج عبد الرزاق أيضاً ، عن ابن مسعود ، قال : أعدلُ آية في القرآن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٦) ، وأحكم آية ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ إلى آخرها . وأخرج الحاكمُ عنه ، قال : إن أجمع آية في القرآن للخير والشر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٧) .

وأخرج عنه ، قال : ما في القرآن آيةٌ أعظمُ فرجاً من آية في سورة الغرف : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ ^(٨) الآية ، وما في القرآن

آية أكثر تفويضا من آية في سورة النساء القصصى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... ﴾ ^(١) الآية.

وأخرج أبو ذر الهروى في فضائل القرآن من طريق يحيى بن يعمر ، عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أعظم آية في القرآن : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴾ ^(٢) ، وأعدل آية في القرآن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... ﴾ ^(٣) إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةَ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةَ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ^(٤) ، وأرجى آية في القرآن : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ... ﴾ ^(٥) إلى آخرها .

وقد اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً :
أحدها : آية الزمر .

والثانى : ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَى ﴾ ^(٦) ، أخرجه الحاكم في المستدرک وأبو عبيد عن صفوان بن سليم ، قالا : التقي ابن عباس وابن عمر ، فقال ابن عباس : أى آية في كتاب الله أرجى ؟ فقال عبد الله بن عمر : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ... ﴾ ^(٥) الآية ، فقال ابن عباس : لكن قول الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَى وَاسْكِنِ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ^(٦) ، قال : فرضى منه بقوله : ﴿ بلى ﴾ ، قال : فهذا لما يمترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان .

الثالث : ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب أنه قال : « إنكم يا معشر أهل العراق تقولون : أرجى آية في القرآن : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا... ﴾ ^(٥) الآية ، لكننا أهل البيت نقول : أن أرجى آية في كتاب الله

(٣) النحل ٩٠

(٢) البقرة ٢٥٥

(١) الطلاق ٦

(٦) البقرة ٢٦٠

(٥) الزمر ٥٣

(٤) الزلزلة ٧ ، ٨

(٩ - الإحسان ج ٤)

﴿وَأَسْأَلُكَ بِعُطِيكَ رَبِّكَ فَتَرَضَى﴾^(١) ، وهى الشفاعة .

الرابع : ما أخرجه الواحدى عن على بن الحسين ، قال : « أشد آية على أهل النار : ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٢) ، وأرجى آية فى القرآن لأهل التوحيد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾^(٣) الآية » .

وأخرج الترمذى وحسنه عن على ، قال : أحب آية إلى فى القرآن : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية .

الخامس : ما أخرجه مسلم فى صحيحه ، عن ابن المبارك ، أن أُرْجى آية فى القرآن قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾^(٤) ، إلى قوله : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٥) .

السادس : ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة ، عن أبى عثمان النهدى ، قال : ما فى القرآن آية أُرْجى عندى لهذه الأمة من قوله : ﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(٥) .

السابع والثامن : قال أبو جعفر النحاس فى قوله : ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦) : إن هذه الآية عندى أُرْجى آية فى القرآن ؛ إلا أن ابن عباس قال : أُرْجى آية فى القرآن : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^(٧) ، وكذا حكاه عنه مكى ، ولم يقل « على إحسانهم » .

التاسع : روى الهروى فى مناقب الشافعى عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعى : أى آية أُرْجى ؟ قال : قوله : ﴿بِقِيَمَاذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾^(٨) ، قال : وسألته عن أُرْجى حديث للمؤمن ، قال : « إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه » .

(٣) النساء ٨٠

(٢) النبأ ٣٠

(١) الضحى ٥

(٦) الأحقاف ٣٥

(٥) التوبة ١٠٢

(٤) النور ٢٢

(٨) البلد ١٥ ، ١٦

(٧) الرعد ٦

العاشر: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ﴾ (١)

الحادى عشر: ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ (٢)

الثانى عشر: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٣) ،
حكاها الكرمانى فى العجائب .

الثالث عشر: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٤)

حكى هذه الأقوال الأربعة النووى فى رموس المسائل ، والأخير ثابت عن على ؛
فى مسند أحد عنه قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ، حدثنا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ﴾ (٤) ، وسأفسرها لك يا على : ما أصابكم من مرضٍ أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فيما
كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثنى العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم
من أن يعود بعد عفوه .

الرابع عشر: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٥) .
قال الشبلى : إذا كان الله أخذ للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة ، أفتراه
يخرج الداخل فيها والمقيم عليها !

الخامس عشر: آية الدين ، ووجهه أن الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى
انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير ، فمقتضى ذلك ترجى
عفوه عنهم لظهور العناية العظيمة بهم .

قالت : ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر ، عن ابن مسعود ، أنه ذكر عنده بنو
إسرائيل ، وما فضأهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدكم ذنباً أصبح

وقد كتبت كفارته على أسكفة بابيه ، وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه ؛ تستغفرون الله فيغفر لكم ، والذى نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهى أحب إلى من الدنيا وما فيها : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ... ﴾ (١) الآية .

وما أخرجه ابن أبي الدنيا فى كتاب التوبة عن ابن عباس قال : تمنى آيات نزلت فى سورة النساء ، هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت : أولهن ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢) ، والثانية ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ﴾ (٣) ، والثالثة ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ... ﴾ (٤) الآية ، والرابعة ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ... ﴾ (٥) الآية ، والخامسة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... ﴾ (٦) الآية ، والسادسة ﴿ وَمَنْ يَمْعَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ... ﴾ (٧) الآية ، والسابعة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ... ﴾ (٨) الآية ، والثامنة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ... ﴾ (٩) الآية .

وما أخرجه ابن حاتم عن عكرمة قال : سئل ابن عباس : أى آية أرخص فى كتاب الله ؟ قال : قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (١٠) .

وما أخرجه ابن راهويه ، فى مسنده ، أنبأنا أبو عمر المقدى ، أنبأنا عبد الجليل بن عطية ، عن محمد بن المنشر ، قال : قال رجل لعمر بن الخطاب : إني لأعرف أشد آية فى كتاب الله تعالى ، فأهوى عمر فضربه بالدرّة ، وقال : مالك نقت عنها حتى علمتها !

- | | | |
|--------------------|-----------------|------------------|
| (١) آل عمران ١٣٥ | (٢) النساء ٢٦ | (٣) النساء ٢٧ |
| (٤) النساء ٢٨ | (٥) النساء ٣١ | (٦) النساء ٤٠ |
| (٧) النساء ١١٠ | (٨) النساء ٤٨ | (٩) النساء ١٥٢ |
| (١٠) فصل ٣٠ | | |

ماهى ؟ قال : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ^(١) ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَعْمَلُ سُوءًا إِلَّا جُزِيَ بِهِ ، فقال عمر : لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(٢) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ، قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار ، قال : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ ^(٣) . وفي صحيح البخاري عن سفيان ، قال : مافى القرآن آية أشد على من ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ^(٤) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ، قال : « مافى القرآن أشد توبيخًا من هذه الآية : ﴿ لَوْلَا بَنَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمِ وَأَنْكَلِهِمُ الشُّحْتَ ... ﴾ ^(٥) الآية .

وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن الضحاك بن مزاحم ، قرأ في قول الله : ﴿ لَوْلَا بَنَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمِ وَأَنْكَلِهِمُ الشُّحْتَ ﴾ قال : ما الله مافى القرآن آية أخوف لدى منها .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ، قال : ما أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله : ﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ... ﴾ ^(٦) الآية .

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين : لم يكن شيء عندهم أخوف من هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٧) .

وعن أبي حنيفة : أخوف آية في القرآن ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٨) .

(١) النساء ١٢٣

(:) المائدة ٦٨

(٧) البقرة ٨

(٢) النساء ١١٠

(٥) المائدة ٦٣

(٨) آل عمران ١٣١

(٣) النبأ ٣٠

(٦) الأحزاب ٣٧

وقال غيره : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ ^(١) ، ولهذا قال بعضهم : لو سمعتُ هذه الكلمة من خير الحارة لم أتم .

وفي النوادر لأبي زيد ، قال مالك : أشد آية على أهل الأهواء قوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... ﴾ ^(٢) الآية ؛ فتأولها على أهل الأهواء . انتهى .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية ، قال : آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه ﴿ مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ ^(٤) .

وقال السعيدى : سورة الحج من أعاجيب القرآن ، فيها مكى ومدنى ، وحضرى وسفرى ، وليلى ونهارى ، وحربى وسلمى ، وناسخ ومنسوخ ، فالكى من رأس الثلاثين إلى آخرها ، والمدنى من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين ، واللى خمس آيات من أولها ، والنهارى من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة ، والحضرى إلى رأس العشرين .

قلت : والسفرى أولها ، والناسخ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ ... ﴾ ^(٥) الآية ، والمنسوخ ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ... ﴾ ^(٦) الآية نسختها آية السيف ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ ^(٧) الآية ، نسختها ﴿ سَنَقْرُوكَ فَلَا تَفْسَى ﴾ ^(٨) .

وقال الكرماني : ذكر المفسرون أن قوله تعالى : ﴿ يَأْيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِادَةُ بَيْنِكُمْ ... ﴾ ^(٩) الآية ، من أشكل آية في القرآن حكما ومعنى وإعرابا .

وقال غيره : قوله تعالى : ﴿ يَأْيُّهَا آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ... ﴾ ^(١٠) الآية جمعت أصول أحكام الشريعة كلها : الأمر والنهى والإباحة والتحريم .

(٣) غافر ٤

(٢) آل عمران ١٠٦

(١) الرحمن ٣١

(٦) الحج ٦٩

(٥) الحج ٢٩

(٤) البقرة ١٧٦

(٩) المائدة ١٦

(٨) الأعلى ٦

(٧) الحج ٥٢

(١٠) الاعراف ٣١

وقال الكرماني في المجائب في قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١) ، قيل : هو قصة يوسف ، وسمّاها «أحسن القصص» لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ، ومالك ومملوك ، وشاهد ومشهود ، وعاشق وممشوق ، وحبس وإطلاق ، وسجن وخلّاص ، وخصب وجذب ، وغيرها ممّا يهجز عن بيانها طوق الخلق .

وقال : ذكر أبو عبيدة عن رؤية : مافي القرآن أعرب من قوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(٢) .

وقال ابن خالوية في كتاب ليس : ليس في كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية إلّا حرف واحد في القرآن ، جمع اللغات الثلاث ، وهو قوله : ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ ^(٣) ، قرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بعضهم بالرفع ، وقرأ ابن مسعود ﴿ مَا هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ ﴾ ، بالباء ، قال : وليس في القرآن لفظ على « افعل » إلّا في قراءة ابن عباس ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ بِصُدُورِهِمْ ﴾ ^(٤) .

وقال بعضهم : أطول سورة في القرآن البقرة ، وأقصرها الكوثر ، وأطول آية فيه آية الدين ، وأقصر آية فيه ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ﴿ وَالْفَجْر ﴾ ، وأطول كلمة فيه رسماً ﴿ فَاسْقِنَا كُؤُوه ﴾ ^(٥) .

وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم : ﴿ ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً ... ﴾ ^(٦) الآية ، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ﴾ ^(٧) الآية .

وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلّا في موضعين : ﴿ عُقْدَةُ النِّكَاحِ حَتَّى ﴾ ^(٨) ، ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى ﴾ ^(٩) .

ولآكافان كذلك إلّا ﴿ مَنَاسِكِكُمْ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ مَاسَلَكِكُمْ ﴾ ^(١١) .

ولاغينان كذلك إلّا ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ﴾ ^(١٢) ،

(١) يوسف ٣	(٢) الحجر ٩٤	(٣) المجادلة ٢
(٤) هود ٥	(٥) الحجر ٢٢	(٦) آل عمران ١٥٤
(٧) الفتح ٢٩	(٨) البقرة ٢٣٥	(٩) الكهف ٦٠
(١٠) البقرة ٢٠٠	(١١) المدثر ٤٢	(١٢) آل عمران ٨٥

ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافاً إلا آية الدين .
ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وفقاً إلا آيتا المواريث .
ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والمصر إلى آخرها .
ولا سورة إحدى وخسون آية ، فيها اثنان وخسون وفقاً إلى سورة الرحمن .
ذكر أكثر ذلك ابن خالويه .

وقال أبو عبد الله الخبازي المقرئ : أول ماوردت على السلطان محمود بن ملكشاه
سألني عن آية أولها عين ، قلت : ثلاثة : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴾ ^(١) وَاَيَّتَانِ بِخَلْفٍ : ﴿ غُلِبَتِ
الرُّومُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) .

وقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر في القرآن أربع شذات متوالية : في قوله :
﴿ نَسِيًّا رَبِّ السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٤) .
﴿ فِي بَحْرِ لُجِّيَّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ ^(٥) .
﴿ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ ^(٦) .
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ ﴾ ^(٧) .

(٣) الفاتحة ٧

(٦) يس ٥٨

(٢) الروم ٢

(٥) النور ٤٠

(١) غافر ٣

(٤) عريم ٦٤ ، ٦٥

(٧) الملوك ٥

النوع الخامس والسبعون

في خواص القرآن

أفرد بالتصنيف جماعة منهم التميمي وحجة الإسلام الفزالي ، ومن المتأخرين اليافعي ، وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين ، وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك في الحديث ، ثم ألتقط عيوناً مما ذكره السلف والصالحون :

أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود : « عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن » .
وأخرج أيضاً من حديث علي : « خير الدواء القرآن » .

وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف ، قال : « كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك حقة » .

وأخرج البيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع ، أن رجلاً شكاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه ، قال : « عليك بقراءة القرآن » .

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ، قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إني أشتكي صدري » ، قال : « اقرأ القرآن » ، لقول الله تعالى : ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وأخرج البيهقي وغيره من حديث عبد الله بن جابر : « في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » .

وأخرج الخليلي في فوائده من حديث جابر بن عبد الله : « فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام » ، والسام الموت .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري : « فاتحة الكتاب شفاء من السم » .

وأخرج البخاري من حديثه أيضاً قال : « كنا في مسير لنا ، فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيّد الحىّ سليم ^(١) ، فهل معكم راقٍ ؟ فقام معها رجل ، فراه بأمر القرآن فبرىء ؛ فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وما كان يدريه أنها رقية ! » .

وأخرج الطبراني في الأوسط ، عن السائب بن يزيد ، قال : عوذني رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب تفلأ .

وأخرج البزار من حديث أنس ، إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت .

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة : « إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان » .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند حسن عن أبي بن كعب قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : يا نبي الله ، إن لي أخاً وبه وجع ، قال : وما وجعه ؟ قال : به ألم ، قال : فأتني به ، فوضعه بين يديه ، فعوذته النبي صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول سورة البقرة ، وهاتين الآيتين ، وإلهكم إله واحد ، وآية الكرسي ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٢) ، وآية من الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، وآخر سورة المؤمنين : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ ^(٤) ، وآية من سورة الجن : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ ^(٥) ، وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وقل هو الله أحد والموذنين ؛ فقام الرجل كأنه لم يشك قط .

وأخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفاً : « مَنْ قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعد آية الكرسي ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة ، لم يقر به ولا أهله يومئذٍ شيطان ولا شيء يكرهه ، ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق » .

(٣) الأعراف ٥٤

(٢) آل عمران ١٨

(٥) الجن ٢

(١) سليم ، أي ملدغ

(٤) المؤمنون ١١٦

وأخرج البخاري عن أبي هريرة في قصة الصدقة : « إن الجني قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إنه صدقك ، وهو كذوب » .
وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن سمعود ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، علمني شيئاً ينفعني الله به ، قال : « اقرأ آية الكرسي ، فإنه يحفظك وذريتك ، ويحفظ دارك ، حتى الدويرات حول دارك » .

وأخرج الدينوري في المجالسة ، عن الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن جبريل أتاني فقال : إن عفريتاً من الجن يكيدك ، فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي » .

وفي الفردوس من حديث أبي قتادة : « من قرأ آية الكرسي عند الكرب أغاثه الله » .

وأخرج الدارمي عن المنيرة بن سبيع - وكان من أصحاب عبد الله - قال : « من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه ، لم ينس القرآن : أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث من آخرها » .

وأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « آيتان هما قرآن ، وهما يشفيان ، وهما مما يحبهما الله ، الآيتان من آخر سورة البقرة » .

وأخرج الطبراني عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أعلمك دعاء تدعو به ، لو كان عليك من الدين مثل صير^(١) أداه الله عنك : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَغِيرِ حَسَابٍ ﴾^(٢) ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطى من تشاء منهما ، وتمنع من تشاء ، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك » .

وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس : « إذ استصعبت دابة أخذكم أو كانت شמושاً ، فليقرأ هذه الآية في أذنيها : ﴿ أَغْفِرِ دِينَ اللَّهِ يَبْفُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ^(١) .
وأخرج البيهقي في الدعوات ... ^(٢) .

وأخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف ، عن علي ، موقوفا : « سورة الأنعام ما قرئت على عليل الإشفاء الله » .

وأخرج ابن السني عن فاطمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادها ، أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرأ عندها آية الكرسي ، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ ... ﴾ ^(٣) الآية ، ويعوذها بالعمودتين .

وأخرج ابن السني أيضاً من حديث الحسين بن علي : « أمان لأمتي من الفرق ، إذا ركبوا أن يقولوا : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٤) ، وما قدرُوا الله حق قدره ... ﴾ ^(٥) الآية .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث ، قال : « بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر ، يقرأ في إناء فيه ماء ، ثم يصب على رأس المسحور : الآية التي في سورة يونس : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ الْمَجْرُمُونَ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ، إلى آخر أربع آيات ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ... ﴾ ^(٨) الآية .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبو هريرة : « ما كَرَّبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ ، فقال : يا محمد ، قل « تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوت » ، و ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(٣) الأعراف ٤٤

(٦) يونس ٨١

(٢) يائس بالأصل

(٥) الأنعام ٩١

(٨) طه ٦٩

(١) آل عمران ٨٣

(٤) هود ٤١

(٧) الأعراف ١١٨

لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا ﴿١﴾ .
وأخرج الصابوني في المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا : « هذه الآية أمان
من السرقة : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ... ﴾ ﴿٢﴾ إلى آخر السورة .
وأخرج البيهقي في الدعوات من حديث أنس : « ما أنعم الله على عبد نعمة في
أهل ولا مال ولا ولي ، فيقول : ماشاء الله لا قوة إلا بالله ، فيرى فيه آفة دون
الموت » .

وأخرج الدارمي وغيره من طريق عبدة بن أبي لبابة ، عن زر بن حبیش ، قال :
« مَنْ قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها » . قال عبده :
خبرنا فوجدناه كذلك .

وأخرج الترمذي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص : « دَعْوَةُ ذِي الثُّنُونِ إِذَا دَعَا
وَهُوَ فِي بطن الحوت : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ، لم
يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء إلا استجاب الله له » .

وعن ابن السني : « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه ؛ كلمة أخى
يونس : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ » .

وأخرج البيهقي وابن السني وأبو عبيد عن ابن مسعود : أنه قرأ في أذن مبتلي
فأفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قرأت في أذنه ؟ قال : ﴿ اخْشَبْهُمُ أَنَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ... ﴾ ﴿٥﴾ إلى آخر السورة ، فقال : « لو أن رجلا مؤمنا قرأ بها على
جبل لزال » .

وأخرج الديلمي وأبو الشيخ بن حيان في فضائله من حديث أبي ذر : « ما من ميت يموت

فُيْقَرَأَ عِنْدَهُ بِسَ إِلَّا هُوَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وأخرج المحاملى فى أماليه ، من حديث عبد الله بن الزبير : « مَنْ جَعَلَ بِسَ أَمَامَ حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ » . وله شاهد مرسل عن الدارمي .

وفى المستدرک عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : « مَنْ وَجَدَ فى قلبه قسوةً فليكتب بِسَ فى جَانِبِ بَرَعْرَانٍ ثُمَّ يَشْرِبُهُ » .

وأخرج ابن الضَّرَّيس عن أبى سعيد بن جُبَيْر ، أنه قرأ على رجل مجنون سورة بِسَ فَبَرَأَ .

وأخرج أيضاً عن يحيى بن أبى كثير قال : « مَنْ قرأ بِسَ إذا أَصْبَحَ لم يزل فى فرح حتى يُمَسَّى ، وَمَنْ قرأها إذا أَمَسَ لم يزل فى فرح حتى يُصْبِحَ » ، أخبرنا مَنْ جَرَّبَ ذلك .

وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة : « مَنْ قرأ الدَّخَانَ كُلَّهَا ، وأول غافر إلى « إله المصير » ^(١) وآية الكرسي حين يُمَسَّى ، حَفِظَ بها حتى يصبح ، وَمَنْ قرأها حين يُصْبِحُ حَفِظَ بها حتى يُمَسَّى » . رواه الدارمى بلفظ « لم ير شيئاً يكرمه » .

وأخرج البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيد عن ابن مسعود : « مَنْ قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً » .

وأخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة يعسر عليها ولادها ، قال : يُسَكَّنُ فى قرطاسٍ ثم تَسْقَى : « بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَةً أَوْ ضَحَاها ﴾ ^(٢) ، ﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣) .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قل : إذا وجدت فى نفسك شيئاً - يعنى الوسوسة ، فقل : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٤) .

وأخرج الطبراني عن عليّ قال : لدغت النبيّ صلى الله عليه وسلم عقرب ، فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ، ويقرأ : « قل يا أيها الكافرون » و « قل أعوذ بربّ الفلق » ، و « قل أعوذ بربّ الناس » .

وأخرج أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقيّ إلا بالمعوذات .

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتموّد من الجان وعين الإنسان ، حتّى نزلت المعوذتان ، فأخذها وترك ما سواها .

فهذا ما وقفت عليه في الخواصّ من الأحاديث التي لم تصل إلى حدّ الوضع ومن الموقوفات عن الصحابة والتابعين :

وأما ما لم يرد به أثر ، فقد ذكر الناس من كثيرا جداً الله أعلم بصحته .

ومن لطيفه ما حكاه ابن الجوزي عن ابن ناصر عن شيوخه ، عن ميمونة بنت شاقول البغدادية ، قالت : آذانا جار لنا ، فصلّيت ركعتين ، وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمره ، ثم نمت وفتحت عيني ، وإذا به قد نزل وقت السحر ، فزلّت قدمه فسقط ومات .

تنبيه

قال ابن التين : الرقيّ بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطبّ الروحانيّ إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله . فلما عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطبّ الجفائيّ .

قلت : ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لو أنّ رجلاً موقناً قرأ بها على جبلٍ لزال » .

وقال القرطبيّ : تجوز الرقية بكلام الله وأسمائه ، فإن كان مأثوراً استحبّ

وقال الربيع : سألت الشافعي عن الرقية فقال : لا بأس أن يُرقي بكتاب الله ، وما يعرف من ذكر الله .

وقال ابن بطال : في المعوذات سرٌّ ليس في غيرها من القرآن ؛ لما اشتملت عليه من جوامع الدّعاء التي تعمّ أكثر المكروهات ؛ من السّحر والحسد وشرّ الشيطان ووسوسته وغير ذلك ، فلهذا كان صلى الله عليه وسلم يكتفي بها .

وقال ابن القيم في حديث الرقية بالفاتحة : إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصّ ومنافع ، فما الظنّ بكلام ربّ العالمين ، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلاً ؛ لتضمنها جميع مافي الكتاب ، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الربّ في طلب الإعانة به والهداية منه ، وذكر أفضل الدّعاء ، وهو طلب الهداية إلى الصّراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته ، بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه ، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمهم إلى منعم عليه لمعرفة بالحق والعمل به ، ومفضوب عليه لعدله عن الحق بعد معرفته ، وضالّ لعدم معرفته له ، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتركية النفس وإصلاح القلب والردّ على جميع أهل البدع .
وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يُستشفى بها من كلّ داء ! انتهى .

مسألة

قال النووي في شرح المذهب : لو كتبت القرآن في إناء ثم غسله وسقاه المريض ، فقال الحسن البصريّ ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعيّ : لا بأس به ، وكرهه النخعيّ ، قال : ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به ؛ فقد قال القاضي حسين والبغويّ وغيرهما : لو كتبت على حلوى وطعام فلا بأس بأكله . انتهى .

قال الزّركشيّ : ممن صرح بالجواز في مسألة الإناء العاد النّهيّ مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية ؛ لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضاً ؛ لأنه تلاقه نجاسة الباطن . وفيه نظر .

النوع السادس والسبعون
في مرسوم الخط وآداب كتابته

أفرد بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، منهم أبو عمرو الداني .

وَأَلَفَ فِي تَوْجِيهِ مَا خَالَفَ قَوَاعِدَ الْخَطِّ مِنْهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرَّاكَشِيُّ ^(١) كِتَابًا سَمَّاهُ
«عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل» بَيَّنَ فِيهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْرَفَ إِنَّمَا اخْتَلَفَ حَالُهَا فِي
الْخَطِّ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ مَعَانِي كَلِمَاتِهَا ، وَسَأَشِيرُ هُنَا إِلَى مَقَاصِدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

أَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَهٍ فِي كِتَابِ الْمَصَاحِفِ بِسَنَدِهِ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ
الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَالسَّرْيَانِيَّ وَالْكِتَابَ كُلَّهُ آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثِمِائَةِ
سَنَةٍ ، كَتَبَهَا فِي الطِّينِ ، ثُمَّ طَبَخَهُ ، فَلَمَّا أَصَابَ الْأَرْضَ الْقَرَقَ أَصَابَ كُلَّ قَوْمٍ كِتَابَهُمْ
فَكُتِبُوا ، فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَصَابَ كِتَابَ الْعَرَبِ ^(٢) .

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ
إِسْمَاعِيلُ ، وَضَعَ الْكِتَابَ كُلَّهُ عَلَى لَفْظِهِ وَمَنْطَقِهِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ كِتَابًا وَاحِدًا ؛ مِثْلَ الْمَوْصُولِ ؛
حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُ وَوَلَدِهِ . يَعْنِي أَنَّهُ وَصَلَ فِيهِ جَمِيعَ الْكَلِمَاتِ ، لَيْسَ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَرْقٌ
هَكَذَا : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ثُمَّ فَرَّقَهُ مِنْ بَنِيهِ ، هُمُيَسَّعٌ وَقَيْدَرٌ .

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَوَّلُ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ أَبُو جَادٍ .

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ : الَّذِي نَقُولُهُ : إِنْ الْخَطَّ تَوْقِيفِي ، نَقُولُهُ تَعَالَى : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۚ عَلَّمَ

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي ، المعروف بابن البناء . توفي سنة ٧٢١ . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٢) نقله ابن فارس في فقه اللغة ص ٧ .

الإنسان ما لم يعلم ﴿^(١)﴾ ، ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ^(٢) ؛ وإن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم ^(٣) .

وقد ورد في أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ؛ ليس هذا محلها ، وقد بسطتها في تأليف مفرد .

فصل

القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقف عليه . وقد مهد النحاة له أصولاً وقواعد ، وقد خالفها في بعض الحروف خطأ المصحف الإمام . وقال أشهب ^(٤) : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على السكتية الأولى . رواه الداني في القنع ^(٥) ، ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة ^(٦) ،

وقال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن الواو والألف : أرى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا ^(٧) .

قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف الزيدتين في الرسم للمعدومتين في اللفظ ، نحو [الواو في] ^(٨) « أولوا » . وقال الإمام أحمد : يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو وأويا ، أو ألف أو غير ذلك .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ؛ فإنهم كانوا

(١) العاق ٤ ، ٥ (٢) القلم ١ (٣) نفع اللمة (٤) هو أشهب بن عبد العزيز ، وانظر الديباج المذهب ٩٨ (٥) ص ١٠ (٦) قلته في الترمذ ١ : ٣٧٩ (٧) ص ٢٠ مع تصرف (٨) من القنع

أكثر علماء ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانةً منا ، فلا ينبغي أن يظنّ بأنفسنا استدراكاً عليهم ^(١) .

قلت : وسنحصر أمر الرسم في الحذف والزيادة والمهمز والبدل والفصل ، وما فيه قراءتان فكتب إحداهما .

القاعدة الأولى

[في الحذف]

تحذف الألف من ياء النداء ، نحو « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » ، « يَا آدَمَ » ، « يَرْبُّ » ، « يُعْبَادِي » ، وهاء التثنية ، نحو : « هَؤُلَاءِ » ، « هَآنِمْ » ، ونامع ضمير « أَنْجِيْنُكُمْ » ، « آتِيْنَهُ » .

ومن ذلك : « وَأَوَّلُكَ » ، و « لَكِنْ » ، و « تَرَكْ » ، وفروع الأربعة : و « اللَّهُ » ، و « إِلَهَ » ، كيف وقع ، و « الرَّحْمَنُ » ، و « سَبِْحُنْ » ، كيف وقع ، إلّا : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ ^(٢) .

وبعد لام : « خُلِّفَ » ، « خِلَفَ رَسُولَ اللَّهِ » ، « سَلِمَ » ، « غَلِمَ » ، « إِيْلَفَ » ، « يَلْقُوا » .

وبين لامين ، نحو : « الْكَلَّةُ » ، « الضَّلَّةُ » ، « خِلَالُ » ، « الدَّارُ » ، ﴿ لِلَّذِي بِيَكَّة ﴾ ^(٣) .

ومن كلِّ عَمَلٍ زائده على ثلاثة كابراهيم وصلاح ، وميكائيل ؛ إلّا جالوت وطلوت وهامان ^(٤) . ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه ، وإسرائيل لحذف يائه . واختلف في هاروت وماروت وقارون .

(١) نقله في البرهان ١ : ٣٧٩ (٢) الإسراء ٩٣ (٣) آل عمران ٩٦

(٤) علماء الرسم لا يستثنون « هامان » من الحذف قالوا :

وَلَا خِلَافَ بَعْدَ حَرْفِ الِيمِ فِي الْحَذْفِ فِي هَامَانَ فِي الرُّسُومِ

ومن كل مثني؛ اسم أو فعل إن لم يتطرق، نحو: «رجل»، «يَعْلَمُن»، «أضلنا»، «إن هذان»، إلّا «بما قدمت يدك».

ومن كل جمع تصحيح لذكر أو مؤنث، نحو: «الاعنون»، «ملقوا ربهم». إلّا «طاغون»، في الذاريات والطور، «وكراماً كاتبين» وإلّا «روضات» في شوري، و«آياتٍ للسائلين»، و«مكرراً في آياتنا»، و«آياتنا بينات» في يونس، وإلّا إن تلاها همزة، نحو «الصائمين والصائمات»، أو تشديد نحو: «الضالين»، و«الضالّات»، فإن كان في الكلمة ألف ثانية حذفت أيضاً، إلّا «سبع سموات» في فصلت.

ومن كل جمع على «مفاعل» أو شبهه، نحو: المسجد مسكن واليتيمى والنصرى والمسكين والخبيث والملائكة، والثانية من «خطيئنا» كيف وقع.

ومن كل عدد كثلت وثلت، سحر كيف وقع، إلّا في آخر الذاريات - فإن ثنى فالفاء - والقيمة والشيطان وساطن وتعالى واللى، واللى وخلق وبقدر والأخشب والأنهر والكتب؛ ومنكر الثلاثة، إلّا أربعة مواضع: «لكل أجل كتاب»، «كتاب معلوم»، «كتاب ربك»، «كتاب مبين» في النمل، ومن البسمة، وبسم الله مجراها. ومن أول الأمر من «سأل».

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثه، نحو «آدم»، «آخر»، «أشفقتم»، «أنذرتهم»، ومن راء، كيف وقع، إلّا «مارأى»، «ولقد رأى» في النجم، وإلّا نأى وءأسن؛ إلّا «فن يستمع الآن»^(١).

والألفان من «ليشكة»، إلّا في الحجر وق.

* * *

وتحذف الياء من كل منقوص منون، وفقاً وجراً، نحو «باغٍ ولاعادٍ».

والمضاف لها إذا نودي، إلا «يعبادى الذين أسرفوا»^(١). «يعبادى الذين آمنوا»^(٢) في المنكبات . أو لم يناد، إلا «وقل لعبادى»^(٣)، «أسر يعبادى»^(٤) في طه وحم، «فادخل في عبادى وادخل جنتى»^(٥).

ومع مثلها نحو «وَلَيْ»، «والحوارين»، «وَمُتَكِنِينَ»، «إِلَادَ عَلِينَ»، «وَدَهْيِي»، «وَدَهْيِي»، «وَمَكْرَ السَّيِّئِ»، «وَسَيِّئَةً»، «وَالسَّيِّئَةِ»، «وَأَفْسِينَا». و«نَجِي» مع ضمير لا مفرداً.

وحيث وقع: «أطيعون»، «اتقون»، «خافون»، «ارهبون»، «فارسلون»، «اعبدون»، «إِلَافِي يَسْ» و«أخشون» «إِلَافِي الْبَقَرَةِ»، «ويكيلون» «إِلَا» «فكيدوني جميعاً» . و«اتبعون» «إِلَا فِي آلِ عِمْرَانَ وَطَه، وَ لَا تَنْظُرُونَ» و«لا تستعجلون»، و«لا تكفرون» و«لا تقربون»، و«لا تحزبون»، «ولا تفضحون» و«يهدين»، «وسيهدين»، و«كذبون»، «يقتلون». «أَنْ يَكْذِبُونَ»، «ووعيد» و«الجوار» و«بالواد»، و«المهتد» «إِلَا فِي الْأَعْرَافِ». وتحذف الواو مع أخرى، نحو «لا يستون»، «فامو»، «وإذا اللوذة» «يوسا». وتحذف اللام مدغمة في مثلها، نحو اللَّيْل، والذي . إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُمَّ، وَالْعَنَةُ وفروعه، وَاللَّهُو وَالْفُؤُ وَاللُّؤُ، وَاللَّات، وَاللَّم، وَاللَّهَب، وَاللَّطِيف، وَاللَّوَامَةُ.

فِرْع

في الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة

حذف الألف من «مَلِكُ الْمَلِكِ»، «ذَرِيَّةُ ضِعْفًا»، «سَرَّعَ»، «خَدَّاعِهِم»، «أَكَلُونَ لِلْسَحْتِ» «بُلُغَ»، «لِيَجْدُلُوكَ». «وَبَطْلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» في الأعراف وهود، «اليعبد» في الأنفال، «تَرْبَا» في الرعد والنمل وعم، «جَذَا»، «يُسْرَعُونَ»، «آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ»، «آيَةُ السَّاحِرِ»، «آيَةُ الْفِتْلَانِ»

« أم موسى فرغا » ، « وهل يجزى » . « من هو كذب » ، « للقسية » في الزمر « أثرة » ،
« عهد عليه الله » ، « ولا كذبا » .

وحذفت الياء من « إبرم » في البقرة ، و « الداع إذا دعان » ، و « من
اتبعن » ، و « سوف يأت الله » ، « وقد هدان » ، « ننج المؤمنين » « فلا تسألن
ما ليس » ، « يوم يأت لا تكلم » « حتى تؤتون موثقا » ، « تفقدون » . « المتعال »
« متاب » ، « مأب » ، « عقاب » . في الرعد و غافر و ص ، « فيها عذاب » ،
« أشر كتمون من قبل » ، « وتقبل دعاء » ، « لئن أخرجتن » ، « أن يهدين » . « إن
ترن » ، « أن يؤتين » « أن تعلمن » ، « نبغ » ، « المحسة في الكهف : « ألا تنبئن » في
طه . « والباد » . و « إن الله لهاد » ، « أن يحضرون » « رب ارجعون » . و « لا تكلمون »
« يسقين » « يشفين » ، « يحيين » ، « واد النمل » ، « أمدؤن » ، « فما أنان » ،
« تشهدون » « بهاد العمى » ، « كالجواب » « إن يرذن الرحمن » « لا ينفذون »
« واسمعون » « لتردين » « صال الجعيم » ، « التلاق » ، « التناد » « ترجون »
« فاعزلون » « يناد المناد » ، « ليعبدون » « تطعمون » ، « يدع الدع » ، مرتين
في القمر ، « يسر » ، « أكرم » ، « أهان » « ولي دين » .

وحذفت الواو من « ويدع الإنسان » ، « ويمح الله » في شوري ، « يوم يدع
الداع » ، « سندع الزبانية » .

قال المراكشي : السر في حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل
وسهولته على الفاعل وشدة وقوع المنفعلة المتأثر به في اوجود ، أما « ويدع الإنسان » ،
فيدل على أنه سهل عليه ، ويسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل إثبات الشر إليه من
جهة ذاته أقرب إليه من الخير . وأما « ويمح الله الباطل » ، فللاشارة إلى سرعة ذهابه
واضمحلاله ، وأما « يدع الدع » ، فللاشارة إلى سرعة الدعاء ، وسرعة إجابة
المدعويين . وأما الأخيرة فللاشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية وشدة البطش .

القاعدة الثانية

[في الزيادة]

زبدت ألف بعد الواو آخر اسم مجموع نحو « بنوا إسرائيل » ، « ملأوا ربهم » ، « أولوا الأبواب » . بخلاف المفرد ، نحو « لدو علم » ، « إلآ الربوا » ، و « إن امرؤا هلك » . وآخر فعل مفرد أو جمع ، مرفوع أو منصوب « إلآ جاءو » و « باو » ، حيث وقما ، و « عتو عتوا » ، « فإن فاو » ، « والذين تبوء الدار » ، « عسى الله أن يعقو عنهم » في النساء ، « سمو في آياتنا » في سبأ .

وبعد الهمزة المرسومة واوا ، نحو : « تفتوا » ، وفي مائة ومائتين والظنون والرسل ، والسبيل ، « ولا تقولن لشأء » ، و « لا أذبحنه » . « ولا أضعوا » و « لا إلى الله » ، و « لا إلى الجحيم » ، و « لا تائبسوا » ، « إنه لا يائس » ، « أفلم يائس » . وبين الياء والجيم في « جأى » في الزمر والفجر ، و كتبت « ابن » بالهمزة مطلقا . وزبدت في « نبأى المرسلين » ، و « ملأه » ، و « ملأهم » ، و « من آتأى آليل » في طه « من تلقأى نفسى » ، « من ورأى حجاب » في شورى . و « إيتأى ذى القرى » في النحل ، و « لقأى الآخرة » في الروم ، « بأيكم المفتون » « بنيناها بأيدي » « أفأين مات » . « أفأين ميت » .

وزبدت واو في « أولوا » وفروعه ، و « سأوربكم » .

قال المرأ كشئ : وإنما زبدت هذه الأحرف في هذه الكلمات ، نحو : « جأى » ، و « نبأى » ، ونحوها للتحويل والتفخيم والتهديد والوعيد ، كما زبدت في « بأيدي » تعظيما لقوة الله تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشابهها قوة .

وقال الكرماني في المعجائب : كانت صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي ألفا ، وصورة الضمة واوا ، وصورة الكسرة ياء ، فكتبت « لا أو ضعوا » ونحوه

بالألف ، مكان الفتحة و « إبتأى ذى القربى » بالياء مكان الكسرة و « أولئك » ونحوه بالواو مكان الضمة ، تقرب عهدهم بالخط الأول .

* * *

القاعدة الثالثة

[فى الممز]

يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله ، أولاً أو وسطاً أو آخرأ ؛ نحو : إئذن ، وأؤتمن ، والبأساء ، واقراء ، وجئناك ، وهيتي ، والمؤتون ، و«تسوؤم» ؛ إلا «فادأرتم» و«رءياً» و«الزءياء» و«شطه» لحذف فيها ، وكذا أول الأمر بعد فاء نحو «فأتوا» أو واو نحو : «وأمروا» .

والتحرك ؛ إن كان أولاً أو اتصل به حرف زائد بالألف مطلقاً ؛ نحو «أيوب» «إذ» «أولوا» ، «سأصرف» ، «فبأى» ، «سأنزل» إلا مواضع : «أتنكم لتشهدون» . «أتنكم لتأتون» فى النمل والمنكبوت «أنا لتاركوا» . «أئن لنا» فى الشعراء . «أئذا متنا» «أئن ذكرتكم» ، «أئفكا» «أئمة» «لئلاً» ، «لئن» ، «يومئذ» ، «حينئذ» ، فتكتب فيها بالياء ، إلا «قل أؤتبشكم» ، و«هؤلاء» ، فتكتب بالواو .

وإن كان وسطاً فيحرف حركته ، نحو سأل ، سئل ، قرؤه ، إلا جزاؤه الثلاثة فى يوسف ، و«لأملئن» ، و«وامتأنت» ، و«اشمتزت» . و«اطمئنوا» لحذف فيها . وإلا إن فتح وكسر أو ضم ما قبله ، أو ختم ما قبله ، أو ختم وكسر ما قبله فيحرفه ، نحو «الخطأئة» «فؤادك» ، «سفرئك» .

وإن كان ما قبله ساكناً حذف هو ، نحو «يسئل» ، «لا تبحروا» إلا «النشأة» و«موئلا» فى الكهف .

فإن كان ألفاً وهو مفتوح ؛ فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها ؛ إذ

الهمزة حينئذ بصورتها ؛ نحو « أبناءنا » ، وحذف منها أيضا في « قرءانا » في يوسف والزخرف .

فإن ضمّ أو كسر فلا نحو « آباؤكم » ، « آبائهم » ، إلّا « وقال أوليؤم » ، « إلى أوليئهم » في الأنعام ، « إن أوليؤه » في الأنفال ، « نحن أوليؤكم » في فصلت . وإن كان بعد حرف يمانسه ، فقد سبق أيضا أنه يحذف ، نحو « شئنا » ، « خاشين » ، « مستهزون » .

وإن كان آخرأ فبحرف حركة ما قبله ، نحو سبأ ، شاطئ ، لؤاؤ ؛ إلّا في مواضع : تفتؤا ، يفتيؤا ، أتوكؤا ، لا تظمؤا ، ما يعبؤا ، يبدؤا ، ينشؤا ، يذرؤا ، نبؤا ، « قال الملؤا » ؛ الأول في قد أفلح والثلاثة في النمل . جزأؤ . وفي خمسة مواضع ؛ اثنان في المائدة وفي الزمر والشورى والحشر ، « شركؤا » في الأنعام وشورى ، « بآتهم نبؤا » في الأنعام والشعراء . « علمؤا بنى » . « من عبادة العلمؤا » ، « الضمؤا » في إبراهيم وغافر ، « في أموالنا ما نشؤا » ، و « مادعؤا » في غافر ، « شفّعؤا » في الروم . « إن هذا هو البلؤا » ، « بلؤا مبين » في الدخان ، « براؤاه منكم » ؛ فكتب في الكل بالواو .

فإن سكن ما قبله حذف هو ، نحو « ملء الأرض » دفء ، شىء ، الخبء ، ماء ، إلّا « ألقنؤا » وأن تبؤا » ، و « السوآى » ؛ كذا استثناء الفراء . قلت : وعندي أن هذه الثلاثة لا تستنى ؛ لأنّ الألف التي بعد الواو ليست صورة الهمزة ؛ بل هي الزائدة بعد واو الفعل .

القاعدة الرابعة

[في البدل]

يكتب بالواو للتفخيم ألف الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والربوا ، غير مضافات .
والفدوة ، و« مشكوة » و« النجوة » و« منوة » .

وبالياء كل ألف منقلبة عنها نحو : « يتوفىكم » في اسم أو فعل ، اتصل به ضمير
أولا ، لقي ساكناً أم لا . ومنه : يا حسرتى ، يا أسفى ، إلّا تترا وكلتا وفى عصانى
والأقصا ، وأقصا المدينة ، ومن تولاه ، وطفا الماء ، وسياهم . وإلّا ما قبلها ياء ؛ كاللدينا
والحوايا ؛ إلا يحى اسما أو فعلا .

ويكتب بها إلى ، وعلى ، وأنّى بمعنى كيف ، ومتى ، وبلى ، وحتى ؛ إلا
« لدّا الباب » .

ويكتب بالألف الثلاثى الواوى ، اسما أو فعلا ، نحو الصفا ، وشفا ،
وعفا ؛ إلاضحى كيف وقع ، و« مازكى منكم » ودخيتها وتليها وطحها وسجى .

ويكتب بالألف ثون التوكيد الخفيفة لنسفعاً ويكوناً ، وإذا ، وبالنون كائناً . وبالحاء هاء
التأنيث إلا « رحمت » فى البقرة والأعراف وهود ومريم والزوم والزخرف . و« نعمت »
فى البقرة وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وقاطر والطور ، و« سنت » فى
فى الأنفال وقاطر وثانى غافر ، و« امرأت » مع زوجها ، و« تمت كلمت ربك الحسنى » ،
« فنجعل لعنت الله » ، « والخامسة أن لعنت الله » ، و« معصيت » ، فى قد سمع .
« إن شجرت الزقوم » ، « قُرت عين » ، و« جنت نعيم » ، « بقيت الله »
و« يابّت » ، و« اللات » ، و« مرضات » ، و« هيهات » ، و« ذات »
و« ابنت » ، و« فطرت » .

القاعدة الخامسة

[في الوصل والفصل]

توصل « ألا » بالفتح ؛ إلا عشرة : أن لا أقول ، أن لا تقولوا ؛ في الأعراف .
أن لا ملجأ في هود . أن لا إله ، أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف في لأحقاف ، أن لا تشرك
في الحج ، أن لا تعبدوا في يس ، أن لا تعلوا في الدخان ، أن لا يشركن في المتحنة ، أن
لا يدخلنها في ن .

وتما إلا « من ماملكت » في النساء والروم ، « من مارزقناكم » في المناقين .
و « تمن » مطلقاً .

و « عما » إلا « عن مانهوا » .

و « إتما » بالكسر ، إلا « وإن مانربنك » في الرعد .

و « إتما بالفتح » مطلقاً .

و « عن » إلا « يصرفه عن من » في النور ، « عن من تولي » في النجم .

و « آمن » إلا « أم من يكون » في النساء . « أم من أسس » « أم من خلقنا » ،

في الصفات ، « أم من يأتي آتنا »

و « إلم » بالكسر ؛ إلا « فإن لم يستجيبوا » في القصص .

و « فيما » إلا أحد عشر « في ما فعلن » الثاني في البقرة ، « ليلوكم في ما » في

المائدة والأنعام . « قل لا أجد في ما » ، « في ما اشتيت » في الأنبياء ، « في ما

أفضم » ، « في ما هنا » في الشعراء ، « في مارزقناكم » ، في الروم . « في ما هم فيه » ،

« في ما كانوا فيه » ، كلاهما في الزمر ، « ونششكم في ما لا تعلمون » في الواقعة .

و « إتما » إلا : « إن ماتوعدون لآتي » في الأنعام .

و « أما » بالفتح إلا « أن ما يدعون » في الحج ولقمان .

و «كلا» إلا «كلّ مارَدُوا إلى الفتنة» : «من كلّ ماسألتوه» .

و «بئسا» ، إلا مع اللام .

و «نمّا» و «مهما» ، و «ربما» ، و «كأنما» ، و «ويكأن» .

وتقطع «حيث ما» و «أن لم» ، بالفتح ، و «إن لن» ، إلا في الكهف والقيامة .

و «أين ما» إلا «فأينما تولّوا» ، «أينما يوجهه» .

واختلف في «أين ما تكونوا يدرككم» ، «أينما كنتم تعبدون» في الشعراء .
«أينما تُقفوا» في الأحزاب ؛ و «لكي لا» إلا في آل عمران والحج والحديد
والثاني في الأحزاب .

و «يومهم» و «لاتّخين» و «ابن أمّ» ، إلا في طه ؛ فكتبت الهمزة حينئذ واوا .
وحذفت همزة «ابن» فصارت هكذا «يَبْنُوْمٌ» .

* * *

القاعدة السادسة

[فيما فيه قرأتان ، فكتب على إحداها]

ومرادنا غير الشاذ .

من ذلك : «ملك يوم الدين» ، «يُخَدَعُونَ» ، و «واعدنا» ،
و «الصُّعْفَةُ» .

و «الريّح» ، و «تَفْدُوهُمْ» و «تَظْهَرُونَ» : و لا تَقْتُلُوهُمْ ، ونحوها .

و «لولا دفع» ، «فرهنّ» ، «طئرا» في آل عمران والمائدة «مضغعة»
ونحوه «عقدت إيمانكم» ، «الأولّين» ، «لنسم» ، «نسية» ، «قيما» ،

لِلنَّاسِ ، « خَطِيئَتِكُمْ » ، فِي الْأَعْرَافِ . « طِئْتُ » ، « حَشَّ اللَّهُ » . « وَسِيعِلِ
الْكُفْرَ » . « تَزَاوَرُ » ، زَكِيَّةٌ ، « فَلَا تَصْحِبْنِي » . « اتَّخَذْتُ » ؛ « مَهْدًا »
و « حَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ » . « إِنَّ اللَّهَ بِدَافِعٍ » ، « سُكْرَى وَمَامٌ سُكْرَى » ، « النُّطْفَةُ
عِظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ » ، « سَرَّاجًا » ، « بَلْ أَذْرِكْ » ، « لَا تَصْمُرْ » ، « رَبَّنَا بَعْدَ » ،
« أَسُورَ » ، « بَلَا أَلْفَ فِي الْكَلِّ » ؛ وَقَدْ قُرِئَتْ بِهَا وَبِحَذْفِهَا .

« غَيْبَتِ الْجَبَّ » ، « وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ » فِي الْمُنْكَبُوتِ . « ثَمَرَاتٍ مِنْ
أَكْمَامِهَا » فِي فَصْلَتِ ، « وَجَلَّتْ » ، « فَهَمَّ عَلَى بَيْتِنِ » : « وَمِنْ فِي الْغُرَفِ
آمَنُونَ » بِالنَّاءِ .

رَقَدْ قُرِئَتْ بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ .

و « تَقِيَّةٌ » بِالْيَاءِ ، وَ « لَأَهَبَ » بِالْأَلْفِ . وَ « يَقْضِي الْحَقَّ » بِالْيَاءِ . وَ « أَتَوْنِي
زُبَرَ الْحَدِيدِ » بِالْفِ قَطْ . « نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ » ، بَنُونَ وَاحِدَةٌ .
وَالْقُرَاطُ كَيْفَ وَقَعَ ، وَ « بَصْطَةٌ » فِي الْأَعْرَافِ وَ « الْمُصِيطَرُونَ » ، وَ « مُصِيطَرٌ »
بِالضَّادِ لَا غَيْرَ .

وَقَدْ تَكْتَبُ الْكَلِمَةُ صَالِحَةً لِلْقِرَاءَتَيْنِ ؛ نَحْوُ « فِكِهُونَ » ، وَعَلَى قِرَاءَتِهَا هِيَ
مَحْذُوفَةٌ رِسْمًا ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ تَصْحِيحٌ .

فـ ر ع

فِيمَا كَتَبَ مُوَافِقًا لِقِرَاءَةِ شَاذَةٍ

وَمِنْ ذَلِكَ : « إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا » ، « أَوْ كَلَّمَا عَهْدُوا » ، وَأَمَّا « مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبُ » فَيَقْرَأُ
بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ . « فَلَقْتُ لَوْكُمْ » ، « إِنَّمَا طَئَرَمَ » . « طَئَرَمٌ فِي عُنُقِهِ » . « تَسْقُطُ نَمْرًا »
« وَفِصْلُهُ فِي عَامِينَ » « عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنْ سُنْدُسٍ » « خِثْمُهُ مَعَكَ » « فَادْخُلِي فِي عَبْدِي » .

فـرـع

وأما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها ، نحو أَوْصَى ووصى ، ونجوى تحتها ومن تحتها ، وسيقولون الله والله . وما علمت أيديهم وما علمته ؛ فكتابته على نحو قراءته ؛ وكل ذلك وجد في مصاحف الإمام .

قائـدة

كتبت فوائح السور على صورة الحروف أنفسها ؛ لاعلى صورة النطق بها ؛ اكتفاء بشهرتها ، وقطعت « حم عسق » دون « اللص » و « كميمص » ، طرد الأولى بأخواتها الستة .

فـصـل

في أدا ب كتابته

يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة ، وتعليقه فيكره ، وكذا كتابته في الشيء الصغير .

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر ، أنه وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق ، فكره ذلك وضربه ، وقال : عظموا كتاب الله .

وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سُرَّ به .

وأخرج عبد الرزاق عن علي أنه كان يكره أن تتخذ المصاحف صفاراً .

وأخرج أبو عبيد عنه أنه كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير .

وأخرج هو والبيهقي في الشعب عن أبي حكيم العبدى ، قال : مرّ بي علي وأنا أكتب مصحفاً ، فقال : أجل قلبك ، فقصمت من قلبي قضة ، ثم جمعت أكتب ،

قال : نَعَمْ ، هَكَذَا نَوَّزُهُ كَمَا نَوَّزَهُ اللَّهُ .

وأخرج البيهقي عن علي موقوفاً ، قال : تَنَوَّقَ رَجُلٌ فِي « بسم الله الرحمن الرحيم » ففُغِرَ لَهُ .

وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن أشته في المصاحف ، من طريق أبان ، عن أنس مرفوعاً ، : « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بحمودة غفر الله له » .

وأخرج ابن أشته عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله : إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدَّ « الرحمن » .

وأخرج عن زيد بن ثابت ، أنه كان يكره أن تكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ليس لها سين .

وأخرج عن يزيد بن أبي جيب أن كاتب عمرو بن العاصي كتب إلى عمر ، فكتب « بسم الله » ولم يكتب لها سيناً ، فضربه عمر ، فقيل له : فيم ضربك أمير المؤمنين ؟ قال : ضربني في سين .

وأخرج عن ابن سيرين أنه كان يكره أن تمد الباء إلى اليم حتى تكتب السين .
وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن ابن سيرين أنه كره أن يكتب المصحف مشقاً ، قيل : لم ؟ قال : لأن فيه نقصاً ، وتحرم كتابته بشيء نجس ، وأما بالذهب فهو حسن ، كما قاله الفضالي .

وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس وأبي ذر وأبي الدرداء أنهم كرهوا ذلك .

وأخرج عن ابن مسعود ، أنه مرّ عليه مصحف زين بالذهب ، قال : إن أحسن ما زُين به المصحف تلاوته بالحق .

قال أصحابنا : وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى الشقوق أشد كراهة .
وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي ؟ قال الزركشي : لم أر فيه كلاماً لأحد من العلماء .

قال : لسان العرب ، ولقولهم : « القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلماً غير العربي » ،
وقد قال تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ . انتهى .

فائدة

أخرج ابن أبي داود عن إبراهيم التيمي ، قال : قال عبد الله : لا يكتب المصاحف
إلا مصري .

قال ابن أبي داود : هذا من أجل اللغات .

مسألة

اختلف في نقط المصحف وشكله ، وقال : أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي
بأسر عبد الملك بن مروان ، وقيل : الحسن البصري ويحيى بن يعمر ، وقيل : نصر بن
عاصم الليثي .

وأول من وضع الممز والنشديد والرّوم والإشمام والخليل .

وقال قتادة : بدموا فتقطعوا ثم خمسوا ، ثم عشروا .

وقال غيره : أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآي ، ثم الفوائج والخواثم .

وقال يحيى بن أبي كثير : ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف إلا النقط
الثلاث على رموس الآي . أخرجه ابن أبي داود .

وقد أخرج أبو عبيدو غيره عن ابن مسعود ، قال : جرّدوا القرآن ولا تخلطوه بشئ .

وأخرج عن النخعي أنه كره نقط المصاحف .

وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفوائج والخواثم .

وعن ابن مسعود ومجاهد أنها كرها التمشير ،

وأخرج ابن أبي داود عن النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْعَوَاشِرَ وَالْفَوَاحِ وَتَصْغِيرَ
الْمَصْحَفِ ، وَأَنْ يَكْتُبَ فِيهِ سُورَةُ كَذَا وَكَذَا .

وأخرج عنه أَنَّهُ أَتَى بِمَصْحَفٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ سُورَةُ كَذَا وَكَذَا آيَةً ، فَقَالَ : امْحُ هَذَا ،
فَإِنْ ابْنُ مَسْعُودٍ كَانَ يَكْرَهُهُ .

وأخرج عن أَبِي الْعَالِيَةِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْجَمْلَ فِي الْمَصْحَفِ ، وَفَاتِحَةَ سُورَةِ كَذَا
وْخَاتِمَةَ سُورَةِ كَذَا .

وقال مالك : لَا بَأْسَ بِالنَّقْطِ فِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي يَتَعَلَّمُ فِيهَا الْعِلْمَانُ ، أَمَّا الْأَمْهَاتُ فَلَا .
وقال الحلبيُّ : تَكْرَهُ كِتَابَةَ الْأَعْشَارِ وَالْأَخْمَاسِ وَأَسْمَاءِ السُّورِ وَعَدَدَ الْآيَاتِ
فِيهِ ، لِقَوْلِهِ : « جَرِّدُوا الْقُرْآنَ » . وَأَمَّا النَّقْطُ فَيَجُوزُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ فَيَتَوَهَّمُ لِأَجْلِهَا
مَا لَيْسَ بِقُرْآنٍ قَرَأْنَا ، وَإِنَّمَا هِيَ دَلَالَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ الْمَقْرُوءِ ، فَلَا يَضُرُّ إِثْبَاتُهَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا .
وقال البيهقيُّ : مِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ أَنْ يَفْخَمَ ، فَيَكْتُبَ مَفْرَجًا بِأَحْسَنِ خَطٍّ ، فَلَا
يَصْغُرُ وَلَا تَقْرَمُطُ حُرُوفُهُ ، وَلَا يَخَاطُ بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَمُدِّدِ الْآيَاتِ وَالسَّجْدَاتِ وَالْعَشْرَاتِ
وَالْوُقُوفِ وَاخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ وَمَعَانِي الْآيَاتِ ؛ وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الْحَسَنِ
وَإِبْنِ سِيرِينَ أَنَّهُمَا قَالَا : لَا بَأْسَ بِنَقْطِ الْمَصَاحِفِ .

وأخرج عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أَنَّهُ قَالَ : لَا بَأْسَ بِشَكْلِهِ .

وقال النوويُّ : نَقَطَ الْمَصْحَفَ وَشَكْلَهُ مُسْتَحَبٌّ ، لِأَنَّهُ صَيَانَةٌ لِمَنْ اللَّحْنُ وَالتَّحْرِيفُ .

وقال ابن مجاهد : يَنْبَغِي أَلَّا يَشْكَلَ إِلَّا مَا يَشْكَلُ .

وقال الدَّانِيُّ : لَا أَسْتَجِيزُ النَّقْطَ بِالسَّوَادِ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّغْيِيرِ لَصُورَةِ الرَّسْمِ ،

وَلَا أَسْتَجِيزُ جَمْعَ قِرَاءَاتٍ شَتَّى فِي مَصْحَفٍ وَاحِدٍ بِأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ التَّخْلِيطِ

والتغيير للرسوم ، وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحرّة ، والهمزات بالصّفرة .

وقال الجرجاني من أصحابنا في الشافي : من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره .

فائدة

كان الشكل في الصّذر الأول نقطاً ، فالفتحة نقطة على أوّل الحرف ، والضمة على آخره ، والكسرة تحت أوله ، وعليه مشى الدّاني . والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف ؛ وهو الذي أخرجه الخليل ، وهو أكثر وأوضح ، وعليه العمل ، فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف ، والكسر كذلك تحته ، والضّم واو صغرى فوقه والتنوين زيادة مثلها ؛ فإن كان مظهرأ - وذلك قبل حرف حلق - ركبت فوقها ، وإلا تابعت بينهما ، وتكتب الألف المحذوفة والمبدل منها في محلّها حمراء ، والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضاً ، وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الإقلاب « م » حمراء ، وقبل الحلق سكون ، وتقرأ عند الإدغام والإخفاء ، ويسكن كل مسكن ويعرّى الدغم ، ويشدد ما بعده إلا الطاء قبل التاء ، فيكتب عليها السكون ، نحو « فرطت » ، ومطة الممدود لا تجاوزه .

فائدة

قال الحرّبي في غريب الحديث : قول ابن مسعود : جردّوا القرآن ، يَحْتَمِل وجهين : أحدهما : جردّوه في التلاوة ، ولا تخلطوا به غيره .

والثاني : جردّوه في الخط من النقط والتعشير .

وقال البيهقي : الأبين أنه أراد : لا تخلطوا به غيره من الكتب ، لأن ما خلا القرآن من كتب الله إماماً يؤخذ عن اليهود والنصارى ، وليسوا بمؤمنين عليها .

فرع

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف ، عن ابن عباس ، أنه كره أخذ الأجرة على كتابة المصحف .

وأخرج مثله عن أيوب السخيتاني .

وأخرج عن ابن عمرو ابن مسعود ، أنهما كرها بيع المصاحف وشراءها وأن يُستأجر على كتابتها .

وأخرج عن مجاهد وابن المسيب والحسن أنهم قالوا : لا بأس بالثلاثة .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، أنه سئل عن بيع المصاحف ، فقال : لا بأس ، إنما يأخذون أجور أيديهم .

وأخرج عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصحف ، قال : لا بأس : إنما تبيع الورق .

وأخرج عن عبد الله بن شقيق ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتدّون في بيع المصاحف .

وأخرج عن النخعي قال : المصحف لا يباع ولا يورث .

وأخرج عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف ، وقال : عَيْنُ أَخَاكَ بِالْكِتَابِ ، أَوْهَبُ لَهُ .

وأخرج عن عطاء عن ابن عباس ، قال : اشترِ المصاحف ولا تَبِعْهَا .

وأخرج عن مجاهد أنه نهى عن بيع المصاحف ، ورخص في شرائها .

وقد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ، ثالثها كراهة البيع دون الشراء ، وهو

أصح الأوجه عندنا ، كما صححه في شرح المذهب ، ونقله في زوائد الروضة عن نص الشافعي . قال الرافعي : وقد قيل إن الثمن متوجه إلى الدفتين لأن كلام الله لا يباع ،

وقيل : إنه بدل من أجره النسخ انتهى

وقد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفية وابن جبير ، وفيه قول ثالث ، أنه بدل منهما معا ، أخرج ابن أبي داود ، عن الشعبي ، قال : لأبأس يبيع المصاحف ، إنما يبيع الورق وعمل يديه .

فرع

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد : القيام للمصحف بدعة لم تُعمد في الصدر الاول ، والصواب ما قاله النووي في التبيان من استحباب ذلك ، لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به .

فرع

يستحب تقبيل المصحف ، لأن عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه كان يفعله ، وبالقياس على تقبيل الحجر الاسود ذكره بعضهم ، ولأنه هدية من الله تعالى ، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف ، وإن كان فيه رفعة وإكرام لأنه لا يدخله قياس ، ولهذا قال عمر في الحجر : لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلُك ما قبلتُك .

فرع

يستحب تطييب المصحف ، وجعله على كرسی ، ومحرم توسده ، لأن فيه إذلالاً وامتهانا . قال الزركشي : وكذا مد الرجلين إليه .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف ، عن سفيان ، أنه كره أن تعلق المصاحف . وأخرج عن الضحاك ، قال : لاتتخذوا للعديث كراسي ككراسي المصاحف .

فرع

يجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح ، أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم ، قال : سألت مالكا عن تفضيض المصاحف . فأخرج إلينا مصحفاً ، فقال : حدثني أبي عن جدّي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان ، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا أو نحوه . وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل ، وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف ؛ دون غلافه المنفصل عنه ، والأظهر التسوية .

فرع

إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف ليلى ونحوه ، فلا يجوز وضعها في شق أو غيره لأنّه قد يسقط وبوطاً ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ، وفي ذلك إضرار بالكتوب . كذا قال الحلبي .

قال : وله غسلها بالماء ؛ وإن أحرقها بالنار فلا بأس ، أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه .

وذكر غيره أنّ الإحراق أولى من الفصل ، لأنّ الفصل قد تقع على الأرض .

وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الإحراق ، لأنه خلاف الاحترام والنوى بالكراهة .

وفي بعض كتب الحنفية أنّ المصحف إذا بلى لا يحرق ، بل يُحْمَلُ في الأرض ويدفن ، وفيه وقعة لتعرضه للوطء بالأقدام .

فرع

روى ابن أبي داود عن ابن السبّ ، قال : لا يقول أحدكم : مصحف ولا مسجّد ؛ ما كان لله تعالى فهو عظيم .

فرع

مذهبنا ومذهب جمهور العلماء تحريم من المصحف، الحديث، سواء كان أصغر أم أكبر، لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (١)، وحديث الترمذی وغيره: «لا يمس القرآن إلا طاهر».

خاتمة

روى ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعا: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته، أو ورث مصحفا» :

النوع السابع والتسعون
في معرفة تفسيره وتأويله
وبيان شره والحاجة إليه

التفسير «تفصيل» من الفسر ، وهو البيان والكشف ، ويقال : هو مقلوب السفر ،
تقول : أسفر الصبح إذا أضاء ، وقيل مأخوذ من التفسير : وهى اسم لما يعرف به
الطبيب المرض . والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع ، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله
من المعانى . وقيل من الإيالة ؛ وهى السياسة ؛ كأن المؤول للكلام سأس الكلام ،
ووضع المعنى فيه موضعه .

واختلف فى التفسير أو التأويل ، فقال أبو عبيد وطائفة : هما بمعنى .

وقد أنكر ذلك قوم ؛ حتى بالغ ابن حبيب النيسابورى ، فقال : قد نبغ فى زماننا
مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما هتدوا إليه .

وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها ،
وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجل ، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الإلهية ،
والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها .

وقال غيره : التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، والتأويل توجيه لفظ
متوجه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها ، بما ظهر من الأدلة .

وقال الماترىدى : التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنه
عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأى ، وهو المنهى
عنه ، والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله .

وقال أبو طالب التعلبى : التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة ، أو مجازاً ، كتفسير
الصراط بالطريق ، والصيب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ؛ مأخوذ من الأول وهو

الرجوع لمعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ؛ مثاله قوله تعالى : ﴿ إِنْ رَبُّكَ لَبِالرَّصَادِ ﴾ ^(١) ، تفسيره أنه من الرصد ، يقال : رصدته رقبته ، والرصاد « مِفْعَال » منه ، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه ؛ وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه ؛ على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

وقال الأصهباني في تفسيره : اعلم أن التفسير في عُرف العلماء كشف معاني القرآن ، وبيان المراد ؛ أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتأويل أكثره في الجمل ، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة ، والوصيلة ، أو في وجيز يتبين بشرح ، نحو أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بعرفتها ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيْءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ ^(٣) ؛ وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً ، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة ، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة ، وفي تصديق الحق أخرى ، وإما في لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة ، نحو لفظ « وجد » المستعمل في الجدة والوجد والوجود ^(٤) .

وقال غيره : التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية .

وقال أبو نصر القشيري : التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط ؛ مما يتعلق بالتأويل .

وقال قوم : ما وقع مبيتنا في كتاب الله ومعيننا في صحيح السنة سمي تفسيراً ، لأن معناه قد ظهروا ورح ، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره ؛ بل يحمله

على المعنى الذى ورد ؛ لا يعتمداه ، والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعانى الخطاب ،
الماهرُونَ فى آلات العلوم .

وقال قوم منهم البغوى والكواشى : التأويل صَرْفُ الآيةِ إلى معنى موافق لما
قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالفٍ للكتاب والسنة من طريق الاستنباط (١) :

وقال بعضهم : التفسير فى الاصطلاح علمُ نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها ،
والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مَكْتَبِها ومدنيتها ، ومَحْكَمِها ومتشابهها ، وناسخها
ومنسوخها ، وخاصتها وعامتها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفترها ، وحلالها وحرامها ،
ووعدها ووَعِيدِها ، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها .

وقال أبو حيان : التفسير علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها
وأحكامها الفردانية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك .
قال : فقولنا « علم » جنس ، وقولنا : « يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن » هو علم
القراءة ، وقولنا : « ومدلولاتها » ، أى مدلولات تلك الألفاظ ، وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج
إليه فى هذا العلم ، وقولنا : « وأحكامها الفردانية والتركيبية » ، هذا يشمل علم التصريف
والبيان والبديع ، وقولنا : « ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب » ، يشمل ما دلالاته
بالحقيقة ، وما دلالاته بالحجاز ، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصدّ عن الحمل عليه
صاد ، فيحمل على غيره ، وهو الحجاز . وقولنا : « وتتمت لذلك » ، هو مثل معرفة النسخ
وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك .

وقال الزركشى : التفسير علمٌ يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو
والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ
والمنسوخ .

فصل

[في وجه الحاجة إلى التفسير]

وأما وجه الحاجة إليه ، فقال بعضهم : اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كلَّ رسولٍ بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وإنما احتيج إلى التفسير لما سيُذكر بعد تقرير قاعدة ؛ وهي أن كلَّ مَنْ وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ، وإنما احتيج إلى الشروح لأُمور ثلاثة : أحدها كمال فضيلة المصنّف ، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلُّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : إغفاله بعض تكمات المسألة ، أو شروط لها ، اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

وثالثها : احتمال اللفظ لمعانٍ كما في المجاز والاشتراك ، ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنّف وترجيحه ، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشرٍّ من السهو والغلط ، أو تكرار الشيء أو حذف المهم وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

إذا تقرر هذا فنقول : إن القرآن إنما نزل بلسان عربيٍّ في زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه ، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤاَلهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم في الأكثر ، كسؤاَلهم لما نزل قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ^(١) ، فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ! ففسره النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، واستدلَّ عليه بقوله : ﴿ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) ، وكسؤاَل عائشة عن الحساب اليسير ، فقال : « ذلك العرض » ، وكقصّة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود .

وغيره ذلك ؛ مما سألو عن أحاديث منه ؛ ونحن محتاجون إلى ما كانوا محتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر ؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير ، ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون من قبل ضبط الألفاظ الوجيزة ، وكشف معانيها ، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض . انتهى

وقال الخوئي : علم التفسير عسير يسير ، أما عُسْرُهُ فظاهر من وجوه ، أظهرها أنه كلام متكلم ، لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ، ولا إمكان الوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها ، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو يسمع منه ، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك متمذّر إلا في آيات قلائل ، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل ، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه ، فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته .

فصل

[في شرف التفسير]

وأما شرفه فلا يخفى ، قال تعالى : ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره ، من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ ، قال : المعرفة بالقرآن ، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وأخرج ابن مردويه من طريق جوبير ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعا ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ ، قال : القرآن ، قال ابن عباس : يعني تفسيره ، فإنه قد قرأه البر والفاجر .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء : ﴿ يُوْتَى الْحِكْمَةُ ﴾ ، قال : قراءة القرآن ، والفكرة فيه . وأخرج ابن جرير مثله عن مجاهد وأبي العالية وقتادة .

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ^(١)

أخرج ابن أبي حاتم ، عن عمرو بن مرة ، قال : ما صهرت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا آخرتني ، لأني سمعت الله يقول : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

وأخرج أبو عبيد ، عن الحسن ، قال : ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت ، وما أراد بها .

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره ، كالأعرابي يهذ الشعر هذا ^(٢) .
وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا : « أعربوا القرآن ، واتمسوا غرائبه » .

وأخرج ابن الأنباري ، عن أبي بكر الصديق ، قال : لأن أعرّب آية من القرآن أحبُّ إلي من أن أحفظ آية .

وأخرج أيضا عن عبد الله بن بريدة ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة ، أعربت آية من كتاب الله لفعلت » .

وأخرج أيضا من طريق الشعبي ، قال : قال عمر : « من قرأ القرآن فأعرّبه ، كان له عند الله أجر شهيد » .

قلت : معنى هذه الآثار عندى إرادة البيان والتفسير ؛ لأن إطلاق الإعراب على

(١) العنكوت ٤٣

(٢) الهذ : سرعة القراءة ، وفي اللسان : « وفي حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفضل ، فقال : أهذا كهذ الشعر ! أراد : أهذ القرآن هذا ، فتسرع به كما تسرع في قراءة الشعر » ! .

الحكم النحوي اصطلاح حادث ، ولأنه كان في سلبقتهم لايحتاجون إلى تعلمه ، ثم رأيت ابن النقيب جَنَحَ إلى ما ذكرته ، وقال : ويموز أن يكون المراد الإعراب الصناعي ؛ وفيه بُعد .

وقد يُستدل له بما أخرجه السَّيْفِي في الطيوريات ، من حديث ابن عمر مرفوعاً : « أعرّبوا القرآن يدلّكم على تأويله » .

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجلّ العلوم الثلاثة الشرعية .

قال الأصهباني : أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن ؛ بيان ذلك أن شرف الصناعة إمّا بشرف موضوعها مثل الصياغة ، فإنها أشرف من الدبّاعة ، لأن موضوع للصياغة الذهب والفضة ، وهما أشرف من موضوع الدبّاعة الذي هو جلد الميتة . وإمّا بشرف غرضها ، مثل صناعة الطبّ ، فإنها أشرف من صناعة الكفاية ؛ لأن غرض الطبّ إفادة الصّحة ، وغرض الكفاية تنظيف المستراح . وإمّا لشدة الحاجة إليها كالْفقه ؛ فإن الحاجة إليه أشدّ من الحاجة إلى الطبّ ، إذ مامن واقعة في الكون في أحدٍ من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدّين ، بخلاف الطبّ ، فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات .

إذا عرف ذلك ، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث ؛ أمان جهة الموضوع ، فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كلّ حكمة ، ومعدن كلّ فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه . وأمّا من جهة القَرَض ، فلأن الفرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقيّة التي لا تنفَى . وأمّا من جهة شدة الحاجة ، فلأن كلّ كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي ، مفتقر إلى العلوم الشرعيّة والمعارف الدينيّة ؛ وهي متوقّفة على العلم بكتاب الله تعالى .

النوع الثامن والتسعون
في معيضة شروط المفسر وأدائه

قال العلماء : مَنْ أراد تفسير الكتاب العزيز ، طلبه أولاً من القرآن ، فما أُجمل منه في مكان فقد فسّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسّط في موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أُجمل في القرآن في موضع ، وفسّر في موضع آخر منه ، وأشارت إلى أمثلة منه في نوع المجلد ؛ فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، وقد قال الشافعي رضي الله عنه : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ ^(١) في آيات أخر . وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه » ، بمعنى السنة ، فإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، وقد قال الحاكم في المستدرک : إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع .

وقال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره : القول في أدوات المفسر : اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً ، ولزوم سنة الدين ، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه ، لا يؤمن على الدنيا ، فكيف على الدين ! ثم لا يؤمن من الدين على الإخبار عن عالم ، فكيف يؤمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ، ولأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغى الفتنة ، ويقو الناس بليته وخداعه ، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة ، وإن كان متهماً بجهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته ، كدأب القدرية ، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ، ومقصوده منه الإيضاح خلال النساكين ، ليصدم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه

وسلم ، وعن أصحابه ومن عاصرهم ، ويتجنب المحدثات ، وإذا تعارضت أقوالهم ، وأمكن الجمع بينهما فعل ، نحو أن يتسكّم على الصراط المستقيم ، وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد ، فيأخذ منها ما يدخل فيه الجميع ، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء ، فطريق السنّة وطريق النبي صلى الله عليه وسلم وطريق أبي بكر وعمر ، فأى هذه الأقوال أفرده كان محسناً . وإن تعارضت رد الأمر إلى ما ثبت فيه السمع ، وإن لم يجد سمعاً ، وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدها رجح ما قوى الاستدلال فيه ، باختلافهم في معنى حروف الهجاء يرجح قول من قال : إنها قسم ، وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه ، فيؤمن بمراد الله منها ، ولا يتهم على تعيينه وينزله منزلة الجمل قبل تفصيله ، والمشابه قبل تبيينه : ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول لياقئ التدبّد ، فقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(١) ، وإما يخاص له القصد إذا زهد في الدنيا ، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسّل به إلى عرض يصدّه عن صواب قصده ، ويُفسد عليه صحة عمله ، وتأم هذه الشرائط أن يكون ممثلاً من عُدّة الإعراب ، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام ، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان ، إما حقيقة أو مجازاً ، فتأويله تعطيله . وقد رأيت بمضهم يفسر قوله تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ ^(٢) ، إنه ملازمة قول الله ، ولم يدر القبي أن هذه جملة حذف منها الخبر ، والتقدير : الله أنزله . انتهى كلام أبي طالب .

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع : يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن ، كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : ﴿ لَتَمَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) ، يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل

قالوا : ففعلنا القرآن والعلم والعمل جميعا ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة .
وقال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدًّا في أعيننا . رواه أحمد في
في مسنده .

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه في الموطأ ، وذلك أن الله
قال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ أفلا يتدبرون
القرآن ﴾ ^(٢) ، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فنٍّ من العلم كالطب والحساب
ولا يستشرحونه ، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم ، وبه نجاحهم وسعادتهم وقيام
دينهم ودينامهم ! ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً ، وهو وإن
كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة ، فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم .

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ، وربما تكلموا في بعض ذلك
بالاستنباط والاستدلال . والخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وغالب ما يصح عنهم
من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ؛ وذلك صنفان : أحدهما أن
يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه ، تدل على معنى في المسمى غير المعنى
الآخر ، مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم « الصراط المستقيم » بعض بالقرآن ، أى اتباعه
وبعض بالإسلام ، فالقولان متفقان ، لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ؛ ولكن
كل منهما نبيه على وصف غير الوصف الآخر ، كما أن لفظ « صراط » يشعر
بوصف ثالث .

وكذلك قول من قال : هو السنة والجماعة ، وقول من قال : هو طريق
العبودية ، وقول من قال : هو طاعة الله ورسوله ، وأمثال ذلك ؛ فهؤلاء كلهم أشاروا

إلى ذات واحدة ، لكن وصفها كلٌّ منهم بصفة من صفاتها .

الثانى : أن يذكّر كلٌّ منهم من الاسم العامّ بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحدّ المطابق للمحدود فى عمومته وخصوصه ؛ مثاله ما نقل فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا... ﴾ ^(١) ، الآية ، فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات ، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك الحرمات ، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات ؛ فالملتصون أصحاب اليمين ؛ والسابقون السابقون أولئك المقربون .

ثمّ إن كلاًّ منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات ، كقول القائل : السابق الذى يصلّى أوّل الوقت ، والمقتصد الذى يصلّى فى أثنائه ، والظالم لنفسه الذى يؤخّر العصر إلى الاصفرار . أو يقول : السابق الحسن بالصدقة مع الزكاة ، والمقتصد الذى يؤدّى الزكاة المفروضة فقط ، والظالم مانع الزكاة .

قال : وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوّع التفسير ؛ تارة لتنوّع الأسماء والصفات ، وتارة لذكر بعض أنواع المسمّى ، هو الغالب فى تفسير سلف الأئمة الذى يظنّ أنه مختلف . ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين ؛ إما لكونه مشتركاً فى اللغة ، كلفظ « قسورة » الذى يُراد به الرامى ، ويُراد به الأسد ، ولفظ « عسعر » الذى يُراد به إقبال الليل وإدباره ؛ وإما لكونه متواطئاً فى الأصل ؛ لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين ، كالضامن فى قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ^(٢) الآية ، وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر ، وأشبه ذلك ، فمثل هذا قد يجوز أن يُراد كلّ المعانى التى قالها السلف ، وقد لا يجوز ذلك .

فالأوّل إما لكون الآية نزلت مرتين ، فأريد بها هذا تارة ، وهذا تارة ، وإما لكون

اللفظ المشترك، يجوز أن يُراد به معنياه ، وإما لكون اللفظ متواطئاً ، فيكون عامّاً إذا لم يكن لمخصّصه موجب ؛ فهذا النوع إذا صحّ فيه القولان كان من الصّنف الثّاني .
ومن الأقوال الموجودة عنهم ، ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بالفاظ متقاربة ، كما إذا فسر بعضهم « تبسل » : « تحبس » ، وبعضهم : « تُترهن » ؛ لأنّ كلّاً منهما قريب من الآخر .

ثم قال : فصل : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول إمّا عن المصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك ؛ وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضميمه عامّة ممّا لا فائدة فيه ، ولا حاجة بنا إلى معرفته ؛ وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه ، وفي البعوض الذي ضُرب به القتل من البقرة ، وفي قَدْر سفينة نوح وخشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك ؛ فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ؛ فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قُبِل ، وما لا بأنّ نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقِف عن تصديقه وتكذيبه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ، ولا تكذبوهم » .
وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض ، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً ، فالنفسُ إليه أسكن مما ينقل عن التابعين ؛ لأنّ احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو من بعض مَنْ سمعه منه أقوى ؛ ولأنّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقلّ من نقل التابعين . ✓

ومع جزم الصحابي بما يقوله ، كيف يقال : إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نُهِوا عن تصديقهم ! وأمّا القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه ؛ فهذا موجود كثيراً والله الحمد ؛ وإن قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » ، وذلك لأنّ الغالب عليها المراسيل .

وأما ما يُعلم بالاستدلال لا بالنقل ؛ فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حَدَّثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فإن التفسير التي يذكُر فيها كلام هؤلاء صرّفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين ؛ مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ، ووكيعة وعبد وإسحاق وأمثالهم ؛ أحدهما قوم اعتقدوا معاني ، ثم أرادوا حَمْل ألفاظ القرآن عليها . والثاني قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريد به من كان من الناطقين بلغة العرب ، من غير نظرٍ إلى التسكّم بالقرآن والنزّل عليه والمحاطب به ؛ فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظرٍ إلى ما تستحقّه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والآخرون راعوا مجرد اللفظ ، وما يجوز أن يُريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم في سياق الكلام . ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة ، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم ، كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسّروا به القرآن ، كما يغلط في ذلك الآخرون ؛ وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق . والأولون صنفان : تارة يسلبون لفظ القرآن مادلاً عليه وأريد به ، وتارة يحمله على ما لم يدلّ عليه ، ولم يُردّ به ، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً ، فيكون خطرهم في الدليل والمدلول ، وقد يكون حقاً ؛ فيكون خطرهم في الدليل لا في المدلول ؛ فالذين أخطأوا فيها مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة ، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين ؛ لافي رأيهم ولا في تفسيرهم ؛ وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم ، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ والجبائيّ وعبد الجبار والرمانيّ والزحشرى وأمثالهم .

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدسّ البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه ؛ حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنّة كثير من تفاسيرهم الباطلة . وتفسير ابن عطية وأمثاله أنبجُ للسنّة ، وأسلم من البدعة ، ولو ذكّر

كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن ، فإنه كثيراً ما ينقل من تفدير ابن جرير الطبري ؛ وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ، ثم إنه يدع ما ينقله عن السلف ، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين ، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم ، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة ؛ لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير ، وجاء قوم ففسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه ؛ وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين ، صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا . وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك ، بل مبتدعاً ، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه ، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله . وأما الذين أخطئوا في الدليل لا المدلول فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء ، يفسرون القرآن بمعانٍ صحيحة في نفسها ، لكن القرآن لا يدل عليها ؛ مثل كثير مما ذكره السامع في الحقائق ؛ فإن كان فيما ذكره معانٍ باطلة دخل في القسم الأول . انتهى كلام ابن تيمية ملخصاً ، وهو نفيس جداً .

* * *

[فصل في أمهات مآخذ التفسير]

وقال الزركشي في البرهان : للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة :

الأول : النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا هو الطراز المعلم ، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع ، فإنه كثير ؛ ولهذا قال أحمد : ثلاث كتب لا أصل لها : المغازي والاسلام والتفسير ؛ قال المحققون من أصحابه : مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة ، وإلا فقد صحَّ من ذلك

كثير ، كتفسير الظلم بالشرك ^(١) في آية الأنعام ، والحساب اليسير بالعرض ، والقوة بالرمي في قوله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(٢) .

قلت : الذي صحَّ من ذلك قابل جداً ، بل أصل المرفوع منه في غالب القلة ، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

الثاني : الأخذ بقول الصحابي ؛ فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قاله الحاكم في مستدركه ^(٣) . وقال أبو الخطاب من الحنابلة : يحتمل ألا يرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة . والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأي .

قلت : ما قاله الحاكم نازعه فيه ابنُ الصلاح وغيره من المتأخرين ، بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه ؛ مما لا مدخل للرأى فيه . ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث ، فقال : ومن الموقوفات تفسير الصحابة ، وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسند ؛ فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول ، فقد خصص هنا وعمم في المستدرك . فاعتمد الأول . والله أعلم .

ثم قال الزركشي : وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد ، واختار ابن عَقِيل المنع ، وحكوه عن شعبة ، لكن عمل المفسرين على خلافه ، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم ، لأن غالبها تلقوها من الصحابة ، وربما تحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ ، فيظهر من لا فهم عنده أن ذلك اختلاف محقق فيحكيه أقوالاً ، وليس كذلك بل يكون كل واحدٍ منهم ذكر معنى من الآيات ؛ لسكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل ، وقد

(١) عبارة البرهان : ١٥٧ : « فن ذلك تفسير الظلم بالشرك » في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَ

يَكْلِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ وتفسير الحساب اليسير بالعرض ، رواها البخارى .

(٢) الأقال ٦٠ ، وبهذا في البرهان : « وبذلك يرد تفسير مجاهد بالخيل » . ثم قال : وكتفه

العبادة بالدعاء في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾

(٣) البرهان : « في تفسيره »

يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره ، والآخر بمقصوده وثمرته ، والسكـ
يؤول إلى معنى واحد غالباً : فإن لم يمكن الجمع ، فالتأخر من القولين عن الشخص الواحد
مقدم إن استوتباً في الصحة عنه ، وإلا فالصحيح المقدم .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة ؛ فإن القرآن نزل بلسان عربيٍّ ؛ وهذا قد ذكره جماعة ،
ونصَّ عليه أحمد في مواضع ، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل
له الرجل بيت من الشعر ، فقال : ما يعجبني . فقيل : ظاهره المنع ، ولهذا قال بعضهم :
في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد . وقيل : الكراهة تحمّل على
صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة ، يدل عليها القليل من كلام العرب ،
ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ، ويكون المتبادر خلافها .

وروى البيهقي في الشعب عن مالك ، قال : لا أوتى رجل غير عالم بآفة العرب
فسر كتاب الله إلا جماعته نكالا .

الرابع : التفسير بالمقتضى معنى الكلام ، والمقتضب من قوّة الشرع ، وهذا هو
الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، حيث قال : « اللهم فقهه في الدين
علمه التأويل » ؛ والذي عناه على بقوله : « إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن » (١) .
من هنا اختلف الصحابة في معنى الآية ، فأخذ كلُّ رأيٍ على منتهى نظره ، ولا يجوز
سير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ
بِكَ بِهٖ عِلْمٌ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وقال :
﴿ لَتُحِبِّينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤) ، فأضاف البيان إليه . وقال صلى الله عليه وسلم :

(١) عبارة البرهان : وروى البخارى رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي : « هل خصم
ول الله بشيء ؟ فقال : ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة ، أو فهم يؤتاه الرجل » .

(٣) النحل ٤٤

(٣) البقرة ١٦٩

(٢) الإسراء ٣٦

« مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ، فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ » ، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقال : « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ، أخرجه أبو داود .

قال البيهقي في الحديث الأول : هذا إن صح ، فإنما أراد - والله أعلم - الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه ، وأما الذي يسنده برهان ، فالقول به جائز .

وقال في المدخل : في هذا الحديث نظر ، وإن صح فإنما أراد به - والله أعلم : فقد الطريق ، فسبيله أن يرجع في تفسيره ألفاظه إلى أهل اللغة ، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله ، وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) ، فما ورد بيانه عن صاحب الشرع فقيه كفاية عن ذكره من بعده ، وما لم يرد عنه بيانه فقيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ، يستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد . قال : وقد يكون المراد به : مَنْ قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِأَصُولِ الْعِلْمِ وَفُرُوعِهِ ، فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرف غير محمودة .

وقال الماوردي ^(٢) : قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره ، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، ولو صحبتها الشواهد ، ولم يعارض شواهد نص صريح وهذا عدول عما تُعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام ، كما قال تعالى ﴿ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ مِنْهُمْ ﴾ ^(٣) . ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء إلا بالاستنباط ، ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً . وإن صح الحديث فتأويله أن مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِمَجْرَدِ رَأْيِهِ ، ولم يرجع على سوى لفظه ، وأصاب الحق ، فقد أخطأ الطريق ، وإصابته اتفاق ؛ إذا الغرض أنه مجرد رأي لا شاهد له ؛ وفي الحديث

(٢) البرهان : « قال الإمام أبو الحسن الماوردي في نكتة »

(١) النحل ٤٤

(٣) النساء ٨٣

« القرآن ذُلُولٌ ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن وجوهه » ، أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس .

قوله : « ذُلُولٌ » يحتمل معنيين أحدهما أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم . والثاني أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصُر عنه أفهام المجتهدين .

وقوله : « ذو وجوه » يحتمل معنيين : أحدهما أن من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل ، والثاني أنه قد جمع وجوها من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم .

وقوله : « فاحملوه على أحسن وجوهه » يحتمل معنيين : أحدهما الحمل على أحسن معانيه ، والثاني أحسن مافيه من العزائم دُونَ الرُّخَص ، والعفو دون الانتقام ، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى .

وقال أبو الليث : انتهى إنما انصرف إلى التشابه منه ، لا إلى جميعه كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ^(١) لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق ؛ فلم يحز التفسير لم تكن الحجة بالغة . فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره ، وأما من لم يعرف وجوه اللغة ، فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع ؛ فيكون ذلك على وجه الحكاية ، لا على وجه التفسير . ولو أنه يعلم التفسير ، وأراد أن يستخرج من الآية حكما أو دليل الحكم ، فلا بأس به ، ولو قال : المراد من الآية كذا من غير أن يسمع فيه شيئا ؛ فلا يحل ، وهو الذي نهى عنه ^(٢) .

وقال ابن الأنباري في الحديث الأول : حمله بعض أهل العلم على أن الرأي معنى للهوى ، فمن قال في القرآن قولاً بوافق هواه ، فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب ، فقد أخطأ ؛ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر النقل فيه .

وقال في الحديث الثانى : له معنيان : أحدهما مَنْ قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعمِّض لسخط الله تعالى . والآخر - وهو الأصح - من قال فى القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار .

وقال البغوى والكواشى وغيرهما : التأويل صَرَف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها ، تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محذور على العلماء بالتفسير ، كقوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(١) قيل : شبابا وشيوخا . وقيل : أغنياء وفقراء . وقيل : عزابا ومتأهلين . وقيل : نشاطا وغير نشاط . وقيل : أحماء ومرضى ؛ وكل ذلك سائغ ، والآية تحتمله .

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحذور ، لأنه تأويل الجاهلين ، مثل تأويل الروافض قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ^(٢) أنها على وفاطمة . ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ^(٣) ، يعنى الحسن والحسين .

وقال بعضهم : اختلف الناس فى تفسير القرآن ، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن ، وإن كان عالما أديبا . متمسكا فى معرفة الأدلة والفقه والتحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التى يحتاج للمفسر إليها وهى خمسة عشر علما .

أحدها : اللغة ؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب . وتقدم قول الإمام مالك فى ذلك ، ولا يكتفى فى حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

الثانى : التحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلا بد من اعتباره ؛

أخرج أبو عبيد عن الحسن ، أنه سُئِلَ عن الرَّجُلِ يتعلَّمُ العربيةَ يلتمسُ بها حسنَ المنطقِ ،
ويقيمُ بها قراءته ، فقال : حسن ، فتعلَّمْها ، فإنَّ الرجلَ يقرأ الآيةَ فيعيا بوجهها ، فيهلكُ فيها .
الثالث : التصريف ، لأنَّ به تعرف الأبنية والصِّيغ ، قال ابن فارس : ومن فاته
علمه فاته المعظم ، لأنَّ « وجد » مثلاً كلمة مبهمه ، فإذا صرَّفناها اتَّضحت بمصادرِها .

وقال الزمخشري : من يدع التفاسير قول مَنْ قال : إنَّ الإمامَ في قوله تعالى :
﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسمِهِمْ ﴾ ^(١) ، جمع « أم » ، وأنَّ الناسَ يُدْعون يوم القيامة
بأسمائهم دون آبائهم ، قال : وهذا غلطٌ أوجبَه جهله بالتصريف ، فإنَّ « أمَّا » لا يجمع
على « إمام » .

الرابع : الاشتقاق ، لأنَّ الاسمَ إذا كان اشتقاقه من مادَّتين مختلفتين ، اختلف
المعنى باختلافهما ، كالسَّيِّح ، هل هو من السياحة أو المسح !

الخامس والسادس والسابع : المعاني والبيان والبدیع ، لأنَّه يُعرَفُ بالأوَّلِ خواصُّ
تراكيب الكلام من جهة إقامتها المعنى ، وبالثاني خواصُّها من حيث اختلافها بحسب
وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوهُ تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي
علوم البلاغة ؛ وهي من أعظم أركان المفسِّر ؛ لأنَّه لا بدَّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ،
وإنما يدرك بهذه العلوم .

قال السكاكي : اعلم أنَّ شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة
الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحاة ، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوى الفطر السليمة
إلا التمرن على علمي المعاني والبيان .

وقال ابن أبي الحديد : اعلم أنَّ معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق من
الكلام أمرٌ لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه ، وهو بمنزلة جاريتين

إحداها بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين ، نقيه الثغر ، كجلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة ، والأخرى دونها في هذه الصفات والحاسن ؛ لكنها أحلى في العيون والقلوب منها ، ولا يدرى سبب ذلك ؛ ولكنه يُعرف بالذوق والمشاهدة ، ولا يمكن تعليله ، وهكذا الكلام . نعم يبقى الفرق بين الوصفين ، أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة ، وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقهاء يكون من أهل الذوق ومن يصلح لا تنقاد الكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك ذُرْبَةٌ وَمَلَكَ تَامَّةٌ ؛ فإلى أولئك ينبغي أن يُرجَعَ في معرفة الكلام ، وفضل بعضه على بعض .

وقال الزمخشري : من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدى سليما من القادح . وقال غيره : معرفة هذه الصناعة بأوضاعها ، هي عُمدَةُ التفسير المطالع على عجائب كلام الله تعالى ، وهي قاعدة الفصاحة ، واسطة عقد البلاغة .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقرءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على مالا يجوز على الله تعالى ، فالأصولُ يؤوّل ذلك ، ويستدلّ على ما يستحيل وما يجب وما يجوز .

العاشر : أصول الفقه ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادي عشر : أسباب النزول والقصاص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلم الحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير الجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة ؛ وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

قال ابن أبي الدنيا : وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحرٌ لا ساحل له . قال : فهذه العلوم - التي هي كالآلة للمفسر - لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها ، فمن فسّر بدونها كان مفسراً بالرأى المنهى عنه ، وإذا فسّر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأى المنهى عنه .
قال : والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب ، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هذا شيء ليس في قدرة الإنسان ، وليس كما ظننت من الإشكال ، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد .

قال في البرهان : اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ، ولا يظهر له أسرارها وفي قلبه بذعه أو كبر أو هووى أو حب الدنيا ، أو وهو مصرّ على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع إلى معقوله ؛ وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكدر من بعض .

قلت : وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(١) ، قال سفيان بن عيينة : يقول : أنزع عنهم فهم القرآن . أخرجه ابن أبي حاتم .

وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس ، قال : التفسير أربعة أوجه : وجهٌ تعرفه العرب من كلامها ، وتفسيرٌ لا يعذر أحدٌ بجهالة ، وتفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى .

ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ : « أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلال ، وحرام لا يعذر أحد بجهالة ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه الا الله تعالى . ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب »^(١) .

قال الزر كشي في البرهان : في قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح ، فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم ، وذلك اللغة . والإعراب ، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ، ولا يلزم ذلك القارئ . ثم إن كان ماتتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم ، كفى فيه خبر الواحد والاثنين ، والاستشهاد بالبيت والبيتين ، وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك ، بل لابد أن يستفيض ذلك اللفظ ، وتكثر شواهد من الشعر .

وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه ، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم ، ويسلم القارئ من اللحن ، وإن لم يكن محيلاً للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن ، ولا يجب على المفسر لوصوله^(٢) إلى المقصود بدونه^(٣) .

وأما ما لا يعذر أحد بجهله ، فهو ما يتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله تعالى ؛ فهذا القسم لا يلتبس تأويله ، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد ، من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٤) ، وأنه لا شريك له في الإلهية^(٥) ، وأن لم يعلم أن « لا » موضوعه في اللغة للنفي « وإلا » للإثبات ، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾^(٦) ونحوها

(١) نقله في البرهان ١٦٤ : ٢ ، عن عبدالرزاق في تفسيره . (٢) البرهان : « ليتوصل »

(٣) بعله في البرهان : « على أن جهله نقص في حق الجميع » (٤) محمد ١٩

(٦) البقرة ٤٣

(٥) البرهان : « الهيئة »

[من الأوامر] طلب إدخال المأمور به في الوجود وإن لم يعلم أن صيغة « أفعل » للوجوب ^(١) ، فما كان من هذا القسم لا يندر أحدٌ يدعى الجمل بمعنى ألفاظه ، لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة .

وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فهو ما يجري مجرى الغيوب ؛ نحو الآي المتضمنة قيام الساعة ، وتفسير الروح ، والحروف المقطعة ، وكلّ متشابه في القرآن عند أهل الحق ، فلا مساعٍ للاجتهاد في تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله ^(٢) .

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم ؛ فهو الذي يغاب عليه إطلاق التأويل ؛ وذلك استنباط الأحكام ، وبيان الجمل وتخصيص العموم . وكلّ لفظٍ احتمل معنيين فصاعداً ؛ فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ؛ فإن كان أحدُ المعنيين أظهرَ وجب الحمل عليه ، إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي . وإن استويا - والاستعمال فيهما حقيقة ؛ لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية ، وفي الآخر شرعية - فالحمل على الشرعية أولى ، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية ، كما في ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ ﴾ إن صلاتك سكن لهم ^(٣) . ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى ، لأن الشرع ألزم . فإن تنافى اجتماعهما ، ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد ، كالتقرء للحيض والطهر ، اجتمع في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه ، فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه ، وإن لم يظهر له شيء ، فهل يتخير في الحمل على أيتهما شاء ، أو يأخذ بالأغلاظ حكماً ، أو بالأخف ؟ أقوال . وإن لم يتنافيا وجب الحملُ عليهما عند المحققين ، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا أن دل دليل على إرادة أحدهما . إذا عرف ذلك فينزل حديث « مَنْ تكلم في

(١) البرهان مقتضاهما الترجيح وجوباً أو ندباً

(٢) بعدما في البرهان : « فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما لا استأثر الله تعالى بعلمه » .

(٣) التوبة ١٠٣

القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » على قسامين من هذه الأربعة :

أحدها تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة لسان العرب .

والثاني : حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك إلى معرفه أنواع من العلوم ، والتبحر في العربية واللغة ، ومن علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء وصيغ الأمر والنهي والخبر ، والجمل والبيان ، والعموم والخصوص ، والمطلق والقيّد ، والمحكم والمنشابه ، والظاهر والمؤول ، والحقيقة والحجاز ، والصريح والكناية ، ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط ، والاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه ؛ ومع ذلك فهو على خطر ، فعليه أن يقول : يحتمل كذا ، ولا يجوز إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به ، فأدى [اجتهداه إليه] ^(١) ، فيحرم خلافه مع تجويز خلافه عند الله . انتهى ^(٢) .

وقال ابن النقيب : جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأى خمسة أقوال :

أحدها : التفسير من غير حصول العلوم ، التي يجوز معها التفسير .

الثاني : تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

الثالث : التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً ، فيرد إليه بأيّ طريق أمكن ، وإن كان ضعيفاً .

الرابع : التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل .

الخامس : التفسير بالاستحسان والهوى .

ثم قال : واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام :

الأول علم لم يُطلع الله عليه أحداً من خلقه ، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو ، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً .

الثاني : ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب ، واختصه به ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم ، أو لِمَنْ أذن له ، قال : وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل : من القسم الأول .

الثالث : علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية ، وأمره بتعليمها ؛ وهذا ينقسم إلى قسمين : منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع ، وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد ، ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ ، وهو قسمان : قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات ، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية ؛ لأن منبأها على الأقيسة ؛ وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه ، واستخراجها لمن له أهلية . انتهى ما خصاً .

وقال أبو حيان : ذهب بعض من عاصرناه إلى أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم ؛ وأن فهم الإيات يتوقف على ذلك . قال : وليس كذلك ^(١) .

وقال الزركشي بعد حكاية ذلك : الحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتبيين الجمل ، ومنه ما لا يتوقف ، ويكفي في تحصيله الثقة على الوجه المعتبر . قال : وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل ، والتمييز بين المنقول والمستنبط ، ليحمل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط ^(٢) .

قال : واعلم أن القرآن قسمان : : قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد .

(١) مقدمة تفسيره ١ : ٥ ، مع اختصار وتصرف ، ونقله صاحب البرهان في ٢ : ١٧١

(٢) البرهان ٢ : ١٧١ - ١٧٢

والأول إما أن يردَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو رءوس التابعين .
 فالأول يُبحث فيه عن صحة السند ، والثاني يُنظر في تفسير الصحابيِّ ، فإن فسره من حيث
 اللغة فهم أهل اللسان - فلا شك في اعتماد - أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك
 فيه ، وحينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة ، فإن أمكن الجمع فذاك ، وإن
 تعذر فُدِّم ابن عباس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بذلك ، حيث قال : « اللهم
 علمه التأويل » . وقد رجَّح الشافعي قول زيد في القرائن ، لحديث « أفرضكم زيد » .
 وأما ماورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك هنا ، وإلاَّ وجب الاجتهاد .
 وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات
 الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السِّيَاق ، وهذا يعتنى به الراغب
 كثيراً في كتاب « المفردات » ، فيذكر قيماً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ
 لأنه اقتضاه السِّيَاق ^(١) . انتهى .

قلت : وقد جمعتُ كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، فيه
 بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ؛ وقد تمَّ والله الحمد في أربع مجلدات
 وسميته : « ترجمان القرآن » ، ورأيت وأنا في أثناء تصنيفه النبي صلى الله عليه وسلم في
 المنام ، في قصة طويلة تحتوي على بشارة حسنة .

تنبيه

من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة ؛ وذلك أنه
 قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان ، فيُظنُّ اختلافاً وليس باختلاف ؛ وإنما
 كلُّ تفسير على قراءة . وقد تعرض السلف لذلك ، فأخرج ابن جرير في قوله تعالى :

(٤) البرهان ٢ : ١٧٢ بعنوان : « تخيل لما سبق » مع تصرف واختصار

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾^(١) من طرق عن ابن عباس وغيره ، أن «سُكِّرَتْ» بمعنى «سُدَّتْ» ، ومن طرقٍ أنها بمعنى «أُخِذَتْ» .

ثم أخرج عن قتادة ، قال : من قرأ «سُكِّرَتْ» مشددة ، فإنما يعني «سُدَّتْ» ، ومن قرأ «سُكِّرَتْ» مخففة فإنه يعني «سُحِرَتْ» .

وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع . ومثله قوله تعالى : ﴿سَرَّابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرٍ﴾^(٢) ، أخرج ابن جرير عن الحسن ، أنه الذي شُهِبَ به الإبل .

وأخرج من طرق عنه وعن غيره . أنه النحاس المذاب ، وإيسا بقولين ؛ وإنما الثانى تفسير لقراءة من «قَطِرَ آي» بتنوين «قَطِرٍ» ، وهو النحاس و«آي» شديد الحر ، كما أخرجه ابن أبى حاتم هكذا عن سميد بن جبير .

وأمثله هذا النوع كثيرة ، والكافل بينها كتابنا «أسرار التنزيل» ، وقد خرجت على هذا قديما الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره فى تفسير آية : ﴿أَوَلَمْ نَسْمَعْ﴾ ، هل هو الجماع أو الجنس باليد ؟ فالأول تفسير لقراءة ﴿لَمْ نَسْمَعْ﴾ ، والثانى لقراءة ﴿لَسْمَعْ﴾ ، ولا اختلاف .

فائدة

قال الشافعى رضى الله عنه فى مختصر البويطى : لا يحلّ تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو خبر عن أحد من أصحابه ، أو إجماع العلماء «هذا نصّه» .

[فصل فى تفسير الصوفية]

وأما كلام الصوفية فى القرآن فليس يتغير ، قال ابن الصلاح^(٣) فى فتاويه :

(١) الحجر ١٥ (٢) إبراهيم ٥٠ (٣) هو أبو عمرو بن عبد الرحمن الشهرزورى الشافعى المتوفى سنة ٦٤٣ . وفتاويه جمعا بعض طلبته ، وهو الكمال إمام هاشمى الشافعى ، فى مجلد واحد كثير القوائد (كشف الظنون) .

وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمى « حقائق التفسير » ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيراً فقد كفر .

قال ابن الصلاح : وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم ، إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإما ذلك منهم لنظير ماورد به القرآن ؛ فإن النظير يُذكر بالنظير ؛ ومع ذلك فيآلياتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس ! .
وقال النسفى^(١) فى عقائده : النصوص على ظاهرها والمدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن الحادّ .

قال الفتازانى^(٢) فى شرحه : سُميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معانٍ باطنية لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية .

قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهو من كمال الإيمان ، ومحض العرفان .

وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البقلى عن رجل قال فى قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٣) : إن معناه : من ذل : أى من الذل . ذى : إشارة إلى النفس ، يشف : من الشفا جواب « مَنْ » . ع : أسمر من الوعى ، فأفتى بأنه ملجّد ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فى آيَاتِنَا لَيخَفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾^(٤) ، قال ابن عباس : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، أخرجه ابن أبى حاتم .

فإن قلت : فقد قال القرابى حدثنا سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن

(١) هو عمر بن محمد نجم الدين أبو حفص النسفى المرقندى الحنفى ، التوفى سنة ٥٣٧ هـ . وكتابه العقائد فى علم التوحيد ، شرحه سعد الدين الفتازانى ، وأخر كشف الظنون ، والفوائد البهية ٤٤٩ .
(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله الفتازانى أحد عاظمى الدنيا الذين اشتهرت مصنفاتهم ، كما انتهت إليه رئاسة الحنفية . توفى سنة ٧٢٢ بمرقند . الفوائد البهية ١٣٤ .
(٣) البقرة ٢٥٥
(٤) فصلت ٤٠

قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ » .

وأخرج الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً : « القرآن تحت العرش ، له ظهر وبطن يحاج العباد » .

وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبخاري وغيرهم ، عن ابن مسعود موقوفاً : « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حدٌّ ، ولكل حدٍّ مطلع » .

قلت : أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه :

أحدها : أنك إذا بحثت عن باطنها وقست على ظاهرها ، وقفت على معناها .

والثاني : أن ما من آية إلا عمل بها قوم ، ولها قوم سيعملون بها ، كما قال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم .

الثالث : أن ظاهرها لفظها ، وباطنُها تأويلها .

الرابع : قال أبو عبيد - وهو أشبهها بالصواب : إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ، ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، إنما حديث حدث به قوم ، وباطنُها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم ، فيحل بهم مثل ما حل بهم .

وحكى ابن النقيب قولاً خامساً : إن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وباطنُها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق ، ومعنى قوله : « ولكل حرف حدٌّ » ، أى منتهى ، فيما أراد الله من معناه . وقيل : لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب . ومعنى قوله : « ولكل حدٍّ مطلع » ، لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ، ويوقف على المراد به . وقيل : كل ما يستحق من الثواب والعقاب يطالع عليه في الآخرة عند المجازاة .

وقال بعضهم : الظاهر العلوة والباطن الفهم ، والحد أحكام الحلال والحرام .

والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد .

قلت : يؤيد هذا ما أخرجه ابنُ أبي حاتم ، من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : إن القرآن ذوشجون وفنون ، وظهور وبطن ، لا تنقض عجائبه ، ولا تُبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفقٍ نجا ، ومن أوغل فيه بمنفٍ هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخٌ ومنسوخ ، ومحكمٌ ومتشابه ، وظاهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء .

وقال ابن سبُع في شفاء الصدور ^(١) : ورد عن أبي الدرداء أنه قال : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً .

وقال ابن مسعود : من أراد عِلْمَ الأولين والآخرين فليثور القرآن ^(٢) .
قال : وهذا الذي قاله لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر .

وقال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ، ومتسعاً بالغاً ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ، وليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل ، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقَيَّ به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولاً ، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ، ولم يُحكم التفسير الظاهر ، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت ، قبل أن يحاوز الباب . انتهى .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ^(٣) في كتابه لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره ؛

(١) ذكر صاحب كشف الظنون (٢) ليثور القرآن ، أي لينقرعه ، ويفكر في معانيه . واظهرناه ابن الأثير ٦ : ٢٣٩ . (٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري ، أحد العلماء الجامعين علوم الدين ، من التفسير والحديث والأصول والتصوف . استوطن القاهرة الوعظ ، ثم رحل إلى الإسكندرية ومات بها سنة ٧٠٩ ، وكتاب لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس المرسي ، طبع في سنة ١٣٠٤ .

ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه في عُرف اللسان ، وثُمَّ أفهامٌ باطنةٌ تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء في الحديث : « لكل آية ظهر وبطن » ، فلا يصدّنك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ، فليس ذلك بإحالة ، وإما يكون إحالة لو قالوا : لامتني للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم .

فصل

[فيما يجب على المفسّر]

قال العلماء : يجب على المفسّر أن يتحرّى في التفسير مطابقة المفسّر ، وأن يتحرّز في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى ، أو زيادة لا تليق بالعرض ، ومن كون المفسّر فيه زيف عن المعنى ، وعدول عن طريقه . وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف ، والفرض الذي سيق الكلام ، وأن يؤاخي بين المفردات ، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية ، وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة ، فيتكلّم عليها من جهة اللغة ، ثم التصريف ، ثم الاشتقاق ، ثم يتكلّم عليها بحسب التركيب ، فيبدأ بالإعراب ، ثم بما يتعلّق بالمعاني ، ثم البيان ، ثم البديع ، ثم يبيّن المعنى المراد ، ثم الاستنباط ، ثم الإشارات ؟ .

وقال الزركشي في أوائل البرهان : قد جرت عادة المفسرين أن يبدعوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث في أنه : أيّما أولى البداءة به : يتقدّم السبب على السبب ، أو بالنسبة ؛ لأنها المصححة لنظم الكلام ، وهي سابقة على النزول .

قال : والتحقيق التمهيد بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ، فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر

السبب ، لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة ^(١) .

وقال في موضع آخر : جرت عادة المفسرين من ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة ، لما فيها من الترغيب والحث على حفظها ، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرماني : سألت الزمخشري عن العلة في ذلك فقال : لأنها صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف . وكثيراً ما يقع في كتب التفسير « حكى الله كذا » ، فينبغي تجنبه .

قال الإمام أبو نصر القشيري ^(٢) في المرشد : قال معظم أئمتنا : لا يقال : « كلام الله محكى » ولا يقال : « حكى الله » ؛ لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء ، وليس لكلامه مثل . وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار ، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف ^(٣) . وقد مرّ في نوع الإعراب .

وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه ، قال بعضهم : مما يدفع نوم التكرار في عطف المترادفين نحو : ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ ^(٤) ﴿ صَلَوَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٍ ﴾ ^(٥) . وأشباه ذلك أن يمتد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم

ابن هوازن القشيري الشافعي ، أحد أئمة الدنيا في الفقه والأصول والتفسير . توفي سنة ١٤٨ هـ بفسطاط . طبقات الشافعية ٤ : ٢٤٩

(٣) نقله في البرهان ٢ : ١٧٨ ، وذكر في آخره : « كما » في نحو « فيها رحمة من الله استلهم » ، والكاف في نحو « ليس كله شيء » ، ونحوه ١١ .

(٤) المدر ٢٨

(٥) البقرة ١٥٧

انفراد أحدهما ، فإن التركيب يُحدث معنى زائداً ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى ، فكذلك كثرة الألفاظ . انتهى .

وقال الزركشى فى البرهان : لىكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له ، وأن خالف أصل الوضع اللغوى لثبوت التجوّز .

وقال فى موضع آخر : على المفسّر مراعاة مجازى الاستعمالات فى الألفاظ التى يُظنّ بها الترادف ، والقّطع بعدم الترادف ما أمكن ، فإنّ للتركيب معنى غير معنى الإفراد ، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب ، وإن اتفقوا على جوازه فى الإفراد . انتهى .

وقال أبو حيان : كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بملل النحو ، ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ، ودلائل أصول الدين ، وكلّ ذلك مقرّر فى تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً فى علم التفسير دون استدلال عليه ، وكذلك أيضاً ذكر ما لا يصحّ من أسباب نزول وأحاديث فى الفضائل ، وحكايات لا تناسب ، وتواريخ إسرائيلية ، ولا ينبغى ذكر هذ فى علم التفسير .

فائدة

قال ابنُ أبى جَمْرَةَ : عن علىّ رضى الله عنه ، أنه قال : لو شئت أن أوقرَ سبعين بعبراً من تفسير أم القرآن لعلّمت ، وبيان ذلك أنه إذا قال : الحمد لله رب العالمين يحتاج تبين معنى الحمد ، وما يتعلّق به الاسم الجليل الذى هو الله ، وما يليق به من التنزيه ، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهى ألف عالم ، أربعمائة فى البرّ وستمائة فى البحر ، فيحتاج إلى بيان ذلك كله ، فإذا قال : « الرحمن الرحيم » ، يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال ، وما معناها ، ثم يحتاج إلى بيان جميع

الأسماء والصفات ، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما ، فإذا قال : « ملك يوم الدين » يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأحوال وكيفية مستقره ، فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفية وصفها وأدائها على جميع أنواعها والعباد في صفته والاستعانة وأدائها وكيفيةها ، فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم ... » إلى آخر السورة ، يحتاج إلى بيان الهداية ما هي ، والصراط المستقيم وأضداده ، وتبيين المفضوب عليهم والضالين وصفاتهم ، وما يتعلق بهذا النوع ، وتبيين الرضى عنهم وصفاتهم وطريقتهم ، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله على من هذا القبيل .

النوع التاسع والسبعون في غرائب التفسير

ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني^(١) كتاباً في مجلدين، سماه «العجائب والغرائب»^(٢) ضمنه أقوالاً ذكرت في معاني آياتٍ منكرة لا يحلّ الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها، من ذلك قول من قال في «جمعتي»: إن الحاء حُرِّبَ على معاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفينانية، والقاف قدوة مهدي. حكاه أبو مسلم^(٣)؛ ثم قال: أردت بذلك أن يُعلم أن فيمن يدعى العلم حقاً، ومن ذلك قول من قال في الميم: معنى «ألف» ألف الله محمداً فبعثه نبياً، ومعنى «لام» لامه الجاحدون وأنكروه، ومعنى «ميم» ميم الجاحدون المنكرون، من المؤم وهو البرسام^(٤)، ومن ذلك قول من قال في ﴿ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب﴾^(٥): إنه قصص القرآن، واستدلّ بقراءة أبي الجوزاء ﴿ولكم في القصص﴾، وهو بعيد، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة، وذلك من وجوه إعجاز القرآن، كما بيّنته في أسرار التنزيل.

ومن ذلك ما ذكره ابن فورك^(٦) في تفسيره في قوله: ﴿ولكن ليطمنن قلبي﴾^(٧): إن إبراهيم كان له صديق، وصفه بأنه «قلبي»، أي يسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً.

(١) هو أبو القاسم رهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني الشافعي الملقب تاج القراء، توفي بعد سنة ٥٠٠ هـ، وأظهر ترجمة في بنية الوعاة ٢٧٧ (٢) ذكره صاحب كشف الظنون، وقال: «سماه إباب التفسير»

(٣) هو محمد بن بحر المعروف بأبي مسلم الأصبهاني، أحد أئمة المعتزلة، ومن المصنفين في التفسير على طريقهم. توفي سنة ٣٧٠ لسان ليزان ٥: ٨٩ (٤) في ط: «الرسام» تحريف.

(٥) البقرة ١٧٩ (٦) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن مورك الأديب المتكلم الأصولي، رُوِيَ أنه بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من فائتة. توفي سنة ٤٠٦. إنباه الرواة ٣: ١١٠ (٧) البقرة ٢٦٠

قال الكرمانى : وهذا بعيد جداً .

ومن ذلك قول من قال فى ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ^(١) : إنه الحُب والعشق ، وقد حكاه الكواشى فى تفسيره .

ومن ذلك قول من قال فى ﴿ ومن شرَّ غاسقٍ إذا وقب ﴾ ^(٢) : إنه الذَّكْر إذا انتصب .

ومن ذلك قول أبى معاذ النحوى فى قوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ﴾ : يعنى إبراهيم ، ﴿ ناراً ﴾ أى نورا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ فإذا أنتم منه توقدون ﴾ ^(٣) ، تقتبسون الدين .

النوع الثمانون
في طبقات المفتين

[تفسير الصحابة]

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب . والرواية عن الثلاثة نزره جدًّا ، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم ، كما أنّ ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جدًّا لاتكاد تجاوز العشرة ، وأما علي فروى عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل ، قال : شهدت علياً يخطب ، وهو يقول : « سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله مامن آية إلا وأنا أعلم : أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل » ؟ .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، عن ابن مسعود ، قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، مامن أحرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن .

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عياش ، عن نصير بن سليمان الأحمسي ، عن أبيه ، عن علي ، قال : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ؟ وأين أنزلت ؟ إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ستولاً .

* * *

وأما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن علي ، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال : « والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي البخترى ، قال : قالوا لعليّ : أخبرنا عن ابن مسعود ، قال : علم القرآن والسنة ، ثم انتهى ، وكفى بذلك علماً .

* * *

وأما ابن عباس فهو تَرْجَمَانُ القرآن الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل » : وقال له أيضاً : « اللهم آتِه الحكمة » وفي رواية : « اللهم علّمه الحكمة » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ، فقال : « اللهم بارك فيه وانشر منه » .

وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بُريدة ، عن ابن عباس ، قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل ، فقال له جبريل : إنه كائن خير هذه الأمة ، فاستوص به خيراً .

وأخرج من طريق عبد الله بن خراش ، عن الموّام بن حوشب ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعَم تَرْجَمَانُ القرآن أنت » .

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود ، قال : « نِعَم تَرْجَمَانُ القرآن عبد الله بن عباس » .

وأخرج أبو نعيم عن مجاهد ، قال : كان ابن عباس يسمّى البحر لكثرة علمه .

وأخرج عن ابن الحنفية ، قال : كان ابن عباس حَبْرَ هذه الأمة .

وأخرج عن الحسن ، قال : إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل ، كان عمر يقول : « ذاكم فتى الكهول ؛ إن له لساناً ستولاً ، وقلباً عقولاً » .

وأخرج من طريق عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السموات والأرض كأنهما رَتَقَا فَمَقَقْنَاهُمَا ^(١) ، فقال : اذهب إلى ابن عباس ، فسله ثم تعال .

أخبرني ، فذهب فسأله ، فقال : كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات . فرجع إلى ابن عمر فأخبره ، فقال : قد كنت أقول : ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن ؛ فالآن قد علمت أنه أوتي علما .

وأخرج البخاري من طريق سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناء مثله ! فقال عمر : إنه ممن علمت . ودعاهم بهم ذات يوم ، فأدخله معهم . فما رُئيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم . فقال : ماتقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكَذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ماتقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به ؛ قال : إذا جاء نصر الله والفتح ؛ فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ماتقول ! .

وأخرج أيضا من طريق ابن مليكة ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر بن الخطاب يوم مال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمن ترون هذه الآية ^(١) نزلت : ﴿ أَيْوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؟ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعلم أولا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء ، فقال : يا ابن أخي ، قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، فقال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله .

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة ، فذكروا ليلة القدر ، فتكلم كل بما عنده ، فقال عمر : مالئ يا ابن عباس صامت لا تتكلم ! تكلم ولا تمنمك الحدائث ، قال ابن عباس :

قلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ وَتَرَّ بِحَبِّ الْوِتْرِ ، لَجَمَلِ أَيَّامِ الدُّنْيَا تَدُورُ عَلَى السَّبْعِ ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَبْعٍ ، وَخَلَقَ فَوْقَنَا سَمَوَاتٍ سَبْعًا ، وَخَلَقَ تَحْتَنَا أَرْضِينَ سَبْعًا ، وَأَعْطَى مِنَ الْمُنَانِ سَبْعًا ، وَنَهَى فِي كِتَابِهِ عَنْ نِكَاحِ الْأَقْرَبِينَ عَنْ سَبْعٍ ، وَقَسَمَ الْمِيرَاثَ فِي كِتَابِهِ عَلَى سَبْعٍ ، وَنَقَعَ فِي السَّجُودِ مِنْ أَجْسَادِنَا عَلَى سَبْعٍ ، وَطَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَعْبَةِ سَبْعًا ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا ، وَرَمَى الْجِمَارَ بِسَبْعٍ ؛ فَأَرَاهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . فَتَعَجَّبَ عَمْرٌ ، وَقَالَ : مَا وَافَقَنِي فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا هَذَا الْعَلَامَ الَّذِي لَمْ تَسْتَوْشُونَ رَأْيَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَنْ يُوَدِّعُنِي فِي هَذَا كَابِنِ عَبَّاسٍ !

وقد ورد عن ابن عباس في التفسير مالا يُحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة ؛ فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه ، قال أحمد بن حنبل : بمصر صحيفة في التفسير ، رواها علي بن أبي طلحة ، لورحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً . أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه .

قال ابن حجر : وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس : وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائط بينهم وبين أبي صالح . وقال قوم : لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير .

قال ابن حجر : بعد أن عرفت أن الواسطة وهو ثقة ، فلا ضير في ذلك .

وقال الخليلي في الإرشاد : تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث ، عن معاوية .

وأجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس . قال : وهذه التفاسير

الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ، ورواها مجاهيل ؛ كتفسير جوير
عن الضحاك ، عن ابن عباس .

وعن ابن جريج في التفسير جماعة رواوا عنه ، وأطولها ما يرويه بكر بن سهل
الدمياطي ، عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد ، عن ابن جريج ؛ وفيه نظر .

وروى محمد بن ثور ؛ عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار ، وذلك صححه .
وروى الحجاج بن محمد ، عن ابن جريج نحو جزء ، وذلك صحيح ، متفق عليه .
وتفسير شبيل بن عباد المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس قريب
إلى الصحة .

وتفسير عطاء بن دينار ، يكتب ويحتج به .

وتفسير أبي روق نحو جزء صححه .

وتفسير إسماعيل السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس . وروى عن
السدي الأئمة ، مثل الثوري وشعبة ؛ لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر ،
وأسباط لم يتفقوا عليه ؛ غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي .

فأما ابن جريج ، فإنه لم يقصد الصحة ، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم .
وتفسير مقاتل بن سليمان ؛ فمقاتل في نفسه ضعفه ، وقد أدرك الكبار من
التابعين ، والشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح . انتهى كلام الإرشاد .

وتفسير السدي الذي أشار إليه يورده ابن جرير كثيرا من طريق السدي عن أبي
مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة
هكذا ، ولم يورده ابن أبي حاتم شيئا ، لأنه ألزم أن يخرج أصح ما ورد ، والحاكم
يخرج منه في مستدركه أشياء ، ويصححها ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود ، وناس فقط
دون الطريق الأول . وقد قال ابن كثير : إن هذا الإسناد يروى به السدي أشياء فيها غرابة .

ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير عنه ؛ وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا

ما يخرج منها القرياني ، والحاكم في مستدركه .

ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد . ولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة - أوسعيد بن جبير - عنه ، هكذا بالترديد ، وهى طرق جيدة وإسنادها حسن . وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا ، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء ، وأوهم طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهى سلسلة الكذب . وكثيرا ما يخرج منها الثعلبي والواحدى ، لكن قال ابن عدى فى الكامل : للكلبي أحاديث صالحة ، وخاصة عن أبي صالح ، وهو معروف بالتفسير ، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبه ، وبمده مقاتل بن سليمان ، إلا أن الكلبي بفضل عليه لساقى مقاتل من المذاهب الرديئة ؛ وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة ، فإن الضحاك لم يلقه ، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة ، عن أبي روق عنه فضيفة لضعف بشر .

وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبي حاتم ، وإن كان من رواية جوير عن الضحاك فأشد ضعفا ؛ لأن جويرا شديد الضعف متروك . ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئا إنما أخرجها ابن مردويه والشيخ بن حيّان . وطريق العوفي عن ابن عباس ، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا ، والذوقى ضعيف ليس بواو ، وربما حسن له الترمذى . ورأيت من فضائل الإمام الشافعى لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطن أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم ، قال : سمعت الشافعى يقول : لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيهة بمائة حديث .

وأما أبى بن كعب ، فعنه نسخة كبيرة برويها أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ،

عن أبي العالية عنه ، وهذا إسناد صحيح . وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً ، وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده ، وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير ، كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري ، وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة ، وما أشبهها بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب ، كالذي ورد عنه في قوله تعالى : ﴿ فِي ظُلُمٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ ^(١) ، وكتابنا الذي أشرنا إليه جامع لجميع ما ورد عن الصحابة من ذلك .



طبقة التابعين

قال ابن تيمية : أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم ؛ وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود ، وعلماء أهل المدينة في التفسير ، مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس . انتهى :

فمن المبرزين منهم مجاهد ، قال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهداً يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة .

وعنه أيضاً قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية منه ، وأسأله عنها فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟ وقال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد .

وقال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

قال ابن تيمية : ولهذا يمتد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم .

قلت : وغالب ما أوردته القريائي في تفسيره عنه ، وما أوردته فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جداً .

* * *

ومنهم سعيد بن جبير ، قال سفيان الثوري : خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال قتادة : كان أعلم التابعين أربعة ؛ كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالناسك ، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسيرة ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام .

* * *

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس ، قال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ، وقال سماك بن حرب : سمعت عكرمة يقول : لقد فسرت ما بين اللوحين . وقال عكرمة : كان ابن عباس يجعل في رجل الكلب ، ويعلمني القرآن والسنة . وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك ، قال : قال عكرمة : كل شيء أحدثكم في القرآن ، فهو عن ابن عباس .

* * *

ومنهم الحسن البصري ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن أبي سلة الخراساني ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبو العالية ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية العوفي ، وقاتادة ، وزيد بن أسلم ، ومرة الهمداني ، وأبو مالك . ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في آخرين .

فهؤلاء قدماء المفسرين ، وغالب أقوالهم تأقوها عن الصحابة .

* * *

ثم بعد هذه الطبقة ألفت ، تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سفيان ابن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، وزيد بن هارون ، وعبد الرزاق ،

وَأَدَمَ بْنَ أَبِي إِبَاسٍ ، وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوِيَةَ وَرُوحَ بْنَ عَبَادَةَ وَعَبْدَ بْنَ حَمِيدٍ ، وَسُفَيْدَ
وَأَبِي بَكْرَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ وَآخَرِينَ .

* * *

وَبَعْدَهُمُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ، وَكِتَابُهُ أَجَلُ التَّفَاسِيرِ وَأَعْظَمُهَا .

ثُمَّ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَأَبُو الشَّيْخِ بْنُ حَيَّانَ وَابْنُ
الْمُنْذَرِ فِي آخَرِينَ ، وَكُلُّهَا مُسْنَدَةٌ إِلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ ، وَلَيْسَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ
إِلَّا ابْنُ جَرِيرٍ ، فَإِنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِلتَّوَجِيهِ الْأَقْوَالِ وَتَرْجِيحِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ وَالْإِعْرَابِ
وَالِاسْتِنْبَاطِ ، فَهُوَ يَفُوقُهَا بِذَلِكَ .

ثُمَّ أَلَفَ فِي التَّفْسِيرِ خِلَافُكَ ، فَاخْتَصَرُوا الْأَسَانِيدَ ، وَنَقَلُوا الْأَقْوَالَ بُتْرًا ، فَدَخَلَ مِنْ
هُنَا الدَّخِيلُ ، وَالتَّبَسُّصُ الصَّحِيحُ بِالْعَمَلِ ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ مَنْ يَسْنَحُ لَهُ قَوْلٌ يُورِدُهُ ، وَمَنْ
يَخْطُرُ بِبَالِهِ شَيْءٌ يَتَمَتَّدُهُ ، ثُمَّ يَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ يَحْيَى بَعْدَهُ ، ظَنًّا أَنَّ لَهُ أَصْلًا ؛ غَيْرَ
مُلْتَفِتٍ إِلَى تَحْرِيرِ مَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَمَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي التَّفْسِيرِ ؛ حَتَّى رَأَيْتُ
مَنْ حَكَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ نَحْوَ عَشْرَةِ أَقْوَالٍ .
وَتَفْسِيرُهَا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُوَ الْوَارِدُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ ؛ حَتَّى قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : لَا أَعْلَمُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ .

ثُمَّ صَنَّفَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْمٌ بَرَعُوا فِي عُلُومٍ ، فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَقْتَصِرُ فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى الْفَنِّ
الَّذِي يُغْلِبُ عَلَيْهِ ، فَالْنَحْوِيُّ تَرَاهُ لَيْسَ لَهُ مِمَّا إِلَّا الْإِعْرَابَ وَتَسْكِينُ الْأَوَاجِهِ الْمُحْتَمَلَةِ فِيهِ ،
وَنَقْلُ قَوَاعِدِ النُّحُوِّ وَمَسَائِلِهِ وَفُرُوعِهِ وَخِلَافِيَّاتِهِ ؛ كَالزَّجَاجِ وَالْوَاهِدِيِّ فِي الْبَسِيطِ وَأَبِي
حَيَّانَ فِي الْبَحْرِ وَالنَّهْرِ .

وَالْأَخْبَارِيُّ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا الْقَصَصُ وَاسْتِيفَاءُهَا وَالْإِخْبَارُ عَنْ سَلَفٍ ؛ سِوَاهُ
كَانَتْ صَحِيحَةً أَوْ بَاطِلَةً كَالْتَّمَلُّجِ .

وَالْفَقِيهَ يَكَادُ يَسْرُدُ فِيهِ الْفَقْهَ مِنْ بَابِ الطَّهَارَةِ إِلَى أَمَهَاتِ الْأَوْلَادِ ، وَرَبَّمَا اسْتَطَرَّدَ

إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لاتعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي .
 وصاحبُ العلوم العقلية - خصوصاً الإمام فخر الدين - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء
 والفلاسفة وشبهها ، وخرج من شيء إلى شيء ؛ حتى يقضى الناظر العجب من عدم مطابقة
 المورد للآية ؛ قال أبو حيان في البحر : جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة
 طويلة لا حاجة بها في علم للتفسير ؛ ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير .
 والمبتدع ليس له قصد الإتحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد ؛ بحيث أنه متى
 لاح له شاردة من بعيد اقتنصها ، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه . قال
 البقلي : استخرجت من الكشاف اعتراضاً بالنقاش من قول تعالى في تفسير ﴿ فَمَنْ زُحْرَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ^(١) ، وأى فوز أعظم من دخول الجنة !
 إشارته إلى عدم الرؤية .

والملحد ، فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله ، وافترائه على الله ما لم يقله ، كقول
 بعضهم في ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ^(٢) : ما على العباد أضرّ من ربهم . وكفوله في
 سحرة موسى ما قال ، وقول الرافضة في ﴿ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةَ ﴾ ^(٣) ما قالوا ، وعلى هذا
 وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « إِنْ فِي أُمَّتِي قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِنُثْرُونِهِ نَثَرَ الذَّقْلِ » ^(٤) ، يتأولونه على غير تأويله .

فإن قلت : فأبي التفاسير ترشد إليه ؛ وتأمر الناظر أن يعول عليه !

قلت : تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم
 يؤلف في التفسير مثله . قال النوري في تهذيبه : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف
 أحده مثله .

وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال
 المنقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع

(٣) البقرة ٦٧

(٢) الأعراف ١٥٥

(١) آل عمران ١٨٥

(٤) الدقلدي لقر ، وفي حديث آخر عن ابن مسعود : « هذا كهذا شعر ، ونثر أكثر من الدقل » . ذكره ابن

الأنبار في النهاية ٢ : ١٢٧

وغيره ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، وسميته: «مجمع البحرين ومطلع البدرين»، وهو الذى جعلتُ هذا الكتاب مقدّمة له، والله أسأل أن يمين على إكّاله، بمحمد وآله. وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب، فإنختمه بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفسير المصريح برفعها إليه، غير ماورد من أسباب النزول، لتستفاد فإياها من المهمات.

الفاتحة

أخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه، عن عدى بن حيان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المفضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى». وأخرج ابن مردويه عن أبى ذر: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المفضوب عليهم، قال: اليهود، قلت: الضالين؟ قال: النصارى.

البقرة

أخرج ابن مردويه والحاكم فى مستدركه وصححه من طريق أبى نضرة - عن أبى سميد الخدرى، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ (١)، قال: «من الحيض والفائض والنخامة والبراق».

قال ابن كثير فى تفسيره: فى إسناده البزيعى، قال فيه ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، قال: فى تصحيح الحاكم له نظر، ثم رأيت فى تاريخه، قال: إنه حديث حسن.

وأخرج ابن جرير بسند رجاله ثقات، عن عمرو بن قيس الملائي، عن رجل من بنى أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء، قال: قيل: يا رسول الله، ما العدل؟ قال: «العدل الفدية». مرسل جيد عضده إسناد متصل عن ابن عباس موقوفاً.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبني إسرائيل : ﴿ وَادْخُلُوا لِلْبَابِ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ ^(١) ، فدخلوا يزحفون على أستباههم ، وقالوا : حِطَّةٌ في شجرة ^(٢) ، فيه تفسير قوله : ﴿ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) .

وأخرج الترمذي وغيره بسند حسن ، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ويلٌ وادٍ في جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريقاً قبل أن يبلغ قعره » .
وأخرج أحمد بهذا السند عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ^(٤) ، قال : « يتبعونه حق اتباعه » .

وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن علي بن أبي طالب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) ، قال : لا طاعة إلا في المعروف .
له شاهد ، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً بالنظر : « ليس الظالم عليك عهد أن تطيعه في معصية الله » .

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم - وصحاحه عن أبي سعيد الخدري - عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(٦) ، قال : عدلاً .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغتكم ؟ فيقولون : ما أأتانا من أحد ، فيقال لنوح : مَنْ يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأُمته ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(٧) ، قال : والوسط العدل . فتدعون قد شهدون له بالبلاغ ، وأشهد عليكم قوله : والوسط العدل .
سرفوع غير مدرج ، ثبت عليه ابن حجر في شرح البخاري .

وأخرج أبو الشيخ والديلمي في مستند الفردوس ، من طريق جوبير ، عن الضحاک

(١) البقرة ٥٨ ، ٥٩ - (٢) في تفسير الطبري ٢ : ١١٣ « حبة في شجرة » . (٣) البقرة ١٢١

(٤) البقرة ١٤٣

(٥) البقرة ١٢٤

عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ^(١) ، يقول : اذكروني يا معشر العباد بطاعتي ، اذكركم بمغفرتي .
وأخرج الطبراني عن أبي أمامة ، قال : انقطع قبال النبي صلى الله عليه وسلم ، فاسترجع ، فقالوا : مصيبة يا رسول الله ! فقال : « ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة » له شواهد كثيرة .

وأخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّ الْكَافِرَ يُضْرَبُ ضَرْبَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَيَسْمَعُهُ كُلُّ دَابَّةٍ غَيْرِ النَّفَّاثِينَ ، فَتَلْمِئُهُ كُلُّ دَابَّةٍ سَمِعَتْ صَوْتَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ : ﴿ وَيَلْمِزُهُمُ الْإِنْسَانُ ﴾ ^(٢) ، يعني دواب الأرض .

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ﴿ الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ ^(٣) قال : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

وأخرج الطبراني بسند لا بأس به ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ^(٤) قال : الرفث التعرض للنساء بالجماع ، والفسوق المعاصي ، والجidal جدال الرجل صاحبه .

أخرج أبو داود عن عطاء ، أنه سئل عن اللفظ في اليمين ، فقال : قالت عائشة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هو كلام الرجل في بيته : كلا ، والله ، وبلى والله » ، أخرجه البخاري موقوفاً عليها .

وأخرج أحمد وغيره عن أبي رزين الأسدي قال : قال رجل : يا رسول الله ، أرايت قول الله : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ ^(٥) فأين الثالثة ؟ قال : لا تسريح بإحسان الثالثة .

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال : بارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وأخرج الطبراني بسند لا بأس به ، من طريق ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انتهى بيده عقدة النكاح الزوج » .
وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الوسطى صلاة العصر » .

وأخرج أحمد والترمذي ، وصححه عن ثمرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الوسطى صلاة العصر » .

وأخرج ابن جرير ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

وأخرج أيضا عن أبي مالك الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » . وله طرق أخرى وشواهد .

وأخرج الطبراني عن علي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : السكينة ربح خجوج^(١) .

وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعا في قوله : ﴿ يُوْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٢) ، قال : القرآن ، قال ابن عباس : يعني تفسيره ؛ فإنه قد قرأه البرّ والفاجر .

آل عمران

أخرج أحمد وغيره عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

(١) ربح خجوج : أي شديدة المرور ، وانظر النهاية لابن الأثير ٤ : ١١

(٢) البقرة ٢٦٩

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾^(١) ، قال : هم الخوارج . وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾^(٢) ، قال : هم الخوارج .

وأخرج الطبراني وغيره عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم ، فقال : مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ ، وَعَقِبَ بَطْنُهُ وَفَرَجُهُ ، فَذَلِكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ ﴾^(٣) قال : القنطار ألف أوقية .

وأخرج أحمد وابن ماجه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القنطار اثنا عشر ألف أوقية » .

وأخرج الطبراني بسندٍ ضعيف عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾^(٤) ، قال : أما من في السموات فالملائكة ، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام ، وأما كرهاً فمن أتى به من سبأيا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون .

وأخرج الحاكم - وصححه عن أنس - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله تعالى : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾^(٥) ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة . وأخرج الترمذي مثله من حديث ابن عمر وحسنه .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن نفيل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) ، فقام رجل من هذيل ، فقال : يا رسول الله ، مَنْ تركه فقد كفر ؟ قال :

مَنْ تَرَكَهُ لَا يَخَافُ عَقُوبَتَهُ وَلَا يَرْجُو ثَوَابَهُ. نَفِيعٌ تَابِعِيٌّ وَالْإِسْنَادُ مُخْتَلَسٌ، وَلَوْ شَهِدَ مَوْقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَصَحِيحُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ^(١)، أَنْ يَطَاعَ فَلَا يَعْصَى، وَيَذَكَّرَ فَلَا يَنْسَى.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلْيَكُنْ مِنْكُمْ لَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ^(٢)، قَالَ: «الْخَيْرُ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَسُنَّتِي»، مَفْضَلٌ.

وَأَخْرَجَ الدَّبْلِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ^(٣)، قَالَ: تَبْيَضُّ وَجُوهُ أَهْلِ السَّعَةِ، وَتَسْوَدُّ وَجُوهُ أَهْلِ الْبَدَعِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ ^(٤)، قَالَ: مُعَلِّمِينَ، وَكَانَتْ سَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدَرٍ عَمَامٌ سَوْدٌ، وَيَوْمَ أُحُدٍ عَمَامٌ حُمْرٌ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مُثَّلَ لَهُ شَجَاعٌ أَقْرَعٌ، لَهُ زَيْبَتَانِ، يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ بِلِصْقَتَيْهِ»، فَيَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلِي هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ ^(٥)، الْآيَةُ.

الذِّمَاءُ

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) آل عمران ١٠٦

(٢) آل عمران ١٠٤

(٣) آل عمران ١٠٢

(٤) آل عمران ١٨٠

(٥) آل عمران ١٢٥

وسلم في قوله : ﴿ ذَلِكْ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعْمَلُوا ﴾ ^(١) ، قال : ألا تجوروا . وقال ابن أبي حاتم : قال أبي : هذا حديث خطأ ، والصحيح عن عائشة موقوف .

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر ، قال : قرئ عند عمر : ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ^(٢) ، فقال معاذ : عندي تفسيرها ؛ تبدل في ساعة مائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ^(٣) قال : إن جازاه .

وأخرج الطبراني وغيره بسند ضعيف ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ قَيِّوْهُمْ أَجُورَهُمْ وَزَيِّدْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٤) الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا .

وأخرج أبو داود في المراسيل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، فأناله عن الكلاله ، فقال : أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ^(٥) فمن لا يترك ولدا ولا والده ، فورثته كلاله . مرسل ^(٥) .

وأخرج أبو الشيخ في كتاب الفرائض ، عن البراء : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاله ، فقال : ما عدا الولد والوالد .

المائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وإمراة كتب ملكا » .

له شاهد من مرسل زيد بن أسلم عند ابن جرير .

وأخرج الحاكم ، وصححه عياض الأشعري ، قال : لما نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ^(١) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : هم قوم هذا .

وأخرج الطبراني عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ أَوْ كَسَوَتْهُمْ ﴾ ^(٢) ، قال : عباءة لكل مسكين .

وأخرج الترمذي ، وصححه عن أبي أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له : كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال : أية آية ؟ قلت : قوله تعالى : ﴿ بَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ^(٣) ، قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أئتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعمليك بخاصة نفسك ، ودع العوام » .

وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن أبي عامر الأشعري ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فقال : « لا يضركم من ضل من الكفار إذا اهتدبتم » .

الأندام

أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مع كل إنسان ملك إذا نام يأخذ نفسه ، فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رده إليه » ، فذلك قوله : ﴿ يَقْوَفًا كُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ ^(٤) .

نهشل كذاب .

وأخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾^(١) شقَّ ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ! قال : إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسموا ما قال العبد الصالح : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ ﴾^(٢) ! إماما هو الشرك .

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره بسندٍ ضعيف عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ لَا تَذَرُكُمُ الْأَبْصَارُ ﴾^(٣) ، قال : لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا ، صُفُّوا صفًّا واحدا ، ما أحاطوا بالله أبداً .

وأخرج القرطبي وغيره من طريق عمرو بن مرة عن أبي جعفر ، قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾^(٤) ، قالوا : كيف يشرح صدره ؟ قال : نور يقذف به فينشرح له وينفسح ، قالوا : فهل لذلك من أمانة يعرف بها ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار القرور ، والاعتماد للموت قبل لقاء الموت . مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها إلى درجة الصحة لأو الحسن .

وأخرج ابن مردويه والنحاس في ناسخه ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾^(٥) قال : ماسقط من السبيل .

وأخرج ابن مردويه بسندٍ ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَوْفُوا السَّكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٦) ، فقال : من أربى على يده في السكيل والميزان والله يعلم حجة نيته بالوفاء فيهما ، لم يؤخذ . وذلك تأويل « وسعها » .

(٣) الأنعام ١٠٣

(٦) الأنعام ١٥٢

(٢) لقمان ١٤

(٥) الأنعام ١٤١

(١) الأنعام ٨٢

(٤) الأنعام ١٢٥

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ ^(١) ، قال : يوم طلوع الشمس من مغربها . له طرق كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره .

وأخرج الطبراني وغيره بسند جيد عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ ^(٢) ، هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء .

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ ^(٣) ، هم أهل البدع والأهواء في هذه الأمة .

الأعراف

أخرج ابن مهدي وغيره بسند ضيف ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ^(٤) ، قال : «صلُّوا في نعلكم» . له شاهد من حديث أبي هريرة عن أبي الشخير .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العيد الكافر إذا قبضت روحه ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملا من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ حتى يتهى بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ ^(٥) ، فيقول الله : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طوحا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ سَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ^(٥) .

وأخرج ابن مردويه ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استقوت حسناته وسيئاته ، فقال : « أولئك أصحاب الأعراف » . له شواهد .
وأخرج الطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور وغيرهم ، عن عبد الرحمن المزني ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، قال : « هم أناس قتلوا في سبيل الله بمصيبة آبائهم ، فمنعهم من دخول الجنة مصيبة آبائهم ، ومنعهم من النار قتالهم في سبيل الله » . له شاهد من حديث أبي هريرة عند البيهقي ، ومن حديث أبي سعيد عند الطبراني .

وأخرج البيهقي بسندٍ ضعيف عن أنس مرفوعاً أنهم مؤمنو الجن .
وأخرج ابن جرير عن عائشة ، قالت ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطوفان الموت » .

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم - وصححه عن أنس - أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ ^(١) ، قال : هكذا ، وأشار بطرف إبهامه على أُمَّةٍ إصبعه اليمنى ، فساخ الجبل ، وخرَّ موسى ضعفاً .

وأخرجه أبو الشيخ بلفظ « وأشار بالخنصر ، فمن نورها جعله دكاً » .

وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سِدر الجنة ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً » .

وأخرج أحمد والذَّهَبِيُّ والحاكم - وصحَّحه عن ابن عباس - عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله أخذَ الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كلَّ ذريةٍ ذرّاهَا فنشرها بين يديه ، ثم كلمهم ، فقال : أَلست بربكم؟ قالوا بلى » .

وأخرج ابن جرير بسندٍ ضعيف عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : «أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ألسن بربكم ؟ قالوا بلى : قالت الملائكة : شهدنا .»

وأخرج أحمد والترمذى - وحسنه - والحاكم وصححه - عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال : سمّيه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمّته عبد الحارث فعاش ؛ فكان ذلك وحى الشيطان وأمره .»

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي ، قال : لما أنزل الله ﴿ خذِ الْعَفْوَ... ﴾ ^(١) ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : لا أدري حتى أسأل العالم ، فذهب ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تغفوَ عَمَّن ظلمك ، وتعطى مَن حرَمك ، وتَصِلَ مَن قطعك . مرسل .

الأنفال

أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس ؛ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ ﴾ ^(٢) ، قيل : يا رسول الله ، ومن الناس ؟ قال : أهل فارس .

وأخرج الترمذى - وضعفه - عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنزل الله على أمانين لأمتي : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ^(٣) ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة .»

وأخرج مسلم وغيره عن عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وهو على المنبر : ﴿ وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَظَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(٤) ، ألا وإن القوة .

(٣) الأنفال ٣٣

(٢) الأنفال ٢٦

(١) الأعراف ١٩٩

(١٥٠ م — الإتيان ج ٤)

(٤) الأنفال ٦٠

الرمي ؛ فمناه - والله أعلم - أن معظم القوة وأنكأها للعدو الرمي .

وأخرج أبو الشيخ من طريق أبي المهدى ، عن أبيه ، عن حدثه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ﴾ ^(١) ، قال : هم الجن .

وأخرج الطبراني مثله من حديث يزيد بن عبد الله بن غريب ، عن أبيه ، عن جدّه مرفوعاً .

بسرّاء

أخرج الترمذى عن عليّ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر ، فقال : « يوم النحر » . وله شاهد عن ابن عمر عند ابن جرير .

أخرج ابن أبي حاتم عن المسور بن مخرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر » .

وأخرج أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، قال الله : ﴿ إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ^(٢) .

وأخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني والبيهقي في البعث ، عن عمران بن الحصين وأبي هريرة ، قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ ^(٣) ، قال : « قصر من أولو ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كلّ دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، في كلّ بيت سرير ، على كلّ سرير سبعون فراشاً من كل لون ، على كلّ فراش زوجة من الخور ، في كلّ بيت سبعون مائدة ، على كلّ مائدة سبعون لونا من الطعام ، في كلّ بيت سبعون وصيفاً وصيفة ،

ويعطى المؤمن في كلَّ غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع .

وأخرج مُسلم وغيره عن أبي سعيد ، قال : اختلف رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والآخر : هو مسجد قُبَاء ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو مسجدى .

وأخرج أحمد مثله من حديث سهل بن سعد وأبي بن كعب .

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الأنصارى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قُبَاء ، فقال : «إِنَّ الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور ؟ قالوا : ما نعلم شيئاً إلا أنا نستنجى بالماء ، قال : هو ذاك فمليكموه .»

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الساخون هم الصائمون» .

يونس

أخرج مسلم عن صُهيب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ^(١) : الحسنَى الجنة ، والزيادة النَّظر إلى ربهم .

وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وكعب بن عجرة وأنس وأبي هريرة .
وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، الحسنَى : الجنة ، وزيادة النَّظر إلى الله تعالى .

وأخرج أبو الشيخ وغيره عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ ^(٢) ، قال : القرآن ، ﴿وبرحمته﴾ ، أن جعلكم من أهله .

وأخرج ابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أشتكي صدري، قال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَشِفَاءَ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(١). له شاهد من حديث واثلة بن الأسقع، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

وأخرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ نَاسًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزَعَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنُوا، ثُمَّ تَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال: الذين يتحابُّون في الله تعالى.

وورد مثله من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن مردويه.

وأخرج أحمد وسعيد بن منصور والترمذي وغيرهم، عن أبي الدرداء، أنه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، قال: ما سألتني عنها أحدٌ منذ سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما سألتني عنها أحدٌ غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له، فهي بشراء في الحياة الدنيا وبُشْرَاهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ. له طرق كثيرة.

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونِسَ لَمَّا آمَنُوا﴾^(٤) قالوا: دَعَوْا.

هود

أخرج ابن مردويه بسند ضعيف ، عن ابن عمر ، قال : تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^(١) ، فقالت : ما معنى ذلك يا رسول الله ؟ قال : أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَأَحْسَنُكُمْ عَمَلًا أَوْرَعُكُمْ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَعْمَلُكُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وأخرج الطبراني بسند ضعيف ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : لم أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ طَلَبًا ، وَلَا أَسْرَعَ إِدْرَاكًا مِنْ حَسَنَةِ حَدِيثِ لَسِيَّةٍ قَدِيمَةٍ ﴿وَإِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

وأخرج أحمد عن أبي ذر ، قال : قلت : يا رسول الله ، أوصني ، قال : « إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا » ، قلت : يا رسول الله ، أَمِنْ الْحَسَنَاتِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ؟ قال : هي أفضل الحسنات .

وأخرج الطبراني وأبو الشيخ عن جرير بن عبد الله ، قال : لما نزلت ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ ^(٢) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَأَهْلُهَا يُنْصَفُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ » .

يوسف

أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والخالك - وصححه - والبيهقي في الدلائل ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء يهوديٌّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشيء ، حتى أتاه جبريل ، فأخبره ، فأرسل إلى اليهودي ، فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بها ؟ قال : نعم ، فقال : خرثان وطارق والذبال وذوالكيمان ^(٣) وذوالفرع ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصبح

والفيلق والضياء والنور - يعنى أباه وأمه - رآها فى أفق السماء ساجدة له . فلما قص رؤياه على أبيه ، قال : أرى أمراً متشككاً يجمعه الله .

وأخرج ابن مردويه عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما قال يوسف : ﴿ ذَلِكْ لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(١) ، قال له جبريل : يا يوسف ، اذكر همك ، قال : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ﴾ ^(٢) .

الرعد

أخرج الترمذى - وحسنه - والحاكم - وصححه - عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ ^(٣) ، قال : الدّقل والفارسيّ والحلو والخامض .

وأخرج أحمد والترمذى - وصححه - والنسائى ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال : «مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ ، بيده مخرق من نار يزجر به السحاب ، يسوقه حيث أمره الله» ، قالوا : فما هذا الصوت الذى نسمع ؟ قال : «صوته» .

وأخرج ابن مردويه ، عن عمرو بن بحداد الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الرعد مَلَكٌ يزجر السحاب ، والبرق طرف ملك يقال له روفيل» .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن ملكاً موكلاً بالسحاب يلتم القاصية ، ويلحم الرابية ، فى يده مخرق ، فإذا رفع برقت ، وإذا زجر رعدت ، وإذا ضرب صغقت» .

وأخرج أحمد وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام» .

وأخرج الطبراني بسندٍ ضعيف ، عن ابن عمر : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ ، إِلَّا الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ .

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله بن وثاب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ ^(١) ، قال : « يَمْحُو مِنَ الرِّزْقِ ، وَيَزِيدُ فِيهِ ، وَيَمْحُو مِنَ الْأَجَلِ ، وَيَزِيدُ فِيهِ » .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ ^(١) ، قال : « ذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةِ الْقَدَرِ ؛ يَرْفَعُ وَيَجْعَلُ وَيَرْزُقُ ؛ غَيْرَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَبْدُلُ » .

وأخرج ابن مردويه عن عليّ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : « لَا قَرْنَ عَيْنِكَ بِتَفْسِيرِهَا ، وَلَا قَرْنَ عَيْنِ أُمْتِي مِنْ بَعْدِي بِتَفْسِيرِهَا ، الصَّدَقَةُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ ، وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ تُحَوِّلُ الشَّقَاوَةَ سَعَادَةً ، وَتَزِيدُ فِي الْعَمْرِ » .

إبراهيم

أخرج ابن مردويه ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَعْطَى الشُّكْرَ لَمْ يَحْرَمْ الزِّيَادَةُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٢) .

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم - وصححه - وغيرهم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَيَسْقِي مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ ^(٣) ، قال : يقرب إليه فيتكبره ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ، ورقع فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره ، يقول الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ ^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ ^(٥) .

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، عن كعب بن مالك ، رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحسب في قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَحْيَصٍ ﴾ ^(١) ، قال : يقول أهل النار : هلموا فلنصبر ، فيصبرون خمسمائة عام ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم ، قال : هلموا فلنجزع ، فيبكون خمسمائة عام ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم ، قالوا : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنًا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَحْيَصٍ ﴾ ^(١) .

وأخرج الترمذی والنسائي والحاكم وابن حبان وغيرهم ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ^(٢) ، قال : هي النخلة ، ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ ، قال : هي الحنظل .

وأخرج أحمد وابن مردويه بسند جيد عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال : هي التي لا ينقص ورقها ، هي النخلة .

وأخرج الأئمة الستة عن البراء بن عازب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ؛ فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ^(٣) .

وأخرج مسلم عن ثوبان قال : جاء خبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هم في الظلمة دون الجسر » .

وأخرج مسلم والترمذی وابن ماجه وغيرهم عن عائشة ، قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ ^(٤) ، قلت : أين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط .

وأخرج الطبراني في الأوسط والبخاري وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ قال : أرض بيضاء كأنهما فضة ، لم يُسَفَك فيها دم حرام ولم يُعمل فيها خطيئة .

الحِجْر

أخرج الطبراني وابن مردويه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري أنه سئل : هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية : ﴿ رَبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) ، قال : نعم ، سمعته يقول : يُخْرِجُ اللَّهُ نَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا يَأْخُذُ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، لَمَّا أَدْخَلَهُمُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لَهُمُ الْمُشْرِكُونَ : تَدْعُونَ بَأْسَكُمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَمَا بِالْكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ ! فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ، فَتَشْفَعُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ وَالْمُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخْرَجُوا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ ، فَتَدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ فَتُخْرِجَ مَعَهُمْ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ : ﴿ رَبُّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) . وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله وعلى .

وأخرج ابن مردويه ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ ^(٢) قال : جزء أشركوا ، وجزء شكوا في الله تعالى ، وجزء غفلوا عن الله تعالى .

وأخرج البخاري والترمذي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ » .

وأخرج الطبراني في الأوسط ، عن ابن عباس ، قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴾ ^(٣) ، قال : اليهود

والنصارى ، قال : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ ^(١) ما عِضِينَ ؟ قال : آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض .

وأخرج الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ قَوْمٌ لَكَ لِنْسَاءُ تَبَغْتَهُمْ * أَعْجَبِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢) ، قال : عن قول « لا إله إلا الله » .

النحل

أخرج ابن مردويه ، عن البراء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن قول الله : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ ^(٣) ، قال : عقارب أمثال النحل الطوال ، ينهشونهم فى جهم .

الإسراء

أخرج البيهقى فى الدلائل ، عن سميد المقبرى ، أن عبد الله بن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن السواد الذى فى القمر ، فقال : كانا شمسين ، فقال الله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٤) ، فالسواد الذى رأيت هو المحو .

وأخرج الحاكم فى التاريخ ، والديلمى عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ^(٥) ، قال : الكرامة الأكل بالأصابع .

وأخرج ابن مردويه عن على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِأِيْمِهِمْ ﴾ ^(٦) ، قال : يدعى كل قوم بإيماء لهم وكتاب ربهم .

وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ^(٧) ، قال : لزوال الشمس .

(١) الحجر ٩١	(٢) الحجر ٩٢ ، ٩٣	(٣) النحل ٨٨
(٤) الإسراء ١٢	(٥) الإسراء	(٦) الإسراء ٢٠
(٧) الإسراء ٧١		

وأخرج البزار وابن مردويه بسندٍ ضعيف ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دُلُّوكَ الشَّمْسَ زَوَالَهَا » .

وأخرج الترمذی - وصححه - والنسائي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ إِنِّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ^(١) ، قال : « تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار » .

وأخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ ^(٢) ، قال : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ، وفي لفظ : « هي الشفاعة » . وله طرق كثيرة مطوّلة ومختصرة في الصحاح وغيرها .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أنس ، قال : قيل : يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال : « الذي أمشاهم على أرجلهم قادرٌ أن يُمَشِّيَهُمْ على وجوههم » .

الكهف

أخرج أحمد والترمذی ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لسرادق النار أربعة أجدُر ، كثافة كل جدارٍ مثل مسافة أربعين سنة » .

وأخرج عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ بِنَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ ^(٣) قال : « كمسكر الزيت ، فإذا قرب به إليه سقطت فروة وجهه فيه » .

وأخرج أحمد عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ ^(٤) ، التكبير والتهليل والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخرج أحمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » .

وأخرج الطبراني مثله من حديث سعد بن جنادة .
وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، من الباقيات الصالحات » .
وأخرج أحمد عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينصب
الكافر مقدار خمسين ألف سنة ، كما لم يعمل في الدنيا ، وإن الكافر ليرى جهنم ، ويظن
أنها موافقة من مسيرة أربعين سنة » .

وأخرج البزار بسند ضعيف عن أبي ذر رفعه ، قال : « إن الكنز الذي ذكر الله في
كتابه لوح من ذهب ، عجت لمن أيقن بالقدر لم نصّب ؟ وعجت لمن ذكر النار كيف ضحك ؟
وعجت لمن ذكر الموت ثم غفل عن لا إله إلا الله محمد رسول الله ! » .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سألت الله
فاسأله الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة » .

مريم

أخرج الطبراني بسند ضعيف ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن
السري الذي قال الله لمريم : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَحْمِكًا سَرِيًّا ﴾ ^(١) نهراً أخرجه الله
لتشرب منه » .

وأخرج مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبه قال : « بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى تجران ، فقالوا : أ رأيت ما تقرءون ؟ ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ^(٢) ، وموسى
قيل عيسى بكذا وكذا ! فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
« ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمّون بالأنبياء ، والصالحين قبلهم » .

وأخرج أحمد والشيخان عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يُجاء بالموت كأنه كبش أملح ^(١) فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ، هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشربون ^(٢) فينظرون ، ويقولون : نعم ؛ هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح ، ويقال : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت » . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ ^(٣) - وأشار بيده ، وقال : أهل الدنيا في غفلة . وأخرج ابن جرير عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيٌّ وأنام بئران في أسفل جهنم ، يسمل فيهما صديد أهل النار » . قال ابن كثير : حديث منكر .

وأخرج أحمد بن أبي سمية ، قال : اختلفنا في الورود ، فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعاً ، ثم ينجى الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله ، فسألته ، فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمن بردا وسلاما ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيعا من يردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا ويأمر الظالمين فيها جيئاً .

وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، فينادى في السماء ، ثم تنزل له المحبة في الأرض ، فذلك قوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ^(٤) .

ط

أخرج ابن أبي حاتم والترمذي عن جندب بن عبد الله البجلي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وجدتم الساحر فاقتلوه » ، ثم قرأ : ﴿ وَلَا يَقْلِحْ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ^(٥) ، قال : « لا يؤمن حيث وجد » .

(١) الكبش الأملح : الذي يباضه أكثر من سواده . وانظر النهاية لابن الأثير ٤ : ٣٥٤
(٢) ط : « فيشربون » . (٣) مريم ٣٩ (٤) مريم
(٥) طه ٦٩

وأخرج البزار بسند جيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَمِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ^(١) ، قال : عذاب القبر .

الأنبياء

أخرج أحمد عن أبي هريرة ، قال : قلت : يا رسول الله ، أنبئني عن كل شيء ^(٢) ، قال : « كل شيء خُلِقَ من الماء » .

الحج

أخرج ابن أبي حاتم ، عن يعلى بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « احتسار الطعام بمكة إلحاد » .

وأخرج الترمذي وحسنه — عن ابن الزبير — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما سُمِّيَ البيت العتيق ، لأنه لم يظهر عليه جبار » .

وأخرج أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ، ثم تلى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ ^(٣) .

المؤمنون

أخرج ابن أبي حاتم ، عن مرة البهزي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل : « إنك تموت بالرَبْوة فمات بالرملة » ^(٤) ، قال ابن كثير : غريب جدًا .

وأخرج أحمد عن عائشة ، أنها قالت : يا رسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ ^(٥) ، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله .

(١) طه ١٢٤ (٢) من قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ آية ٣٠

(٣) الحج ٣٠ (٤) الربوة ، هي دمشق ، والرملة : مدينة بفسطاط . وانظر ياقوت .

(٥) المؤمنون ٦٠

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ وَفَمَّ فِيهَا كَالْحُونِ ﴾ ^(١) ، قال : تشويه النار ، فتقلص شفقه العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفقه السفلى حتى تضرب سرته .

النور

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب ، قال : قلت : يا رسول الله ، هذا السلام ، فما الاستئناس ؟ قال : يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ، ويتنحج فيؤذن أهل البيت .

الفرقان

أخرج ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : سئل عن قوله : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ ﴾ ^(٢) ، قال : والذي نفسى بيده إنهم ليستكبرون في النار ، كما يستكبر الوعد في الحائط .

القصص

أخرج البزار عن أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأبرهما » ، قال : وإن سئلت : أى المرأتين تزوج ؟ قل : الصغرى منهما . إسناده ضعيف ؛ ولكن له شواهد موصولة ومرسلة .

المنكبات

أخرج أحمد والترمذي - وحسنه - وغيرهما عن أم هانئ ، قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ^(٤) ، قال : كانوا يجذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، فهو المنكر الذى كانوا يأتون .

(١) المؤمنون ١٠٤ (٢) بشر إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتَا غَيْرِ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَدْكَرُونَ ﴾ آية ٢٧ (٣) الفرقان ١٣ (٤) المنكبات ٢٩

لقمان

أخرج الترمذی وغيره عن أبي أمامة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : « لا تبیعوا القینات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ، ولا خیر فی تجارة فیهن ، ومنهن حرام » ، فی مثل هذا أنزلت : ﴿ ومن الناس من یشتري لهُمُ الحَدِيثَ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ ^(٢) الآية إسناده ضعیف .

السجدة

أخرج ابنُ أبي حاتم ، عن ابن عباس ، عن النبیّ صلى الله عليه وسلم فی قوله : ﴿ أَحْسَنَ كُلِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ ﴾ ^(٢) ، قال : « أما إن است القردة لیست بحسنة ، ولكنه أحکم خلقها » .

وأخرج ابن جریر عن معاذ بن جبل ، عن النبیّ صلى الله عليه وسلم فی قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ ^(٣) ، قال : قیام العبد من اللیل .

وأخرج الطبرانی عن ابن عباس ، عن النبیّ صلى الله عليه وسلم فی قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِیْلَ ﴾ ^(٤) ، قال : جعل موسى هدی لبني إسرائيل ، وفی قوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ﴾ ^(٥) قال : من لقاء موسى ربّه .

الأحزاب

وأخرج الترمذی عن معاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم یقول : « طلحة ممن قضی نحبّه » .

وأخرج الترمذی وغيره عن عمرو بن أبي سلمة وابن جریر وغيره عن أم سلمة ، أن النبیّ صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً لما نزلت : ﴿ إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ

الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١﴾ .

سبأ

أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس ، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ؛ أَرَجُلٌ هو، أم امرأة، أم أرض ؟ فقال : بل هو رجل ، ولد له عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعا ، قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا ^(٢) لقوله ، كأنها سلسلة على صفوان ؛ فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ^(٣) .

فاطر

أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْ ظَلَمَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ^(٤) ، قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة ، وكلهم في الجنة .

وأخرج أحمد وغيره عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْ ظَلَمَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ^(٤) ، فأما الذي سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول الحشر ، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته ؛ فهم الذين يقولون : ﴿ الْحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ... ﴾ الآية ^(٥) .

(٢) خضعنا ، مصدر خضع .

(١) الأحزاب ٢٣

(٣) انظر سبأ ٢٣ ، وتفسير القرطبي ١٤ : ٢٩٦ والصفوان : الحجر الأملس .

(٥) فاطر ٣٤

(٤) فاطر ٢٢

وأخرج الطبراني عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة قيل : أين أبناء الستين ؟ وهو العمر الذي قال الله : ﴿ أُولَئِكَ نَعْمَ رُكْمٌ ﴾ ما يتذكرون فيه مَنْ تذكروا ^(١) .

يس

أخرج الشيخان ، عن أبي ذر ، قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ ^(٢) ، قال : « مستقرها تحت العرش » .

وأخرجنا عنه ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذر ، أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ .

الصفات

أخرج ابن جرير عن أم سلمة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ^(٣) ، قال : « العِين : الضخام العيون شُفَرُ الحوراء ، مثل جناح النسر » ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ ^(٤) ، قال : « رَقَّتْهُنَّ كَرَقَةِ الْجِلْدَةِ الَّتِي فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الَّتِي تَلِي الْقَشْرَ » .

قوله : « شُفَر » هو بالفاء مضاف إلى الحوراء ، وهو هذب العين ، وإنما ضبطته وإن كان واضحاً لأنني رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحَّفه بالقاف . وقال : الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر ، يعني في السرعة والخفة ، وهذا كذب وجهل محض وإلحاد في الدين وجراً على الله ورسوله .

وأخرج الترمذي وغيره عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ^(٥) ، قال : حام ، وسام ، ويافث .

(٣) الواقعة ٢٢

(٢) يس ٣٨

(١) فاطر ٣٧

(٥) الصفات ٧٧

(٤) الصفات ٩ ، واهظر تفسير ابن كثير ٤ ، ٧

وأخرج من وجه آخر ، قال : سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم .
وأخرج عن أبي بن كعب ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله :
﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ^(١) ، قال : يزيدون عشرين ألفاً .

وأخرج ابن عساكر عن العلاء بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً
جلوساً : « أَطَلَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ ، لَيْسَ مِنْهَا مَوْضِعٌ قَدَمٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ
أَوْ سَاجِدٌ » ، ثم قرأ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ وإنا لنحن المسبحون ﴿ ^(٢) .

الزمر

أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم ، عن عثمان بن عفان ؛ أنه سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن تفسير ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٣) ، فقال : تفسيرها :
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » ؛ وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت . الحديث غريب
وفيه نكارة شديدة .

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
سأل جبريل عن هذه الآية : ﴿ فَصَمَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ ﴾ ^(٤) : مَنْ الَّذِينَ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يُصَمَقَ ؟ قال : هم الشهداء .

غافر

أخرج أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان عن النعمان بن بشير ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قرأ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ^(٥) .

فصلت

أخرج النسائي والبزار وأبو يعلى وغيرهم عن أنس ، قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ^(١) ، قد قالها ناسٌ من الناس ثم كفروا أكثرهم ؛ فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها .

شورى

أخرج أحمد وغيره عن عليّ ، قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله ، وحدّثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ﴿ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ^(٢) ، وسأفسرها لك يا عليّ ، ما أصابكم من مَرَضٍ أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أحلم من أن يُدْثِنِي عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أكرم من أن يعودَ بعد عفوه .

الزخرف

أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي أمامة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماضٍ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ، ثم تلى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ^(٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول : لو أن الله هداني لكنت من المؤمنين ، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول : ﴿ وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ^(٤) ، فيكون له شكر ؛ قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن أحدٍ إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فالكافر يرثُ المؤمنُ منزله من النار ، والمؤمن يرثُ الكافر منزله من الجنة » ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) .

الدخان

أخرج الطبراني وابن جرير بسند جيد، عن أبي مالك الأشعمري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ رَبِّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا : الدَّخَانُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزُّكْمَةِ ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْتَفِخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسَمَعٍ مِنْهُ ، وَالثَّانِيَةُ الدَّاءُ ، وَالثَّلَاثَةُ الدَّجَالُ » .
هـ شواهد .

وأخرج الترمذي وأبو يعلى وابن أبي حاتم ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ما من عبد إلا وله في السماء بابان ، باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل منه عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكى عليه ، وتلا هذه الآية : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(١) ، وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملاً صالحاً تبكى عليهم ، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم ، فتبكى عليهم .
وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي مرسلًا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مَاتَ مُؤْمِنٌ فِي غَرْبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾
ثم قال : إنهما لا يبكيان على كافر .

الأحفاف

أخرج أحمد، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ^(٢)
قال : الخط .

الفتح

أخرج الترمذي وابن جرير ، عن أبي بن كعب ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ ^(٣) قال : لا إله إلا الله .

الحجرات

أخرج أبو داود والترمذي ، عن أبي هريرة ، قال : قيل : يا رسول الله ما الغيبة؟ قال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » .

ق

أخرج البخاري عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يُلقَى في النار . وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فيها فتقول : قَطُ قَطُ » .

الذاريات

أخرج البزار عن عمر بن الخطاب ، قال : ﴿ الذاريات ذروا ﴾ هي الرياح ، ﴿ فالجاريات يُسراً ﴾ هي السفن ، ﴿ فاللغات أُمراً ﴾ هي الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته .

الطور

أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، عن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ ^(١) الآية .

النجم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة ، قال : تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ ^(٢) ثم قال : أتدري ما وفى؟

قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفي عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار »

وأخرجنا عن معاذ بن أنس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿لَا أَخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ﴾ (الذي وقى) ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى : ﴿قَسْبَحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...﴾ (١) حتى ختم الآية .

وأخرج البغوي من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٢) ، قال : لا فـكـرة في الرب . قال البغوي : وهو مثل حديث : « تفكروا في مخلوقات الله ، ولا تفكروا في ذات الله » .

الرحمن

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٣) ، قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ويضع آخرين .

وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب ، والبخاري مثله من حديث ابن عمر .

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما » .

وأخرج البغوي عن أنس بن مالك ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٤) ، وقال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « يقول : هل جـزـاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة ! » .

الواقعة

أخرج أبو بكر النجاد ، عن سليم بن عامر ، قال : أقبل أعرابي فقال : يا رسول الله ، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، قال : وما هي ؟ قال : السَّدر ، فإن له شوكاً مؤذياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أليس يقول الله : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ ^(١) ؟ خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكه ثَمَّة » . وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمي أخرجه ابن داود في البيعت .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرءوا إن شئتم ﴿ وَظِلٌّ مَخْضُودٍ ﴾ ^(٢) . » وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ ^(٣) ، قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام .

وأخرج الترمذي عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ ^(٤) ، مجاز كن في الدنيا عملاً رُمَصّاً .

وأخرج في الثمائل عن الحسن ، قال : أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة فقال : يا أم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكي ، قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله يقول : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * غُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ^(٥) .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غُرُبًا ، كلامهنَّ عري » .

وأخرج الطبراني عن أم سلمة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله

تعالى ﴿حُورٌ عِينٌ﴾^(١)، قال : حور بيضٌ . عين : ضخام العيون شُفَرُ الحوراء بمنزلة جناح النسر .

قلت : أخبرني عن قول تعالى : ﴿كَأَمْثَالِ اللَّوْثِ الْمَكْنُونِ﴾^(٢) ، قال : صفاؤه ، كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي .

قلت : أخبرني عن قوله : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾^(٣) قال : خيرات الأخلاق حسان الوجوه . قلت : أخبرني عن قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ ، قال : رقهن كركة الجلاء الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر .

قلت : أخبرني عن قوله : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾^(٤) قال : هن اللواتي قبضهن في دار الدنيا عجائز رُمصاشمطا ، خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى . عُرُبًا : بتمشقات محببات . أترابا : على ميلاد واحد .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾^(٥) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هُمَا جَمِيعَا أُمَّتِي» .

وأخرج أحمد والترمذي عن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَتَجْمَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ ، يقول : شكركم ﴿أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾^(٦) ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .

المتحنة

أخرج الترمذي وحسنه وابن جرير عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿وَلَا يَفْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾^(٧) : قال : التَّوْح .

الطلاق

أخرج الشيخان ، عن ابن عمر ، أنه ، طلق امرأته وهي حائض ، فذكر ذلك عمر

(٣) الواقعة ٣٧

(٦) المتحنة ١٢

(٢) الرحمن ٧٠

(٥) الواقعة ٨٢

(١) الواقعة ٢٢

(٤) الواقعة ٣٩ ، ٤٠

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفطير فيه ، ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر
ثم تحيض فتطهر ، فإن بداله أن يطلقها طاهراً قيل أن يمسه فتلك العدة التي أمر الله أن
يطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ (١) .

ث

أخرج الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن
أول ما خلق الله القلم والحوت ، قال : اكتب : قال ما أكتب : قل : كل شيء كائن
إلى يوم القيامة ، ثم قرأ ﴿ ن والقلم ﴾ (٢) والنون الحوت ، والقلم القلم » .

وأخرج ابن جرير عن معاوية بن قرة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ن والقلم وما يسطرون ، لوح من نور ، وقلم من نور ، يجري بما هو كائن إلى
يوم القيامة » . قال ابن كثير : مرسل غريب .

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكي
السماء من عبد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مقصداً ، فكان للناس
ظلوماً ، فذلك القتل الزنيم » . مرسل له شواهد .

وأخرج أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه
وسلم : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ (٣) قال : عن نور عظيم يخرجون له سجداً .

س

أخرج أحمد عن أبي سعيد ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤) ما أطول هذا اليوم ! فقال : والذي نفسي بيده إنه ليخفف

عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا .

الزهد

أخرج الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَأَقْرَبُ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ^(١) ، قال : مائة آية ، قال ابن كثير : غريب جداً .

السدن

أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّعُودُ : جِبلٌ مِنْ نارٍ يتصعد فيه سبعين خريفاً ، ثم يهوى به كذلك »

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه — والنسائي — عن أنس ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ^(٢) ، فقال : « قال ربكم : إنما أهلُ أنْ تُتَقَى فلا يُجْعَلَ معي إلهٌ ، فمن لم يتقَ أنْ يُجْعَلَ معي إلهاً كان أهلاً أنْ أغفر له » .

عم

أخرج البزار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً ، والحُقبُ بضع وثمانون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تدون » .

التكوير

أخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي بريد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ^(٣) قال : كُوِّرَتْ في جهنم ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ ^(٤) ، قال : في جهنم

وأخرج عن النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ^(١) ، قال : القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا يعلمون عمله .

انفطرت

أخرج ابن جرير والطبراني بسند ضعيف ، من طريق موسى بن علي بن رباح ، عن أبيه عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ما ولد لك ؟ قال : ماعسى أن يولد لي ! إما غلام أو جارية ! قال : فمن يشبه ؟ قال : من عسى أن يشبه ! إما أباه وإما أمه ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لا تقولن هذا ، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ^(٢) ، قال : سلكك . »

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما سمهم الأبرار ، لأنهم برؤوا الآباء والأبناء . »

المطففين

أخرج الشيخان عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم - وصححه - والنسائي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا أذنب ذنباً ، كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تملأ قلبه ، فذلك الرآن الذي ذكر الله في القرآن : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفِيُونَ ﴾ ^(٤) . »

الانشقاق

أخرج أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب عُذِّبَ » ؛ وفي لفظ عند ابن جرير : « ليس يحاسب أحد إلا عُذِّبَ » . قلت : أليس يقول الله : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرٌ ﴾ ^(١) ؟ قال : ليس ذلك بالحساب ولكن ذاك العرض .

وأخرج أحمد عن عائشة، قالت : قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر في كتابه ، فيتجاوزله عنه ، إنه من نوقش الحساب يومئذ هلك » .

البروج

أخرج ابن جرير عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة ، ومشهود يوم عرفة » . له شواهد . وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، تهتملى فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق وبرزق ، ويميت ويمحي ، ويعزّز ويذلّ ويفعل ما يشاء » .

سَبَّح

أخرج البزار عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ قد أطلع من تزكّى ﴾ ^(٢) ، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وخلق الأنداد ، وشهد أني رسول الله ، وذكر اسم ربّه فصلّي ﴾ ^(٢) ، قال : هي الصلوات الخمس والحفاظة عليها والاهتمام بها . وأخرج البزار عن ابن عباس ، قال : لمّا نزلت : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ^(٣)

قال النبي صلى الله عليه وسلم: « كان هذا - أو كل هذا - في صحف إبراهيم وموسى » .

الفجر —

أخرج أحمد والنسائي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن القُشعر عشر الأضغى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر » . قال ابن كثير: رجاله لا بأس بهم، وفي رفعة نكارة.

وأخرج ابن جرير عن جابر مرفوعاً: « الشفع اليومان، والوتر اليوم الثالث » .
وأخرج أحمد والترمذي عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر، فقال: « الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » .

البلد —

أخرج أحمد عن البراء، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني عملاً يَدْخُلُنِي الجنة قال: عتق النسيمة، وفك الرقبة، قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: إن عتق النسيمة أن تفرّد بعتقها، وفك الرقبة أن تُعَيِّنَ في عتقها .

الشمس

أخرج ابن أبي حاتم من طريق جُوَيْرٍ، عن الضحاك عن ابن عباس، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (١) : أَفْلَحَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا اللهُ تَعَالَى .

الم نشرح

أخرج أبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أنا في جبريل فقال: إن ربك يقول: أتندري كيف رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟

قلت : الله أعلم ، قال : إذا نُكِرْتُ ذُكِرْتُ معي .

الزَّلَّة

أخرج أحمد عن أبي هريرة ، قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تَحْدُثُ أَخْبَارُهَا﴾^(١) ، قال : أتدرون ، ما «أخبارها» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أن تشهد على كلِّ عبد أو أمة بما عَمِلَ على ظهرها ، أن تقول : عَمِلَ كَذَا وَكَذَا في يوم كَذَا وَكَذَا .

المَادِيَات

أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٢) قال : «الكنود الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رقبته» .

أَلْهَاكُم

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرسلًا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَلْهَاكُمُ النِّسْكَارُ عَنِ الطَّاعَةِ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْقُبُورَ ، حَتَّى يَأْتِيَكُمُ الْوَيْتُ» .

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله قال : أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبًا وشربوا ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هَذَا مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تُسْأَلُونَ عَنْهَا» .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿يُمْ لَيْسَ أَلَنْ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٣) قال : «الأمْنُ وَالصَّحَّةُ» .

الْمُمَزَّة

أخرج ابن مردويه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّهَا

عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿١﴾ قال : مطبقة .

أرأيت

أخرج ابن جرير وأبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(٢) ، قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » .

الكوثر

أخرج أحمد ومسلم عن أس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر أعطانيه ربِّي في الجنة » له طرق لا تحصى .

النصر

أخرج أحمد عن ابن عباس قال : لما نزلت « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعِيَتْ إِلَى نَفْسِي » .

الصمد

أخرج ابن جرير عن بُريدة لا أعلمه إلا رفعه ، قال : « الصمد الذي لا جوف له » .

الفلق

أخرج ابن جرير عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الفلق جُبَّ في جهنم مغطَّى » ، قال ابن كثير : غريب لا يصح رفعه .

وأخرج أحمد والترمذي ، وصححه النسائي عن عائشة ، قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، فأراني القمر حين طلع ، وقال : « تموذي بالله من شرِّ هذا ، هذا الفاسق : إذا وَقَبَ » .

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ، قال : النجم الفاسق ، قال ابن كثير : لا يصح رفعه .

الناس

أخرج أبو يعلى عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس أى سكن ، وإن نسي التغم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » .

* * *

فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها ، صحيحها وحسنها ، ضميمها ومرسلها ومعضلها ، ولم أعول على الموضوعات والأباطيل .

وقد ورد من المرفوع في التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها :

أحدها الحديث في قصة موسى مع الخضر ، وفيه تفسير آيات الكهف وهو في صحيح البخاري وغيره .

الثاني حديث الفتون ، طويل جداً في نصف كراس ، يتضمن شرح قصة موسى ، وتفسير آيات كثيرة تتعلق به ، وقد أخرجه النسائي وغيره ، لكن نبه الحفاظ ؛ منهم المزني وابن كثير ، على أنه موقوف من كلام ابن عباس ، وأن المرفوع منه قليل ، صرح بعزوه النبي إلى صلى الله عليه وسلم ، قال ابن كثير : وكان ابن عباس تلقاه من الإسرائيليات .

الثالث : حديث الصّور ، وهو أطول من حديث الفتون ، يتضمن شرح حال القيامة ، وتفسير آيات كثيرة من سور ننتي في ذلك ، وقد أخرجه ابن جرير والبيهقي في البعث ، وأبو يعلى ، ومداره على إسماعيل بن رافع قاضي المدينة . وقد تكلم فيه بسببه ، وفي بعض سياقه نكارة . وقيل إنه جمعه من طرق أو أما كن متفرقة ، وساقه سياقاً واحداً .

وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه ، ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال : من آخر ما نزل آية الربا ، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها . دلّ فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل ، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها ، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه .

وأما ما أخرجه البرّار عن عائشة ، قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن إلا آيأ بعد علمه إياهنّ من جبريل « ؛ فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير ؛ وأوله ابن جرير وغيره على أنها إشارات إلى آيات مشكلات أشكلن عليه ، فسأل الله علمهنّ ، فأنزله إليه على لسان جبريل .

* * *

وقد منّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع النثال ، المنيع النثال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لقوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال . أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل ، وبيّنت فيه مصاعد يرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل ، وأركرت فيه مراصد تفتح من كنوزه كلّ باب مقفل . فيه لباب العقول ، وعباب المنقول ، وصواب كلّ قول مقبول ، محضت فيه كتب العلم على تنوعها ، وأخذت زبدها ودرّها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز نخلت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما ثبتّ عنده الأعناق بقاءً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرّق في مؤلفات شتى ، على أنى لا أبيعه بشرط البراءة من كلّ عيب ، ولا أدعى أنه جمع سلامة والبشر محلّ النقص بلا ريب . هذا وإنّى فى زمان . لأن الله قلوب أهليه من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان . ود

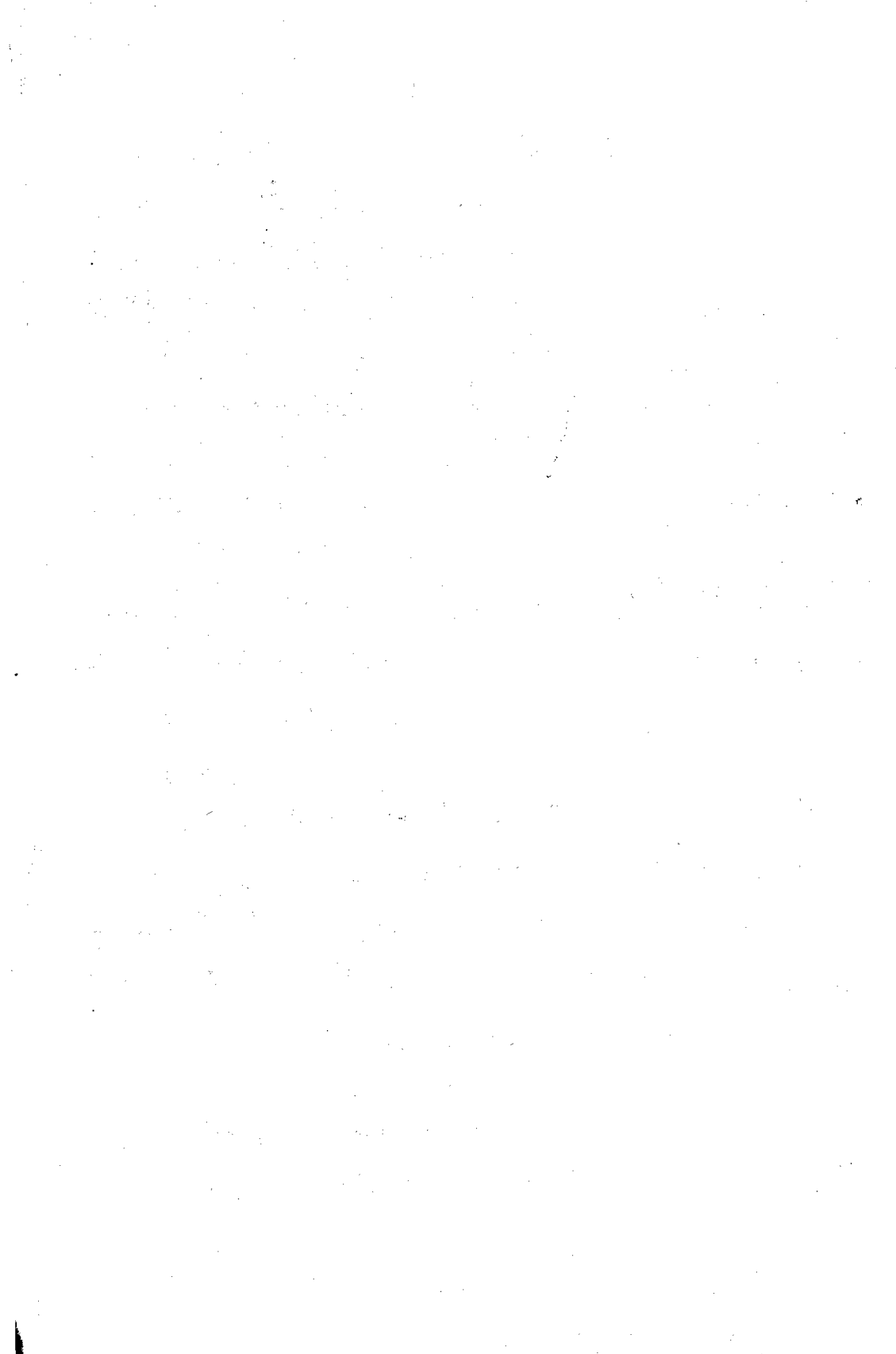
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عزف العود
قوم غلب عليهم الدهر وطعمهم ، وأعمام حب الرياسة وأصمتهم ، قد نسكبوا عن علم
الشريعة ونسوه ، وأكبواعلى علم الفلاسفة وتدارسوه ؛ يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى
الله إلا أن يزيد تآخيراً ، ويبغى العز ولا علم عنده فلا يجد له ولياً ولا نصيراً .
أتمسى القوائى تحت غير لوائنا ونحن على نزالها أمراء !
ومع ذلك فلا ترى إلا أنوفاً مشمرة ، وقلوباً عن الحق مستكبرة ، وأقوالاً تصدر
عنهم مزورة ، كلما هديتهم إلى الحق كان أسم وأعمى لهم ، كأن الله لم يوكل بهم حافظين
يضبطون أقوالهم وأعمالهم ، فالعالم بينهم مرجوم يتلاعب به الجهال والصبيان ، والكامل
عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان .

وأيتم الله إن هذا هو الزمان الذى يلزم فيه السكوت والمصير حلساً من أحلاس البيوت ، ورد العلم
إلى العمل لولا ما ورد فى صحيح الأخبار ، « من علم علماً فكتبه الله بلجام من نار » ، والله در القلائل :

أدب على جمع الفضائل جاهداً وأدم لها تعب القرينة والجسد
واقصد بها وجه الإله ونفع من بلغته بمن جد فيها واجتهد
واترك كلام الحاسدين وبغيتهم هملاً فبعد الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع إلى الله جل جلاله ، وعز سلطانه ، كما من بإتمام هذا الكتاب ، أن
يتم النعمة بقبوله ، وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أنباع رسوله ، وألا يحيب أملنا
فهو الجواد الذى لا يحيب من أملة ، ولا يخذل من انقطع عن سواه وأم له .

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على أشرف خلقه
وتاج رسله محمد وعلى آله وصحبه وسلامه والحمد لله وحده .



فهرس الموضوعات

صفحة	النوع الرابع والستون
٢٣ — ٣	في إعجاز القرآن
٤	ذكر العلماء الذين ألفوا في هذا الشأن
٦ — ٤	نبذ من أقوال العلماء في الإعجاز
١٧ — ٦	فصل في اهتمام العلماء بذكر وجوه الإعجاز
١٨ ، ١٧	تنبيهات : الأول : في ذكر اختلاف العلماء في القدر المعجز من القرآن
١٨	الثاني : في اختلافهم في طريقة فهم الإعجاز
١٩ ، ١٨	الثالث : اختلافهم في تفاوت مراتب الفصاحة في القرآن
٢٣ — ١٩	الرابع : ذكر الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر

* * *

صفحة	النوع الخامس والستون
٣٧ — ٢٤	في العلوم المستنبطة من القرآن
٣٥ — ٢٤	أقوال العلماء في هذا الشأن
٣٧ — ٣٥	ذكر بعض آيات الأحكام

* * *

صفحة	النوع السادس والستون
٤٥ — ٣٨	في أمثال القرآن
٣٩ ، ٣٨	نبذ من أقوال العلماء في هذا الشأن
٤٣ — ٣٩	ذكر بعض أمثال من القرآن مختلفة

٤٣ — ٤٥

ذكر بعض ألفاظ القرآن التي جرت مجرى النمل

* * *

النوع السابع والستون

٤٦ — ٥١

في أقسام القرآن

٧٦ —

معنى القسم في القرآن

٤٦ ، ٤٧

ذكر بعض الآيات التي أقسم الله فيها بنفسه في القرآن

٤٧

ذكر الآيات التي أقسم الله فيها بمخلوقاته

٤٧ — ٤٩

معنى قسم الله بمخلوقاته

٤٩ — ٥١

فصل عن ابن القيم في القسم بأمر على أمور

* * *

النوع الثامن والستون

٥٢ — ٥٧

في جدل القرآن

٥٢ — ٥٥

نبذ من أقوال العلماء في هذا الشأن

ذكر التبر والتقسيم ومثل من الآيات

٥٥ — ٥٧

في هذا النوع

* * *

النوع التاسع والستون

٥٨ — ٧٨

فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

٥٨ — ٦٧

أسماء الأنبياء والمرسلين في القرآن

٦٨ ، ٦٩

أسماء الملائكة

٧٠ ، ٦٩	أسماء الصعابة
٧٠	أسماء النساء
٧١ ، ٧٠	أسماء الكفار
٧١	أسماء الجن
٧١	أسماء القبائل
٧٢ ، ٧١	أسماء أقوام بالإضافة
٧٢	أسماء الأصنام
٧٤ — ٧٢	أسماء البلاد والأمكنة
٧٦ ، ٧٥	أسماء الأماكن الأخروية
٧٦	أسماء الكواكب
٧٦	أسماء الطير
٧٨ — ٧٦	الكنى والألقاب

* * *

النوع السبعون في المبهات

١٠٠ — ٧٩	أسباب الإبهام في القرآن
٨١ ، ٧٩	فصل في ذكر آيات المبهات
٩٣ — ٨١	الآيات التي ذكرت فيها الجوع وعرف أسماء بعضهم
١٠٠ — ٩٣	

* * *

النوع الحادي والسبعون في أسماء من نزل فيهم القرآن

١٠١

١٠١

ذكر أمثله من ذلك

النوع الثاني والسبعون

١١٦-١٠٢

في فضائل القرآن

١٠٢

ذكر العلماء الذين ألفوا في هذا الشأن

١٠٦-١٠٢

فصل فيما ورد في فضل القرآن على الجملة

١١٦-١٠٦

فصل فيما ورد في فضل سور بعينها

* * *

النوع الثالث والسبعون

١٢٧-١١٧

في أفضل القرآن وفاضله

١١٩-١١٧

نبذ من أقوال العلماء في هذا الشأن

١٢٠ ، ١١٩

ذكر معنى التفضيل

١٢٧-١٢٠

ذكر بعض السور والآيات في هذا المعنى

* * *

١٢٧-١٢٨

النوع الرابع والستون

في مفردات القرآن

١٣١-١٢٩

كلام العلماء في أرجى آية في القرآن

١٣٧-١٣١

استطراد للمؤلف بذكر بعض الآيات في هذا المعنى

* * *

٢٤٤-١٣٧

النوع الخامس والسبعون

في خواص القرآن

١٣٧

ذكر العلماء الذين ألفوا في هذا الشأن

١٤٣-١٣٧	نبد من الأقوال للأئمة في ذلك
١٤٤ ، ١٤٣	تنبيه في حكم الرق بالمعوزات وغيرها من أسماء الله
١٤٤	مسألة في حكم كتابة القرآن في الإناء



النوع السادس والسبعون

١٦٦-١٤٥	في مرسوم الخط
١٤٦-١٤٥	نبد من أقوال العلماء في ذلك الشأن
١٥٠ ، ١٤٩	فصل في ذكر القاعدة العربية في الكتابة
	ذكر بعض قواعد في رسم المصحف :
١٥١-١٤٧	القاعدة الأولى في الحذف
١٥٢-١٥١	القاعدة الثانية في الزيادة
١٥٣ ، ١٥٢	القاعدة الثالثة في الهمز
١٥٤	القاعدة الرابعة في البدل
١٥٦ ، ١٥٤	القاعدة الخامسة في الوصل والفصل
١٥٧ ، ١٥٦	فرع فيما فيه قراءتان فكتب على إحداها
١٥٧	فرع فيما كتب موافقا لقراءة شاذة
	فصل في آداب كتابة القرآن
١٦٠-١٥٨	مسألة في نقط المصحف وشكله
١٦٢-١٦٠	فرع في حكم أخذ الأجرة على كتابة المصحف
١٦٣	ذكر أحكام مختلفة أخرى تتعلق بالمصحف
١٦٦-١٦٤	

النوع السابع والسبعون

١٦٧—١٧٣ في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه

١٦٧

أقوال مختلفة في معنى التفسير

١٦٧—١٧٠

الفرق بين التفسير والتأويل

١٧٠، ١٧١

شرح معنى التفسير عند العلماء

١٧١—١٧٣

فصل في وجه الحاجة إلى التفسير

فصل في ذكر شرف التفسير

* * *

النوع الثامن والسبعون

١٧٤—٢٠١

في معرفة شروط المفسر وآدابه

١٧٤—١٨٠

أقوال العلماء في هذا الشأن

١٨٠—١٩٣

فصل في أمهات مآخذ التفسير

١٩٣، ١٩٤

تفاسير الصحابة

١٩٤—١٩٨

تفاسير الصوفية

١٩٨—٢٠٠

فصل فيما يجب على المفسر

٢٠٠، ٢٠١

فائدة عن علي بن أبي طالب في التفسير

* * *

النوع التاسع والسبعون

٢٠٢—٢٠٣

في غرائب التفسير

٢٠٢—٢٠٣

مثل من الآيات التي تضمنت الغريب

النوع الثمانون

في طبقات المفسرين

٢٠٤ - ٢٠٩

٢٠٤ - ٢١٠

٢١٠ - ٢١٢

٢١٢ - ٢١٤

الصحبة

التابعون

المفسرون الذين جاءوا بعدهم

ذكر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفسير

المصرح برفعها إليه صراحة على السور :

٢١٤

الفتاحه :

٢١٤ - ٢١٧

البقرة

٢١٧ - ٢١٩

آل عمران

٢١٩ ، ٢٢٠

النساء

٢٢٠ ، ٢٢١

المائدة

٢٢١ - ٢٢٣

الأنعام

٢٢٣ - ٢٢٥

الأعراف

٢٢٥ - ٢٢٦

الأقوال

٢٢٦ ، ٢٢٧

براءة

٢٢٧ ، ٢٢٨

يونس

٢٢٩

هود

٢٢٩ ، ٢٣٠

يوسف

٢٣٠ ، ٢٣١

الرعد

٢٣١ - ٢٣٣

إبراهيم

٢٣٤ ، ٢٣٣	الحجر
٢٣٤	النحل
٢٣٤	الإسراء
٢٣٦ ، ٢٣٥	الكهف
٢٣٧ ، ٢٣٦	مريم
٢٣٨ ، ٢٣٧	طه
٢٣٨	الأنبياء
٢٣٨	الحج
٢٣٩ ، ٢٣٨	المؤمنون
٢٣٩	النور
٢٣٩	الفرقان
٢٣٩	القصص
٢٣٩	العنكبوت
٢٤٠	لقمان
٢٤٠	السجدة
٢٤١ ، ٢٤٠	الأحزاب
٢٤١	سبا
٢٤٢ ، ٢٤١	فاطر
٢٤٢	يس
٢٤٣ — ٢٤٢	الصافات
٢٤٣	الزمر
٢٤٣	غافر

٢٤٤	فصلت
٢٤٤	شورى
٢٤٤	الزخرف
٢٤٥	الدخان
٢٤٥	الأحقاف
٢٤٥	الفتح
٢٤٦	الحجرات
٢٤٦	ق
٢٤٦	الذاريات
٢٤٦	الطور
٢٤٧ ، ٢٤٦	النجم
٢٤٧	الرحمن
٢٤٩ ، ٢٤٨	الواقعة
٢٤٩	المتحنة
٢٤٩	الطلاق
٢٥٠	ن
٢٥٠	مسأل
٢٥١	الزمل
٢٥١	المدثر
٢٥١	عم
٢٥١	التكوير
٢٥٢	انفطرت

٢٥٢	المطففين
٢٥٣	الانشقاق
٢٥٣	البروج
٢٥٣	سميح
٢٥٤	الفجر
٢٥٤	البلد
٢٥٤	الشمس
٢٥٤	ألم نشرح
٢٥٥	الزلزلة
٢٥٥	الماديات
٢٥٥	ألهامكم
٢٥٥	الهمزة
٢٥٦	أرايت
٢٥٦	الكوثر
٢٥٦	النصر
٢٥٦	الصمد
٢٥٧ ، ٢٥٦	العلق
٢٥٧	الناس
٢٥٧	حديث موسى والخضر
٢٥٧	حديث النعمون
٢٥٨ ، ٢٥٧	حديث الصور
٢٥٩ ، ٢٥٨	ختم الكتاب

فهرس المصنفات

التي نقل عنها المؤلف *

٤ : ٣٤
أحكام القرآن لعبد المنعم بن محمد بن
عبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن
الفرس
١ : ١٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٧
٤ : ٣٤
أحكام القرآن لابن العربي
١ : ١٩ ، ٦٧ ، ١٨٩
٤ : ٣٤ ، ١٢٢
أحكام القرآن لعلي بن محمد المعروف
بالكيا المراسي
١ : ١٩
٤ : ٣٤
أخلاق حملة القرآن لأبي بكر الأجرى
١ : ١٨ ، ٢٩٩
الأذكار لحجي الدين النووي
١ : ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣١٠
الارتشاف لأبي حيان
٢ : ١٥٥

(٠)
الآداب لجعفر بن شمس الخلافة
٤ : ٤٣
إحكام الراي في أحكام الآي لشمس
الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف
بابن الصائغ الحنبلي
١ : ٢٠
٣ : ٢٩٦
أحكام القرآن لابن الجصاص
١ : ١٩
٤ : ٢٤
أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق
الأزدي
١ : ١٩
٤ : ٣٤
أحكام القرآن لبكر بن العلاء
١ : ١٩
٤ : ٣٤
أحكام القرآن لابن خويذ منداد
١ : ١٩

* أوردت في هذا الفهرس المصنفات التي صرح المؤلف بالنقل عنها ، والتي ترجع عندي إلى رجع إليها

أسماء من نزل فيهم القرآن

لإسماعيل الضرير

٢٠ : ١

الأسماء والصفات للبيهقي

١١٧ : ١

إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع = البرهان

إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني

١٩ : ١

٢١ ، ٨ ، ٧ ، ٣ : ٤

إعجاز القرآن للخطابي ، وهو المسمى

بيان إعجاز القرآن

١٩ : ١

٣٣٤ ، ٨٨ : ٣

١٣ ، ٣ : ٤

إعجاز القرآن للرماني أبو الحسن

١٩ : ١

٢٩٢ : ٣

٣٢ ، ٢٣ ، ١٥ : ٤

إعجاز القرآن للزملكاني = التبيان

إعجاز القرآن لابن سرة

١٩ : ١

٣١ ، ٢٥ ، ١٤ : ٤

إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني

١٩ : ١

الإرشاد للخاملي ٤ : ٢٠٧

الإرشاد في القراءات العشر للواسطي

١٨ : ١

٢ : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ،

١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧

أرجوزة علي بن محمد الفالي في

القرآن والأخوات

١٩٥ : ١

أسباب النزول لابن حجر

٨٢ : ١

أسباب النزول للسيوطي

٨٢ ، ٤٤ ، ٣٧ ، ٣٥ : ١

أسباب النزول لعلّ بن المديني

٨٢ : ١

أسباب النزول للواحدى

٨٩ ، ٨٢ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٦٣ : ١

أسرار التنزيل لجلال الدين السيوطي

٢٢٨ : ١

٣٢٢ : ٣

أسرار التنزيل للشرف البارزى

١٩ : ١

١٤٤ : ٢

الاستبصار لابن الفصاح

٢٧٤ : ١

الاقتناص في الفرق بين الحصر
والاختصاص لابن السبكي

٢٠ : ١

١٥٧ : ٣

أقسام القرآن لابن القيم = التبيان
الأقصى القريب للتوخى

١٩ : ١

٣ : ١٥٢ ، ٥٧ : ٢

الافئاع لإحمد بن على بن بادش

١٨٤ : ١

الإكليل في استنباط التنزيل لجلال
الدين السيوطى

٣٥ : ٤

أمالى ابن الحاجب

١٩ : ١

٢٨٨ : ٢

أمالى الراقى على الفاتحة

٣١٦، ٣٠٣، ٦٦، ٦٥، ٢١ : ١

أمالى ابن السيد على الموطأ

١٨٠ : ١

أمالى المرتضى = غرر الفوائد ودرر
القلائد

الإمام لأبى عبيد

٢٦٣ : ١

الإمام فى أدلة الأحكام للعزبن عبد السلام

١٩ : ١

(م ١٨ - الإقتان ج ٤)

إعجاز القرآن للفخر الرازى

١٩ : ١

إعراب القرآن لشهاب الدين أحمد

ابن يوسف المعروف بالسمين

١٩ : ١

إعراب القرآن للسفاقسى = المجيد

فى إعراب القرآن المجيد

إعراب القرآن للمكبرى = التبيان

إعراب القرآن لمنتجب الدين

١٩ : ١

الإغريض فى الفرق بين الكناية
والتعويض

٢٠ : ١

١٧٤ : ٣

الإفراد والجمع = الواحد والجمع

الإفراد لابن فارس

١٣٢ : ٢

الإفصاح فى غوامض الإيضاح

لإبراهيم بن أحمد الجزرى

٣١٣ : ٢

الأفعال للسرقسطى

٥ : ٢

الأفعال لابن طريف

٥ : ٢

الأفعال لابن القطاع

٥ : ٢

الاقتضاء فى معرفة الوقف والابتداء

للكراوى

٢٣٠ : ١

١٩ : ١
 ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠ : ٣
 ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦١ ، ٢٥٨
 ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٠
 ٣١٢ ، ٣٠٢
 البديع لابن لمعز
 ٣٠٩ : ٣
 بديعية ابن حجة
 ٣١٥ : ١
 البرهان لإمام الحرمين
 ٨١ : ١
 البرهان في إعجاز القرآن ، لابن أبي
 الإصبع المصري
 ١٩ : ١
 البرهان في إعجاز القرآن لمحمد بن علي
 كمال الدين الشافعي المعروف بابن
 الزملكاني
 ١٩ : ١
 ٣١٤ : ٢
 ٨ : ٤
 البرهان في تفسير القرآن لملي بن
 إبراهيم بن سعيد الحوفي
 ٢١ : ١
 ٢٦٢ : ٢
 البرهان في توجيه مثابه القرآن

٣٥ : ٤
 أمثال القرآن لملي بن محمد بن حبيب
 الماوردي
 ٣٨ ، ٢٠ : ١
 ٣٨ : ٤
 إملاء مامن به الرحمن = التبيان
 الانتصار لأبي بكر الباقلاني
 ٢١٧ ، ٢٠٠ ، ١٧٥ ، ١٧١ ، ٨٠ ، ٢٣ : ١
 ٨٩ ، ٧٥ : ٣
 أنوار التحصيل في أسرار التنزيل
 للشرف البارزي
 ٢٢ : ٤
 الأوسط للطبراني
 ٢١٨ ، ٣٠ : ١
 ٢٣٣ ، ١٣٨ ، ٢١٨ ، ١٠٩ ، ١٠٤ : ٤
 الإيجاز في المجاز لابن القيم
 ١٩ : ١
 الإيضاح للقزويني
 ١٤٢ ، ١٢٤ : ٣
 (ب)
 البارع للفارابي
 ٥ : ٢
 بدائع الفوائد لابن القيم
 ٢٠ : ١
 بدائع القرآن لابن أبي الأصبع

٢٩٠، ٣١٠، ٢٠ : ١
 ٨٤ : ٤
 البسيط
 ١٥٥ : ٢
 بيان الضائر في القرآن
 ٢٨١ : ٢
 (ت)
 تاريخ أصبهان لأبي نعيم
 ١٥٩ : ٤
 تاريخ أحمد بن حنبل
 ١٢٩ : ١
 تاريخ الحاكم
 ٢١٩ : ١
 تاريخ الضملاء لابن حبان
 ١١٥ : ٤
 تاريخ ابن عساكر
 ١٥٩ : ١
 ١٢٢ : ٢
 ٢٥٢، ٦٤، ٦٣ : ٤
 تاريخ القراء لأبي بكر بن أبي
 ٢٥٥ : ١
 تاريخ ابن كثير
 ٦٣ : ٤

لحمود بن حمزة السكراني
 ١٧٧، ٢٠ : ١
 البرهان في تناسب سور القرآن لأبي
 جعفر بن الزبير
 ٢٠ : ١
 ٣٩ : ٤
 البرهان في علوم القرآن للزركشي
 ١١ : ١ — ١٣، ٩٠، ١٠٢ : ١
 ١٠٤، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٧ : ١
 ٣١٧، ٢٢٢، ١٨٦ : ٢
 ٢٠٥ : ٢
 ٣٣٤، ٨٤، ٧٥، ٤٤ : ٣
 ٨٠، ١٥ : ٤
 البرهان في مشكلات القرآن لأبي
 المعالي عزیزی بن عبد الملك
 المعروف بشيعة
 ١٤٣، ١٨ : ١
 ١٠٦، ١١٠، ١٤٥، ١٦٩ : ٢
 ١٨٠، ١٨١، ١٨٩، ١٩٢ : ١
 ١٩٨، ١٩٣ : ١
 البرهان في مناسبة سور القرآن
 لأبي حيان
 ٣٢٢ : ٣
 بستان العارفين لأبي اللبث
 السمرقندي

- ١ : ١٧٧ ، ١٩
- ٣ : ٢٢١ ، ١٦٣ ، ١٤٨ ، ١٤٣
- التجوير في علوم التفسير لجلال الدين
السيوطي
- ١ : ٢ - ١٠
- تحرير التجوير لابن أبي الأصبع
المصري
- ١ : ١٩
- تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث
من حروف القرآن لأحمد بن
يوسف الرعي
- ٢ : ٢٧٧
- تذكرة بدر الدين بن الصاحب
- ١ : ٢٠
- التذكرة لأبي حيان
- ٢ : ١٥٤
- تذكرة السبكي
- ٣ : ٣٢٧
- التسهيل
- ١ : ١٦٢
- اتصحيح والتحرير لأبي أحمد
المسكوي
- ١ : ٢٠٣
- التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن

- تاريخ المظفر
- ١ : ١٤٩
- التبصرة لمكي
- ١ : ٢٦٣
- التبيان في آداب حملة القرآن للإمام
محيي الدين النووي
- ١ : ١٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٦
- التبيان في إعراب القرآن لأبي
البقاء العكبري
- ١ : ١٩
- ٢ : ٢٨٦ ، ٢٧٤ ، ٢٦٠
- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم
- ٤ : ٢٠
- ٤ : ٤٦ ، ٤٨
- التبيان في علم البيان لعبد الواحد
ابن عبد الكريم المعروف بابن
الزملكاني
- ١ : ١٩
- التبيان في مبهمات القرآن لبدر الدين
ابن جماعة
- ١ : ١٩
- التبيان في المعاني والبيان لحسين بن
محمد الطيبي

٢٥٤ ، ٢١ : ١

تفسير جوبير

٤٦ : ١

٩١ : ٢

تفسير ابن أبي حاتم

٥٦ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٢٠ ، ١٩ : ١

١١٥ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٩٢

١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ١١٦

١٥٦ ، ٢٣١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣

٢٥٦

١٠٨ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٦ ، ٥ : ٢

١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩

١١٨ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١١٣

٢١٥ ، ١٧٨ ، ١٣٩ ، ١٣٦

٢٤٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٢١٧

٣٠٠ ، ٢٧٦

٢٣ ، ٢٣ ، ٢١ ، ٥ ، ٤ : ٣

١١٣ ، ٨٣ ، ٧٤

٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٤٠ : ٤

١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٠١ ، ٧٨

٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٦ ، ١٧١

٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ، ٢٢٢

٢٤٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩

٢٥٤ ، ٢٥١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧

٢٥٥

من الأسماء والأعلام لأبي القاسم

السهيلي

٢٠ : ١

١٠١ : ٣

٧٩ : ٤

تعليق ابن الفركاح على المرزوقي

١٨٠ : ١

تفسير الأصبهاني

١٢٥ ، ٤٦ ، ٢١ : ١

٢١٤ : ٢٠ : ٢

١٧٣ ، ١٦٨ : ٤

تفسير إمام الحرمين عبد الملك بن

عبد الله بن يوسف الجويني

٢١ : ١

٣٣ : ٣

تفسير ابن برجان

٢١ : ١

٤٦ : ٤

تفسير ابن بريزة

٢١ : ١

تفسير البيضاوي

١٢١ : ٤

تفسير الثعلبي

٣٠ : ١

تفسير ابن الجوزي

تفسير الحاكم (وهو جزء من
المستدرک)

١ : ١٨ ، ٣٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٤

١١٦ ، ١٢٨ ، ١٦٩ ، ١٨٤ ، ٢١٩

٣ : ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢

٤ : ٧٥ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣

١٤١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١

تفسير الحوفي = البرهان

في تفسير أبي حيان

١ : ٢١ ، ٣٥

٢ : ٢٦٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٣

٤ : ١٦٩

تفسير الخوئي

٢ : ١٠٧ ، ٣٠٩

٣ : ٢٢٧ ، ٢٢٨

٤ : ١٢٥ ، ١٧١

تفسير ابن رزين

١ : ٢١

تفسير الرماني

٢ : ١٦١

تفسير أبي روق

٤ : ٢٠٨

تفسير السدي

٤ : ٢٠٨

تفسير سميد بن منصور ، وهو جزء

من سننه

١ : ١٨ ، ٣١

تفسير سليم الرازي

١ : ٢١ ، ٣١٢

تفسير سنيد

١ : ١٠٠

تفسير أبي الشيخ بن حيان

١ : ١٨ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤٠

٤١ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٥٦

٢ : ١٠٩

٣ : ٢١

٤ : ١٤١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧

تفسير أبي طالب الطبري

٤ : ١٧٤

تفسير الطبري

١ : ١٨ ، ٤٣ ، ٥٧ ، ٧٤

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣

٩٨ ، ١١٠ ، ١٥١

٢ : ٤ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦

١١٧ ، ٢٧٥

٣ : ٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

٢٩ ، ٢٠٢

٤ : ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٢

٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧

٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

تفسیر عبد بن حمید
 ۵ : ۳
 ۲۱۸ ، ۱۱۸ ، ۸۶ : ۴
 تفسیر عبد الرزاق
 ۲۵۲ ، ۱۸ : ۱
 ۷۹ : ۳
 ۱۵۸ ، ۱۲۸ ، ۶۵۶ : ۴
 تفسیر عطاء بن دینار
 ۲۰۸ : ۴
 تفسیر ابن عطیة
 ۱۷۷ ، ۱۳۷ ، ۴۷ ، ۳۰ ، ۲۱ : ۱
 ۳۱۹ : ۲
 ۱۲۴ : ۳
 ۸ : ۴
 تفسیر ابن عقیل
 ۲ : ۱
 تفسیر علی بن سهل النیسابوری
 ۱۲۷ : ۱
 تفسیر الفخر الرازی
 ۲۲۰ ، ۲۱ : ۱
 ۳۲۳ : ۳
 ۱۲۰ : ۴
 تفسیر القرطبی
 ۱۱۳ ، ۷۷ ، ۷۵ ، ۳۰ ، ۱۸ : ۱
 ۱۱۶ ، ۱۱۵ ، ۴ : ۲

۲۲۲ ، ۲۲۱ : ۴
 تفسیر ابن فورک
 ۱۲۱ : ۱
 ۱۱۴ : ۲
 ۲۰۲ : ۴
 تفسیر القرطبی
 ۲۰۰ ، ۱۳۸ : ۱
 ۱۴۳ ، ۱۱۷ ، ۱۱۵ : ۴
 تفسیر القشیری
 ۲۱ : ۱
 تفسیر ابن کثیر
 ۱۱۸ ، ۱۰۲ ، ۲۳ ، ۱۸ : ۱
 ۲۰۱
 ۲۱۴ : ۴
 تفسیر الکواشی
 ۲۵ ، ۲۱ : ۱
 تفسیر أبی الیث
 ۱۰۹ : ۲
 تفسیر الماوردی
 ۱۳۷ ، ۲۱ : ۱
 تفسیر ابن مردویه
 ۵۳ ، ۵۲ ، ۳۲ ، ۱۸ : ۱
 ۹۹ ، ۹۳ ، ۹۰ ، ۷۹ ، ۷۷
 ۱۱۷
 ۱۱۲ : ۲
 ۲۱۷ ، ۲۱۴ ، ۱۷۲ ، ۱۷۱ : ۴
 ۲۲۴ ، ۲۲۳ ، ۲۲۲ ، ۲۲۱

تقريب النشر لابن الجزرى
 ٢٦٤ : ١
 التكميل والإتمام لابن عساكر
 ٧٩ : ٤
 التلخيص للقزوينى
 ١٢٨ : ٣
 التمهيد لابن عبد البر
 ٥٣ : ١
 ١٠٣ : ٢
 التمهيدات على التبيان لأبى المطرف
 ابن عميرة
 ٣١٨ : ٢
 تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى
 ٣٢٣ : ٣
 التنبيه على فضل علوم القرآن
 للحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى
 ١٠٩ : ١
 تهذيب الأسماء واللغات للإمام
 النووى
 ٦٤ : ٤
 تهذيب اللغة للأزهري
 ٥ : ٢
 التيسير للدانى
 ٢٧٣ : ١

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
 تفسير المرسى
 ١٤١ : ١
 ٢٦ : ٤
 تفسير مقاتل
 ٢٦ : ١
 ١٢١ : ٢
 تفسير ابن المنذر
 ٥٩ : ١
 ٢١ : ٣
 ١٣٣ : ٤
 تفسير ابن المنير
 ٢١ : ١
 ٣١٨ : ٢
 تفسير النسفى
 ٧٣ : ١
 تفسير النيسابورى (ابن حبيب)
 ١٠٩ : ١
 ٦٠ : ٣
 تفسير الواحدى
 ٥١ : ١
 تقريب المأمول فى ترتيب النزول
 لبرهان الدين الجميرى
 ٧٣ : ١

(ج)

الجامع للعلوانى

٢٩٧ : ١

الجامع للقراز

١٥٢

الجامع الصحيح للبخارى

٥٨٦٥٥ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٢٤ : ١

٧٧ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ٦٨ ، ٦١ ، ٥٩

٦٩٨ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٧٨

١٦٤٦ ، ١٥٨ ، ١١٨ ، ١١٣ ، ٩٩

٢٩٤٦ ، ٢٩٢٦ ، ١٩٩ ، ١٧٨ ، ١٧٣

٢٩٨

١٠١ ، ٧٢ ، ٢٥ : ٤ : ٦ : ٣

٢١٩ ، ٢١٥ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٠٥

٢٤٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٣٣ ، ٢٢٢

٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦

الجامع الصحيح للترمذى

٩٥ ، ٩٤ ، ٥٥ ، ٥٤ : ١

٣٠٠ ، ٢٩٢ ، ١٧٢ ، ٩٩ ، ٩٦

١٣ : ٣

١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٢ : ٤

١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٨

١٤١ ، ١٣٠ ، ١١٥ ، ١١٤

٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢١٥ ، ١٤٣

٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠

٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤

٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩

٢٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤

٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥١ ، ٢٤٩

الجامع الصحيح لمسلم

٦٣ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٥ : ١

٢٢٠ ، ١٧٣ ، ١١٥ ، ٩٤ ، ٧٧

٣٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٢

٨٢ ، ٦ : ٣

١١٣ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٤ : ٤

٢٢٥ ، ٢١٥ ، ١٣٨ ، ١٣٠

٢٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٢٢٧

٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٤٦

جامع الفنون لابن شبيب الحنبلى

٢٠ : ١

جلد القرآن لنجم الدين الطوفى

٥٢ : ٤

جمال القراء للسخاوى

٦٠ ، ٥٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ١٨ : ١

١٥٦ ، ١١٩ ، ١٠٣ ، ٦١

٢٥٦ ، ١٩٧ ، ١٦٧ ، ١٦٣

٢٨٥

الجان فى تشبيهات القرآن لابن نايقا

١٢٨ : ٣

للسيموطي

١٠٢ : ٤

خواص القرآن للتميمي

١٣٧ : ٤

خواص القرآن للغزالي

١٣٧ : ٤

خواص القرآن لليافعي

١٣٧ : ٤

الخواطر السوانح في أسرار الفوائح

لابن أبي الإصبع

١٩ : ١

٣١٦ : ٣

٤٧ : ٤

(د)

الدر النظيم في منافع القرآن العظيم

لليافعي

٢٠ : ١

درة التنزيل وغرة التأويل لأبي

عبد الله الرازي

٢٠ : ١

٣٣٩ : ٣

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

١٧٣ : ٣

دلائل النبوة للبيهقي

الجنبي الداني في حروف المعاني لابن

أم القاسم

١٩ : ١

جواهر القرآن للغزالي

٢٠ : ١

١٢٥٠١١٧٠٣٥ : ٤

(ح)

حاشية الطيبي على الكشاف

١٢٥٠٢١ : ١

٢٢١٠١٤٨٠١٢٨٠٨ : ٣

الحجة لأبي على الفارسي

٢٢٨ : ١١

الخلية لأبي نعيم

٢٤ : ١

٢٠٥٠٢٠٤٠١٢٩ : ٤

حواشي الكشاف للقطب الرازي

١٢٥ : ١

(خ)

الخطاريات لابن جنى

١٩ : ١

الخصائص لابن جنى

١٩ : ١

خلائل الزهر في فضائل السور

٢٠ : ١	الروضة للطلنكي
٢٣٥ : ٣	الروضة للنووي
٢٦٣ : ١	٢٩٥ : ١
(ز)	
الزاهر لابن الأنباري	
١٩ : ١	
زوائد الروضة	
٣٠٣ : ١	
زوائد المسند لعبد الله بن أحمد بن حنبل	
٢٢١ : ١	
١٣٨ : ٤	
الزينة لأبي حاتم	
١٤٣ : ٢	
السبعة لابن مجاهد	
٢٦٣ : ١	
سراج المريد لابن العربي	
٣٢٢ : ٣	
سر الفصاحة للخفاجي	
١٦١ : ٣	
سنن البيهقي	
١٧٨ : ٢	

٤٨٤ : ١	١٩٠ : ١
٩٦٤ : ١	١٩٠ : ١
٢٣٤ : ٤	١١٨ : ٣
دلائل النبوة لأبي نعيم	ذيل التعريف والإعلاء لابن
٢١٩ : ١	عساكر البطائحي
١١١ : ٢	٢٠ : ١
(ذ)	(ر)
ذات الرشيد في العدد لأبي عبد الله	الرد على من خالف مصحف عثمان
الموصل	لابن الأنباري
١٩٠ : ١	٢١ : ١٥
ذا القدر لابن جني	رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني
١٩ : ١	الآيات المحكمات لابن اللبان
١١٨ : ٣	٢١ : ١٥
ذيل التعريف والإعلاء لابن	الرسالة للإمام الشافعي
عساكر البطائحي	١٠٦ : ١
٢٠ : ١	دروس الأنفهام في أقسام الإستفهام
(ر)	لابن الصائغ

شرح أبيات الإيضاح لابن عصفور

١٦٢ : ٢

شرح آيات الصفات لابن اللبان .

٢٠ : ١

شرح البخاري لابن حجر ؛ وهو

المسقى بفتح الباري

٢٢١ ، ٢٠١ ، ١٢٠ ، ١٨ : ١

٣ : ٤

شرح البخاري للمازري

١٩٩ : ١

شرح بديع قدامة للموفق البغدادي

٢٠ : ١

شرح بديعية إسماعيل بن المقرئ

٣١٥ : ١

شرح بديعية ابن حجة

٣١٥ : ١

شرح التسهيل لأبي حيان

١٦٢ ، ١٩ : ١

شرح ذات الرشد

١٩٠ ، ١٨٩ ، ٢٠ : ١

شرح الرائية لابن جبارة

٢٠ : ١

شرح الرائية للسخاوي

٢٠ : ١

سنن أبي داود

١ : ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٤٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٠

٤ : ١٠٤ ، ١١١ ، ١١١ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٥

١٤٣ ، ٢٢٨

سنن سعيد بن منصور

١ : ١٨ ، ٣١ ، ٦٩ ، ١١٥ ، ١١٥

١١٣ ، ١٥٥ ، ٢١١ ، ٢٢١

٢ : ٩١ ، ١٢٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

٣ : ٢٢ ، ٥٤

٤ : ١٣٧ ، ٢٢٩

السنن لأبي القاسم اللالكاني

٣ : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١

سنن ابن ماجه

٤ : ١٠٤ ، ١٦٦ ، ٢١٦ ، ٢٣٢

سنن النسائي

١ : ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٧٢ ، ٢٠٤

٤ : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١١

١١٢ ، ١٤٣ ، ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١

٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦

٢٥٤

(ش)

الشاطبية

٢٢٥ : ١

الشافى للجرجاني

٢٧٩ : ١

الشافى للقراب

٢٢٥ : ١

٦٣١٦٦٣١١٦٣٠٣٦٣٠٢٢٤٣٦٢١٨

١٤٠٠ : ١٣٧ : ٤

الشفاء للقاضي عياض ١ : ٣١٥

الشواذ لابن غليون

١٨ : ١

(ص)

صاح الجوهري

١٧٩ ، ١٥٥ ، ٥ : ٢

صحيح البخاري = الجامع الصحيح

صحيح ابن حبان

٥٩ : ١

صحيح مسلم = الجامع الصحيح

الصناعتين للمعسكري

١٩ : ١

(ط)

طبقات ابن سعد

٢٠٣٦ ، ١٣٠ ، ١٠٠ ، ٥٣ ، ٢٤ : ١

١٢٢ ، ١٢١ : ٢

طبقات الشافعية لابن السبكي

٣١٥ : ١

طريق الفصاحة

٢٩٥ : ٣

الطيوريات للسلفي

١٧٣ ، ١٢٨ : ٤

شرح السنة للبغوي

١٢٥٠ ، ١٤٢ : ١

شرح الشاطبية

٢٥٥ : ١

شرح العقائد النسفية للتفتازاني

١٩٥ : ٤

شرح الكافية لابن مالك

٢١١ : ٣

شرح مسلم للنووي

٣٧ : ١

شرح المصباح للمراكشي

٩ : ٤

شرح المفصل لابن الحاجب

١٥٦ : ٣

شرح منظومة جمع الجوامع

٦٠ : ٣

شرح المنهاج لتقي الدين السبكي

٢٢٥ : ١

شرح المنهاج لابن حجر ٣ : ٧٦

شرح المذهب للنووي

٣٠٢ ، ٢٩٩ ، ٢٩٢ ، ٢٢١ : ١

١٤٤ : ٤

شعب الإيمان للبيهقي

١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ٥٢ : ١

١٨٩ ، ١٣٥ ، ١٢٤ ، ١٢٠ ، ١١٢

(ع)

المجائب والفرائب في القرآن =

الفرائب والمجائب

١٨٣ : ٣

عروس الأفراح لبهاء الدين بن السبكي

٣١٦ ، ٣٠٦ : ١

٢٩٩ — ٢٩٧ ، ١٧٥ : ٢

٢٩٤ ، ٢٥٧ ، ٢٠٢ ، ١٦٩ ، ١٦٣ ، ١٤٢ : ٣

المقائد النفسية لنجم الدين عمر بن محمد

١٩٥ : ٤

العمدة لابن رشيق

١٩ : ١

٢٣١ : ٣

العمدة للطرسوسى

٢٢٥ ، ١٢٥ : ٣

عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل

١٤٥ : ٤

العواصم والقواصم لابن العربي

٢٠٤ : ٣

(غ)

الفرائب والمجائب للسكرمانى

١٩ : ١

٢٨٩ ، ١١٧ : ٢

٣٣١ ، ٢١٥ ، ١٨٣ ، ٨٩ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٣ : ٣

٤ : ٢٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٣٥ ، ٤

٢٠٣ ، ٢٠٢

غرر البيان لمبهمات القرآن للبلدري

جماعة

٧٩ : ٤

الغرر والدرر = أمالى المرتضى

غريب الحديث للحري

١٦٢ : ٤

غريب القرآن لابن الأنبارى

٥٥ : ٢

غريب القرآن لأبى حيان

٣ : ٢

غريب القرآن لابن دريد

٣ : ٢

غريب القرآن لأبى عبيدة

٣ : ٢

غريب القرآن للعزيرى

١٨ : ١

١٥٥ ، ٣ : ٢

غريب القرآن لأبى عمر الزاهد

٣ : ٢

(ف)

فتاوى ابن الصلاح

٣٩١، ١٠٨ : ١

فتح البارى = شرح البخارى

الفروق للقرافى

٢٤٥ : ٣

فضائل القرآن لأبى ذر المروى

١٢٩ : ٤

فضائل القرآن لابن أبى شيبه

١٨ : ١

١٠٦، ١٠٢ : ٤

فضائل القرآن لابن الضريس

١٨٥، ١٤٩، ١١٠، ٢٨، ٢٦ : ١

١٨٩

٧٧ : ٣

١٠٢ : ٤

فضائل القرآن لأبى عبيد

٧٨، ٥٩، ٥٢، ٤٧، ٢٧، ١٨ : ١

٢٣٧، ١٨٤، ١٣٥، ١١١، ١٠٧ : ١

٣٠٨، ٣٠٥، ٢٩٤

٢٦٠، ٨٩، ٥٥ : ٢

١١١، ١١٠، ١٠٨، ١٠٧ : ٤

فضائل القرآن للنسائى

١٠٦، ١٠٢ : ٤

فقه اللغة للثعالى

١١٨، ١٠٨ : ٢

وقه اللغة لابن فارس

١٧٦ : ١

الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى

الحديد

٢٠ : ١

فنون الأفنان لابن الجوزى

١٨ : ١

١٠٩، ١٠٢ : ٢

٧٢ : ٣

فهم السنن للمحاسنى

١٧١، ١٦٨ : ١

فواصل الآيات لنجم الدين الطوفى

٢٠ : ١

فوائد أبى بكر بن العربى فى رحلته

٢٧ : ٣

فوائد الحربى

٢٥٩ : ٢

(ك)

- الكافي لابن شريح في القراءات
٢٦٣ : ١
الكامل للمبرد
١٢٨ : ٣
الكامل للمذلي
١٨ : ١ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٦
الكبير للطبراني = المعجم الكبير
الكتاب لسيبويه
٢٢١ ، ١٥٢ : ٢
١٥٧ : ٣
الكشاف للزمخشري
٢٤٥ ، ١٧٢ : ١
٢٢٩ : ٢
٣ : ١٤١ ، ١٦١ ، ١٩٤ ، ٢٨١ ، ٣١٣
الكشف لمكي في القراءات
٢ : ١٨٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٨٦
٣ : ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٨١
٤ : ١٢٠
كشف المعاني عن متشابه المثاني للبدر
ابن جماعة
٣ : ٣٣٩
الكفيل بمعاني التنزيل للمعاد الكندي
١ : ١٠٣
الكنائيات للجرجاني
١ : ٢٠

فوائد الخلمي

٤ : ١٣٧

فوائد ابن الصلاح

١ : ٣١٧

الفوائد للدير عاقولي

١ : ١٦٤

فوائد المحاملي

٤ : ١٣٩

فوائد ابن أخي ميمى

١ : ١٠٠

(ق)

قانون التأويل لابن العربي

٤ : ٣٢

القراءات لأبي عبيد

١ : ٢٠٢

قرة العين في الفتح والإمالة بين

اللفظين لابن القاصح

١ : ١٨٠ ، ٢٢٥

قطف الأزهار في كشف الأسرار

للسيوطي = أسرار التنزيل

القواعد للعز بن عبد السلام

٤ : ١٦٤

قواعد في التفسير لابن تيمية

١ : ١٩ ، ٨٣ ، ٨٦ - ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠

قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي

٣ : ١٤٢

كنز البراعة لابن الأثير

٢٠ : ١

كنز الفوائد للعز بن عبد السلام

٢٠ : ١

(ل)

لباب القول = أسباب النزول للسيوطي

لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري

٢٠٩ : ٤

لغات القرآن لأبي القاسم اللالكاني

١١٧ ، ١١٠ ، ١٠٣ ، ٩١ : ٢

لغات القهائل لابن سلام

١٩ : ١

١٠٨ : ٢

اللوائح لأبي الفضل الرازي

١٣٣ ، ١٩ : ١

ليس في كلام العرب لابن خالويه

١٣٥ : ٢

١٣٥ : ٤

(م)

المثل السائر لابن الأثير

٢٠ : ١

٢٥٧ : ٣

مجاز القرآن للعز بن عبد السلام

١٩ : ١

١٠٩ : ٣

مجمع البحرين للصاغاني

٥ : ٢

مجمع البحرين ومطلع البدرين لجلال

الدين السيوطي

١٤ : ١

٥ : ٢

المجيد في إعراب القرآن المجيد لإبراهيم

ابن محمد السفاقي

١٩ : ١

المجيد ، وهو مختصر كتاب البرهان

في إعجاز القرآن لابن الزملاكاني

١٩ : ١

المحر لابن حبيب

٢٠٣ : ١

المختص في توجيه اقراءات الشاذة

لابن جني

١٩ : ١

٢٨٨ : ٢

المحصل لفجر الدين الرازي

٢٢٥ : ٣

الحكم لابن سيده

٥ : ٢

الحلى لابن حزم

٢٢١ : ١

١ : ٥٣ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ،
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠١ ، ٢٩٣ ،
٣١٣ ، ٣٠٠

٢ : ٢٧٥

٤ : ١ ، ٢٤١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ٢١٨ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣١٣

مسند البزار

١ : ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
١١٧ ، ٢٢١ ، ٣٠٢ ،
٢ : ٣١٥

٤ : ٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ،
٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٣

مسند الدارمي

١ : ١١١ ، ٣١٣

٢ : ٨٦٧

٣ : ٨٦٧

٤ : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٩ ، ١٤١

مسند ابن راهويه

١ : ١١١

٤ : ١٣٢

مسند ابن السني

٤ : ١١١ ، ١١٥ ، ١٤٠

مسند الطيالسي

١ : ٧٥

٤ : ١١٥

مسند عبد بن حميد

١ : ١٥٨

٣ : ٥

مختصر أسباب النزول للواحدى

١ : ٨٢

مختصر البويطى

٤ : ١٩٤

مختصر الروضة لإسماعيل بن المقرئ

١ : ٣١٥

المدخل للبيهقى

١ : ١٧٧ ، ٢٠٢

٤ : ١٨٣

المرشد لأبى نصر القشيري

٤ : ١٩٩

المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن

العزیز لأبى شامة

١ : ١٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ،

١٤٨ ، ١٦٧ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٧٧

مسائل نافع بن الأزرق

٢ : ٩١٥٥٥

المستدرك للحاكم

١ : ١٨ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ١٦٤ ،

٢ : ١١٤ ، ١١٧

٣ : ٧٣ ، ٧٥

٤ : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٥ ،

١٨١ ، ٢١٤

المستوفى للفرغانى

١ : ٢٤٠

مسند أحمد بن حنبل

معاني القرآن لأبي الحسن الأخفش	مسند الفردوس
٣ : ٢	١٣٩ : ٤
معاني القرآن لابن الأنباري	مسند ابن مردويه
٣ : ٢	١ : ١٢٧ ، ١١٧ ، ٩٣ ، ٥٩ ، ٥١
معاني القرآن للزجاج	مسند أبي يعلى
٣ : ٢	١ : ١٩٧ ، ١٣١ ، ١٩٧ ، ٣٠٢
معاني القرآن للفراء	٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٤
٣ : ٢	المشعر الروي في الزيادة على غريب المروئي
معترك الأقران في مشقه القرآن لجلال الدين السيوطي	٣ : ٢١٥
١ : ٢٣ ، ٦٨	مشكل القرآن لابن قتيبة
١٢١ : ٢	١ : ١٩ ، ٢٢٢
المعجم الأوسط للطبراني	المصاحف لابن أشتة
٣١ : ١	١ : ١٨ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٥٦
١٣٩ ، ١٠٩ : ٤	٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
المعجم الصغير للطبراني	٤ : ١٤٥ ، ١٥٦
٢٣٢ ، ١١٤ : ٤	المصاحف لابن أبي داود
المعجم الكبير للطبراني	١ : ١٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٧٥
٦٨ : ١	٤ : ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٥
٨٨ ، ٥٥ : ٢	المصباح لبدر الدين بن مالك
٧٤ ، ٦ : ٣	١ : ١٩
معجم ما استعجم للبكري	٣ : ١٤٥
٥٣ : ١	المصباح لأبي الكرم الشهرزوري
	١ : ٢٠٧

٣٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٠

٣١٦ ، ٣١٠ ، ٣٠٧

٢٧٤ ، ١٠ : ٣

٦٧ ، ٣١ : ٤

المفصل للزخشرى

١٥٦ : ٣

مقامات الحريرى

٣١٧ : ١

المقتنص فى فوائد تكرار القصص

للبدربن جماعة

٢٠٤ : ٣

مقدمة تفسير ابن النقيب

١٠٩ ، ٧١ ، ٢٣ ، ٢١ : ١

المقدمة فى سرّ الألفاظ المقدمة لشمس

الدين بن الصائغ

٢٠ : ١

٣٥ : ٣

المقنع لأبى عمرو الدانى

٢٠ : ١

١٤٥ : ٤

ملاك التأويل لأبى جعفر بن الزبير

٣٣٩ : ٣

مناسبات ترتيب السور = البرهان فى

تناسب سور القرآن

منع الموانع لابن السبكي

٢٢٦ : ١

المعرب للجوالقى

١٩ : ١

١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١٠٨ : ٢

١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦

٦٠ ، ٥٨ : ٤

المعيار للزنجائى

١٢٥ ، ١٢٤ : ٣

مغازى موسى بن عقبة

١٦٩ : ١

المنقى لابن هشام

١٩ : ١

١٨٤ ، ١٧٢ ، ١٥٢ ، ١٥٠ : ٢

٢٨٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦١ ، ١٩٧ ، ١٨٩ ، ١٨٧

١٧٧ ، ١٧٣ : ٣

القيث لأبى موسى

٢٣٥ : ٢

المفتاح لأبى منصور بن خيرون

٢٠٧ : ١

مفتاح العلوم للسكاكى

١٨٢ : ٢

١٦٠ ، ١٥٥ : ٣

١٢ : ٤

مفردات القرآن للراغب الأصفهائى

١٤٧ ، ١٨ : ١

١٨٧ ، ١٤٤ ، ١٣٩ ، ٣ : ٢

المنهاج للعلمي

٣:٩:١

١٦١:٤

منهاج البلاء لحازم القرطاجي

١٩:١

٢١٨:٢

المنهج المفيد في أحكام التوكيد

للزملسكاني

١٩:١

المهذب للإمام النووي

٢٩٢:١

المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب

للسيوطي

١٠٥:٢

مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال

الدين البلقيني

٦٥:٦٠:٥٨:٥٥:٦:٤:١

موطأ مالك

١٨٠:١

موطأ ابن وهب

١٦٩:١

الميسر لمغلاطاي

١٣٥:٢

(ب)

الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس

٢٤:١٩:١

٦٠:٥٩:٣

٢٢٢:٤

الناسخ والمنسوخ لابن الحصار

١٩:١

٧٧:٧١:٣

الناسخ والمنسوخ لأبي داود السجستاني

٢٨:١٩:١

٥٩:٥٤:٣

الناسخ والمنسوخ لابن بركات السعدي

٦٠:١٩:١

٧٠:٦٠:٣

الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر بن طاهر

التميمي

١٩:٢

الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد

٥٩:٣

الناسخ والمنسوخ لابن عربي

٢٢:١

٦٩:٥٩:٣

الناسخ والمنسوخ لسكي

١٩ : ١
النوادر لأبي زيد
٢٣٤ : ٤
(ه)
المهادى فى القراءات لمحمد بن سفيان
٢٦٣ : ١
المهداية للمهدوى فى القراءات
٢٢٨ : ٢
(و)
الواحد والجمع فى القرآن لأبي الحسن
الأخفش
١٨ : ١
الوجوه والنظائر لابن الجوزى
١٢١ : ٢
الوجوه والنظائر لابن الدامغانى
١٢١ : ٢
الوجوه والنظائر لمحمد بن عبد الصمد
١٨ : ١
١٢١ : ٢
الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان
١٢٠ : ٢
الوجوه والنظائر للنيسابورى
١٨ : ١

٦٣ ، ١٩ : ١
٧٣ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٥٩ : ٣
تديم الفريد لابن مسكويه
٦ : ٤
نشر المبير فى إقامة الظاهر مقام الضمير
لابن الصائغ
٢٠ : ١
النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى
١ : ١٣٣ ، ١٤٢ ، ٢١١ ، ٢١٥ ،
٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٠ ، ٢١٦
٣٠٩ ، ٢٩٧ ، ٢٨٤ ، ٢٦٦ ، ٢٥٧ ، ٢٤١
النظم لابن حجر
١١٣ : ٢
نظم الدرر فى تناسب الآى والسور للبقاعى
٣٢٢ : ٣
النفيس لابن الجوزى
٩٩ : ٣
نقد الشعر لقدامة
٢٢٣ : ٣
نكت ابن الصيف على التنبيه
١٨٠ : ١
النكت للماوردى
١٨٣ : ٤
سهاية التأميل فى أسرار التنزيل لابن
الزمكشكانى

الوقف والابتداء لابن الأنباري

١ : ١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٠

٢ : ٥٥ ، ١٣٦

الوقف والابتداء للداني

١ : ١٨ ، ٢٣٠

الوقف والابتداء للسجاري

١ : ١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤

الوقف والابتداء للعماني

١ : ١٨ ، ٢٣٠

الوقف والابتداء للنجاشي

١ : ١٨ ، ٢٣٠

الوقف والابتداء لابن النكراوي

١ : ١٨ ، ١٢٤ ، ٢٣٠

(ي)

اليواقيت لأبي عمر الزاهد

١ : ٢٢٩

الياقوتة لأبي حفص عمر بن أحمد النسفي

٣ : ٢٣٤

فهرس الأعلام المترجمين *

(أ)

ابن الأثير ضياء الدين ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد — صاحب المثل السائر ٣ : ٣٢٧

أحمد بن فارس ، صاحب فقه اللغة ٣ : ٢٢٧

أسامة بن منقذ ، صاحب كتاب البديع ٣ : ٢٨٥

أبو إسحاق الإسفراييني ، إبراهيم بن محمد — صاحب كتاب جامع الحلي في أصول

الدين ٣ : ٨٩

ابن أشقة ، محمد بن عبد الله — صاحب كتاب المصاحف ١ : ١٤٨

ابن أبي الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد — صاحب بديع القرآن ٣ : ١٢٣

إمام الحرمين الجويني أبو محمد عبد الملك بن يوسف — ٣ : ٩٥ ، ٣٣٠

(ب)

بدر الدين بن جماعة ، محمد بن إبراهيم — صاحب كتاب غرر البيان في مبهات

القرآن ٤ : ٧٩

بدر الدين الزركشي ، محمد بن عبد الله — صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن

١ : ١١

البقاعي برهان الدين ، إبراهيم بن عمر — صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب

السور ٣ : ٣٢٢

أبو بكر الباقلاني ، محمد بن الطيب — صاحب كتابي إيجاز القرآن والانتصار

١ : ١٧١

أبو بكر الصيرفي محمد بن عبد الله - صاحب كتاب أصول الفقه ٣ : ٩٩
بهاء الدين السبكي ، أحمد بن علي - صاحب كتاب عروس الأفراح ٣ : ١٦٣

(ت)

الفتازاني سعد الدين ، مسعود بن عمر - شارح تلخيص المفتاح ٣ : ١٩٥
التنوخى زين الدين محمد بن محمد - صاحب كتاب الأقصى القريب ٣ : ١٥٢

(ج)

ابن جابر الأندلسي محمد بن أحمد بن علي - صاحب البديعية ٣ : ١٨٢
الجبيري إبراهيم بن عمران - صاحب حديقة الزهر في عد آي السور - شارح
لشاطبية ١ : ١٥٠ ٣ : ٢٩٠

الجرجاني أحمد بن محمد - صاحب الشافي في فروع الشافعية ١ : ٢٧٩
جلال الدين البلقيني عبد الرحمن بن عمر - صاحب كتاب مواقع النجوم ١ : ٤
جلال الدين القزويني = القزويني

(ح)

الحارث المحاسبي - صاحب كتاب فهم السنن ١ : ١٦٨
حازم بن محمد القرطاجي - صاحب كتاب منهاج البقاء ٣ : ١٤٢
ابن حبان ، محمد بن حبان - صاحب كتابي الصحيح والسنن ١ : ١٣٨
ابن حبيب الماوردي = الماوردي
أبو الحسن الماوردي = الماوردي
ابن الحصار علي بن محمد بن إبراهيم - صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ ٣ : ٥٨
الحليمي أبو عبد الله حسين بن الحسن - صاحب المنهاج على شعب الإيمان للبيهقي
٣ : ٨٥ (م ٢٠ - الاثنان ج ٤)

(خ)

الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم — صاحب كتاب بيان الإعجاز ٣ : ٨٨

الحنفاجي عبد الدين محمد — صاحب كتاب سرّ الفصاحة ٣ : ١٦١

الحوّتي شمس الدين ، أحمد بن خليل — صاحب التفسير ٢ : ١٥١

(د)

الداني = أبو عمرو

(ز)

الزركشي = بدر الدين

الزنجاني عبد الله بن إبراهيم — صاحب المعيار ٣ : ١٢٤

(س)

السبكي تقي الدين عليّ بن عبد الواحد — صاحب الإغريض في الفرق بين الكناية

والتعريض ٣ : ١٤٧

ابن سفيان القيرواني — صاحب الهادي في القراءات ١ : ٢٦٣

السكاكي يوسف بن عليّ — صاحب كتاب مفتاح العلوم ٣ : ١٦١

السميلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد — صاحب كتاب التعريف والإعلام

لما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام ٤ : ٧٩

(ش)

أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل — صاحب كتاب المرشد الوجيز إلى علوم

تفعلق بالقرآن العزيز ١ : ١٦٧

ابن مريح — صاحب الكافي في القراءات ١ : ٢٦٣

شمس الدين الخوّتي = الخوّتي

الشمس الكرماني محمد بن يوسف — شارح البخاري ٣ : ٨٢

أبو الشيخ بن حيان عبد الله بن محمد بن جعفر - صاحب التفسير ١ : ١٠٨
شذذلة = عزيزى بن عبد الملك

(ص)

ابن الصائغ ، محمد بن عبد الرحمن - صاحب كتاب المقدمة فى مرر الألفاظ المتقدمة
وإحكام الراى فى أحكام الآى ٣ : ٤٠ ، ٢٩٦

ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن - صاحب الفتاوى والمقدمة فى مصطلح الحديث
١ : ٢٩١ / ٤ : ١٩٢

الصيرفى = أبو بكر الصيرفى

(ض)

ابن الضائع الإشبلى ، على بن محمد - شارح سيبويه ٣ : ٢٢٧
ابن الضريس ، محمد بن أيوب - صاحب كتاب فضائل القرآن ١ : ٢٦ ، ١٤٩

(ط)

الطلمنكى ، أحمد بن عبد الله بن لب - صاحب الروضة فى القراءات ١ : ٢٦٣

(ع)

أبو العباس المررا كشى ، أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى - صاحب كتاب عنوان
الدليل فى مرسوم التنزيل ٤ : ١٤٥

عبد الله بن الممتر - صاحب كتاب البدیع ٣ : ٢٨٥

عبد اللطيف البغدادى = موفق الدين

عزيزى بن عبد الملك المعروف بشذذلة - صاحب كتاب البرهان فى مشكلات القرآن
١ : ١٤٣

ابن عساكر ، محمد بن على بن الخضر - صاحب كتاب التكميل والإتمام ٤ : ٧٩
ابن عطاء الله الكندرى ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم - صاحب كتاب لطائف

المن ٤ : ١٩٧

على بن عبد الواحد = السبكى

أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد — صاحب كتابي التيسير والمقنع ٣ : ٢٩٠
عياض بن موسى بن محصب القاضي صاحب كتاب الشفا ٤ : ١٦

(ف)

ابن فارس = أحمد

نحر الدين الرازي محمد بن عمر — صاحب التفسير وكتاب الإيجاز في علم المجاز
١٥٥ : ٣

ابن تفر كاح تاج الدين ، عبد الرحمن بن إبراهيم — صاحب التعليق على الرزوقي
وشارح التنبيه ١ : ١٨٠ — ٣ : ١٩٤

الفرغانى ، على بن مسعود — صاحب كتاب المستوفى ١ : ٢٤١

الفرىابى المحدث ، صاحب التفسير ١ : ٣٠

ابن فورك ، محمد بن الحسن — صاحب التفسير ٤ : ٢٠٢

(ق)

ابن القاصح على بن عثمان — شارح الشاطبية ١ : ٢٥٥

القرباب — صاحب الشافى فى القراءات ١ : ٢٢٥

القراقى أحمد بن إدريس — صاحب الفروق ٣ : ٢٤٥

ابن القصاص محمد بن إسرائيل — صاحب الاستبصار فى القراءات ١ : ٢٧٤

القزوينى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن — صاحب الإيضاح ٣ : ١٤٢

القفال محمد بن إسماعيل ١ : ٣٠٧ — ٣ : ٣٢٨

القيجاطى أبو الحسن على بن عمر — صاحب القصيدة التى وصفها على وزن

الشاطبية وشرحها ١ : ٢٨٧

ابن قيم الجوريه محمد بن أبى بكر — صاحب كتاب أقسام القرآن ٤ : ٤٦

(ك)

الكافيجى = محيى الدين

الكرمانى شمس الدين محمد بن يوسف بن على بن سعيد - صاحب كتاب ضمائر القرآن ٣ : ٨٢

الكرمانى أبو القاسم محمود بن حمزة - صاحب كتاب الفرائب والعجائب ٣ : ٣٣٩ - ٤ : ٢٠٢

(ل)

اللاكاني أبو القاسم هبة الله بن الحسن - صاحب كتاب السنن ٣ : ١٣

ابن اللبان محمد بن أحمد بن عبد المؤمن - صاحب كتاب ردّ معانى الآيات

المقشبات إلى معانى الآيات المحركات ٣ : ١٨

أبو الليث السمرقندى نصر بن محمد - صاحب كتاب البستان ١ : ٢٩٠

(م)

الموردى أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الديسابورى - صاحب التفسير

وكتاب أمثال القرآن ٤ : ١٨

ابن مجاهد أحمد بن موسى - صاحب المسبعة ١ : ٢٦٣

أبو محمد الجوينى = إمام الحرمين

محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك المعروف بابن الناظم - صاحب كتاب الصباح

في تلخيص المفتاح ٣ : ١٤٥

محيى الدين الكافيجى محمد بن سليمان - صاحب الكتاب الذى وضعه في

علوم القرآن ١ : ٤

محيى الدين النووى ، محيى بن شرف - صاحب كتاب التبيان في آداب حملة

القرآن والأذكار ١ : ٢٩٢

أبو مسلم الأصبهاني ، محمد بن بحر - صاحب التفسير ٤ : ٢٠٢

المهدوى أحمد بن عمار - صاحب كتاب الهداية في القراءات ١ : ٢٦٣

موفق الدين البغدادي عبد اللطيف - صاحب كتاب قوانين البلاغة ٣ : ١٤٢

(ن)

ابن الناظم = محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك

- مكي بن أبي طالب القيسي - صاحب التبصرة في القراءات ١ : ٢٦٣
نافع بن الأزرق صاحب المسائل في التفسير ٢ : ٥٦
ابن نايقا ، أبو القاسم بن بندار - صاحب كتاب الجمان في تشبيهات القرآن ٣ : ١٢٨
نجم الدين الطوفي سليمان بن عبد الملك - صاحب كتاب جدل القرآن ٤ : ٥٢
النسفي عمر بن محمد - صاحب كتاب العقائد ٤ : ١٩٥
أبو نصر القشيري عبد الرحيم بن عبد الكريم - صاحب كتاب المرشد ٤ : ١٩٩
النظام ، إبراهيم بن سيّار - صاحب الآراء المنسوبة إليه ٤ . ٦
ابن النفيس ، علي بن أبي الحزم القرشي - صاحب طريق الفصاحة ٣ : ١٩٥
ابن النقيب ، محمد بن سليمان - صاحب المقدمة في التفسير ٣ : ٢٧٠
النكراوى ، عبد الله بن محمد - صاحب كتاب الاقتضاء في معرفة الوقف والابتداء
١ : ٢٣٠
النوى = محي الدين

مراجع التحقيق

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطى ، مطبعة عبد الحميد حنفى

١٢٧٨ هـ

أحكام القرآن لابن عربى ، عيسى الحلبي ١٩٥٧ م

أخبار أصفهان لأبى نعيم ، لندن ١٩٣١ م

أسباب النزول لجلال الدين السيوطى ، وهو المسمى لباب النقول ، مطبعة

عبد الحميد حنفى

أسباب النزول للواحدى ، مطبعة هندية ١٣١٥ هـ

إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م

الأعلام لخير الدين الزركشى ، مطبعة كوستا ١٩٥٤ م

الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني ، مطبعة دار الكتب

إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ، المطبعة الليمنية بمصر ١٣٢١ هـ

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ، مطبعة دار الكتب ١٩٥١ م

البحر المحيط لأبى حيان ، مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ

البدر الطالع فى أعيان القرن السابع للشوكافى ، مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ

بديع القرآن لابن أبى الإصبع ، نهضة مصر ١٩٥٧ م

البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٧ م

بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة للسيوطى ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٧ م

بيان إعجاز القرآن للمخطاى ، دار المعارف بمصر (من مجموعة ذخائر العرب)

البيان والتبيين للجاحظ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٢٦٩ هـ

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ
- تذكرة الحفاظ للذهبي ، حيدر آباد ١٣٢٣ هـ
- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للسهيلى — نشرة الشيخ محمود ربيع سنة ١٩٣٨ م
- تفسير أبى حيان = البحر المحيط
- تفسير الطبرى ، دار المعارف بمصر
- تفسير القرطبي ، طبع دار الكتب المصرية
- تفسير ابن كثير ، مطبعة عيسى الحلبي
- تقريب النشر لشمس الدين الجزرى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٦١ م
- التكملة لابن أبار ، طبعة عزت المطار ١٩٥٥ م
- تهذيب الأسماء والصفات للنووى ، طبعة الشيخ منير بمصر
- التيسير للدانى ، إستانبول ١٩٣٠ م
- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطى ، مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧٣ هـ
- الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، لعبدالقادر بن محمد القرشى ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة لجلال الدين السيوطى ، المطبعة الشرفية ١٣٢٧ م
- ابن خلكان ، المطبعة اليمنية ١٣١٠ هـ
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، حيدر آباد ١٣٥٠ هـ
- ديوان الأعشى ، المطبعة النموذجية بمصر
- ديوان امرئ القيس ، دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م
- ديوان أمية بن أبى الصلت ، طبعة بيروت

- ديوان أوس بن حجر ، بيروت سنة ١٩٦٠ م
ديوان البحترى ، هندية ١٩١١ م
ديوان بشر بن أبى خازم ، دمشق ١٩٦٠ م
ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧ هـ
ديوان الخطبنة ، التقدم بالقاهرة
ديوان زهير بن أبى سلمى ، طبع دار الكتب ١٢٦٣ هـ
ديوان أبى طالب ، وهو المسمى غابة المطالب ، طنطا ١٩٥١ م
ديوان طرفة ، الأبحلو بالقاهرة ١٩٥٨ م
ديوان عبيد بن الأبرص ، مصطفى الحلبي ١٩٥٧ م
ديوان عمر بن أبى ربيعة ، مطبعة السعادة ١٩٦٠ م
ديوان لييد ، الكويت ١٩٦٢ م
ديوان النابغة الذيناني ، المطبعة الوهبية ، ١٢٩٣ هـ
ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب ١٣٦٩ هـ
الديباج المذهب فى أعيان المذهب لابن فرحون . مطبعة ١٣٥١ هـ
سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمحجى
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ، القدس ١٣٥١ هـ
شرح شواهد الشافعية لعبد القادر البغدادي ، مطبعة حجازى بالقاهرة
شرح المعانيات للتبريزى ، السلفية ١٣٤٣
صحيح مسلم ، مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧٤ هـ
طبقات الشافعية لابن الديكى ، المطبعة الحسينية
طبقات الشعراء لابن سلام ، دار المعارف بمصر
طبقات القراء لابن الجزرى ، مطبعة السعادة ١٣٥٢ هـ
العقد الثمين فى ذواوين الشعراء الستة الجاهلين ، طبع لندن
غاية المطالب = ديوان أبى طالب
النهاية = طبقات القراء

- الفوائد البهية في طبقات الحنفية ، مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ
فقه اللغة لأحمد بن فارس ، المكتبة السلفية ١٣٢٨ هـ
القاموس للفيروز آبادي ، المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ
قضاة الأندلس ، دار الكتائب المصري ١٩٤٨ م
الكتاب لسبويه ، بولاق ١٣١٦ هـ
الكشاف للمخشري ، مطبعة الاستقامة ١٣٧٣ هـ
كشف الظنون لحاجي خليفة ، إستانبول ١٣٦٠ هـ
لباب العقول = أسباب النزول
لسان العرب لابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ هـ
لسان الميزان لابن حجر ، حيدر آباد ١٣٢٩
مرآة الجنان لليافعي ، حيدر آباد سنة ١٣٣٧ هـ
المستوفى للأفرغاني — مخطوطة دار الكتب ١٧٦١ نحو
المعرب للجواليقي ، مطبعة دار الكتب ١٣١١ هـ
المغني لابن هشام ، مطبعة السعادة
مفردات الرأغب الأصبهاني ، مصطفى الحلبي ١٩٦١ م
مقامات الحريري بشرح الشريشي ، بولاق ١٣٠٠ هـ
مقدمتان للتفسير ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ م
المقنع للداني ، إستانبول سنة ١٩٣٢
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، طبعة دار الكتب
النشر في القراءات العشر لابن لابن الجزري ، نشرة المكتبة التجارية
نكت الهميان في نكت الهميان لصالح الدين الصفدي ، القاهرة ١٩١٠ م
النهاية لابن الأثير ، مطبعة عيسى الحلبي
وفيات الأعيان = ابن خلكان
الينبوع في التفسير لأبي عبد الله بن ظفر الصقلي مخطوطة دار الكتب ٣١ — تفسير

استدراك وتعليق

الجزء الأول

س	ص
١٧٤٤	١٨
كتاب جمال القراء للسخاوى تكرر ذكره فى الأصل صرتين ، والأولى حذفه من الموضع الأول	
٩	١٩
الصواب « ابن الفرس » فى هذه الصفحة وحيث ورد فيما بعدها وتحذف الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦ ، وهو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزر جى المعروف بابن الفرس . وانظر بغية الوعاة ٢ : ١١٦ وطبقات القراء ١ : ٤٢٠	
٩	٢٠
صواب اسم كتاب بدر الدين بن جماعة : « كشف المعانى عن منشابه المثنى » ، وانظر كشف الظنون (فى الحاشية) سورة المائدة ٦	
١٢	٦١
١٠	١٠٣
كتاب « الكفيل لمعانى التنزيل » للمعاد الكندى قاضى الإسكندرية ، فى التفسير يقع فى نحو ثلاث وعشرين مجلدة ؛ ذكره صاحب كشف الظنون	
٩	١٥٨
الصواب : « عبد » ، وهو عبد بن حميد الكشى . تهذيب التهذيب ٦ : ٤٥٦ ، والجزء الثالث ص ٥	
١٠	١٨٤
كتاب الإقناع فى القراءات السبع لأبى جعفر أحمد بن على بن باذش . وانظر كشف الظنون	
٧	٣٠٩
لعل ما نقله المؤلف عن الحلبي من شرحه على شعب الإيمان للبيهقى . وانظر كشف الظنون ١٨٧١	

الجزء الثانى

ص	س	
٢٩	٢١	(حاشية) سورة الأنعام ٧٨
٩١	٩	هو أبو القاسم اللالكاني ، واسم كتابه : « لغات القرآن » ، وانظر ص ١١٠ من هذا الجزء

الجزء الثالث

٢٣٤		صاحب الياقوتة هو أبو حفص عمر بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٥٧٢ وانظر كشف الظنون
-----	--	--

الجزء الرابع

٢١٣	٧	الإفصاح لإبراهيم بن أحمد الجزري ، شرح فيه الإفصاح لأنبي على الفارسي ، وسماه « الإفصاح فى غوامض الإفصاح » ، وانظر كشف الظنون .
-----	---	---

تصويبات

الجزء الأول

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٩	٢٠	« الطَّبَّي » ، بالكسر	١١١	٢٠	« كَوْنَر »
٢٠	٤	« إِحْكَامُ الرَّأْيِ » بكسر الهمزة	١١٥	٥	« لَحَافِظِينَ »
٢٠	١٤	« الْعَظِيمُ » بالطاء	١١٦	٥	« فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ »
٣٠	١٢	« الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ »	١١٧	٨	« الْبَرْزَارِ »
٣٠	١٩	« الْغُرَيَّابِ »	١١٧	١٦	« صَفَرِ »
٥٢	١٠	« عَنْ أَبِي عِيَّاشٍ »	١٢١	٥	« لَنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ »
٥٦	٦	« يَا أَيُّهَا النَّاسُ »	١٢٤	٧	« اسْتَقْرِئْ »
٥٩	١	« خَارِجٌ »	١٢٦	١٢	« نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ »
٥٩	١٢	« التِّرْمِذِيُّ » بكسر الميم	١٥٥	٤	« نَسْتَعِينُ »
١١٠	٥	« التِّرْمِذِيُّ » بكسر الميم	١٤٣	١٩	« شَذَرَاتِ »
٦٠	١٠	« لِأَزْوَاجِكَ »	١٥٧	٢٠	« عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ »
٦١	١٥	« وَالَّذِينَ »	١٧٤	١٠	« ابْنُ أَبِي دَوَادٍ »
٧٥	٣	« أَوَّلُ مَا نَزَلَ »	١٨٠	١٦	« عَلَى الْمَرْزُوقِ »
٨٠	١٣	« النَّسَائِيُّ »	١٨٠	١٧	« الْخَطَّائِي »
٨٢	٧	« لِبَابِ »	١٨٠	١٧	« الْقَارِي »
٨٣	١٧	« عَدَدِ »	١٨١	١٧	« أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ »
٨٦	٨	« أَبُو نَيْمَةَ »	١٨٤	٥	« عَنْ أَبِي رَجَاءٍ »
٩٧	٣	« عَنْ أَنَسٍ »	١٨٥	١	« الطَّبْرَانِيُّ بِعَلَى »
٩٩	٥	« التِّرْمِذِيُّ »	٢٠٧	١٨	« طَرِيقُ ابْنِ بَنَانٍ »
١١٠	٨	« لِيَنْظُرَ »	٢١٥	٨	« كَلَامُ أَبِي شَامَةَ »
١١٠	١٨	« مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ »	٢١٦	١٢	« ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ »

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٢٣٧	٨	« الوقف »	٢٦٠	٢١	« وبقى »
٢٤٠	١٣	« إبدأ »	٢٧٤	٢٠	« القراءات »
٢٤٠	٢٣	« نحو »	٢٩١	٣	« كبير »
٢٥٢	٦	« عبد الرزاق »	٢٩٢	١٨	« يحيى بن شرف بن برى »
٢٥٥	١٨	« ابن القاصح »	٢٩٩	١	« أخلاق حملة القرآن »
٢٥٦	٨	« ابن أبي حاتم »	٠٠	١٩	« ردى »
٢٥٦	١	« محمد بن عبيد الله »			

الجزء الثانى

٤٦	١٢	« الماق »	١١٣	١٠	« الجوالقى »
٥٦	٧	« الرقاق »	١١٥	١٨	« قال الواسطى »
٥٨	١٧	« والرئى »	١٢٤	١٤	« لم يمسنم »
٠٠	٢٢	« ل محمد بن مبر »	١٢٥	٤	« تحسونهما »
٦٢	٢٤	« لأمية بن أبى الصلت »	١٣٦	١٠	« الفريانى »
٦٣	١١	« تدنى »	١٥٦	١٦	« رسولا »
٦٣	١٨	« الليل »	١٦١	١٦	« المسجد »
٦٤	٧	« الملك »	٢٣٣	١٧	« اللحيانى »
١٠١	٨	« أنمار »	٢٦٩	١٦	« والصائغون »
١٠٢	١٤	« همدان »	٢٧٧	١٢	« الأقران »
١٠٤	٤	« قريش »	٢٧٧	١٣	« بالتنايش »

الجزء الثالث

١٣	١	« السنن »	٨٥	٢١	« أبو عبد الله حسين »
١٨		« الدرر »	٩٥	١٩	« عبد الملك »

الصواب	ص	س	الصواب	ص	س
« لفخر الدين الرازي »	٢٢٥	٢١	« تأمل »	١٠٥	٣
« لا تفعل »	٢٤٣	١٦	« كتاب »	١٢٤	٢٢
« أحمد بن إدريس »	٢٤٥	٢	« النجوم الزاهرة »	١٣٣	١٩
« ابن الأثير »	٢٥٧	١٦	« بغية الوعاة »	١٤٢	٢٣
« ابن أبي الإصبع »	٢٦٨	٦٠	« وبالحرث »	١٤٤	٥
« الطباقي »	٢٨٥	١٦	« الإيجاز »	١٥٥	١٩
« الجعبري »	٢٩٠	٥	« لأ كيدن »	١٧٦	١٤
« البرهان : الخذو »	٢٩١	١٩	« بطرد »	١٨٨	١٥
« الراي »	٢٩٦	١٧	« الإسفراييني »	٢٠٦	١
« ابن خلكان »	٢٣٠	٢٣	« تعظيم »	٢١٧	٩
« السخاوي »	٣٣٩	٣	« الذاريات »	٢٢٠	٢٢
			« الأكثر »	٢٢٥	٢٠

الجزء الرابع

« تَوَلَّوْا »	٩٩	١٩	« يوضع »	٨	١٣
« الطبراني »	١٠٣	٥	« وثنيين »	٨	١٨
« ابن خالويه »	١٣٥	٧	« أبرع »	٩	٦
« الضريس » بالضم	١٤٢	٦	« وتعرف »	٩	١٧
« الطنزي »	١٧٤	١٤	« قال السكاكي في المفتاح »	١٢	٢
« الفرائب والمجائب »	٢٠٤	٣	« ابن برجان »	٣٤	٢٤
« ابن فورك »	٢٠٢	٢٣	« الدرر الكامنة »	٥٢	١٩
« ابن جرير »	٢٢	١	« عبد بن حميد »	٧٦	٢٢
			« بمراكش »	٧٩	١٨



الافتات

عَلَوُ الْقَهَّارِ

تأليف

الحافظ جلال الدين الشموطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحضيري المصري الشافعي

المولود بأسيوط سنة ٨٤٩ هـ وتوفي بها سنة ٩١١ هـ

رحمته الله تعالى

المجلد الثالث

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات

دار الكتب والوثائق القومية

أتمت في القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ

وَقَفَّ لِلَّهِ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النوع الثالث والأربعون

في المحكم والمثابه

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(١) ، وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسألة ثلاثة أقوال :

أحدها : أن القرآن كله محكم ، لقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ ^(٢) .

الثاني : كله مثابه ، لقوله تعالى : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي ﴾ ^(٣) .

الثالث — وهو الصحيح : أقسمه إلى محكم ومثابه ، للآية المصدريها .

والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه ، وبمثابه كونه يشبه بعض بعضاً في الحق والصدق والإعجاز ^(٤) .

وقال بعضهم : الآية لا تدل على الحصر في الشئين ، إذ ليس فيها شئ من طرقه ،

وقد قال تعالى : ﴿ لَذُبِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) ، والمحكم لا يتوقف معرفته على البيان ، والمثابه لا يرجى بيانه .

وقد اختلف في تعيين المحكم والمثابه على أقوال :

ف قيل : المحكم ما عرف المراد منه ، إما بالظهور وإما بالتأويل ، والمثابه ما استأثر

الله بعلومه ، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور .

وقيل : المحكم ما وضح معناه ، والمثابه نقيضه .

وقيل : المحكم مالا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما يحتمل أوجهاً .
وقيل : المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه ، كأعداد الصلوات واختصاص
الصيام برمضان دون شعبان . قاله الماوردي .

وقيل : المحكم ما استقل بنفسه ، والمتشابه مالا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره .
وقيل : المحكم ما تأويله تنزيله ، والمتشابه مالا يدرى ^(١) إلا بالتأويل .
وقيل : المحكم ما لم تتكرر ألفاظه ومقابله المتشابه .

وقيل : المحكم الفرائض والوعد والوعيد ، والمتشابه للقصاص والأمثال .
أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال :
المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به ،
والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به .
وأخرج الفريابي عن مجاهد ، قال : المحكمات ما فيه الحلال والحرام ، وما سوى
ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضاً .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع ، قال : المحكمات هي الآمرة ^(٢) والزاجرة .
وأخرج عن إسحاق بن سويد ، أني يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية ،
فقال أبو فاختة : فوائح السور ، وقال يحيى : الفرائض والأمر والنهي والحلال .
وأخرج الحاكم وغيره ، عن ابن عباس ، قال : الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام
محكمات : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... ﴾ ^(٣) والآيتان بعدها .

وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ ﴾ قال : من هاهنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ إلى ثلاث آيات ، ومن هاهنا ﴿ وَقَضَى
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ^(٤) إلى ثلاث آيات بعدها .

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك، قال : المحكمات ما لم يُنسخ منه ، والمتشابهات ما قد نُسخ .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن مقاتل بن حيان ، قال : التشابهات فيما باغنا : ألم ، والمصر ، والممر ، والر .

قال ابن أبي حاتم : وقد روى عن عكرمة وقتادة وغيرها ؛ أن المحكم الذي يعمل به ، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به .

فصل

اختلف : هل التشابه مما يمكن الاطلاع على علمه ، أو لا يعلمه إلا الله على قولين ، منشؤهما الاختلاف في قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(١) هل هو معطوف و ﴿ يَقُولُونَ ﴾ حال ، أو مبتدأ خبره ﴿ يَقُولُونَ ﴾ والواو للاستئناف ؟ وعلى الأول طائفة يسيرة ، منهم مجاهد ؛ وهو رواية عن ابن عباس ، فأخرج ابن النذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ، قال : أنا تمنني يعلم تأويله .

وأخرج عبد بن حميد ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ، قال : يعلمون تأويله ويقولون آمنا به .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الضحاك قال : الراسخون في العلم يعلمون تأويله ، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ، ولا حلاله من حرامه ، ولا محكمه من متشابهه . واختار هذا القول النووي ، فقال في شرح أسلم : إنه الأصح ؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته .

وقال ابن الحاجب : إنه الظاهر ؛ وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم

وَمَنْ بَعْدَهُمْ خُصُوصاً أَهْلُ السُّنَّةِ ، فَذَهَبُوا إِلَى الثَّانِي ، وَهُوَ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .
 قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ : لَمْ يَذْهَبْ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ إِلَّا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَاخْتَارَهُ الْقُتَيْبِيُّ
 قَالَ : وَقَدْ كَانَ بِمَقْتَدِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، لَكِنَّهُ سَهَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . قَالَ : وَلَا غَرْو ،
 فَإِنَّ لِكُلِّ جَوَادٍ كِبُورَةً ، وَلِكُلِّ عَالِمٍ هَفْوَةً .

قُلْتُ : وَيَدُلُّ لَصَحَّةِ مَذْهَبِ الْأَكْثَرِينَ ، مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ وَالْحَاكِمُ فِي
 مُسْتَدْرَكِهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ : « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ
 فِي الدِّينِ آمَنَّا بِهِ .^(١) فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لِلْإِسْتِثْنَاءِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ وَإِنْ لَمْ تُثَبِّتْ
 بِهَا الْقِرَاءَةُ ، فَأَقْلَرُّ دَرَجَاتِهَا أَنْ يَكُونَ خَبَرًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى تَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ، فَيَقْدَمُ
 كَلَامُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَنْ دُونِهِ . وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى ذِمِّ مَتَّبِعِي الْمُنَاشَبَةِ وَوَصْفِهِمْ
 بِالزَّيْغِ وَاجْتِنَاءِ الْفِتْنَةِ ، وَعَلَى مَدْحِ الَّذِينَ فَوْضُوا الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ كَمَا مَدَحَ اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَيْبِ . وَحَكَى الْقِرَاءَةُ أَنَّ فِي قِرَاءَةِ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ أَيْضًا ﴿ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ ﴾ .
 وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ ، قَالَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ
 ﴿ وَإِنْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ . تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ
 الْآيَةَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) قَالَتْ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا نَشَابَهُ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
 سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُهُمْ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
 « لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ : أَنْ يَكْتُمَ لَهُمُ الْمَالُ فَيَتَحَاسَدُوا
 فَيَقْتُلُوا ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ ، فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ بِتَعْنِي تَأْوِيلِهِ : وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ » . الْحَدِيثُ .

وأخرج ابن مَرْدَوَيْهٖ ؛ من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ القرآنَ لم يَنْزَلْ لِيَكْذَبْ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَمَا عَمِرْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا تَشَابَهَ فَأَمْنُوا بِهِ » .

وأخرج الحاكم ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزَلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَيَوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ : زَا جَر ، وَآمِر ، وَحَلَالٌ ، حَرَامٌ ، وَمُتَشَابِهٌ ، وَأَمْثَالٌ ؛ فَأَحْلُوا حَلَالَهُ ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرْتُمْ بِهِ ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَيْتُمْ عَنْهُ ، وَاعْتَبَرُوا بِأَمْثَالِهِ ، وَاعْمَلُوا بِمَحْكَمِهِ ، وَأَمْنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » .

وأخرج البيهقي في الشعب نحوه ، من حديث أبي هريرة .

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عباس مرفوعًا : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ : حَلَالٌ ، وَحَرَامٌ ، لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِحِمَالَتِهِ ، وَتَفْسِيرُ تَفْسِيرِهِ الْعَرَبُ ، وَتَفْسِيرُ تَفْسِيرِهِ الْعُلَمَاءُ ، وَمُتَشَابِهٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَنْ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ » . ثم أخرجه عن وجه آخر عن ابن عباس موقوفًا بنحوه .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، قال : « نَزَمْنَا بِالْحَدِّثِ ، وَنَدِينُ بِهِ ، وَنَزَمْنَا بِالْمُتَشَابِهِ وَلَا نَدِينُ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كُلِّهِ » .

وأخرج أيضًا عن عائشة ، قالت : « كَانَ رَسُولُكُمْ فِي الْعِلْمِ أَنْ آمَنُوا بِمُتَشَابِهِهِ ، وَلَا يَعْلَمُونَهُ » .

وأخرج أيضًا عن أبي الشعثاء وأبي نعيم ، قال : إِنْ كُنْتُمْ تَصِلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَهِيَ مَقْطُوعَةٌ .

وأخرج الدرر في مستنده ، عن سليمان بن يسار ، أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ ، قَدِيمٌ الْمَدِينَةِ ، فَعَمِلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمْرٌ ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَبِيغٍ ، فَأَخَذَ عَمْرٌ عَرَجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ ،

فضربه حتى دعى رأسه ، وفي رواية عنده : فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ، ثم تركه حتى برأ ، ثم عادله ، ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود ، فقال : إن كنت تريد قتلى فاقضى قتلاً جيلاً . فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين .

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب ، قال : إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشبهات القرآن ، نخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .
فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن التشابه مما لا يملكه الله ، وأن الخوص فيه مذموم ، وسيأتي قريباً زيادة على ذلك .

قال الطيبي : المراد بالحكم ما أتضح معناه ، والتشابه بخلافه ؛ لأن اللفظ الذي يقبل معنى ، إما أن يحتمل غيره أولاً ، والثاني النص ، والأول إما أن تكون دلالاته على ذلك الغير أرجح أولاً ، والأول هو الظاهر ، والثاني إما أن يكون مساوياً أولاً ، والأول هو الحمل والثاني المؤول فالشترك بين النص والظاهر هو الحكم ، والشترك بين الحمل والمؤول هو التشابه . ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع الحكم موافقاً^(١) للتشابه ، قالوا : فالواجب أن يفسر الحكم بما يقابله . ويعضد ذلك أسلوب الآية ، وهو الجمع مع التقسيم ، لأنه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب ، بأن قال : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ، وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء ، فقال أولاً : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، وكان يمكن أن يقال : « وأما الذين في قلوبهم استقامة ، فيستمعون الحكم » لكنه وضع موضع ذلك ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ لإتيان لفظ الرسخ ؛ لأنه لا يحصل إلا بعد التبع^(٢) العام والاجتهاد البليغ ، فإذا استقام القلب على طرق الإرشاد ، ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق ، وكفى بدعاء الراسخين في العلم ﴿ رَبَّنَا

لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا... ﴿١﴾ إلى آخره شاهد على أن ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مقابل لقوله : ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ . وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ تام ، وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى ، وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث ، بقوله : « فاحذروهم » .

وقال بعضهم : العقل مبتلى باعتقاد حقيقة التشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة كالحكيم إذا صنف كتاباً أجل فيه أحياناً ، ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذِهِ ، وكذلك يتخذ علامة يختارها من يُطْلَعُ على سرِّه . وقيل : لو لم يتلَّ العقل الذي هو أشرف البدن ، لاستمرَّ العالم في أبهة العلم على التمرّد ، فبذلك يستأنس إلى التذلُّل بمن العبودية ، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها اسلاماً واعترافاً بقصورها . وفي ختم الآية بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ تعريضٌ بالرائفين ، ومدح للراسخين ، يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه ، فليس من أولي العقول ، ومن ثم قال الراسخون : ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا...﴾ إلى آخر الآية ، فخصموا لبارئهم لاستئزال العلم اللدُّنِّي ، بعد أن استعاذوا به من الزيع النفساني .

وقال الخطابي : التشابه على ضربين : أحدهما إذا رُدَّ إلى المحكم واعتبر به عرف معناه ، والآخر مالا سبيل إلى الوقوف على حقيقته ؛ وهو الذي يتبهم أهل الزيغ فيطلبون نأويله ، ولا يبلغون كنهه ، فيرتابون فيه فيفتنون .

وقال ابن الحصار : قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ؛ لأن إليها ترد المتشابهات ، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من كل ما يتقدم به من معرفته وتصديق رسله وامثال أوامره ، واجتباب نواهيهِ ؛ وبهذا الاعتبار كانت أمّات . ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون متشابه منه ؛ ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات ، وفي قلبه شك واسترابة

كانت راحته في تنبّع المشكلات المتشابهات ؛ ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات ؛ حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبيل بما أشكل عليك . ومراد هذا الذي في قلبه زيع التقدم إلى المشكلات ؛ وفهم التشابه قبل فهم الأمهات ، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ، ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقرحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ، ويظنون أنهم لوجاءتهم آيات آخر لآمنوا عندها جهلا منهم ، وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى انتهى .

وقال الراغب في مفردات القرآن : الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب : محكم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه .

فالتشابه بالجملة ثلاثة أضرب :

متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما .

فالأول ضربان : أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة ؛ إما من جهة الغرابة نحو « الأب » و « يزفون » ، أو الاشتراك كاليد واليمين ^(١) .

وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب ؛ وذلك ثلاثة أضرب : ضرب لاختصار الكلام ^(٢) ، نحو ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ ^(٣) ،

وضرب لبطء ، نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٤) ، لأنه لو قيل « ليس مثله شيء » كان أظهر للسامع .

وضرب لنظم الكلام ، نحو ﴿ أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا ۖ ﴾ ^(٥) ، تقديره « أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً » . والمتشابه من جهة المعنى أو صاف الله تعالى وأوصاف القيامة ؛ فإن تلك الأوصاف لا تتصور

لنا ؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه ، أو ليس من جنسه .

والتشابه من جهتهما خمسة أضرب :

الأول من جهة السكينة كالعموم والخصوص ، نحو ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٦) ،

(١) المفردات : « ولما من جهة مشاركة في اللفظ » (٢) المفردات : « لبطء الكلام »

(٣) النساء ٣

(٤) الشورى ١١

(٦) التوبة ٥

والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب ، نحو ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ^(١) .

والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ ، نحو ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ^(٢) والرابع من جهة المكان والأمر التي نزلت فيها ، نحو ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِبَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ^(٤) ، فإن من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتمدّر عليه تفسير هذه الآية :

الخامس من جهة الشروط ، التي بها يصحّحها الفعل أو يفسد ك شروط الصلاة والنكاح . قال : وهذه الجملة إذا تصوّرت ، علم أن كلّ ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم .
ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب :

ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك .
وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام الغائبة .
وضرب متردد بين الأمرين ، يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ، ويخفى على من دونهم وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا ابن عباس : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل .

وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقف على قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، ووصله بقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ جائز ، وأن لكل واحد منهما وجهاً حسبما دل عليه التفصيل المتقدم . انتهى ^(٥) .

وقال الإمام نجر الدين : صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل ، وهو إما لفظي أو عقلي :

والأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية ، لأنه لا يكون قاطعاً ، لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة ، وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون ، والظني لا يكتفي به في الأصول .

وأما العقلي ؛ فإنما يفيد صرف اللفظ من ظاهره لكونه الظاهر محالاً ، وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل ؛ لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز ، وتأويل على تأويل ، وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف ، لا يفيد إلا الظن ، والظن لا يعمل عليه في المسائل الأصولية القطعية ؛ فلهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف بمد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ، ترك الخوض في تعيين التأويل . انتهى .

وحسبك بهذا الكلام من الإمام !

فصل

من المشابه آيات الصفات ، ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد ، نحو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(١) ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ^(٤) ، ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٦) .

وجهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا تفسرها مع تنزيها له عن حقيقةها .

(١) طه ٥ (٢) القصص ٨٨ (٣) الرحمن ٢٧

(٤) طه ٣٩ (٥) الفتح ١٠٠ (٦) الزمر ٦٧

أخرج أبو القاسم اللالكائي^(١) في السنة عن طريق قرّة بن خالد ، عن الحسن ، عن أمّه ، عن أم سلمة في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، قالت : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر . وأخرج أيضاً عن ربيعة بن عبد الرحمن ، أنه سئل عن قوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، فقال : الإيمان غير مجهول ، والكيف غير معقول ؛ ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق .

وأخرج أيضاً عن مالك ؛ أنه سئل عن الآية ، فقال : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وأخرج البيهقي عنه ، أنه قال : « هو كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف وكيف . مرفوع .

وأخرج اللالكائي عن محمد بن الحسن ، قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية : المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة ، مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم ، أنهم قالوا : « نروى هذه الأحاديث كما جاءت ، ونؤمن بها ، ولا يقال : كيف ، ولا نفسر ولا نتوهم » .

وذهبت طائفة من أهل السنة على أننا نؤوّلها على ما يليق بجلاله تعالى ؛ وهذا مذهب الخلف . وكان إمام الحرمين يذهب إليه ، ثم رجع عنه ، فقال في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقداً ، أتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التقرّض لمعانيها .

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضي صدر الأمة وساداتها ، وإياها اختار

(١) هو هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، منسوب إلى اللواتك التي تلبس في الأرجل ، على خلاف القياس . كان من فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب السنن ، توفي سنة ٤١٨ هـ . تاريخ بغداد ١٤ : ٢٠ .

أئمة الفقهاء وقاداتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها .

واختار ابن بَرّهان مذهب التأويل ، قال : ومنشأ الخلاف بين الفريقين : هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم نعلم معناه ، أولا ، بل يعلمه الراسخون في العلم ؟

وتوسط ابن دقيق العبد فقال : إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً توقفت عنه ، وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه ، قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب ، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فنحمله على حق الله وما يجب له .

ذكر ما وقفت عليه من تأويل الآية المذكورة

على طريقة أهل السنة

من ذلك صفة الاستواء ، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة :

أحدها : حكى مقاتل والكلبي عن ابن عباس ، أن « استوى » بمعنى استقر ، وهذا إن صحّ يحتاج إلى تأويل ، فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم .

ثانيها : أن « استوى » بمعنى « استولى » وردّ بوجهين :

أحدهما : أن الله تعالى مستولٍ على السكونين والجنة والنار وأهلها ، فأى فائدة في تخصيص العرش !

والآخر أن الاستيلاء ، إنما يكون بعد قهرٍ وغلبة ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك .

أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الأعرابي ، أنه سئل عن معنى « استوى » فقال : هو على عرشه كما أخبر ، فقيل : يا أبا عبد الله معناه « استوى » ؟ قال : اسكت ،

لا يقال : استوى على الشيء ؛ إلا إذا كان له مضاد ، فإذا غلب أحدهما قيل : اختوى .
ثالثها : إنه بمعنى صعد ، قاله أبو عبيد ؛ وردّ بأنه تعالى منزّه عن الصعود أيضاً .
رابعها : أن التقدير : « الرحمن علا » ، أى ارتفع من العلو ، والعرش له استوى . حكاه
إسماعيل الضير في تفسيره . . .

وردّ بوجهين : أحدهما أنه جعل على فعلا ، وهى حرف هنا باتفاق ، فلو كانت فعلاً
لكتب بالألف ، كقوله : ﴿ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) . والآخر أنه رفع « العرش » ، ولم يرفعه أحد
من القراء .

خامسها : أن الكلام تم عند قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ، ثم ابتدأ بقوله :
﴿ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .
وردّ بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها .

قلت : ولا يأتى له فى قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

سادسها : أن معنى « استوى » أقبل على خلق العرش وعهد إلى خلقه ، كقوله : ﴿ ثُمَّ
اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ^(٢) ، أى قصد وعهد إلى خلقها . قاله القراء والأشعرى
وجماعة أهل المعاني . وقال إسماعيل الضير : إنه الصواب .

قلت : يبعده تعديته بعل ، ولو كان كما ذكره لتمدى بالى كما فى قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى
إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ^(٢) .

سابعها : قال ابن اللبان : الاستواء النسب إليه تعالى بمعنى اعتدل ، أى قام بالعدل ،
كقوله تعالى : ﴿ قَانِمًا بِالْإِصْطِطِ ﴾ ^(٣) ، والعدل هو استواؤه ، ويرجع معناه إلى أنه أعطى
بميزته كل شئ خلقه موزوناً بحكمته البالغة .

ومن ذلك النفس فى قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ^(٤) ،

وَوُجَّهَ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى سَبِيلِ الْمَشَاكِلَةِ مُرَادًا بِهِ الْغَيْبُ ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَعَرٌّ كَالنَّفْسِ .

وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(١) أى عقوبته . وقيل : إِيَّاهُ .

وقال الشَّهْلِيُّ : النَّفْسُ عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد ، وقد استعمل من لفظة النفاسة والشيء النفيس ، فصَلَحَتْ لا لتعبير عنه سبحانه وتعالى .

وقال ابن اللِّبَانِ : أَوَّلُهَا الْعُلَمَاءُ بِتَأْوِيلَاتٍ ؛ مِنْهَا أَنَّ النَّفْسَ عُبْرٌ بِهَا عَنْ الذَّاتِ ، قَالَ : وَهَذَا وَإِنْ كَانَ سَائِغًا فِي اللَّفْظِ ، وَلَكِنْ تَعَدَّى الْفِعْلُ إِلَيْهَا بِنِيَّةِ الْمَعْنَى لِلظَّرْفِيَّةِ مَحَالٍ عَلَيْهِ تَعَالَى .
وقد أَوَّلَاهَا بَعْضُهُمْ بِالْغَيْبِ ، أَيْ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِكَ وَسِرِّكَ ، قَالَ : وَهَذَا حَسَنٌ لِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ^(٢) .

* * *

ومن ذلك الوجه وهو مؤوَّل بالذَّاتِ . وقال ابن اللِّبَانِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَاجِهِهِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٥) ،
المُرَادُ إِخْلَاصَ النِّيَّةِ .

وقال غيره فِي قَوْلِهِ : ﴿ قَوْمٌ وَجَهُ اللَّهِ ﴾ ^(٦) ، أَيْ الْجِهَةُ الَّتِي أُمِرَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا .

* * *

ومن ذلك : الْعَيْنُ ، وَهِيَ مُؤَوَّلَةٌ بِالْبَصَرِ أَوِ الْإِدْرَاكِ . بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِسْمُهَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ خِلَافًا لِتَوْحُمِ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهَا مَجَازٌ ، وَإِنَّمَا الْمَجَازُ فِي تَسْمِيَةِ الْمَعْصُوبِ بِهَا .

وقال ابن اللِّبَانِ : نِسْبَةُ الْعَيْنِ إِلَيْهِ تَعَالَى اسْمُ لَايَاتِهِ الْمُبْصِرَةِ ، الَّتِي بِهَا سَبَّحَانَهُ يَنْظُرُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَبِهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ ^(٧) : نِسْبُ الْبَصَرِ لِلآيَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ تَحْقِيقًا ، لِأَنَّهَا الْمُرَادَةُ بِالْعَيْنِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : ﴿ قَدْ

(١) آل عمران ٢٩

(٢) الأنعام ٥٢

(٣) الإنسان ٩

(٤) الليل ٢٠

(٥) البقرة ١١٥

(٦) النمل ١٣

جَاءَكُمْ بِصَارٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْنَا ﴿١﴾ ، قال : قوله : ﴿وَاصِرٍ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (٢) ، أى بآياتنا ننظرها إلينا ، وننظر بها إليك ، قال : ويؤيد أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه عالماً بها الصبر لحكم ربّه ، صريحاً في قوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (٣) ، قال : وقوله في سفينة نوح : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (٤) ، أى بآياتنا ، بدليل : ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (٥) ، وقال : ﴿وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٦) ، أى على حكم أبى التى أوحيتها إلى أمك ، ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾ (٧) ، الآية. انتهى .

وقال غيره : المراد فى الآيات كلامه تعالى حفظه .

* * *

ومن ذلك : اليد فى قوله : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ (٨) ، ﴿بَدَأَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٩) ، ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ (١٠) ، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ (١١) ، وهى مؤولة بالقدرة . وقال السهيلي : اليد فى الأصل كالבصر عبارة عن صفة لموصوف ، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأبدي مقرونة مع الأبصار فى قوله : ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (١٢) ، ولم يمدحهم بالجوارح ، لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر ، قال : ولهذا قال الأشعري : إن اليد صفة ورد بها الشرع . والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلا أنها أخص والقدرة أعم ، كاللحبة مع الإرادة والمشيئة ، فإن فى اليد تشريفاً لازماً .

وقال البهوي فى قوله : ﴿بِيَدَيَّ﴾ : فى تحقيق الله التشية فى اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة ، وإنما هما صفتان من صفات ذاته .

(٣) الإنسان ٢٣

(٢) الطور ٤٨

(١) الأنعام ١٠٤

(٦) طه ٢٩

(٥) هود ٤١

(٤) القمر ١٤

(٩) الفتح ١٠

(٨) ص ٧٥

(٧) القصص ٧

(١٢) من ٤٥

(١١) الحديد ٢٩

(١٠) يس ٧١

وقال مجاهد: اليد هاهنا صلة وتأكيد ، كقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ^(١) ، قال
البغوي : وهذا تأويل غير قوى ، لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول : إن
كنت خلقتني فقد خلقتني ، وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مرتبة
على إبليس .

وقال ابن اللبان ^(٢) : فإن قلت : فما حقيقة اليمين في خلق آدم ؟ قلت : الله أعلم بما أراد ؛
ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه ، أن «اليمين» استعارة لنور قدرته القائم بصفة
فضله ، ولنورها القائم بصفة عدله . وثبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له في خلقه
بين فضله وعدله . قال : وصاحبة الفضل هي اليمين ، التي ذكرها في قوله : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ
مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٣) سبحانه وتعالى .

ومن ذلك : الساق في قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ^(٤) ، ومعناه عن
شدة وأمر عظيم ، كما يقال : قامت الحرب على ساق .
أخرج الحاكم في المستدرک من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله :
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ، قال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر ،
بأنه ديوان العرب ، أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عناقٍ إنه شرّ باقٍ قد سنّ لي قومك ضرب الأعناقِ
* وقامت الحربُ بنا على ساقِ *

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة .

ومن ذلك : الجنب في قوله تعالى : ﴿ عَلَى مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ ^(٥) ، أي

(١) الرحمن ٢٧ (٢) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقي ، مفسر من علماء العربية . وله
كتاب «ردماني الآيات المشابهات إلى ماني الآيات المحكمات» . توفي سنة ٧٤١ هـ - الدور للكلمة ٣ : ٣٣٠
(٣) الزمر ٦٨ (٤) القلم ٤٢ (٥) الزمر ٥٦

في طاعته وحقه ، لأن التفريط إنما يقع في ذلك ، ولا يقع في الجنب الممهود .

ومن ذلك : صفة القرب في قوله : ﴿ فَأَنَا قَرِيبٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(٢) ، أى بالعلم .

ومن ذلك : صفة الفوقية في قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ^(٤) ، والمراد بها العلو من غير جهة ، وقد قال فرعون : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ^(٥) ، ولا شك أنه لم يرد العلو المكناني .

ومن ذلك : صفة المجيئ في قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَوْثَانِي رَبُّكَ ﴾ ^(٧) ، أى أمره ؛ لأن الملك إنما يأتي بأمره أوتيسليطه ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَحْمُ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٨) ، فصار كما لو صرح به .

وكذا قوله : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ ^(٩) ، أى اذهب بربك ، أى بتوفيقه وقوته .
ومن ذلك : صفة الحب في قوله : ﴿ خَشِبُهُمْ وَيُخَيَّبُونَهُ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١١) .

وصفة الغضب في قوله : ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١٢) .

وصفة الرضا في قوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ^(١٣) .

وصفة المعجب في قوله : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ ^(١٤) ، بضم القاء ، وقوله : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ ^(١٥) .

(٣) الأمام ١٨

(٦) الفجر ٢٢

(٩) المائدة ٢٤

(١٢) النحل ٦

(١٥) الزمعة ٥

(٢) في ١٦

(٥) الأعراف ١٢٧

(٨) الأنبياء ١٧

(١١) آل عمران ٣١

(١٤) الصافات ١٢

(١) البقرة ١٨٦

(٤) النحل ٥٠

(٧) الأمام ١٥٨

(١٠) المائدة ٥٠

(١٣) المائدة ١١٩

وصفة الرحمة في آيات كثيرة .

وقد قال العلماء : كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها ، قال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية — أعنى الرحمة والفرح ، والشُّرور والغضب ، والحياء والمكر والاستهزاء — لها أوائل ولها غايات ، مثاله الغضب فإنَّ أوله غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المعضوب عليه ، فلنظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب ، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار ؛ وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس ، وله غرض وهو ترك الفعل ، فلنظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس ، انتهى .

وقال الحسين بن الفضل : العجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه . وسئل الجنيد عن قوله : ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ ، فقال : إن الله لا يعجب من شيء ، ولكن الله وافق رسوله ، فقال : ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ ، أى هو كما نقول .

* * *

ومن ذلك : لفظة « عند » في قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ^(١) ، و﴿ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ ^(٢) ، ومعناها الإشارة إلى التمكن والزلفى والرقعة .

* * *

ومن ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ ^(٣) أى بعلمه ، وقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ ﴾ ^(٤) . قال البيهقي : الأصح أن معناه أنه المعبود في السموات وفي الأرض ، مثل قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ ^(٥) .

وقال الأشعري: الظرف متعلق بـ «يدلم» أى عالم بما فى السموات والأرض.

* * *

ومن ذلك قوله: ﴿سَبِّحْ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ^(١)، أى سنفصد لجرائكم

تنبيه

قال ابن اللبان: ليس من التشابه قوله تعالى: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ^(٢)،
لأنه قسمه بعده بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾، تنبيها على أن بطشه عبارة عن
تصرفه فى بدئه وإعادته وجميع تصرفاته فى مخلوقاته.

فصل

ومن التشابه أوائل السور، والمختار فيها أيضا أنها من الأسرار التى لا يعلمها إلا الله
تعالى، أخرج ابن النذر وغيره، عن الشعبي، أنه سئل عن فوائح السور، فقال: إن
لكل كتاب سرًّا، وإن سر هذا القرآن فوائح السور.

وخاض فى معناها آخرون، فأخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق أبى الضحى،
عن ابن عباس فى قوله: ﴿الْم﴾ قال: أنا الله أعلم، وفى قوله: ﴿الْحَم﴾، قال: أنا الله
أفصل، وفى قوله: ﴿الرَّ﴾: أنا الله أرى.

وأخرج من طريق سعيد بن جبیر، عن ابن عباس فى قوله: ﴿الْم﴾ و﴿حَم﴾
و﴿ن﴾ قال: اسم مقطع.

وأخرج من طريق عكرمة، عن ابن عباس، قال: ﴿الرَّ وَحَمَّ وَنَ﴾ حروف
الرحمن مفرقة.

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى، قال: ﴿الرَّ﴾ من الرحمن.

وأخرج عنه أيضاً قال : ﴿ المص ﴾ الألف من الله ، واليم من الرحمن ، والصاد من الصمد .

وأخرج أيضاً عن الضحاك ، في قوله : ﴿ المص ﴾ قال : أنا الله الصادق ، وقيل : ﴿ المص ﴾ معناه المصور ، وقيل : ﴿ الر ﴾ معناه أنا الله أعلم وأرفع ، حكاهما الكرماني في غرائب .

وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ﴿ كهيعص ﴾ ، قال : الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق .

وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد بن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ ، قال : كاف هاد أمين عزيز صادق .

وأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ ، قال : هو هاء مقطوع : الكاف من الملك ، والهاء من الله ، والياء والعين من العزيز ، والصاد من المصور .

وأخرج عن محمد بن كعب مثله إلا أنه قال : والصاد من الصمد .

وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ قال : كبير ، هاد ، أمين ، عزيز ، صادق .

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي ، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿ كهيعص ﴾ قال : الكاف الكافي ، والهاء الهادي ، والعين العالم ، والصاد الصادق .

وأخرج من طريق يوسف بن عطية قال : سئل الكلبي عن ﴿ كهيعص ﴾ ، فحدث عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كاف ، هاد ، أمين ، عالم ، صادق » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿كَيْسَ﴾ قال: يقول: أنا الكبير، الهادي، علي، أمين، صادق.

وأخرج عن محمد بن كعب في قوله: ﴿طَهَ﴾، قال: الطاء من ذى الطول، والتين من القدوس، والميم من الرحمن.

وأخرج عن سميد بن جبير، في قوله: ﴿حَمَ﴾، قال: حاء اشتقت من الرحمن، وميم اشتقت من الرحيم.

وأخرج عن محمد بن كعب في قوله: ﴿جَمَعَقَ﴾، قال: الحاء والميم من الرحمن، والعين من العليم، والتين من القدوس، والقاف من القاهر.

وأخرج عن مجاهد، قال: فواتح السور كلها هاء مقطعة.

وأخرج عن سالم بن عبد الله، قال: ﴿الْمَ وَحَمَّ وَنَ﴾ ونحوها اسم الله مقطعة.

وأخرج عن السدي، قال: فواتح السور أسماء من أسماء الرب جل جلاله فرقت في القرآن.

وحكى الكرماني في قوله: ﴿قَ﴾ إنه حرف من اسمه، قادر وقاهر.

وحكى غيره في قوله: ﴿نَ﴾ إنه مفتاح اسمه تعالى: نور وناصر.

وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد، وهو إنها حروف مقطعة، كل حرفٍ منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى، والاكتفاء بيمض الكلمة مبهود في العربية قال الشاعر:

* قلتُ لها فني فقالت قاف * (١)

(١) الرجز للوليد بن عتبة، الأغاني ٥: ١٣١ وتفسير الطبري ١: ٢١٢، وبمده

* لا تحسبي أننا نسينا إلا زجاف *

أى وقتت . وقال :

بالخير خبرت وإن شرّافا * ولا أريد الشر إلا أن تا^(١)

أراد : وإن شرّاف شرّ وإلا أن تشاء .

وقال :

نادام ألا الجموا ألاتا * قالوا جميعاً كلهم ألاتا

أراد ألا تركبون ، ألا فاركبوا .

وهذا القول اختاره الزجاج ، وقال : العرب تنطق بالحرف الواحد تدلّ عليه به على

الكلمة التى هو منها . وقيل إنها الاسم الأعظم ، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها . كذا نقله ابن عطية .

وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود ، قال : هو اسم الله الأعظم .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق السدى أنه بلغه عن ابن عباس قال : ﴿الم﴾ .

اسم من أسماء الله الأعظم .

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال :

﴿الم﴾ ، و﴿طسم﴾ ، و﴿ص﴾ وأشباهاها قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله ،

وهذا يصلح أن يكون قولاً ثالثاً ، أى أنها برزمتها أسماء الله ويصلح أن يكون من القول

الأول ومن الثانى . وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره . وبؤيده ما أخرجه ابن ماجه

فى تفسيره من طريق نافع بن أبى نعيم القارى ، عن فاطمة بنت على بن أبى طالب أنها

سمعت على بن أبى طالب يقول : يا ﴿كهميم﴾ اغفر لى ، وما أخرجه ابن أبى حاتم

عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿كهميم﴾ قال : يامن يحجر ولا يحجار عليه .

(١) سيويه ٢ : ٦٢ ، شرح شواهد الشافيه ٢٦٢

وأخرج عن أنسب ، قال : سألت مالك بن أنس : أينبغي لأحد أن يذمتي ؟ (يؤس) ؟ فقال : ما أراه ينبغي ، لقول الله : (يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) ، يقول : هنا سمي تسميت به . وقيل هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر ، أخرجه عبد الرزاق عن قتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ « كل جاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن » . وقيل : هي أسماء للسور ، نقله الماوردي وغيره عن زيد بن أسلم ، ونسبه صاحب الكشاف إلى الأثر .

وقيل : هي فوائح للتور كما يقولون في أول القصائد « بل » و « لا بل » . أخرج ابن جرير ، من طريق الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : (الم) و (حم) و (المص) و (ص) ، ونحوها فوائح افتتح الله بها القرآن . وأخرج أبو الشيخ ، من طريق ابن جريج ، قال : قال مجاهد (الم) و (المص) و (الم) و (المص) فوائح افتتح الله بها القرآن . قلت : ألم يكن يقول هي أسماء ! قال : لا .

وقيل هذا حساب : « أبي جاد » لتدل على مدة هذه الأمة . وأخرج ابن إسحاق ، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رباب ، قال : مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم) * ذلك الكتاب لا ريب فيه * ، فأتى أخاه حبي بن أخطب في رجال من اليهود ، فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه (الم) * ذَلِكَ الْكِتَابُ * ، قال : أنت سمعته ؟ قال : نعم فمضى حبي في أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك (الم) * ذَلِكَ الْكِتَابُ * ؟ فقال : بلى ، فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لبي مامدة ملكه ، وما أجل أمته غيرك ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، واليم أربعون ؛ فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفندخل في دين نبي إنما مدته ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ! ثم قال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، (المص) قال : هنما نقتل وأطول ،

الألف واحدة ، واللام ثلاثون ؛ والميم أربعون ، والصاد ستون ، فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ﴿ الر ﴾ ، قال : هذه أثقل وأطول ؛ الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، هذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة . هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ﴿ الم ﴾ ، قال : هذه أثقل وأطول ، هذه إحدى وسبعون ومائتان ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرُك حتى ماندرى أقليلاً أُعْطِيتَ أم كثيراً ! ثم قال : قوموا عنه . ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه : ما يدريك لعله قد جُمع هذا كله لحمد ؛ إحدى وسبعون ، وإحدى ثلاثون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعمائة وأربع سنين . فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُهم ؛ فيزعون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(١) ، أخرجه ابن جرير من هذا الطريق وابن المنذر ، ومن وجه آخر عن ابن جرير مُعْضَلًا .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله ﴿ الم ﴾ : قال : هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين ، دارت بها الألسن ، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى ، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم ، فالألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، والميم مفتاح اسمه مجيد ، فالألف آلاء الله واللام لطف الله ، والميم مجد الله ، فالألف سنة واللام ثلاثون ، والميم أربعون قال الخلوئي : وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿ أن البيت المقدس فتحة المسلمون في سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ؛ ووقع كما قاله . وقال السهلي : لعل عدد الحروف التي في أوائل التور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة .

قال ابن حجر : وهذا باطل لا يعتمد عليه ، قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه الزجر عن عد « أبي جاد » ، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر ؛ وليس ذلك ببيعد ،

فإنه لا أصل له في الشريعة، وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل التور .

وقد تحصل لي فيها عشرون قولاً وأزید ، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بـ «لم» ، ولا يصل منها إلى فهم .

والذي أقوله : إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل تلى عليهم ﴿ حم ﴾ فصّت و ﴿ ص ﴾ وغيرهما ، فلم ينكروا ذلك ، بل صرّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم إلى عثرة وغيرها وحرصهم على زلة ، فدل على أنه كان أمراً معروفاً بينهم ، لا إنكار فيه . انتهى .

وقيل : هي تنبيهات كافية النداء عدّه ابن عطية مغايراً للقول بأنها فوائح ، والظاهر أنه بمعناه .

قال أبو عبيدة : ﴿ ألم ﴾ افتتاح كلام . وقال الخواري : القول بأنها تنبيهات جيدة ، لأن القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة ، فينبغي أن يراد على سمع متنبّه ، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي صلى الله عليه وسلم في عالم البشر مشغولاً ، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله : ﴿ ألم ﴾ و ﴿ الر ﴾ و ﴿ حم ﴾ ، ليسمع النبي صوت جبريل فيقبل عليه ، ويصفي إليه . قال : وإنما لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كالأوامر ، لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم ، والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهد ، لتكون أبلغ في قزع سمعه . انتهى .

وقيل : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لقّوا فيه ، فأنزل الله هذا النظم البديع ليجبوا منه ، ويكون تمجّدهم منه سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده ، فترقّ القلوب ، وتلين الأفئدة . وعدّ هذا جماعة قولاً مستقلاً ، والظاهر خلافه ، وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال ، لا قولاً في معناه ، إذ ليس فيه بيان معنى .

وقيل: إن هذه الحروف ذُكرت لتدلّ على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي: ا، ب، ت، ث ... فجاء بعضها مقطّعةً، وجاء تمامها مؤلفاً، ليدلّ القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تعريفاً لهم، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله، بعد أن علموا أنه منزّل بالحروف التي يعرفونها، ويبنون كلامهم منها.

وقيل: المقصود بها الإعلام بالحروف التي يتركّب منها الكلام، فذكر منها أربعة عشر حرفاً، وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه.

فمن حروف الحلق: الحاء، والعين، والهاء. ومن التي فوقها القاف، والكاف.

ومن الحرفين الشفهيّين الميم. ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء.

ومن الشديدة الهزة الطاء والقاف والكاف. ومن المطبقة الطاء والصاد. ومن المحمّورة المهمزة واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون. ومن المفتحة المهمزة والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعيلة: القاف والصاد والطاء. ومن المنخفضة المهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون. ومن القليلة القاف والطاء.

ثم إنه تعالى ذكر حروفاً مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة؛ لأن تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة.

وقيل: هي أمانة جعلها الله لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاباً في أول سورٍ منه حروف مقطّعة.

هذا ما وقفت عليه من الأقوال في أوائل السور من حيث الجملة، وفي بعضها أقوال آخر؛ فقليل: إن طه ويس بمعنى يارجل، أو يا محمد أو يا إنسان، وقد تقدّم في المغرب.

وقيل: هما اسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم. قال السكّرمان في غرائب: ويقوي في يس قراءة «يسن» بفتح النون، وقوله: «آل ياسين». وقيل: طه هي طاء للأرض أو المثلث، فيكون فعل أمر والهاء مفعول، أو للسكرت أو مبدلة من المهمزة.

أخرج ابن أبي حاتم: من طريق سميد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿طه﴾

هو كقولك : افعل . وقيل : طه أى يابدر ، لأن الطاء بتسعة ، والهاء بخمسة ، فذلك أربعة عشر إشارة إلى البدر ، لأنه يتم فيها . ذكره الكرماني في غرائبه .

وقيل في قوله : ﴿ يس ﴾ : أى ياسيد المرسلين ، وفي قوله : ﴿ ص ﴾ . معناه صدق الله . وقيل : أقسم بالصمد الصانع الصادق : وقيل : معناه صاد يا محمد عملك بالقرآن ، أى عارضه به ، فهو أمر من المصاداة .

« وأخرج عن الحسين ، قال : صناد حدث القرآن ، يعنى انظار فيه » .

وأخرج عن سفيان بن حسين ، قال : كان الحسن يقرأها « صاد والقرآن » ، يقول : عارض القرآن . وقيل : ص اسم تجز عليه عرش الرحمن ، وقيل : اسم بحر ينجي به الموتى . وقيل : معناه صاد محمد قلوب العباد ، حكاه الكرماني كلها .

وحكى في قوله : ﴿ الص ﴾ أى معناه « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » ، وفي ﴿ حم ﴾ أنه صلى الله عليه وسلم ، وقيل : معناه « حم » ما هو كائن ، وفي « حمسق » أنه جبل قاف ، وقيل : « ق » جبل محيط بالأرض . أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد .

وقيل : أقسم بقوة قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : همى الكاف من قوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ دلت على بقية الكلمة . وقيل : معناها قف يا محمد على أداء الرسالة ، والعمل بما أمرت ، حكاه الكرماني .

وقيل : « ن » هو الحوت . أخرج الطبراني عن ابن عباس ، مرفوعا : « أول ما خلق الله القلم والحوت . قال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : كل شئ كائن إلى يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ ، فالنون الحوت ، والقاف القلم . وقيل : هو اللوح المحفوظ . أخرجه ابن جرير من مرسل ابن قرة مرفوعا .

وقيل : هو الدواة ، أخرجه عن الحسن وقتادة .

وقيل : هو المداد ، حكاه ابن قرة في غريبة .

وقيل : هو القلم ، حكاه الكرماني عن الجاحظ .

وقيل: هم اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه ابن عسكر في مبهماته
وفي المحتسب لابن حنّى أن ابن عباس ، قرأ ﴿ حَسَق ﴾ بلا عين ، ويقول : السين
كل فرقة تكون ، والقاف كل جماعة تكون .

قال ابن جنّى ، وفي هذه القراءة دليل على أن الفواحي فواصل بين السور ، ولو كانت
أسماء الله لم يحز تحريف شيء منها ، لأنها لا تكون حينئذٍ ، والأعلام تؤدى بأعيانها ،
ولا يحرف شيء منها .

وقال الكرماني في غرائبه في قوله تعالى : ﴿ الْم أَحَسِبَ النَّاسُ ﴾ : الاستفهام
هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها في هذه السورة وغيرها .

خاتمة

أورد بعضهم سؤالاً وهو أنه : هل للمحكم مزية على المتشابه أولاً ؟ فإن قلتم بالثاني
فهو خلاف ، الإجماع أو بالأول فقد نقضتم أصلكم في أن جميع كلام سبحانه وتعالى سواء ،
وأنه منزل بالحكمة !

وأجاب أبو عبد الله البكري باذًى ، بأن المحكم كالمتشابه من وجه ، ويخالفه من
وجه ، فيتفقان في أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع ، وأنه لا يختار
القبيح ، ويختلفان في أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه ؛ فمن سمعه أمكنه أن
يستدل به في الحال ، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر ؛ ليحمله على الوجه المطابق ؛ ولأن
المحكم أصل ، والعلم بالأصل أسبق ، ولأن المحكم يُعلم مفصلاً ، والمتشابه لا يُعلم
إلا مجملًا .

وقال بعضهم : إن قيل : ما الحكمة في إزال المتشابه ممن أراد لعباده به البيان والهدى ؟
قلت : إن كان مما يمكن علمه ، فله فوائد :

منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بفواضله ، والبحث عن دقائقه ؛ فإن استدعاء
المهم لمعرفة ذلك من أعظم القرب .

ومنها ظهور التفاضل ، وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر ؛ لاستوت منازل الخلق ، ولم يظهر فضل العالم على غيره .. وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد :

منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم والتعبد بالاستئصال به من جهة التلاوة كالنسخ ؛ وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة الحجّة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولعبيهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم دلّ على أنه نزل من عند الله ؛ وأنه الذي أعجزهم عن الوقوف على معناه .

وقال الإمام غفر الدين : من للملحة من طعن في القرآن ؛ لأجل اشتماله على التشابهات ، وقال : إنكم تقولون : إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة ؛ ثم إننا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه ، فالجبري متمسك بآيات الخير كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ^(١) ، والقدرى يقول : هذا مذهب الكفار ، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم لله في معرض الذم في قوله : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ ^(٢) ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ ^(٣) . ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى : ﴿ لَا تَذَرِكُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٤) .

ومثبت الجهة متمسك بقوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٦) ، والنافي متمسك بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٧) .

ثم يستى كل واحد الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ، والآيات الخالفة له متشابهة ؛ وإنما آل في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة ؛ فكيف يليق

(٣) البقرة ٨٨

(٦) طه ٥

(٢) فصلت ٥

(٥) النحل ٥٠

(١) الأنعام ٢٥

(٤) الأنعام ١٠٣

(٧) الشورى ١١

بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كل الدين إلى يوم القيامة هكذا !
قال : والجواب أن العلماء ذكروا الوقوع المتشابه فيه فوائد :

مها أنه يُوجب المشقة فى الوصول إلى المراد ، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب .
ومنها أنه لو كان القرآن كله محكماً لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد ؛ وكان
بصريه مبطلاً لكل ما سوى ذلك المذهب ؛ وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن
قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به ؛ فإذا كان مشملاً على الحكم والمتشابه ، طمع صاحب
كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه ، وينصر مقالته ، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ،
ويجتهد فى التأمل فيه صاحب كل مذهب ، وإذا بالفوائى ذلك صارت المحكمات مفسرة
للمتشابهات ، وبهذا الطريق يتخلص البطل من باطله ، ويتصل إلى الحق .

ومنها أن القرآن إذا كان مشتملاً على المتشابه ، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات ،
وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر فى تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة
والنحو والمعانى والبيان وأصول الفقه ؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتاج إلى تحصيل
هذه العلوم الكثيرة ؛ فكان فى إيراد المتشابهة هذه الفوائد الكثيرة .

ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع الدوام تنفر فى أكثر
الأمر عن درك الحقائق ، فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم
ولا متعيز ولا مشار إليه ، ظن أن هذا عدم ونفى ، فوقع التعطيل ؛ فكان الأصح أن
يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهّموه وتخيلوه ؛ ويكون ذلك مخلوطاً بما
يدل على الحق الصريح ، فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر يكون من
المتشابهات ، والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر من المحكمات .

التَّوَعُّدُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي مُقَدِّمِهِ وَمَوْخِزِهِ

وهو قسمان :

(الأول) : ما أشكل معناه ، بحسب الظاهر ، فمما عرف أنه من باب التقديم والتأخير ، أتضح . وهو جدير أن يفرد بالتصنيف ، وقد تعرّض السلف لذلك في آيات :
فأخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا ﴾ ^(١) ، قال : هذا من تقديم الكلام ، يقول : « لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة » .

وأخرج عنه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ^(٢) ، قال : هذا من مقادير الكلام ، يقول : لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً » .

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ^(٣) ، قال : هذا من التقديم والتأخير ، « أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً » .

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ^(٤) ، قال : هذا من المقدم والمؤخر ، أي رافعك إلى ومتوفيك .

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٥) ،

(٣) : الكهف ١ ، ٢

(٢) : طه ١٢٩

(١) : التوبة ٨٥

(٥) : من ٢٦

(٤) : آل عمران ٥٥

قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : « لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا » .
وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) ، قال : هذه الآية مقدمة ومؤخرة ، إنما هي « أذاعوا به إلا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير » .

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٢) ، قال : إنهم إذا رأوا الله ، فقد رأوه ، إنما قالوا : « جهرة أرنا الله » ، قال : هو مقدم ومؤخر . قال ابن جرير : يعني أن سؤالهم كان جهرة .

ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ^(٣) ، قال البيهقي : هذه أول القصة ، وإن كان مؤخرًا في التلاوة . وقال الواحدى : كان الاختلاف في القتال قبل ذبح البقرة ؛ وإنما أخر في الكلام لأنه تعالى لما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ... ﴾ ^(٤) ، الآية ، علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ^(٣) فسألتهم موسى ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ^(٤) .

ومنه : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ ^(٥) : والأصل « هواه إلهه » ، لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم ، فقدم المفعول الثانى للعناية به .

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ ^(٦) ، على تفسير « أحوى » بالأخضر . وجعله نعتًا للمرعى ، أى أخرجه أحوى ، وأخر رعاية للفاصلة .

وقوله : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودٌ ﴾ ^(٧) ، والأصل « سود غرايب » ، لأن الغريب الشديد السواد .

(٣) البقرة ٧٢

(٢) النساء ١٥٣

(١) النساء ٨٣

(٦) الأعلى ٥٤

(٥) الفرقان ٤٣

(٤) البقرة ٦٧

(٧) فاطر ٢٧

وقوله : ﴿ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا ... ﴾ ^(١) ، أى فبشرناها فضحكت .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ^(٢) ، أى لهم بها ، وعلى هذا فالهم منقّى عنه .

(الثانى) : ما ليس كذلك ، وقد ألفت فى العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه « المقدمة فى سر الألفاظ المقدمة » ، قال فيه : الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الاهتمام كما قال سيبويه فى كتابه : كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم ، وهم يبيانه أعنى .

قال : هذه الحكمة إجمالية ، وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره ، فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع :

الأول : التبرك كتقديم اسم الله تعالى فى الأمور ذات الشأن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ ^(٤) ، الآية .

الثانى : التعظيم ، كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(٧) .

الثالث : التشريف ، كتقديم الذكر على الأنثى ، نحو ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ ^(٨) الآية ، والحرى فى قوله : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ ^(٩) ، والحقى فى قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ... ﴾ ^(١٠) ، الآية ، ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ ^(١١) ، والخليل فى قوله : ﴿ وَالْخَلِيلَ وَالْبَيْعَالَ وَالْخَيْرَ لَتَرْكَبُوهَا ﴾ ^(١٢) ، والسمع فى قوله : ﴿ وَطَلَى سَمْعِهِمْ وَطَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(١٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

(٣) آل عمران ١٨

(٦) الأحزاب ٥٦

(٩) البقرة ١٧٨

(١٢) النحل ٨

(٢) يوسف ٢٤

(٥) النساء ٦٩

(٨) الأحزاب ٣٥

(١١) طاهر ٢٢

(١) هود ٧١

(٤) الأنفال ٤١

(٧) التوبة ٦٢

(١٠) الأنعام ٩٥

(١٣) البقرة ٧

وَالْفُؤَادَ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ (٢) حكى ابن عطية عن النقاش أنه استدلل بها على تفضيل السمع والبصر، ولذا وقع في وصفه تعالى : ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٣) ، بتقديم « السميع » .

ومن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومن معه في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ...﴾ (٤) ، الآية ، وتقديم الرسول في قوله : ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (٥) ، وتقديم المهاجرين في قوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (٦) ، وتقديم الإنس على الجن حيث ذكر في القرآن ، وتقديم النبيين ، ثم الصديقين ، ثم الشهداء ، ثم الصالحين في آية النساء ، وتقديم إسماعيل على إسحاق لأنه أشرف بكون النبي صلى الله عليه وسلم من ولده وأسن ، وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة ؛ لأنه أفضل ، وتقديم العاقل على غيره في قوله : ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (٧) ﴿يَسْبَحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ (٨) .

وأما تقديم الأنعام في قوله : ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ (٩) ؛ فأنه تقدم ذكر الزرع ، فناسب تقديم الأنعام ، بخلاف آية «عبس» ؛ فإنه تقدم فيها ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (١٠) ، فناسب تقديم «لكم» وتقديم «الؤمنين» على «الكفار» في كل موضع ، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال ، والسماء على الأرض ، والشمس على القمر حيث وقع إلا في قوله : ﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١١) ؛ فقيل : لمرعاة الفاصلة ، وقيل : لأن انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر .

وقال ابن الأنباري : يقال إن القمر وجهه يضي لأهل السموات وظهره لأهل الأرض ؛

(١) الإسراء ٣٦	(٢) الأعمام ٤٦	(٣) الحج ٦١
(٤) الأحزاب ٧	(٥) الحج ٥٢	(٦) التوبة ١٠٠
(٧) النازعات ٣٣	(٨) النور ٤١	(٩) السجدة ٢٧
(١٠) عبس ٢٤	(١١) نوح ١٥ ، ١٦	

ولهذا قال تعالى: ﴿فِيهِمْ﴾ ، لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .
ومنه تقديم الغيب على الشهادة في قوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ^(١)؛ لأن علماً أشرف ، وأما ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ^(٢) فأخر فيه رعاية للفاصلة .

الرابع : المناسبة ، وهي إما مناسبة التقدم لسياق الكلام ، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ^(٣)؛ فإن الجمال بالجمال؛ وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة ، إلا أنها حالة إراحتهما، وهو نجيتها من المرعى آخر النهار يكون الجمال بها أنحر ، إذ هي فيه بظان ، وحالهما سراهما للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول ، إذ هي فيه خصاص ^(٤) . ونظيره قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ^(٥) ، قدم نفي الإسراف لأن الشرف في الإنفاق .

وقوله: ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ^(٦) ، لأن الصواعق تقع مع أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات .

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَاثِنًا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٧) ، قدمها على الآية لاجتماع كان السياق في ذكرها في قوله: ﴿وَالَّتِي أُخْضِنتُ فَرْجَهَا﴾ ^(٨) ، ولذلك ^(٩) الآية في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَاثِنًا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٩) ، وحسنه تقديم موسى في الآية قبله .

ومنه قوله: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ^(١٠) ، قدم الحكم وإن كان العلم سابقاً عليه؛ لأن السياق فيه لقوله في أول الآية: ﴿إِذْ يَخْشَعَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ ^(١١) .

وإما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر ، كقوله: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ ^(١٢) .
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ^(١٣) ، ﴿لَمِنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾

- | | | |
|---|--------------------|-------------------|
| (١) الزمر ٤٦ | (٢) طه ٧ | (٣) النحل ٦ |
| (٤) البطنة : امتلاء البطن ، والحصى : الجوع (٥) الفرقان ٦٧ | (٨) التحريم ١٢ | (٦) الروم ٢٤ |
| (٧) الأنبياء ٩١ | (١١) الأنبياء ٧٨ | (٩) المؤمنون ١٠ |
| (١٠) الأنبياء ٧٩ | | (١٢) الحديد ٣ |
| (١٣) الحجر ٢٤ | | |

أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿١﴾ ، ﴿يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿٥﴾ ، وأما قوله : ﴿فَلَا الْآخِرَةُ وَالْأَوَّلَى﴾ ﴿٦﴾ ، فلإعارة الفاصلة ، وكذا قوله : ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٧﴾ .

الخامس : الحث عليه والخص على القيام به ، حذراً من التهاون به . كتقديم الوصية على الدين في قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾ ﴿٨﴾ مع أن الدين مقدم عليها شرعاً .

السادس : السبق ، وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار ، والظلمات على النور ، وآدم على نوح ، ونوح على إبراهيم ، وإبراهيم على موسى ، وهو على عيسى ، وداود على سليمان ، والملائكة على البشر في قوله : ﴿لِلَّهِ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٩﴾ وعاد على نوح ، والأزواج على الذرية في قوله : ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ ﴿١٠﴾ .

والسنة على النوم في قوله : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ﴿١١﴾ .
أو باعتبار الإنزال ، كقوله : ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ﴿١٢﴾ ، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾
وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴿١٣﴾
أو باعتبار الوجوب والتكليف ، نحو ﴿إِزْكُمُوا وَاسْجُدُوا﴾ ﴿١٤﴾ ، ﴿فَاغْسِلُوا

(٣) الواقعة ٣٩ ، ٤٠

(٦) النجم ٢٥

(٩) الحج ٧٥

(١٢) الأعلى ١٩

(٢) القيامة ١٣

(٥) القصص ٧٠

(٨) النساء ١١

(١١) البقرة ٢٥٥

(١٤) الحج ٧٧

(١) البقرة ٣٧

(٤) الروم ٤

(٧) المراتل ٣٨

(١٠) الأحزاب ٢٨

(١٣) آل عمران ٣

وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ... ﴿الآية (١)﴾ ، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (٢) ،
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « نبدأ بما بدأ الله به »

أو بالذات ، نحو ﴿مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣) ، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (٤) وكذا جميع الأعداد كل مرتبة هي متقدمة
على مافوقها بالذات . وأما قوله : ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفَرَادَى﴾ (٥) ، فلبحث على
الجماعة والاجتماع على الخير .

السابع : السببية ، كتقديم العزيز على الحكيم ، لأنه عزّ فخكم ، والعليم عليه لأن
الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم . وأما تقديم الحكيم عليه في سورة الانعام ، فلأنه
مقام تشريع الأحكام .

ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة ، لأنها سبب حصول الإعانة ،
وكذا قوله : ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٦) ، لأن التوبة سبب الطهارة ، ﴿لِكُلِّ
أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٧) ، لأن الإفك سبب الإثم ، ﴿يَمْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ﴾ (٨) ، لأن البصر داعية إلى الفرج .

الثامن : الكثرة ، كقوله : ﴿فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (٩) ، لأن
الكفار أكثر ، ﴿فَنَهُمُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ...﴾ (١٠) الآية ، قدم الظالم لكثرة ، ثم
المقتصد ، ثم السابق ، ولهذا قدم السارق على السارقة ، لأن السرقة في الذكور أكثر ،
والزانية على الزانا لأن الزنى فيهن أكثر .

(٣) النساء ٣

(٦) البقرة ٢٢٢

(٩) التباين ٢

(٢) البقرة ١٥٨

(٥) سبأ ٤٦

(٨) النور ٣٠

(١) المائدة ٦

(٤) المجادلة ٧

(٧) الجاثية ٧

(١٠) فاطر ٣٢

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً ، ولهذا وَرَدَ : « إِنْ رَحِمْتِي غَلَبَتْ غَضَبِي » .

وقوله : ﴿ إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادٍ كُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَآخِذُوا بِهِنَّ ﴾ ^(١) ، قال ابن الحاجب في أماليه : إنما قدم الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء ، ووقع ذلك في الأزواج أكثر منه في الأولاد ، وكان أقعد في المعنى المراد تقديم ، ولذلك قدّمت الأموال في قوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ^(٢) لأن الأموال لا تتكاد تفارقها الفتنة ، ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ كَيْطَفٌ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَفَنَى ﴾ ^(٣) ، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها ، فكان تقديمها أولى .

التاسع : الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا * أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ... ﴾ ^(٤) الآية ، بدأ بالأدنى لغرض الترقى ، لأن اليد أشرف من الرجل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف من البصر . ومن هذا النوع تأخير الأبلغ ، وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم ، والرهوف على الرحيم ، والرسول على النبي ، في قوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ^(٥) ، وذكر ذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة .

العاشر : التدرج من الأعلى إلى الأدنى ، وخرج عليه : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(٦) ، ﴿ لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ^(٧) ، ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ^(٨) .

هذا ما ذكره ابن الصائغ ^(٩) ، وذكر غيره أسباباً آخر ، منها كونه أدل على القدرة وأعجب

(١) التباين ١٤
(٢) التباين ١٥
(٣) الطلق ٦ ، ٧
(٤) الأعراف ١٩٥
(٥) مريم ٥١
(٦) البقرة ٢٥٥
(٧) الكهف ٤١
(٨) النساء ١٧٢
(٩) هو محمد بن عبد الرحمن ابن علي بن تميم الدين الحنفي ، من علماء مصر في القرن الثامن ، اشتغل بالتأليف والتصنيف ، وكتبه المقدمة ذكره صاحب كشف الظنون . توفي سنة ٨٧٦ . وانظر الدرر الكامنة ٣ : ٩٩ .

كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ...﴾^(١). الآية، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾^(٢)، قال الزمخشري: قدم الجبال على الطير، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد والطير حيوان فاطلق.

ومنها رعاية الفواصل، وسيأتي لذلك أمثلة كثيرة.

ومنها إفادة المحصر للاختصاص، وسيأتي في النوع الخامس والمحمين.

تنبيه

قد تقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر، ونكتة ذلك إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه كما تقدمت الإشارة إليه، وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، كما في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ...﴾^(٣) الآيات، وإما لقصد التفتن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾^(٥).

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾^(٦).

وقال في الأنعام: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾^(٧).

(٣) آل عمران ١٠٦

(٦) المائدة ٤٦

(٢) الأنبياء ٧٩

(٥) الأعراف ١٦١

(١) النور ٤٥

(٤) البقرة ٥٨

(٧) الأنعام ٩١

النوع الخامس والأربعون في عامته وخاصته

العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر ، وصيغته « كل » مبتدأة ، نحو ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهِمْ فَإِنْ ﴾ ^(١) ، أو تابعة ، نحو ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَّعَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وَالَّذِي وَالَّتِي وتثنيتهما وجمعهما ، نحو ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيَا لَدِيهِ أَفْ لَكُمَا ﴾ ^(٣) ، فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول ، بدليل قوله بعد : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ ^(٦) ، ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَاللَّاتِي يَنْسَنَ مِنَ الْحَمِيمِ ... ﴾ ^(٨) ، الآية ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَنَسْتَنِفِذُوهَا ... ﴾ ^(٩) ، الآية ، ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمُ فَسَادُوهُمَا ﴾ ^(١٠) .

وَأَيُّ وما ومن ، شرطاً واستفهاماً موصولاً ، نحو : ﴿ أَيَّامًا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ^(١١) ، ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ^(١٢) ، ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ^(١٣) .

والجمع المضاف ، نحو ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ^(١٤) . والمعرف بال نحو ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٥) ، ﴿ وَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١٦) .

واسم الجنس المضاف ، نحو ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ ^(١٧) ، أي كل أمر الله .

(٣) الأحقاف ١٧

(٦) يونس ٢٦

(٩) النساء ١٥

(١٢) الأنبياء ٩٨

(١٥) المؤمنون ١

(٢) الحجر ٣٠

(٥) البقرة ٨٢

(٨) الطلاق ٤

(١١) الإسراء ١١٠

(١٤) النساء ١١

(١٧) النور ٦٣

(١) الرحمن ٢٦

(٤) الأحقاف ١٨

(٧) آل عمران ١٥

(١٠) النساء ١٦

(١٢) النساء ١٢٣

(١٦) التوبة ٥

والمعرف بآل ، نحو ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ ^(١) ، أى كل بيع ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ، أى كل إنسان ، بدليل ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(٢) .

والنكرة فى سياق النفي والنهى ، نحو ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾ ^(٣) ، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ ^(٤) ، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ^(٥) ، ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ^(٦) . وفى سياق الشرط ، نحو ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ^(٧) . وفى سياق الامتناع ، نحو ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ^(٨) .

* * *

فصل

العام على ثلاثة أقسام :

الأول : الباقي على عمومه ، قال القاضى جلال الدين البلقينى : ومثاله عزيز ، إذ مامن عامٌ إلا ويتخيل فيه التخصيص ، فقولُه : ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ^(٩) ، قد يخص منه غير المتكلف ، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ ^(١٠) خص منها حالة الاضطرار ، وميتة السمك والجراد ، وحرّم الربا خص منه العرايا .

وذكر الزركشى فى البرهان أنه كثير فى القرآن ، وأورد منه : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ^(١١) : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ^(١٢) ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ^(١٣) ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ^(١٤) ، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ ^(١٥) . قلت : هذه الآيات كلها فى غير الاحكام الشرعية ، فالظاهر أن مراد البلقينى أنه عزيز

(٣) الإسراء ٢٣

(٦) البقرة ١٩٧

(٩) الحج ١

(١٢) يونس ٤

(١٥) غافر ٦٤

(٢) العصر ٢ ، ٣

(٥) البقرة ٢

(٨) الفرقان ٤٨

(١١) ٩٧

(١٤) فاطر ١١

(١) البقرة ٢٧٥

(٤) الحجر ٢١

(٧) التوبة ٦

(١٠) المائدة ٣

(١٣) الكهف ٤٩

في الأحكام الفرعية ، وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها ، وهي قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... ﴾ ^(١) ، الآية ، فإنه لا خصوص فيها .

الثاني : العام المراد به الخصوص .

الثالث : العام المخصوص ، والناس بينهما فروق .

أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ ، ولا من جهة الحكم ؛ بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها .

والثاني أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها ، لا من جهة الحكم . ومنها أن الأول مجاز قطعاً لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي بخلاف الثاني فإن فيه مذاهب أصحابها أنه حقيقة ، وعليه أكثر الشافعية وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ، ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء . وقال الشيخ أبو حامد إنه مذهب الشافعي وأصحابه ، وصححه السبكي ، لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بمد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص ، وذلك تناول حقيقي اتفاقاً ؛ فليكن هذا تناول حقيقة أيضاً .

ومنها أن قرينة الأول عقلية والثاني لفظية .

ومنها أن الأول قرينة لا تنفك عنه ، وقرينة الثاني قد تنفك عنه .

ومنها أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقاً ، وفي الثاني خلاف .

ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ^(٢) ، والقائل واحد نعم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة ، كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع لقيامه مقام كثير في تثبيط المؤمنين عن ملاقاته أبي سفيان .

قال الفارسي : وما يقوى أن المراد به واحد قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ ^(٣) ، فوقعت الإشارة بقوله « ذلكم » إلى واحد بعينه ، ولو كان المعنى جمعاً لقال : « إِنَّمَا أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ » ، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ .

ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ ^(١)، أى رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمعه ما فى الناس من الخصال الحميدة .

ومنها قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ^(٢) أخرج ابن جرير من طريق الضَّحَّاك عن ابن عباس فى قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال: إبراهيم .

ومن القريب قراءة سعيد بن جبیر ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال فى المحتسب: يعنى آدم، لقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ^(٣) .

ومنها قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلَّى فى الْحَرَابِ﴾ ^(٤) أى جبريل، كما فى قراءة ابن مسعود .

* * *

وأما الخصوص فأمثلته فى القرآن كثيرة جداً، وهو أكثر من أن يسوخ، إذ ما من عامٍ إلا وقد خصَّ .

ثم المخصَّص له إما متصل وإما منفصل . فالتصل خمسة وقعت فى القرآن : أحدها الاستثناء نحو، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ^(٥)، ﴿وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ ^(٦) الآية. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلْيَقْ أُنَامًا...﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ ^(٧)، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ^(٨)، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ^(٩) .

الثانى : الوصف، نحو ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ﴾ ^(١٠) .

(١) النساء ٥٤	(٢) البقرة ١٩٩	(٣) طه ١١٥
(٤) آل عمران ٢٩	(٥) النور ٥	(٦) الشعراء ٢٣٤ ، ٢٣٧
(٧) الفرقان ٦٨ ، ٧٠	(٨) النساء ٢٤	(٩) القصص ٨٨
(١٠) النساء ٢٣		

الثالث : الشرط ، نحو ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهَا خَيْرًا ﴾ ^(١) ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ ^(٢) .

الرابع : الغاية ، نحو ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَعْطُمَ رُءُوسُهُنَّ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَلَا تَحْمِلُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ... ﴾ ^(٦) ، الآية .

والخامس : بدل البعض من الكل ، نحو ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٧) .
والمنفصل آية أخرى في محل آخر أو حديث أو إجماع أو قياس .

ومن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَفَّعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^(٨) ، خص بقوله : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ ﴾ ^(٩) ، وبقوله : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْصَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضْمَنَّ حَمْلُهُنَّ ﴾ ^(١٠) .

وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ ﴾ ^(١١) ، خص من الميتة السمك بقوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ لِلسَّيَارَةِ ﴾ ^(١٢) ، ومن الدم الجامد بقوله : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ ^(١٣) .

وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ... ﴾ ^(١٤) ، الآية خص بقوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيمَا أَفْتَدَتْ بِهِنَّ ﴾ ^(١٥) .

(٣) التوبة ٢٩

(٦) البقرة ١٨٧

(٩) الأحزاب ٤٩

(١٢) المائدة ٩٦

(١٥) البقرة ٢٢٩

(٢) البقرة ١٨٠

(٥) البقرة ١٩٦

(٨) البقرة ٢٢٨

(١١) المائدة ٣

(١٤) النساء ٢٠

(١) النور ٣٣

(٤) البقرة ٢٢٢

(٧) آل عمران ٩٧

(١٠) الطلاق ٤

(١٣) الأمام ١٤٥

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١)، خص بقوله: ﴿فَعَلَمَيْنِ مِثْلَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٢). وقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٣)، خص بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾^(٤) الآية.

ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٥)، خص منه البيوع الفاسدة، وهي كثيرة بالسنة، ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٥) خص منه العرايا بالسنة^(٦).

وآيات الموارث خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة. وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة، وآية ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٧) خص منها الأمة بالسنة. وقوله: ﴿مَاءٌ طَهُورًا﴾^(٨) خص منه التقيد بالسنة.

وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾^(٩)، خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة.

ومن أمثلة ما خص بالإجماع آية الموارث، خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع، ذكره مكي.

ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١٠) خص منها العمد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله: ﴿فَعَلَمَيْنِ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١١) المخصص لعموم الآية، ذكره مكي أيضاً.

فصل

من خاص القرآن ما كان مخصصاً لعموم السنة، وهو عزيز ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُمِطُوا الْجُزْيَةَ﴾^(١٢)، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(١) النور ٢	(٢) النساء ٢٥	(٣) النساء ٣
(٤) النساء ٢٣	(٥) البقرة ٢٧٥	
(٦) قال في اللسان: «في حديثه رخص في العرية والعرايا قال أبو عبيد: العرايا واحدها عرية، وهي النخلة يعربها صاحبها رجلاً محتاجاً، والإعراء أن يجعل له ثمرة عامها»		
(٧) البقرة ٢٢٨	(٨) الفرقان ٨	(٩) المائدة ٢٨
(١٠) النور ٢	(١١) النساء ٢٥	(١٢) التوبة ٣٩

وقوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ^(١) ، خصَّ عموم نهيهِ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض .
 وقوله : ﴿ وَمِنْ أَضْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا ... ﴾ ^(٢) الآية ، خصَّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أبين من حى فهو ميت » .
 وقوله : ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٣) ، خصَّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم والسلام : « لا تحلُّ الصدقة لغنى ولا لذي مرة سوى » .
 وقوله : ﴿ فَقَاتِلُوا أَلَنِي تَبَنِّي ﴾ ^(٤) ، خصَّ عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بالسيف ، فاقاتل والمقتول في النار » .

فروع

منشورة تتعلق بالعموم والخصوص

الأول : إذا سبق العام المدح أو الذم ؛ فهل هو باقٍ على عمومهِ ؟ فيه مذاهب :
 أحدها : نعم ؛ إذ لا صارف عنه ، ولا تنافي بين العموم وبين المدح أو الذم .
 والثاني : لا ، لأنه لم يسبق للتعميم بل للمدح أو للذم .
 والثالث — وهو الأصح : التفصيل ، فيعمد إن لم يعارضه عام آخر لم يسبق لذلك ، ولا يعمد إن عارضه ذلك ؛ جمعا بينهما .
 مثاله ولا معارض قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ^(٥) .
 ومع المعارض قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ ^(٦) ، فإنه سبق للمدح ، وظاهره يعم الأخنين بملك اليمين جمعا ؛ وعارضه في ذلك ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ ^(٧) ، فإنه شامل لجمعهما بملك اليمين ، ولم يسبق للمدح ، فحيل الأول على غير ذلك بأن لم يرَ تناوله له .

(١) البقرة ٢٣٨

(٢) البهل ٨٠

(٣) التوبة ٦٠

(٤) الحجرات ٩

(٥) الانصار ١٣ ، ١٤

(٦) المؤمنون ٣ ، ٤

(٧) النساء ٢٣

(٤ - اتفاق ج ٣)

ومثاله في الذم: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِصَّةَ...﴾ (١) الآية ، فإنه سبق للذم ، وظاهره بعمّ الحلي المباح ؛ وعارضه في ذلك حديث جابر : « ليس في الحلي زكاة » فحيل الأول على غير ذلك .

الثاني اختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم ، نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ، هل يشمل الأمة ؟ فقيل : نعم ؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه معه عرفاً ، والأصح في الأصول النع لا اختصاص الصيغة به .

الثالث : اختلف في الخطاب : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم على مذاهب :

أصحها - وعليه الأكثرون : نعم لعموم الصيغة له ؛ أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري قال : إذا قال الله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَفْعَلُوا » ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم .
والثاني : لا ، لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ، ولما له من الخصائص .

والثالث : إن اقترن « قل » لم يشمله لظهوره في التبليغ ؛ وذلك قرينة عدم شموله ؛ وإلا فيشملة .

الرابع : الأصح في الأصول أن الخطاب : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » يشمل الكافر والعبد ، لعموم اللفظ . وقيل : لا بعمّ الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، ولا العبد ، لصرف منافعه إلى سيده شرعاً .

الخامس : اختلف في « مَنْ » هل تناول الأنتى ؟ فالأصح نعم ، خلافاً للحنفية ، لنا قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (٢) ، فالتفسير بهما دالٌّ على

تناول «مَنْ» لها وقوله : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ﴾^(١) .

واختلف في جمع المؤنث السالم هل يتناولها ؟ فالأصح لا ، وإنما يدخلن فيه بقرينة ،
أما المكسر فلا خلاف في دخولهن فيه .

السادس : اختلف في الخطاب بـ «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» ، هل يشمل المؤمنين ؟ فالأصح
لا ، لأن اللفظ قاصرٌ على مَنْ ذكر . وقيل : إن شركوهم في المعنى شملهم ؛ وإلا فلا .
واختلف في الخطاب بـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ، هل يشمل أهل الكتاب ؟ فقيل :
لا ، بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع . وقيل : نعم ؛ واختاره ابن السمعاني ، قال : وقوله :
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ، خطاب تشریف لا تخصيص .

النوع السادس والأربعون
في مجلد ومبنيته

المحمل مالم تنضح دلالة ؛ وهو واقع في القرآن خلافاً لداود الظاهري ؛ وفي جواز بقاءه مجزئاً أقوال ، أحسنها : لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره .

وللإجمال أسباب :

منها الاشتراك ، نحو ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَمَسَ ﴾ ^(١) ، فإنه موضوع لأقبل وأدبر ، ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^(٢) ، فإن القرء موضوع للحيفض والطهر ، ﴿ أَوْ يَمُوتَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ ^(٣) ، يحتمل الزوج والولى ، فإن كلا منهما بيده عقده النكاح .

ومنها الحذف ، نحو ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ ﴾ ^(٤) ، يحتمل « في » و « عن » . ومنها اختلاف مرجع الضمير ، نحو ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ^(٥) ؛ يحتمل عود ضمير الفاعل في « يرفعه » إلى ما عاد عليه ضمير « إليه » ؛ وهو الله . ويحتمل عوده إلى العمل ؛ والمعنى أن العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب . ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب ؛ أى أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح ، لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان .

ومنها احتمال المعطف والاستئناف ، نحو ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ﴾ ^(٦) .

ومنها غرابة اللفظ ، نحو ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ^(٧) .

(٣) البقرة ٢٢٨
(٦) آل عمران ٧٠

(٢) البقرة ٢٣٧
(٥) فاطر ١٠

(١) التكوين ١٧
(٤) النساء ١٢٧
(٧) البقرة ٢٣٢

ومنها عدم كثرة الاستعمال الآن، نحو ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ ^(١) أى يسمعون، ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ ^(٢) أى متكبرا، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ^(٣)، أى نادماً.

ومنها التقديم والتأخير، نحو ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ ^(٤)، أى ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً، ﴿يَسْأَلُونَكَ كَانَتْ حَتَّىٰ عَنْهَا﴾ ^(٥)، أى يسألونك عنها كأنك حَتَّىٰ.

ومنها قلب المنقول، نحو ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ ^(٦)، أى سينا، ﴿عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ ^(٧)، أى على الياس.

ومنها التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر، نحو ﴿لِلَّذِينَ اهْتَضَمُوا لَمْ يَأْمَنْ مِنْهُمْ﴾ ^(٨).

فصل

قد يقع التبيين متصلاً، نحو ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بعد قوله : ﴿الْخِطَّ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِطِّ الْأَسْوَدِ﴾ ^(٩).

ومنفصلاً في آية أخرى، نحو ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ^(١٠) بعد قوله ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ ^(١١)، فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي يملك الرجعة بعده، ولولاها لكان الكل منحصرأ في الطلقتين.

وقد أخرج أحمد وأبو داود في ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم، عن أبي رزین الأسدي، قال : قال رجل : يا رسول الله، أ رأيت قول الله : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ ^(١٢)، فأين الثامنة ؟ قال : التسريح بإحسان.

(٣) الكهف ٤٢

(٦) التين ٢

(٩) البقرة ١٨٧

(٢) الحج ٩

(٥) الأعراف ١٨٧

(٨) الأعراف ٧٥

(١١) البقرة ٢٢٩

(١) الشعراء ٢٢٣

(٤) طه ١٢٩

(٧) الصافات ١٣٠

(١٠) البقرة ٢٣٠

وأخرج ابن مردويه ، عن أنس ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، ذكر الله الطلاق مرتين ، فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ إِنْ سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ ^(١) .
 وقوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(٢) ، دال على جواز الرؤية ، ومفسر أن المراد بقوله : ﴿ لَا تَذْكُرْهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٣) لا تحيط به ، دون « لا تراه » .
 وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ لَا تَذْكُرْهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، لا تحيط به .

وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية : أليس قد قال : ﴿ لَا تَذْكُرْهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ؟ فقال : ألسنت ترى السماء ؟ أفكلها ترى ! .
 وقوله : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْفَىٰ عَلَيْكُمْ ... ﴾ ^(٤) الآية .
 فسرته قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ ^(٥) .
 وقوله : ﴿ مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(٦) ، فسره قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * مَا مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمَلِكُ ... ﴾ ^(٧) ، الآية .
 وقوله : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٨) ، فسره قوله : ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... ﴾ ^(٩) الآية .
 وقوله : ﴿ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴾ ^(١٠) ، فسره قوله في آية النحل : ﴿ بِالْأُنثَى ﴾ ^(١١) .

وقوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ ^(١٢) ، قال العلماء : بيان هذا العهد قوله : ﴿ لَنْ أَقْتِمَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي .. ﴾ ^(١٣) إلى آخره .
 فهذا عهده وعهدهم ﴿ لَا كُفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ... ﴾ ^(١٤) إلى آخره .

(٣) الأنعام ١٠٣

(٦) فاتحة الكتاب ٤

(٩) الأعراف ٢٣

(١٢) البقرة ٤٠

(٢) القباية ٢٢ ، ٢٣

(٥) المائدة ٣

(٨) البقرة ٣٧

(١١) النحل ٨٠

(١) البقرة ٢٢٩

(٤) المائدة ١

(٧) الأنعام ١٨ ، ١٩

(١٠) الزخرف ١٤

(١٣) المائدة ١٢

وقوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) بينه قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ... ﴾ ^(٢) الآية .

وقد يقع التبيين بالسنة ، مثل ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَنَحْنُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ ^(٤) ؛ وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نُصُب الزكوات في أنواعها .

* * *

تنبيه

اختلف في آيات ، هل هي من قبيل المجمل أولا ؟

منها آية السرقة ؛ قيل : إنها مجملة في اليد ؛ لأنها تطلق على المصروف إلى الكوع ، وإلى المرفق ، وإلى المنكب ؛ وفي القطع لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجرح ولا ظهور لواحد من ذلك وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك . وقيل : لا إجمال فيها ؛ لأن القطع ظاهر في الإبانة .

ومنها ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ ^(٥) ؛ قيل : إنها مجملة لترددها بين مسح الكل والبعض ؛ ومسح الشارع الناصية مبين لذلك . وقيل : لا ، وإنما هي لطلق المسح الصادق بأقل ما يطلق عليه الاسم وبفيدة .

ومنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ ﴾ ^(٦) ؛ قيل : مجملة لأن إسناد التحريم إلى العين لا يصح ؛ لأن إنما يتعلق بالفعل ، فلا بد من تقديره ، وهو محتمل لأمر لا حاجة إلى جميعها ، ولا مرجح لبعضها . وقيل : لا ، لوجود المرجح ؛ وهو العرف ؛ فإنه يقضى بأن

(٣) البقرة ٤٣

(٦) النساء ٤٣

(٢) مريم ٥٨

(٥) المائدة ٦

(١) الفاتحة ٣

(٤) آل عمران ٩٧

المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه ؛ ويجرى ذلك في كل ما علق فيه التحريم والتعليل بالأعيان .

ومنها ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ؛ قيل : إنها مجملة لأن الربا الزيادة ؛ وما من بيع إلا وفيه زيادة ، فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم . وقيل : لا ؛ لأن البيع منقول شرعاً ، فحُمل على عمومته ؛ ما لم يعم دليل التخصيص .

وقال المساوردي : للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال :

أحدهما : أنها عامة ؛ فإن لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ، ويقتضي إباحة جميعها ؛ إلا ما خصه الدليل ؛ وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه ، لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعوع كانوا يعتادونها ، ولم يبين الجائز ، فدل على أن الآية تناولت إباحة جميع البيوع ؛ إلا ما خص منها ، فبين صلى الله عليه وسلم المخصوص . قال : فملى هذا في العموم قولان : أحدهما : أنه عموم أريد به العموم ، وإن دخله التخصيص .

والثاني : أنه موم أريد به المخصوص قال : والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم على اللفظ ، وفي الأول متأخر عنه مقترن به . قال : وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل في المختلف فيها ما لم يعم دليل تخصيص .

والقول الثاني : أنها مجملة لا يُعقل منها صحتها بيع من فساد إلا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم هل هي مجملة بنفسها أم بعارض منهي عنه من البيوع ؟ وجهان . وهل الإجمال في المعنى المراد دون لفظها ؛ لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معقول لكن لما قام بإزائه من السنة ما يعارضه ، تدافع العمومان ، ولم يتعين المراد إلا ببيان السنة ، فصار محلاً لذلك دون اللفظ ، أو في اللفظ أيضاً لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم ، وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة ، كان مشكلاً أيضاً ؟ وجهان . قال : وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساد ؛ وإن دلت على صحة البيع من أصله . قال : وهذا هو الفرق بين الموم والمحمل ؛ حيث جاز الاستدلال بظاهر الموم ، ولم يجز الاستدلال بظاهر المحمل .

واقول الثالث : أنها عامة مجملة معاً ، قال : واختلف في وجه ذلك على أوجه :
أحدها : أن العموم في اللفظ والإجمال في المعنى ، فيكون اللفظ عاماً مخصوصاً
والمعنى مجملاً لحقه التفسير .

والثاني : أن العموم في ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ والإجمال في ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ^(١) .
والثالث : أنه كان مجملاً ، فلما بينه صلى الله عليه وسلم صار عامّاً ، فيكون
داخلاً في الجمل قبل البيان ، وفي العموم بعد البيان ؛ فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها
في البيوع المختلف فيها .

واقول الرابع : أنها تناولت بيعاً معهوداً ، ونزلت بعد أن أحل النبي صلى الله عليه وسلم
بيوعاً وحرّم بيوعاً ، فاللّام للمعهد ؛ فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها . انتهى .
ومنها الآيات التي فيها الأسماء الشرعية . نحو ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ^(٢)
﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ ^(٤) ،
قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء ، والصوم لكل إمساك ، والحج لكل قصد ، والمراد
بها لا تدلّ عليه اللغة ، فافتقر إلى البيان . وقيل : لا ، بل يحمل على كل ما ذكر إلا
ما خصّ بدليل .

تنبيه

قال ابن الحصار ^(٥) : من الناس من جعل الجمل والمحتمل بإزاء شيء واحد . قال : والصواب أن
الجمل اللفظ المهم الذي لا يفهم المراد منه ، والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين
مفهومين فصاعداً ، سواء كان حقيقة في كليهما أو بعضها . قال : والفرق بينهما أن الجمل يدلّ
على أمور معروفة ، واللفظ مشترك متردّد بينهما ، والمبهم لا يدلّ على أمر معروف مع القطع
بأن الشارع لم يفوّض لأحد بيان الجمل ، بخلاف المحتمل .

(١) البقرة ١٨٥

(٢) البقرة ٤٣

(٣) البقرة ٢٧٥

(٤) هو علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزاز الشيبلي ،

(٥) آل عمران ٩٧

له مؤلفات ، منها أصول الفقه ، والناسخ والنسوخ ، والبيان في تنقيح البرهان . توفي سنة ٦١١ ، التكملة لابن أبار ٦٨٦

النوعُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ

أفرده بالتصنيف خلائق لا يُحْصَوْنَ ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، ومكي ، وابن العربي ، وآخرون .
قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ .

وقد قال علي لقاضي : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هَلَكْتَ وأهلك .

وفي هذا النوع مسائل :

الأولى : رد النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ ^(١) .

وبمعنى التبديل ، ومنه : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ ^(٢) .

وبمعنى التحويل ، كتناسخ الموارث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد .
وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : نسخت الكتاب ، إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه .

قال مكي : وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن ، وأنكر على النحاس إجازته ذلك ، محتجاً بأن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ ؛ وأنه إنما يأتي بلفظ آخر .

وقال السعيدى : يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْنَخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) .
ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوماً بجميعه في أم الكتاب ، وهو اللوح المحفوظ ، كما قال تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ^(٣) .

* * *

الثانية : النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم ، منها التيسير . وقد أجمع المسلمون على جوازها ، وأنكره اليهود ظناً منهم أنه بداء ، كما قد يرى الراى ثم يبدوله ، وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه ، والمرضى بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء ، فكذا الأمر والنهى .

واختلف العلماء فقيل : لا يُنسخ القرآن إلا بقرآن ، لقوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ ^(٤) ، قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن .

وقيل : بل يُنسخ القرآن بالسنة ، لأنها أيضاً من عند الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ^(٥) ، وجعل منه آية الوصية الآتية .

والثالث : إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحي نسخت ، وإن كانت باجتهاد فلا . حكاه ابن حبيب النيسابورى في تفسيره .

وقال الشافعى : حيث وقع نسخ القرآن بالسنة ، فمها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن والسنة ، وقد بسطت فروع هذه المسألة في شرح منظومة جمع الجوامع في الأصول .

الثالثة : لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ، ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد . وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد .

الرابعة : النسخ أقسام :

أحدها : نسخ المأمور به قبل امتثاله ، وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى .

الثاني : ما نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا ، كآية شرع القصاص والدية ، أو كان أمراً به أمراً جليلاً كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة ، وصوم عاشوراء برمضان ، وإنما يسمى هذا نسخاً تجوزاً .

الثالث : ما أمر به لسبب ، ثم يزول السبب ، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ، ثم نسخ بإيجاب القتال ، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ ، كما قال تعالى : ﴿ أَوْ نَسَاها ﴾ ، فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى السلون ، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى ، وبهذا يصف ما لم يحج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف ، وليس كذلك ، بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما ، لعله يقتضي ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر ، وليس بنسخ ؛ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله .

وقال مكي : ذكر جماعة أن ما ورد في الخطاب مُشعراً بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة : ﴿ فَاعْبُدُوا وَاصْطَبِرُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ﴾ ^(١) ، محكم غير منسوخ ، لأنه مؤجل بأجل ، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه .

الخامسة : قال بعضهم : سور القرآن باعتبار التناسخ والتلنسخ أقسام :

قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهو ثلاثة وأربعون : سورة الفاتحة ، ويوسف ، ويس ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتحریم ، والمالك ، والحاقة ، ونوح ، والجن ؛ والمرسلات ، وعم ، والنازعات ، والانفطار وثلاث بعدها ، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن ؛ إلا التين والمصر ، والكافرين .

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ ، وهي خمسة وعشرون : البقرة وثلاث بعدها ، والحج ، والنور وتاليها ، والأحزاب ، وسبا ، والمؤمن ، وشورى ، والذاريات ، والطور ، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمل ، والمدثر ، وكورث ، والمصر .

وقسم فيه التاسخ فقط ، وهو ستة : الفتح ، والحشر ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والأعلى .

وقسم فيه المنسوخ فقط ، وهو الأربعون الباقية . كذا قال ، وفيه نظر يعرف بماسياتي .

* * *

السادسة : قال مكي : النسخ أقسام :

فرض نسخ فرضاً ، ولا يجوز العمل بالأول ، كنسخ الحبس للزواني بالحد .
وفرض نسخ فرضاً ويجوز العمل بالأول . كآية للمصابرة .

وفرض نسخ ندباً كالقتال ؛ كان ندباً ثم صار فرضاً .

وندب نسخ فرضاً ، كقيام الليل ، نسخ بالقراءة في قوله : ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (١) .

* * *

السابعة : النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

أحدها : مانسخ تلاوته وحكمه معاً ، قالت عائشة : كان فيما أنزل : « عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات » ، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن

بما يقرأ من القرآن ، رواه الشيخان . وقد تكلموا في قولها : « وهنّ كما يقرأ » : فإنّ ظاهره بقاء التلاوة ، وليس كذلك .

وأجيب بأن المراد بقارب الوفاة ، أو أنّ التلاوة نُسخَت أيضاً ، ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوفّي وبعض الناس يقرأها . وقال أبو موسى الأشعريّ : نزلت ثم رفعت .

وقال مكّي : هذا المثال فيه المنسوخ غير متلوّ ، والناسخ أيضاً غير متلوّ ، ولا أعلم له نظيراً . انتهى .

الضرب الثاني : ما نُسخ حكمه دون تلاوته ؛ وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة ، وهو على الحقيقة قليل جدّاً ؛ وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه ؛ فإنّ المحقّقين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربيّ بيّن ذلك وأتقنه .

والذي أقوله : إن الذي أورده الملتزمون أقسام : قسم ليس من النسخ في شيء . ولا من التخصيص ، ولا له بها علاقة بوجه من الوجوه ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَنَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ^(١) ، و ﴿ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ ^(٢) ، ونحو ذلك . قالوا : إنه منسوخ بآية الزكاة ، وليس كذلك بل هو باقٍ ، أمّا الأولى فإنّها خبر في معرض الثناء عليهم بالإتفاق ، وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإتفاق على الأهل وبالإتفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة ، وليس في الآية ما يدلّ على أنّها نفقة واجبة غير الزكاة ، والآية الثانية يصلح حلّها على الزكاة ، وقد فسّرت بذلك .

وكذا قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ^(٣) ، قيل : إنها كما نسخ بآية السيف ، وليس كذلك ، لأنّه تعالى أحكم الحاكمين أبداً ، لا يقبل هذا الكلام النسخ ، وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك العقابة .

وقوله في البقرة : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسْبُنَا ۖ ﴾ ^(١) ، عدّه بعضهم من المنسوخ بآية
السيف . وقد غلطه ابن الحصار بأن الآية حكاية عما أخذه على بني إسرائيل من الميثاق ،
فهو خبر لا نسخ فيه ، وقس على ذلك .

وقسم هو من قسم المخصوص ، لا من قسم المنسوخ وقد اعتنى ابن العربي
بتحريره فأجاد ، كقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٢) ،
﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ^(٣) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا
حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ^(٥) ، وغير ذلك من الآيات التي خُصّت باستثناء أو غاية .
وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ .

ومنه قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۖ ﴾ ^(٦) ، قيل أنه نسخ بقوله :
﴿ وَلِلْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ۖ ﴾ ^(٧) ، وإنما هو مخصوص به .

وقسم رفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو في شرائع مَنْ قبانا أو في أول
الإسلام ولم ينزل في القرآن ، كإبطال نكاح نساء الآباء ومشروعية القصاص والدية
وحظر الطلاق في الثلاث ، وهذا إدخاله في قسم الناسخ قريب ، ولكن عدم إدخاله
أقرب ، وهو الذي رجّحه مكّي وغيره ، ووجهه بأن ذلك لو عدّ في الناسخ لعدّ جميع
القرآن منه ، إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب . قالوا :
وإنما حقّ الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية . انتهى .

نعم النوع الأخير منه ، وهو رافع ما كان في أول الإسلام ، إدخاله أوجّه من
القسمين قبله .

إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التي أوردها المكثرون الجم الغفير مع آيات

(٣) الشعراء ٢٢٤

(٢) العصر ٣، ٢

(١) البقرة ٨٣

(٦) البقرة ٢٢١

(٥) البقرة ١٠٩

(٤) الشعراء ٢٢٧

(٧) المائدة ٥

الصفح والنفو ، إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها ، وبقي مما يصلح لذلك عدد يسير ، وقد أفردته بأدلتها في تأليف لطيف ، وما أنا أوردته هنا محرراً :

فمن البقرة :

قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ ^(١) ، الآية منسوخة ، قيل بآية الوارث ، وقيل بحديث « ألا وصية لوارث » ، وقيل بالإجماع ، حكاه ابن العربي .

قوله تعالى : ﴿ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ ^(٢) ، قيل منسوخة بقوله : ﴿ فَصَنَ شَهْدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصْنَهُ ﴾ ^(٣) ، وقيل بحكمة ولا مقدرة .

وقوله : ﴿ أَهْلًا لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ ﴾ ^(٤) ، ناسخة لقوله : ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ^(٥) ، لأن مقتضاها الموافقة فيما كانوا عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم ، ذكره ابن العربي . وحكى قولاً آخر أنه نسخ لما كان بالسنة .

قوله تعالى : ﴿ بَسَّالُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٦) الآية منسوخة بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ... ﴾ ^(٧) ، الآية ، أخرجه ابن جرير عن عطية بن مبصرة . قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ ... ﴾ ^(٨) ، إلى قوله : ﴿ مَتَاعًا إِلَى الْخَوْلِ ﴾ ^(٩) ، منسوخة بآية أربعة أشهر وعشراً ، والوصية منسوخة بالميراث والكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث « ولا سكنى » .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْشَوْهُ يُجَاجِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ^(١٠) ، منسوخة بقوله بعده : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(١١) .

(١) آية ١٨٥

(٦) آية ٢١٧

(٩) آية ٢٤٠

(٥) الاثنان ج ٣)

(٢) آية ١٨٤

(٥) آية ١٨٣

(٨) آية ٢٣٤

(١١) آية ٢٨٦

(١) آية ١٨٠

(٤) آية ١٨٧

(٧) التوبة ٣٦

(١٠) آية ٢٨٤

ومن آل عمران :

قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ^(١) ، قيل إنه منسوخ بقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٢) ، وقيل : لا ، بل هو محكم . وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية .

* * *

ومن النساء :

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ﴾ ^(٣) ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .
قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ... ﴾ ^(٥) ، الآية ، قيل منسوخة ، وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس في العمل بها .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ... ﴾ ^(٦) ، الآية منسوخة بآية النور .

* * *

ومن المائدة :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا الشَّهْرُ الْحَرَامُ ﴾ ^(٧) ، منسوخة بإباحة القتال فيه .
قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ^(٨) ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ^(٩) .
وقوله تعالى : ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ ^(١٠) ، منسوخ بقوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا دَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(١١) .

* * *

(٣) النساء ٣٣

(٦) النساء ١٥

(٩) آية ٤٩

(٢) التباين ٦

(٥) النساء ٨

(٨) المائدة ٤٢

(١١) الطلاق ٢

(١) آية ١٠٢

(٤) الأنفال ٧٥

(٧) المائدة ٢

(١٠) آية ٦٠

ومن الأنفال :

قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ... ﴾ ^(١) ، الآية ، منسوخة بالآية بعدها .

ومن براءة :

قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(٢) ، منسوخة بآيات البذر ، وهو قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ... ﴾ ^(٣) الآية ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ... ﴾ ^(٤) الآية ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ ^(٥)

ومن النور :

قوله تعالى : ﴿ الْمَزَانِي لَا يَنْصَحُ إِلَّا زَانِيَةٌ... ﴾ ^(٦) ، الآية ، منسوخة بقوله : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ ^(٧) .
قوله تعالى : ﴿ لَيْسَتَاذِنْكُمْ الدِّينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ﴾ ^(٨) ، الآية ، قيل منسوخة ، وقيل : لا ، ولكن تهاون الناس في العمل بها .

ومن الأحزاب :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ... ﴾ ^(٩) ، الآية ، منسوخة بقوله : ﴿ إِنَّا أَهْلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ... ﴾ ^(١٠) الآية .

ومن المجادلة :

قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا... ﴾ ^(١١) ، الآية ، منسوخة بالآية بعدها .

(٣) النور ٦١	(٢) التوبة ٤١	(١) آية ٦٥
(٦) النور ٣	(٥) التوبة ١٢٢	(٤) التوبة ٩١
(٩) الأحزاب ٥٢	(٨) النور ٥٨	(٧) النور ٣٢
	(١١) آية ١٢	(١٠) الأحزاب ٣٣

ومن المتحنة :

قوله تعالى : ﴿ فَاتَّوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ^(١) ، قيل منسوخ بآية السيف ، وقيل : بآية الغنمية ، وقيل : بحكم .
* * *

ومن المزمّل :

قوله : ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٢) ، قيل : منسوخ بآخر السورة ، ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة ، على خلاف في بعضها ، لا يصح دعوى النسخ في غيرها . والأصح في آية الاستئذان والقسم الإحكام ، فصارت تسعة عشر ، وبضم إليها قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَهِيَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، على رأى ابن عباس أنها منسوخة بقوله : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... ﴾ ^(٤) الآية ، فتمت عشرون . وقد نظمتهما في أبيات قلت :

قد أكره الناس في المنسوخ من عددٍ	وأدخلوا فيه آياً ليس تنحصر
وهاك تحريراً آياً لا مزيد لها	عشرين حررها الخذاق والكبير
آى التوجه حيث المراء كان وأن	يوصى لأهليه عند الموت محتصر
وحرمت الاكل بعد النوم من رقت	وفدية لمطبق الصوم مشتهر
وحق تقواه فيما صح من أثر	وفي الحرام قتال للآلى كفر
والاعتداد بحول مع وصيتها	وأن يذآن حديث النفس والفكر
والخلف والجنس للزاني وترك أولى	كفروا شهادتهم والصبر والنفر
ومنع عقد زانٍ أولزانية	وما على المصطفى في العقد محتظر
ودفع مهر لمن جاءت وآية نجر	واه كذاك قيام الليل مستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت	وآية القسم الفضلى لمن حضروا

فإن قلت : ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به ، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

والثاني : أن النسخ غالباً يكون للتخفيف ، فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ، ورفع المشقة ، وأما ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية أو كان في شرع من قبلنا ، أو في أول الإسلام ، فهو أيضاً قليل العدد ، كنسخ استقبال بيت المقدس بآية القبلة ، وصوم عاشوراء بصوم رمضان ؛ في أشياء أخر حرّزتها في كتابي المشار إليه .

* * *

فوائد منثورة

قال بعضهم : ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في الترتيب ، إلا في آيتين : آية العدة في البقرة ، وقوله : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ ﴾ ^(١) ، تقدم .

وزاد بعضهم ثالثة ، وهي آية الحشر في الفى على رأى من قال إنها منسوخة بآية الأنفال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) .

وزاد قوم رابعة وهي قوله : ﴿ خُذِ الْعَقْوَ ﴾ ^(٣) يعنى الفضل من أموالهم ، على رأى من قال إنها منسوخة بآية الزكاة .

وقال ابن العربى : كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولى والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف ، وهي : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ... ﴾ ^(٤) الآية ، نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ، ثم نسخ آخرها أولها . انتهى وقد تقدم ما فيه . وقال أيضاً . من عجب المنسوخ قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَقْوَ ... ﴾ ^(٥) الآية ، فإن أولها وآخرها ، وهو ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٦) منسوخ ، ووسطها محكم : وهو ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(٧) .

وقال : من عجيبه أيضاً آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ، ولا نظير لها ، وهى قوله ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا افْتَدَيْتُمْ ﴾ ^(١) ؛ يعنى بالأسرى المعروف والنهى عن المنكر ؛ فهذا ناسخ لقوله : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

وقال السعيدى : لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، مكثت ست عشرة سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية .

وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ... ﴾ ^(٣) الآية : إن المنسوخ من هذه الجملة ﴿ وَأَسِيرًا ﴾ والمراد بذلك أسير المشركين ، فقرأ عليه الكتاب وابتنه تسمع . فلما انتهى إلى هذا الموضع ، قالت له : أخطأت بأبىء ، قال : وكيف ! قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعاً ، فقال : صدقت .

وقال شيدلة فى البرهان : يحوز نسخ الناسخ فيصير منسوخاً ، كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ^(٤) ، نسخها قوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٥) ، ثم نسخ هذه بقوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ ^(٦) ، كذا قال ، وفيه نظر من وجهين : أحدهما : ما تقدمت الإشارة إليه .

والآخر : أن قوله : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ ^(٦) ، مخصص للآية لئلا نسخ . نعم يمثل له بآخر سورة المزمل ، فإنه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات . وقوله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(٧) ناسخ لآيات الكف ، منسوخ بآيات العذر . وأخرج أبو عبيد بن الحسن وأبى ميسرة ، قالوا : ليس فى المائدة منسوخ . وبشكل

(٣) الإنسان ٨

(٢) الأحقاف ٩

(١) المائدة ١٠٥

(٦) التوبة ٢٩

(٥) التوبة ٥

(٤) الكافرون ٦

(٧) التوبة ٤١

بما في المستدرك عن ابن عباس أن قوله : ﴿ فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ^(١) منسوخ بقوله : ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ^(٢).

وأخرج أبو عبيد وغيره عن ابن عباس ، قال : أول ما نسخ من القرآن نسخ القبلة .
وأخرج أبو داود في ناسخه من وجه آخر عنه ، قال : أول آية نسخت من القرآن القبلة ثم الصيام الأول .

قال مكى : وعلى هذا فلم يقع في المكي ناسخ . قال : وقد ذكر أنه وقع في آيات :
منها قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٣) فإنه ناسخ لقوله : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٤) .

قلت : أحسن من هذه نسخ قيام الليل في أول سورة المزمل بآخرها ، أو بإيجاب الصلوات الخمس ، وذلك بمكة اتفاقاً .

* * *

تنبيه

قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت كذا .

قال : وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ، ليعرف المتقدم والتأخر .

قال : ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ، بل ولا اجتهد المجتهدين من غير نقل صحيح ، ولا معارضة بيّنة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم . والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد .

قال : والناس في هذا بين طرفي نقيض ، فمن قائل : لا يُقبل في النسخ أخبار الآحاد المدول ؛ ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد . والصواب خلاف قولهما . انتهى .

الضرب الثالث : ما نسخ تلاوته دون حكمه ، وقد أورد بعضهم فيه سؤالاً وهو : ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم ؟ وهلاً بقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها !

وأجاب صاحب الفنون : بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن ، من غير استئصال لطلب طريق مقطوع به ، فيسرعون بأيسر شيء ، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام ، والنام أدنى طريق الوحي ؛ وأمثلة هذا الضرب كثيرة . قال أبو عبيد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : لا يقولن أحدكم : قد أخذت القرآن كله ، وما يدريه ما كله ! قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقبل . قد أخذت منه ما ظهر .

وقال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن أبي لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن .

وقال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن المبارك بن فضالة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، قال : قال لي أبي بن كعب : كأين تعدّ سورة الأحزاب ؟ قلت : اثنتين وسبعين آية ، أو ثلاثة وسبعين آية ، قال : إن كانت لتعدّل سورة البقرة ، وإن كنّا لنقرأ فيها آية الرجم . قلت : وما آية الرجم ؟ قال : « إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزّيزٌ حكيم » .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن مروان بن عثمان ، عن أبي أمامة بن سهل ، أن خالته قالت : لقد أقرأنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الرجم : « الشيخ والشيخة فارجوها البتة بما قصيا من اللذة » .

وقال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني ابن أبي حميد ، عن حميدة بنت أبي بونس ، قالت : قرأ على أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . وعلى الذين يصلون الصفوف الأول » ، قالت : قبل أن يغير عثمان المصاحف .

وقال : حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتينا ، فعلمنا مما أوحى إليه . قال : فحنت ذات يوم ، فقال : إن الله يقول : « إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني : ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

وأخرج الحاكم في المستدرک ، عن أبي بن كعب ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقرأ ﴿ كَمْ يَسْكُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ ومن بقيتها : « لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه ، سأل ثانياً ، وإن سأل ثانياً فأعطيه سأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية . ومن يعمل خيراً فلن يكفره » .

وقال أبو عبيد ، حدثنا حجاج ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أبي حرب ابن أبي الأسود ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : نزلت سورة نحو براءة ، ثم رفعت وحفظ منها : « إن الله سيؤبد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم واديين

من مال لتمني وادباً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : كنا نقرأ سورة نشبهها المسبجات فأنسيناها ، غير أني حفظت منها : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ، فتكتب شهادة في أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة » .

وقال أبو عبيد : حدثنا حجاج ، عن سعيد ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عدي بن عدي ، قال : قال عمر كنا نقرأ : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم » ، ثم قال لزيد بن ثابت : أ كذلك ؟ قال : نعم .

وقال : حدثنا ابن أبي أبي مريم ، عن نافع بن عمر الجمحي ، وحدثني ابن أبي مليكة ، عن المسور بن مخرمة ، قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما أنزل علينا « أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة » ؟ فإننا لانجدها ! قال : : أسقطت فيما أسقط من القرآن .

وقال : حدثنا ابن أبي مريم ، عن أبي لهيفة ، عن يزيد بن عمرو المعافري ، عن أبي سفيان الكلابي ، أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم : أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبتا في المصحف ، فلم يجبروه - وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك - فقال مسلمة : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَلَّا يُبْشِرُوا أَنْتُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ آوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَجَادَلُوا عَنْهُمْ الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أُولَئِكَ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا خَفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

وأخرج الطبراني في الكبير ، عن ابن عمر ، قال : قرأ رجلان سورة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يقرآن بها ، فقاما ذات ليلة يصليان ، فلم يقدرأ منها على حرف ، فأصبحا غادين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال : إنها تما نسخ ، فاهلوا عنها .

وفي الصحيحين ، عن أنس في قصة أصحاب بدر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم ، قال أنس : ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع : « أن بلغوا عنا قومنا أنّا لقيناربنافرضى عنا وأرضانا » .

وفي المستدرک عن حذيفة ، قال : ماتقرون ؟ ربمها ! يعنى براءة .

قال : الحسين بن النادی فی کتابه « الناسخ والنسوخ » : وما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه ، سورتا القنوت في الوتر ، وتسمى سورتي الخلع والخفد .

* * *

تنبيه

حكى القاضي أبو بكر في الانتصار عن قوم إنكار هذا الضرب ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها .

وقال أبو بكر الرازي : نسخ الرسم والتلاوة ، إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ، ويرفعه من أذهانهم ، وبأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في الصحف ، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ^(١) ، ولا يعرف اليوم منها شيء . ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا تَوَفَّى لا يسكون متلوًا في القرآن ، أو يموت وهو متلوٌ موجود بالرسم ، ثم ينسيه الله الناس ، ويرفعه من أذهانهم . وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقال في البرهان في قول عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبها — يعنى آية الرجم — ظاهره أن كتابتها جائزة ، وإنما منعه قول الناس ، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه ، فإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة ،

لأن هذا شأن المكتوب . وقد يقال : لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ، ولم يعرج على مقالة الناس ، لأن مقالة الناس لا تصلح مانعاً . وبالجملة هذه الملازمة مشككة ، ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد ، والقرآن لا يثبت به ، وإن ثبت الحكم ، ومن هنا أنكر ابن ظفر في «الينبوع» ^(١) عهد هذا مما نسخ تلاوته ، قال : لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن . قال : وإنما هذا من النساء لا النسخ ، وهما مما يلتبس ، والفرق بينهما أن النساء لفظه قد يعلم حكمه ^(٢) . انتهى .

وقوله : «لعله كان يعتقد أنه خبر واحد» مردود ، فقد صح أنه تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصامت ، قال : كان زيد بن ثابت وسعيد ابن العاص يكتبان المصحف ، فمرأ على هذه الآية ، فقال زيد : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» ، فقال عمر : لما نزلت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : أكتبها ؟ فكانه كره ذلك ، فقال عمر : ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد ، وأن الشاب إذا زنى وقد أحسن رجم ؟

قال ابن حجر في شرح المنهاج : فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها ؛ تكون العمل على غير الظاهر من عمومها .

قلت : وخطر لي في ذلك نكتة حسنة ، وهو أن سببه التخفيف على الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها في المصحف ، وإن كان حكماً إقياً ، لأنه أثقل الأحكام وأشدّها ، وأغلظ الحدود ، وفيه الإشارة إلى ندب السر .

وأخرج النسائي : أن مروان بن الحكم ، قال لزيد بن ثابت : ألا تكتبها

(١) الينبوع في التفسير لأبي عبد الله بن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٦٨٠ هـ ومنه أجزاء متفرقة في دار الكتب

(٢) البرهان ٢ : ٣٦

النهضة برقم ٣١٠ تفسير

في المصحف؟ قال: ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجحان! ولقد ذكرنا ذلك، فقال عمر: أنا أكتفيكم، فقال: يا رسول الله، أكتفيني آية الرجم، قال: لا أستطيع. قوله: «أكتفني» أي ائذن لي في كتابتها، أو مكنتني من ذلك.

وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن، عن يعلى بن حكيم، عن زيد بن أسلم، أن عمر خطب الناس، فقال: لا تشكروا في الرجم، فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت أبي بن كعب، فقال: أليس أتيتني وأنا أستقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفعته في صدري وقلت: تستقرئها آية الرجم، وهم يتسافدون تسافد الحر! قال ابن حجر: وفيه إشارة إلى بيان السبب في رفع تلاوتها وهو الاختلاف.

* * *

تنبيه

قال ابن الحصار في هذا النوع: إن قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل، وقد قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(١)؛ وهذا إخبار لا يدخله خلف؟

فالجواب أن نقول: كل ما ثبت الآن في القرآن ولم يُنسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته، وكل ما نسخ الله من القرآن مما لا نعلمه الآن، فقد أبدله بما علمناه، وتواتر إلينا لفظه ومعناه.

the first of these is the fact that the
 second of these is the fact that the
 third of these is the fact that the
 fourth of these is the fact that the
 fifth of these is the fact that the
 sixth of these is the fact that the
 seventh of these is the fact that the
 eighth of these is the fact that the
 ninth of these is the fact that the
 tenth of these is the fact that the
 eleventh of these is the fact that the
 twelfth of these is the fact that the
 thirteenth of these is the fact that the
 fourteenth of these is the fact that the
 fifteenth of these is the fact that the
 sixteenth of these is the fact that the
 seventeenth of these is the fact that the
 eighteenth of these is the fact that the
 nineteenth of these is the fact that the
 twentieth of these is the fact that the
 twenty-first of these is the fact that the
 twenty-second of these is the fact that the
 twenty-third of these is the fact that the
 twenty-fourth of these is the fact that the
 twenty-fifth of these is the fact that the
 twenty-sixth of these is the fact that the
 twenty-seventh of these is the fact that the
 twenty-eighth of these is the fact that the
 twenty-ninth of these is the fact that the
 thirtieth of these is the fact that the
 thirty-first of these is the fact that the
 thirty-second of these is the fact that the
 thirty-third of these is the fact that the
 thirty-fourth of these is the fact that the
 thirty-fifth of these is the fact that the
 thirty-sixth of these is the fact that the
 thirty-seventh of these is the fact that the
 thirty-eighth of these is the fact that the
 thirty-ninth of these is the fact that the
 fortieth of these is the fact that the
 forty-first of these is the fact that the
 forty-second of these is the fact that the
 forty-third of these is the fact that the
 forty-fourth of these is the fact that the
 forty-fifth of these is the fact that the
 forty-sixth of these is the fact that the
 forty-seventh of these is the fact that the
 forty-eighth of these is the fact that the
 forty-ninth of these is the fact that the
 fiftieth of these is the fact that the
 fifty-first of these is the fact that the
 fifty-second of these is the fact that the
 fifty-third of these is the fact that the
 fifty-fourth of these is the fact that the
 fifty-fifth of these is the fact that the
 fifty-sixth of these is the fact that the
 fifty-seventh of these is the fact that the
 fifty-eighth of these is the fact that the
 fifty-ninth of these is the fact that the
 sixtieth of these is the fact that the
 sixty-first of these is the fact that the
 sixty-second of these is the fact that the
 sixty-third of these is the fact that the
 sixty-fourth of these is the fact that the
 sixty-fifth of these is the fact that the
 sixty-sixth of these is the fact that the
 sixty-seventh of these is the fact that the
 sixty-eighth of these is the fact that the
 sixty-ninth of these is the fact that the
 seventieth of these is the fact that the
 seventy-first of these is the fact that the
 seventy-second of these is the fact that the
 seventy-third of these is the fact that the
 seventy-fourth of these is the fact that the
 seventy-fifth of these is the fact that the
 seventy-sixth of these is the fact that the
 seventy-seventh of these is the fact that the
 seventy-eighth of these is the fact that the
 seventy-ninth of these is the fact that the
 eightieth of these is the fact that the
 eighty-first of these is the fact that the
 eighty-second of these is the fact that the
 eighty-third of these is the fact that the
 eighty-fourth of these is the fact that the
 eighty-fifth of these is the fact that the
 eighty-sixth of these is the fact that the
 eighty-seventh of these is the fact that the
 eighty-eighth of these is the fact that the
 eighty-ninth of these is the fact that the
 ninetieth of these is the fact that the
 ninety-first of these is the fact that the
 ninety-second of these is the fact that the
 ninety-third of these is the fact that the
 ninety-fourth of these is the fact that the
 ninety-fifth of these is the fact that the
 ninety-sixth of these is the fact that the
 ninety-seventh of these is the fact that the
 ninety-eighth of these is the fact that the
 ninety-ninth of these is the fact that the
 hundredth of these is the fact that the

التَّوَجُّعُ الْيَسِيرُ وَالْأَزْمَعُونَ
فِي سَبْكِهِ وَنَوْمِهِ الْإِخْلَافَاتُ وَالنَّافِضُ

أفردته بالتصنيف قطرب والمراد به ما يوم التعارض بين الآيات ، وكلامه تعالى منزّه عن ذلك كما قال : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ^(١) ، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوم اختلافاً وليس به في الحقيقة ؛ فاحتيج لإزالته ، كما صُنِّفَ في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، وقد تكلم في ذلك ابن عباس ، وحكى عنه التوقف في بعضها .

قال عبد الرزاق في تفسيره : أنبأنا معمر ، عن رجل ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : رأيت أشياء تختلف على من القرآن ، فقال ابن عباس : ماهو ؟ أشك ! قال : ليس بشك ، ولكنه اختلاف ، قال : هات ماختلف عليك من ذلك ، قال : أسمع الله يقول : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَنَحَوْنَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَسْكُتُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ^(٣) فقد كتموا ، وأسمعه يقول : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ^(٤) ثم قال : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ^(٥) : وقال : ﴿ أَأَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾ ^(٦) حتى بلغ طائعين ^(٧) ، ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ ^(٨) ثم قال : ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ^(٩) . وأسمعه يقول : ﴿ كَانَ اللَّهُ ﴾ ماشأه يقول ﴿ وَكَانَ اللَّهُ ﴾ !

فقال ابن عباس : أما قوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَنَحَوْنَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا

(٣) النساء ٤٢

(٦) فصلت ٩ - ١١

(٢) الأنعام ٢٣

(٥) الطور ٢٥

(٨) النازعات ٣٠

(١) النساء ٨٢

(٤) المؤمنون ١٠١

(٧) النازعات ٢٧

كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿ فإِذَا رَأَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا يَغْفِرُ شِرْكَاً ، وَلَا يَتَخَذُ ذَنْبَ أَنْ يَغْفِرَهُ ، جَعَدَ الْمُشْرِكُونَ رَجَاءً أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ قَالُوا : وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فَخَضَّ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، فَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا بَتَسَاءُلُونَ ﴾ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَمِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا بَتَسَاءُلُونَ ، ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ خَلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ السَّمَاءُ دَخَانًا فَسَوَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ، يَقُولُ : جَعَلَ فِيهَا جِبَالًا ، وَجَعَلَ فِيهَا شَجَرًا ، وَجَعَلَ فِيهَا بَحْرًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ كَانَ اللَّهُ ﴾ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ .

فَمَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ بِشَبِّهِ مَا ذَكَرْتَكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَصَابَ الَّذِي أَرَادَ ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَظُنُّونَ .

أَخْرَجَهُ بِطَوْلِهِ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ ، وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ : حَاصِلُ مَا فِيهِ السُّؤَالُ عَنْ أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ :

الْأَوَّلُ : نَقَى الْمَأَلَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِتْبَاطَهَا .

الثَّانِي : كَيْفَانِ الْمُشْرِكِينَ حَافَمَ وَإِفْشَاؤُهُ .

الثالث : خَلَقَ الارضَ أو السماء ؛ أيهما تقدم .

الرابع : الإتيان بحرف « كان » ، الدّالة على المضى مع أن الصفة لازمة .

وحاصل جواب ابن عباس عن الأول ، أن نفي المسألة فيما قبل النفخة الثانية ، وإثباتها فيما بعد ذلك .

وعن الثاني ، أنهم يكتُمون بالسنتهم ، فتنتطق أيديهم وجوارحهم .

وعن الثالث ، أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ، ثم خلق السموات فسوّاهن في يومين ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ؛ وجعل فيها الرّواسى وغيرها في يومين ؛ فذلك أربعة أيام للأرض .

وعن الرابع ، بأن « كان » ، وإن كانت للماضى ، لكنها لا تستلزم الانقطاع ، بل المراد أنه لم يزل كذلك .

فأما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر ، أن نفي المسألة عند تشاغلهم بالصّفق والمحاسبة والجواز على الصراط ، وإثباتها فيما عدا ذلك ؛ وهذا منقول عن السّدّي ؛ وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أن نفي المسألة عند النفخة الأولى وإثباتها بعد النفخة الثانية .

وقد تأوّل ابن مسعود نفي المسألة على معنى آخر ، وهو طلب بعضهم من بعض العفو ، فأخرج ابن جرير من طريق زاذان ، قال : أتيت ابن مسعود ، فقال : يُؤخذ بيد العبد يوم القيامة ، فينادى : ألا إن هذا فلان ، فمن كان له حقّ قبله فليأت ، قال : فتودّ المرأة يومئذ أن يثبت لها حقّ على أيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها ، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا ينساء لون .

ومن طريق أخرى قال : لا يسأل أحد يومئذ بسب شيئاً ولا ينساء لون به ولا يمتّ برحم .

وأما الثاني ، فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير ، عن الضحاك بن مزاحم ،

نافع بن الأزرق: أتى ابن عباس فقال: قول الله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾! فقال: إني أحسبك قت من عند أصحابك، فقلت لهم: أتى ابن عباس، ألقى عليه منشا به القرآن؛ فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة، قال المشركون: إن الله لا يقبل إلا تَمَنٍّ وحده، فبداهم فيقولون: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾، قال: فيختم على أفواههم، وتُسْتَنْطَق جوارحهم.

ويؤيده ما أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة في أثناء حديث، وفيه: «ثم باقى الثالث فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك وبرسولك، ويثني ما استطاع، فيقول: الآن نبعث شاهداً عليك، فيذكر في نفسه: من الذى يشهد على! فيختم على فيه، وتنطق جوارحه».

أما الثالث؛ ففيه أجوبه أخرى، منها أن ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، فلا إيراد.

وقيل: المراد ترتيب الخبر لا الخبر به، كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)

وقيل: على بابها وهى لتعارف ما بين الخلقين، لا للتراخي في الزمان.

وقيل: «خلق» بمعنى «قدر».

وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه، فيحتمل كلامه أنه أراد أنه سمى نفسه «غفوراً رحيماً» وهذه التسمية مضت، لأن التعلق انقضى. وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان؛ لأنه تعالى إذا أراد انقفرة أو الرحمة في الحال أو الاستقبال، وقع مراده. قاله الشمس الكرماني^(٢).

قال: ويحتمل أن يكون ابن عباس أحب بجوابين، أحدهما أن التسمية هى التى كانت وانتهت، والصفة لانهاية لها، والآخر أن معنى «كان» الدوام؛ فإنه لا يزال كذلك. ويحتمل أن يحمل السؤال على مَسْكُونين. والجواب على دفعها، كأن يقال: هذا اللفظ مشعر بأنه في الزمان الماضى كان غفوراً رحيماً، مع أنه لم يكن هناك

(١) البلد ١٧

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، أحد علماء الحديث، وشارح البخارى، وصاحب كتاب ضائر القرآن. توفي سنة ٧٨٦. الدرر الكامنة: ٣١٠.

مَنْ يُفَقِّرْ لَهُ أَوْ يَرْحَمْ، وبأنه ليس في الحال كذلك لِمَا يَشِيرُ بِهِ لَفْظُ «كَانَ».

والجواب عن الأول بأن كان في الماضي تَسْمَى بِهِ . وعن الثاني ، : بأن «كَانَ» تَعْلَى مَعْنَى الدَّوَامِ ، وقد قال النحاة : كان لثبوت خبرها ماضياً دائماً أو منقطعاً .

وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس ، أن يهودياً قال له : إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكماً ، فكيف هو اليوم ؟ فقال : إنه كان في نفسه عزيزاً حكماً .

موضع آخر ، توقف فيه ابن عباس . قال أبو عبيدة : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سأل رجل ابن عباس عن ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(٢) ، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه ؛ الله أعلم بهما .

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه ، وزاد : « ما أدرى ماها ، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم » قال ابن أبي مليكة : ف ضرب الدهر حتى دخلت على سعيد بن المسيب ، فسئل عن ذلك ؛ فلم يدبر مايقول ؛ فقلت له : ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس ! فأخبرته ، فقال ابن المسيب للسائل : هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيهما ، وهو أعلم متى ورؤى عن ابن عباس أيضاً أن يوم الألف هو مقدار سير الأسر وعروجه إليه ، ويوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة ؛ التي خلق الله فيها السموات ، ويوم المحسين ألقا هو يوم القيامة .

فأخرج ابن أبي حاتم من طريق سمالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رجلاً قال له : حدثني : ما هؤلاء الآيات : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ و ﴿ يُدَبَّرُ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(١) . ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ﴾ ^(٢) ، قال : يوم القيامة

حساب خمسين ألف سنة ، والسماوات في ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة ، ﴿وَبَدَّرَ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ، قال : ذلك مقدار المسير .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بهما يوم القيامة ، وأنه باعتبار حال المؤمن والكافر ، بدليل قوله : ﴿يَوْمَ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ^(١) .

فصل

قال الزركشي في البرهان : للاختلاف أسباب :

أحدها : وقوع الخبر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتى ، كقوله في خلق آدم : ﴿مِنْ تَرَابٍ﴾ ^(٢) ، ومرة : ﴿مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ﴾ ^(٣) ، ومرة : ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ ^(٤) ، ومرة : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ^(٥) ، فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ، لأن الصلصال غير الحما ، والحما غير التراب ، إلا أن مرجعها كلها إلى جرده ، وهو التراب ، ومن التراب تدرجت ^(٦) هذه الأحوال .

وكقوله : ﴿فَإِذَا هِيَ تُعَيَّنُ﴾ ^(٧) ، وفي موضع : ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ^(٨) ، والجأن الصغير من الحيات ، والثعبان الكبير منها ، وذلك لأن خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها وخففتها كاهتزاز الجأن وخففته .

الثاني : لاختلاف الموضوع ^(٩) ، كقوله : ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ^(١٠) ، وقوله :

(٣) الحجر ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣

(٢) آل عمران ٥٩

(١) المدثر ٩ ، ١٠

(٦) ط : « درجت » .

(٥) الرحمن ١٤

(٤) الصافات ١١

(٩) ط : « الموضوع »

(٨) القصص ٣١

(٧) الشعراء ٣٢

والوجه ما أنبته من الأصل والبرهان (١٠) الصافات ٢

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) ، مع قوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ^(٢) ، قال الحلبي : ^(٣) : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ، والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه .

وحله غيره على اختلاف الأماكن ، لأن في القيامة مواقف كثيرة ، ففي موضع يُسألون ، وفي آخر لا يُسألون . وقيل : إن السؤال الثابت سؤال تبكيت وتوبيخ ، والمنفى سؤال المذرة وبيان الحجة .

وكقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ^(٤) ، مع قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(٥) ، حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلي الآية الأولى على التوحيد بدليل قوله بعدها : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٥) ، والثانية على الأعمال . وقيل : بل الثانية ناسخة للأولى . وكقوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ^(٦) ، مع قوله : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ ^(٧) ، فالأولى تفهم إمكان العدل ، والثانية تنفيه .

والجواب : أن الأولى في توفية الحقوق ، والثانية في الليل القلبي وليس في قدرة الإنسان .

وكقوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ^(٨) ، مع قوله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ ^(٩) ، فالأولى في الأمر الشرعي ، والثانية في الأمر الكوني بمعنى القضاء والتقدير .

الثالث : لاختلافها في جهتي العمل ، كقوله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

- | | | |
|--|--------------------|------------------------------|
| (١) الأعراف ٦ | (٢) الرحمن ٣٩ | (٣) الحلبي ففتح الحاء ، هو |
| عبد الله حسن بن الحسن الحلبي الشافعي ، صاحب المنهاج على شعب الإيمان . التوفى سنة ٤٠٣ . وانظر | (٤) آل عمران ١٠٢ | (٥) التباين ١٦ |
| كشف الظنون | (٦) النساء ٣ | (٧) النساء ١٣٩ |
| (٨) الأعراف ٢٨ | (٩) الإسراء ١٦ | |

قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴿١١﴾ ، أَضِيفَ الْقَتْلُ إِلَيْهِمْ وَالرَّمَى إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِهَةِ الْكَسْبِ وَالْبَاسِطَةِ ، وَقَوَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْهُ بِاعْتِبَارِ التَّأْثِيرِ .

الرابع : لاختلافهما في الحقيقة والحجاز ، كقوله : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ ﴿١٢﴾ ، أى سكارى من الأحوال مجازاً ، لامن الشراب حقيقة .

الخامس : بوجهين واعتبارين ، كقوله : ﴿ قَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ﴿١٣﴾ ، مع قوله : ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلَالِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ﴿١٤﴾ قال قطرب : فبصرك ، أى علمك ومعرفتك بهاقوية ، من قولهم : بصر بكذا أى علم ، وليس المراد رؤية العين . قال الفارسي : وبدل على ذلك قوله : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾ .

وكقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ﴿١٥﴾ مع قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ﴿١٦﴾ ، فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة . وجوابه : أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد ، وأوجل يكون عند خوف الزيف والذهاب عن الهدى ، فتوجه القلوب لذلك ، وقد جمع بينهما في قوله : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ﴿١٧﴾ .

وما استشكلوه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُمْ ﴾ ﴿١٨﴾ ، فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشينين .

وقال في آية أخرى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا

(٣) ق ٢٢

(٦) الأفعال ٢

(٨) الكهف ٥٥

(٢) الحج ٢

(٥) الرعد ٢٨

(٧) الزمر ٢٣ وانظر البرهان ٢ : ٥٤ - ٦٢

(١) الأنفال ١٧

(٤) السورى ٤٥

أَبَعَثَ اللَّهُ بُشْرًا رَسُولًا ﴿١﴾ ؛ فهذا حَصْرٌ آخر في غيرها .

وأجاب ابن عبد السلام : بأن معنى الآية الأولى : « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا إِرَادَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْخُسْفِ غَيْرِهِ ، أَوْ بَيَّاتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبَلًا فِي الْآخِرَةِ » ، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين ، ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما يتنافى المراد . فهذا حصر في السبب الحقيقي لأن الله هو المانع في الحقيقة .

ومعنى الآية الثانية : « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا اسْتِغْفَابُ بَعْثِهِ بُشْرًا رَسُولًا » ، لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان ؛ لأنه لا يصح لذلك ؛ وهو يدل على الاستغراب بالالتزام ؛ وهو المناسب للمانع واستغرابهم ليس مانعاً حقيقياً ، بل عادياً لجواز وجود الإيمان معه ، بخلاف إرادة الله تعالى ؛ فهذا حصر في المانع العادى ، والأول حصر في المانع الحقيقي ، فلا تنافى أيضاً .

ومما استشكل أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، مع قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات . ووجهه أن المراد بالاستفهام هنا النفي ، والمعنى : « لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ » ، فيكون خبراً ، وإذا كان خبراً وأُخْذَتِ الْآيَاتُ عَلَى ظَوَاهِرِهَا أَدَّى إِلَى التَّنَاقُضِ . وَأَجِيبْ بِأَوْجِهِ :

منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته ، أى لا أحد من المعاندين أظلم ممن منع مساجد الله ، ولا أحد من المفتريين أظلم ممن افتري على الله كذباً ، وإذا تخصص بالصلوات زال التناقض .

ومنها ، أن التخصيص بالنسبة إلى السبق ، لئلا يسبق أحد إلى مثله ، حكم عليهم بأنهم

(١) الإسراء ٩٤

(٢) الأنعام ٢١

(٤) الكهف ٥٧

(٥) البقرة ١١٤

(٣) الزمر ٣٢

أظلم من جاء بعدهم سالكاً طريقهم ؛ وهذا يثول معناه إلى ما قبله ؛ لأن المراد السابق إلى الماسعية والافتراضية .

ومنها — وادعى أبو حيان أنه الصواب — أن نفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية ؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق ، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يلزم التناقض ؛ لأن فيها إثبات النسوية في الأظلمية ، وإذا ثبتت النسوية فيها لم يكن أحد ممن وُصف بذلك يزيد على الآخر ، لأنهم يتساوون في الأظلمية ، وصار المعنى : لا أحد أظلم ممن اقترى وممن منع ونحوها ، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر ، كما إذا قلت : لا أحد أفقه منهم . انتهى .

وحاصل الجواب أن نفي التفضيل لا يلزم منه نفي المساواة .

وقال بعض المتأخرين : هذا استفهام مقصود به التهويل والتفطيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ، ولا نفيها عن غيره .

وقال الخطابي ^(١) : سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج ، قال : سأل رجل بعض العلماء عن قوله : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ ^(٢) فأخبر أنه لا يقسم به . ثم أقسم به في قوله : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ ^(٣) فقال : أيما أحب إليك ؟ أجيبك ثم أقطعك ، أو أقطعك ثم أجيبك ؟ فقال : أقطعني ثم أجبني ، فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمراً وعليه مطمئناً ، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به ، وأسرعوا بالرد عليه ؛ ولكن القوم علموا وجهات ، ولم ينسكروا منه ما أنكرت . ثم قال له : إن العرب قد تدخل « لا » في أثناء كلامها وتلغى معناها ، وأنشد فيه أبياتاً .

(١) هو حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان ، شارح سنن أبي داود ، ومؤلف كتاب بيان إعجاز القرآن وغيره توفي . سنة ٣٨٨ . ابن خلكان ١ : ١٦٦
(٢) البلد ١
(٣) التين ١

تنبيه

قال الاستاذ أبو إسحاق الإسفراييني^(١) : إذا تعارضت الآي وتعدّر فيها الترتيب والجمع ، طلب التاريخ وترك المتقدم بالتأخر ، ويكون ذلك نسخاً ، وإن لم يعلم ، وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها . قال : ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوضعين .

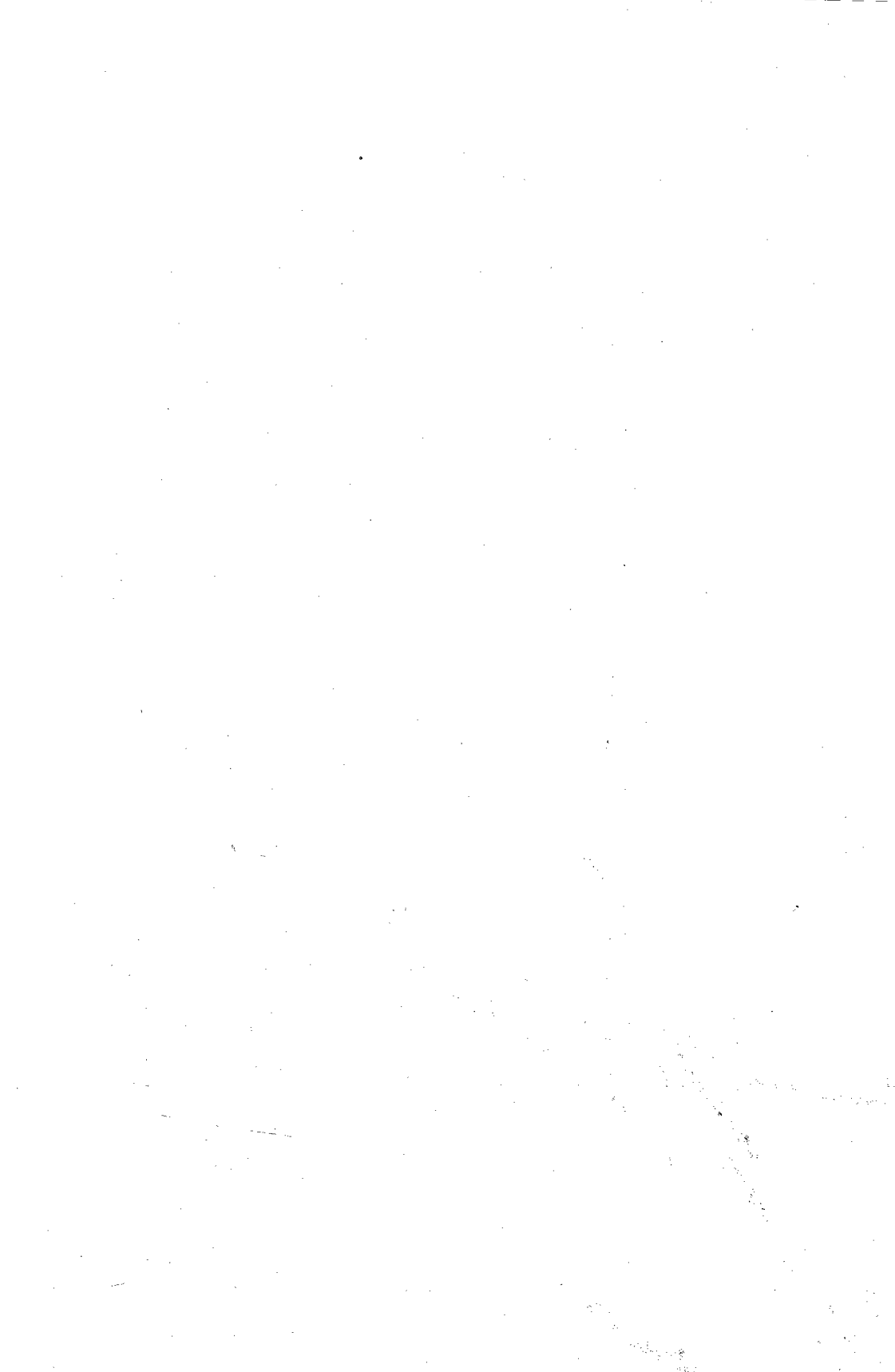
قال غيره : وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾^(٢) بالنصب والجر ، ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الفسل والجر على مسح الخف .

وقال الصيرفي : جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجهه من الوجوه ، فليس فيه تناقض ، وإنما التناقض في اللفظ ماضاه من كل جهة ، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبداً ؛ وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين . وقال القاضي أبو بكر : لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما يوجه العقل ، فذلك لم يحمل قوله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) معارضاً لقوله : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً ﴾^(٤) ، ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ ﴾^(٥) لقيام الدليل العقلي ، أنه لا خالق غير الله ، فتعين تأويل معارضه ، فيؤول « وتخلقون » على « تكذبون » وتخلق على « تصور » .

قائده

قال السكرماني عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٦) : الاختلاف على وجهين : اختلاف تناقض ، وهو ما يدعو فيه أحد الشئيين إلى خلاف الآخر ، وهذا هو الممتنع على القرآن ، واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين ، كاختلاف مقادير السور والآيات ، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ ، والأمر والنهي والوعد والوعيد .

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني المعروف بالأستاذ ، صاحب كتاب جامع الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين . توفي سنة ٤١٨ . ابن خلكان ١ : ٤
(٢) المائدة ٦
(٣) الزمر ٦٢
(٤) المائدة ٤٧
(٥) المائدة ١١٠
(٦) النساء ٨٢



النَّوَاحِ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي مَطْلِقَةِ وَتَقْيِيدِهِ

المطلق الدال على الماهية بلا قيد ، وهو مع القيد كالعلم مع الخاص ، قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صبر إليه ، وإلا فلا ؛ بل يبقى المطلق على إطلاقه ، والقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب .

والضابط أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ، ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظِرَ ، فإن لم يكن له أصل يُرَدُّ إليه إلا ذلك الحكم القيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر . فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(٢) ، وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) .
والعدالة شرط في الجميع .

ومثل تقييده ميراث الزوجين ، بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ ﴾ ^(٥) ، وإطلاقه الميراث فيما أطلق فيه .

وكذلك ما أطلق من الموارث كلها بعد الوصية والدين .

وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ، وإطلاقها في كفارة الظهار واليمين ، والمطلق كالتقيد في وصف الرقبة .

وكذلك تقييد الأبدى بقوله : ﴿ إلى المَرَّافِقِ ﴾ ^(١) ، في الوضوء ، وإطلاقه في التيمم .

وتقييد إحباط العمل بالرَّدة بالموت على الكفر في قوله : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِمَّتُ وَهُوَ كَافِرٌ ... ﴾ ^(٢) ، الآية ، وأطلق في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ ^(٣) .

وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام ، وأطلق فيما عداها .

فذهب الشافعيّ خل المطلق على المقيّد في الجميع .

ومن العلماء من لا يحمله ، ويجوز إعتاق الكافرة في كفارة الظهار والميّن ، وبكتفى في التيمم بالمسح إلى الكوعين ويقول : إن الرّدة تحبط العمل بمجردّها .

والثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع . وأطلق كفارة الميّن وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقاً ومتتابعاً لا يمكن حمله عليها ، لتنافي القيدين ^(٤) ، ولا على أحدهما لعدم المرجح .

تنبيهات

الأول : إذا قلنا بحمل المطلق على المقيّد ، فهل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟ مذهبان :

وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الإطلاق اكتفاء بالمقيّد ، وطلباً للإيجاز والاختصار .

الثاني : ما تقدّم محله ، إذا كان الحكان بمعنى واحد ؛ وإنما اختلفا في الإطلاق

والتقييد ؛ فأما إذا حكم في شيء بأمور ، ثم في آخر بيمضها ، وسكت فيه عن بيمضها ، فلا يقتضى الإلحاق ، كالأمر بفعل الأعضاء الأربعة في الوضوء ، وذكر في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ، ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضاً ، وكذلك ذكر العتق والصوم والإطعام في كفارة الظهار ، واقتصر في كفارة القتل على الأولين ، ولم يذكر الإطعام ، فلا يقال بالحمل وإبدال الصيام بالطعام .

النوع الخمسون

في منظومة ومضمومة

المنطوق مادلّ عليه اللفظ في محل النطق ، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص ،
نحو : ﴿ فَصِيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ^(١) ،
وقد نُقِلَ عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النصّ جد في الكتاب والسنة . وقد
بالغ إمام الحرمين ^(٢) وغيره في الردّ عليهم ، قال : لأنّ الفرض من النصّ الاستقلال بإفادة المعنى
على قطع ، مع انحسار جهات التأويل والاحتمال ؛ وهذا وإن عزّ حصوله بوضع الصيغ ردّاً
إلى اللغة ، فما أكثره مع القرآن الحالية والمقالية ! انتهى .

أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً ، فالظاهر نحو : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
عَادٍ ﴾ ^(٣) ، فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم ، وهو فيه أظهر وأغلب ، ونحو :
﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرُنَّ ﴾ ^(٤) ، فإنه يقال للانقطاع طهر ، وللوضوء والغسل ،
وهو في الثاني أظهر .

فإن حُمِلَ على المرجوح للدليل فهو تأويل ، ويسمى الرجوح المحمول عليه مؤوّلاً ،
كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ ^(٥) ؛ فإنه يستحيل حمل المعية على القرب
بالذات ، فتعين صرفه عن ذلك ، وحمله على القدرة والعلم أو على الحفظ والرعاية .

وكقوله : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(٦) ، فإنه يستحيل حمله على
الظاهر ، لا استحالة أن يكون للإنسان أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق .
وقد يكون مشتركاً بين حقيقتين ، أو حقيقة ومجاز ، ويصحّ حمله عليهما جميعاً ، سواء .

(١) البقرة ١٩٦ (٢) هو أبو العالی عند الملك بن أبی عبد الله بن یوسف الجوبی ، شیخ
الغزالی ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعی . توفي سنة ٤٧٨ هـ . ابن خلكان ١ : ٢٨٧
(٣) البقرة ١٧٣ (٤) البقرة ٢٢٢ (٥) الحديد ٤
(٦) الإسراء ٢٤

قلنا يجوز استعمال اللفظ في معنييه أولاً ؛ ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين ، مرة أريد هذا ، ومرة أريد هذا .

ومن أمثلته : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ ^(١) ؛ فإنه يحتمل لا يضارُّ الكاتب والشهيد صاحب الحقَّ بجوِّز في الكتابة والشهادة و « لَا يُضَارَّر » بالفتح ، أى لا يضرهما صاحب الحق بإلزامهما مالا يلزمهما ، وإجبارهما على الكتابة والشهادة .

ثم إن توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سُميت دلالة اقتضاء ، نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٢) ، أى أهلها ، وإن لم تتوقف ودل اللفظ على مالم يُقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٣) على صحة صوم من أصبح جنباً ، إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنباً في جزء من النهار . وقد حكي هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظي .

* * *

فصل

والفهوم مادل عليه اللفظ ، لافي محل النطق ، وهو قسمان : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة . فالأول : ما يوافق حكمه المنطوق ، فإن كان أولى سُميَ فحوى الخطاب كدلالة : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ ﴾ ^(٤) على تحريم الضرب لأنه أشد ، وإن كان مساوياً سُميَ لحن الخطاب ، أى معناه ، كدلالة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ ^(٥) ، على تحريم الإحراق لأنه مساوٍ للأكل في الإنلاف . واختلف : هل دلالة ذلك قياسية أولفظية مجازية أو حقيقية ؟ على أقوال بينهاها في كتبنا الأصولية .

والثاني : ما يخالف حكمه المنطوق ، وهو أنواع :

مفهوم صفة ، نعمنا كان أوحالاً أو ظرفاً أو عدداً ، نحو : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ

(٣) البقرة ١٨٧

(٢) يوسف ٨٢

(٥) النساء ١٠

(١) البقرة ٢٨٢

(٤) الإسراء ٢٣

فَتَبَيَّنُوا ﴿١﴾ ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التثبت في خبره ؛ فيجب قبول خير الواحد العدل .

﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ﴿٢﴾ . ﴿الْحَيْجُ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ ﴿٣﴾ ، أى فلا يصح الإحرام به في غيرها . ﴿تَاذَكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ ﴿٤﴾ ، أى فالذكر عند غيره ليس محصلاً للمطلوب ، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ ﴿٥﴾ أى لا أقل ولا أكثر .

وشرط ، نحو ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَلَّيْنِ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿٦﴾ أى فغير أولات الحل لا يجب الإنفاق عليهن .

وغاية ، نحو ، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَكَبَّرَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ﴿٧﴾ أى فإذا تحل للأول بشرطه .

وحصر ، نحو ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٨﴾ ، ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿٩﴾ ، أى فغيره ليس بإله ، ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ ﴿١٠﴾ أى فغيره ليس بولي . ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾ ﴿١١﴾ ، أى لا إلى غيره ، ﴿إِنَّا كَافِرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ، أى لا غيرك .

واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة ، والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشروط :

منها ألا يكون المذكور ، ومن ثم لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله : ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ ﴿١٣﴾ ؛ فإن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج فلا مفهوم له ، لأنه إنما خص بالذكر لغلبة حضوره في الذهن .

وألا يكون موافقاً للواقع ، ومن ثم لا مفهوم لقوله : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ

(٣) البقرة ١٩٧

(٦) الطلاق ٦

(٩) طه ٩٨

(١٢) الفاتحة ٤

(٧ - اتقان ج ٣)

(٢) البقرة ١٨٧

(٥) النور ٤

(٨) الصافات ٥

(١١) آل عمران ١٥٨

(١) الحجرات ٦

(٤) البقرة ١٦٨

(٧) البقرة ٢٣٠

(١٠) الشورى ٩

(١٣) النساء ٢٣

اللَّهُ إِلَاهًا لَّا بَرَزَ هَا نَ لَهُ بِهِ ﴿١﴾، وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ ارَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ﴿٣﴾.

والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول.

* * *

فائدة

قال بعضهم: الألفاظ إما أن تدلّ بمنطوقها أو بفحواها، أو باقتضاها وضرورتها،
أو بمعقولها المستنبط منها. حكاه ابن الحصّار. وقال: هذا كلام حسن.

قلت: فالأول دلالة المنطوق، والثاني دلالة المفهوم، والثالث دلالة الاقتضاء،
والرابع دلالة الإشارة.

النوع الحادى والخمسون
فى وجوه مخاطبائه

- قال ابن الجوزى فى كتابه « النفيس » : الخطاب فى القرآن على خمسة عشر وجهاً .
وقال غيره : أعلى أكثر من ثلاثين وجهاً :
- أحدها : خطاب العام ، والمراد به العموم ، كقوله : ﴿ الله الذى خلقكم ﴾ ^(١) .
والثانى : خطاب الخاص والمراد به الخصوص ، كقوله : ﴿ أ كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ^(٢) ، ﴿ يأيها الرسول بلغ ﴾ ^(٣) .
- الثالث : خطاب العام والمراد به الخصوص ، كقوله : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم ﴾ ^(٤) ، لم يدخل فيه الأطفال والمجانين .
- الرابع : خطاب الخاص ، والمراد العموم ، كقوله : ﴿ يأيها النبي إذا طئتم النساء ﴾ ^(٥) ، افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد سائر من يملك الطلاق ،
وقوله : ﴿ يأيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك ﴾ ^(٦) الآية ، قال أبو بكر الصيرفى ^(٧) :
كان ابتداء الخطاب له ، فلما قال فى الموهوبة : ﴿ خالصة لك ﴾ ^(٦) ، علم أن ما قبله له ولغيره .
- الخامس : خطاب الجنس ، كقوله : ﴿ يأيها النبي ﴾ .
- السادس : خطاب النوع ، نحو : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ .
- السابع : خطاب العين ، نحو ، ﴿ وقلنا يا آدم اسكن ﴾ ^(٨) ، ﴿ يا نوح اهبط ﴾ ^(٩) ،
﴿ يا إبراهيم قد صدقت ﴾ ^(١٠) ، ﴿ يا موسى لا تخف ﴾ ^(١١) ، ﴿ يا عيسى إني متوفيك ﴾ ^(١٢) .
- ولم يقع فى القرآن الخطاب بـ « يا محمد » ، بل ﴿ يأيها النبي ﴾ ، ﴿ يأيها الرسول ﴾ ، تعظيماً

(١) الروم ٥٤	(٢) آل عمران ١٠٦	(٣) المائدة ٦٨
(٤) الحج ١	(٥) الطلاق ١	(٦) الأحزاب ٥٠
(٧) هو أبو بكر محمد بن عبدالله الفقيه الشافعى المعروف بالصيرفى ، بغدادى له تصانيف فى أمور الفقه . توفى سنة ١٣٣٠ ابن خلكان ١ : ٤٥٨	(٨) البقرة ٣٥	(٩) هود ٤٨
(١٠) النمل ١٠	(١١) آل عمران ٥٥	(١٢) الصافات ١٠٥

له ، وتشريفًا وتخصيصًا بذلك عما سواه ، وتعالماً للمؤمنين ألا ينادوه باسمه .

الثامن : خطاب المدح ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) ، ولهذا وقع خطاباً لأهل المدينة ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ ^(٢) . أخرج ابن أبي حاتم عن خثيمة : ما تقرأون في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فإنه في التوراة « يَا أَيُّهَا المساكين » . وأخرج البيهقي وأبو عبيدٍ وغيرهما عن ابن مسعود ، قال : سمعت الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، فأوعى سمعك ، فإنه خيرٌ يأمرُ به ؛ أو شرٌّ ينهى عنه .

التاسع : خطاب الذم ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٤) ، واتضمنته الإهانة لم يقع في القرآن غير هذين الموضعين ، وأكثر الخطاب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٥) ، على المواجهة وفي جانب الكفار بلفظ الغيبة ، إعراضاً عنهم كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٦) ، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٧) .

العاشر : خطاب الكرامة ؛ كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ ، قال بعضهم : ونجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول ، وكذا عكسه ، كقوله في الأمر بالتشريع العام ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(٨) ، وفي مقام الخاص ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ^(٩) ، قال : وقد يدبر بالنبي في مقام التشريع العام ، لكن مع قرينة إرادة العموم ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ ^(١٠) ، ولم يقل : « طلقت » .

الحادى عشر : خطاب الإهانة ، نحو ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ ^(١١) ، ﴿ اخْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ^(١٢) .

(٣) التحريم ٧

(٦) الأفال ٣٨

(٩) الطلاق ١

(٢) الأفال ٧٤

(٥) البقرة ٦

(٨) التحريم ١

(١١) المؤمنون ١٠٨

(١) النساء ١٢٦

(٤) الكافرون ١

(٧) المائدة ٦٧

(١٠) الحجر ٣٤

الثاني عشر : خطاب التهكم ، نحو ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ^(١) .
 الثالث عشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٢) .

الرابع عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ .. ﴾ ^(٣) ،
 إلى قوله : ﴿ فَذَرُوهُمْ فِي غَمَرِهِمْ ﴾ ^(٤) ، فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده ،
 إذ لا نبي معه ولا بعده .

وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قُوبُوا .. ﴾ ^(٥) ، الآية ، خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده ،
 وبدليل قوله : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ... ﴾ ^(٦) الآية ، وكذا
 قوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا ﴾ ^(٧) ، بدليل قوله : ﴿ قُلْ فَاتُوا ﴾ ^(٨) ،
 وجعل منه بعضهم : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ^(٩) ، أى ارجعنى . وقيل : « رب » خطاب له
 تعالى ، و « ارجعون » للملائكة .

وقال السهيلي : هو قول مَنْ حضرته الشياطين وزبانية العذاب ، فاختلط فلا يدري
 ما يقول من الشَّطَط . وقد اعتاد أمراً بقوله فى الحياة من ردّ الأمر إلى المخلوقين .

الخامس عشر : خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، نحو ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ ^(١٠) والخطاب
 للملك خازن النار ، وقيل : لخزنة النار والزبانية ، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين
 وقيل : للملكين الموكلين فى قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ^(١١) ،
 فيكون على الأصل ، وجعل المهدوى من هذا النوع ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا ﴾ ^(١٢) .
 قال : الخطاب لموسى وحده ، لأنه الدّاعى . وقيل لهما ، لأن هارون آمن على دعائه
 والمؤمن أحد الدّاعيين .

(٣) المؤمنون ٥١

(٢) الافطار ٦

(١) الدخان ٤٩

(٦) النحل ١٢٧

(٥) النحل ١٢٦

(٤) المؤمنون ٥٤

(٩) ق ٢٤

(٨) المؤمنون ٩٩

(٧) هود ١٣ ، ١٤

(١١) يونس ٨٩

(١٠) ق ٢١

السادس عشر : خطاب الاثنين بلفظ الواحد ، كقوله : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ ^(١) ،
أى : ويأهرون ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفرد بالنداء لإدلاله عليه بالتربية .

والآخر : لأنه صاحب الرسالة والآيات ، وهارون تبع له ، ذكره ابن عطية .
وذكر في الكشف آخر ، وهو أن هارون لما كان أفصح من موسى ، نكس .
ومثله ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ^(٢) . قال ابن عطية : أفرد بالشقاء لأنه
المخاطب أولاً ، وانقصود في الكلام ، وقيل : لأنه الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في
جانب الرجال . وقيل : إغضاء عن ذكر المرأة كما قيل : من الكرم ستر الحرم .

السابع عشر : خطاب الاثنين افظ الجمع ، كقوله ﴿ أَنْ تَبْوَآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوُتَا
وَاجْمَعُوا بَيْوُتَكُمْ قَبْلَةَ ﴾ ^(٣) .

التاسع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد كقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو
مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ ^(٤) قال ابن الأنباري : جمع في الفعل الثالث
ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثله ﴿ بَايَئُهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ
النِّسَاءَ ﴾ ^(٥) .

العشرون : عكسه ، نحو ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٧) .

الحادى والعشرون : خطاب الاثنين بعد الواحد ، نحو ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَمْلِكَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٨) .

الثانى والعشرون : عكسه ، نحو : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ .

(٣) يونس ٨٧

(٦) البقرة ٤٣

(٢) طه ١١٧

(٥) الطلاق ١

(٨) يونس ٧٨

(١) طه ٤٩

(٤) يونس ٦١

(٧) يونس ٨٧

الثالث والعشرون : خطاب العين والمراد به الغير ، نحو : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) ، الخطاب له ، والمراد أمته لأنه صلى الله عليه وسلم كان قتيلاً ، وحاشاه من طاعة الكفار ! ومنه ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ ... ﴾ ^(٢) الآية ، حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك ؛ وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في هذه الآية قال : لم يشك صلى الله عليه وسلم ، ولم يسأل . ومثله ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ... ﴾ ^(٣) الآية ، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٤) ، وأنحاء ذلك .

الرابع والعشرون : خطاب الغير والمراد به العين ، نحو : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ ^(٥) .

الخامس والعشرون : الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين ، نحو : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ ﴾ ^(٨) ، لم يقصد بذلك خطاب معين ، بل كل أحد ، وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم ، يريد أن حالهم تناهت في الظهور ، بحيث لا يختص بهاء دون راء ، بل كان من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب .

السادس والعشرون : خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره ، نحو : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ ^(٩) ، خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال للكفار : ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ ^(٩) ، بدليل ﴿ قُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٩) ، ومنه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ... ﴾ ^(١٠) إلى قوله : ﴿ اتَّوَمُّنُوا ﴾ ^(١١) ، فيمن قرأ بالفوقية .

(٣) الزخرف ٤٥

(٦) الحج ١٨

(٩) هود ١٤

(٢) يونس ٩٤

(٥) الأنبياء ١٠

(٨) السجدة ١٢

(١) الأحزاب ١

(٤) الأنعام ٣٥

(٧) الأنعام ٢٧

(١٠) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

السابع والعشرون : ، خطاب التلوين وهو الانفات .

الثامن والعشرون : خطاب الجمادات خطاب مَنْ يَعْقِل ، نحو : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (١) .

التاسع والعشرون : خطاب التهييج ، نحو : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

الثلاثون : خطاب التَّحْنُن والاستعطاف ، نحو ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ... ﴾ (٣) .

الحادى والثلاثون : خطاب التحبُّب ، نحو ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ﴾ (٤) ، ﴿ يَا بَنِيَّ إِسْهَأْ إِنْ تَكُ ﴾ (٥) ، ﴿ يَا بَنِيَّ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ﴾ (٦) .

الثانى والثلاثون : خطاب التمجيز ، نحو ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ ﴾ (٧) .

الثالث والثلاثون : خطاب التشريف ، وهو كل ما فى القرآن مخاطبة «مُؤَلَّ» ، فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة ، بأن يخاطبها بغير واسطة ، لتفوز بشرف المخاطبة .

الرابع والثلاثون : خطاب المعدم ، ويصح ذلك تبعاً لموجود ، نحو ﴿ يَا بَنِيَّ آدَمَ ﴾ ، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل مَنْ بعدهم .

فائدة

قال بعضهم : خطاب القرآن ثلاثة أقسام :

قسم لا يصلح إلا للنبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) الزمر ٥٣

(٦) طه ٩٤

(٢) المائدة ٢٣

(٥) لقمان ١٦

(١) فصات ١١

(٤) مريم ٤٤

(٧) البقرة ٢٣

وقسم لا يصلح إلا لغيره .

وقسم لهما .

قال ابن القيم : مل خطاب القرآن تجد ميسكا له الملك كله ، وله الحمد كله ، أزمت الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه ، ومهداها إليه ، مستويا على العرش ، لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته ، عالما بما في نفوس عبيده ، مطلعا على أسرارهم وعلايتهم ، منفردا بتدبير المملكة ، يسمع ويرى ، ويعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويهين ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقدر ويقضى ويدبر ، الأمور نازلة من عنده ، دقيقها وجليلها ، وصاعده إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه . فتأمل كيف تجده يُبنى على نفسه ، ويمجد نفسه ، ويمجد نفسه ، وينصح عباده ، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغبهم فيه ، ويحذّرهم مما فيه هلاكهم ، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ، ويتجّب إليهم بنعمه وآلائه ، يذكّرهم بنعمه عليهم ، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ، ويحذّرهم من نقمه ، ويذكّرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه ، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بصنمه في أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ، ويبنى على أوليائه بصلاح أعمالهم وأحسن أوصافهم ، ويذم أعداءه بسبّ أعمالهم ، وقبيح صفاتهم ، ويضرب الأمثال ، وينوع الأدلة والبراهين ، ويحيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ويهدي السبيل ويدعو إلى دار السلام ، ويذكّر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ، ويذكّر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكّر عباده فقرهم إليه ، وشدة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكّرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات ، وأنه الغني بنفسه عن كل ماسواه ، وكل ماسواه فقير إليه ، وأنه لن ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضلہ ورحمته . ولا ذرة من الشرّ فما فوقها إلا ببدله وحكمته ، وتشهد من خطابه عتابه لأحبابه أطف عتاب ، وأنه مع ذلك مقلّ عثراتهم ، وغافر زلاتهم ، ومقيم أعدارهم ومصلح فسادهم ، والدافع عنهم ، والحامي عنهم والناصر لهم ،

والكفيل بمصالحهم ، والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده ، وأنه وليهم الذى لا رى لهم سواه ، فهو مولاهم الحق ، ونصيرهم على عدوهم ، فنعم المولى ونعم النصير ! وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً ، جوّاداً رحيماً جميلاً ، هذا شأنه ، فكيف لا تحبه وتنافس فى القرب منه ، وتنفق أنفاسها فى التودّد إليه ، ويكون أحبّ إليها من كلّ ماسواه ، ورضاه أثر عندها من رضا كلّ من سواه ! وكيف لا تلهجُ بذكره وتصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها ، وقوتها ودواؤها بحيث إن فقدت وهاسكت لم تنتفع بحياتها .

فائدة

قال بعض الأقدمين : أنزل القرآن على ثلاثين نحوه ، كل نحوه منه غير صاحبه ؛ فمن عرف وجوهها ، ثم تكلم فى الدين أصاب ووفق ، ومن لم يعرفها متكلّم فى الدين خطأ إليه أقرب ، وهى : المسكى والمدنى ، والناسخ والمنسوخ ، والحكم والمشابه ، والتقديم والتأخير ، والقطع والوصول ، والسبب والإضمار ، والخاص والعام ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، والحدود والأحكام ، والخبر ، والاستفهام والأبهة ، والحروف المنصرفة ، والإعذار والإنذار ، والحجة والاحتجاج ، والمواعظ والأمثال ، والقسم .

قال فالمسكى : مثل ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(١) .

والمدنى : مثل ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

والناسخ والمنسوخ ، واضح .

والحكم ، مثل ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا... ﴾ ^(٣) الآية ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ ^(٤) ؛ ونحوه مما أحكمه الله وبيّنه .

والمتشابه ؛ مثل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ... ﴾ ^(١) الآية ، ولم يقل : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وظَلَمًا فسوف نصليه ناراً ﴾ ^(٢) ، كما قال في المحكم ، وقد ناداهم في هذه الآية بالإيمان ، وسهام عن المعصية ، ولم يجعل فيها وعيداً ، فاشتبه على أهلها ما يفعل الله بهم .

والتقديم والتأخير : مثل ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ ^(٣) ، التقدير : يكتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت .
والمقطوع والموصول ؛ مثل ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤) فلا مقطوع من أقسم ، وإنما هو في المعنى : « أقسم بيوم القيامة وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » ، ولم يقسم .
والسبب والإضمار : مثل ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٥) أي أهل القرية .

والخاص والعام : مثل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ فهذا في المسموع خاص : ﴿ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ﴾ ^(٦) ، فصار في المعنى عاماً .

والأمر : وما بعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة .
والأبهة : مثل ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا ﴾ ^(٧) ، ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ ^(٨) عبر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيماً وتعتيلاً وأبهة .

والحروف المصروفة : كالفتنة تطلق على الشرك ، نحو : ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ ^(٩) .
وعلى الممذرة نحو : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ ^(١٠) أي معذرتهم .
وعلى الاختبار ؛ نحو : ﴿ قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ ^(١١) .
والاعتذار ، نحو : ﴿ فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ ^(١٢) ، اعتذر أنه لم يفعل ذلك إلا بمعصيتهم .

والبواقي أمثلتها واضحة .

(١) النور ٢٧	(٢) النساء ٣٠	(٣) البقرة ١٨٠
(٤) القيامة ١	(٥) يوسف ٨٢	(٦) الطلاق ١
(٧) نوح ١	(٨) الزخرف ٣٢	(٩) البقرة ١٩٣
(١٠) الأمام ٢٢	(١١) طه ٨٥	(١٢) المائدة ١١٣

النوع الثاني والخسون

في حقيقته ومجازه

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن ، وهي كل لفظ بقي على موضوعه ، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، وهذا أكثر الكلام .

وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه ، وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خوير مندود من المالكية ، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن منزّه عنه ، وأن التكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة ، فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى . وهذه شبهة باطلة ، ولوسقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلوة القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها .

وقد أفردّه بالتصنيف : الإمام عز الدين بن عبد السلام ؛ ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سمّيته « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » ، وهو قسمان :

الأول : المجاز في التركيب ، ويسمى مجاز الإسناد ، والمجاز العقلي وعلاقته الملائسة ، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى ما هو له أصالة للملاسة له ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ ^(١) ، نُسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات ، لكونها سبباً لها . ﴿ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي ﴾ ^(٣) ، نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون ، والبناء وهو فعل العملة إلى هامان لكونها أمرين به .

وكذا قوله : ﴿ وَأَخْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ^(٤) ، نسب الإحلال إليهم لتسبيهم في كفرهم بأمرهم بإيأم به .

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١)، نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه.

﴿عَيْشَةً رَاضِيَةً﴾^(٢)، أى مرضية .

﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾^(٣)، أى عزم عليه ، بدليل ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾^(٤).

وهذا القسم أربعة أنواع :

أحدها : ما طرفاه حقيقتان كآلية المصدر بها ، وكقوله : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٥).

ثانيها : مجازيان ، نحو : ﴿فَمَارَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾^(٦)، أى ماربحوا فيها ، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز .

ثالثها ورابعها : ما أحد طرفيه حقيقى دون الآخر .

أما الأول والثانى فكقوله : ﴿أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾^(٧) أى برهانا ، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ * نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو﴾^(٨) فإن الدعاء من التار مجاز . وقوله : ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٩)، ﴿تَوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(١٠)، ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾^(١١)، واسم الأم الهاوية مجاز ، أى كما أن الأم كافلة لولدها وماجانله ، كذلك التار للكافرين كافة وماوى ومرجع .

القسم الثانى : المجاز فى المفرد ، ويسمى ألفوى ، وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولا ، وأنواعه كثيرة :

(١) الزمّل ١٧	(٢) الحاقه ٢١	(٣) محمد ٢١
(٤) آل عمران ١٥٩	(٥) الزلزلة ٢	(٦) البقرة ١٦
(٧) ابروم ٣٥	(٨) العارج ١٥	(٩) محمد ٤
(١٠) المنافقون ٤	(١١) القارعة ٩	

أحدها : الحذف ، وسيأتى مبسوطاً في نوع المجاز ، فهو به أجدر ، خصوصاً إذا قلنا : إنه ليس من أنواع المجاز .

الثاني : الزيادة ، وسبق تحرير القول فيها في نوع الإعراب .

الثالث : إطلاق اسم الكل على الجزء ، نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(١) ، أى أناملهم ، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من ، الفرار فكأنهم جعلوا الأصابع ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾^(٢) ، أى وجوههم ، لأنه لم ير جملتهم ، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٣) ، أطلق الشهر وهو اسم ثلاثين ليلة ، وأراد جزء منه ؛ كذا أجاب به الإمام نحر الدين عن استشكل أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط ، والشرط أن يشهد الشهر ، وهو اسم لكله حقيقة ؛ فكأنه أمر بالصوم بعد مضي الشهر ؛ وليس كذلك ، وقد قسره على وابن عباس وابن عمر على أن المعنى : من شهد منكم الشهر فليصمه جميعه ؛ وإن سافر في أثنائه . أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما ، وهو أيضاً من هذا النوع ، ويصلح أن يكون من نوع الحذف .

الرابع : عكسه ، نحو ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٤) ، أى ذاته ، ﴿قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٥) ، أى ذواتكم إذا الاستقبال يجب بالصدر ، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ﴾^(٦) ، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾^(٧) ، عبر بالوجوه عن جميع الأجساد ، لأن التثنية والنصب حاصل كلها ، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ﴾^(٨) ، ﴿بِمَا قَدَّمْت أُيُودِيكُمْ﴾^(٩) ، أى قدمت وكسبتم ، ونسب ذلك إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال تراول بها ، ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾^(١٠) ، ﴿وَقُرْ أَنْ الْفَجْرِ﴾^(١١) ، ﴿وَارْكَعْوَاعَ الرَّأْكِمِينَ﴾^(١٢) ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾^(١٣) ،

(٣) البقرة ١٨٥

(٦) النافسية ٨

(٩) الأنفال ٥١

(١٢) البقرة ٤٣

(٢) إبراهيم ٢٥

(٥) البقرة ١٤٤

(٨) الحج ١٠

(١١) الإسراء ٧٨

(١) البقرة ١٩

(٤) الرحمن ٢٧

(٧) النافسية ٣ ، ٢

(١٠) الزمزل ١

(١٣) الإنسان ٢٦

أطلق كلاً من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها، ﴿هَذَا بِالْعَمَةِ﴾ (١)، أى الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها .

تنبيهه : أَلْحَقَ بِهِذَيْنِ النُّوعَيْنِ شَيْئَانِ :

أحدهما : وصف البعض بصفة الكل ، كقوله : ﴿نَاصِيَةٍ * كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (٢)، فالخطأ صفة الكل ، وصف به الناصبة عكسه كقوله : ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٣) . والوجل صفة القلب ، ﴿وَلَمَّا نَسُوا مَا فِيهِمْ رُغِبُوا﴾ (٤) . والرغب إنما يكون فى القلب .

والثانى : إطلاق لفظ بعض مراداً به الكل ، ذكره أبو عبيدة ، وخرج عليه قوله ﴿وَلَا يَبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ (٥) أى كله ، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُضِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (٦) ، وتُعَقَّبُ بأنه لا يجب على النبي بيان كل ما اختلف ، فيه بدليل الساعة والروح ونحوهما ، وبأن موسى كان وعدهم بعذاب فى الدنيا وفى الآخرة ، فقال : « يصبكم هذا العذاب فى الدنيا ، وهو بعض الوعيد من غير نفي عذاب الآخرة » ، ذكره ثعلب .

قال الزركشى : ويحتمل أيضاً أن يقال : إن الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه ، فكيف بعضه ! ويؤيد ما قاله ثعلب قوله : ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفِينَاكَ فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ﴾ (٧) .

الخامس : إطلاق اسم الخاص على العام ، نحو ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨) ، أى رسله .

السادس : عكسه ، نحو ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٩) ، أى المؤمنين بدليل قوله : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١٠) .

(٣) الحجر ٥٢

(٦) غافر ٢٨

(٩) الشورى

(٢) العلق ١٦ ، ١٧

(٥) الزخرف ٦٣

(٨) الشعراء ١٦٠

(١) المائدة ٩٥

(٤) الكهف ١٨

(٧) يونس ٤٦

(١٠) غافر ٧

السابع : إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، نحو ... (١)

الثامن : عكسه ، نحو ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (٢) ، أى هل يفعل ؟ أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له .

التاسع : إطلاق السبب على السبب ، نحو ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ (٣) ، ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ (٤) ، أى مطراً يستبب عنه الرزق واللباس ، ﴿ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ (٥) ، أى مؤنة من مهر ونفقة وما لا بد للمتزوج منه .

العاشر : عكسه ، نحو ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ (٦) ، أى القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع .

تفسيه : من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب ، كقوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا إِمَّاءً كَانَا فِيهِ ﴾ (٧) ، ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبُو يَكْمُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ (٨) ، فإن المخرج فى الحقيقة هو الله تعالى ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب الأكل وسوسة الشيطان .

الحادى عشر : تسمية الشئ باسم ما كان عليه ، نحو ﴿ وَآتُوا الَّتِي نَامَى أُمُّوَاهُم ﴾ (٩) ، أى الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد البلوغ ، ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ (١٠) ، أى الذين كانوا أزواجهن ، ﴿ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾ (١١) ، سماء مجرماً باعتبار ما كان فى الدنيا من الإجرام .

الثانى عشر : تسميته باسم ما يؤول إليه ، نحو ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ (١٢) ، أى عنباً يؤول إلى الخمرية ، ﴿ وَلَا يَدُّوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (١٣) ، أى صائراً إلى الكفر

(١) بياض فى الأصل

(٤) الأعراف ٢٦

(٧) البقرة ٣٦

(١٠) البقرة ٢٣٢

(١٣) نوح ٢٧

(٢) المائدة ١١٢

(٥) النور ٣٣

(٨) الأعراف ٢٧

(١١) طه ٧٤

(٣) غافر ١٣

(٦) هود ٢٠

(٩) النساء ٢

(١٢) يوسف ٣٦

(م ٨ - الإنشقاق - ج ٢)

والفجور ﴿وَحَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجَاغِيرَهُ﴾ ^(١)، سماء زوجاً لأن المقدبول إلى زوجية ؛ لأنها لا تنكح إلا في حال كونه زوجاً، ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ^(٢)، ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾، وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم .

الثالث عشر: إطلاق اسم الحال على المحل ، نحو ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٣)، أى في الجنة ، لأنها محل الرحمة ، ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ ، أى في الليل ^(٤)، ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ ^(٥)، أى في عينك ، على قول الحسن .

الرابع عشر : عكسه ، نحو ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ^(٦)، أى أهل ناديه ، أى مجلسه . ومنه التعبير باليد عن القدرة ، نحو ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ^(٧) .

وباللقاب عن العقل ، نحو ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ^(٨)، أى عقول .

وبالأنفواء عن الألسن ، نحو ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ^(٩) .

وبالقربة عن ساكنيتها ، نحو ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ ^(١٠) .

وقد اجتمع هذا النوع وما قبله في قوله تعالى : ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ^(١١)، فإن أخذ الزينة غير ممكن لأنها مصدر ، فالمراد محلها ، فأطلق عليه اسم الحال ، وأخذها للمسجد نفسه لا يجب ؛ فالمراد الصلاة ، فأطلق اسم المحل على الحال .

الخامس عشر : تسمية الشيء باسم آله ، نحو ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ ^(١٢)، أى ثناء حسناً لأن اللسان آله ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ ^(١٣)، أى بلغة قومه .

(٣) آل عمران ١٠٧

(٦) الطلق ١٧

(٩) آل عمران ١٦٧

(١٢) الشعراء ٨٤

(٢) الصافات ١٠١

(٥) الأنفال ٤٢

(٨) الأعراف ١٧٩

(١١) الأعراف ٣١

(١) البقرة ٢٣٠

(٤) سبأ ٣٣

(٧) الملك ١

(١٠) يوسف ٨٢

(١٣) إبراهيم ٤

السادس عشر : تسمية الشيء باسم ضده ، نحو ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) ،
والبشارة حقيقة في الخبر السار ، ومنه تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارِف عنه ،
ذكره السكاكي ، وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ ^(٢) ، يعني ما دعاك
إلى ألا تسجد ؟ وسلم بذلك من دعوى زيادة « لا »

السابع عشر : إضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيهاً ، نحو ﴿ حِذَاراً يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ﴾ ^(٣) ، وصفه بالإرادة ؛ وهي من صفات الحى ، تشبيهاً لميله للوقوع بإرادته .

الثامن عشر : إطلاق الفعل والمااد مشارفته ومقاربتة وإرادته ، نحو : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ
أَجَلَهُمْ فَأَمْسِكُوهُمْ ﴾ ^(٤) أى قاربين بلوغ الأجل ، أى انقضاء العدة ، لأن الإمساك لا يكون
بعدة ، وهو فى قوله : ﴿ فَيَلْفَنَ أَجَلَهُمْ فَلَا تَعْضُلُوهُمْ ﴾ ^(٥) حقيقة ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ^(٦) ، أى فإذا قرب مجيئه . وبه يندفع السؤال
المشهور فيها ، أن عند مجيئ الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير ، ﴿ وَلَيَخْشَى الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا
مِنْ خَلْفِهِمْ ... ﴾ ^(٧) الآية ، أى لو قاربوا أن يتركوا خافوا لأن الخطاب الأوصياء ؛ وإنما
يتوجه إليهم قبل الترك لأنهم بعده أموات ، ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾ ^(٨) ، أى
أردتم القيام ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾ ^(٩) أى أردت القراءة ، لتكون الاستعاذة
قبلها ، ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْتَأْ ﴾ ^(١٠) ، أى أردنا إهلاكها ، وإلا
لم يصح العطف بالقاء .

وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ ^(١١) ، أى مَنْ يرد الله

(٣) الكهف ٧٧

(٦) الأعراف ٣٤

(٩) البحل ٩٨

(٢) الأعراف ١٢

(٥) البقرة ٢٣٢

(٨) المائدة ٦

(١١) الكهف ١٧

(١) آل عمران ٢١

(٤) البقرة ١٣٤

(٧) النساء ٩

(١٠) الأعراف ٤

هدايته ، وهو حسن جدًا لئلا يتعد الشرط والجزاء .

التاسع عشر : القاب ؛ إما قاب إسناد ، نحو : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ اَتَقْنُوهُ بِالْمَعْصِيَةِ ﴾ ^(١) ،
 أى اتقوا العصية بها ، ﴿ اِكْلُ أَجَلٍ كِتَابٍ ﴾ ^(٢) ، أى لكل كتاب أجل ، ﴿ وَحَرِّمْنَا
 عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ ^(٣) ، أى حرّمناه على المراضع ، ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى
 النَّارِ ﴾ ^(٤) ، أى تعرض النار عليهم ، لأن المروض عليه هو الذى له الاختيار . ﴿ وَإِنَّهُ
 لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٥) أى وإن حبه للخير ، ﴿ وَإِنْ يَرِ دُكَ يُخَيْرِ ﴾ ^(٦) ، أى يرد بك الخير .
 ﴿ فَتَنَّا قِيَّ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٧) ؛ لأن المتأق حقيقة هو آدم كما فرى بذلك أيضاً .
 أو قلب عطف ، نحو : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ﴾ ^(٨) ، أى فانظر ثم تول ، ﴿ ثُمَّ دَنَا
 فَتَدَلَّى ﴾ ^(٩) ، أى تدلى فدنا ، لأنه بالتدلى مال إلى الدنو .

أو قلب تشبيه ، وسيأتى فى نوعه .

العشرون : إقامة صيغة مقام أخرى ، وتحت أنواع كثيرة :

منها إطلاق المصدر على الفاعل ، نحو : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ﴾ ^(١٠) ، ولهذا أفرده .
 وعلى المفعول ، نحو : ﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ ^(١١) أى من معلومه ، ﴿ صَنَعَ اللَّهُ ﴾ ^(١٢)
 أى مصنوعه ، ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ^(١٣) ، أى مكذوب فيه ، لأن الكذب
 من صفات الأقوال لا الأجسام .

ومنها إطلاق البشرى على البشر به ، والهوى على الهوى ، والقول على القول .

ومنها إطلاق الفاعل والمفعول على المصدر ، نحو : ﴿ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ ^(١٤) ،

(٣) القصص ١٢

(٦) يونس ١٠٧

(٩) النجم ٨

(١٢) النمل ٨٨

(٢) الرعد ٣٨

(٥) العاديات ٨

(٨) النمل ٢٨

(١١) البقرة ٢٥٥

(١٤) الواقعة ٢

(١) القصص ٧٦

(٤) الأحقاف ٢٠

(٧) البقرة ٣٧

(١٠) الشعراء ٧٧

(١٣) يوسف ١٨

أى تكذيب ، ﴿بِأَيْكُمْ التَّفْتُونُ﴾ ^(١) أى الفتنة ، على أن الباء غير زائدة .

ومنها إطلاق فاعل على مفعول ، نحو ﴿مَاءٌ دَافِقٌ﴾ ^(٢) أى مدفوق ، ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ^(٣) أى لا معصوم ، ﴿جَمَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ ^(٤) ، أى مأموناً فيه .

وعكسه نحو : ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ ^(٥) أى آتياً ؛ ﴿حِجَابًا مُسْتَوْرًا﴾ ^(٦) ، أى ساتراً . وقيل : هو على بابه ، أى مستوراً على العيون لا يحسن به أحد .

ومنها إطلاق « فاعيل » بمعنى « مفعول » ، نحو ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ ^(٧) .

ومنها إطلاق واحدٍ من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها .

مثال إطلاق المفرد على المثنى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ ^(٨) أى يرضوهما ، فأفرد لتلازم الرضاهين .

وعلى الجمع ، نحو ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ ^(٩) ، أى الأناسى ، بدليل الاستثناء منه ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا﴾ ^(١٠) بدليل ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾ ^(١١) .

ومثال إطلاق المثنى على المفرد ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ ^(١٢) ، أى ألقى .

ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط ، نحو ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ^(١٣) ؛ وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب ، ونظيره ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُونٍ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ ^(١٤) ؛ وإنما يخرج الحلية من الملح ، ﴿وَجَمَلَ الْقَمَرِ فِيهِ نُورًا﴾ ^(١٥) أى فى إحداهن ، ﴿نَسِيًا حُوشَهَا﴾ ^(١٦) ،

(٣) هود ٤٣

(٦) الإسراء ٤٥

(٩) القصص ٢

(١٢) الرحمن ٢٢

(١٥) الكهف ٦١

(٢) الصافات ٦

(٥) مريم ٦١

(٨) التوبة ٦٢

(١١) في ٢٥

(١٤) نوح ١٦

(١) القلم ٦

(٤) العنكبوت ٦٧

(٧) الفرقان ٥٥

(١٠) المعارج ١٩ ، ٢٢

(١٣) فاطر ١٢

وَالنَّاسِي يَوْشَعَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ لِمُوسَى: ﴿فَأَيُّ نَسِيتُ الْخُوتَ﴾^(١)، وَإِنَّمَا أَضِيفَ النَّسِيَانُ إِلَيْهِمَا مَعَ لِسْكَوتِ مُوسَى عَنْهُ، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢)، وَالتَّعَجُّيلُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣)، قَالَ الْفَارَسِيُّ: أَيْ مِنْ إِحْدَى الْقَرِيبَيْنِ. وَلَيْسَ مِنْهُ ﴿وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾^(٤)، وَأَنَّ الْمَعْنَى جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، خِلَافًا لِلْفَرَّاءِ. وَفِي كِتَابِ «ذَا الْقَدَّةِ» لَابْنِ جُنِّي أَنَّ مِنْهُ ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْإِيمَانِ﴾^(٥)، وَإِنَّمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ دُونَ صَدِيقِهِ.

وَمِثَالُ إِطْلَاقِهِ عَلَى الْجَمْعِ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾^(٦)، أَيْ كَرَاتٍ؛ لِأَنَّ الْبَصَرَ لَا يَحْسَرُ إِلَّا بِهَا. وَجَعَلَ مِنْهُ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ: ﴿الطَّلَاقُ رَتَانٍ﴾^(٧).

وَمِثَالُ إِطْلَاقِ الْجَمْعِ عَلَى الْفَرْدِ ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٨)، أَيْ أَرْجِنِي. وَجَعَلَ مِنْهُ ابْنُ فَارَسٍ: ﴿فَنَاطِرَةٌ يَمُوزُ جَيْعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٩)، وَالرَّسُولُ وَاحِدٌ، بِدَلِيلِ ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾^(١٠). وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ خَاطِبُ رُئُسِهِمْ، لِأَسْمَا وَعَادَةِ الْمُلُوكِ جَارِيَةً أَلَّا يُرْسَلُوا وَاحِدًا. وَجَعَلَ مِنْهُ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(١١)، ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالزَّوْجِ﴾^(١٢)، أَيْ جَبْرِيلَ، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾^(١٣) وَالْقَاتِلُ وَاحِدٌ.

وَمِثَالُ إِطْلَاقِهِ عَلَى الْمُثْنِ: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِفَتَيْنِ﴾^(١٤)، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾^(١٥)، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ الشُّدُسُ﴾^(١٦) أَيْ أَخَوَانِ، ﴿فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(١٧) أَيْ قُلُوبَاكُمْ. ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾^(١٨) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١٩).

وَمِنْهَا إِطْلَاقُ السَّاضِي عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ، نَحْوُ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٢٠) أَيْ

(٣) الزخرف ٣١

(٦) الملك ٤

(٩) النمل ٣٥

(١٢) النمل ٢

(١٥) ص ٢٢

(١٨) الأنبياء ٧٨

(٢) البقرة ٢٠٣

(٥) المائدة ١١٦

(٨) المؤمنون ٩٩

(١١) آل عمران ٣٩

(١٤) فصلت ١١

(١٧) التحريم ٤

(١) الكهف ٦٣

(٤) الرحمن ٦

(٧) البقرة ٢٢٩

(١٠) النمل ٣٧

(١٣) البقرة ٧٢

(١٦) النساء ١١٠

(١٩) النمل ١

الساعة، بدليل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(١). ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٢)، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾^(٣) الآية. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤). ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾^(٥).

وعكسه، لإفادة الدوام والاستمرار، فكأنه وقع واستمر، نحو: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْإِسْرِ﴾^(٦)، ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾^(٧). أى تلت، ﴿وَاقْذَرْنَا نَعْلَمُ﴾^(٨) أى علمنا، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾^(٩) أى علم، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾^(١٠) أى قتلتهم، ﴿فَقَرِيعًا كَذَبْتُمْ وَقَرِيعًا قَتَلْتُمْ﴾^(١١)، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(١٢) أى قالوا.

ومن لواحق ذلك، التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول، لأنه حقيقة في الحال لافى الاستقبال، نحو ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ﴾^(١٣). ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾^(١٤).

ومنها إطلاق الخبر على الطلب أمراً أو نهياً أو دعاء، مبالغة في الحث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه. قال الزمخشري: ورود الخبر، والمراد الأمر أو النهي أبلغ من صريح الأمر أو النهي؛ كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأخبر عنه، نحو: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾^(١٥)، ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِضْنَ﴾^(١٦)، ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(١٧) على قراءة الرفع، ﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(١٨)، أى لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الطَّهْرُونَ﴾^(١٩) أى لا يمسسه، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٢٠)، أى لا تعبدوا بدليل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢١).

(٣) المائة ١٦٦

(٦) البقرة ٤٤

(٩) النور ٦٤

(١٢) الرعد ٤٣

(١٥) البقرة ٢٣٣

(١٨) البقرة ٢٧٢

(٢١) البقرة ٨٣

(٢) الزمر ٦٨

(٥) الأعراف ٤٨

(٨) النحل ١٠٣

(١١) البقرة ٨٧

(١٤) هود ١٠٣

(١٧) البقرة ١٩٧

(٢٠) البقرة ٨٣

(١) النحل ١

(٤) إبراهيم ٢١

(٧) البقرة ١٠٣

(١٠) البقرة ٩١

(١٣) الفاريات ٦

(١٦) البقرة ٢٢٨

(١٩) الواقعة ٧٩

﴿لَا تَحْزِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١) ، أى اللهم اغفر لهم وعكسه ، نحو : ﴿قَلِمَةً دُذِّ لَهُ الرَّحْمَنُ مِدًّا﴾^(٢) ، أى يمد ، ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾^(٣) ، أى ونحن حاملون ، بدليل ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤) ، والكذب إنما يرد على الخبر ، ﴿فَاتَّضَحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكِوْا كَثِيرًا﴾^(٥) .

قال السكاكشي : فى الآية الأولى الأمر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر ، لتضمنه اللزوم نحو : « إن زرتنا فلنكرمك » ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم . وقال ابن عبد السلام : لأن الأمر للإيجاب ، فشبّه الخبر به فى إيجابه .

منها : وضع النداء موضع التعجب ، نحو : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٦) . قال الفراء : معناه ، فيا لها حسرة ! وقال ابن خالويه : هذه من أصعب مسألة فى القرآن ، لأن الحسرة لاتنادى ، وإنما ينادى الأشخاص لأن فائدته التنبيه ، ولسكن اللفى على التعجب .

ومنها وضع جمع القلة موضع السكثرة ، نحو ﴿وَهُمْ فِي الْفُرُقَاتِ آمِنُونَ﴾^(٧) ، وغرف الجنة لا تحصى ، ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٨) ، ورُتَّب الناس فى علم الله أكثر من المشرة لا محالة ، ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ﴾^(٩) ، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾^(١٠) ، ونكتة التقليل فى هذه الآية التسهيل على المكلفين .

وعكسه ، نحو ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١١) . ومنها تذكير المؤنث على تأويله بمدكر ، نحو : ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١٢) ، أى وعظ ، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾^(١٣) ، على تأويل البلدة بالمكان .

(٣) العنكبوت ١٢

(٦) سبأ ٣٧

(٩) البقرة ١٨٤

(١٢) فى ١١

(٢) مريم ٧٥

(٥) يس ٣٠

(٨) الزمر ٤٢

(١١) البقرة ٢٧٥

(١) يوسف ٩٢

(٤) النبوة ٨٢

(٧) الأفعال ٤

(١٠) البقرة ٢٢٨

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ^(١) ، أى الشمس أو الطالع . ﴿ إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) . قال الجوهري : ذكرت على معنى الإحسان .

وقال الشريف المرتضى فى قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ^(٣) : إِنْ الإِشَارَةُ الرَّحْمَةُ ؛ وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ : « وَلَتَاكَ » لِأَن تَأْنِيثَهَا غَيْرُ حَقِيقٍ ؛ وَلَأنَّهُ يَحُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي تَأْوِيلِ « أَنْ يَرْحَمَ » .

ومنها تأنيث المذكور ؛ نحو ﴿ الَّذِينَ يَرْتُؤْنَ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُمْ فِيهَا ﴾ ^(٤) ، أَنْتَ الْفِرْدَوْسُ وَهُوَ مَذْكُورٌ حَمَلًا عَلَى مَعْنَى الْجَنَّةِ ، ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ^(٥) ، أَنْتَ « عَشْرًا » حَيْثُ حُذِفَ الْهَاءُ مَعَ إِضَافَتِهَا إِلَى « الْأَمْثَالِ » وَوَاحِدُهَا مَذْكُورٌ ، فَقِيلَ الْإِضَافَةُ الْأَمْثَالُ إِلَى مُؤَنَّثٍ ، وَهُوَ ضَمِيرُ الْحَسَنَاتِ ، فَكَتَبَ مِنْهُ التَّأْنِيثُ وَقِيلَ : هُوَ مِنْ بَابِ مِرَاعَاةِ الْمَعْنَى ؛ لِأَن « الْأَمْثَالِ » فِي الْمَعْنَى مُؤَنَّثَةٌ ، لِأَن مِثْلَ الْحَسَنَةِ حَسَنَةٌ ، وَالتَّقْدِيرُ : فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ أَمْثَالِهَا . وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْقَوَاعِدِ الْمَهْمَةَ قَاعِدَةٌ فِي التَّذَكُّيرِ وَالتَّأْنِيثِ .

ومنها التَّغْلِيْبُ ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ . وَقِيلَ : تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمَغْلُوبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ ، وَإِطْلَاقُ لَفْظِهِ عَلَيْهِمَا إِجْرَاءً لِلْمُخْتَلِفَيْنِ مَجْرَى الْمُتَّفِقَيْنِ ، نَحْوُ ﴿ وَكَأَنْتَ مِنَ الْقَائِتِينَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ إِلَّا أَمْرًا أَنَّهُ كَأَنْتَ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ^(٧) ، وَالْأَصْلُ : « مِنْ الْقَائِتَاتِ » وَ« الْغَابِرَاتِ » ، فَعُدَّتِ الْإِنْتَى مِنَ الْمَذْكُورِ بِحُكْمِ التَّغْلِيْبِ ، ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُخَيَّلُونَ ﴾ ^(٨) ، أَيْ تَتَوَّاهُ الْخُطَابُ تَغْلِيْبًا لْجَانِبِ « أَنْتُمْ » عَلَى جَانِبِ « قَوْمٌ » ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يُوَقَّى بَيَاءُ الْغَيْبَةِ لِأَنَّهُ صِفَةُ « قَوْمٍ » ، وَحَسَنَ الْعُدُولِ عَنْهُ وَقَوْعُ الْمَوْصُوفِ خَبْرًا عَنْ ضَمِيرِ الْخَاطِبِينَ ، ﴿ قَالَ أَذْهَبَ قَوْمٌ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ ﴾ ^(٩) ،

(١) الأنعام ٧٨	(٢) الأعراف ٥٦	(٣) هود ١١٨ ، ١١٩ ، وانظر أمالي المرتضى ١ : ٧٠
(٤) المؤمنون ١١	(٥) الأنعام ١٦٠	(٦) التحريم ١٣
(٧) الأعراف ٨٢	(٨) النمل ٥٥	(٩) الإسراء ٦٣

غلب في الضمير المخاطب وإن كان « مَنْ تَبِعَكَ » ، يقتضى الغيبة ، وحسنه أنه لما كان الغائب تبعاً للمخاطب في المعصية والعقوبة ، جعل تبعاً له في اللفظ أيضاً ، وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى ، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) ، غاب غير العاقل ، حيث أتى بـ « ما » لكثرة وفي آية أخرى بـ « من » ، فغلب العاقل لشرفه ، ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ^(٢) ، أدخل شعيب في « لَتَعُودُنَّ » بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود فيها ، وكذا قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٤) ، عُدَّ منهم بالاستثناء تغليبا لكونه كان بينهم ، ﴿ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ ^(٥) ، أى المشرق والمغرب . قال ابن الشجري : وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين ، ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ^(٦) أى الملح والمذب ، والبحر خاص بالملح ، فغلب لكونه أعظم ، ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ ﴾ ^(٧) ؛ أى من المؤمنين والكفار ، والدرجات للملأ ، والدرجات للسفل ، فاستعمل الدرجات فى القسمين تغايماً للأشرف .

قال فى البرهان : وإتاما كان التغليب من باب المجاز ؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ، أَلَا تَرَى أَنَّ « الْقَائِنَيْنِ » ، موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاقاً على غير ما وضع له ، وكذا باقى الأمثلة .

ومنها استعمال حروف الجر فى غير معانيها الحقيقية كما تقدم فى النوع الأربعين . ومنها استعمال صيغة « أفعل » ، لغير الوجوب وصيغة « لاتفعل » لغير التحريم ، وأدوات الاستفهام لغير طالب التصور والتصديق ، وأداة التثنية والتثنية والتثنية لغيرها ؛ كما سياتى كل ذلك فى الإنشاء .

ومنها التضمن ؛ وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء .

أما الحروف فتقدم في حروف الجر وغيرها .

وأما الأفعال ؛ فإن يُضمَّنَ فعلٌ معنى فعل آخر ، فيكون فيه معنى الفعلين معاً ؛ وذلك بأن يأتي الفعل متعدباً بحرف ليس من عادته التمدى به ، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التمدى به ، والأول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف . واختلفوا : أيها أولى ؟ فقال أهل اللغة وقومٌ من النحاة : التوسع في الحرف . وقال المحققون : التوسع في الفعل ؛ لأنه في الأفعال أكثر ، مثاله ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فيشرب إنما يتعدى بمن ، فتعديته بالباء إنما على تضمينه معنى « يروى » و « يلتذ » ، أو تضمين الباء معنى « من » نحو ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٢) ، فالرفث لا يتعدى إلى إلا على تضمين معنى الإفضاء ، ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ ^(٣) والأصل : « في أن » ، فضمن معنى « أدعوك » ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٤) ، عدبت بمن لتضمنها معنى العفو والصفح .

وأما في الأسماء ؛ فإن يُضمَّنَ اسمٌ معنى اسم ، لإفادة معنى الاسمين معاً ، نحو : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ ^(٥) ، ضمن « حقيق » معنى « حريص » ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه ؛ وإنما كان التضمن مجازاً ؛ لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً ، فالجمع بينهما مجاز .

فصل

في أنواع مختلف في عدّها من المجاز

وهي ستة :

أحدها : الحذف ، فالمشهور أنه من المجاز ، وأنكره بعضهم لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه ، والحذف ليس كذلك .

وقال ابن عطية : حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه ، وليس كل حذف مجازاً .

وقال القرافي : الحذف أربعة أقسام :

قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه ، من حيث الإسناد ، نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) ، أى أهلها ؛ إذ لا يصح إسناد السؤال إليها .

وقسم يصح بدونه ، لكن يتوقف عليه شرعاً ، كقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ^(٢) ، أى فأفطر فعدة ..

وقسم يتوقف عليه عادة لاشرعاً ، نحو : ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِمِصْرَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ ﴾ ^(٣) ، أى فضربه .

وقسم يدلّ عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة ، نحو : ﴿ فَبَقِصْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ ^(٤) دلّ الدليل على أنه إنما قبض من أثر حافر فرس الرسول .

وليس في هذه الأقسام مجاز إلا الأول .

وقال الزنجاني في المعيار ^(٥) : إنما يكون مجازاً إذا تغير حكم ؛ فأما إذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازاً ، إذ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام .

وقال القزويني في الإيضاح : متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة ، فهي مجاز ،

(٣) الشعراء ٦٣

(١) يوسف ٨٢ (٢) البقرة ١٨٤

(٤) طه ٩٦ (٥) هو عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي ، من علماء العربية وكتابه معيار النظار في علوم الأسماء ، وهو أيضاً صاحب كتاب المصنوع به على غير أهله . توفي سنة ٦٥٥ .. فيه الرواة ٢ : ١٢٢

نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) ، فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الإعراب نحو : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَيَا رَحْمَةً ﴾ ^(٤) فلا توصف الكلمة بالمجاز .

الثاني : التأكيد ؛ زعم قوم أنه مجاز ، لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول . والصحيح أنه حقيقة .

قال الطرطوسي في العمدة : ومن سماه مجازاً قلنا له : إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو : « عجل عجل » ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثاني مجازاً جاز في الأول ، لأنهما في لفظ واحد ، وإذا بطل تحمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني عليه ، لأنه مثل الأول .

الثالث : التشبيه ؛ زعم قوم أنه مجاز ، والصحيح أنه حقيقة .

قال الزنجاني في المعيار : لأنه معنى من المعاني ، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً ، فليس فيه قتل اللفظ عن موضوعه .

وقال الشيخ عز الدين : إن كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز ، بناء على أن الحذف من باب المجاز .

الرابع : الكناية ، وفيها أربعة مذاهب :

أحدها أنها حقيقة ، قال ابن عبد السلام : وهو الظاهر ، لأنها استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره .

الثاني : أنها مجاز .

الثالث : أنها لا حقيقة ولا مجاز ، وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنه في المجاز أن يُراد المعنى الحقيقي مع المجازي ، وتجويزه ذلك فيها .

الرابع - وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي : أنها تنقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن استعملت اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة ، وإن لم يرد المعنى بل عبّر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز ، لاستعماله في غير ماوضع له . والحاصل أن الحقيقة منها أن يُستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ماوضع له ، والمجاز منها أن يريد به غير موضوعه استعمالاً وإفادة .

الخامس : التقديم والتأخير ، عدّه قومٌ من المجاز لأن تقديم مرتبته التأخير كالمفعول وتأخير مرتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحدٍ منهما عن مرتبته وحقّه .

قال في البرهان : والصحيح أنه ليس منه ، فإن المجاز نقل ماوضع إلى مالم يوضع له .

السادس : الالتفات ، قال الشيخ بهاء الدين السبكي : لم أر من ذكر : هل هو حقيقة أو مجاز ؟ قال : وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد .

* * *

فصل

فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين

هو الموضوعات الشرعية ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع ، مجازات بالنظر إلى اللغة

* * *

فصل

في الوسطة بين الحقيقة والمجاز

قيل بها في ثلاثة أشياء :

أحدها : اللفظ قبل الاستعمال ، وهذا القسم مفقود في القرآن ، ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للإشارة إلى الحروف التي يتركب منها الكلام .

ثانيها : الإعلام .

ثالثها : اللفظ المستعمل في المشاكلة ، نحو ﴿ وَمَكْرُؤًا دَسَّاسًا ﴾ (١) ،
﴿ وَجَزَاءً سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (٢) . ذكر بعضهم أنه واسطة بين الحقيقة والمجاز ، قال :
لأنه لم يوضع لما استعمل فيه ، فليس حقيقة ، ولا علاقة معتبرة فليس مجازاً ، كذا في
شرح بدعيّة ابن جابر لرفيقه .

قلت : والذي يظهر أنها مجاز والعلاقة المصاحبة .

* * *

خاتمة

لهم مجاز المجاز ، وهو أن يجعل الحجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى
مجاز آخر ، فيتجاوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ
سِرًّا ﴾ (٣) ، فإنه مجاز عن مجاز ، فإن الوطاء تجوز عنه بالسّر لكونه لا يقع غالباً إلا في
السّر ، وتجوز به عن العقد ، لأنه مسبب عنه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والثاني
السببية ، والمعنى : « لا تواعدوهم عَقْدَ نِكَاحٍ » .

وكذا قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ (٤) فإن قوله : ﴿ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٥) ، مجاز عن تصديق القلب بدلول هذا اللفظ ، والعلاقة السببية لأن توحيد
اللسان مسبب عن توحيد الجنان ، والتعبير : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » عن الوجدانية من مجاز
التعبير بالقول عن المقول فيه .

وجعل منه ابن السّيد قوله : ﴿ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ (٦) ، فإن المنزل عليهم
ليس هو نفس اللباس ، بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس .

(٣) البقرة ٢٣٥

(٦) الأعراف ٢٦

(٢) الشورى ٤٠

(٥) الصافات ٣٥

(١) آل عمران ٥٠

(٤) المائدة ٥

النوع الثالث والخمسون في تشبيه واستعاراته

التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها .
قال المبرد في الكامل : لو قال قائل : هو أكثر كلام العرب لم يُبعد .
وقد أفرّد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي ، في كتاب سماه
« الجمان » ^(١) .
وعرفه جماعة ، منهم السكاكي ، بأنه الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى .
وقال ابن أبي الإصبع : هو إخراج الأغص إلى الأظهر .
وقال غيره : هو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه .
وقال بعضهم : هو أن تثبت للتشبيه حكماً من أحكام التشبيه به ، والغرض منه
تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ، وإدناؤه البعيد من القريب ليفيد بياناً .
وقيل : الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار .
وأدواته حروف وأسماء وأفعال ؛ فالحروف : السكاف نحو « كرماد » ، وكان نحو
﴿ كَانَهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ^(٢) . والأسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المائلة والمشابهة ،
قال الطيبي : ولا تستعمل « مثل » إلا في حال أو صفة لها شأن ، وفيها غرابة . نحو
﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ ^(٣) . والأفعال
نحو ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ﴾ ^(٤) ، ﴿ يَحْتَمِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِجْرِهِمْ أَمْهًا تَسْقَى ﴾ ^(٥) .
قال في التلخيص اتباعاً للسكاكي : وربما يذكر فعل نبئ عن التشبيه ، فيؤتى

(١) هو كتاب الجمان في تشبيهات القرآن ، لأبي القاسم عبدالله بن محمد بن حسين المعروف بابن نايقا
المتوفى سنة ٤٨٥ . ذكره في كشف الظنون (٢) الصفات ٦٥ (٣) آل عمران ١١٧
(٤) النور ٢٩ (٥) طه ٦٦

في التشبيه القريب بنحو « عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا » الدال على التحقيق ، وفي البعيد بنحو « حَسِبْتُ زَيْدًا أَسَدًا » ، الدال على الظن وعدم التحقيق .

وخالفه جماعة ، منهم الطيبي فقالوا: في كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء ، والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد ، وأن الأداة محدوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه .

ذكر أقسامه

ينقسم التشبيه باعتبارات :

الأول : باعتبار طرفيه ، إلى أربعة أقسام ، لأنها إما حسيان أو عقليان ، أو المشبهة حتى ، والمشبهة عقلي ، أو عكسه .

مثال الأول : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ^(١) ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ^(٢) .

ومثال الثاني : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ ^(٣) ، كذا مثل به في البرهان ، وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسمة ، وهو غير ظاهر ، بل هو واقع بين القلوب والحجارة ، فهو من الأول .

ومثال الثالث : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ ^(٤) .

ومثال الرابع لم يقع في القرآن ، بل منعه الإمام أصلاً ، لأن العقل مستفاد من الحس ، فالحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وهو غير جائز . وقد اختلف في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ ﴾ ^(٥) .

* * *

(٣) البقرة ٧٤

(٢) القمر ٢٠

(١) يس ٣٩

(٩ - الإيقان - ج ٣)

(٥) البقرة ١٨٧

(٤) إبراهيم ١٨

الثاني : ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب، والمركب أن يتركب وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض ، كقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَخْمَلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(١) ، فالتشبيه مركب من أحوال الخمر ، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نفع مع تحمل التعب في استصحابه . وقوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(٢) ، إلى قوله : ﴿ كَلَمْ تَتَغَنَّ بِالْأُنْثَى ﴾ ^(٣) ، فإن فيه عشر جل ، وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه ، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء ، وأثبت أنواع العُشب وزَيْنَ بزخرفها وجه الأرض ، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها ، وظنوا أنها مسلّمة من الجوائح أنها باس الله فجأة ، فكانها لم تكن بالأنس .

وقال بعضهم : وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران : أحدهما : أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به ، فكذلك الدنيا .

والثاني : أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا . وقوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... ﴾ ^(٤) الآية ، فشبهه بنوره الذي يلقى في قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ، إما بوضعه في مشكاة وهي الطاقة التي لا تنفد ، وكونها لا تنفد لتكون أجمع للبصر ، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في صفائها . وذهن المصباح من أصفى الأذهان وأقواها وقوداً ، لأنه من زيت شجرة في وسط السراج ، لا شرقية ولا غربية ، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار ، بل تصيبها الشمس أعدل إصابة ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين ، أحدهما كسراب بقيعة ، والآخر كظلمات في بحرٍ عُلّجى ... إلى آخره ، وهو أيضاً تشبيه تركيب .

* * *

الثالث : يتقسم باعتبار آخر إلى أقسام :

أحدها : تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع ، اعتماداً على معرفة التقيض والصدق ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله : ﴿ وَذَلَعَهَا كَأَنَّه رُهْوِسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ^(١) ، شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما حصل في نفوس الناس من بشاعة صورة الشياطين وإن لم ترها عياناً .

الثاني : عكسه ، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عاياه ، كقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ . . ﴾ ^(٢) الآية . أخرج مالا يحسن وهو الإيمان ، إلى ما يحسن وهو السراب ، والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة .

الثالث : إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ ^(٣) ، والجامع بينهما الارتقاء في الصورة .

الرابع : إخراج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٤) ، والجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة .

الخامس : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ الْجُودَارِ الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ^(٥) ، والجامع فيهما العظم ، والفائدة إثبات القدرة على تسخير الأجسام العظام في الطف ما يكون من الماء ، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال ، وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة ، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان ، فتضمن الكلام نبأ عظيماً من الفخر وتعداد النعم ؛ وعلى هذه الأوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن .

(٣) الأعراف ١٧١

(٢) النور ٣٩

(١) المائدة ٦٥

(٥) الرحمن ٢٤

(٤) الحديد ٢١

السادس : ينقسم باعتبار آخر إلى :

مؤكد، وهو ما حذف فيه الأداة ، نحو ﴿وَمِمَّا تَرَىٰ فِي مَرْأَةِ السَّحَابِ﴾ ^(١) ، أى مثل مر السحاب . ﴿وَأَرْوَاهُ آمَنًا لَهُمْ﴾ ^(٢) ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ^(٣) . ومرسل ، وهو ما لم تحذف كآيات السابقة .
والمحذوف الأداة أبلغ لأنه نُزل فيه الثانى منزلة الأول تجوزاً .

قاعدة

الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وقد تدخل على المشبه ، إما لقصد المبالغة فيقاب التشبيه ، ويجعل المشبه هو الأصل ، نحو ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ ^(٤) ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ، لأن الكلام في الربا لا في البيع ، فمدلوا عن ذلك ، وجعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز ، لأنه الخلق بالحل . ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ ^(٥) ، فإن الظاهر العكس ، لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة ، تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فغولف في خطابهم لا شئهم بالغوا في عبادتهم ، وغلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة ، فجاء الرد على وثق ذلك .

وإما لوضوح الحال ، نحو ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرُكَ لَا أَنْتِي﴾ ^(٦) ، فإن الأصل : « وليس الأنثى كالأذكر » ، وإما عدل عن الأصل ، لأن المعنى « وليس الذكر الذى طلبت كالأنتى التى وهبت » . وقيل : لمراعاة الفواصل ، لأن قبله : ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ ^(٧) .

وقد تدخل على غيرها اعتماداً على فهم المخاطب ، نحو ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ

(٢) الأحزاب ٦

(٤) البقرة ٢٧٥

(٦) آل عمران ٣٦

(١) النمل ٨٨

(٣) آل عمران ١٣٣

(٥) النحل ١٧

عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ... ﴿١﴾ الآية ، المراد : « كونوا أنصار الله خالصين في الانقياد كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا... » .

* * *

قاعدة

القاعدة في المدح تشبيه الأذى بالأعلى ، وفي الذم تشبيه الأعلى بالأذى ؛ لأن الذم مقام الأذى ، والأعلى طارى عليه ، فيقال في المدح : حصى كالياقوت ، وفي الذم : باقوت كالزجاج . وكذا في السلب ، ومنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ اسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (٢) ، أى في النزول لا في الملأ . ﴿ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٣) ، أى في سوء الحال ، أى لا يجعلهم كذلك .

نعم أورد على ذلك ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ (٤) ، فإنه شبه فيه الأعلى بالأذى ، لا في مقام السلب . وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين ، إذ لا أعلى من نوره فيشبه به .

* * *

قاعدة

قال ابن أبي الإصبع (٥) : لم يقع في القرآن تشبيه شيتين بشيتين ، ولا أكثر من ذلك ، إنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد .

* * *

فصل

رُوحُ الحجاز بالتشبيه ، فتولد بينهما الاستعارة ، فهي مجاز علاقته المشابهة ، أو يقال

(١) الصف ١٤ (٢) الأحزاب ٣٢ (٣) ص ٢٨ (٤) النور ٣٥ (٥) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر العلواني المصري ، صاحب التصانيف في دبرج القرآن وغيره . توفي سنة ٦٥٤ . النجوم الزهراء ٧ : ٣٧

في تعريفها : اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي .

والأصح أنها مجاز لقوى ، لأنها موضوعة للشبه به لا للشبه ، ولا لأعم منهما ، فأسد في قولك : رأيت أسداً يرمى ، موضوع للتسبع لا للشجاع ، ولا لمعنى أعم منهما كالحيوان الجري مثلاً ، ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما .

وقيل : مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لقوى ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، فكان استعمالها فيما وضعت له ، فيكون حقيقة لقوى ، ليس فيها غير نقل الاسم وحده ، وليس نقل الاسم المجرد استعارة ؛ لأنه لا بلاغة فيه ، بدليل الأعلام المتقولة ، فلم يبق إلا أن يكون مجازاً عقلياً .

وقال بعضهم : حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها ، وحكمة ذلك إظهار الخفي ، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي ، أو حصول المبالغة أو المجموع ، مثال إظهار الخفي ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) فإن حقيقته : « وإنه وأصل الكتاب » ، فاستعير لفظ الأم للأصل ، لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول ، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ في البيان . ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ ﴾ ^(٢) ، فإن المراد أمر الولد بالذل والديهر حمة ، فاستعير للذل أولاً « جانب » . ثم للجانب جناح ، وتقدير الاستعارة القرابية : « واخفض لهما جانب الذل » ، أي اخفض جانبك ذلاً ، وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئياً ، لأجل حسن البيان ، ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة ممكناً ، احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ؛ فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب ؛ لأن من مِيلَ جانبه إلى جهة السفلى أدنى ميل صدق عليه

أنه خفض جانبه ، والراد خفضً يلقى الجانب بالأرض ، ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالطائر .

ومثال المبالغة : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ^(١) ، وحقيقته : « وفجّرنا عيون الأرض » ، ولو عتبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأول الشعر بأن الأرض كلها صارت عيوناً .

• • •

فرع

أركان الاستعارة ثلاثة : مستعار ، وهو لفظ المشبه به ، ومستعار منه ، وهو معنى اللفظ المشبه ، ومستعار له ، وهو المعنى الجامع .

وأقسامها كثيرة باعتبارات ، فنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام :

أحدها : استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس ، نحو ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ^(٢) ، فالمستعار منه هو النار ، والمستعار له الشيب ، والوجه هو الانسباط ، ومثابه ضوء النار لبياض الشيب ، وكل ذلك محسوس ، وهو أبلغ مما لو قيل « اشتغل شيب الرأس » ، لإفادة عموم الشيب لجميع الرأس . ومثله ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، أصل الموج حركة الماء ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة ، والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة . ﴿ وَالطُّيُفُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ^(٤) استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرف عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً ، بجامع التتابع على طريق التدريج ، وكل ذلك محسوس .

الثاني : استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي . قال ابن أبي الإصبع : وهي ألفت

(٣) الكهف ٩٩

(٢) مريم ٤

(١) القمر ١٢

(٤) التكويد ١٨

من الأولى ، نحو ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ^(١) ، فالاستمرار منه السَّخَرُ الذى هو كسَطُ الجلد عن الشاة ، والمستمرار له كشف الضوء عن مكان الليل ، وهما حَسِيَّان ، والجامع ما يُعْقَل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله ، كترتب ظهور اللحم على الكسَط ، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتب أمر عقلي . ومثله : ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾ ^(٢) ، أصل الحصيد النبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي .

الثالث : استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي . قال ابن أبي الإصبع : وهى الُطف الاستعارات ، نحو ﴿مَنْ يَمَثْنَا مِنْ مَرَقَدِنَا﴾ ^(٣) ، المستعار منه الرقاد ، أى النوم والمستعار له الموت ، والجامع عدم ظهور الفعل ، والكل عقلي . ومثله ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَصْبُ﴾ ^(٤) ، المستعار السكوت ، والمستعار منه الساكت ، والمستعار له الفصْب .

الرابع : استعارة محسوس لمعقول ، بوجه عقلي أيضاً ، نحو ﴿مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ^(٥) استعير المس وهو حقيقة فى الأجسام وهو محسوس بِلْقَاسَةِ الشدة ، والجامع الحقوق ، وهما عقليَّان . ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ ^(٦) ؛ فالقذف والدمغ مستعاران ، وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان . ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّمَا ذُلِّهِمْ﴾ ^(٧) ، استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول .

﴿فَاضْغَعِ يَمَّا تُؤْمَرُ﴾ ^(٨) ، استعير الصَّدع ، وهو كسر الزجاج ، وهو محسوس للتبليغ ، وهو معقول ، والجامع التأثير ، وهو أبلغ من « بَلَّغ » ، وإن كان بمعناه ؛ لأن تأثير الصدم أبلغ من تأثير التبليغ ، فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدم يؤثر جزئاً . ﴿وَخَفِضَ لَهُمَا﴾

(٣) يس ٥٢
(٦) الأنبياء ١٨

(٢) يونس ٢٠
(٥) البقرة ٢١٤
(٨) الحجر ٩٤

(١) يس ٣٧
(٤) الأعراف ١٥٥
(٧) آل عمران ١١٢

جَنَاحَ الذَّلِّ ﴿١﴾ ، قال الراغب : لما كان الذَّلُّ على ضربين : ضرب يضع الإنسان وضرب يرفعه ، وقصد في هذا المكان إلى ما يرفع ، استعير لفظ الجناح ، فكانه قيل : استعمل الذَّلُّ الذي يرفعك عند الله . وكذا قوله : ﴿ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿ أَقْمَنُ أَسَسَ بُدْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿ وَيَبْفُوهَا عِوَجًا ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ﴿٦﴾ ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ﴿٧﴾ ، ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ﴿٨﴾ ، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ بِدَكَ مَقُولَةً إِلَى غُنْفِكَ ﴾ ﴿٩﴾ ، كلها من استعارة المحسوس للمعقول والجامع عقلي .

الخامس : استعارة معقول لمحسوس ، والجامع عقلي أيضاً ، نحو ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ المستعار منه التكبر ، وهو عقلي ، والمستعار له كثرة الماء وهو حسي ، والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً ، ومثله ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ ﴿١٠﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ﴿١١﴾ .

• • •

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى :

أصاية ، وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، كآية ﴿ يَحْبِلُ اللَّهُ ﴾ ﴿١٢﴾ ، ﴿ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ﴿١٣﴾ ، ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ ﴿١٤﴾ .

وتبعية ، وهي ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس ، كالفعل والمشتقات ، كآثار الآيات السابقة ، وكالحروف ، نحو ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ ﴿١٥﴾ ، شبه ترتب

(٣) آل عمران ١٨٧

(٦) الطلاق ١١

(٩) الإسراء ٢٩

(١٢) آل عمران ١٠٣

(١٥) القصص ٨

(٢) الأنعام ٦٨

(٥) الأعراف ٥٥

(٨) الشعراء ٢٢٥

(١١) الإسراء ١٢

(١٤) الشعراء ٢٢٥

(١) الإسراء ٢٤

(٤) التوبة ١٠٩

(٧) الفرقان ٢٣

(١٠) الملك ٨

(١٣) الطلاق ١١

العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائبة عليه ، ثم استعير في المشبه اللام الموضوعة
للمشبه به .

وتنقسم باعتبار آخر إلى : مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة :

فالأولى : وهي أبلغها ، أن تقرن بما يلائم المستعار منه ، نحو ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ قَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾^(١) ، استعير الاشتراء للاستبدال
والاختيار ، ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة .

والثانية : أن تقرن بما يلائم المستعار له ، نحو : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخُوفِ ﴾^(٢) ، استعير اللباس للجوع ، ثم قرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة ؛ ولو أراد
الترشيح لقال : « فكساها » ، لكن التجريد هنا أبلغ ، لما في لفظ الإذاقة من المبالغة
في الألم باطناً .

والثالثة : ألا تقرن بواحد منهما .

وتنقسم باعتبار آخر إلى : تحقيقية ، وتخييلية ، وممكنية ، وتصريحية .

فالأولى : ما تحقق معناها حساً ، نحو : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ ... ﴾ الآية ، أو عقلاً نحو
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾^(٣) ، أى بياناً واضحاً وحجة لامة ، ﴿ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٤) أى الدين الحق ؛ فإن كلاً منهما يتحقق عقلاً .

والثانية : أن يضمّر التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه .

ويدل على ذلك التشبيه المضمّر في النفس ، بأن يثبت للمشبّه أمر مختصّ بالمشبّه به .
ويسمى ذلك التشبيه المضمّر استعارة بالكناية ، ومكنياً عنها ، لأنه لم يصرّح به ،
بل دلّ عليه بذكر خواصّه .

وبقائه التصريحية ؛ ويسمى إثبات ذلك الأمر المختصّ بالمشبّه به للمشبّه استعارة
تخييلية ، لأنه قد استعير للمشبّه ذلك الأمر المختصّ بالمشبّه به ، وبه يكون كمال المشبّه به
وقوامه في وجه الشبه لتخيل أن المشبّه من جنس المشبّه به . ومن أمثلة ذلك : ﴿ الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ^(١) ، شبه العهد بالحبل وأضمر في النفس ، فلم يصرّح
بشيء من أركان التشبيه سوى العهد المشبّه ، ودلّ عليه بإثبات النقص الذي هو من
خواصّ المشبّه به وهو الحبل ، وكذا ﴿ وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ^(٢) طوى ذكر
المشبّه به وهو النار ، ودلّ عليه بلازمه وهو الاشتغال . ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ ... ﴾ ^(٣) الآية ،
شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ ، فأوقع عليه الإذافة ، ﴿ خَتَمَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٤) ، شبهها في ألا تقبل الحق بالشيء الموثوق المختوم . ثم أثبت لها الختم
﴿ حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ^(٥) ، شبه ميلانه للسقوط بانحراف الحى ، فأثبت له الإرادة
التي هي من خواصّ العقلاء .

ومن التصريحية آية ﴿ مَسْتَهْمُ الْبُأْسَاءِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مِرٍّ قَدِينًا ﴾ ^(٧) .

* * *

وننقسم باعتبار آخر إلى :

وفاقية ، بأن يكون اجتماعها في شيء ممكناً ، نحو : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا
فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ^(٨) أى ضالاً فهديناه ، استعير الإحياء من جعل الشيء حياً للهداية التي
بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب ، والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعها في شيء .

(٣) النحل ١١٢

(٦) البقرة ٢١٤

(٢) مريم ٤

(٥) الكهف ٧٧

(٨) الأحكام ١٢٢

(١) القصة ٢٧

(٤) البقرة ٧

(٧) يس ٥٢

وعنادية ، وهى مالا يمكن اجتماعها فى شىء . كاستعارة اسم المعلوم للموجود لعدم نفعه ، واجتماع الوجود والعدم فى شىء ممتنع .
ومن العنادية التهكمية والتلميحية ، وهما مااستعمل فى ضد أو تقيض ، نحو : ﴿ قَبِّشْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) ، أى أنذرهم ، استعملت البشارة وهى الإخبار بما يسر ، للإنداز الذى هو ضده ، بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء ، ونحو : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٢) ، عَنِ الْغَوَى السَّغِيهِ تَهْكُمًا ، ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ^(٣) .

وتنقسم باعتبار آخر إلى تمثيلية ، وهى أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد نحو : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٤) ، شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته ، والنجاة من المكاره باستمسك الواقع فى مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه ^(٥) .

تنبيه

قد تكون الاستعارة بلفظين ، نحو ﴿ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ^(٦) ، يعنى تلك الأوانى ليست من الزجاج ولا من الفضة ، بل فى صفاء القارورة وبياض الفضة . ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ^(٧) ، فالصب كناية عن الدوام ، والوسط عن الإبلام ، فالعنى عذبهم عذابا دائما مؤلما .

فائدة

أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز ، وقوم إطلاقها فى القرآن لأن فيها

(٣) الدخان ٤٩

(٦) الإنسان ١٥

(٢) هود ٨٧

(٥) والقسم الثانى غير تمثيلية .

(١) آل عمران ٢١

(٤) آل عمران ١٠٢

(٧) الفجر ١٣

إيهاماً للحاجة ؛ ولأنه لم يرد في ذلك إذن من الشرع ، وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي .

وقال الطرطوسي : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها ، وإن امتنعوا امتنعنا ، ويكون هذا من قبيل : « إن الله عالم » ، والعلم هو العقل لا نصفه به لعدم التوقيف . انتهى .

• • •

فائدة ثانية

تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها ، واتفق البلغاء على أن لاستعارة أبلغ منه لأنها مجاز وهو حقيقة ، والمجاز أبلغ ، فإذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة ، وكذا الكناية أبلغ من التصريح ، والاستعارة أبلغ من الكناية ، كما قال في عروس الأفراح ^(١) : إنه الظاهر ، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة ، ولأنها مجاز قطعاً . وفي الكناية خلاف .

وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية ، كما يؤخذ من الكشاف ، ويليها المكنية ، صرح به الطيبي لاشتمالها على المجاز العقلي ، والترشيفية أبلغ من المجردة والمطابقة ، والتخييلية أبلغ من التحقيقية والمراد بالأبلغية إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه ، لازيادة في المعنى ، لا توجد في غير ذلك .

• • •

خاتمة

من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة ، نحو « زيد أسد » . قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ صُمُّكُمْ غُمٌّ ﴾ ^(٢) : فإن قلت : هل يسمى ما في الآية استعارة ؟ قلت : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليفاً لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور ، وهم المناقون ؛ وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأحمد بن علي السبكي التوفي سنة ٧٧٣

(٢) البقرة ١٨

المستعار له ، ويُجمل الكلام خلوا عنه ، صالحاً لأن يراد المنقول عنه ، والمنقول له لولا دلالة الحال أو خوى الكلام ، ومن ثم ترى المقلقين السحرة يتناسون التشبيه ؛ ويضربون عنه صفحا .

وعلمه السكاكي بأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة ، وتابعه صاحب الإيضاح ^(١) .

قال في عروس الأفراح : وما قالا ممنوع ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام أصرفه إلى الحقيقة في الظاهر . قال : بل لو عكس ذلك ، وقيل : لا بد من عدم صلاحيته لكان أقرب ، لأن الاستعارة مجاز لا بد له من قرينة ؛ فإن لم تكن قرينة امتنع صرفه إلى الاستعارة ، وصرفناه إلى حقيقته ؛ وإما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة إما لفظية أو معنوية نحو « زيد أسد » ، فالإخبار به عن زيد قرينة صارفة عن إرادة حقيقته . قال : والذي نختاره في نحو « زيد أسد » أنه قسمان : تارة يقصد به التشبيه ، فتكون أداة التشبيه مقدرة ، وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ، ويكون الأسد مستعملاً في حقيقته ، وذكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة ، دالة عليها ؛ فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه ، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة ، والاستعارة أولى ، فيصار إليها .

وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي في « قوانين البلاغة » ^(١) . وكذا قال حازم ^(٢) : الفرق بينهما أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ، لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .

(١) الإيضاح في المعاني والبيان لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الفزوي ، المتوفى سنة ٧٢٩

(٢) قوانين البلاغة لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩

(٣) هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأنصاري القرطبي ، شيخ البلاغة والأدب ، وصاحب كتاب

منهاج البلاغة . توفي سنة ٦٨٤ - بقبعة الرعاة ١ : ٤٩١

النوع الرابع والخمسون

في كنايةاته وتعريفه

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة ، وقد تقدم أن الكناية أبلغ من التصريح .
وعرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه .

وقال الطيبي : ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم ، فينتقل منه إلى اللزوم .
وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه ، بناء على أنها مجاز ، وقد تقدم الخلاف
في ذلك .

• • •

والكناية أسباب :

أحدها : التنبية على عظم القدرة ، نحو ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١)
كناية عن آدم .

ثانيها : ترك اللفظ إلى ما هو أجل ، نحو ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً
وَلِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٢) ، فكسب بالنعمة عن المرأة كمادة العرب في ذلك ؛ لأن ترك
التصريح بذكر النساء أجل منه ، ولهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم . قال
السهيلي : وإنما ذكرت مريم باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنسبته ، وهو أن الملوك
والأشراف لا يذكر حوائجهم في ملأ ، ولا يتذكرون أسماءهن ، بل يكونون عن الزوجة
بالعرس والعيال ونحو ذلك ؛ فإذا ذكروا الإمام لم يكنوا عنهن ، ولم يصنوا أسماءهن
عن الذكر ، فلما قالت النصاري في مريم ما قالوا ، صرح الله باسمها ؛ ولم يكن تأكيذاً
للعبودية التي هي صفة لها وتأكيذاً ، لأن عيسى لا أب له وإلا لنسب إليه .

ثالثها : أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ، ككناية الله عن الجماع بالملامسة
والمباشرة والإفشاء والرفق والدخول ، والسرف في قوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾^(٣) .

والغشيان في قوله : ﴿ فَلَمَّا تَفَشَّاهَا ﴾ ^(١) ، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال :
للمباشرة الجماع ، ولكن الله يكتني .

وأخرج عنه قال : إن الله كريم يكتني ما شاء ، وإن الرفث هو الجماع ، وكنتي عن طلبه
بالمرادة في قوله : ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ^(٢) ، وعنه أو عن المعاقبة
باللباس في قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ^(٣) ، وبالحرث في قوله :
﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) .

وكنتي عن البول ونحوه بالغائط في قوله : ﴿ أَوْجَاءُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ ^(٥) ،
وأصله المكان المظلم من الأرض .

وكنتي عن قضاء الحاجة بأكل الطعام في قوله في مريم وابنها : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ ﴾ ^(٦) .

وكنتي عن الاسته بالآداب في قوله : ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأُذُنَا رُءُوسِهِمْ ﴾ ^(٧) ، أخرج
بن أبي حاتم عن مجاهد في هذه الآية ، قال : يعني أستاذهم ، ولكن الله يكتني .

وأورد على ذلك التصريح بالفرج في قوله : ﴿ أَلَّتِي أَخْصَنْتُ فَرْجَهَا ﴾ ^(٨) .

وأجيب : بأن المراد به فرج القميص ، والتعبير به من لطف الكنايات وأحسنها ،
أى لم يعاق ثوبها بريبة ؛ فهي طاهرة الثوب ، كما يقال : نقي الثوب وعفيف الذيل ،
كناية عن العفة . ومنه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ^(٩) وكيف يُفْهَمُ أن تفتح جبريل وقع
في فرجها ، وإنما تفتح في جيب درعها .

ونظيره أيضاً : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ ﴾ ^(١٠) .

(٣) البقرة ١٨٧

(٦) المائدة ٧٥

(٩) المائدة ٤

(٢) يوسف ٢٣

(٥) المائدة ٦

(٨) التحريم ١٢

(١) الأعراف ١٨٩

(٤) البقرة ٢٢٣

(٧) محمد ٢٧

(١٠) المنتحة ١٣

قلت : وعلى هذا فى الآية كناية عن كناية ، ونظيره ما تقدم من مجاز المجاز .

رابعها : قصد البلاغة والمبالغة ، نحو : ﴿ أَوْ مَنْ بُنِشًا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ ^(١) ، كنى عن النساء بأنهن يُنْشَنَ فى الترفه والتزيُّن الشاغل عن النظر فى الأمور ودقيق المعانى ، ولو أتى بلفظ « النساء » لم يشعر بذلك ، والمراد نفي ذلك عن الملائكة ، وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ^(٢) ، كناية عن سعة جوده وكرمه جداً .
خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ « فعل » ، نحو : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ^(٤) ، أى فإن لم تأتوا بسورة من مثله .

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ^(٥) ، أى جهنمى مصيره إلى اللهب ، ﴿ حَمَآةَ الْحَطَبِ ﴾ فى جِيدِهَا حَبْلٌ ^(٥) ، أى تامة مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهم ، فى جيدها غُلٌّ .

قال بدر الدين بن مالك فى المصباح ^(٦) : إنَّما يُعدَّل عن التصريح إلى الكناية لنسكتة ، كالإيضاح ، أو بيان حال الأوصوف ، أو مقدار حاله ، أو القصد إلى المدح أو الذم ، أو الاختصار ، أو السر ، أو الصيانة ، أو التعمية والإغراز ، أو التعبير عن الصعب بالسهل ، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن .

واستنبط الزمخشري نوعاً من الكناية غريباً ، وهو أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر ، فتأخذ الخلاصة ، من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ، فتعبر بها عن المقصود ، كما تقول فى نحو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٧) : إنه كناية عن الملك ، فإنَّ الاستواء على السرير لا يحصل إلَّا مع الملك ، فجعل كناية عنه ، وكذا قوله :

(٣) المائة ٧٩

(٢) المائة ٦٤

(١) الزخرف ١٨

(٦) المصباح فى تلخيص الفتاح

(٥) تبت ١-٥

(٤) البقرة ٢٤

محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك بدر الدين ، الملقب بابن الناطم ، أحد أئمة النحو والمعانى والبيان والبدع ، توفى سنة ٦٨٦ هـ . طبقات الشافعية ٥ : ٤١

(م ١٠ إفتان ج ٣)

(٧) طه ، ٥

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ^(١) ، كناية عن عظمته وجلالته، من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز .

تذنيب

من أنواع البديع التي تشبه الكناية الإرداف ؛ وهو أن يريد المتكلم معنى ، ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بدلالة الإشارة ، بل بلفظ يُرادفه ، كقوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ^(٢) ، والأصل : «وهالك من قضى الله هلاكه ، ونجما من قضى الله نجاته» . وعُدل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز ، والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمرٍ آمرٍ مطاعٍ ، وقضاءٍ مَنْ لا يُردّ قضاؤه ، والأمر يستأزم أمراً ، فقضاؤه يدل على قدرة الأمر به وقهره ، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضّان على طاعة الأمر ؛ ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص .

وكذا قوله : ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى﴾ ^(٣) ، حقيقة ذلك «جلست» فعُدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه ، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لا زعج فيه ولا ميل ؛ وهذا لا يحصل من لفظ «الجلوس» .

وكذا : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ^(٤) ، الأصل «عفيفات» ، وعُدل عنه للدلالة على أمنهنّ مع العفة لا تطمح أعينهنّ إلى غير أزواجهنّ ، ولا يشتهين غيرهم . ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة .

قال بعضهم : والفرق بين الكناية والإرداف ، أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم ، والإرداف من مذكور إلى متروك .

ومن أمثلته أيضاً : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ^(٥) ، عدل في الجملة الأولى عن قوله «بالسوءى» ، مع أن فيه مطابقة للجملة

الثانية إلى « بما عملوا » ، تأديباً أن يُضاف السوء إلى الله تعالى .

* * *

فصل

للتناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة ، فقال الزمخشري :
الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئاً تدلّ به على
شيء لم تذكره .

وقال ابن الأثير : الكناية ما دلّ على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ،
بوصف جامع بينهما ، والتعريض اللفظ الدالّ على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو
المجازي ، كقول من يتوقع صلة : والله إنّي محتاج ؛ فإنه تعريض بالطلب ، مع أنه لم
يوضع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم من عرض اللفظ ، أي جانبه .

وقال الشبكي في كتاب الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض ^(١) :
الكناية لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى ، فهي بحسب استعمال اللفظ في
المعنى حقيقة ، والتجوز في إرادة إفادة ما لم يوضع له . وقد لا يراد منها المعنى ، بل يعتبر بالملزوم
عن اللازم ، وهي حينئذ مجاز ، ومن أمثاته : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ ^(٢) ، فإنه
لم يقصد إفادة ذلك لأنه معلوم ، بل إفادة لازمه ، وهو أنهم يردونها ويجدون حرّها
إن لم يجاهدوا . وآما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره ، نحو ﴿ بَلْ قَعَلَهُ
كَبِيرٌ ﴾ ^(٣) ، نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة ، كأنه غضب أن تعبد
الصفار معه ، تلويحاً لعبادها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة ، لما يعلمون إذا نظروا بمقولهم
من عجز كبيرها عن ذلك الفعل ، والإله لا يكون عاجزاً ، فهو حقيقة أبداً .

وقال السكاكي : التعريض ماسيق لأجل موصوف غير مذكور ، ومنه أن يخاطب

(١) كتاب الإغريض ، لثقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، ذكره صاحب كشف الظنون

(٢) الأبيات ٦٣٠

(٣) التوبة ٨١

واحدٌ ويراد غيره، وُسِّمِيَ به لأنه أميل الكلام إلى جانبٍ مشاراً به إلى آخر، يقال: نظر إليه بعُرض وجهه، أى جانبه.

قال الطَّيِّبُ: وذلك يُفعل إمَّا لتنويه جانب الموصوف، ومنه: ﴿وَرَقَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ ^(١) أى محمدًا صلى الله عليه وسلم إعلاءً لقدره، أى أنه العلم الذى لا يشنّه. وإمَّا لتلطّف به واحتراز عن الخاشنة، نحو: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ^(٢)، أى ومالككم لا تعبدون! بدليل قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ^(٣)، وكذا قوله: ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ^(٤)، ووجه حسنه إسماع مَنْ يقصد خطابه الحقّ على وجه يمنع غضبه، إذ لم يصرّح بنسبته للباطل والإعانة على قبوله إذ لم يُرَدِّ له إلّا ما أَرَادَه لنفسه.

وإمَّا لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، ومنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ^(٥)، خوطب النّبى صلى الله عليه وسلم، وأريد غيره، لاستحالة الشرك عليه شرعاً. وإمَّا للذم، نحو: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٦)، فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم فى حكم البهائم الذين لا يتذكرون.

وإمَّا الأهانة والتوبيخ، نحو: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ^(٧). وقال السبكي: التعريض قسمان:

قسم يراد به معناه الحقيقي ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم.

وقسم لا يراد، بل يُضرب مثلاً للمعنى الذى هو مقصود التعريض، كقول إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ^(٧).

التَوْعُّدُ الْخَامِسُ وَالْخُسُونُ
فِي التَّحْصِيرِ وَالْإِنْصَافِ

أما الحصر - ويقال له القصر - فهو تخصيص أمرٍ بآخرٍ بطريق مخصوص . ويقال أيضاً : إثبات الحكم للذكور ونفيه عما عداه .

وينقسم إلى قصر الموصوفِ على الصفة ، وقصر الصِّفة على الموصوف ؛ وكلٌّ منها إما حقيقى وإما مجازى .

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو « ما زيد إلا كاتب » ، أى لصفة له غيرها ، وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعدّد الإحاطة بصفات الشئ حتى يمكن إثبات شئ منها ونفى ما عداها بالكليّة ، وعلى عدم تعدّدها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ، ليس لها غيرها ؛ ولذا لم يقع في التزويل .

ومثاله مجازياً : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ ^(١) ، أى أنه مقصور على الرّسالة ، لا يمتدّها إلى التبرّى من الموت الذى استعظموه ، الذى هو من شأن الإله .

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

ومثاله مجازياً ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيما أُوحِيَ إِلَى مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً ... ﴾ ^(٣) الآية ، كما قال الشافعى فيما تقدّم نقله عنه في أسباب النزول : إن الكفار لما كانوا يَحُلُونَ الميّتة والدم ولحم الخنزير وما أَهَلَ أَفِيرَ الله به ، وكانوا يحرّمون كثيراً من المباحات ؛ وكانت سجيّتهم تخالف وضع الشرع ، ونزلت الآية مسبوقةً بذكّر شبههم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ؛ وكان الغرض أبانة كذبهم ؛ فكانه قال : لأحرّامٍ إلا ما أحلّتموه ؛ والغرض الردّ عليهم والمضادة ، لا الحصر الحقيقى ؛ وقد تقدّم بأبسط من هذا .

وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام : قصر أفراد ، وقصر قلب ، وقصر تعمين .
فالأول يخاطب به من يعتقد الشِّرْكة ، نحو : ﴿ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ ﴾ ^{الله} (١) ، خوُطب
من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهية .

والثاني : يخاطب به مَنْ يعتقد إثبات الحكم اغير من أثبته المتكلم له ، نحو : ﴿ رَبِّيَ
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٢) ، خوُطب به بمروذ ، الذي اعتقد أنه هو الحي المميت دون الله ،
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ ﴾ (٣) ، خوُطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء
دونهم ، ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ (٤) ، خوُطب به مَنْ يعتقد من اليهود اختصاص
بعقته بالعرب .

والثالث : يخاطب به مَنْ تساوى عنده الأمران ، فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ،
ولا لواحد بإحدى الصفتين بعينه .

* * *

فصل

طرق الحصر كثيرة :

أحدها : النفي والاستثناء ، سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرها ، والاستثناء بإلا ، أو
غير ، نحو ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٦) ، ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا
مَا أُمِرْتُ نَبِيًّا ﴾ (٧) . ووجه إفادته الحصر أن الاستثناء المفرغ لابد أن يتوجه النفي
فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه ؛ لأن الاستثناء إخراج ، فيحتاج إلى مخرج منه ، والراد
التقدير المعنوي لا الصناعي ، ولا بد أن يكون عاماً لأن الإخراج لا يكون إلا من
عام ، ولا بد أن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه ، مثل ما قام إلا زيد ؛ أي أحد وما
أكلت إلا تمرأ ؛ أي ما كولا . ولا بد أن يوافقه في صفته أي إعرابه ، وحينئذ يجب القصر إذا

(٣) البقرة ١٣
(٦) آل عمران ٦٢

(٢) البقرة ٢٠٨
(٥) الصافات ٣٥

(١) النحل ٥١
(٤) النساء ٧٩
(٧) المائدة ١١٧

أَوْجِبَ مِنْهُ شَيْءٌ بِإِلَّا ضَرُورَةُ بَقَاءِ مَا عَدَاهُ عَلَى صِفَةِ الْإِنْتِفَاءِ .

وَأَصْلُ اسْتِعْمَالِ هَذَا الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ جَاهِلًا بِالْحُكْمِ ؛ وَقَدْ يُخْرَجُ عَنْ ذَلِكَ فَيَنْزِلُ الْمَعْلُومُ مَنْزِلَةَ الْمَجْهُولِ لاعتبار مناسب ، نحو ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ ^(١) ؛ فَإِنَّهُ خُطَابٌ لِلصَّحَابَةِ ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَجْهَلُونَ رِسَالَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ اسْتِعْظَامُهُمْ لَهُ عَنِ الْمَوْتِ مَنْزِلَةً مَنْ يَجْهَلُ رِسَالَتَهُ ، لِأَنَّهُ كُلَّ رَسُولٍ فَلَا بَدَّ مِنْ مَوْتِهِ ؛ فَمَنْ اسْتَبْعَدَ مَوْتَهُ فَكَأَنَّهُ اسْتَبْعَدَ رِسَالَتَهُ .

الثَّانِي : إِنَّمَا ، الْجَهْلُورُ عَلَى أَنَّهَا لِلْحَصْرِ فَقِيلَ بِالْمَنْطُوقِ ، وَقِيلَ بِالْمَفْهُومِ . وَأُنْكَرَ قَوْمٌ أَفَادَتَهَا بِإِيَّاهُ ، مِنْهُمْ أَبُو حَيَّانٍ . وَاسْتَدْلُّ مَثْبُوتُهُ بِأُمُورٍ :

مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ ^(٢) بِالنَّصْبِ ؛ فَإِنَّ مَعْنَاهُ « مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَيْتَةَ » ؛ لِأَنَّهُ الْمَطَابِقُ فِي الْمَعْنَى لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ : فَإِنَّهَا لِلْحَصْرِ ، فَكَذَا قِرَاءَةُ النَّصْبِ ، وَالْأَصْلُ اسْتِواءُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ .

وَمِنْهَا أَنْ « إِنْ » لِلإِثْبَاتِ وَ« مَا » لِلنَّفْيِ ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَحْصَلَ الْقَصْرُ ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؛ لَكِنْ تَعَقَّبَ بَأَنَّ « مَا » زَائِدَةٌ كَافَّةٌ ، لَا نَافِيَةَ .

وَمِنْهَا أَنْ « إِنْ » لِلتَّأْكِيدِ وَ« مَا » كَذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ تَأْكِيدَانِ ، فَأَفَادَا الْحَصْرَ . قَالَهُ السَّكَّاكِيُّ ؛ وَتَعَقَّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ اجْتِمَاعُ تَأْكِيدَيْنِ يَفِيدُ الْحَصْرَ لَأَفَادَهُ نَحْوُ « إِنْ زَيْدًا لِقَاتِمٍ » . وَأَجِيبَ بَأَنَّ مَرَادَهُ : لَا يَجْتَمِعُ حَرْفَا تَأْكِيدٍ مُتَوَالِيَانِ إِلَّا لِلْحَصْرِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَرْتَبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ ^(٥) ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا تَحْصُلُ مِطَابَقَةُ الْجَوَابِ إِذَا كَانَتْ إِنَّمَا لِلْحَصْرِ

(٢) البقرة ١٧٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٢ : ٢١٦

(٥) الأعراف ١٨٧

(٤) مود ٢٣

(١) آل عمران ١٤٤

(٣) الأحقاف ٢٣

ليكون معها « لَا آتِيَكُمْ بِهِ إِنَّمَا بَاتِي بِهِ اللَّهُ ، وَلَا أَعْلَمُهَا إِنَّمَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ » ، وكذا قوله : ﴿ وَلَمَّا انْتَهَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاعْلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظَاهُونَ النَّاسَ ﴾ ^(١) ، ﴿ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَإِذْ أَلَمَ تَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ قَالُوا لَوْلَا جَاءَتْكُمْ رَبَّتْهَا قُلْ إِنَّمَا أُتِيحَ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ﴾ ^(٤) . ولا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر .

وأحسن ما تستعمل « إنما » في مواقع التعريض ، نحو ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٥) . الثالث : أنما ، بالفتح ، عدها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي ، فقالا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٦) : إنما قصر الحكم على شيء ، أو لقصر الشيء على حكم ، نحو « إنما زيد قائم » و « إنما يقوم زيد » . وقد اجتمع الأمران في هذه الآية ، لأن « إنما يوحى إلى » مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد ، و « إنما المحكم » بمنزلة إنما زيد قائم ، وفائدة اجتماعها الدلالة على أن الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية ^(٧) وصرح التنوخي في أقصى القريب ^(٨) ، بكونها للحصر ، فقال : كلما أوجب أن « إنما » بالكسر للحصر أوجب أن « أنما » بالفتح للحصر ، لأنها فرع عنها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ، ما لم يثبت مانع منه ، والأصل عدمه .

ورد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانية ، وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام .

الرابع : العطف بلا أو بل ، ذكره أهل البيان ، ولم يحكوا فيه خلافاً . ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح ، فقال : أي قصر في العطف بلا ، إنما فيه نفى وإثبات ، فقولك : زيد شاعر لا كاتب ، لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفى

(٣) الأعراف ٢٠٣

(٢) التوبة ٩١-٩٣

(٦) الأنبياء ١٠٨

(٥) الرعد ١٩

(٤) آل عمران ٢٠

(٧) الكشف ٣ : ١٠٩ (٨) كما ورد اسمه في الأصول والبرهان ٢ : ٣٤٦ ، وسماه صاحب

كشف الظنون « أقصى القرب في صناعة الأدب » للشيخ زين الدين محمد بن محمد التنوخي ، المتوفى سنة ٧٨

جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازاً ، وإيس هو خاصاً بنفى الصفة التي يعقدها الخاطب ، وأما العطف بـ **بَل** ، فأبعد منه ، لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات .

الخامس : تقديم الممول ، نحو ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ ^(١) ، ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشُرُونَ** ﴾ ^(٢) ، وخالف فيه قوم ، وسيأتي بسط الكلام فيه قريباً .

السادس : ضمير الفصل ، نحو ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ** ﴾ ^(٣) ، أى لا غيره ؛ ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ ^(٤) ، ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ** ﴾ ^(٥) ، ﴿ **إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾ ^(٦) . ومن ذكر أنه للحصر البيانين في بحث المسند إليه . واستدل له السهيلي بأنه أتى به في كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ، ولم يؤت به حيث لم يدع ، وذلك في قوله : ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكَى** ... ﴾ ^(٧) ، إلى آخر الآيات ، فلم يؤت به في ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ** ﴾ ^(٨) ، ﴿ **وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ** ﴾ ^(٩) ، ﴿ **وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى** ﴾ ^(١٠) ؛ لأن ذلك لم يدع لغير الله ، وأتى به في الباقي لادعائه لغيره . قال في عروس الأفراح : وقد استنبطت دلالة على الحصر من قوله : ﴿ **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ... ﴾ ^(١١) ، لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم ؛ وإتما الذي حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ، ومن قوله : ﴿ **لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ ^(١٢) ، فإنه ذكر لتبيين عدم الإستواء ؛ وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص .

السابع : تقديم المسند إليه ، على ما قال الشيخ عبد القاهر : قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر العملي . والحاصل على رأيه أن له أحوالاً :

(١) فاتحة الكتاب ٤	(٢) آل عمران ١٥٨	(٣) الشورى ٩
(٤) البقرة ٥	(٥) آل عمران ٦٢	(٦) الكوثر ٣
(٧) النجم ٤٣	(٨) النجم ٤٥	(٩) النجم ٤٧
(١٠) النجم ٥٠	(١١) المائدة ١١٧	(١٢) الحشر ٢٠

أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً ، فيأتى للتخصيص ، نحو أنا قت ، وأنا سميت فى حاجتك ، فإن قصد به قصر الأفراد أكد بنحو « وحدى » ، أو قصر القلب أكد بنحو « لاغبرى » ، ومنه : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ تَقْرَحُونَ ﴾ ^(١) ، فإن ما قبله من قوله : ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ ^(٢) ، ولفظ « بل » المشعر بالإضراب يقضى بأن المراد « بل أنتم لاغبركم » ، فإن المقصود نفي فرجه هو بالهدية لإثبات الفرح لهم بهديتهم . قاله فى عروس الأفراح . قال : وكذا قوله : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ ^(٣) ، أى لا نعلمهم إلا نحن . وقد بأتى للتقوية والتأكيد دون التخصيص ، قال الشيخ بهاء الدين : ولا يتميز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وصياق الكلام

ثانيها : أن يكون المسند منفياً ، نحو « أنت لا تكذب » ، فإنه أبلغ فى نفي الكذب من « لا تكذب » ومن « لا تكذب أنت » . وقد يفيد التخصيص ، ومنه : ﴿ فَمَنْ لَا يَنْسَاءَ لُونِ ﴾ ^(٤) .

ثالثها : أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً ، نحو « رجلٌ جاءنى » ، يفيد التخصيص إما بالجنس أى لامرأة ، أو الوحدة أى لارجلان .

رابعها : أن يلى المسند إليه حرف النفي ، يفيدة ، نحو « ما أنا قلت هذا » ، أى لم أقله مع أن غبرى قاله . ومنه : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ^(٥) ، أى العزيز علينا رهطك لأنك ، ولذا قال : ﴿ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ ^(٦) .

هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ، وواقفه السكاكى ، وزاد شروطاً وتفاصيل بسطناها فى شرح ألفية المعانى .

الثامن : تقديم المسند ، ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص . وردّه صاحب الفلّك الدائر ؛ بأنه لم يقل به أحد ، وهو ممنوع ، فقد صرح السكاكي وغيره بأن تقديم ما ترتبته التأخير يفيد ، ومثله بنحو « يممي أنا » .

التاسع : ذكر المسند إليه ، ذكر السكاكي أنه قد يُذكر ليفيد التخصيص . وتمقّبه صاحب الإيضاح . وصرّح الزمخشري : بأنه أفاد الاختصاص في قوله : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾^(١) في سورة الرعد ، وفي قوله : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾^(٢) ، وفي قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾^(٣) . ويحتمل أنه أراد أن تقديمه أفاده ، فيكون من أمثلة الطريق السابع .

العاشر : تعريف الجزأين ، ذكر الإمام فخر الدين في نهاية الإيجاز^(٤) ؛ أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ، نحو : « المنطلق زيد » ، ومنه في القرآن فيما ذكر الزمكاني في أسرار التنزيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(٥) قال : إنه يفيد الحصر ، كما في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾^(٥) ، أي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ لا لغيره .

الحادى عشر : نحو « جاء زيد نفسه » ، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر .

الثاني عشر : نحو « إن زيدا قائم » ، نقله المذكور أيضاً .

الثالث عشر : نحو « قائم » في جواب « زيد إما قائم أوقاعد » . ذكره الطيبي في شرح التبيان .

(١) الرعد ٢٦ (٢) الزمر ٢٣ (٣) الأحزاب ٤
 (٤) نهاية الإيجاز في علم البيان لفخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : إنه هذب فيه كتابي عبد القاهر .
 (٥) فاتحة الكتاب ١ ، ٤

الرابع عشر: قلب بعض حروف الكلمة؛ فإنه يفيد الحصر على ماثلة في الكشف في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾^(١)، قال: القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ «الطاغوت»، لأن وزنه على قول «فعلوت» من الطفيان، كملكوت ورحموت، قلب بتقديم اللام على الميم، فوزنه «فلموت» ففيه مبالغات التسمية بالمصدر، والبناء بناء مبالغة، والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان.

تنبيه

كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المفعول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً، ولهذا قيل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢): معناه «نخصك بالعبادة والاستعانة»، وفي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾^(٣): معناه «إليه لا إلى غيره»، وفي ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾^(٤) آخرت الصلة في الشهادة الأولى، وقدمت في الثانية، لأن الفرض في الأول إثبات شهادتهم، وفي الثاني إثبات اختصاصهم بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم.

وخالف في ذلك ابن الحاجب فقال في شرح المفصل: الاختصاص الذي يتوقمه كثير من الناس من تقديم المفعول وفهم، واستدل على ذلك بقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾^(٥)، ثم قال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾^(٦). ورد هذا الاستدلال بأن «مخلصه الدين» أغنى عن إفادة الحصر في الآية الأولى، ولولم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٧)، وقال: ﴿أَمَرَ الْأَتْعَبِدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٨)، بل قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ من أقوى أدلة الاختصاص، فإن قبلها ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾^(٩)؛ فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها «اعبد الله» لما حصل الإضراب الذي هو معنى «بل».

(٣) آل عمران ١٥٨

(٦) الزمر ٦٦

(٩) الزمر ٦٥

(٢) فاتحة الكتاب ٤

(٥) الزمر ٢

(٨) يوسف ٤٠

(١) الزمر ١٧

(٤) القرة ١٤٣

(٧) الحج ٧٧

واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو : ﴿ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ ﴾ ^(١) . وأجيب بأنه لما أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله ، وكان أمرهم بالشرك كأنه أمره بتخصيص غير الله بالعبادة . ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله : ﴿ كَلَّا هَدَيْنَاوْنُو حَاهِدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) ، وهو من أقوى مارد به . وأجيب بأنه لا يدعى فيه الزوم بل الغلبة وقد يخرج الشيء عن الغالب .

قال الشيخ بهاء الدين : وقد اجتمع الاختصاص وعلمه في آية واحدة ، وهي : ﴿ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴿ ^(٣) ، فإن التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص وفي « إِيَّاهُ » قطعاً للاختصاص .

وقال والده الشيخ تقي الدين في كتاب الاقتصاص في الفرق بين الحصر والاختصاص : أشهر كلام الناس في أن تقديم المفعول يفيد الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول : إنما يفيد الاهتمام ، وقد قال سيبويه في كتابه : وهم يقدمون ما لم به أغنى . والبيان على إفادته الاختصاص ، ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر ، وليس كذلك ، وإنما الاختصاص شيء والحصر شيء آخر ، والفضل لم يذكر في ذلك لفظة « الحصر » ؛ وإنما عبروا بالاختصاص ؛ والفرق بينهما أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور ، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه ، وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص ، والخصوص مركب من شيئين : أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء ، والثاني معنى منضم إليه يفصله عن غيره ، كضرب زيد ، فإنه أخص من مطلق الضرب ، فإذا قلت : ضربت زيداً أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص ، فصار ذلك الضرب المحبر به خاصاً لما انضم إليه منك ومن زيد . وهذه المعاني الثلاثة — أغنى مطلق

الضرب ، وكونه واقعاً منك ، وكونه واقعاً على زيد — قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثها على السواء . وقد يترجح قصده لبعضها على بعض ، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه ، فإن الابتداء بالشئ يدل على الاهتمام به ، وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم ؛ فإذا قلت : زيداً ضربت علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود . ولا شك أن كل مركب من خاص وعام له جهتان ، فقد يقصد من جهة عومه ، وقد يقصد من جهة خصوصه ، والثاني هو الاختصاص ، وأنه هو الأهم عند المتكلم ، وهو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفى ، ففى الحصر معنى زائد عليه ، وهو نفى ما عدا المذكور . وإنما جاء هذا في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ^(١) ، للعلم بأن قائله لا يعبدون غير الله تعالى ؛ ولذا لم يطرد في بقية الآيات ، فإن قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ ﴾ ^(٢) ، لو جعل في معنى « ما يبتغون إلا غير دين الله » وهمزة الإنكار داخله عليه ، لزم أن يكون المنكر الحصر ، لا مجرد بغيتهم غير دين الله ، وليس المراد . وكذلك ﴿ آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ ﴾ ^(٣) ، المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر . وقد قال الزمخشري في ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٤) : في تقديم « الآخرة » وبناء « يوقنون » على « هُمْ » تعرض بأهل الكتاب وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة ، على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ^(٥) .

وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية الحسن ، وقد اعترض عليه بعضهم فقال : تقديم « الآخرة » أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة لا بغيرها ، وهذا الاعتراض من قائله مبني على ما فهمه من أن تقديم الممول يفيد الحصر ، وليس كذلك ؛ ثم قال للمعترض : وتقديم « هُمْ » أفاد أن هذا القصر مختص بهم ، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيماناً بغيرها حيث قالوا : ﴿ لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ ﴾ ^(٦) ، وهذا منه أيضاً استمرار على ما في ذهنه من الحصر ، أي أن

المسلمين لا يوقنون إلا بالآخرة، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها . وهذا فهمٌ عجيب
أجابه إليه فهمه الحصر، وهو ممنوع . وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام :

أحدها : بما وإلا ، كقولك : « ما قام إلا زيد » صريح في نفي القيام عن غير زيد ،
ويقتضى إثبات القيام لزيد ، قيل : بالمنطوق ، وقيل : بالمفهوم وهو الصحيح ، لكنه أقوى
المفاهيم ؛ لأن « إلا » موضوعة للاستثناء ، وهو الإخراج ، فدلتها على الإخراج بالمنطوق
لا بالمفهوم ، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام ، بل قد يستلزمه ، فلذلك
رجحنا أنه بالمفهوم ؛ والتبس على بعض الناس لذلك فقال : إنه بالمنطوق .

والثاني : الحصر «إنما» ، وهو قريب من الأول فيما نحن فيه ، وإن كان جانب الإثبات فيه
أظهر . فكأنه يفيد إثبات قيام زيد ، إذا قلت : إنما قام زيد ، بالمنطوق ، ونفيه عن غيره
بالمفهوم .

الثالث : الحصر الذى قد يفيد التقديم ؛ وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين
الأولين ، بل هو في قوة جملتين : إحداهما ماصدّر به الحكم تقياً كان أو إثباتاً وهو المنطوق ،
والأخرى ما فهم من التقديم ، والحصر يقتضى نفي المنطوق فقط ، دون ما دل عليه من المفهوم ، لأن
المفهوم لا مفهوم له ؛ فإذا قلت : أنا لا أكرم إلا إياك ، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ،
ولا يلزم أنك لا تكرمه ، وقد قال تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ ^(١)
أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية ، وهو ساكت عن نكاحه الزانية ، قال سبحانه
وتعالى بعده : ﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ ^(٢) بياناً لما سكت عنه في
الأولى . فلو قال : « بالآخرة يوقنون » ، أفاد بمنطوقه إيقانهم بها ، ومفهومه عندهم يزعم أنهم
لا يوقنون بغيرها . وليس ذلك مقصوداً بالذات ، والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى
صار غيرها عندهم كالدحوض ، فهو حصر مجازى ، وهو دون قولنا : « يوقنون بالآخرة »

لا بغيرها»، فاضبط هذا وإياك أن تجعل تقديره : « لا يوقنون إلا بالآخرة » .
إذا عرفت هذا فتقديم « مُم » أفاد أن غيرهم ليس كذلك ؛ فلو جعلنا التقدير :
لا يوقنون إلا بالآخرة « كان المقصود المهمّ النفي ، فينسلط المفهوم عليه ، فيكون المعنى
إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها ؛ كما زعم المعارض ، ويُطرح أفهام أنه لا يوقن بالآخرة .
ولاشك أن هذا ليس بمراد ، بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة ؛ فذلك حافظنا
على أن الفرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة ، لينسلط المفهوم عليه ، وأن المفهوم لا ينسلط
على الحصر ، لأن الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة ، مثل « ما » و « إلا » ومثل
« إنما » ، وإنما دلّ عليه : مفهوم مستفاد من منطوق ، وليس أحدهما متقيداً بالآخر ؛ حتى
نقول : إن المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور ، بل أفاد نفي الإيقان مطلقاً عن غيرهم ؛ وهذا
كله على تقدير تسليم الحصر ، ونحن نمنع ذلك ، ونقول : إنه اختصاص ، وإن بينهما فرقاً .
انتهى كلام السبكي .

النوع السادس والخمسون

في الإيجاز والإطناب

اعلم أنها من أعظم أنواع البلاغة ، حتى نقل صاحب سرّ الفصاحة^(١) عن بعضهم أنه قال : البلاغة هي الإيجاز والإطناب .

قال صاحب الكشف : كما أنه يجب على البليغ في مظان الإجمال أن يُجمل ويؤخر ، وكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يُفصّل ويُشيع ، أنشد الجاحظ :

يَمُونُ بِالْخَطَبِ الطَّوَالِ وَنَارَةً وَخَى الْمُلَاحِظَ خِيفَةَ الرَّقَبَاءِ^(٢)

واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أولا وهي داخلية في قسم الإيجاز؟ قال سكاكي^(٣) وجماعة على الأول ، لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة ، لأنهم فسروها بالتمتارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها ، لكون المقام خليقا بالبسط . وابن الأثير وجماعة على الثاني ، فقالوا : الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائده والإطناب بلفظ أزيد .

وقال القزويني : الأقرب أن يقال : إن المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله ، إما بلفظ مساوٍ للأصل المراد ، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لقائدة ، والأول المساواة ، والثاني الإيجاز ، والثالث الإطناب .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي التوفى سنة ٤٦٦ هـ

(٢) البيان والتبيين ١ : ٤٤ ، والبيت لأبي دوداد الإياضي .

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي الخوارزمي ، صاحب كتاب مفتاح العلوم . توفى سنة ٦٢٦ هـ

واحتُرز بـ «وافية» عن الإخلال ، وبقولنا: لفائدة، عن الحشو والتطويل ، فعنده ثبوت المساواة واسطة ، وأنها من قسم المقبول .

فإن قلت : عدم ذكرك المساواة في الترجمة لماذا ؟ هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها ، أو لأمر غير ذلك ؟

قلت : لها ، ولأمر ثالث ، وهو أن المساواة لا تكاد توجد ، خصوصاً في القرآن ، وقدمت لها في التلخيص ^(١) بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَسْكُورُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ^(٢) ، وفي الإيضاح ^(٣) بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ^(٤) . وتُعقَّب بأن في الآية الثانية حذف موصوف «الذين» ، وفي الأولى إطناب بلفظ «السَّيِّئُ» لأن المكر لا يكون إلا سَيِّئاً ، وإيجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرغ ، أي بأحد ، وبالقصر في الاستثناء وبكونها حادثة على كف الأذى عن جميع الناس ، محذرة عن جميع ما يؤدى إليه ، وبأن تقديرها يضرب بصاحبه مضرة بليغة ، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيلية ، لأن «يحقيق» بمعنى «يحيط» ، فلا يستعمل إلا في الأجسام .

* * *

تنبيه

الإيجاز والاختصار بمعنى واحد ، كما يؤخذ من المفتاح ، وصرح به الخطيب .
وقال بعضهم : الاختصار خاصٌ بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز : قال الشيخ بهاء الدين : وليس بشئ ، والإطناب ؛ قيل بمعنى الإسهاب ، والحق أنه أخص منه ، فإن الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة كما ذكره التنوخي وغيره .

(١) هو تلخيص المفتاح للكاكي ، ومؤلف كتاب التلخيص وهو جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني المعروف بخطيب دمشق . توفي سنة ٧٣٩
(٢) فاطر ٤٣
(٣) هو كتاب الإيضاح في علوم البلاغة ، للقزويني أيضاً ، جرى فيه على ترتيب التلخيص .
(٤) الأنعام ٦٨

فصل

[في نوعي الإيجاز]

الإيجاز قسمان : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

[إيجاز القصر]

فالأول : هو الوجيز بلفظه ، قال الشيخ بهاء الدين ^(١) : الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف ، وإن كان كلاماً يعطى معنى أطول منه ، فهو إيجاز قصر .

وقال بعضهم : إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ .
وقال آخر : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة .
وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم » .

وقال الطيبي في التبيان ^(٢) : الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام :
أحدها : إيجاز القصر ، وهو أن يقصر اللفظ على معناه ، كقوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٣) ، جمع في أحرف ، العنوان والكتاب والحاجة .
وقيل في وصف بليغ : كانت ألفاظه قوالب معناه . قلت : وهذا رأى من يدخل المساواة في الإيجاز .

الثاني : إيجاز التقدير ، وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ، ويسمى بالتضييق أيضاً ، وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح ، لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه ، نحو ﴿ مَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ ^(٤) ، أي خطاياهم غُفرت ، فهي له لا عليه ، ﴿ هُدًى لِمُتَّقِينَ ﴾ ^(٥) ، أي للضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى .

(١) صاحب كتاب غرر الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، وهو بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي البكي الشافعي ، أحد علماء القرن الثامن . توفي سنة ٥٧٧٣ هـ

(٢) التبيان في البيان لشيخ الإسلام محمد بن عبد الله الطيبي ، المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

(٣) البقرة ٢

(٤) البقرة ٢٧٥

(٥) النمل ٣٠، ٣١

الثالث : الإيجاز الجامع ، وهو أن يحتوى اللفظ على ممانٍ متعددة ، نحو ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾ ^(١) ، الآية ، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط الموصى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية . والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ » ، أى تعبد مخلصاً في نيّتك ، وواقعاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر إلى مالا يحصى ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل ، هذا في الأوامر . وأما النواهي : فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالنكح إلى الإفراط الحاصل من آثار الفضيلة أو كل محرّم شرعاً ، وبالبغي إلى الاستعلاء الفاض عن الوهمية . قلت : ولهذا قال ابن مسعود : ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية ؛ أخرجه في المستدرک . وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن ، أنه قرأها يوماً ثم وقف فقال : إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه .

وروى أيضاً عن ابن أبي شهاب في معني حديث الشيخين : « بُعِثَتْ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ » ، قال : بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ... ﴾ ^(٢) الآية ، فإنها جامعة لمكارم الأخلاق لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين ، وفي الأمر بالمعروف كفت الأذى وغض البصر ، وما شاكلهما من المحرمات ، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة .

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... ﴾ ^(٣) ، إلى آخرها ، فإنه نهاية التنزيه ، وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة ، كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد .

وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾^(١)، دلّ بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام؛ من العشب والشجر والحبّ والتمرّ والعصف والحطب واللباس والنار والملح لأنّ النار من العيدان والملح من الماء.

وقوله: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾^(٢) جمع فيه جميع عيوب النحر من الصداق وعدم العقل وذهاب المال وفساد الشراب.

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْي مَاءَكَ...﴾^(٣) الآية، أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت، وسمى، وأهلك، وأبقى، وأسعد، وأشقى، وقص من الأنباء مالو. شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام. وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف. وفي المعجائب للكرماني: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتنوا جميع كلام العرب والمعجم، فلم يجدوا مثلها في نخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ...﴾^(٤) الآية، جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام: نادى، وكنت، ونهت، وسمت، وأمرت، وقصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وعذرت؛ فالنداء «يا» والكناية «أى» والتنبية «ها»، والتسمية «النمل» والأمر «ادخلوا»، والقصص «ما كنتم»، والتحذير «لا يحطمنكم»، والتخصيص «سليمان»، والتعظيم «جنوده»، والإشارة «وهم»، والمذمر «لا يشعرون» فأدّت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيّتها؛ وحق جنود سليمان.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾^(٥) الآية جمع فيها

(٣) مود ٤٤

(٢) الواقعة ١٩

(١) النازعات ٣١

(٥) الأعراف ٣١

(٤) النمل ١٨

أصول الكلام : النداء ، والعموم ، والخصوص ، والأمر ، والإباحة ، والنهي ، والخبر .
وقال بعضهم : جمع الله الحكمة في شطر آية ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ ^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، قال ابن
العربي : هي من أعظم آي في القرآن فصاحة ، إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان .
وقوله : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(٣) ، قال ابن أبي الأصبغ : المعنى : صرّح بجميع
ما أوحى إليك ، وبلغ كل ما أمرت ببيان ، وإن شق بعض ذلك على بعض القلوب
فانصدعت ؛ والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر
الوجوه من التقبص والانبساط ، ويلوح عليهما من علامات الإنكار والاستبشار ، كما يظهر
على ظاهر الزجاجة المصدوعة ؛ فانظر إلى جليل هذه الاستعارة ، وعظم إنجازها وما انطوت
عليه من المعاني الكثيرة ! وقد حكى أن بعض الأعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال :
سجدت لفصاحة هذا الكلام !

وقوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا نَشْتَمِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(٤) ، قال بعضهم : جمع
بهايتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٥) ، فإن معناه كثير ولفظه قليل ،
لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع
بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، وكان ارتفاع القتل حياة
لهم . وقد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى ، وهو قولهم :
« القتل أنفى للقتل » ، بعشرين وجهاً أو أكثر ، وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا
التفصيل وقال : لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق ، وإنما العلماء يقدحون أذهانهم
فيما يظهر لهم من ذلك .

الأول : أن ما يُناظره من كلامهم ، وهو قوله : « القصاص حياة » ، أقل حرماً ، فإنَّ حروفه عشرة ، وحروف « القتل أنفى للقتل » أربعة عشر .

الثانى : أن نفى القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التى هى الغرض المطلوب منه .

الثالث : أن تنكير « حياة » يفيد تعظيماً ، فيدلّ على أن فى القصاص حياة متطاولة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ ﴾ ^(١) ، ولا كذلك المثل ؛ فإن اللام فيه للجنس ، ولذا فسّروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع : أن الآية فيه مطّردة بخلاف المثل ؛ فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل ، بل قد يكون أدعى له ، وهو القتل ظلماً ، وإعماً ينفية قتلٍ خاصٍّ وهو القصاص ، ففيه حياة أبداً .

الخامس : أن الآية خالية من تكرار لفظ « القتل » الواقع فى المثل ، والخالى من التكرار أفضل من المشتmil عليه ، وإن لم يكن مخلاً بالفصاحة .

السادس : أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن فيه حذف « من » التى بعد أفعل التفضيل - وما بعدها ، وحذف « قصاصاً » مع القتل الأول ، « وظلماً » مع القتل الثانى ، والتقدير : القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه .

السابع : أن فى الآية طباقاً ؛ لأن القصاص مُشعر بضدّ الحياة ، بخلاف المثل .

الثامن : أن الآية اشتملت على فنّ بديع ، وهو جعل أحد الضدّين الذى هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضدّه ، الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة ، ذكره فى الكشف ، وعبر عنه صاحب الإيضاح بأنه جعل القصاص كالمنع للحياة والمعدن لها بإدخال « فى » عليه .

التاسع : أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة ، وهو السكون بعد الحركة ، وذلك

مستكره، فإن اللفظ المنطوق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلاف ما إذا تعقّب حركة سكون، فالحرّكات تنقطع بالسكنات. نظيره إذا تحركت الدّالة أذني حركة فحُيِست، ثم تحرّكت فحُبِست لا يَبَيّن إطلاقها، ولا تتمكّن من حرّكها على ما تختاره، فهي كالمقيّدة.

المأشّر: أن المثل كالمتناقض من حيث الظاهر؛ لأنّ الشّيء لا ينفى نفسه.

الحادي عشر: سلامة الآية من تكرير قَلْقَلَة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غفّة النون.

الثاني عشر: اشتغالها على حروف متلازمة، لما فيها من الخروج، من القاف إلى الصاد؛ إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض؛ فهو غير ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء، أحسن من الخروج من اللام إلى المهمزة، لبعدها عن طرف اللسان وأقصى الحلق.

الثالث عشر: في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت؛ ولا كذلك تكرير القاف والتّاء.

الرابع عشر: سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة، بخلاف لفظ « الحياة » فإن الطباع أقبلُ له من لفظ القتل.

الخامس عشر: أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة، فهو منبهي عن العدل، بخلاف مطلق القتل.

السادس عشر: الآية مبنيّة على الإثبات، والمثل على النفي، والإثبات أشرفُ لأنّه أول، والنفي ثان عنه.

السابع عشر: أن المثل لا يكاد يفهم إلّا بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله: « في القصاص حياة » مفهوم من أول وهلة.

الثامن عشر : أن في المثل بناء « أفل » التفضيل من فعل متعدّد ، والآية سالمة منه .
التاسع عشر : أن « أفل » في الغالب يقتضي الاشتراك ، فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ، ولكن القصاص أكثر نفيًا ، وليس الأمر كذلك والآية سالمة من ذلك .
العشرون : أن الآية رادعة عن القتل ، والجرح معاً لشمول القصاص لهما ، والحياة أيضاً و قصاص الأعضاء ، لأن قطع العضو ينقص مصالحة الحياة ، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك المثل في أول الآية ، « ولكم » . وفيها لطيفة ، وهي بيان العناية بالؤمنين على الخصوص ، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .

تنبيهات

الأول : ذكر قدامة من أنواع البديع الإشارة ، وفسرها بالإتيان بكلام قليل ذي معانٍ جمة ، وهذا هو إيجاز القصر بعينه ؛ لكن فرق بينهما ابن أبي الأصبع ، بأن الإيجاز دلالة مطابقة ودلالة الإشارة إمّا تضمن أو التزام ، فعلم منه أن المراد بها ما تقدّم في مبحث المنطوق .

الثاني : ذكر القاضي أبو بكر في إيجاز القرآن أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمن ؛ وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه ، قال : وهو نوعان : أحدهما ما يفهم من البنية ، كقوله : معلوم ، فإنه يوجب أنه لا بدّ من عالم ، والثاني من معنى العبارة لا كبسم الله الرحمن الرحيم ، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه .

الثالث : ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الافراح وغيرهما ، أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر ، سواء كان يالاً أو يائماً أو غيرهما من أدواته ، لأن الجملة فيها نائب

مناب جملتين ، وباب العطف لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العامل ، وباب النائب عن الفاعل لأنه دلّ على الفاعل بإعطائه حكمه ، وعلى المفعول بوضعه ، وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصاراً ، وكذا لا يمدل إلى المفصل مع إمكانه المتصل ، وباب علمت أنك قائم ، لأنه منجلّ لاسم واحد سدّ سدّ المفعولين من غير حذف .

ومنها باب التنازع ؛ إذا لم تقدّر على رأى الفراء .

ومنها طرح المفعول ، اقتصاراً على جمل المعتدى كاللّازم ، وسيأتى تحريره .

ومنها جمع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك » يعنى عن قولك : « أهو عشرون أم ثلاثون ؟ » وهكذا إلى ما لا يتناهى .

ومنها الألفاظ اللازمة للعموم كأحد .

ومنها لفظ التثنية والجمع ، فإنه يعنى عن تكرير المفرد ، وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصاراً .

ومما يصلح أن يعدّ من أنواعه المسمّى بالاتّسع من أنواع البديع ؛ وهو أن يؤتى بكلام يتّسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعانى ، كفوّاح السّور ، ذكره ابن أبى الإصبع .

* * *

[إيجاز الحذف]

القسم الثانى من قسميّ الإيجاز : الحذف ، وفيه فوائده : ذكر أسبابه :

منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بظهوره .

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء ، وقد اجتمعاً في قوله تعالى ، ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ^(١) ، فناقة الله تحذير بتقدير « ذروا » و « سقياها » إغراء بتقدير « الزموا » .

ومنها التّفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم في منهاج البلغاء : إنما يحسن الحذف لقوّة الدلالة عليه ، أو يقصّده تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسامة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها ، قال : ولهذا القصد يؤثّر في المواضع التي يُراد بها التعجّب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله في وصف أهل الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ^(١) ، حذف الجواب إذ كان وصف ما يحدونه وبلقونه عند ذلك لا يتناهى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وتركت النفوس تُقدّر ما شاءته ، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك .

وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ ^(٢) ، أى لرأيت أمراً فظيماً ؛ لا سكاذ تحيط به العبارة .

ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام ، كما في حذف حرف النداء ، نحو ﴿ يُوَسِّفُ أُعْرِضْ ﴾ ^(٣) ، ونون « لم يك » والجمع السالم ، ومنه قراءة ﴿ وَالْقِيَمَى الصَّلَاة ﴾ ^(٤) ، وياء ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرْ ﴾ ^(٥) . وسأل المورّج السدوسيّ الأخفش عن هذه الآية ، فقال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشئ عن معناه ، نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه نقص منه حرف ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُكٍ بَفِيًّا ﴾ ^(٦) ، الأصل « بفيّة » ، فلما حوّل عن فاعل نقص منه حرف .

ومنها كونه لا يصلح لإلآله ، نحو ﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَمَالِ إِمَّا يُرِيدُ ﴾ ^(٨) .

ومنها شهرته ، حتى يكون ذكره وعدمه سواء ، قال الزّخشرى : وهو نوع من دلالة الحال ، التي لسانها أنطق من لسان المقال ، وحمل عليه قراءة حمزة ﴿ تساءلون

(١) الزمر ٧٣ (٢) الأنعام ٢٧ (٣) يوسف ٢٩ (٤) الحج ٣٥ ، بالنصب على توم النون ، ومى قراءة أبي عمرو . وانظر تفسير القرطبي ١٤ : ٧٩ (٥) الفجر ٤ (٦) مريم ٢٨ (٧) الأنعام ٧٣ (٨) هود ١٠٧

به والأرحام ﴿١﴾ ، لأن هذا مكان شهر بتكرر الجار ؛ فقامت الشهرة مقام الذكر .

ومنها صيانتة عن ذكره تشریفاً كقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ ... ﴾ ، الآيات ، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب أى « هُوَ رَبِّ » ، « اللَّهُ رَبُّكُمْ » ، « اللَّهُ رَبُّ الْمَشْرِقِ » (٢) ، لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال ، فأضمر اسم الله تعظيماً وتعظيماً ، ومثله في عروس الافراح بقوله تعالى : ﴿ رَبُّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (٣) ، أى ذاتك .

ومنها صيانة اللسان عند تحقير آله ، نحو ﴿ صُمِّ بُكْمٌ ﴾ (٤) ، أى هم أو الناقون . ومنها قصد العموم ، نحو ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥) أى على العباداة وعلى أمورنا كلها . ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ (٦) ، أى كل واحد .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٧) أى « وما فلاك » . ومنها قصد البيان بعد الإبهام ، كما في فعل المشيئة ، نحو ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ ﴾ (٨) ، أى ولو شاء هدايتكم ؛ فإنه إذا سمع السامع « ولو شاء » تعلقت نفسه بمشيئتهم عليه ، لا يدرى ما هو ، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك ؛ وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط ، لأن مفعول المشيئة مذکور في جوابها .

وقد يكون مع غيرها استدلالاً بغير الجواب ، نحو ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (٩) ، وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً أو عظيماً ، نحو ﴿ لَئِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (١٠) ﴿ لَوَارِدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا ﴾ (١١) ، وإعماط ردأو أكثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال ، لأنه يلزم من وجود

(١) النساء ١ ، بغض الميم ، ومى قراءة قتادة والأعشى ، وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢
 (٢) الشعراء ٢٣ - ٢٨ (٣) الأعراف ١٤٣ (٤) البقرة ١٨
 (٥) الفاتحة ٤ (٦) يونس ٢٥ (٧) الضحى ٢
 (٨) النمل ٩ (٩) البقرة ٢٥٥ (١٠) التکویر ٢٨
 (١١) الأنبياء ١٧

المشبهة وجود المشاء ، فالمشبهة المستازمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشبهة الجواب ، ولذلك كانت الإرادة مثلها في أطراد حذف مفعولها ، ذكره الزمكاني والتنوخى فى الأقصى القريب ، قالوا : وإذا حذف بعد « لو » فهو المذكور فى جوابها أبداً ، وأورد فى عروس الافراح ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ﴾^(١) ، فإن المعنى « لو شاء ربنا لارسال الرسل لأنزل ملائكة » ، لان المعنى معين على ذلك .

قاعدة

قال الشيخ عبدالقاهر : ما من اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحده أحسن من ذكره ، وسنى ابن جنى الحذف شجاعة العربية ، لأنه يشجع على الكلام .

قاعدة فى حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً

قال ابن هشام : جرت عادت النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً ، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ، ويريدون بالاختصار الحذف لغير دليل ، ويمثلونه بنحو : ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا ﴾^(٢) ، أى أوقفوا هذين الفعلين ، والتحقيق أن يقال - معنى كما قال أهل البيان : تارة يتعلق الفرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقفه ، ومن أوقع عليه ، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام ، فيقال : حصل حريق أونهب ، وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفعل للفاعل ، فيقتصر عليهما ، ولا يذكر المفعول ولا ينوى ، إذ النوى كالثابت ، ولا يسمى محذوفاً ، لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له . ومنه ﴿ رَبِّى الَّذِى يُخْبِى وَيُمِيتُ ﴾^(٣) ، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ، ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾^(٥) ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾^(٦) إذ المعنى ربى الذى يفعل الإحياء والإماتة . وهل يستوى من

يَتَصَفَّ بِالْعِلْمِ وَمَنْ يَنْتَفِي عَنْهُ الْعِلْمُ ؟ وَأَوْقَعُوا الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ ، وَذَرُّوا الْإِسْرَافَ .
ومنه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ...﴾^(١) الآية ، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام
رحمهما إذ كانتا على صفة الذِّيَادِ وقومهما على السقي ، لا لكون مذودهما غنماً وسقيهم
إبلاً ، وكذلك المقصود من «لانسقي» السقي لا المسقي . ومن لم يتأمل قدر «يسقون
إبلهم» و«تذودان غنمهما» ، و«لانسقي غنماً» ، وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله ، وتعليقه
بمفعوله فيذكران ، نحو : ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾^(٢) ، ﴿وَلَا تَزْبُوا الزَّيْنَةَ﴾^(٣) ، وهذا
النوع الذي إذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف .

وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه ، فيحصل الجزم بوجود تقديره ، نحو : ﴿أَهَذَا الَّذِي
بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٤) ، ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾^(٥) .

وقد يشبهه الحال في الحذف وعدمه ، نحو : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٦) ،
قد يتوهم أن معناه «نادوا» فلا حذف ، أو «سموا» فالحذف واقع .

ذكر شروطه

هي ثمانية :

أحدهما : وجود دليل ، إما حالي نحو : ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾^(٧) ، أي سلمنا سلاماً ،
أو مقالي نحو : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾^(٨) ، ﴿قَالَ سَلَامٌ
قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾^(٩) أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون .

ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف .
ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه ، بل يستفاد التعيين من دليل آخره
نحو : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْمَةُ﴾^(١٠) ، فإن العقل يدل على أنها ليست الحرمّة ، لأنّ التحريم

(٢) آل عمران ١٣٠ (٣) الإسراء ٣٢

(٥) النساء ٩٥ (٦) الإسراء ١١٠

(٨) النحل ٣٠ (٩) الذاريات ٢٥

(١) القصص ٢٣

(٤) الفرقان ٤١

(٧) هود ٦٩

(١٠) المائدة ٣

لا يضاف إلى الإحرام ، وإنما هو والحلّ يضافان إلى الأفعال ، فَعُلِمَ بالعقل حذفُ شيء .
وأما تعينه وهو التنازل فمستفاد من الشرع ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم . « إنما حُرِّمَ أكلها » لأن العقل لا يدرك محل الحلّ ، ولا الحرمة [وأما قول صاحب التلخيص :
إنه من باب دلالة العقل أيضاً ، فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على
أصول المعتزلة] .

ونارة يدل العقل أيضاً على التعمين ، نحو ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(١) ، أى أمره ، بمعنى
عذابه ، لأن الحقّ دلّ على استحالة مجيء الباري ، لأنه من سمات الحادث ، وعلى أن
الجاتي أمره ، ﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، أى بمقتضى العقود
وبمقتضى عهد الله ؛ لأن العقد والعهد قولان قد دخلا في الوجود ، وانقضيا فلا يتصور
فيهما وفاء ولا نقض ، وإنما الوفاء والنقض بمقتضى ما ترتب عليهما من أحكامهما .

ونارة يدلّ على التعمين العادة ، نحو ﴿ فَذَٰلِكِنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ﴾ ^(٤) ، دلّ
العقل على الحذف ، لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم ، ثم يحتمل أن يقدر « لُمْتُنِّي فِي حَبِّهِ » ،
أقوله : ﴿ قَدْ شَفَّعَهَا حُبًّا ﴾ ^(٥) ، وفي مرآوده لقوله : ﴿ تَرَاوَدُّ فَتَاهَا ﴾ ^(٥) ، والعادة
دلّت على الثانی ، لأن الحبّ المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة ، لأنه ليس اختيارياً ، بخلاف
المرأودة ، للقدرة على دفعها .

ونارة يدلّ عليه التصريح به في موضع آخر ، وهو أفواها ، نحو ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٦) ، أى أمره ، بدليل ﴿ أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ ﴾ ^(٨) ، أى كمرض ، بدليل التصريح به في آية البينة . ﴿ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ ﴾ ^(٩) ، أى من
عند الله ، بدليل ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) .

(١) الفجر ٢٢

(٤) يوسف ٣٢

(٧) النحل ٤٣

(١٠) البقرة ١٠١

(٢) المائدة ١

(٥) يوسف ٣٠

(٨) آل عمران ١٣٣

(٣) النحل ٩١

(٦) البقرة ٢١٠

(٩) البينة ٢

ومن الأدلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف، نحو ﴿لَوْ تَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ﴾^(١) أى مكان قتال، والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإلما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال، ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالمادة تمنع أن يريدوا: «لو نعلم حقيقة القتال»، فذلك قدره مجاهد «مكان قتال». ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة:

ومنها الشروع في الفعل، نحو «بسم الله»، فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له؛ فإن كانت عند الشروع في القراءة قدرت «أقرأ»، أو الأكل قدرت «أكل»، وعلى هذا أهل البيان قاطبة؛ خلافاً لقول النحاة أنه يقدر «ابتدأت»، أو «ابتدأني» كائن «بسم الله». ويدل على صحة الأول التصريح به في قوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ نَحْمُرُهَا﴾، وفي حديث: «باسمك ربى وضعت جنبي».

ومنها الصنعة النحوية، كقولهم في ﴿لَا أَقْسِمُ﴾^(٢): التقدير «لأنا أقسم»، لأن فعل الحال لا يقسم عليه، وفي ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ﴾^(٣) التقدير: «لا تفتأ»، لأنه لو كان الجواب مثبتاً دخلت اللام والتون، كقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَا كِيدَنَّ﴾^(٤).

وقد توجب الصنعة التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، كقولهم في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٥): «إن الخبر مخدوف، أى موجود، وقد أنكره الإمام فخر الدين، وقال: هذا الكلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقدير النحاة فاسد، لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة؛ فإنها إذا انتفت مطلقاً كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر. ورد بأن تقديرهم: «موجود» يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً، فإن المدم لا كلام فيه؛ فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة. ثم

لابد ، من تقدير خير ، لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر ، وإنما بقدر النحوى ليعطى القواعد حقها ، وإن كان المعنى مفهوماً .

تنبيه

قال ابن هشام : إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها ، أو أحد ركنيها ، أو يفيد معنى فيها هي مبنية عليه ، نحو ﴿ تَاللّهِ تَفَعُّلاً ﴾ ^(١) . أما الفصلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل ، بل يشترط ألا يكون في حذفها ضرر معنوى أو صناعى . قال : ويشترط في الدليل اللفظى أن يكون طبق المحذوف ، وردّ قول الفراء في ﴿ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ ^(٢) : « إن التقدير « بلى ليحسبنا قادرين » ، لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدر بمعنى العلم ، لأن التردد في الإعادة كفر ، فلا يكون مأموراً به . قال : والصواب فيها قول سيبويه : « إن « قادرين » حال ، أى بل نجمعها قادرين ، لأن فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان ، ولأن « بلى » لإيجاب النقي وهو فيها فعل الجمع .

الشرط الثانى : ألا يكون المحذوف كالجزء ، ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها ، قال ابن هشام : وأما قول ابن عطية في ﴿ بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ ^(٣) : « إن التقدير « بئسَ المثلُ مثل القوم » ، فإن أراد تفسير الإعراب وأن الفاعل لفظ « المثل » محذوفاً مفردود ، وإن أراد تفسير المعنى ، وأن في « بئس » ضمير المثل مستتراً فسهل ^(٤) .

الثالث : ألا يكون مؤكّداً ، لأن الحذف منافي للتأكيد ، إذ الحذف مبنى على الاختصار ، والتأكيد مبنى على الطول ، ومن ثم ردّ الفارسى على الزجاج في قوله في ﴿ إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(٥) : « إن التقدير « إن هذان لهما ساحران » ، فقال : الحذف والتوكيد باللام متنافيان ، وأما حذف الشئ لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما ، لأن المحذوف لدليل كالثابت .

(٣) الجمعة

(٥) طه ٦٣

(م - ١٢) الإتيان ج (٣)

(٢) القيامة ٣ ، ٤

(١) يوسف ٨٥

(٤) المعنى ٦٠٩ : وفيه : « فأين نسيه » .

الرابع : ألا يؤدَّى حذفه إلى اختصار المختصر ، ومن ثمَّ لم يحذف اسم الفعل ، لأنه اختصار للفعل .

الخامس : ألا يكون عاملاً ضعيفاً ، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا في مواضع قويت فيها الدلالة ، وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

السادس : ألا يكون المحذوف عوضاً عن شيء ، ومن ثمَّ قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضاً من « أدعو » لإجازة العرب حذفه ، ولذا أيضاً لم تحذف التاء من إقامة واستقامة ؛ وأما ﴿ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ﴾ ^(١) فلا يقاس عليه ، ولا خبر كان ، لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها .

السابع : ألا يؤدَّى حذفه إلى تهينة العامل القوي ، ومن ثمَّ لم يُسَنَّ على قراءة : ﴿ وَكُلُّ وَعَدَ اللَّهِ الْحَسَنَى ﴾ ^(٢) .

فائدة

اعتبر الأخفش في الحذف التدرج حيث أمكن ، ولهذا قال في قوله تعالى : ﴿ وَانْقُوا بَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ^(٣) : إن الأصل « لا تجزى فيه » ، لحذف حرف الجر ، فصار « تجزیه » ، ثم حذِف الضمير ، فصار « تجزى » ؛ وهذه ملاطفة في الصناعة ، ومذهب سيبويه أنها حذفاً معاً ، قال ابن جني : وقول الأخفش أوفق في النفس ، وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد .



قاعدة

الأصل أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي ، لئلا يخالف الأصل من وجهين : الحذف ووضع الشيء في غير محله ؛ فيقدر المفسر في نحو « زيدا رأيت » ، مقدماً عليه . وجوز

(١) الأنبياء ٧٣ (٢) الحديد ١٠ ، وفي قراءة ابن عامر ، وأخر تفسير الفريسي ١٧ : ٢٤٢
والنبي ٢ : ١١١ (٣) البقرة ٨ :

البيانون تقديره مؤخرأ عنه لإفادة الاختصاص ، كما قاله النحاة ، وإذا منع منه مانع ، نحو ﴿ وَأَمَّا نُمُودَ فَعَدَيْنَاكُمْ ﴾^(١) ؛ إذ لا يلي « أتا » فعل .

* * *

قاعدة

ينبغي تقليل المقدّمهما أمكن ، لنقل مخالفة الأصل ، ومن ثمّ ضُفِّ قول الفارسي في ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾^(٢) : إن التقدير « فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ » ، والأولى أن يقدر « كذلك » . قال الشيخ عز الدين : ولا يقدر من المحذوفات إلّا أشدّها مواقةً للغرض ، وأفصحها ، لأنّ العرب لا يقدرّون إلّا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام ، كما يفعلون في ذلك في المفوظ به ، نحو ﴿ جَمَلَ اللَّهُ الْكَفْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾^(٣) ، قدر أبو علي « جعل الله نُصْبَ الكعبة » ، وقدر غيره « حرمة الكعبة » ، وهو أولى لأنّ تقدير الحرمة في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته ، وتقدير النُصْب فيها بعيد من الفصاحة ، قال : ومهما تردّد المحذوف بين الحسن والأحسن ، وجب تقدير الأحسن ، لأنّ الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث ؛ فليكن محذوفه أحسن المحذوفات ، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات . قال : ومتى تردّد بين أن يكون مجملأ أو مبينأ فتقدير المبين أحسن ، نحو ﴿ وَدَاوُدَ وَسَلَمَانَ إِذِ يَخُصَمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾^(٤) ، لك أن تقدر « في أمر الحرث » ، و « في تضمين الحرث » ، وهو أولى لتعيينه ، والأمر مجمل لتردده بين أنواع .

* * *

قاعدة

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً ، والباقي فاعلاً ، وكونه مبتدأ والباقي خبرأ ؛ فالثاني أولى ؛ لأنّ المبتدأ عين الخبر ، وحينئذ فالخوف عين الثابت ، فيكون حذفاً كلياً

(١) فصلت ١٧ بقراءة النصب ، وآخر الكتاب ١٥٢ والمغنى ٢ : ٦١٢

(٢) الأبيات ٧٨

(٣) اللامعة ٩٧

(٤) الطلاق :

حذف ، فاما الفعل فإنه غير الفاعل ؛ اللهم إلا أن يعتد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع ، أو بموضع آخر يشبهه ، فالأول كقراءة ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ ^(١) بفتح الباء ، ﴿ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ ﴾ ^(٢) بفتح الحاء ، فإن التقدير : « يسبحه رجال » ، و « يوحيه الله » ، ولا يقدران مبتدأين حذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين في رواية من بَيَّ الفعل للفاعل ، والثاني نحو ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ، فتقدير « خلقهم الله » أولى من « الله خلقهم » لحيء ﴿ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٣) .

قاعدة

إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً ، فكونه ثانياً أولى ، ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو : ﴿ أُنْحَا جُوتِي ﴾ ^(٤) نون الوقاية لانون الرفع ، وفي ﴿ نَارًا تَلَطَّى ﴾ ^(٥) التاء الثانية لاتاء المضارعة ، وفي ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(٦) : أن المحذوف خبر الثاني لا الأول ، وفي نحو : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ ^(٧) أن المحذوف مضاف للثاني ، أي حج أشهر ، لا الأول ، أي أشهر الحج . وقد يجب كونه من الأول ، نحو : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ^(٨) في قراءة من رفع « ملائكتهم » لاختصاص الخبر بالثاني لوروده بصيغة الجمع ، وقد يجب كونه من الثاني نحو : ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٩) ، أي برى أيضاً ، اتقدم الخبر على الثاني .

فصل

[في أنواع الحذف]

الحذف على أنواع :

أحدهما : ما يسمى بالاختطاع ، وهو حذف بعض حروف الكلمة . وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن ، ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور ، على القول بأن

- | | | |
|---------------------------------|------------------|-----------------|
| (١) النور ٣٦ ، ومي قراءة شعبة | (٢) الشورى ٣ | (٣) الزخرف ٩ |
| (٤) الأمام ٨٠ | (٥) الليل ١٤ | (٦) التوبة ٦٢ |
| (٧) البقرة ١٩٧ | (٨) الأحزاب ٥٦ | (٩) الروبة ٣ |

كل حرف منها من اسم من أسمائه كما تقدم. وادعى بعضهم أن الباء في ﴿وَأَمْسَحُوا برُءُوسِكُمْ﴾^(١)، أول كلمة بعض، ثم حذف الباقي، ومنه قراءة بعضهم: ﴿وَنَادُوا بِأَمَالٍ﴾^(٢) بالترخيم، ولما سمعها بعض الساف، قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم! وأجاب بعضهم بأنهم أشد ما هم فيه عجوزا عن إتمام الكلمة. ويدخل في هذا النوع حذف همزة «أنا» في قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(٣)، إذ الأصل «لكن أنا»، حذف همزة «أنا» تخفيفاً وأدغمت النون في النون، ومثله ما قرئ: ﴿وَيُؤْمِنُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَرَضٌ﴾^(٤)، ﴿يَا أَنزِلِكَ﴾^(٥)، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَنَلَمَّ عَلَيْهِ﴾^(٦)، ﴿إِنهَا لَحْدَى الْكَبِيرِ﴾^(٧).

النوع الثاني: ما يسمى بالاكْتفاء، وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة. ويختص غالباً بالارتباط العطفى كقوله: ﴿سَرَّابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾^(٨) أى والبرد، وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب، وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم، لأنه أشد عندهم من البرد. وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾^(٩)، وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾^(١١). ومن أمثلة هذا النوع: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾^(١٢) أى والشر، وإتمام خص الخير بالذكر؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله ليس من باب الآداب كما قال صلى الله عليه وسلم «والشر ليس إليك». ومنها: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١٣)، أى وما تحرك، وخص السكون بالذكر؛ لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون.

(٣) الكهف ٣٨

(٦) البقرة ٢٠٣

(٩) النحل ٨٠

(١٢) الأنعام ١٣

(٢) الزخرف ٧٧

(٥) البقرة ٥

(٨) النحل ٨١

(١١) آل عمران ٢٦

(١) المائدة ٦

(٤) الحج ٦٥

(٧) المدثر ٣

(١٠) النحل ٥

ومنها : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(١) ، أى والشهادة ، لأن الإيمان بكلّ مهمل واجب ، وآثر الغيب لأنه أمدح ، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس .
ومنها : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ ^(٢) أى والمغرب .
ومنها : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) ، أى وللكافرين . قاله ابن الأنبارى ، ويؤيده قوله : ﴿ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ ^(٤) .

ومنها : ﴿ إِنْ أَمَرُوا هَلَاكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ^(٥) ، أى ولا والد ، بدليل أنه أوجب للأخت النصف ، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

النوع الثالث : ما يسمى بالاحتباك ؛ وهو من أطف الأنواع وأبدعها ، وقلّ من تنبه له أوتيه عليه من أهل فنّ البلاغة ، ولم أره فى شرح بدعيّة الأعمى ^(٦) لرفيقه الأندلسى ، وذكره الزركشى فى البرهان ، ولم يسمه هذا الاسم ، بل سمّاه الحذف المتقالتى ^(٧) ، وأفرد بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعى ، قال الأندلسى فى شرح البدعيّة : من أنواع البديع الاحتباك ، وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الأوّل كقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْقُ ... ﴾ ^(٨) الآية ، التقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذى ينق ، والذى ينق به ، فحذف من الأوّل الأنبياء لدلالة « الذى ينق » عليه ، ومن الثانى الذى ينق به لدلالة « الذين كفروا » عليه .

وقوله : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا ﴾ ^(٩) ، التقدير : تدخل غير بيضاء ، وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف من الأوّل « غير بيضاء » ومن الثانى « وأخرجها » وقال الزركشى : هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي ﴾

(١) البقرة ٢

(٢) الصافات ٥

(٣) البقرة ٣

(٤) النساء ١٧٦

(٥) البقرة ١٨٥

(٦) هو ابن جابر الأندلسى الأعمى ، محمد بن أحمد بن على المتوفى سنة ٧٨٠ . صاحب البدعيّة ، المسماة بالحلّة البيضاء . مدح خير البورى ، شرحها رفيعته أحمد بن يوسف الرعنى الأندلسى ، واضر كلف الطنونا

(٧) التعليل ١٢

(٨) البقرة ١٧١

(٩) البرهان ٣ : ١٢٩

وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرُمُونَ ﴿١﴾ ، التقدير « إن افتريته فليّ إجراي وأنتم برآء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برى مما تجرمون » .

وقوله : ﴿ وَبُعْذُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٢﴾ ، التقدير : « وبُعْذُ المنافقين إِنْ شَاءَ فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم » .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُمْ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ ﴿٣﴾ ، أى حتى يطهرن من الدم ، ويتطهرن بالماء ، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن .

وقوله : ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ﴿٤﴾ ، أى عملاً صالحاً بسيئاً ، وآخر سيئاً بصالح .

قلت : ومن لطيفه قوله : ﴿ فِتْنَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ ﴿٥﴾ ، أى فتنه مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت .

وفي الغرائب للكرمانى : فى الآية الأولى التقدير : « مثل الذين كفروا يا محمد كمثل الناعق مع الغم » ، لحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر . وله فى القرآن نظائر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام . انتهى .

وما أخذ هذه التسمية من الحبك ، الذى معناه الشدة والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب ، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه ؛ بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونى . وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حايكاً له مانعاً من خلل بطرقه ، فسدت بتقديره ما يحصل به الخلل ، مع ما أكسبه من الحسن والرونى .

النوع الرابع : ما يسمّى بالاختزال ؛ هو ما ليس واحداً مما سبق ، وهو أقسام ؛ لأن المحذوف إما كلمة اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر .

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف ، هو كثير في القرآن جداً ، حتى قال ابن جني : في القرآن منه زهاء ألف موضع . وقد سردّها الشيخ عز الدين في كتابه « المجاز » على ترتيب السور والآيات ، ومنه : ﴿ الْحَيُّ أَشْهَرُ ﴾ ^(١) ، أى حجّ أشهر ، أو أشهر الحج . ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ ^(٢) ، أى ذا البرّ أو برّ من . ﴿ خُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ^(٣) ، أى نكاح أُمَّهَاتِكُمْ . ﴿ لَأَذِقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ ^(٤) ، أى ضعف عذاب . ﴿ الرِّقَابَ ﴾ ^(٥) ، أى وفي تحرير الرقاب .

حذف المضاف إليه ، يكثر في باب التكلم ، نحو ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ^(٦) . وفي الغايات نحو ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ^(٧) ، أى من قبل القلب ومن بعده .
وفي كل ، وأى ، وبعض . وجاء في غيرهنّ كقراءة ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) بضم بلا تنوين ، أى فلا خوف شئ عليهم .

حذف المبتدأ ، يكثر في جواب الاستفهام ، نحو ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ ^(٩) أى هى نار . وبعد فاء الجواب ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ ^(١٠) ، أى فعمله لنفسه ، ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ ^(١١) ، أى فإساءته عليها . وبعد القول ، نحو ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(١٢) ،

(٣) النساء . ٢٣

(٦) الأعراف ١٥١

(٩) القارعة ٩ ، ١٠ .

(٢) البقرة ١٧٧

(٥) البقرة ١٧٧

(٨) البقرة ٣٨

(١١) الفرقان ٥

(١) البقرة ١٩٧

(:) الإسراء ٧٥

(٧) الروم ٤

(١٠) الجاثية ١٥

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ ﴾^(١).

وبعد ما الخبرُ صفة له في المعنى، نحو ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾^(٢)، ونحو ﴿ صُمِّ بُكْمٌ عُمَى ﴾^(٣).

ووقع في غير ذلك، نحو ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾^(٤)، ﴿ أَمْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ بِلَا ﴾^(٥)، أى هذا. ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾^(٦)، أى هذه.

ووجب في النعت القطوع إلى الرفع حذف الخبر، نحو ﴿ أَكَلَهَا دَائِمٌ وَظِلَّهَا ﴾^(٧)، أى دائم.

ويحتمل الأمرين ﴿ قَصَبٌ جَمِيلٌ ﴾^(٨)، أى أجل، أو فأمرى صبر. ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾^(٩) أى عليه، أو فالواجب.

حذف الموصوف ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾^(١٠)، أى حور قاصرات. ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ ﴾^(١١)، أى دروعاً سابغات. ﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١٢)، أى القوم المؤمنون.

حذف الصفة، نحو ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾^(١٣)، أى سالحة، بدليل أنه قري كذلك، و « أن تعينها » لا يخرجها عن كونها سفينة. ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾^(١٤)، أى الواضح، وإلا لكفروا بمفهوم ذلك. ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾^(١٥)، أى نافعاً.

(١) يوسف ٤٤	(٢) التوبة ١١٢	(٣) البقرة ١٨
(٤) آل عمران ١١٦	(٥) الأحقاف ٣٥	(٦) النور ١
(٧) الرعد ٣٥	(٨) يوسف ١٨	(٩) النساء ٩٢
(١٠) الصافات ٤٨	(١١) سبأ ١١	(١٢) النور ٣١
(١٣) الكهف ٧٩	(١٤) البقرة ٧١	(١٥) الكهف ١٠٥

حذف المعطوف عليه ، ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(١) فانفلق ، أي فضرِب فانفلق .
وحيث دخلت واو المعطف على لام التعليل ففي تحريكه وجهان :

أحدهما : أن يكون تعالياً مملأً محذوف ، كقوله : ﴿وَلْيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا﴾^(٢) ، فالعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعمل ذلك .

والثاني : أنه معطوف على علة أخرى . ضمرة ليظهر صحة المعطف ، أي فعمل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلى .

حذف المعطوف مع العاطف ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ﴾^(٣) أي ومن أنفق بعده . ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾^(٤) ، أي والشر .

حذف المبدل منه ، خرَّج عليه : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾^(٥) أي لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

حذف الفاعل ، لا يجوز إلا في فاعل المصدر ، نحو : ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(٦) ، أي دعائه الخير . وجوزته الكسائي مطلقاً لدليل ، وخرَّج عليه ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٧) ، أي الروح ، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٨) ، أي الشمس .

حذف المفعول ، تقدم أنه كثير في مفعول المشيئة والإرادة . ويرد في غيرها ، نحو ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾^(٩) ، أي إلهاً . ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١٠) ، أي عاقبة أمركم .

حذف الحال ، يكثر إذا كان قولاً ، نحو ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(١١) أي قائلين .

(٣) الحديد ١٠

(٦) فصلت ٤٩

(٩) الأعراف ١٥٢

(٢) الأقال ١٧

(٥) النحل ١١٦

(٨) ص ٣٢

(١١) الرعد ٢٣ ، ٢٤

(١) الشعراء ٦٣

(٤) آل عمران ٢٦

(٧) القيامة ٢٦

(١٠) التكاثر ١

حذف المنادى ﴿أَلَا يَاسْجُدُوا﴾^(١)، أى ياهؤلاء.. ﴿بَالَيْتَ﴾^(٢)، أى يا قوم .

حذف العائد يقع فى أربعة أبواب :

الصلة ، نحو ﴿أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٣) ، أى بعثه .

والصفة ، نحو ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾^(٤) ، أى فيه .

والخبر نحو ﴿وَكُلُّ وَعْدَ اللَّهِ الْحَنَى﴾^(٥) ، أى وعده .

والحال .

حذف مخصوص نفع ، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾^(٦) أى أبوب .
﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(٧) ، أى نحن . ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٨) ، أى الجنة .

حذف الموصول ، نحو ﴿آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(٩) ، أى والذى
أنزل إليكم ، لأن الذى أنزل إلينا ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ، ولهذا أعيدت « ما »
فى قوله : ﴿آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٠) .

* * *

أمثلة حذف الفعل :

يطرد إذا كان مفسراً ، نحو ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾^(١١) ، ﴿إِذَا
السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١٢) . ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾^(١٣) .

ويكثر فى جواب الاستفهام ، نحو ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا
خَيْرًا﴾^(١٤) ، أى أنزل .

وأكثر منه حذف القول ، نحو ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

(٣) الفرقان ٤١

(٦) ص ٤٤

(٩) البقرة ١٢٦

(١٢) الإسراء ١٠٠

(٢) القصص ٧٩

(٥) النساء ٩٥

(٨) النحل ٣٠

(١١) الانشقاق ١

(١) النمل ٢٥

(٤) البقرة ٤٨

(٧) المرسلات ٢٣

(١٠) التوبة ٦

(١٣) النحل ٣٠

وَأَسْمَاعِيلُ رَبَّنَا ﴿١﴾ ، أى يقولان : ربنا .

ويأتى فى غير ذلك ، نحو ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ ﴿٢﴾ ، أى وأنتم ، ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ ﴿٣﴾ ، أى وألفوا الإيمان أو اعتقدوا ، ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ﴿٤﴾ ، أى وليسكن زوجك ، ﴿ وامرأته حَمَلَةٌ خَاطَبُ ﴾ ﴿٥﴾ ، أى أذم . ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ﴿٦﴾ أى أمدح ، ﴿ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ﴿٧﴾ أى كان . ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيُوفِّيْنَهُمْ رَبِّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٨﴾ .

أمثلة حذف الحرف :

قال ابن جنى فى المختص : أخبرنا أبو على ، قال : قال أبو بكر ، حذف الحرف ليس بقياس ، لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار ، فلو ذهبت تحذفها لكانت مختصراً لها هى أيضاً ، واختصار المختصر إجحاف به .

حذف همزة الاستفهام . قرأ ابن محيصن : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتُمْ ﴾ ﴿٩﴾ ، وخرج عليه ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ﴿١٠﴾ فى المواضع الثلاثة . ﴿ وَرَبُّكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ﴾ ﴿١١﴾ ، أى أوتلك ؟ حذف الموصوف الحرف . قال ابن مالك : لا يجوز إلا فى « أن » ، نحو ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

وحذف الجار بطرد مع أن ، وأن ، نحو ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بِاللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُفُّ ﴾ ﴿١٣﴾ ، ﴿ أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ﴾ ﴿١٤﴾ ، ﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ ﴾ ﴿١٥﴾ أى بأنكم . وجاء مع غيرها ، نحو ﴿ قَدَّرْنَاهُ

(١) البقرة ١٢٧	(٢) النساء ١٧١	(٣) الخضر ٩
(٤) البقرة ٣٥	(٥) تبت ٣	(٦) النساء ١٦٢
(٧) الأحزاب ٤٠	(٨) هود ١١١	(٩) البقرة ٦
(١٠) الأنعام ٧٦	(١١) الشعراء ٢٢	(١٢) الروم ٢٤
(١٣) الحجرات ١٧	(١٤) الشعراء ٨٢	(١٥) المؤمنون ٣٥

مَنَازِلُ ﴿١﴾، أَى تَدْرِنَا لَه، ﴿وَيَبْقُونَهَا عِوَجًا﴾ ﴿٢﴾، أَى لَهَا، ﴿يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ﴿٣﴾،
أَى يَخُوفُكُمْ بِأَوْلِيَاءِنَه. ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ ﴿٤﴾، أَى مِنْ قَوْمِه. ﴿وَلَا تَغْزِمُوا
عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ ﴿٥﴾، أَى عَلَى عَقْدَةِ النِّكَاحِ.

حذف العاطف، خرج عليه الفارسي ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذْ أَمَّا تَوْكَ لَتَخِمِلَهُمْ قُلْتُ لَا أَجِدُ
مَا أَجْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَّأَوْا﴾ ﴿٦﴾ أَى وَقَاتِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِسَةٌ﴾ ﴿٧﴾، أَى
ووجوه، عطفًا على ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ﴿٨﴾.

حذف فاء الجواب، وخرج عليه الأخفش ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ﴾ ﴿٩﴾.
حذف حرف النداء، كثير. ﴿هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ﴾ ﴿١٠﴾، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ ﴿١١﴾،
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ﴿١٢﴾، ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿١٣﴾. وفي
المعجائب للسكرماني:كثر حذف «يا» في القرآن من الرَّبِّ تنزيهاً وتعظيماً؛ لأن في
النداء طرفاً من الأمر.

حذف «قد» في الماضي إذا وقع حالاً، نحو: ﴿أَوْ جَاءَ وَكَمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ﴿١٤﴾،
﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

حذف «لا» النافية، يطرّد في جواب القسم، إذا كان المنفي مضارعاً نحو: ﴿تَاللَّهِ
تَقْتًا﴾ ﴿١٦﴾. وورّد في غيره، نحو: ﴿وَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ﴿١٧﴾، أَى لَا يَطِيقُونَه.
﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَايَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ﴿١٨﴾، أَى لثلاثميد.

(٣) الأعراف ١٧٥

(٦) التوبة ٩٤

(٩) البقرة ١٨٠

(١٢) مريم ٤

(١٥) الشعراء ١١١

(٢) الأعراف ٤٥

(٥) البقرة ٢٣٥

(٨) النافسية ٢

(١١) يوسف ٢٩

(١٤) النساء ٩٠

(١٧) البقرة ١٨٤

(١) يس ٣٩

(٤) الأعراف ١٥٥

(٧) النافسية ٨

(١٠) آل عمران ١١٩

(١٣) الأنعام ١٤

(١٦) يوسف ٨٥

(١٨) النحل ١٥

حذف لام التوطئة : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرِكُونَ ﴾ ^(٢) .

حذف لام الأمر ، خرج عليه ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ﴾ ^(٣) ، أى ليقيموا .

حذف لام « لقد » يحسن مع طول الكلام ، نحو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ^(٤) .

حذف نون التوكيد ، خرج عليه قراءة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ بالنصب .

حذف التنوين ، خرج عليه ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَلَا اللَّيْلُ

سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ ^(٦) بالنصب .

حذف نون الجمع ، خرج عليه قراءة ﴿ وَمَا مِنْ بَضَارٍ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

حذف حركة الإعراب والبناء ، خرج ، عليه قراءة ﴿ فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ ﴾ ^(٧)

و﴿ بِأَمْرِكُمْ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَبِعُوقَتَيْنِ أَحَقَّ ﴾ ^(٩) بسكون الثلاثة . وكذا ﴿ أَوْيَمَفُو

الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ فَأَوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾ ^(١١) ، ﴿ مَا بَقِيَ مِنْ

الرَّبِّ بَأْ ﴾ ^(١٢) .

* * *

أمثلة حذف أكثر من كلمة :

حذف مضافين ﴿ فَأَيَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ^(١٣) ، أى فإن تعظيمها من أفعال ذوى

تقوى القلوب . ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ ^(١٤) أى من أثر حافر فرس الرسول ،

﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ ^(١٥) أى كدوران عين الذى .

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ ^(١٦) ، أى بدل شكر رزقكم

حذف ثلاث متضائفات :

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ ^(١٧) ، أى فكان مقدار مسافعه به مثل قاب لحذف

ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها :

(١) المائدة ٧٣	(٢) الأمام ١٢١	(٣) إبراهيم ٣١
(٤) الشمس ٩	(٥) الإخلاص ٢ ، ١	(٦) بس ٤٠
(٧) البقرة ٥٤	(٨) البقرة ٦٧	(٩) البقرة ٢٢٧
(١٠) البقرة ٢٣٧	(١١) المائدة ٣١	(١٢) الحج ٣٢
(١٣) طه ٩٦	(١٤) الأحزاب ١٩	(١٥) الواقعة ٨٢
(١٦) النجم ٩		

حذف مفعولى باب ظن ، ﴿أَتَيْتُ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(١) ، أى تزعمونهم شركائى .

حذف الجار على المجرور ، ﴿خَالَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ أى بسىء ، ﴿وَأَخْرَسَيْنَا﴾^(٢) أى بصالح .
حذف العاطف مع المعطوف ، تقدم .

حذف حرف الشرط وفعله ، يطرد بعد الطلب ، نحو ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣) ،
أى إن اتبعتمونى ، ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤) ، أى إن فات لهم يقيموا .
وجعل منه الزمخشري ﴿فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾^(٥) ، أى إن اتخذتم عند الله عهداً
فإن يخالف الله . وجعل منه أبو حيان ﴿فَلَمْ تَقْتُلُونْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٦) ، أى
إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون !

حذف جواب الشرط ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ﴾^(٧) ،
أى فافعل . ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٨) ،
أى أعرضوا ، بدليل ما بعده . ﴿أَتَيْنَ ذُكْرًا نَمًّا﴾^(٩) ، أى تطيرتم . ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ
مَدَدًا﴾^(١٠) ، أى لنفد . ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾^(١١) ، أى لرأيت
أمراً فطيماً . ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١٢) ،
أى ائذ بكم . ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قُلُوبِنَا﴾^(١٣) ، أى لأبدت به . ﴿وَلَوْلَا
رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾^(١٤) ، أى
لسلطكم على أهل مكة .

(٢) آل عمران ٣١

(٦) البقرة ٩١

(٩) يس ١٩

(١٢) النور ٢٠

(٢) التوبة ١٠٢

(٥) البقرة ٨

(٨) يس ٤٥

(١١) السجدة ١٢

(١٤) الفتح ٢٥

(١) الأنعام ٢٢

(٤) إبراهيم ٣١

(٧) الأنعام ٣٥

(١٠) الكهف ١٠٩

(١٢) القصص ١٠

حذف جملة القسم ﴿لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا﴾^(١) ، أى والله ، حذف جوابه .
 ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا...﴾^(٢) الآيات ، أى لتبعثن . ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٣) ،
 أى إنه لمعجز . ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^(٤) ، أى ما الأمر كما زعموا .
 حذف جملة مسببة عن المذكور ، نحو ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾^(٥) ،
 أى فعل ما فعل .

حذف جمل كثيرة ، نحو ﴿فَارْسِلُونِ* يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾^(٦) ، أى فإرسلوني
 إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ، ففعلوا فأناته فقال له : يا يوسف .

خامسة

تارة لا يقيم شئ مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يقام ما يدل عليه ، نحو ﴿فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾^(٧) ؛ فليس الإبلاغ هو الجواب لمتقدمه
 على توليهم ، وإنما التقدير : « فَإِنْ تَوَلَّوْا فَلَا لَوْمَ عَلَيَّ » أو فلا عذر لكم لأنى أبلغتكم .
 ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٨) ، أى فلا تحزن واصبر .
 ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٩) ، أى يصيهم مثل ما أصابهم .

* * *

فصل

[فى نوعى الإطناب]

كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف ، كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة .

[الإطناب بالبسط]

فالأول الإطناب بتكثير الجمل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ...﴾^(١٠) الآية فى سورة البقرة . أطنب فيها بأبلغ الإطناب لكون الخطاب
 مع التقلين ، وفى كل عصر وحين ، للعالم منهم والجاهل ، والموافق منهم والمناق .

(١) النمل ٢١	(٢) النازعات ١	(٣) ص ١
(٤) ق ١	(٥) الأفعال ٨	(٦) يوسف ٤٥ ، ٦٠
(٧) هود ٥٧	(٨) فاطر ٤	(٩) الأفعال ٣٨
(١٠) البقرة ١٦٤		

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(١)، فقوله: «ويؤمنون به»، إطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم، وحسنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه.

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ*الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٢)، وليس من المشركين مذكراً والنسكته الحث للمؤمنين على أدائها، والتحذير من المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين.

* * *

[الإطناب بالزيادة]

والثاني يكون بأنواع:

أحدها - دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد

السابقة في نوع الأدوات

وهي: إن، وأن، ولام الابتداء، والقسم، وألا الاستفاحية، وأما، وها التنبيه، وكأن في تأكيد التشبيه، ولكن في تأكيد الاستدراك، وليت في تأكيد التمني، ولعل في تأكيد الترجي، وضمير الشأن، وضمير الفصل، وإمّا في تأكيد الشرط، وقد، والستين وسوف، والنونان في تأكيد الفعالية، ولا التبرئة، وإن، ولما في تأكيد النفي، وإمّا يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكراً أو متردداً.

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه، كقوله تعالى حكاية عن رسل هيسى إذ كذبوا في المرة الأولى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(٣)، فأكد بأن وإسمية الجملة. وفي المرة الثانية: ﴿قَالُوا رَبَّنَا بَعَلَّمْ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾^(٤)، فأكد بالقسم وإن واللام وإسمية الجملة، لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٥).

وقد يؤكد بها، والمخاطب به غير منكّر، لعدم جريه على مقتضى إقراره،

(٣) يس ١٤

(٢) فصلت ٦، ٧

(١) غافر ٧

(م ١٣ - الإنفا ٣)

(٥) يس ١٥

(٤) يس ١٦

فينزل منزلة المنكر . وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأن معه أدلة ظاهرة لو تأملهم الرجوع عن إنكاره ، وعلى ذلك يخرج قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ كَافٍ ﴾ (١) أكد الموت تأكيداً وإن لم ينكر ، لتزليل المخاطبين لتماذيه في الغفلة تنزيل من ينكر الموت ، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان أشد نكيراً ؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بأن لا ينكر ، فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثاً لهم على النظر في أدلته الواضحة . ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٢) نفى عنه الريبة : « بلا » على سبيل الاستغراق ؛ مع أنه ارتاب فيه المرتابون ، لكن نزل منزلة العدم ، تعويلاً على ما يؤيده من من الأدلة الباهرة ، كما نزل الإنكار منزلة عدمه لذلك .

وقال الزمخشري : بولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان على أن يكون الموت نصب عينيه ، ولا يغفل عن ترقبه ، فإن ما له إليه ، فكأنه أكد جملته ثلاث مرات لهذا المعنى ، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعى ؛ حتى كأنه يخد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا لأن لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكاراً . (٣)

وقال التاج بن الفركاح (٤) : أكد الموت ردّاً على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني خلفاً عن سلف ، واستغنى عن تأكيد البعث هنا ، لتأكيد كيدته والرد على منكره في مواضع ، كقوله : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (٥) .

وقال غيره : لما كان العطف يقتضي الاشتراك ، استغنى عن إعادة اللام لذكرها في الأول .

وقد يؤكد بها - أي اللام - المستشرق الطالب الذي قدم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت

(١) المؤمنون ١٥ ، ١٦ (٢) البقرة ٢ (٣) قوله في البرهان ٣ : ٨٨ (٤) هو عبد الرحمن إبراهيم البدوي ، شارح التفسير ، وأحد علماء الشافعية . توفي سنة ٦٩٠ طبعات الشافعية ٦٠٠ (٥) التغابن ٧

نفسه إليه ، نحو ﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ^(١) ، أى لا تدعنى يانوح فى شأن قومك ؛ فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحاً ، ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب ، فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب فى أهم: هل صاروا محكوماً عليهم بذلك أولاً ؟ فقيل : إنهم مفرقون بالتأكيد .

وكذا قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٢) ، لما أمرهم بالتقوى وظهر ثمرتها والعقاب على تركها محلّه الآخرة ، تشوّفت نفوسهم إلى وصف حال الساعة ، فقال : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٣) ، بالتأكيد ، ليقرّر عاينه الوجوب .

وكذا قوله : ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ﴾ ^(٤) ، فيه تحيير للمخاطب ، وتردد فى أنه كيف لا يبرئ نفسه وهى بريئة زكية ، ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها السوء ، فأكدّه بقوله : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ^(٥) .

وقد يؤكّد لقصد الترغيب ، نحو ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٦) أ كد بأربع تأكيدات ترغيباً للعباد فى التوبة .

وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد انذكورة ومعانيها ومواقعها فى النوع الأربعين .

فائدة

إذا اجتمعت إن واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات ، لأن « إن » أفادت التكرير مرتين فإذا دخلت اللام صارت ثلاثاً . وعن الكسائى أن اللام لتوكيد الخبر ، وإن لتوكيد الاسم . وفيه تمجّز ، لأن التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر ، وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً ، والحقيقة بمنزلة تكريره مرتين . فقال سيبويه فى نحو

(٣) يوسف ٥٢

(٢) الحج ١

(١) هود ٢٧

(٤) البقرة ٢٧

« يَا أَيُّهَا » : الألف والهاء لحقنا أياً تو كيداً ، فكأنك كررت « يا » مرتين وصار الاسم تنبيهاً .
هذا كلامه وتابعه الزمخشري .

فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ^(١) قال الجرجاني في نظم القرآن : ليست اللام فيه للتأكيد ، فإنه منكر ؛ فكيف يحقق ما ينكر ، وإلّا ما قاله حكاية لكلام النبي صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة التأكيد ، فكاه فنزلت الآية على ذلك .

* * *

النوع الثاني — دخول الأحرف الزائدة

قال ابن جني : كل حرف زيد في كلام العرب ، فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .
وقال الزمخشري في كشفه القديم : الباء في خبر ما ، وليس لتأكيد النفي ، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب .

وسئل بعضهم عن التأکید بالحرف وما معناه ، إذ إسقاطه لا يخلّ بالمعنى ! فقال : هذا يعرفه أهل الطباع ، يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه بإسقاطه . قال : ونظيره العارف بوزن الشعر طبعاً ، إذا تغير عليه البيت بنقص أنكره وقال : أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن . فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها ، ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه .

ثم باب الزيادة في الحروف وزيادة الأفعال قليل ، والأسماء أقل .
أما الحروف فيزداد منها ، إن ، وأن ، وإذ ، وإذا ، وإلى ، وأم ، والباء ، والفاء ، وفي ، والكاف ، واللام ، ولا ، وما ، ومن ، والواو ، وتقدمت في نوع الأدوات مشروحة .
وأما الأفعال فزيد منها « كان » ، وخرج عليه ﴿ كَيْفَ نُسَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ^(٢) ، وأصبح وخرج عليه ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ ^(٣) .

وقال الرُّمَانِي : العادة أن مَنْ به علة تزداد بالليل ، أن يرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن الخسران حصل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وأما الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لا تزداد ، ووقع في كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع ، كلفظ « مثل » في قوله : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُكُمْ بِهِ ﴾^(١) ، أى بما .

* * *

النوع الثالث — التأكيد الصناعي

وهو أربعة أقسام :

أحدها : التوكيد المعنوي بكلّ ، واجمع ، وكلا وكلتا ، نحو ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾^(٢) ، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول . وادّعى الفراء أن « كلهم » أفادت ذلك ، و« أجمعون » أفادت اجتماعهم على السجود ، وأنهم لم يسجدوا متفرقين .

ثانيها : التأكيد اللفظي ، وهو تكرار اللفظ الأول إمّا بمرادفه ، نحو ﴿ ضَيْقًا خَرَجًا ﴾^(٣) ، بكسر الراء ، و ﴿ غَرَّابِيْبُ سُوْدٌ ﴾^(٤) وجعل منه الصفار في ﴿ فِيمَا إِنْ مَسَكْنَاكُمْ فِيهِ ﴾^(٥) ؛ على القول بأن كلمتها بالنفي . وجعل منه غيره : ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾^(٦) ، فوراء هنا ليس ظرفاً ، لأنّ لفظ « ارجعوا » ينبي عنه ، بل هو اسم فعل بمعنى « ارجعوا » ، فكانه قال : ارجعوا ارجعوا .

وإمّا بلفظه ويكون في الاسم والفعل والحرف ، والجملة فالاسم ، نحو ﴿ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ ﴾^(٧) ، ﴿ دَكَاةً دَكَآً ﴾^(٨) ، والفعل ﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ ﴾^(٩) .

(٣) الأمام ١٢٥

(٦) الحديّد ١٣

(٩) الطارق ١٧

(٢) المجر ٣٠

(٥) الأحقاف ٢٦

(٨) الفجر ٢١

(١) البقرة ١٣٧

(٢) فاطر ٢٧

(٧) الإنسان ١٥ ، ١٦

واسم الفعل ، نحو ﴿ هَيَّيَاتْ هَيَّيَاتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ^(١) ، والحرف . نحو ﴿ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ أَبْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ ﴾ ^(٣) .
والجمله ، نحو ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(٤) والأحسن اقتران الثانية
بثم ، نحو ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٦) ومن هذا النوع تأكيد الضمير
المتصل بالمنفصل ، نحو ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾ ^(٨) ،
﴿ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَنَّ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٩) ومن تأكيد المنفصل بمثله ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(١٠) .

ثالثها : تأكيد الفعل بمصدره ؛ وهو عوض من تكرار الفعل مرتين ، وفائدته رفع
توهم المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق فإن لرفع توهم المجاز في المسند إليه . كذا فرّق
به ابن عصفور وغيره . ومن ثم ردّ بعض أهل السُّنة على بعض المعتزلة في دعواه نفى
التكليم حقيقة بقوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ^(١١) لأن التوكيد رفع المجاز في
الفعل ؛ ومن أمثله ﴿ وَسَلَّمُوا وَسَلِّدًا ﴾ ^(١٢) ، ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ^(١٣)
﴿ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءٌ مَوْفُورًا ﴾ ^(١٤) .

وليس منه ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ ^(١٥) ؛ بل هو جمع « ظن » لاختلاف أنواعه .
وأما ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ ^(١٦) ، فتحتمل أن يكون منه وأن يكون
الشيء ، بمعنى الأمر والشأن .

(١) المؤمنون ٣٦	(٢) هود ١٠٨	(٣) المؤمنون ٣٥
(٤) النحر ٦٠	(٥) الانطار ١٧ ، ١٨	(٦) النكاثر ٤ ، ٥
(٧) البقرة ٣٥	(٨) المائدة ٢٤	(٩) لأعراب ١١٥
(١٠) يوسف ٣٧	(١١) النساء ١٦٤	(١٢) الأحزاب ٥٦
(١٣) الطور ٩ ، ١٠	(١٤) الإسراء ٦٣	(١٥) الأحزاب ١٠
(١٦) الأنعام ٨٠		

والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد، نحو ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِيًا رَأً كَثِيرًا ﴾ ^(١)، ﴿ وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ ^(٢). وقد يضاف وصفه إليه، نحو ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ^(٣)، وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابة عن المصدر، نحو ﴿ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ ^(٤)، والتبثيل مصدر «بتل». ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ^(٥)، أى إنباتًا، إذ النبات اسم عين.

رابعها: الحال المؤكدة، نحو ﴿ وَيَوْمَ أُنْفِثُ حَيًّا ﴾ ^(٦)، ﴿ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ^(٧)، ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ ^(٨)، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٩)، ﴿ وَأَزْلَفْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ^(١٠). وليس منه ﴿ وَلِي مُدِيرًا ﴾ ^(١١)، لأن التولية قد لا تكون إدارًا، بدليل قوله: ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١٢). ولا ﴿ فَتَنَّبَسَ صَاحِكًا ﴾ ^(١٣)، لأن التنبس قد لا يكون ضحكًا، ولا ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ ^(١٤)، لاختلاف المعنيين، إذ كونه حقًا في نفسه غير كونه مصدقًا لما قبله.

* * * النوع الرابع — التكرير

وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافاً لبعض من غلط. وله فوائد:

منها التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كثر الأقايسص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ ^(١٥).

(١) الأحزاب ٤١	(٢) الأحزاب ٤٩	(٤) آل عمران ١٠٢
(٤) المزمل ٨	(٥) نوح ١٧	(٦) مريم ٣٣
(٧) البقرة ٦٠	(٨) النساء ٧٩	(٩) البقرة ٨٣
(١٠) ق ٣١	(١١) النمل ١٠	(١٢) البقرة ١٤٤
(١٣) النمل ١٩	(١٤) البقرة ٩١	(١٥) طه ١١٣

ومنها التأكيد .

ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، ومنه : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ (١) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

ومنها إذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانياً نظرية له وتجديداً لعده ، ومنه ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ (٢) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (٤) . ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُجَاهِدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٥) ، ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ ﴾ (٦) .

ومنها التعظيم والتهويل ، نحو ﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٧) ، ﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٨) ، ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ (٩) .

فإن قلت : هذا النوع أحد أقسام النوع الذي قبله ، فإن منها التأكيد بتكرار اللفظ ، فلا يحسن عده نوعاً مستقلاً . قلت : هو بحاميه ويفارقه ، ويزيد عليه وينقص عنه ، فصار أصلاً برأسه ، فإنه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدم في أمثله ، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً ، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعية ، وإن كان مفيداً للتأكيد معنى . ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين ، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده ، نحو ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١٠) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ طَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١) ، فالإتيان من باب التكرير لا التأكيد لللفظي الصناعي . ومنه الآيات المقدمة في التكرير للطول .

(٣) النحل ١١٠

(٦) يوسف ٤

(٩) الواقعة ٢٧

(٢) النحل ١١٩

(٥) آل عمران ١٨٨

(٨) القارعة ١ ، ٢

(١١) آل عمران ٤٢

(١) غافر ٣٨

(٤) البقرة ٨٩

(٧) الحاقة ٢ ، ١

(١٠) الحشر ١٨

ومنه ما كان لتعدد المتعلق ، بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير مانع له الأول ، وهذا القسم يُسمى بالترديد ، كقوله : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ ^(١) ، وقع فيها التردد أربع مرات .

وجُمِلَ منه قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ^(٢) ، فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة ، فكل واحدة تتعلق بما قبلها ، ولذلك زادت على ثلاثة ، ولو كان الجميع عانداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة ، لأن التأكيد لا يزيد عليها . قاله ابن عبد السلام وغيره .

وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النعمة للتحذير نعمة . وقد سئل : أي نعمة في قوله : ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَن﴾ ^(٣) ؟ فأجيب بأجوبة ، أحسنها ، النقل من دار المموم إلى دار السرور ، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر .

وكذا قوله : ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ^(٤) في سورة المرسلات ؛ لأنه تعالى ذكره قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ؛ فكأنه قال عقب كل قصة : « وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِ بِهذه القصة » .

وكذا قوله في سورة الشعراء : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، كررت ثمانى مرات ، كل مرة عقب كل قصة ، فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والمعبر . وبقوله : ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، إلى قومه خاصة ، ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا ، أتى بوصف العزيز الرحيم للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم ، والرحمة لمن آمن .

(١) النور ٣٥ (٢) الرحمن ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ... (٣) المرسلات ١٩ ، ٢٤ ...

(٤) الرحمن ٢٦

(٥) الشعراء ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ٨٥١ ، ١٧٤ ، ١٩٠

وكذا قوله في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(١)، قال الزمخشري: كرّر ليجددوا عند سماع كل نبا منها انعطافاً وتنبيهاً، وإن كلاً من تلك الأنباء مستحق للاعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة.

قال في عروس الأفراح: فإن قلت: إذا كان المراد بكل ما قبله، فليس ذلك بإطناب؛ بل هي ألفاظ؛ كل أريد به غير ما أريد بالآخر. قلت: إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ، فكل واحد أريد به ما أريد الآخر، ولكن كرّر ليكون نصاً فيما يليه وظاهراً في غيره. فإن قلت: يلزم التأكيد، قلت: والأمر كذلك، ولا يرد عليه أن التأكيد لا يزداد به عن ثلاثة؛ لأن ذاك في التأكيد الذي هو تابع، أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع. انتهى.

ويقرّب من ذلك ما ذكره ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً﴾^(٢)، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾، قال: فإن قيل: ما وجه تكرار قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ في آيتين إحداهما في أثر الأخرى؟ قلنا: لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض، وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه، وفي الأخرى حفظ بارئه إياه وعلمه به وتقديره قال: فإن قيل: أفلا قيل: «وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً» أو كفى بالله وكيلاً؟ قيل: ليس في الآية الأولى ما يصلح أن تحتّم بوصفه معه بالحفظ والتقدير^(٣) انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٤)، قال الراغب: الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٥)،

والكتاب الثاني التوراة ، والثالث الجنس ، كتب الله كلها ، أى ماهو من شئ من كتب الله وكلامه .

ومن أمثلة ما يظن تكراراً ، وليس منه ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ^(١) إلى آخرها ، فإن « لا أعبد ما تعبدون » أى فى المستقبل « ولا أنتم عابدون » ، أى فى الحال « ما أعبد » فى المستقبل « ولا أنا عابد » ، أى فى الحال ما عبدتم فى الماضى ، « ولا أنتم عابدون » أى فى المستقبل « ما أعبد » ، أى فى الحال . فالخلاص أن القصد نفى عبادته لأهلهم فى الأزمنة الثلاثة .

وكذا ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ ^(٣) ، ثم قال : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ^(٤) ؛ فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر ، فالأول الذكر فى مَزْدَلَّة عند الوقوف بقَرَح ، وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ إشارة إلى تكرره ثانياً وثالثاً ، ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة ، بدليل تعقيبه بقوله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ ﴾ . والذكر الثالث إشارة إلى رعى جرة العقبة ، والذكر الأخير لرمى أيام التشريق .

ومنه تكرير حرف الإضراب فى قوله : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ ^(٦) .

ومنه قوله : ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَحَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٧) ، ثم قال : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٨) فكرر الثانى ليعم كل مطاوعة ، فإن الآية الأولى فى المطلقة قبل الفرض

(٣) البقرة ٢٠٠

(٦) النمل ٦٦

(٢) البقرة ١٩٨

(٥) الأنبياء ٥

(٨) البقرة ٢٤١

(١) الكافرون ٢ ، ١

(٤) البقرة ٢٠٣

(٧) البقرة ٢٣٦

والمسيس خاصة ؛ وقيل لأن الأولى لا تشعر بالوجوب ، ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة : إن شئت أحسنت ، وإن شئت فلا ، فنزلت الثانية ، أخرجه ابن جرير .

ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ ^(١) .

وكذلك ضرب مثل المناققين أول البقرة بالمستوقد ناراً ، ثم ضربه بأصحاب الصَّيْب . قال الزمخشري : والثاني أبلغ من الأول ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته ؛ قال : ولذلك أخر ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ .

ومن ذلك تكرير القصص ، كقصّة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء ، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه . وقال ابن العربي في القواصم : ذكر الله قصّة نوح في خمس وعشرين آية ، وقصّة موسى في تسعين آية .

وفد ألف البدّر بن جماعة كتاباً سماه « المقتنص في فوائد تكرار القصص » وذكر في تكرير القصص فوائد :

منها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله ، أو إبدال كلمة بأخرى لنسكتة ، وهذه عادة البلغاء .

ومنها أن الرجل كان يسمع القصّة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم ؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصّة عيسى إلى قوم آخرين ؛ وكذا سائر القصص ؛ فأراد الله اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين .

ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يحقّق من الفصاحة .

ومنها أن الدواعى لا تتوقف على نقلها كتوقفها على نقل الأحكام ؛ فلهذا كررت القصص دون الأحكام .

ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القومُ عن الإتيان بمثله ، بأيّ نظم جاءوا ، ثم أوضح الأمر في عجزهم ؛ بأن كرّر ذكر القصة في مواضع ، إعلالاً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، أى بأيّ نظم جاءوا ، وبأيّ عبارة عبّروا .

ومنها أنه لما تحدّثهم قال : ﴿ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ ^(١) ، فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها لقال العربى : إيتونا أنتم بسورة من مثله ، فأُنزل لها سبعجانه وتعالى في تعداد السور دفعا لحجّتهم من كلّ وجه .

ومنها أن القصة لما كرّرت كان في ألفاظها في كلّ موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وأنت على أسلوب غير أسلوب الأخرى ، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في الأنظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جُبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها ، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هُجْنَة في اللفظ ، ولا ملل عند سماعه ؛ فباين ذلك كلام المخلوقين .

وقد سئل : ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص ؟ وأجيب بوجوه :
أحدها : أن فيها تشبيب النسوة به ، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً ، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والسّتر ، وقد صحّح الحاكم في مستدرّكه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

ثانياً : أنها اختصّت بحصول الفرج بعد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن ما لها إلى الوبال كقصة إبليس ، وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم ، فلما اختصّت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

ثالثها : قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراينى : إنما كرّر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب ؛ كأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن كان من تلقاء نفسى ، فافعلوا فى قصة يوسف ما فعلت فى سائر القصص . قلت : وظهر لى جواب رابع ، وهو أنّ سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقصّ عليهم ، كما رواه الحاكم فى مستدرّكه ، فنزلت مبسوطة نامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفها .

وجواب خامس ، وهو أقوى ما يجب به ، أنّ قصص الأنبياء إنما كرّرت ؛ لأنّ المقصود بها إفادة إهلاك مَنْ كَذَبُوا رسلهم ، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمة كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب ، كما حلّ على الكذّبين ، ولهذا قال تعالى فى آيات : ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ ^(٢) ، وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك .

وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح . فإن قلت : قد تكررت قصة ولادة يحيى و ولادة عيسى مرتين ، وليست من قبيل ما ذكرت . قلت : الأولى فى سورة « كهيعص » ، وهى مكية ، أنزلت خطاباً لأهل مكة ، والثانية فى سورة آل عمران ، وهى مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا ، ولهذا اتصل بها ذكر الحاجة والمبالاة .

النوع الخامس — الصفة

وترد لأسباب :

أحدها : التخصيص فى النكرة ، نحو ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ ^(٣) .
الثانى : التوضيح فى المعرفة ، أى زيادة البيان ، نحو ﴿ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ﴾ ^(٤) .

الثالث : المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى ، نحو ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(١) ، ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾^(٢) .

ومنه ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾^(٣) ، فهذا الوصف للمدح ، وإظهار شرف الإسلام والتعريض باليهود وأتباعهم بعداء عن ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم ، وأتباعهم بمعزل عنها . قاله الزمخشري .

الرابع : الذم ، نحو ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٤) .

الخامس : التأكيد لرفع الإيهام ، نحو ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْإِهِينَ اثْنَيْنِ ﴾^(٥) ، فإن « إلهين » للتثنية ، فاثنتين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك ، ولإفادة أن النهي عن « إلهين » ، إنما هو لحض كونهما اثنتين فقط ، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ، ولأن الوحدة ، تطلق ويراد بها النوعية كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما نحن ونحو المطلب شيء واحد » وتطلق ويراد بها نفى العدة ؛ فالتثنية باعتبارها ، فلو قيل « لا تتخذوا الإهين » فقط لثبوتهم أنه نهى عن اتخاذ جنسين إلهة ؛ وإن جاز أن يتخذ من نوع واحد عدداً إلهة ، ولهذا أكد بالوحدة قوله : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٦) .

ومثله : ﴿ فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾^(٧) ، على قراءة تنوين « كل » وقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾^(٨) ، فهو تأكيد لرفع نوح تعدد النفخة ؛ لأن هذه الصيغة قد تدل على الكثرة بدليل ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾^(٩) .

ومن ذلك قوله : ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾^(١٠) ، فإن لفظ « كانتا » تفيد التثنية

(٣) المائدة : ٤

(٦) الأنعام : ١٩

(٩) إبراهيم : ٣٤

(٢) الممتحنة : ٢٤

(٥) النحل : ٥١

(٨) الحاقة : ١٣

(١) الفاتحة : ١-٤

(٤) النحل : ٩٨

(٧) المؤمنون : ٢٧

(١٠) النساء : ١٧٦

فتفسيره باثنتين لم يُفد زيادة عليه .

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والفارسي بأنه أفاد العدد المحض مجرداً عن الصفة ؛ لأنه قد كان يجوز أن يقال : « فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات » ، فلما قال « اثنتين » ، أفهم أن فرض الثنتين تعلّق بمجرد كونها اثنتين فقط ، وهي فائدة لا تحصل من ضمير الثنى . وقيل أراد : « فإن كانتا اثنتين فصاعداً » ، فعبر بالأدنى عنه وعمّا فوقه اكتفاءً ، ونظيره : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ ^(١) ، والأحسن أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين .

ومن الصفات المؤكدة قوله : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ^(٢) ، فقوله « يطير » لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقة ، فقد يطلق مجازاً على غيره ، وقوله : « بجناحيه » لتأكيد حقيقة الطيران ، لأنه يطلق مجازاً على شدة العدو والإسراع في المشي .

ونظيره ﴿ يَقُولُونَ بِالْأَسِنَّةِ ﴾ ^(٣) ، لأن القول يطلق مجازاً على غير اللسان بدليل ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٤) .

وكذا ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٥) ، لأن القلب قد يطلق مجازاً على العين كما أطلقت العين مجازاً على القلب في قوله : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ ^(٦) .

قاعدة

الصفة العامة لاتأتى بعد الخاصة ، لا يقال : رجل فصيح متكلم ، بل متكلم فصيح وأشكل على هذه قوله تعالى في إسماعيل : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ^(٧) وأجيب أنه حال لصفة ، أى مرسلًا في حال نبوته . وقد تقدّم في نوع التقديم والتأخير أمثلة من هذه

قاعدة

إذا وقعت الصفة بعد متضايقين أولهما عدد جاز إجراؤها على المضاف ، وعلى المضاف

(٣) الفتح ١١

(٦) الكهف ١٠١

(٢) الأنعام ٣٨

(٥) الحج ٤٦

(١) البقرة ٢٨٢

(٤) المجادلة ٨

(٧) مريم ٥١

إليه ، فمن الأول ﴿ سَمِعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ^(١) ، ومن الثاني ﴿ سَبَعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ ^(٢) .

فائدة

إذا تكررت النعوت لواحد ، فالأحسن إن تباعد معنى الصفات العطف ، نحو ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٣) ، وإلا تركه ، نحو ﴿ وَلَا نَطْعُ كُلِّ خَلَافٍ مَهِينٍ * هَمَازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ * عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ^(٤) .

فائدة

قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من أجزائها ، قال الفارسي : إذا ذكرت صفات في معرض المدح أو الذم ، فالأحسن أن يخالف في إعرابها ؛ لأن المقام يقتضي الإطناب ، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل ، لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتنفن ، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً .

مثاله في المدح ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٦) ، إلى قوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَعْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ ﴾ ^(٧) .

وقرى شاذاً ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ برفع « رب » ونصبه .

ومثاله في الذم ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(٧) .

(٣) الحديد ٣

(٢) يوسف ٤٣

(١) الملك ٣

(٦) البقرة ١٧٧

(٥) النساء ١٦٢

(٤) القلم ١٠ - ١٣

(١٤) الإنشقاق ج ٣

(٧) المسد ١

(٦) البقرة ١٧٧

النوع السادس - البدل

والقصد به الإيضاح بعد الإبهام ، وفائدته البيان والتأكيد ، أمّا الأول فواضح أنك إذا قلت : « رأيت زيدا أخاك » بينت أنك تريد يزيد الأخ لا غير ، أمّا التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل ، فكأنه من جماتين ، ولأنه دلّ على ما دلّ عليه الأول ، إمّا بالمطابقة في بدل الكلّ ، أو بالتضمن في بدل البعض ، أو بالالتزام في بدل الاشتمال .

مثال الأول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ اتَّهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةِ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ ^(٣) .

ومثال الثاني : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٤) . ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ^(٥) .

ومثال الثالث : ﴿ وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ * النَّارِ ﴾ ^(٨) ، ﴿ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ ﴾ ^(٩) .

وزاد بعضهم بدل الكلّ من البعض ، وقد وجدت له مثالا في القرآن ، وهو قوله : ﴿ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلُمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ ^(١٠) ، ف « جنات عدن » بدل من الجنة التي هي بعض ، وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لا جنة واحدة ، قال ابن السيّد : وليس كلّ بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في المبدل منه ، بل من البدل ما يراد به التأكيد ، وإن كان ما قبله غنيا عنه ، كقوله : ﴿ وَإِنَّكَ أَتَّهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ ^(١١) ، ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في أن

(٣) العلق ١٥ ، ١٦

(٦) الكهف ٦٣

(٩) الزخرف ٣٣

(٢) الشورى ٥٢ ، ٥٣

(٥) البقرة ٢٥١

(٨) البروج ٤ ، ٥

(١) الفاتحة ٦ ، ٧

(٤) آل عمران ٩٧

(٧) البقرة ٢١٧

(١٠) مريم ٦٠ ، ٦١

الصراط المستقيم ، هو صراط الله ! وقد نصّ سيبويه ، على أن من البذل ، ما الغرضُ منه التأكيد . انتهى .

وجعل منه ابنُ عبد السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ ^(١) ، قال : ولا بيان فيه ؛ لأن الأب لا يلتبس بغيره ، ورُدّ بأنه يطلق على الجدّ ، فأبدل لبيان إرادة الأب حقيقة .

* * *

النوع السابع — عطف البيان

وهو كالصفة في الإيضاح ، لكن يفارقها في أنه وضع ليدلّ على الإيضاح باسم مختصّ به بخلافها ؛ فإنها وضعت لتدلّ على معنى حاصل في متبوعها .
وفرق ابنُ كيسان بينه وبين البذل ، بأن البذل هو المقصود وكانك قرّرتَه في موضع المبدل منه ، وعطف البيان وما عطف عليه ، كلٌّ منهما مقصود .

وقال ابنُ مالك في شرح الكافية : عطف البيان يجري مجرى التعت في تكميل متبوعه ، ويفارقه في أن تكميله متبوعه بشرح وتبيين ، لا بدلالة على معنى في المتبوع ، أو سببية . ويجرى التأكيد في تقوية دلالته ، ويفارقه في أنه لا يرفع توفهم مجاز ، ويجرى البذل في صلاحيته للاستقلال ، ويفارقه في أنه غير منوى الاطراح . ومن أمثله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ ^(٣) .

وقد يأتي لجرد المدح بلا إيضاح ، ومنه ﴿ جَمَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ ^(٤) ، فالبيت الحرام عطف بيان للمدح لا للإيضاح .

* * *

النوع الثامن — عطف أحد المترادفين على الآخر

والقصد منه التأكيد أيضاً ، وجعل منه ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ ^(٦) .

(٣) النور ٣٥

(٢) آل عمران ٩٧

(١) الأنعام ٧٤

(٦) آل عمران ١٤٦

(٥) يوسف ٨٦

(٤) المائدة ٩٧

﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَفًّا ﴾ ^(١) ، ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكَوْلًا تَخَشَى ﴾ ^(٢) ،
 ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ ^(٣) ، قال الخليل : العِوَج والَأَمْت بمعنى واحد ، ﴿ سِرْمٌ
 وَنَجْوَاهُمْ ﴾ ^(٤) ، ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ^(٥) ، ﴿ لَا تَنْبِي وَلَا تَنْذُرُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ إِلَّا
 دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ أَطْمَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا ﴾ ^(٨) ، ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا
 فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ ^(٩) ، فإن « نَصَب » كَلِفٌ وَزَنًا ومعنى ، ﴿ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَرَحْمَةٌ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴾ ^(١١) ، قال ثعلب : هاهنا بمعنى .

وأنكر البرد وجود هذا النوع في القرآن ، وأوّل ما سبق على اختلاف المعنيين .
 وقال بعضهم : المخلص في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند
 افرادهما ، فإن التركيب يحدث معنى زائداً ، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى
 فكذلك كثرة الألفاظ .

النوع التاسع — عطف الخالص على العام

وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام ، تنزيلاً للتغاير في الوصف
 منزلة التغاير في الذات .

وحكى أبوحيان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول : هذا العطف يسمى
 بالتجريد ، كأنه جرّد من الجملة وأفرّد بالذكر تفصيلاً .

ومن أمثلته : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ^(١٢) ، ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
 لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
 الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(١٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
 بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١٥) ، فإن إقامتها من جملة التمسك بالكتاب ، وخُصّت

(١) طه ١١٢	(٢) طه ٧٧	(٣) طه ١٠٧
(٤) التوبة ٧٨ والزخرف ٨٠	(٥) المائدة ٤٨	(٦) المدثر ٢٨
(٧) البقرة ١٧١	(٨) الأحزاب ٦٧	(٩) فاطر ٣٥
(١٠) البقرة ١٥٧	(١١) المرسلات ٦	(١٢) البقرة ٢٣٨
(١٣) البقرة ١٥٧	(١٤) آل عمران ١٠٤	(١٥) الأعراف ١٧٠

بالذكر إظهاراً لمرتبتها ، لكونها عماد الدين ، وخصّ جبريل وميكائيل بالذكر ردّاً على اليهود في دعوى عداوته ، وضمّ إليه ميكائيل لأنّه ملك الرزق الذي هو حياة الأجساد ، كما أنّ جبريل ملك الوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح .

وقيل إنّ جبريل وميكائيل لما كانا أميري الملائكة لم يدخلوا في لفظ الملائكة أولاً ، كما أنّ الأمير لا يدخل في معنى الجند . حكاه الكرماني في المعجائب .

ومن ذلك ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ ^(١) . ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) بناءً على أنّه لا يختص بالواو ، كما هو رأي ابن مالك فيه وفيما قبله ، وخصّ المطوف في الثانية بالذكر تنبيهاً على زيادة قبحه .

تنبيه

المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملاً الثاني ، لا المصطلح عليه في الأصول .

* * *

النوع العاشر - عطف العام على الخاص

وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم ، وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أمثلته : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ ^(٣) ، والنسك العبادة ، فهو أعم ، ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ^(٦) .

وجعل منه الزمخشري ﴿ وَمَنْ يُدْبِرِ الْأُمْرَ ﴾ ^(٧) ، بعد قوله : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ ^(٧) .

(٣) الأنعام ١٦٢

(٢) الأنعام ٩٣

(١) النساء ١١٠

(٦) التحريم ٤

(٥) نوح ٢٨

(٤) الحجر ٨٧

(٧) يونس ٣١

النوع الحادى عشر : الإيضاح بعد الإيهام

قال أهل البيان : إذا أردت أن تبهم ثم توضح ؛ فإنك تطنب ؛ وفائدته ؛ إما رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين : الإيهام والإيضاح ، أو تمكن المعنى فى النفس تمكناً زائداً لوقوعه بعد الطلب ؛ فإنه أعز من المناسق بلا تعب ، أو لتسكل لذة العلم به ؛ فإن الشئ إذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتآملت ، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه ؛ كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة .

ومن أمثله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ^(١) ، فإن ﴿ اشرح ﴾ يفيد طلب شرح شئ ما ، و « صدرى » يفيد تفسيره وبيان . وكذلك ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ ^(٢) ، والمقام يقتضى التأكيد للإرسال المؤذن بقلقى الشدائد . وكذلك ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ^(٣) ، فإن المقام يقتضى التأكيد لأنه مقام امتنان وتفخيم . وكذا ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ ^(٤) .

ومنه التفصيل بعد الإجمال ، نحو ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ ^(٥) ، إلى قوله : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ^(٦) ، وعكسه كقوله : ﴿ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ^(٧) أعيد ذكر « العشرة » لرفع توهم أن الواو فى « وسبعة » ، بمعنى « أو » ، فتكون الثلاثة داخلة فيها ، كما فى قوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(٨) ، فإن من جملتها اليومين المذكورين أولاً ، وليست أربعة غيرها . وهذا أحسن الأجوبة فى الآية ، وهو الذى أشار إليه الزمخشري ورجحه ابن عبد السلام وجزم به الزمكسكانى فى « أسرار التنزيل » ، قال : ونظيره ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ ﴾ ^(٩) ، فإنه رافع لاحتمال أن تكون

(٣) الحجر ٦٦

(٦) فصلت ٩ - ١٠

(١) الشرح ١

(٥) البقرة ١٩٦

(٢) طه ٢٥

(٤) التوبة ٣٦

(٨) الأعراف ١٤٢

تلك العشرة من غير مواعدة . قال ابن عسك^(١) : وفائدة الوعد بثلاثين أولاً ، ثم بعشر ، ليتجدد له قرب انقضاء المواعدة ، ويكون فيه متأهباً مجتمعا الرأي ، حاضر الذهن ، لأنه لو وعد بالأربعين أولاً كانت متساوية ، فلما فصّات استشعرت النفس قرب التمام ، وتجدد بذلك عزيم لم يتقدم .

وقال الكرماني في العجائب : في قوله : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ، ثمانية أجوبة : جوابان من التفسير وجواب من الفقه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ، وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب ، وقد سقتها في « أسرار التنزيل » .

* * *

النوع الثاني عشر : التفسير

قال أهل البيان : وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء ، فيؤتى بما يزيله ويفسره . ومن أمثاله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾^(٢) .

فقوله : « إذا مَسَّهُ » الخ تفسير للهلع ، كما قال أبو العالية وغيره .

﴿ الْقِيَوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٣) ، قال البيهقي ، في « شرح الأسماء الحسنى » :

قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ تفسير للقيوم .

﴿ يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ ... ﴾^(٤) ، الآية ، فيذبحون وما بعده

تفسير للسوم .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ... ﴾^(٥) ، الآية ، « خلقه »

وما بعده تفسير للمثل .

﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾^(٦) ، « تلقون »

تفسير لاتخاذهم أولياء .

﴿ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ... ﴾^(٧) الآية ، قال محمد بن كعب القرطبي : لم يلد

(١) لعله محمد بن علي بن الحضر الساسي ، صاحب كتاب « المشرع الروي في الزيادة على غريب

البروي » توفي سنة ٦٣٦ . قضاة الأندلس ٣٢١

(٢) المعارج ١٩ — ٢١

(٣) البقرة ٢٥٥ (٤) البقرة ٤٩ (٥) آل عمران ٥٩ (٦) المتحنة ١ (٧) الإخلاص ٣، ٢

إلى آخره تفسير للصمد، وهو في القرآن كثير، قال ابن جني: ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها، لأن تفسير الشيء لاحق به ومتم له وجار مجرى بعض أجزائه.

* * *

النوع الثالث عشر: وضع الظاهر موضع المضمَر

ورأيت فيه تأليفاً مفرداً لابن الصائغ، وله فوائد:

منها زيادة التقرير والتأكيد، نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١)، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٣)، ﴿لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

ومنها: قصد التعظيم، نحو: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤)، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥)، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾^(٦)، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٧).

ومنها: قصد الإهانة والتحقير، نحو: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٨)، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾^(٩).

ومنها: إزالة اللبس حيث يوم الضمير أنه غير الأول، نحو: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾^(١٠)، لوقال: «تؤتيه» لأوهم أنه الأول، قاله ابن الخشاب. ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ﴾^(١١) لأنه لوقال «عليهم دائرته» لأوهم أن الضمير عائد إلى الله تعالى. ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾^(١٢)، لم يقل: «منه» لثلاً بتوهم عود الضمير إلى الأخ، فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها،

(٣) غافر ٦١

(٦) الإسراء ٧٨

(٩) الإسراء ٥٣

(١٢) يوسف ٧٦

(٢) الإسراء ١٠٥

(٥) المجادلة ٢٢

(٨) المجادلة ١٩

(١١) الفتح ٦

(١) الإخلاص ١، ٢

(٤) آل عمران ٧٨

(٧) الأعراف ٢٦

(١٠) آل عمران ٢٦

وليس كذلك لما في المباشرة من الأذى الذى تأباه النفوس الأبية فأعيد لفظ « الظاهر » لنفى هذا ، ولم يقل : « من وعائه » ، لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف ؛ لأن العائد عليه ضمير « استخرجها » .

ومنها : قصد تربية المهابة ، وإدخال الروع على ضمير السامع ، بذكر الاسم المقتضى لذلك ، كما تقول : الخليفة أمير المؤمنين يأمر بكذا ، ومنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ ^(٢) .

ومنها : قصد تقوية داعية المأمور ، ومنه ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(٣) .

ومنها تعظيم الأمر ، نحو ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ^(٤) ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ ^(٦) .

ومنها : الاستلذاذ بذكره ، ومنه ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٧) ، لم يقل : « منها » ، ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

ومنها : قصد التوصل من الظاهر إلى الوصف ، ومنه ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ ^(٧) ، بعد قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ^(٨) ، لم يقل : « فآمنوا بالله وبى » ليتكمن من إجراء الصفات التى ذكرها ، وليعلم أن الذى وجب الإيمان به والاتباع له هو مَنْ وُصِفَ بهذه الصفات ، ولو آتى بالضمير لم يمكن ذلك لأنه لا يوصف .

ومنها : التنبيه على عليية الحكم ، نحو ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ

(٣) آل عمران ١٥٩

(٢) النحل ٩٠

(١) النساء ٥٨

(٦) الإنسان ١ ، ٢

(٥) العنكبوت ٢٠

(٤) العنكبوت ١٩

(٨) الأعراف ١٥٨

(٧) الزمر ٧٤

لَهُمْ ﴿١﴾ ، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ ،
لم يقل : « لهم » إعلاماً بأن من عادى هؤلاء فهو كافر ، وإن الله إنما عاداه لكفره :
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ،
﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿٥﴾ ،
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٦﴾ .

ومنها : قصد العموم ، نحو ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾ ﴿٧﴾ ، لم يقل :
« إنها » لثلاث فيهم تخصيص ذلك بنفسه ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ﴿٨﴾ ،
﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا﴾ ﴿٩﴾ .

ومنها : قصد الخصوص ، نحو ﴿وَأَمْرَأةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ﴿١٠﴾ ،
لم يقل : « لك » تصريحاً بأنه خاص به .

ومنها : الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى ، نحو ﴿وَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ
عَلَى قَلْبِكَ وَيَبْحَثُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ ﴿١١﴾ ، فإن « ويمح الله » استئناف ، لا داخل في
حكم الشرط .

ومنها : مراعاة الجنس ، ومنه : ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...﴾ ﴿١٢﴾ ، السورة ، ذكره
الشيخ عز الدين ، ومثله ابن الصائغ بقوله : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿١٣﴾ ، ثم قال :
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ * كلاً إنَّ الإنسانَ ليطغى ﴿١٤﴾ ، فإن المراد بالإنسان
الأول الجنس ، والثاني آدم ، أو من يعلم الكتابة أو إدريس ، وبالثالث أبو جهل .

(١) الأعراف ١٦٢	(٢) البقرة ٥٩	(٣) البقرة ٥٨
(٤) يونس ١٧	(٥) الأعراف ١٧٠	(٦) الكهف ٣٠
(٧) يوسف ٥٣	(٨) النساء ١٥١	(٩) النساء ٣٧
(١٠) الأحزاب ٥٠	(١١) الشورى ٢٤	(١٢) الناس ١
(١٣) العلق ٢ ، ٥ ، ٦		

ومنها : مراعاة الترتيب وتوازن الألفاظ في التركيب ، ذكره بعضهم في قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ^(١) .

ومنها : أن يتحمل ضميراً لا بد منه ، ومنه ﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾ ^(٢) لوقال : « استطعماها » لم يصب ، لأنها لم يستطعما القرية ، أو « استطعماهم » فكذلك ، لأن جملة « استطعما » صفة لقرية النكرة ، لا « أهل » ، فلا بد أن يكون فيها ضمير يعود عليها ، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر . كذا حرره السبكي في جواب سؤال سألته الصلاح الصفدي في ذلك حيث قال :

أَسَيْدُنَا قَاضِي الْقَضَاءِ وَمَنْ إِذَا	بَدَأَ وَجْهُهُ اسْتَحْيَا لَهُ الْقَمَرَانِ
وَمَنْ كَفَّمَهُ يَوْمَ النَّدَى وَيَرَأُوهُ	عَلَى طَرَسِهِ بِحِرَانٍ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ إِنْ دَجَّتْ فِي الْمَشْكَلاتِ مَسَائِلُ	جَلَّاهَا بِفِكْرٍ دَائِمٍ اللَّامِعَاتِ
رَأَيْتُ كِتَابَ اللَّهِ أَكْبَرَ مُعْجَزٍ	لَأَفْضَلٍ مَنْ يَهْدِي بِهِ الثَّقَلَانِ
وَمَنْ جَمَلَةُ الْإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ	بِإِعْجَازِ أَلْفَافٍ وَبَسْطِ مَعَانِ
وَلَكُنْتَنِي فِي الْكَهْفِ أَبْصَرْتُ آيَةً	بِهَا الْفِكْرُ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ عَنَانِي
وَمَا هِيَ إِلَّا « اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا » فَقَدْ	نَرَى اسْتَطْعَمَاهُمْ مِثْلَهُ بَيَانِ
فَمَا الْحِكْمَةُ الْفَرَاهِ فِي وَضْعِ ظَاهِرِهِ	مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنْ ذَاكَ لِشَانِ
فَارْشُدْ عَلَى عَادَاتِ فَضْلِكَ حَبْرَتِي	فَالِي بِهَا عِنْدَ الْبَيَانِ يَدَانِ

تنبيه

إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه كما مر في آيات : ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ^(٤) ، ونحوها .

ومنه ﴿ مَا يَبُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنْزُلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾ ، فَإِنَّ إِنْزَالَ الْخَيْرِ مُنَاسِبٌ لِلرَّبُّوبِيَّةِ ، وَأَعَادَهُ بِلَفْظِ « اللَّهُ » لِأَن تَخْصِصَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ دُونَ غَيْرِهِمْ مُنَاسِبٌ لِلْإِلَهِيَّةِ . لِأَن دَائِرَةَ الرَّبُّوبِيَّةِ أَوْسَعُ .

ومنه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ رَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ . وَإِعَادَتُهُ فِي جُمْلَةٍ أُخْرَى أَحْسَنُ مِنْهُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ لِانْفِصَالِهَا ، وَبَعْدَ الطَّوْلِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِضْمَارِ لِثَلَاثِيهِ الذَّهْنِ مَشْغَالًا بِسَبَبِ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ ، فَيَفُوتُهُ مَا شَرَعَ فِيهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ ﴿٣﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ ﴾ ﴿٤﴾ .

* * *

النوع الرابع عشر : الإيفال ، وهو الإمعان

وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها . وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ، وَرُدَّ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ، فَقَوْلُهُ : « وَهُمْ مُهْتَدُونَ » إِيْفَالٌ ، لِأَنَّهُ يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهِ ، إِذِ الرَّسُولُ مُهْتَدٍ لَا مَحَالَةَ ، لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ مِبَالِغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَالتَّرغِيبِ فِيهِ . وَجَعَلَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ مِنْهُ ﴿ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿٦﴾ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ : « إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ » زَائِدٌ عَلَى الْمَعْنَى مِبَالِغَةٌ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٧﴾ زَائِدٌ عَلَى الْمَعْنَى لِمَدْحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّعْرِيزِ بِالْدَمِ لِلْيَهُودِ ، وَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ عَنِ الْإِيقَانِ ، ﴿ إِنَّهُ لَخَلَقَ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٨﴾ ، فَقَوْلُهُ : « مِثْلُ مَا » إِلَى آخِرِهِ إِيْفَالٌ زَائِدٌ عَلَى الْمَعْنَى لِتَحْقِيقِ هَذَا الْوَعْدِ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ مَعْلُومٌ ضَرُورَةٌ لَا يَرْتَابُ فِيهِ أَحَدٌ .

(٣) الْأَنْعَامُ ٨٢

(٦) النُّحْلُ ٨٠

(٢) الْأَنْعَامُ ١

(٥) بَس ٢٩ ، ٢١

(٨) الزَّارِيَاتُ ٢٣

(١) الْبَقَرَةُ ١٠٥

(٤) الْأَنْعَامُ ٧٤

(٧) الْمَائِدَةُ ٥٠

النوع الخامس عشر : التذليل

وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ، ويتقرر عند من فهمه نحو ﴿ ذَلِكْ جَزَبْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافُورَ ﴾ ^(١) ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِ كَيْكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ^(٥) .

* * *

النوع السادس عشر — الطرد والعكس

قال الطَّبِّي : وهو أن يؤتى بكلامين ، يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس ، كقوله : ﴿ لَيْسْتَ أَذِنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ ^(١) ، فنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها ، وبالعكس . وكذا قوله : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(٢) .

قلت : وهذا النوع يقابله في الإيجاز نوع الاحتباك .

* * *

النوع السابع عشر — التكميل

ويسمى بالاحتراس ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوم ، نحو ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) ، فإنه لو اقتصر على « أذلة » لتوهم أنه لضعفهم ، فدفعه بقوله : « أعزة » . ومثله ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٢) ، لو اقتصر على « أشداء » لتوهم أنه لغلظهم . ﴿ تَخْرُجُ بَيَاضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ ^(٣) ،

(٣) الأنبياء ٣٤

(٦) النور ٥٨

(٩) الفتح ٢٩

(٢) الإسراء ٨١

(٥) فاطر ١٤

(٨) المائدة ٥٤

(١١) النمل ١٨

(١) سبأ ١٧

(٤) آل عمران ١٨٥

(٧) التحريم ٦

(١٠) النمل ٢٢

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) ، احتراس لثلاث يُتوهم نسبة الظلم إلى سليمان . ومثله ﴿فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢) ، وكذا ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) ، فالجمله الوسطى احتراس لثلاث يُتوهم أن التكذيب مما في نفس الأمر قال في عروس الأفراح : فإن قيل : كل من ذلك أفاد معنى جديداً ، فلا يكون إطناباً . قلنا : هو إطناب لما قبله من حيث رفع توهم غيره ، وإن كان له معنى في نفسه .

* * *

النوع الثامن عشر — التتميم

وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة ، كالمبالغة في قوله : ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٤) ، أى مع حب الطعام ، أى اشتهاه ، فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجراً ، ومثله : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٥) ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ ، فقوله : « وهو مؤمن » تتميم في غاية الحسن .

* * *

النوع التاسع عشر — الاستقصاء

وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية ، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً ، كقوله تعالى : ﴿أَبَوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ...﴾^(٦) ، الآية ، فإنه تعالى لو اقتصر على قوله : « جنة » لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها : ﴿مَنْ نَحِيلُ وَأَعْنَابُ﴾ فإن مصاب صاحبها بها أعظم ، ثم زاد ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ، متمماً لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميم فقال : ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ، فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها ، ثم قال في وصف صاحبها : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ ، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب ، بقوله : ﴿يَهْدُوهُ إِلَى الْكِبَرِ﴾

﴿وله ذرية﴾ ، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ، ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت حيث قال : ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ، ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل سرعة الهلاك ، فقال : ﴿فيه نار﴾ ، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة ، لا تنفي باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله : ﴿فاحترقت﴾ ، فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وآتمة وأكمله !

قال ابن أبي الإصبع : والفرق بين الاستقصاء والتتيم والتكميل ، أن التتيم يرد على المعنى الناقص لِيُتِمَّ ، والتكميل يرد على المعنى التام فيكتمل أو صافه ، والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه ، حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه ، فلا يبقى لأحد فيه مساغ .

النوع العشرون — الاعتراض

وسمّاه قدامة التفاتاً ، وهو الإنيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصالاً بمعنى لنكتة غير دفع الإيهام ، كقوله : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ^(١) ، فقوله : ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات ، والثناء على جاعليها . وقوله : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾ ^(٢) جملة الاستثناء اعتراض للتبرك .

ومن وقوعه بأكثر من جملة ﴿فَاتَوْهِنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ * نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ ^(٣) ، فقوله : ﴿نَسَاؤُكُمْ﴾ متصل بقوله : ﴿فَاتَوْهِنَّ﴾ ، لأنه بيان له ، وما بينها اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار . وقوله : ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ إلى قوله : ﴿وَقِيلَ بُعْداً﴾ ^(٤) ، فيه اعتراض

بثلاث جمل ، وهى ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ . قال فى الأقصى القريب : ونكته إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لاحالة ، ولو أتى به آخرأ لكان الظاهر تأخره ، فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر . ثم فيه اعتراض فى اعتراض ، فإن « وَقُضِيَ الْأَمْرُ » معترض بين « وَغِيضَ » و « وَاسْتَوَتْ » ، لأن الاستواء يحصل عقب الغيظ . وقوله : ﴿ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ إلى قوله : ﴿ مُتَكَبِّرَيْنِ عَلَى فُرُشٍ ﴾ ^(١) ، فيه اعتراض بسمع جمل إذا أعرب حالاً منه .

ومن وقوع اعتراض فى اعتراض ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ^(٢) ، اعترض بين القسم وجوابه بقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ﴾ . الآية ، وبين القسم وصفته بقوله : ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ تعظيماً للقسم به وتحقيقاً لإجلاله ، وإعلاماً لهم بأن له عظمة لا يعلمونها . قال الطيبي فى التبيان : ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة ، مع أن مجيئه مجئ مالا يترقب ، فكون كالحسنه تأنيك من حيث لا تحسب .

* * *

النوع الحادى والعشرون — التعليل

وفائدته ، التقرير والأبلغية ، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها ، وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى . وحروفه : اللام وإن ، وأن ، وإذ ، والباء ، وكى ، ومن ، ولعل ، وقد مضت أمثلتها فى نوع الأدوات .

وتما يقتضى التعليل لفظ « الحكمة » كقوله : ﴿ حِكْمَةً بَالِغَةً ﴾ ^(٣) ، وذكر الغاية من الخلق نحو قوله : ﴿ جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ^(٤) ، ﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ ^(٥) .

(٣) القمر •

(٢) الواقعة ٧٥ - ٧٧

(١) الرحمن ٤٦ - ٥٤

(٥) الباء ٦ ، ٧

(٤) البقرة ٢٢

النوع السابع والخمسون
في الخبر والإنشاء

اعلم أن الحدّاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما ،
وأنة ليس له قسم ثالث .

وإدعى قوم أن أقسام الكلام عشرة : نداء ، ومسألة ، وأمر ، وتشفع ، وتعجب ،
وقسم ، وشرط ، ووضع ، وشك ، واستفهام .

وقيل : تسعة ، بإسقاط الاستفهام لدخوله في المسألة .

وقيل : ثمانية ، بإسقاط التشفع لدخوله فيها .

وقيل : سبعة ، بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر .

وقال الأخفش : هي ستة : خبر ، واستخبار ، وأمر ونهى ، ونداء ، وتَمَنٍّ .

وقال بعضهم : خمسة : خبر ، وأمر ، وتصريح ، وطلب ، ونداء .

وقال قوم : أربعة : خبر ، واستخبار ، وطلب ، ونداء .

وقال كثيرون : ثلاثة : خبر ، وطلب ، وإنشاء ؛ قالوا : لأن الكلام إما أن يحتَمِل
التصديق والتكذيب أولاً ، الأول الخبر ، والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو إنشاء ،
وإن لم يقترن بل تأخّر عنه ، فهو الطلب . والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء ،
وأن معنى « اضرب » مثلاً وهو طلب الضرب مقترن بلفظه ، وأما الضرب الذي يوجد بعد
ذلك فهو متعلق الطلب لانفسه .

وقد اختلف الناس في حدّ الخبر ، فقيل : لا يُحدّ لعسره ، وقيل : لأنه ضرورى ،
لأن الإنسان يفرّق بين الإنشاء والخبر ضرورة ، ورجّحه الإمام في المحصول ^(١) .
والأكثر على حدّه ، قال القاضى أبو بكر والمعتزلة : الخبر الكلام الذى يدخله

الصدق والكذب ، فأورد عليه خبر الله تعالى ، فإنه لا يكون إلا صادقاً ؛ فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة .

وقيل : الذى يدخله التصديق والتكذيب ، وهو سالم من الإيراد المذكور .

وقال أبو الحسن البصرى : كلام يفيد بنفسه نسبة ؛ فأورد عليه نحو « قم » ، فإنه يدخل فى الحذف ، لأن القيام منسوب والطلب منسوب .

وقيل : الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيًا ؛ أو إثباتًا .

وقيل : القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى والإثبات .

وقال المتأخرين : الإنشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام ، والخبر خلافه .

وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إن أفاد بالوضع طلباً ، فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية ، أو تحصيلها ، أو الكف عنها ، والأول الاستفهام ، والثانى الأمر ، والثالث النهى . وإن لم يفد طلباً بالوضع ؛ فإن لم يحتمل الصدق والكذب سُمى تنبيهاً وإنشاء ، لأنك نهيت به على مقصودك وأنشأته ، أى ابتكرته من غير أن يكون موجوداً فى الخارج ؛ سواء أفاد طلباً باللازم ؛ كالتمنى والترجى والنداء والقسم ، أم لا ، كانت طاق ، وإن احتملها من حيث هو فهو الخبر .

* * *

فصل

القصء بالخبر إفادة المحاطب ، وقد يرد بمعنى الأمر ، نحو ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ ^(١) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ^(٢) .

وبمعنى النهى ، نحو ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ^(٣) .

وبمعنى الدعاء ، نحو ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(١) ، أى أعيننا ؛ ومنه ﴿ تَبَّتْ بَدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) ، فإنه دعاء عليه ، وكذا ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُنُوا بِمَا قَالُوا ﴾^(٣) . وجعل منه قوم : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^(٤) ، قالوا : هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد .

ونازع ابن العرب في قولهم : إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى ، قال في قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾^(٥) : ليس نفياً لوجود الرفث ، بل نفى لمشروعيته ، فإن الرفث يوجد من بعض الناس ، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره ؛ وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً إلى وجوده محسوساً ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾^(٦) ؛ ومعناه مشروعاً لا محسوساً ، فإننا نجد مطلقات لا يترصدن ، فعاد النفي إلى الحكم الشرعى لا إلى الوجود الحسى . وكذا ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾^(٧) ، أى لا يمسّه أحد منهم شرعاً ، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع ، قال : وهذه الدفينة التى فانت العلماء ، فقالوا : إن الخبر يكون بمعنى النهى ، وما وجد ذلك قط ، ولا يصح أن يوجد ؛ فإنهما مختلفان حقيقة وتبانياً وضماً . انتهى .

فروع

من أقسامه على الأصح التعجب ، قال ابن فارس^(٨) : وهو تفصيل شئ على أضرابه . وقال ابن الضائع^(٩) : استعظام صفة ، خرج بها التعجب منه عن نظائره . وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب

(٣) المائة ٦٤

(٢) المد ١

(١) الفاتحة ٥

(٦) البقرة ٢٢٨

(٥) البقرة ١٩٧

(٤) النساء ٩٠

(٨) هو أحمد بن فارس بن زكريا ، من أكابر أئمة اللغة وحذاقها ،

(٧) الواقعة ٧٩

وصاحب كتاب « الصحاح » في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، توفي سنة ٣٩٥ . ابن خلكان ١ : ٣٦

(٩) هو علي بن محمد بن علي بن يوسف الإشبيلي المعروف بابن الضائع ، أحد علماء العربية

بالأندلس . توفى سنة ٦٨٠

لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله .

وقال الرّمانى : المطلوب فى التعجب الإبهام ؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا بما لا يعرف سببه ؛ فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن . قال : وأصل التعجب إتما هو للمعنى الخفى سببه ، والصفة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً . قال : ومن أجل الإبهام لم تعمل « نعم » إلا فى الجنس من أجل التفخيم ؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر .

ثم قد وضعوا للتعجب صيماً من لفظه ، وهى « ما أفعل » و « أفعل به » وصيغاً من غير لفظه ، نحو « كبر » كقوله : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) .

قاعدة

قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صُرف إلى المخاطب ، كقوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ^(٤) ؛ أى هؤلاء يجب أن يتعجب منهم ؛ وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب ؛ لأنه استعظام يصحبه الجهل ، وهو تعالى منزّه عن ذلك ، ولهذا تُعبّر جماعة بالتعجب بدله ؛ أى أنه تعجب من الله للمخاطبين . ونظير هذا مجىء الدعاء والترجى منه تعالى ، إتما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب ، أى هؤلاء مما يجب أن يقال لهم : عندكم هذا ، ولذلك قال سيبويه : قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ ^(٥) : المعنى اذهب على رجائكما وطمعكما ، وفى قوله : ﴿ وَبِاللُّطْفَيْنِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَبِاللُّطْفَيْنِ ﴾ ^(٧) : لا نقول هذا دعاء ؛ لأن الكلام بذلك قبيح ، ولكن العرب إتما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لفهمهم على ما يمتنون ، فكانه قيل لهم : ﴿ وَبِاللُّطْفَيْنِ ﴾ ، أى هؤلاء مما وجب هذا القول

(٣) البقرة ٢٨

(٦) المطففين ١

(٢) الصف ٣

(٥) طه ٤٤

(١) الكهف ٥

(٤) البقرة ١٧٥

(٧) النازعات ١٥

لهم ؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والمهلكة ، قليل : هؤلاء ممن دخل في المهلكة .

فرع

من أقسام الخبر : الوعد والوعيد ، نحو ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ ﴾ ^(٢) ، وفي كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء .

فرع

من أقسام الخبر النفي ، بل هو شطر الكلام كله ، والفرق بينه وبين الجحد ، أن الثاني إن كان صادقاً سُمي كلامه نفيّاً ولا يسمى جحداً ، وإن كان كاذباً سُمي جحداً ونفيّاً أيضاً ، فكلُّ جحد نفي ، وليس كل نفي جحداً ، ذكره أبو جعفر النحاس وابن السجري وغيرهما .

مثال النفي : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ ^(٣) .

ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ ^(٤) .

وأدوات النفي : لا ، ولات ، وايس ، وما ، وإن ، ولم ، ولما ، وقد تقدمت معانيها ، وما افرقت فيه في نوع الأدوات .

ونورد هنا فائدة زائدة ، قال الخويّ : أصل أدوات النفي لا ، وما ، لأن النفي إمّا في الماضي وإمّا في المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضي أبداً ، ولا أخف من ما ، فوضعوا الأخف للأكثر .

ثم إن النفي في الماضي ، إمّا أن يكون نفيّاً واحداً مستمراً ، أو نفيّاً فيه أحكام متعددة ،

وكذلك النفي في المستقبل؛ فصار النفي على أربعة أقسام، واختاروا الأربعة كلمات : ما، ولم، ولن، ولا، وأما إن ولما فليسا بأصلين، فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان، ولم كأنه مأخوذ من لا وما، لأن لم نفي للاستقبال لفظاً والمضى معنى، فأخذ اللام من « لا » التي هي لنفي المستقبل والميم من « ما »، التي هي لنفي الماضي، وجمع بينهما إشارة إلى أن في « لم » إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن « لا » هي أصل النفي؛ ولهذا يُنفي بها في أثناء الكلام، فيقال : لم يفعل زيد ولا عمرو، وأما « لَمَّا » فتركيب بعد تركيب، كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي.

وتفيد الاستقبال أيضاً، ولهذا تفيد « لَمَّا » الاستمرار.

تنبيهات

الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء، وهو مردود بقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١)، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ^(٢)، ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(٣)، ونظائره، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه.

الثاني : نفي الذات الموصوفة، قد يكون نفياً للصفة دون الذات، وقد يكون نفياً للذات أيضاً. من الأول ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ ^(٤)، أي بل هم جسد يأكلونه، ومن الثاني ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا ﴾ ^(٥)، أي لا سؤال لهم أصلاً، فلا يحصل منهم إخلاف، ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعَ ﴾ ^(٦)، أي لا شفيع لهم أصلاً، ﴿ فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ^(٧)، أي لا شافعين لهم فتففعهم

(٣) البقرة ٢٥٥

(٦) غافر ١٨

(٢) مريم ٦٤

(٥) البقرة ٢٧٣

(١) الأنعام ١٣٢

(٤) الأنبياء ٨

(٨) المذثر ٤٨

شفاعتهم، بدليل ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ^(١). ويستسى هذا النوع عند أهل البديّة نفى
الشيء بإيجابه. وعبارة ابن رشيق في تفسيره: أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء
وباطنه نفيه، بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى في الباطن. وعبارة غيره أن
ينفي الشيء مقيداً، والمراد نفيه مطلقاً مبالغة في النفي وتأكيده له، ومنه ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ ^(٢)، فإن «الإله مع الله» لا يكون إلا عن غير برهان.
﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ^(٣) فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق. ﴿رَفَعَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ^(٤) فإنها لا عمد لها أصلاً.

الثالث: قد ينفي الشيء رأساً لعدم كمال وصفه، أو انتفاء ثمرته، كقوله في صفة
أهل النار: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ ^(٥)، فنفي عنه الموت؛ لأن ليس بموت صريح،
ونفي عنه الحياة، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة. ﴿وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ﴾ ^(٦)؛ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفى الرؤية؛ فإن النظر في قوله تعالى:
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ^(٧) لا يستلزم الإبصار. ورد أن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه،
ولست تبصر شيئاً. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٨)؛ فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل
التوكيد القسَمي، ثم نفاه آخرأ عنهم لعدم جريهم على موجب العلم. قاله السكاكي.

الرابع: قالوا: المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة، وأشكل على ذلك ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ
رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ ^(٩) فإن النفي فيه هو الحقيقة. وأجيب بأن المراد بالرَّمَى هنا
المرتّب عليه؛ وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة، والتقدير:
وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء.

الخامس: نفى الاستطاعة، قد يراد به نفى القدرة والإمكان، وقد يراد

(٣) البقرة ٧١

(٦) الأعراف ١٩٨

(٩) الأنفال ١٧

(٢) المؤمنون ١١٧

(٥) الأعلى ١٣

(٨) البقرة ١٠٢

(١) الشعراء ١٠٠

(٤) الرعد ٣

(٧) القيامة ٢٣

نفى الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة .

من الأول ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ ^(١) ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا﴾ ^(٢) ، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ^(٣) .

ومن الثاني : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ^(٤) ، على القراءتين ، أى هل يفعل ، أو هل نجيينا إلى أن تسأل ؛ فقد علموا أنه قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال .

ومن الثالث ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٥) .

قاعدة

نفى العام يدل على نفى الخاص وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ونفيه لا يدل على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به ، فذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام ، فالأول كقوله : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ^(٦) ، لم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : ﴿أَضَاءَتْ﴾ ؛ لأن النور أعم من الضوء ، إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ، ولذلك قال : ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ^(٧) ، ففى الضوء دلالة على النور ، فهو أخص منه ، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس ، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً ، ولذا قال عقبه : ﴿وَتَرَكْهُمْ فِي ظِلْمٍ﴾ .

ومنه ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٍ﴾ ^(٨) ، ولم يقل « ضلال » ، كما قالوا : ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ﴾ ^(٩) ؛ لأنها أعم منه ؛ فكان أبلغ فى نفى الضلال ، وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس البتة ، وبأن نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى .

(٣) الكهف ٩٧

(٦) البقرة ١٧

(٩) الأعراف ٦٠

(٢) الأنبياء ٤٠

(٥) الكهف ٦٧

(٨) الأعراف ٦١

(١) يس ٥٠

(٤) المائدة ١١٢ والقراءة الثانية بالناء .

(٧) يونس ٥

والثاني كقوله : ﴿ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(١) ولم يقل : « طولها » لأن العرض أخص ، إذ كل ما له عرض فله طول ، ولا ينعكس . ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة في الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل . وقد أشكل على هذا آيتان : قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^(٣) ،

وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة :

أحدها : أن « ظلاماً » وإن كان لكثرة لكنه جىء به في مقابلة « المبيد » ، الذي هو جمع كثرة ، ويرشحه أنه تعالى قال : ﴿ عَلَامُ الْغُيُوبِ ﴾^(٤) ، فقابل صيغة « فاعل » بالجمع ، وقال في آية أخرى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾^(٥) ، فقابل صيغة « فاعل » الدالة على أصل الفعل بالواحد .

الثاني : أنه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة ، لأن الذي يظلم ، إما يظلم لا انتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى .

الثالث : أنه على النسبة ، أي بذى ظلم ، حكاه ابن مالك عن المحققين .

الرابع : أنه أتى بمعنى « فاعل » لا كثرة فيه .

الخامس : أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيراً ، كما يقال : زلة العالم كبيرة .

السادس : أنه أراد : ليس بظالم ، ليس بظالم ، ليس بظالم ؛ تأكيداً للنفي ؛ فعبّر عن ذلك

بـ « ليس بظلام » .

السابع : أنه ورد جواباً لمن قال « ظلام » ، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم

يكن له مفهوم .

الثامن : أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات ، فخرى النفي على ذلك .

التاسع : أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاية الجوز .
ويحاج عن الثانية بهذه الأجوبة ، وبعاشر ، وهو مناسبة ردوس الآي .

فائدة

قال صاحب الياقوتة : قال ثعلب والمبرد : العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً ، نحو ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ ^(١) ، والمعنى : إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام ، وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جسداً حقيقياً نحو « ما زيد بخارج » وإذا كان في أول الكلام جحذان كان أحدهما زائداً ، وعليه : ﴿ فَيَا أَيُّهَا مَكْنَأُكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٢) في أحد الأقوال .

فصل

من أقسام الإنشاء الاستفهام ؛ وهو طلب الفهم ، وهو بمعنى الاستخبار .
وقيل : الاستخبار ماسبق أولاً ، ولم يفهم حق الفهم ؛ فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً . حكاه ابن فارس في فقه اللغة .
وأدواته : همزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأنى ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان ؛ ومرت في الأدوات .

وقال ابن مالك في المصباح : وما عدا همزة نائب عنها ؛ ولكونه طلب ارتسام مافى الخارج في الذهن ، لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاكٍ مصدق بإمكان الإعلام ؛ فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام .

وقال بعض الأئمة : وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام ، فأما يقع في خطاب الله ، على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل .

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً ، وألف في ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ ^(١) كتاباً سماه « روض الأفهام في أقسام الاستفهام » ، قال فيه : قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ ، أو أشربته تلك المعاني ، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة خلافاً للصنار .

الأول : الإنكار ، والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي ، ولذلك تصحبه « إلا » كقوله : ﴿ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافُورَ ﴾ ^(٣) . وعطف على النفي في قوله : ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ^(٤) ، أى لا يهدي ، ومنه ﴿ أُنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ أُنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ ^(٦) ، أى لا نؤمن ، ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ^(٨) ، أى لا يكون هذا ، ﴿ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ ﴾ ^(٩) ، أى ما شهدوا ذلك .

وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى « لم يكن » ، وفي المستقبل بمعنى « لا يكون » ، نحو ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ ... ﴾ ^(١٠) الآية ، أى لم يفعل ذلك ، ﴿ أُنَزِّلُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ ^(١١) ، أى لا يكون هذا الإلزام .

الثاني : التوبيخ ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار ؛ إلا أن الأول إنكار بإبطال ، وهذا إنكار توبيخ ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي ، فالنفي هنا غير قصديّ والإثبات قصديّ ، عكس ما تقدم . ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً ، نحو ﴿ أَفَعَصَيْتَ

(١) لمحمد بن عبد الرحمن الحنبلي المعروف بابن الصائغ ، المتوفى ٧٧٦ ، ذكره صاحب كشف الظنون .

(٢) الأحقاف ٣٥ (٣) سبأ ١٧ (٤) الروم ٢٩

(٥) الشعراء ١١١ (٦) المؤمنون ٤٧ (٧) الطه ٣٩

(٨) النجم ٢١ (٩) الزخرف ١٩ (١٠) الإسراء ٤٠

(١١) هود ٢٨

أَمْرِي ﴿١﴾ ، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿٣﴾ .

وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ، ووُيِّخ على فعله كما ذكر ، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع ؛ كقوله : ﴿أُولَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ ﴿٦﴾ .

الثالث : وهو حَمْلُ المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده ، قال ابن جني : ولا يستعمل ذلك بهل ، كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام ، وقال الكندي : ذهب كثير من العلماء في قوله : ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ أو يَنْفَعُونَكُمْ ﴿٧﴾ ، إلى أن « هل » تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ ؛ إلا أني رأيت أبا علي أبي ذلك ؛ وهو معذور لأن ذلك من قبيل الإنكار .

ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل ، إنما يستعمل فيه الهمزة ، ثم نقل عن بعضهم أن « هل » تأتي تقريراً كما في قوله تعالى : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ ﴿٨﴾ .

والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب ، فالأول كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ﴿٩﴾ ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ﴾ ﴿١٠﴾ ، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ﴾ ﴿١١﴾ والثاني : نحو ﴿أَكْذَبْتُمْ بَايَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عُلَمَاءُ﴾ ﴿١٢﴾ على ما قرره الجرجاني من جعلها مثل ﴿وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَفْقَتْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ ﴿١٣﴾ .

(٣) الصافات ١٢٥

(٦) النساء ٩٧

(٩) الشرح ١ ، ٢

(١٢) النمل ٨٤

(٢) الصافات ٩٥

(٥) فاطر ٣٥

(٨) الفجر ٥

(١١) الفيل ٣ ، ٢

(١) طه ٩٣

(٤) فاطر ٣٧

(٧) الشعراء ٧٢ ، ٧٣

(١٠) الضحى ٦ ، ٧

(١٣) النمل ١٤

وحقيقة استفهام التقرير ، أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى ، وقد دخل على النفي ونفى النفي إثبات ، ومن أمثلته : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ^(٢) ؛ وجعل منه الزمخشري ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٣) .

الرابع : التعجب أو التعجب ، نحو ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدًى هَذَا ﴾ ^(٥) . وقد اجتمع هذا القسم وسابقه في قوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ ^(٦) . قال الزمخشري : الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم .

ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي ﴿ مَا وَلَاَهُمْ عَنْ قَبْلَتِهِمْ ﴾ .

الخامس : العتاب ، كقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) ، قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين ، أخرجه الحاكم . ومن أطفه ما عاب الله به خير خلقه بقوله : ﴿ عفا الله عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ أَهْمٌ ﴾ ^(٨) ، ولم يتأدب الزمخشري بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء الأدب .

السادس : التذكير ، وفيه نوع اختصار ، كقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٩) ، ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ^(١١) .

السابع : الافتخار ، نحو ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ﴾ ^(١٢) .

الثامن : التفضيم ، نحو ﴿ مَالٍ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ^(١٣) .

التاسع : التهويل والتخويف ، نحو ﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ، ﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ ﴾ .

(٣) البقرة ١٠٦

(٦) البقرة ٤٤

(٩) يس ٦٠

(١٢) الزخرف ٥١

(٢) الأعراف ١٧٢

(٥) النمل ٢٠

(٨) التوبة ٤٣

(١١) يوسف ٨٩

(١) الزمر ٣٦

(٤) البقرة ٢٨

(٧) الحديد ١٦

(١٠) البقرة ٣٣

(١٣) الكهف ٤٩

- العاشر : عكسه ، وهو التسهيل والتخفيف ، نحو ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا ﴾ ^(١) .
- الحادى عشر : التهديد والوعيد ، نحو ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٢) .
- الثانى عشر : التكثير ، نحو ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ^(٣) .
- الثالث عشر : التسوية ، وهو الاستفهام الداخلى على جملة يصح حلول المصدر محلها ، نحو ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ ^(٤) .
- الرابع عشر : الأمر ، نحو ﴿ أَسْلَمْتُمْ ﴾ ^(٥) أى أسلموا ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ^(٦) أى انتهوا ، ﴿ أَتَصْبِرُونَ ﴾ ^(٧) أى اصبروا .
- الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر ، نحو ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ ﴾ ^(٨) أى انظر ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ ^(٩) ذكره صاحب الكشف عن سيبويه ، ولذلك رفع الفعل فى جوابه ، وجعل منه قوله : ﴿ فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ ﴾ ^(١٠) للتنبيه على الضلال ، وكذا ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ ^(١١) .
- السادس عشر : الترغيب ، نحو ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ^(١٢) ﴿ هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَى مِحْرَافَةٍ تَنْفِجُكُمْ ﴾ ^(١٣) .
- السابع عشر : النهى ، نحو ﴿ أَنْتَخَشُونَهُمْ قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ ^(١٤) بدليل ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ ﴾ ^(١٥) ، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(١٦) ، أى لا تقتر .

(٣) الأعراف ٤

(٦) المائدة ٩١

(٩) الحج ٦٣

(١٢) البقرة ٢٤٥

(١٥) المائدة ٤٤

(٢) الرسائل ١٦

(٥) آل عمران ٢٠

(٨) الفرقان ٤٥

(١١) البقرة ١٣٠

(١٤) التوبة ١٣

(١) النساء ٢٩

(٤) البقرة ٦

(٧) الفرقان ٢٠

(١٠) التكاوير ٢٦

(١٣) الصف ١٠

(١٦) الأغمطار ٦

الثامن عشر : الدعاء ، وهو كالنهي ، إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى ، نحو ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ ﴾ ^(١) ، أى لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد ، نحو ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ^(٢) .
المشرون : التمني ، نحو ﴿ قَهْلَ لَنَا مِن شُفَعَاءَ ﴾ ^(٣)

الحادى والعشرون : الاستبطاء ، نحو ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

الثانى والعشرون : العرض ، نحو ﴿ أَلَا تُحِثُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٥) .

الثالث والعشرون : التحضيض ، نحو ﴿ أَلَا تَقَاتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ ^(٦) .

الرابع والعشرون : التجاهل ، نحو ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ ^(٧) .

الخامس والعشرون : التعظيم ، نحو ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ^(٨) .

السادس والعشرون : التحقير ، نحو ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ^(٩) ، ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ^(١٠) ، ويحتمله وما قبله قراءة ﴿ مَنْ فِرْعَوْنُ ﴾ ^(١١) .

السابع والعشرون : الاكتفاء ، نحو ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ^(١٢) .

الثامن والعشرون : الاستبعاد ، نحو ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ ^(١٣) .

التاسع والعشرون : الإنباس ، نحو ﴿ وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ بِأُمُوسَى ﴾ ^(١٤) .

الثلاثون : التهكم والاستهزاء ، نحو ﴿ أَصَلَوْتُمْ تَأْمُرُكُمْ ﴾ ^(١٥) ، ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ ^(١٦) .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله ، كقوله :

(١) الأعراف ١٥٥	(٢) البقرة ٣٠	(٣) الأعراف ٥٣
(٤) البقرة ٢١٤	(٥) النور ٢٢	(٦) التوبة ١٣
(٧) ص ٨	(٨) البقرة ٢٥٥	(٩) الأنبياء ٣٦
(١٠) الفرقان ٤١	(١١) سورة الدخان ٣١ ، واطر البحر المحيط ٨ : ٣٧	(١٢) الفجر ٢٣
(١٣) الزمر ٦٠	(١٤) طه ١٧	(١٥) الصافات ٩١ ، ٩٢
(١٦) هود ٨٧		

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾^(١)، قال الموفق عبد اللطيف البغدادي : أى مَنْ حَقَّ عليه كلمة العذاب ؛ فإنك لا تنقذه ، فَمَنْ للشرط والفاء جواب الشرط ، والهمزة في ﴿أَفَأَنْتَ﴾ دخلت مُعَادَةً مؤكدة لطول الكلام ، وهذا نوع من أنواعها . وقال الزمخشري : الهمزة الثانية هي الأولى ، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .
الثاني والثلاثون : الإخبار نحو ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾^(٢) ، ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(٣) .

تنبيهات

الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجود . وانضم إليه معنى آخر ، أو تجرد عن الاستفهام بالكناية ؟ قال في عروس الأفراح : محلّ نظر ، قال : والذي يظهر الأول . قال : ويساعده قول التَّنُوخِيّ في « الأتقى القريب » : إن « لعل » تكون للاستفهام مع بقاء الترجيّ ؛ قال : ومما يرجّح أن الاستبطاء في قولك : « كم أدعوك ! معناه أن الدعاء وصل إلى حدّ لا أعلم عدده ، فأنا أطلب أن أعلم عدده ، والعادة تقضى بأن الشخص إنّما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثّر فلم يعلمه ، وفي طلب فهم عدده ما يُشعر بالاستبطاء .

وأما التّعجّب فالاستفهام معه مستمرّ ، فمن تعجّب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه ، فكأنه يقول : أيّ شيء عرض لي في حال عدم رؤية المدهد ! وقد صرح في الكشف ببقاء الاستفهام في هذه الآية .

وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقّ ، لأن معنى « أين تذهب » ؟ أخبرني إلى أيّ مكان تذهب ، فإني لا أعرف ذلك ؟ وغاية الضلال لا يُشعر بها إلى أين تنتهي .

وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأنّ المذكور عقيب الأدلة

واقع . أو طلب إقرار المخاطب به من كون السائل يعلم ، فهو استفهام يقرر المخاطب ، أى يطلب منه أن يكون مقراً به . وفي كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين ، والثانى أظهر . وفي الإيضاح تصريح به ولا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه ، لأنه طلب الفهم ؛ أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائننا من كان . وبهذا تنحل إشكالات كثيرة في مواضع الاستفهام ، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة . انتهى ملخصاً .

الثانى : القاعدة ، أن المنكر يجب أن يلي الممزة ، وأشكل عليها قوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْنَعُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ ^(١) ، فإن الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين ، وليس هو المنكر ، إنما المنكر قولهم : إِنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاءً .

وأجيب ، بأن لفظ الإصفاء مُشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع الجملتين ؛ وينحل منها كلام واحد . والتقدير : أجمع بين الإصفاء بالبنين وأخذ البنات ! وأشكل منه قوله : ﴿ أَتَأْتُمِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٢) ، ووجه الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط ، كما تقتضيه القاعدة المذكورة ؛ لأن أمر البر ليس مما ينكر ، ولا نسيان النفس فقط ؛ لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا مجموع الأمرين ، لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر ، لأن النسيان منكر مطلقاً ، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر ، لأن المعصية لاتزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة ، لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب ، وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضعف بمعصية نسيان ، ولا يأتى الخير بالشر !

قال فى عروس الأفراح : ويحاج بأن فعل المعصية مع التعمى عنها أخش لأنها تجعل حال الإنسان كالتناقض ، وتجعل القول كالحلف للفعل ، ولذلك كانت المعصية مع العلم أخش منها مع

(٢) سورة البقرة ٤٤

(١) الإسراء ٤٠

(م ١٦ - الإنشقاق ج ٣)

الجهل ، قال : ولكنّ الجواب على أنّ الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة .

فصل : من أقسام الإنشاء الأمر

وهو طلب فعل غير كَفَّ وصيغته « افعل » و « ليفعل » وهى حتمية فى الإيجاب نحو ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١) ، ﴿ فَاصْبِرُوا مَعَكَ ﴾ ^(٢) .
وترد مجازاً لمسانٍ آخر :

منها الذنب ، نحو ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ^(٣) .
والإباحة نحو ﴿ فَكَانِيَهُمْ ﴾ ^(٤) ، نصّ الشافعى على أن الأمر فيه للإباحة ؛ ومنه ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ ^(٥) .

والدعاء من السافل للعالى ، نحو ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ^(٦) .
والتهديد ، نحو ﴿ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ^(٧) ، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا .
والإهانة ، نحو ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ^(٨) .
والتسخير ، أى التذليل ، نحو ﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾ ^(٩) ؛ عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم ، فهو أخص من الإهانة .
والتعجيز ، نحو ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(١٠) ، إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، بل إظهار عجزهم .

والامتنان ، نحو ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ ^(١١) .

(٣) الأعراف ٢٠٤

(٦) الأعراف ١٥١

(٩) البقرة ٦٥

(٢) النساء ١٠٢

(٥) المائدة ٢

(٨) الدخان ٤٩

(١١) الأنعام ١٤١

(١) البقرة ٤٣

(٤) النور ٣٣

(٧) فصلت ٤٠

(١٠) البقرة ٢٣

- والمعجب ، نحو ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ ^(١) .
 والتسوية ، نحو ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ ^(٢) .
 والإرشاد ، نحو ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ^(٣) .
 والاحتقار ، نحو ﴿ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ^(٤) .
 والإنذار ، نحو ﴿ قُلْ تَتَّقُوا ﴾ ^(٥) .
 والإكرام ، نحو ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ ^(٦) .
 والتكوين ، وهو أعم من التسخير ، نحو ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٧) .
 والإنعام ، أى تذكير النعمة ، نحو ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٨) .
 والتكذيب ، نحو ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ﴾ ^(٩) ، ﴿ قُلْ هَلْ شَهِدَّاكُمْ ﴾
 الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ^(١٠) .
 والمشورة ، نحو ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ ^(١١) .
 والاعتبار ، نحو ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ ^(١٢) .
 والتعجب ، نحو ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ ^(١٣) ، ذكره السكاكي في استعمال
 الإنشاء بمعنى الخبر .

* * *

فصل : ومن أقسامه النهى

وهو طلب الكف عن فعل ، وصيغته : « لا تفعل » ، وهى حقيقة فى التحريم .

(١) الإسراء ٤٨	(٢) الطور ١٦	(٣) البقرة ٢٨٢
(٤) يونس ٨٠	(٥) إبراهيم ٣٠	(٦) الحجر ٤٦
(٧) البقرة ١١٧	(٨) الأنعام ١٤٢	(٩) آل عمران ٩٣
(١٠) الأنعام ١٥٠	(١١) الصافات ١٠٢	(١٢) الأنعام ٩٩
(١٣) مريم ٣٨		

وترد مجازاً لمان :

منها الكراهة ، ونحو ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ^(١) .

والدعاء ، نحو ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ^(٢) .

والإرشاد ، نحو ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ أَنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْوَكُمْ ﴾ ^(٣) .

والتسوية ، نحو ﴿ أَوْ لَا تَضْبِرُوا ﴾ ^(٤) .

والاحتقار والتقليل ، نحو ﴿ لَا تَمْدَنْ عَيْنَيْكَ ... ﴾ ^(٥) الآية ، أى فهو قليل حقير .

وبيان العاقبة ، نحو ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ^(٦)

أى عاقبة الجهاد الحياة [لا الموت] ^(٧) .

والياس ، نحو ﴿ لَا تَمْتَدِرُوا ﴾ ^(٨) .

والإهانة ، نحو ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ ^(٩) .

فصل : ومن أقسامه التمنى

وهو طلب حصول شئ على سبيل الحجة ، ولا يشترط إمكان التمنى بخلاف المترجى لكن نوزع فى تسمية تمنى المحال طلباً بأن مايتوقع كيف يطلب ؟ قال فى عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء ، والقسم وليس فيها طلب ، بل هو تنبيه ولا بدع فى تسمية إنشاء . انتهى .

وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من قسم الخبر ، وأن معناه التنى ، والزخشرى ممن جزم بخلافه . ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله : ﴿ بِالْيَقِينِ نُرَدُّ وَلَا نُكْذَّبُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(١٠) ، وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب .

(٣) المائدة ١٠١

(٦) آل عمران ١٦٩

(٩) المؤمنون ١٠٨

(٢) آل عمران ٨

(٥) الحجر ٨٨

(٨) التوبة ٦٦

(١) الإسراء ٣٧

(٤) الطور ١٦

(٧) منط

(١٠) الأنعام ٢٧ ، ٢٨

وقال غيره: التمتي لا يصح فيه الكذب، وإنما الكذب في التمتي الذي يترجح عند صاحبه وقوعه، فهو إذن واردٌ على ذلك الاعتقاد الذي هو ظنٌ، وهو خبر صحيح. قال: وليس المعنى في قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أَنْ مَا تَمَنَّوْا لَيْسَ بِوَاقِعٍ لَّأَنَّهُ وَرَدَ فِي مَعْرُضِ الذَّمِّ لَهُمْ، وليس في ذلك التمتي ذمٌ، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَ، وَأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ.

وحرف التمتي الموضوع له «ليت»، نحو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَدَّاعِ﴾ (١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَدَّاعِ﴾ (٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَدَّاعِ﴾ (٣).

وقد يمتنى بهلٌ حيث يُعْلَمُ فَقْدُهُ، نحو ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (٤)، وبلو نحو ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ﴾ (٥)، ولذا نصب الفعل في جوابها.

وقد يمتنى بـ«لعل» في البعيد فتعطى حكم «ليت» في نصب الجواب؛ نحو ﴿لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ﴾ (٦).

فصل: ومن أقسامه الترجي

نقل القراني (٧) في الفروق الإجماع على أنه إنشاء، وفرق بينه وبين التمتي بأنه في الممكن والتمنى فيه وفي المستحيل، وبأن الترجي في القريب والتمنى في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمنى في غيره، وبأن التمتي في الموشق للنفس والترجي في غيره. وسمعت شيخنا العلامة الكافيحي يقول: الفرق بين التمتي وبين العرض، هو الفرق بينه وبين الترجي.

(٣) النساء ٧٣

(٢) يس ٢٦

(١) الأنعام ٢٧

(٦) غافر ٣٦، ٣٧

(٥) الشعراء ١٠٢

(٤) الأعراف ٥٣

(٧) هو الإمام شهاب الدين أحمد إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المعروف بالفراق إليه انتهت زعامة المالكية في عصره مع البراعة في الأصول العقلية، واسم كتابه «أوار البروق في أنوار الفروق في أصول الفقه المالكي»: توفي سنة ٦٨٤

وحرف الترجى لعلّ وعسى ، وقد ترد مجازاً لتوقع محذور ، ويسمى الإشفاق ، نحو ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ^(١) .

فصل : ومن أقسامه النداء

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب « أدعو » . ويصحب في الأكثر الأمر والنهي ، والغالب تقدمه ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا ﴾ ^(٦) .

وقد يتأخر ، نحو ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٧) .

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا ﴾ ^(٩) .

وقد لا تعقبها ، نحو ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(١١) ، ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ ﴾ ^(١٢) ،

وقد تصحبه الاستفهامية ، نحو ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ ^(١٤) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ ﴾ ^(١٥) .

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً ، كالإغراء والتحذير ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ^(١٦) .

والاختصاص ، كقوله : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ^(١٧) .

(١) الشورى ١٧	(٢) البقرة ٢١	(٣) الزمر ١٦
(٤) المزمل ١	(٥) هود ٥٢	(٦) الحجرات ١
(٧) النور ٣١	(٨) الحج ٧٣	(٩) هود ٦٤
(١٠) الزخرف ٦٨	(١١) فاطر ١٥	(١٢) يوسف ١٠٠
(١٣) مريم ٤٢	(١٤) التحريم ١	(١٥) غافر ٤١
(١٦) الشمس ٢٣	(١٧) هود ٧٣	

والتنبيه ، كقوله : ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ ^(١) ، والتمجُّب ، كقوله : ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ ^(٢) .
والتحسُّر ، كقوله : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ^(٣) .

قاعدة

أصل النداء : «يا» أن تكون للبعيد حقيقة أو حكماً ، وقد ينادى بها القريب لنكت : منها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ﴾ ^(٤) .
ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به ، نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ^(٥) .
ومنها قصد تعظيم شأن المدعو ، نحو ﴿يَا رَبِّ﴾ ، وقد قال تعالى : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ^(٦) .
ومنها قصد انحطاطه ، كقول فرعون : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ ^(٧) .

فائدة

قال الزمخشري وغيره : كثر في القرآن النداء «يا أيها» دون غيره ؛ لأن فيه أوجهاً من التأكيد ، وأسباباً من المبالغة .
منها ما في «يا» من التأكيد والتنبيه ، وما في «ها» من التنبيه ، وما في التدرج من الإيهام في «أي» إلى التوضيح ، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظائمه وزواجره ووعدته ووعيده ، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك ، وما أنطق الله به كتابه أمور عظام ، وخطوب حاسم ، ومعان

(٣) النبأ ٤٠
(٦) البقرة ١٨٦

(٢) يس
(٥) البقرة ٢١

(١) النمل ٢٥
(٤) القصص ٣١
(٧) الإسراء ١٠١

واجب عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون ، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآ كذا الأبلغ .

* * *

فصل ومن أقسامه القسم

نقل القرائن الإجماع على أنه إنشاء ، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية ، وتحقيقها عند السامع وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين

* * *

فصل ومن أقسامه : الشرط ...^(١)

النوع الثامن والخمسون في بدائع المشرآن

أفرده بالتصنيف ابن أبي الأصعب^(١)، فأورد فيه نحو مائة نوع، وهي: المجاز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والإرداف، والتمثيل، والإيجاز، والإتساع، والإشارة، والمساواة، والبسط، والإيغال، والتسيم، والتكميل، والاحتراس، والاستقصاء، والتذليل، والزيادة، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح ونفي الشيء بإيجابه، والمذهب الكلامي، والقول بالموجب، والمناقضة، والانتقال، والإسجال، والتسليم، والتمكين، والتوشيح، والتسيم، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، ولزوم ما لا يلزم، والتخير، والتسجيع، والتسريع والإيهام وهو التورية، والاستخدام، والاتفات، والأطراد، والانسجام، والإدماج، والافتنان، والاقتدار، وإئتلاف اللفظ مع اللفظ، وإئتلاف اللفظ مع المعنى، والاستدراك، والاستثناء، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم، والتفويف، والتغاير، والتقسيم، والتذبيح، والتنكيت، والتضمين، والجناس، وجمع المؤنلف والمختلف، وحسن النسق، وعتاب المرء نفسه، والعكس، والعنوان، والفرائد، والقسم، والمبالغة والمطابقة، والمقابلة والموازاة، والمراجعة، والتراهة، والإبداع، والمقارنة، وحسن الابتداء، وحسن الختام، وحسن التخلص، والاستطراد.

فأما المجاز وما بعده إلى الإيضاح؛ فقد تقدم بعضها في أنواع مفردة، وبعضها في

(١) بديع القرآن لابن أبي الأصعب المصري التوفى سنة ٦٥٤، طبع بمطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٧، بتحقيق الدكتور حفي شرف.

نوع الإيجاز والإطناب مع أنواع آخر ، كالتعريض والاحتباك ، والأكتفاء ، والطرد ، والعكس .

وأما نفي الشيء بإيجابه ، فقد تقدم في النوع الذي قبل هذا . وأما المذهب الكلامي والخمسة بعده ، فستأتي في نوع الجدل مع أنواع آخر مزيدة . وأما التمكن والثمانية بعده ، فستأتي في أنواع الفواصل . وأما حسن التخاص والاستطراد فسياً تيان في نوع المناسبات ، وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسياً تيان في نوعي الفواتح والخواتم .
وها أنا أورد الباقي مع زوائد ونفائس لا توجد مجموعة في غير هذا الكتاب .

* * * الإيهام

ويدعى التورية ، أن يُذكر لفظ له معنيان ، إما بالاشتراك أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، أو المجاز ؛ أحدهما قريب والآخر بعيد ، ويقصد البعيد ، ويورى عنه بالقرب ، فيتوهم السامع من أول وهمة .

قال الزمخشري : لا ترى باباً في البيان أدق ، ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل التشابهات في كلام الله ورسوله ، قال : ومن أمثلتها : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(١) ، فإن الاستواء على معنيين ، الاستقرار في المكان ، وهو المعنى القريب المورى به ، الذي هو غير مقصود لتزيهه تعالى عنه ، والثاني : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود ، الذي ورى عنه بالقرب المذكور . انتهى .

وهذه التورية ؛ تسمى مجردة ، لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به ، ولا المورى عنه .

ومنها ما تسمى مرشحة ، وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ ^(٢) ؛ فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به ، وقد ذكر

من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ، ويحتمل القوة والقدرة ، وهو البعيد المقصود .
قال ابن أبي الأصبع في كتابه ، « الإيجاز » : ومنها : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ
الْقَدِيمِ ﴾ ^(١) ، فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى ، فاستعمل أولاد يعقوب ضد الهدى
تورية عن الحب .

﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ ^(٢) ، على تفسيره بالدرع ؛ فإن البدن يطلق عليه وعلى
الجسد ، والمراد البعيد وهو الجسد .

قال : ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال :
﴿ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ﴾ ^(٣) .
ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى ، وتوجهت إليه اليهود النصارى وتوجهت إلى
المشرق كانت قبلة الإسلام وسطاً بين القبلتين ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(٤) ،
أى خياراً ، وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين ، صدق على
لفظة ، « وسط » ها هنا أن يسمى تعالى به لاحتماها المعنيين . ولما كان المراد أبداً
وهو الخيار ، صلحت أن تكون من أمثلة التورية .

قلت : وهى مرشحة بلازم المورى عنه ، وهو قوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ ﴾ ^(٥) ، فإنه من لوازم كونهم خياراً ، أى عدولاً ، والإتيان قبلها من قسم المجردة .
ومن ذلك قوله : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ^(٦) ، فإن النجم يطلق على
الكوكب ، ويرشحه له ذكر الشمس والقمر ، وعلى مالا ساق له من النبات ، وهو المعنى
البعيد له ، وهو المقصود فى الآية .

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن من التورية فى القرآن قوله تعالى :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٧) ، فإن « كافة » بمعنى « مانع » أى تكفهم عن
الكفر والمعصية ، والهاء للبالغة ، وهذا معنى بعيد ، والمعنى القريب المتبادر أن المراد

(٣) البقرة ١٤٥

(٦) س ٢٨

(٢) يونس ٩٢

(٥) الرحمن ٦

(١) يوسف ٩٥

(٤) البقرة ١٤٣

جامعة بمعنى « جميعاً » ، لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيدي تراخي عن المؤكد ، فكما لا تقول : رأيت جميعاً الناس ، لا تقول رأيت كافة الناس .

الاستخدام

هو والتورية أشرف أنواع البديع ، وهما سيّان ، بل فضله بعضهم عليها ، ولهم فيه عبارتان : إحداهما : أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر ، وهذه طريقة السكاكي وأتباعه .

والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ، ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ، ومن الآخر الآخر ، وهذه طريقة بذّر الدين بن مالك في المصباح ، ومشى عليها ابن أبي الأصم^(١) ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ .. ﴾^(٢) الآية ، فلفظ « كتاب » يحتمل الأمد المحتوم ، والكتاب المكتوب ، فلفظ « أجل » يخدم المعنى الأول ، و« يحمو » يخدم الثاني .

ومثل غيره بقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... ﴾^(٣) الآية ، فالصلاة تحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها ، وقوله : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾^(٤) يخدم الأول و﴿ إِنْ تَعْلَمُونَ سَبِيلَ ﴾^(٥) يخدم الثاني .

قيل : ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي .

قلت : وقد استخرجتُ بفكرى آيات على طريقته ، منها قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾^(٦) ، فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبمئة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أريد بلفظه الأخير ، كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ، قال : محمد ، وأعيد الضمير عليه في ﴿ تَسْتَمِجِلُوهُ ﴾^(٧) مراداً به قيام الساعة والعذاب .

ومنها وهي أظهرها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ، فإن المراد به آدم ، ثم أعاد عليه الضمير مراداً به ولده . فقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُصْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾^(٨) .

(٣) النساء ٤٣

(٢) الرعد ٣٨

(١) بديع القرآن ١٠٤

(٥) المؤمنون ١٢ ، ١٣

(٤) الجمل ١

ومنها قوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١) أى أشياء آخر ، لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة ، فنُهِوا عن سؤالها .

* * *

الالتفات

نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعنى من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها ، بعد التعبير بالأول ، هذا هو المشهور . وقال السكاكى : إمّا ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره . وله فوائد :

منها تطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر ، والملاّل ، لما جُلبت عليه النفوس من حبّ التفتلات ، والسّامة من الاستمرار على منوال واحد ، وهذه فائدته العامة . ويختص كلّ موضع بنكت ولطائف باختلاف محلّه كما سنبينه .

مثاله من المتكلم إلى الخطاب - ووجهه حثّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأعطاه فضل عناية تخصيص بالمواجهة - قوله تعالى . ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) ، والأصل « وإليه أرجع » ، فالتفت من المتكلم إلى الخطاب ، ونكتته أنه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصيح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه . ثم التفت إليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى .

كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات ، وفيه نظر ؛ لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبار عن نفسه فى كلتا الجملتين ، وهنا ليس كذلك ، لجواز أن يريد بقوله: « ترجعون » مخاطبين لا نفسه .

وأجيب ، بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الإنكارى ؛ لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعيده غير ذلك الراجع ، فالغنى : كيف لا أعبد من إليه رجوعى ، وإنما عدل عن « وإليه أرجع » إلى « وإليه ترجعون » لأنه داخل فيهم ، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ، وهى تنبيههم على أنه مثلهم فى وجوب عبادة من إليه الرجوع .

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْنَا نُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٢) .

ومثاله من التكلم إلى الغيبة - ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط للتكلم ، وقصده من السامع ؛ حصر أو غاب ، وأنه ليس فى كلامه من يقولون ويتوجه ويبدى فى الغيبة خلاف ما يبدىه فى الحضور - قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، والأصل « لغفر لك » . ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ ^(٤) ، والأصل « لنا » . ﴿ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(٥) . والأصل « منا » ، ﴿ إِنِّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ^(٦) ، إلى قوله : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . والأصل « وبى » وعدل عنه لنكتتين ؛ إحداها ، دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها . والأخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة .

ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع فى القرآن ، ومثل له بعضهم بقوله : ﴿ فاقضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ ^(٧) . وهذا المثال لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً .

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ ^(٨) ،

(٣) الفتح ١ ، ٢

(٦) الأعراف ١٥٨

(٢) الأنعام ٧٢

(٥) الدخان ٥

(٨) يونس ٢٢

(١) الأنعام ٧١

(٤) الكوثر ٧١

(٧) طه ٧٢ ، ٧٣

والأصل « بكم » ، ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، التمجيب من كفرهم وفعلهم ، إذ لو استمرّ على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولاً كان مع الناس . مؤمنهم وكافرهم ، بدليل ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(١) فلو كان « وجرين بكم » للزم الهم للجميع ، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية عدولاً من الخطاب العام إلى الخاص .

قلت : ورأيت عن بعض السلف في توجيهه عكس ذلك ؛ وهو أن الخطاب أولاً خاص وآخره عام ، فأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، أنه قال في قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(١) ، قال : ذكر الحديث عنهم ، ثم حدث عن غيرهم ، ولم يقل : « وجرين بكم » ، لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق . هذه عبارته ؛ فله درّ السلف ما كان أوقعهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زماناً طويلاً ، ويفنون فيها أعمارهم ثم غايتهم أن يحوموا حول الحى ! ومما ذكر في توجيهه أيضاً أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح ، فخطبهم خطاب الحاضرين ، ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن ، وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان ، على عادة الإنسان أنه إذا أمن ، غاب قلبه عن ربه ، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة ، وهذه إشارة صوفية .

ومن أمثلته أيضاً ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْمِفُونَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ ، والأصل « عليكم » ، ثم قال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) ، فكرر الالتفات .

ومثاله من الغيبة إلى التكلم ﴿اللَّهُ الَّذِي رُسِلَ الرِّبَاحَ فَتُخْرِسُ حَابَا فَسُقْنَاهُ﴾^(١) ،
 ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا﴾^(٢) ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾
 إلى قوله : ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ، ثم التفت ثانياً إلى الغيبة ، فقال :
 ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣) وعلى قراءة الحسن « ليريه » بالغيبة يكون التفتاً ثانياً
 من « باركنا » ، وفي « آياتنا » التفت ثالث ، وفي « إنه » التفت رابع ؛ قال
 الزمخشري : وفائدته في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة ، وأنه
 لا يدخل تحت قدرة أحد .

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾^(٤) .
 ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ
 لَكُمْ﴾^(٥) ، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾^(٦) ، ﴿إِنْ أَرَادَ
 النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَحِكَهَا خَالِصَةً لَكَ﴾^(٧) .

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة ، فإن المبد إذا ذكر الله تعالى تعالى وحده ثم
 ذكر صفاته التي كان كل صفة منها تيمث على شدة الإقبال وآخرها ﴿مَالِكِ يَوْمِ
 الدِّينِ﴾ ، المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، يمد من نفسه حاملاً لا يقدر على دفعه
 على خطاب من هذا صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات . وقيل : إنما
 اختير لفظ الغيبة للحمد ، وللعبادة الخطاب للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ؛
 لأنك تحمد نظيرك ولا تعبد ، فاستعمل لفظ « الحمد » مع الغيبة ، ولفظ « العبادة » مع
 الخطاب لينسب إلى العظيم حال المحاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة ، وذلك على طريقة
 التأدب ، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال : ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مصرحاً
 بذكر النعم وإسناد الإنعام إليه لفظاً ، ولم يقل : « صراط النعم عليهم » فلما صار إلى

ذكر الغضب زوى عنه لفظه ، فلم ينسبه إليه لفظاً ، وجاء باللفظ من عرفاً عن ذكر الغاضب ، فلم يقل : « غير الذين غضبت عليهم » تفادياً عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة . وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رباً للعالمين ، ورحمناً ورحيماً ومالكاً ليوم الدين ، تعلق العلم بعلام عظيم الشأن ، حقيق بأن يكون محبوباً دون غيره ، مستعاناً به ، فحطب بذلك لتمييز ، بالصفات المذكورة تعظيماً لشأنه ؛ حتى كأنه قيل : « إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ، لا غيرك » .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أن مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرتة ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ؛ فإذا عرفوه بما هوله ، وتوسلوا القرب بالثناء عليه ، وأقرّوا بالحمد له ، وتعبدوا له بما يليق بهم ، وتأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

تنبیهات

الأول : شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه ، وإلا يلزم عليه أن يكون في « أنت صديقي » التفات .
الثاني : شرطه أيضاً ، أن يكون في جملتين ؛ صرح به صاحب الكشف وغيره ، وإلا يلزم عليه أن يكون [نوعاً غريباً] ^(١) .

الثالث : ذكر التَّنَوُّحِي في « الأقصى القريب » وابن الأثير وغيرهما نوعاً غريباً من الالتفات ، وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه ، كقوله : ﴿ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بعد ﴿ أُنِمْت ﴾ ، فإن المعنى : « غير الذين غضبت عليهم » ، وتوقف فيه صاحب عروس الأفراح .

الرابع : قال ابن أبي الإصيص : جاء في القرآن من الالتفات قسماً غريباً جداً ، لم أظفر في الشعر بمثاله ، وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين ، ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني ، ثم يعود إلى الإخبار عن الأول ، كقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۖ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ^(٢) ، انصرف

عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى ، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربه تعالى إلى الإخبار عن الإنسان : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١) ، قال : وهذا يحسن أن يستقى التفات الضمائر .

الجماس : يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر ، ذكره القنوخى وابن الأثير ، وهو ستة أقسام أيضاً .

مثاله من الواحد إلى الاثنين : ﴿قَالُوا أَاجْتَمَعْنَا لِغَلْفِنَا عَمَّاءَ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) .

وإلى الجمع ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٣) .

ومن الاثنين إلى الواحد ﴿فَمَنْ رَبِّكُمَا بِمُوسَى﴾^(٤) ، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٥) .

وإلى الجمع ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾^(٦) .

ومن الجمع إلى الواحد ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧) .

وإلى الاثنين ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَعْطَمْتُمْ﴾ إلى قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٨) .

السادس — ويقرب منه أيضاً — الانتقال من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر .

مثاله من الماضى إلى المضارع ﴿أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُفِيرُ﴾^(٩) ، ﴿خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

(٣) الطلاق ١

(٦) يونس ٨٧

(٢) يونس ٧٨

(٥) طه ١١٧

(٨) فاطر ٩

(١) العاديات ٨

(٤) طه ٤٩

(٧) الرحمن ٣٣ ، ٣٤

فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ ﴿١﴾ ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿٢﴾ .
 وإلى الأمر ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ ﴿٣﴾ ، ﴿وَأَحَلَّتْ
 لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا﴾ ﴿٤﴾
 ومن المضارع إلى الماضي ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي أَسْوَاقٍ فَتَزِعَ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ
 الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ ﴿٦﴾ .
 وإلى الأمر ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾ ﴿٧﴾
 ومن الأمر إلى الماضي ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا﴾ ﴿٨﴾
 وإلى المضارع ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٩﴾ .

 الاطراد

هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء المدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة . قال
 ابن أبي الأصبع : ومنه ﴿١٠﴾ في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ﴿١١﴾ ، قال : وإنما لم يأت به على الترتيب المألوف ؛ فإن
 العادة الابتداء بالأب ، ثم الجد ، ثم الجد الأعلى ؛ لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء ، وإنما
 ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها ، فبدأ بصاحب الملة ، ثم بمن أخذها عنه ، أولاً فأولاً على
 الترتيب ، ومثله قول أولاد يعقوب : ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ﴾ ﴿١٢﴾ .

 الانسجام

هو أن يكون الكلام لخلوة من الانقصاد منحدرأ كتحد الماء للمنجم ، ويكاد لسهولة

(٣) الأعراف ٢٩	(٢) الحج ٢٥	(١) الحج ٣١
(٦) الكهف ٤٧	(٥) النمل ٨٧	(٤) الحج ٣٠
(٩) الأعمام ٧٢	(٨) البقرة ١٢٥	(٧) هود ٥٤
(١٢) البقرة ١٣٢	(١١) يوسف ٣٨	(١٠) بديع القرآن ١٤١

تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقةً ، والقرآن كله كذلك . قال أهل البديع : وإذا قوى الانسجام في النثر ، جاءت قراءته موزونة بلا قصد ، لقوة انسجامه ، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً .

- فنه من بحر الطويل ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ^(١) .
 ومن اللديد ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٢) .
 ومن البسيط ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ﴾ ^(٣) .
 ومن الوافر ﴿ وَيُخْزِمُ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) .
 ومن الكامل ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٥) .
 ومن الهزج ﴿ فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ ^(٦) .
 ومن الرجز ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْوَافُهَا تَذَلُّلاً ﴾ ^(٧) .
 ومن الرمل ﴿ وَجَنَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ ^(٨) .
 ومن السريع ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ ^(٩) .
 ومن المنسرح ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ ﴾ ^(١٠) .
 ومن الخفيف ﴿ لَا يَسْكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ ^(١١) .
 ومن المضارع ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُكُونُ مَذَرِيرِينَ ﴾ ^(١٢) .
 ومن المقنضب ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ^(١٣) ، ومن المجتث ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(١٤) .

(٣) الأحقاف ٢٥

(٦) يوسف ٩٣

(٩) البقرة ٢٥٩

(١٢) غافر ٣٣ ، ٣٢

(٢) هود ٣٧

(٥) البقرة ٢١٣

(٨) سبأ ١٣

(١١) النساء ٧٨

(١٤) الحجر ٤٩

(١) الكهف ٢٩

(٤) التوبة ١٤

(٧) الإنسان ١٤

(١٠) الإنسان ٢

(١٣) البقرة ١٠

ومن التقارب ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (١).

* * *

الإدماج

قال ابن الإصبع : هو أن يُدمج التكلم غرضاً في غرضٍ ، أو بديعاً في بديع ، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين ، كقوله تعالى : ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ (٢) ، أدجت المبالغة في المطابقة لأنّ انفراده تعالى بالحمد في الآخرة - وهي الوقت الذي لا يُحمد فيه سواه - مبالغة في الوصف بالانفراد بالحمد، وهو وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر ، فالأمر فيه حقيقة في الباطن ، فإنه رب الحمد والمنفرد به في الدارين (٣). انتهى.

قلت : والأولى أن يقال في هذه الآية : إنها من إدماج غرض في غرض ، فإن الغرض منها تفرّده تعالى بوصف الحمد ، وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء .

* * *

الافتنان

هو الإتيان في كلام بفتين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٤) ؛ فإنه تعالى عزّى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة ، وتمدّح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات ، مع وصفه بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى !

ومنه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾ (٥) ، الآية ، جمع فيها بين هناء وعزاء .

الاقتدار

هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض ؛ فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة ، وتارة في صورة الإرداف ، وحيناً في مخرج الإيجاز ، ومرة في قالب الحقيقة ، قال ابن أبي الإصبع : وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن ، فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صور مختلفة ، وقوالب من الألفاظ متعددة ؛ حتى لا تكاد تشبه في موضعين منه ، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً ^(١).

* * *

اثتلاف اللفظ مع اللفظ واثتلافه مع المعنى

الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً ، بأن يقرن الغريب بمثله والتداول بمثله ؛ رعاية لحسن الجوار والمناسبة .

والثاني : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ؛ فإن كان نغماً كانت ألفاظه نغمة ، أو جزلاً فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولاً فمتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال ؛ فكذلك .

فالأول كقوله تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوْسُفُ حَتّٰى تَكُوْنَ حَرَضًا ﴾ ^(٢) ، أتى بأغرب ألفاظ القسم ، وهى التاء ؛ فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ؛ فإن «تزال» ، أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض ، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة ، توحيًا لحسن الجوار ورغبة في اثتلاف المعاني بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم ،

ولمّا أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ^(١) ، فاتى بجميع الألاظ متداولة لاغرابة فيها .

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرْ كَتِيرٌ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ ^(٢) ، لما كان الركون إلى الظالم ، وهو الميل إليه ، والاعتماد عليه دون مشاركته فى الظلم ، وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم ، فاتى بلفظ « المس » الذى هو دون الإحراق والاصطلاء .

وقوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ^(٣) ، آتى بلفظ « الاكتساب » المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لتقلها .

وكذا قوله : ﴿ فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ فِيهَا ﴾ ^(٤) فهو أبلغ من « كتبوا » ، للإشارة إلى أنهم يُكتبون كتباً عنيفاً فظيماً .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ ﴾ ^(٥) ، فإنه أبلغ من « يصرخون » ، للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحد المعتاد .

﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴾ ^(٦) ، فإنه أبلغ من « قادر » ؛ للإشارة إلى زيادة التمكن فى القدرة ، وأنه لأراد له ولا معقب .

ومثل ذلك ﴿ وَاضْطَبِرْ ﴾ ^(٧) ، فإنه أبلغ من « اصبر » ، و« الرحمن » فإنه أبلغ من « الرحيم » : فإنه يشعر باللطف والرفق ، كما أن الرحمن مُشعر بالفخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين سقى وأسقى ، فإن « سقى » لما لا كلفة معه فى السقيا ، ولهذا أورده تعالى فى شراب الجنة فقال : ﴿ وَسَقَامُ رَبِّهِمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ^(٨) ، و« أسقى » لما فيه كلفة ، ولهذا أورده فى شراب الدنيا ، فقال : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً قُرَاتًا ﴾ ^(٩) ، ﴿ لَا سَقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ ^(١٠) ، لأن السقيا فى الدنيا لا تخلو من الكلفة أبداً .

(٣) البقرة ٢٨٦

(٦) القمر ٤٢

(٩) المرسلات ٢٧

(٢) هود ١١٣

(٥) فاطر ٣٧

(٨) الإنسان ٢١

(١) الأنعام ١٠٩

(٤) الشعراء ٦٤

(٧) مريم ٩٥

(١٠) الجن ١٦

الاستدراك والاستثناء

شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضراباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي. مثال الاستدراك: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١)، فإنه لو اقتصر على قوله: «لم تؤمنوا» لكان منفراً لهم، لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيماناً، فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك، ليُعلم أن الإيمان موافقة القلب للسان، وإن انفرد اللسان بذلك يسمى إسلاماً، ولا يسمى إيماناً. وزاد ذلك إيضاحاً بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢)، فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الإشكال عُدَّ من المحاسن.

ومثال الاستثناء: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٣)، فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمدَّ عُدَّ نوح في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم؛ إذ لو قيل: «فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً» لم يكن فيه من التحويل ما في الأول، لأن لفظ «الألف» في الأول أول ما يترك السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام، وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدّمه وقع يزِيل ما حصل عنده من ذكر الألف.

الاقتصاص

ذكره ابن فارس، وهو أن يكون كل كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في تلك السورة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَلصَّالِحِينَ﴾^(٤)، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهذا مقتص من قوله: ﴿وَمَنْ يَتَابِعْهُ فَإِنَّ حَزَنَهُ جَعَلْنَا نَارًا وَبُخَارًا يَقْدُحُ فِيهَا زُجُجًا كَالْعِجْرِ﴾^(٥)، مأخوذ من قوله:

ومنه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾^(٥)، مأخوذ من قوله:

(٣) العنكبوت ٢٧

(٢) العنكبوت ١٤

(٥) الصافات ٥٧

(١) الحجرات ١٤

٧٥

﴿ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾^(٢) ، مقتص من أربع آيات ، لأن الأشهاد أربعة : الملائكة في قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾^(٣) ، والأنبياء في قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٤) ، وأمة محمد في قوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾^(٥) ، والأعضاء في قوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ... ﴾^(٦) الآية .

وقوله : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾^(٧) ، قرئ مخففاً ومشدداً ، فالأول مأخوذ من قوله : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾^(٨) ، والثاني من قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾^(٩) .

الابـدال

هو إقامة بعض الحروف مقام بعض ، وجعل منه ابن فارس ﴿ فَأَنْفَاقَ ﴾^(١٠) ، أى انفرق ، ولهذا قال : ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾^(١٠) ، فالراء واللام متعاقبتان . وعن الخليل في قوله تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾^(١١) ، إنه أريد « فحاسوا » فجاءت الجيم مقام الحاء ، وقد قرئ بالحاء أيضاً ، وجعل منه الفارسي : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾^(١٢) ، أى الخيل ، وجعل منه أبو عبيدة : ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَضْدِيَةً ﴾^(١٣) ، أى تصددة .

تأكيد المدح بما يشبه الذم

قال ابن أبي الإصبع : هو في غاية العزة في القرآن ، قال : ولم أجد منه

(١) سبأ ٣٦	(٢) غافر ٥١	(٣) في ٢١
(٤) النساء ٤١	(٥) البقرة ١٤٣	(٦) النور ٢٤
(٧) غافر ٣٢	(٨) الأعراف ٤٤	(٩) عبس ٣١
(١٠) الشعراء ٦٣	(١١) الإسراء ٥	(١٢) ص ٣٢
(١٣) الأنفال ٣٥		

إِنَّ آيَةَ وَاحِدَةٍ، وهى قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَعْتَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾^(١)، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان، بوجه أن ما يأتى بعده مما يوجب أن يُنقَمَ على فاعله مما يذم به، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنًا تأكيد المدح بما يشبه الذم.

قلت: ونظيرها قوله: ﴿وَمَا تَقُومُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^(٣)؛ فإن ظاهر الاستثناء، أن ما بعده حق يقتضى الإخراج، فلما كان صفة مدح يقتضى الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم.

وجعل منه التثنية فى الأقصى القريب: ﴿لَا يَسْتَمُونَ فِيهَا لَفْوَاً وَلَا تَأْثِيماً﴾^(٤)، استثنى «سلاماً سلاماً»، الذى هو ضد اللغو والتأثير، فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثير. انتهى.

التفويف

هو إتيان المتكلم بمكان شتى من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كل فن فى جملة منفصلة عن آخرها، مع تساوى الجمل فى الزنة، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة.

فمن الطويلة ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^(٥).
ومن المتوسطة ﴿تَوَلَّجَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٦).

قال ابن أبى الإصبع: ولم يأت المركب من القصيرة فى القرآن^(٧).

(١) المائة ٥٩ (٢) التوبة ٧٤ (٣) الحج ٤٠
(٤) الواقعة ٢٥، ٢٦ (٥) الشعراء ٧٨ (٦) آل عمران ٢٧
(٧) بديع القرآن ١٠٠، والعمارة فيه: «ولم يأت المركب من الجمل القصيرة فى شيء من الكلام الفصيح»

التقسيم

هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة ، لا الممكنة عقلا ، نحو ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ^(١) ، إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ؛ ولا ثالث لهذه القسامين .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ ^(٢) ، فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة ، إما عاصٍ ظالم لنفسه ، وإما سابق مبادر للخيرات ، وإما متوسط بينهما مقتصد فيها .

ونظيرها ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ^(٣) .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ ^(٤) ، استوفى أقسام الزمان ، ولا رابع لهما .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ ^(٥) ، استوفى أقسام الخلق في المشي .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٦) ، استوفى جميع هيات الذاكر .

وقوله : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورًا * أَوْ بُزُوجَهُمْ ذُرِّيًّا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ ^(٧) ، استوفى جميع أحوال التزوجين ، ولا خامس لها .

(٣) الواقعة ٧ ، ١٠

(٦) آل عمران ١٩١

(٢) طهر ٣٢

(٥) النور ٤٥

(١) الرعد ١٢

(٤) مريم ٦٤

(٧) النورى ٤٩ . . .

التدبيح

هو أن يذكر التكلم ألواناً يقصد التورية بها والكناية ، قال ابن بى الإصبع :
 كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾ ^(١) ،
 قال : المراد بذلك — والله أعلم — الكناية عن المشتبه ، والواضح من الطرق ؛ لأن الجادة
 البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً ، وهي أوضح الطرق وأبينها ، ودونها
 الحمراء ، ودون الحمراء السوداء ؛ كأنها في الخفاء والالتباس ضدّ البيضاء في الظهور
 والوضوح . ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة ، فالطرف
 الأعلى في الظهور والبياض ، والطرف الأدنى في الخفاء والسواد ، والأحر بينهما على وضع
 الألوان في التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية
 بكلّ علم نصب للهداية ، منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك ، فحصل
 فيها التدريج وصحة التقسيم ^(٢) .

* * *

التنكيث

هو أن يقصد التكلم إلى شئ بالذكر دون غيره ، ثم يسد مسدّه ، لأجل نكتة في
 المذكور ترجع مجيئه على سواء ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ﴾ ^(٣) ، خصّ
 الشُّعْرَى بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو تعالى ربّ كلّ شئ ؛ لأن العرب كان ظهر
 فيهم رجل يعرف بابن أبي كنبشة ، عبّد الشُّعْرَى ، ودعا خلقاً إلى عبادتها ، فأنزل الله تعالى :
 ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى ﴾ التي ادّعت فيها الربوبية .

* * *

التجريد

هو أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفة آخر مثله ، مبالغةً في كمالها ، نحو «لى من فلان صديق»

حجيم»؛ جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصِفٌ بصفة الصداقة. ونحو مررت بالرجل الكريم النِّسمة المباركة، جردوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفاً بصفة البركة، وعطفوه عليه، كأنه غيره، وهو هو.

ومن أمثلته في القرآن ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾^(١)؛ ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد، بل هي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار داراً. ذكره في «الاحتساب»، وجعل منه: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٢)؛ على أن المراد بالمت النطفة. قال الزمخشري: وقرأ عبيد بن عمير ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٣) بالرفع، بمعنى حصلت منها وردة، قال: وهو من التجريد، وقرئ أيضاً ﴿يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٤) قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد «وَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي مِنْهُ وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» وهو الوارث نفسه، فكأنه جرد منه وارثاً.

التعديد

هو إيقاع الأنفاظ المفردة على سياق واحد، وأكثر ما يوجد في الصفات، كقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٥).

وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ...﴾^(٦) الآية.

وقوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ...﴾^(٧) الآية.

الترتيب

هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها

(٣) الرحمن ٣٧

(٦) التوبة ١١٢

(٢) الأسماء ٩٥

(٥) المهر ٢٣

(١) فصلت ٢٨

(٤) مريم ٦

(٨) التحريم ٥

وصفاً زائداً ، ومثله عبد الباقي المبنى بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّ كُمُ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ ^(١) ،
وبقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُّوْهَا ... ﴾ ^(٢) الآية .

* * *
الترقي والتدلي

تقدماً في نوع التقديم والتأخير .

* * *

التضمين

يطلق على أشياء :

أحدها : إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه ، وهو نوع من المجاز تقدم [الكلام] فيه .
الثاني : حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع من الإيجاز ،
تقدم أيضاً .

الثالث : تعلق ما بعد الفاصلة بها ، وهذا مذكور في نوع الفواصل .

الرابع : إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى ، أو ترتيب النظم ،
وهذا هو النوع البدعي . قال ابن أبي الإصبع : ولم أظفر في القرآن بشئ منه إلا في
موضعين تضمننا فصلين من التوراة والإنجيل : قوله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ ... ﴾ ^(٣) الآية ، وقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ﴾ ^(٤) الآية .

ومثله ابن النقيب ^(٥) وغيره بإبداع حكايات المخلوقين ، في القرآن كقوله تعالى حكاية
عن الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ^(٦) ، وعن المنافقين : ﴿ أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ

(٣) المائدة ٤٥

(٢) الشمس ١٤

(١) غافر ٦٧

(٥) ابن النقيب هو محمد بن سليمان بن الحسن البلخي ، جمال الدين

(٤) الفتح ٢٩

ابن النقيب ، فقيه من فقهاء الحنفية ، وله تفسير ، قيل إنه في سبعين مجلدة . توفي سنة ٦٩٨ : الهواند

(٦) البقرة ٣٠

الهيئة ١٦٨

السَّهَاءِ ﴿١﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ و ﴿ قَالَتِ النَّصَارَى ﴾ ، قال : وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية .

الجناس

هو تشابه اللفظين في اللفظ ، قال في كنز البراعة : وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تُحدث ميلاً وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك ، إذا أُحْمِلَ على معنى ثم جاء والمراد به آخر ، كان للنفس تشوّقٌ إليه .

وأنواع الجناس كثيرة ، منها التامّ بأن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (٢) ، وقيل : ولم يقع منه في القرآن سواه ، واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعاً آخر ، وهو ﴿ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٣) ، ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (٤) .

وأنكر بعضهم كون الآية الأولى من الجناس ، وقال : الساعة في الموضعين بمعنى واحد . والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، ولا يكون أحدهما حقيقة ، والآخر مجازاً ، بل يكونان حقيقتين ، وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة ، فإطلاق الساعة على القيامة مجاز ، وعلى الآخرة حقيقة ، ولذلك يخرج الكلام عن التجنيس ، كما قلت : « ركبتم حماراً ولقيتم حماراً » ، تعنى بليداً .

ومنها المصحّف ، ويسمى جناس الخطّ ، بأن يختلف الحروف في النقط كقوله : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٥) .

ومنها المحرّف بأن يقع الاختلاف في الحركات ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ

مُنْذِرِينَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١﴾ .

وقد اجتمع التصحيف والتحريف في قوله : ﴿وَمَنْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٢) .

ومنها الناقص ، بأن يختلف في عدد الحروف ، سواء كان الحرف للزيد أولاً أو وسطاً أو آخرًا ، كقوله : ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٣) ، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (٤) .

ومنها المذيل ، بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأول ، وسمى بعضهم الثاني بالتتويج ، كقوله : ﴿وَاَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ (٥) ، ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٦) ، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ (٧) ، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾ (٨) ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (٩) .

ومنها المضارع ، وهو أن يختلفا بحرف مقارب في الخرج ، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (١٠) .

ومنها اللاحق ، بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك ، كقوله : ﴿وَبِلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١١) ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لَحَبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) ، ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (١٣) ، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾ (١٤) .

ومنها المرفوع ، وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى ، كقوله : ﴿جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ﴾ (١٥) .

(١) : الصافات ٧٢	(٢) : الكهف ١٠٤	(٣) : القيامة ٣٠
(٤) : النحل ٦٩	(٥) : طه ٩٧	(٦) : القصص ٤
(٧) : الأعراف ٨٦	(٨) : العاديات ١١	(٩) : النساء ٣٥
(١٠) : الأنعام ٢٦	(١١) : الهزرة ١	(١٢) : العاديات ٧ ، ٨
(١٣) : غافر ٧٥	(١٤) : النساء ٣٧٠	(١٥) : التوبة ١٠٩

ومنها اللفظي ، بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء ، كقوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(١) .

ومنها تجنيس القلب ، بأن يختلفا في ترتيب الحروف ، نحو ﴿ مَزَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢) .

ومنها تجنيس الاشتقاق ، بأن يحتكما في أصل الاشتقاق ، ويستقى المقنضب ، نحو ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾^(٣) ، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٤) ، ﴿ وَجَهَتْ وَجْهِي ﴾^(٥) .

ومنها تجنيس الإطلاق ، بأن يحتكما في المشابهة فقط ، كقوله : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾^(٦) ، ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِقِينَ ﴾^(٧) ، ﴿ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي ﴾^(٨) ، ﴿ وَإِن يُرْذَلَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ ﴾^(٩) ، ﴿ إِنَّا قَلَّمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ ﴾^(١٠) ، ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَذُودُعَاءَ عَرِيضٍ ﴾^(١١) .

تنبيه

لكون الجناس من الحسن اللفظي لا المعنوي ترك عند قوة المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾^(١٢) ، قيل : ما الحكمة في كونه لم يقل : « وما أنت بمصدق » ، فإنه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس .

وأجيب ؛ بأن في « مؤمن لنا » من المعنى ما ليس في « مصدق » ، لأن معنى قولك : « فلان مصدق لي » ، قال لي : صدقت ، وأما « مؤمن » فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ، ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ، فلذلك عبر به .

(٣) الواقعة ٨٩

(٦) الرحمن ٥٤

(٩) يونس ١٠٧

(١٢) يوسف ١٧

(٢) طه ٩٤

(٥) الأنعام ٧٩

(٧) المائدة ٣١

(١١) فصلت ٥١

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٤) الروم ٤٣

(٧) الشعراء ١٦٨

(١٠) التوبة ٣٨

وقد زل بعض الأدباء ، فقال في قوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(١) : لو قال : « وتَدْعون » لكان فيه مراعاة للتجنيس .

وأجاب الإمام نجر الدين ؛ بأن فصاحة القرآن ، ليست لرعاية هذه التكريرات ، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره بأن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ ، ولو قال : « أتَدْعون » و « تَدْعون » ، لوقع الالتباس على القارئ ، فيجعلها بمعنى واحد تصحيفاً . وهذا الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزمكاني : بأن التجنيس تحسين ، وإنما يُستعملُ في مقام الوعد والإحسان ، لافي مقام التهويل .

وأجاب الخويّ بأن « يدع » أخص من « يذر » لأنه بمعنى ترك الشيء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق ؛ نحو الإيداع ؛ فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بها . ولهذا يختار لها مَنْ هو . مؤمّنٌ عليها .

ومن ذلك الدَّعة بمعنى الراحة ، وأما « تذر » فمعناه التَّرك مطلقاً ، أو الترك مع الإعراض والرفض الكلي .

قال الراغب : يقال : فلان يَذَرُ الشيء ، أى يقذفه لقلة الاعتداد به ، ومنه الوذر قطعة من اللحم لقلة الاعتداده ، ولاشك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ، فأريد هنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم ، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض . انتهى .

* * *

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم ، كقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ

زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١﴾ ، جمع المسال والبنون في الزينة .

وكذلك قوله : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (٢) .

* * *

الجمع والتفريق

هو أن تدخل شيئين في معنى ، وتفرق بين جهتي الإدخال ؛ وجعل منه الطَّبِيعِيّ قوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا .. ﴾ (٣) الآية ، جمع النفسين في حكم التوفى ، ثم فرق بين جهتي التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى بالإمساك والإرسال ، أى الله يتوفى الأنفس التي تُقبَضُ والتي لم تُقبَضْ ، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى .

* * *

الجمع والتقسيم

وهو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (٤) .

* * *

الجمع مع والتفريق والتقسيم

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾ (٥) الآيات .

فالجمع في قوله : « لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، لأنها متعددة معنى ، إذ النكرة في سياق النفي تعمم ، والتفريق في قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ، والتقسيم في قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ﴾ (٥) .

* * *

جمع المؤنث والمختلف

هو أن يربط النسوبة بين ممدوحين ؛ فيأتى بجماع مؤنث في مدهما ، ويروم بعد

(٣) الزمر ٤٢

(٢) الرحمن ٦ ، ٥

(١) الكهف ٤٦

(٥) هود ١٠٥ — ١٠٨ وما بعدها

(٤) فاطر ٣٢

ذلك ترجيح أحدهما على الآخر ، بزيادة فضل لا يُنْقِصُ الآخر ، فيأتي لأجل ذلك بممان تخالف معنى التسوية ، كقوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ... ﴾ ^(١) الآية ، سوى في الحكم والهاء ، وزاد فضل سليمان بالفهم .

* * *

حسن النسق

هو أن يأتي للتكلم بكلماتٍ متتالياتٍ معطوفات متلاحات ، تلاهما سليماً مستحسنًا ؛ بحيث إذا أُفردت كلُّ جملةٍ منه قامت بنفسها ، واستقلَّ معناها بلفظها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ... ﴾ ^(٢) الآية ، فإنَّ جُمْلَةً معطوف بعضها على بعضها بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، من الابتداء بالاسم الذي هو انحسار الماء عن الأرض ، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة ، من الإطلاق من سجنها ، ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك ؛ من دفع أذاه بعد الخروج ، ومنع إخلاف ما كان بالأرض ، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعاً ، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك مَنْ قُدِّرَ هلاكه ، ونجاة مَنْ سبقَ نجاته ، وأخَّرَ عما قبله ؛ لأنَّ علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها ، وخروجهم موقوف على ما تقدَّم . ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الأمن من الاضطراب ، ثم ختم بالدعاء على الظالمين ؛ لإفادة أن الفرق وإن عمَّ الأرض ، فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه .

* * *

عتاب المرء نفسه

منه : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْدَنِي... ﴾ ^(٣) ، الآيات .
وقوله : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ... ﴾ ^(٤) ، الآيات .

العكس

هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ، ثم يقدم المؤخر ، ويؤخر القدم ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ^(٣) ، ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ ^(٤) ، ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا أَنْتُمْ حِلٌّ لَهُنَّ ﴾ ^(٥) .

وقد سُئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ . فأجاب ابن المنبر ؛ بأن فائدته الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة .

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب : الحق أن كل واحد من فعل المؤمن والكافر منفى عنه الحل ، أما فعل المؤمن فيحرم لأنها مخاطبة ، وأما فعل الكافر فنفي عنه الحل باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة ، فليس الكفار مورد الخطاب ، بل الأئمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك ، لأن الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفسد ؛ فاتضح أن المؤمنة نفي عنها الحل باعتبار ، والكافر نفي عنه الحل باعتبار .

قال ابن أبي الإصبع : ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ ^(٦) ، فإن نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى ، لتقديم العمل في الأولى على الإيمان ، وتأخيرها في الثانية عن الإسلام .

ومنه نوع يسمى القاب والمقلوب المستوى ، وما لا يستحيل بالانمكاس ، وهو أن

(٣) يونس ٣١

(٦) النساء ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) الحج ٦١

(٥) المتحنة ١٠

(١) الأنعام ٥٢

(٤) البقرة ١٨٧

تَقْرَأُ الْكَلِمَةَ مِنْ آخِرِهَا إِلَى أَوَّلِهَا ، كَمَا تَقْرَأُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ﴾ ^(٢) ، وَلَا ثَالِثَ لِمَا فِي الْقُرْآنِ .

* * *

العنوان

قال ابن أبي الإصبع : ^(٣) هو أن يأخذ المتكلم في غرض ، فيأتي لقصد تكميله وتأكيد به بأمثلة في ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة ، وقصص سالفة ، ومنه نوع عظيم جداً ، وهو عنوان العلوم ، بأن يذكر في الكلام ألفاظاً تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ... ﴾ ^(٤) الآية ، فإنه عنوان قصة بلعام .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ... ﴾ ^(٥) الآية ، فيها عنوان علم الهندسة ^(٦) ، فإن الشكل المثلث أول الأشكال ، وإذا نُصِبَ في الشمس على أي ضلع من أضلاعه ، لا يكون له ظلٌّ ، لتحديد رؤوس زواياه ، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظلِّ هذا الشكل تهكماً بهم .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ ^(٧) الآيات ، فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة ^(٨) .

* * *

الفرائد

هو مختصٌّ بالفصاحة دون البلاغة ؛ لأنه الإتيان بلفظةٍ تنزل منزلة الفريدة من العقد ؛ وهي الجوهرية التي لا نظير لها ، تدلُّ على عظم فصاحة هذا الكلام ، وقوة

(٤) بديع القرآن ٢٥٧

(٢) المدثر ٣

(١) الأنبياء ٣٣

(٦) بديع القرآن :

(٥) الرسائل ٣٠ ، ٣١

(٤) الأعراف ١٥٧

(٧) الأنعام ٥٧

« وهذا عنوان العلم المنسوب إلى إقليدس » .

(٨) بديع القرآن : « وهذا عنوان العلم المعروف بالمحيطى » .

عارضته ، وجزالة منطقة ، وأصالة عربيته ، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء [غرابتها]^(١).

ومنه لفظ: « حصحص » في قوله : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾^(٢) . « والرّفث » في قوله : ﴿ أَجِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾^(٣) .
ولفظه « فُرْع » في قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾^(٤) .
وخائنة الأعين في قوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾^(٥) .
والفاظ قوله : ﴿ فَلَمَّا اسْتِيسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾^(٧) .

* * *

القسم

هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء ، فيحلف بما يكون فيه فخر له ، أو تعظيم لشأنه ، أو تنويه لقدره ، أو ذم لغيره ، أو جارياً مجرى الفزل والترقى ، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد ، كقوله : ﴿ قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾^(٨) ، أقسم سبحانه وتعالى بقسم يوجب الفخر ، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة ، وأجل عظمة . ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٩) ، أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيماً لشأنه ، وتنويهاً بقدره . وسيأتى في نوع الأقسام أشياء تتعلق بذلك .

* * *

الف والنشر

هو أن يذكر شيئان أو أشياء ، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً ، بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك ، كل واحد يرجع إلى

(٣) البقرة ١٨٧

(٦) يوسف ٨٠

(٩) الحجر ٧٢

(٢) يوسف ٥١

(٥) غافر ١٩

(٨) الداريات ٢٢

(١) من بديع القرآن ٢٨٧

(٤) سبأ ٢٣

(٨) الصفات ١٧٧

واحد من المتقدم ، ويفوض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به . فالإجمالى كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ ^(١) ، أى وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى ؛ وإنما سوّغ الإجمال فى اللفظ ثبوت العناد بين اليهود والنصارى ، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة ، فوثق بالعقل فى أنه يردّ كل قول إلى فريقه لأمن اللبس ، وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران .

قلت : وقد يكون الإجمال فى النشر لا فى اللفظ ؛ بأن يؤتى بمتعدّد ، ثم بلفظ يشتمل على متعدّد يصلح لهما ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(٢) على قول أبى عبيدة : إن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل ، وقد بينتّه فى أسرار التنزيل .

والتفصيليّ قسمان :

أحدهما : أن يكون على ترتيب اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) فالتسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ ^(٤) ، فاللوم راجع إلى البخل ، ومحسوراً راجع إلى الإسراف ، لأن معناه : منقطعاً لا شئ . عندك .

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً ... ﴾ الآيات ، فإن قوله : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾ ، و﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ راجع إلى قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره ، و﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

رَبِّكَ فَحَدَّثْتُ ﴿١﴾ راجع إلى قوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (١) رأيت هذا المثال في شرح الوسيط للنووي المسمى بالتنقيح .

والثاني : أن يكون على عكس ترتيبه ، كقوله : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ...﴾ (٢) .

وجعل منه جماعة قوله تعالى : ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٣) ، قالوا : «متى نصر الله» : قول الذين آمنوا ، «ألا إن نصر الله قريب» : قول الرسول .

وذكر الزمخشري قسماً آخر ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٤) ، قال : هذا من باب اللف ، وتقديره : «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» ، إلا أنه فصل بين «منامكم» و«ابتغائكم» بالليل والنهار لأنها زمانان ، والزمان الواقع فيه كشيء واحد مع إقامة اللف على الاتحاد .

* * *

المشكلة

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في محبته تحقيقاً ، أو تقريراً .

فالأول كقوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٥) ، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ (٦) ، فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لشيء كل واحد مامعه . وكذا قوله : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (٧) ، لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة ، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ (٨) ، ﴿الْيَوْمَ نَنفَسُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾ (٩) ،

(٣) البقرة ٢١٤

(٦) آل عمران ٤٤

(٩) الحانية ٣٤

(٢) آل عمران ١٠٦

(٥) الثلاثة ١١٦

(٨) البقرة ١٩٤

(١) الضحى ١١

(٤) الروم ٢٣

(٧) الشورى ٤٠

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ^(١) ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ * الله يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ ^(٢) .

ومثال التقديرى قوله تعالى : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ^(٣) ، أى تطهير الله ؛ لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون : إنه تطهير لهم ، فعبّر عن الإيمان «صبغة الله» للمشاكلة التريفة .

* * *

المزاوجة

أن يزواج بين معنيين فى الشرط والجزاء ، أو ما جرى مجراها ، كقوله :
إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْر ^(٤)
ومنه فى القرآن : ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ^(٥)

* * *

المبالغة

أن يذكر التكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده . وهى ضربان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة ، ومنه ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ^(٦) ، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ^(٧) ، ومبالغة بالصيغة ، وصيغ المبالغة : «فعلان» كالرحمن ، و«فعليل» كالرحيم ، و«فعلال» كالنواب والغفار والتهار ، و«فعلول» كغفور وشكور وودود ، و«فعليل» كحذر وأشر وفرح ، و«فعلال» بالتخفيف ، كمعجب وبالتشديد ككبار ، و«فعلل» كلبد وكبر ، و«فعللي» كالعليا والحسنى وشورى والسوى .

(٣) البقرة ٢٨١٣٥

(٦) النور ٣٥

(٢) البقرة ١٣٨

(٥) الأعراف ١٧٥

(١) النوبة ٧٩

(٤) لاجترى ، ديوانه ١ : ٢١٧ .

(٧) الأعراف ٤٠

فائدة

الأكثر على أن « قفلان » أبلغ من « قفيل » ، ومن ثم قيل : « الرحمن » أبلغ من « الرحيم » ، ونصره السهلي بأنه ورد على صيغة التثنية ، والتثنية تضعيف ، فكان البناء تضاعفت فيه الصفة . وذهب ابن الأنباري إلى أن « الرحيم » أبلغ من « الرحمن » ورجحه ابن عسكر بتقديم « الرحمن » عليه ، وبأنه جاء على صيغة الجمع ، كمبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قطرب إلى أنها سواء .

* * *

فائدة

ذكر البرهان الرشيدى أن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز ؛ لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ؛ لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له ، وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها . وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزّهة عن ذلك ، واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي .

وقال الزركشى في البرهان : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثاني : بحسب تعدد المفعولات ، ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال ؛ ولهذا قاله بعضهم في « حكيم » : معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

وقال في الكشف : المبالغة في التّوابع للدلالة على كثرة مَنْ يتوب عليه من عباده ،

أو لأنه بليغ في قبول التوبة نُزِّل صاحبها منزلة من لم يذنب قط ، لسمعة كرمه

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(١) ؛ وهو أن « قديراً » من صيغ المبالغة ، فيستلزم لزيادة على معنى « قادر » ، والزيادة على معنى « قادر » محال ، إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد . وأجيب ، بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها ، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .

• • •

المطابقة

وتسمى الطابق . الجمع بين متضادين في الجملة ؛ وهو قسمان : حقيقى ومجازى ، والثانى يسمى التكافؤ ، وكل منهما إما لفظى أو معنوى . وإما طابق إيجاب أو سلب .

ومن أمثلة ذلك ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴾ ^(٣) ، ﴿ لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَافَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ ^(٥) .

ومن أمثلة المجازى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ^(٦) ، أى ضالاً فهديناه .

ومن أمثلة طابق السلب ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ ^(٨) .

ومن أمثلة المعنوى ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٩) معناه « ربنا يعلم إنا لصادقون » .

﴿ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ^(١٠) ، قال أبو علي الفارسي : لما كان البناء رفعا للمبنى قوبل بالفرش الذى هو على خلاف البناء .

(٣) النجم ٤٣

(٦) الأنعام ١٢٢

(٩) يس ١٥ ، ١٦

(٢) التوبة ٨٢

(٥) الكهف ١٨

(٨) المائدة ٤٤

(١) البقرة ٢٨٤

(٤) الحديد ٢٣

(٧) المائدة ١١٦

(١٠) البقرة ٢٢

ومنه نوع يسمى الطبايق الخفي ، كقوله : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذِلُّوْا نَارًا﴾^(١) ؛ لأن الفرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء والنار ، قال ابن منقذ :^(٢) وهي أخفى مطابقة في القرآن .

وقال ابن المعتز^(٣) : من أملح الطبايق وأخفاه قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٤) ؛ لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام ، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك ، كقوله : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٥) ، أتى بالجوع مع العرى ، وبابه أن يكون مع الظمأ ، وبالضحى مع الظمأ ، وبابه أن يكون مع العرى ، لكن الجوع والعرى اشتركا في الخلوة ، فالجوع خلوة الباطن من الطعام ، والعرى خلوة الظاهر من اللباس ، والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق ، فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس .

ومنه نوع يسمى المقابلة ، وهي أن يذكر لفظان فأكثر ، ثم أضدادهما على الترتيب ، قال ابن أبي الإصبع : والفرق بين الطبايق والمقابلة من وجهين : أحدهما : أن الطبايق لا يكون إلا من ضدتين فقط ، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة .

والثاني : أن الصبايق لا يكون إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وبغيرها . قال السكاكي : ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمر ، شرط في الثاني ضده ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى...﴾^(٦) آيتين ؛ قابل بين الإعطاء والبخل ، والاتقاء والاستغناء ، والتصديق والتكذيب ، واليسرى والعسرى ، ولما جعل التيسير في الأول مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق ، جعل ضده ، وهو التفسير مشتركاً بين الأضدادها .

(١) نوح ٢٥ (٢) هو أسامة بن منقذ الأمير العيزي ، صاحب كتاب البديع وغيره من كتب الأدب والتاريخ . توفي سنة ٥٨٤ هـ
(٣) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ، الخليفة ، الشاعر البديع ، صاحب كتاب البديع وغيره . توفي
مقتولا سنة ٢٩٦ (٤) البقرة ١٧٩ (٥) طه ١١٨ ، ١١٩ (٦) الليل ٥

وقال بعضهم : المقابلة إما لواحد بواحد، وذلك قليل جداً ، كقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(١) .

أو اثنين باثنين ، كقوله : ﴿ فَلْيَضَحْ كُورًا قَلِيلًا وَلْيَبْكَرَا كَثِيرًا ﴾ ^(٢) .

أو ثلاثة بثلاثة كقوله : ﴿ يَا مُرُّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَبَيْنَهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ ^(٤) .

وأربعة بأربعة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ... ﴾ ^(٥) الآيتين .

وخسة بخمسة ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا... ﴾ ^(٦) الآيات ، قابل بين « بموضة فافوقها » وبين « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا » و « وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا » ، وبين « يضل » و « يهدى » ، وبين « ينقضون » و « ميثاقه » ، وبين « يقطعون » و « أن يوصل » .

أو ستة بستة ، كقوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ... ﴾ ^(٧) ، الآية ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَوْذَيْتُكُمْ... ﴾ ^(٧) ، الآية ، قابل « الجنات » ، « الأنهار » ، « الخلد » ، « الأزواج » ، « التطهير » ، « الرضوان » ، « إزاء النساء » ، « البنين » ، « الذهب » ، « الفضة » ، « الخيل المسومة » ، « الانعام » ، « الحرث » .

وقسم آخر المقابلة إلى ثلاثة أنواع : نظري ، وقيضي ، وخلافي .

مثال الأول : مقابلة السنة بالنوم في الآية الأولى ، فإنهما جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقظة في آية ﴿ وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ ^(٨) ، وهذا مثال الثاني ، فإنهما نقيضان .

(٣) الأعراف ١٥٧

(٦) البقرة ٢٦

(٢) النوبة ٨٢

(٥) الليل ٥

(٨) الكهف ١٨

(٢) البقرة ٢٥٥

(٤) البقرة ١٥٢

(٧) عمران ١٤ ، ١٥

ومثال الثالث : مقابلة الشرّ بالرشد في قوله : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(١) ، فإنّهما خلافان لا نقيضان ، فإنّ نقيض الشرّ الخير ، والرشد النقيض.

* * *

المواربة

براء مهملّة وباء موحّدة. أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما يُنكر عليه ، فإذا حصل الإنكار استحضّر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخصّص به ، إمّا بتحريف كلمة أو تصحيحها ، أو زيادة أو نقص ، قال ابن أبي الإصبع : ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب : ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾^(٢) ، فإنه قرئ : « إن ابنك سرّق ولم يسرق » ، فأتى بالكلام على الصّحّة بإبدال ضمّة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها^(٣).

* * *

المراجعة

قال ابن أبي الإصبع : هي أن يحكى المتكلم مراجعةً في القول جرت بينه وبين مجاور له ، بأوجز عبارة وأعدل سبك ، وأعذب ألفاظ ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبْنَىٰ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤) ، جمعت هذه القطعة - وهي بعض آية - ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام ؛ من الخير والاستخبار ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، بالمنطوق والمفهوم^(٥).

قلت : أحسن من هذا أن يقال ، جمعت الخير والطلب ، والإثبات والنفي ، والتأكيد والحذف ، والبشارة والنذارة ، والوعد والوعيد.

(٣) بديع القرآن ٩٥

(٢) يوسف ٨١

(١) الجن ١٥

(٥) بديع القرآن ٣٠٠

(٤) البقرة ١٢٤

المنزاهة

هي خلوص ألفاظ المجاء من الفحش ، حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وقد سئل عن أحسن المجاء : هو الذي إذا أُنشدته الذراء في خدرها لا يقبح عليها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) ، فإن ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أنت منزّهة عما يقبح في المجاء من الفحش . وسائر مجاء القرآن كذلك ^(٢) .

الإبداع

بالباء الموحدة . أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع ، قال ابن أبي الإصبع : ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى : ﴿ وَيَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ ^(٣) ، فإن فيها عشرين ضرباً من البديع ، وهي سبع عشرة لفظة ، وذلك : المناسبة التامة في « ابلعي » « وأألقى » ، والاستعارة فيهما ، والطباق بين الأرض والسماء ، والمجازي قوله تعالى : ﴿ يَا سَّمَاءُ ﴾ فإن الحقيقة يامطر السماء ، والإشارة في « وغيض الماء » ، فإنه عبر به عن معان كثيرة ، لأن الماء لا يفيض حتى يقلع مطر السماء وتبلغ الأرض ما يخرج منها من عيون الماء ، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء . والإرداف في : « واستوت » . والمثيل في : « وقضى الأمر » . والتعليل ، فإن « غيض الماء » علة الاستواء ، وصحة التقسيم ، فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة قصه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، والماء النابع من الأرض ، وغيض الماء الذي على ظهرها . والاحتباس في الدعاء ، لثلاث جوارح أن الفرق لعمومه شمل من لا يستحق

الملاك ، فإن عدله تعالى يمنع أن يدعو مع غير مستحق ، وحسن النسق واتلاف اللفظ مع المعنى ، والإيجاز ؛ فإنه تعالى قصّ القصة مستوعبة بأخصر عبارة ، والتسليم ؛ لأن أول الآية يدل على آخرها ، والتعذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن ، كلّ لفظة سهلة مخارج الحروف ، عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب . وحسن البيان ؛ من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ، ولا يشكل عليه شيء منه ، والتمكين ؛ لأن الفاصلة مستقرّة في محلها ، مطمئنة في مكانها ، غير قلقة ولا مستدعاة ، والانسجام [وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك ، مع جزالة لفظ ؛ كما ينسجم الماء القليل من الهواء] ^(١) .

هذا ما ذكره ابن أبي الإصبع ^(٢) .

قلت : فيها أيضاً الاعتراض .

(١) من بديع القرآن . (٢) بديع القرآن ٣٤٠ - ٣٤٣ .

التَوْعُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ في فُرَاصِيلِ الْآيِ

الفاصلة كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر وقربنة السجع .
وقال الداني ^(١) : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبري ^(٢) : وهو خلاف المصطاح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه ^(٣) ،
بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ^(٤) ، و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ^(٥) ، وليس رأس آي ؛ لأن مراده الفواصل
اللغوية لا الصناعية ^(٦) .

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني .
وفرق الداني بين الفواصل ورءوس الآي ، فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل
عما بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس ، وكذلك القواصل يكنّ
رءوس آي وغيرها ؛ وكلّ رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ؛ قال : ولأجل
كون معنى الفاصلة هذا ، ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ، و﴿مَا كُنَّا
نَبْغِ﴾ وليس رأس آيتين بإجماع - مع ﴿إِذَا يَسِرُّ﴾ ^(٧) وهو رأس آية باتفاق .

وقال الجعبري : لمعرفة القواصل طريقان : توقيفيّ وقياسي . أما التوقيفيّ فما ثبت
أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحقّقناً أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحقّقناً أنه ليس
بفاصلة ، وما وقف عليه مرةً ووصله أخرى ، احتمال الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ،

(١) هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني ، أحد أئمة القراءات ، وصاحب كتاب التيسير والمفنع .
والاكفاء وغيرها من الكتب التي تتعلق بالقراءات توفي سنة ٤٤٤ هـ . إنباه الرواة ٢ : ٣٤١
(٢) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري ، صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعاني ، وكتاب
روضة الطرائف في رسم المصاحف . توفي سنة ٧٣٢ هـ . الدرر الكامنة ١ : ٥٠

(٥) الكهف ٦٤

(٤) هود ١٠٥

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩

(٧) الفجر ٤

(٦) غله في البرهان ١ : ٥٣

أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها . وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ؛ ولا محذور في ذلك ، لأنه لا زياده فيه ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل ، والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه ، فنقول : فاصلة الآية كقربنة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر ، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحد^(١) والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة . وجاز الانتقال في الفاصلة ، والقرنية ، وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر ، بخلاف قافية القصيدة ، ومن ثم ترى « يرجعون » مع « عليم »^(٢) ، « والميعاد » مع « الثواب »^(٣) ، « والطارق » مع « الثاقب »^(٤) .

والأصل في الفاصلة والقرنية المتجردة في الآية والسجعة المساواة ، ومن ثم أجمع العادون على ترك عدة ﴿ وبأت بآخرين ﴾^(٥) و ﴿ ولآ الملائكة المقربون ﴾^(٦) في النساء ، ﴿ وكذب بها الأولون ﴾^(٧) ، سبحان ، و ﴿ لتبشّر به المتقين ﴾^(٨) ، بمریم ، و ﴿ لهمم يتقون ﴾^(٩) ، بطله ، و ﴿ من الظلمات إلى النور ﴾^(١٠) ، وأن الله على كل شيء قدير ﴿^(١١) بالطلاق ؛ حيث لم يشأ كل طرفه .

وعلى ترك عدة ﴿ أفغیردين الله ينفون ﴾^(١٢) بآل عمران ، و ﴿ أفحكم الجاهلية ينفون ﴾^(١٣) بالمائدة ، وعدتوا نظائرهما المناسبة ، نحو ﴿ لأولي الألباب ﴾^(١٤) بآل عمران و ﴿ على الله كذباً ﴾^(١٥) بالكهف ، و ﴿ السلوى ﴾^(١٦) ، بطله^(١٧) .

وقال غيره : تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهي الطريقة

- | | | |
|---------------------|-----------------------------------|------------------------|
| (١) البرهان المذو . | (٢) آل عمران ٧٣ ، ٧٣ | (٣) آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥ |
| (٤) الطارق ١ ، ٣ | (٥) النساء ١٣٣ | (٦) النساء ١٧٢ |
| (٧) الإسراء ٥٩ | (٨) مريم ٩٧ | (٩) طه ١١٣ |
| (١٠) الطلاق ١١ | (١١) الطلاق ١٢ | (١٢) آل عمران ٨٣ |
| (١٣) المائدة ٥٠ | (١٤) آل عمران ١٩٠ | (١٥) الكهف ١٥ |
| (١٦) طه ٨٠ | (١٧) نقله في البرهان ١ : ٩٩ ، ١٠٠ | |

التي يُبين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ، لأنه يفصل عنده الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصلٌ بينها وبين ما بعدها ، وأخذاً من قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ ^(١) . ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه ، وخاصة في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال القافية فيه ، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر ؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تنعده . وهل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ خلاف الجمهور على المنع ؛ لأن أصله من سجع الطير ، فشرّف القرآن أن يُستعارَ لشيء منه لفظ أصله مهمل ؛ ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ؛ ولأن القرآن من صفاته تعالى ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها .

قال الرماني في إيجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : في القرآن سجع ، وفرّقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ، ولا تكون مقصودة في نفسها . قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيباً ، وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ، ونقله عن نصّ أبي الحسن الأشعري ، وأصحابنا كلهم . قال : وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالأجناس والالتفات ونحوها ، قال : وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون ولمكان السجع قيل في موضع : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٢) ، ولما كانت الفواصل موضع آخر بالواو والنون كله قيل : ﴿ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ^(٣) ، قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي تسميه شعراً ؛ وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم ، كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه .

وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ، فقال أهل اللغة : هو موالاة الكلام

على حدّ واحد .

وقال ابن دريد : سجت الحمامة معناه ردّدت صوتها ؛ قال القاضي : وهذا غير صحيح ، ولو كان القرآن سجّماً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع ممّا كان تألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أسجعّ كسجع الكهان ! » ، فجعله مذموماً .

قال : وما توهموا أنّه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو ، لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدّى السجع ، وليس كذلك ما اتفق ممّا هو فى معنى السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى ؛ وقرئ بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدّى المعنى المقصود منه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع ، كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى .

قال : وللسّجع منهج محفوظ وطريق مضبوط ؛ من أخلّ به وقع الخلل فى كلامه ، ونُسب إلى الخروج عن الفصاحة ، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المهود كان مخطئاً ، وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة ، بعضها مندأى المقاطع ، وبعضها يمتدّ حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ؛ وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود .

قال : وأما ما ذكره من تقديم موسى على هارون فى موضع ، وتأخير عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ؛ بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدّى معنى واحداً ، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتنبّين فيه البلاغة ، ولهذا أُعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة ، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكراً ؛ ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك

القصة ، وعبروا عنها بالفاظ لم تؤدى إلى تلك المعانى ونحوها ، فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها ، إظهار الإعجاز دون السجع ؛ إلى أن قال : فبانَ بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الأسجاع ، لا تخرجها عن حدها ، ولا تدخلها فى باب السجع ، وقد بينا أنهم يذمون كلَّ سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض مصاريمه كلمتين ، وبعضها أربع كلمات ، ولا يرون ذلك فصاحة ، بل يرونه عجزاً ، فلو فهموا اشتغال القرآن على السجع ، لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن . انتهى كلام القاضى فى كتاب الإعجاز^(١) .

ونقل صاحب عروس الأفراح عنه ، أنه ذهب فى الانتصار إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً . وقال الخفاجى فى سر الفصاحة : قول الرمانى " إنَّ السجع عيب والفواصل بلاغة غلط ؛ فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ، وهو غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن أراد به مانع المعانى تابعة له ، وهو مقصودٌ متكلفٌ فذلك عيب ، والفواصل مثله . قال : وأظنَّ الذى دعاهم إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يستموا ما تماثلت حروفه سجعاً ، رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ما قلناه . قال : والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل .

قال : فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود ، فهلا ورد القرآن كله مسجوعاً ! وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟ قلنا : إن القرآن نزل بلفظ العرب وعلى عُرفهم وعاداتهم ؛ وكان الفصحى منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً لما فيه من أمارات التشكُّف والاستكراه ؛ لاسيما مع طول الكلام ، فلم يُرده كله مسجوعاً جرياً منهم على عرفهم فى اللطيفة الغالبة من كلامهم . ولم يخلُ من السجع ؛ لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة .

وقال ابن النفيس^(١) : يكفى في حسن السجع ورودُ القرآن به ، قال : ولا يُحَسَّنُ في ذلك خلوه في بعض الآيات ؛ لأنَّ الحُسْنَ قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه^(٢) .
قال حازم : من الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة في الطول والقصر ، لما فيه من التكلف إلا ما يقع الإمام به في النادر من الكلام .
ومنهم مَنْ يرى أنَّ التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قالب التقفية وتخليتها بمناسبات المقاطع أكيد جداً .

ومنهم — وهو الوسط — مَنْ يرى أنَّ السجع وإن كان زينة للكلام ، فقد يدعو إلى التكلف ، فرئى ألا يستعمل في جملة الكلام وألا يخلى الكلام منه جملة ، وأنه يُقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفواً بلا تكلف .

قال : وكيف يعاب السجع على الإطلاق ، وإتاما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت القواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم ، وإتاما لم يجز على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد ، لما فيه من التكلف ، ولما في الطبع من الملل ، ولأنَّ الافتنان في ضروب الفصاحة على من الاستمرار على ضرب واحد ، فلماذا وردت بعض أيِّ القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل

(١) هو علي بن أبي الحزم القرشي علاء الدين ، المعروف بابن النفيس ، أعلم أهل عصره بالطب ، سكن مصر ، وتوفى بها سنة ٦٩٨ ، ذكره ابن السكيت في طبقات الشافعية ٥ : ١٢٩ ، وكتابه طريق الفصاحة ، ذكره صاحب كشف الظنون ١١١٤

فصل

أنف الشيخ شمس الدين بن الصائغ كتاباً سماه إحكام الراى فى أحكام الآى ، قال فيه ^(١) :

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية ، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول . قال : وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاةً للناسبة فمئثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً .

أحدها تقديم المفعول ، إمّا على العامل ، نحو ﴿ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَبْعُدُونَ ﴾ ^(٢) ، قيل : ومنه ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) ، أو على مفعول آخر أصله التقديم ، نحو ﴿ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ ^(٤) ، إذا أعربنا « الكبرى » مفعول « نرى » أو على الفاعل نحو ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ ^(٥) . ومنه تقديم خبر كان على اسمها ، نحو ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(٦) .

الثانى : تقديم ما هو متأخر فى الزمان ، نحو ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ ^(٧) ، ولولا مراعاة الفواصل لقدّمت « الأولى » ، كقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ ^(٨) .
الثالث : تقديم الفاضل على الأفضل ، نحو ﴿ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٩) ، وتقدم ما فيه .

الرابع : تقديم الضمير على ما يفسره ، نحو ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(١٠) .

(١) إحكام الراى فى أحكام الآى لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنبلى ، المعروف بابن أبى القرس ، المتوفى سنة ٧٧٦ . ذكره فى كشف الظنون .

(٢) - سبأ ٤٠	(٣) الفاتحة ٥	(٤) طه ٢٣
(٥) القمر ٤١	(٦) الإخلاص ٤	(٧) النجم ٢٥
(٨) القصص ٧٠	(٩) طه ٧٠	(١٠) طه ٦٧

الخامس : تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد ، نحو ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾^(١).

السادس : حذف ياء المنقوص المعرف ، نحو ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾^(٢) ، ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾^(٣).

السابع : حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرَ ﴾^(٤).

الثامن : حذف ياء الإضافة ، نحو ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴾^(٥) ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾^(٦).

التاسع : زيادة حرف المد ، نحو : « الظنونا » ، و « الرسولا » ، و « السبيلا » ، ومنه إبقاؤه مع الجازم ، نحو ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾^(٧) ، ﴿ سَنَقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى ﴾^(٨) ، على القول بأنه نهى .

العاشر : صرف مالا ينصرف ، نحو ﴿ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا ﴾^(٩).

الحادى عشر : إثبات تذكير اسم الجنس ، كقوله : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(١٠).

الثانى عشر : إثبات تأنيثه ، نحو ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾^(١١). ونظير هذين قوله فى القمر : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾^(١٢) ، وفى الكهف ﴿ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(١٣).

الثالث عشر : الاختصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما فى السبع فى غير ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾^(١٤) ولم يحمى « رَشَدًا » فى السبع ، وكذا ﴿ وَهَمَّيْنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾^(١٥) ، لأن الفواصل فى السورتين محرّكة

(٣) غافر ٣٢

(٦) الرعد ٣٢

(٩) الإنسان ١٥ ، ١٦

(١٢) القمر ٥٣

(١٥) الكهف ١٠

(٢) الرعد ٩

(٥) القمر ١٦

(٨) الأعلى ٦

(١١) الحاقة ٧

(١٤) الجن ٢٤

(١) الإسراء ١٣

(٤) الفجر ٤

(٧) طه ٧٧

(١٠) القمر ٢٠

(١٣) الكهف ٤٩

الوسط ، وقد جاء في ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾^(١) ، وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ، ونظير ذلك قراءة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢) بفتح الهاء وسكونها ، ولم يُقرأ ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣) إلا بالفتح لمرعاة الفاصلة .

الرابع عشر : إيراد الجملة التي رُدَّ بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الإسمية والفعلية ، كقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) ، لم يطابق بين قولهم : « آمنا » ، وبين ماورد به فيقول و « لم يؤمنوا » ، أو « ما آمنوا » لذلك .

الخامس عشر : إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك ، نحو ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٥) ولم يقل : « الذين كذبوا » .

السادس عشر : إيراد أحد جزأَي الجملة على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٦) .

السابع عشر : إثارة أغرب اللفظتين ، نحو ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^(٧) ولم يقل « جائزة » . ﴿لَيَنْبِذَنَّ فِي الْخَطْمَةِ﴾^(٨) ، ولم يقل « جهنم » أو النار ، وقال في المدثر : ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾^(٩) ، وفي سأل ﴿إِنَّهَا لَطَفٌ﴾^(١٠) ، وفي القارعة ﴿فَأَمَّهُ هَابُتٌ﴾^(١١) لمرعاة فواصل كل سورة .

الثامن عشر : اختصاص كل من المشتركين بموضع ، نحو ﴿وَلْيَذْكُرْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١٢) ، وفي سورة طه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾^(١٣) .

التاسع عشر : حذف المفعول ، نحو ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾^(١٤) ، ﴿مَا وَدَّعَكَ

(٣) البقرة ٨

(٤) النجم ٢٢

(٥) المعارج ١٥

(٦) طه ١٢٨

(٢) المدد ، ٣

(٥) البقرة ١٧٧

(٨) المدثر ٢٦

(١١) إبراهيم ٥٢

(١) الأعراف ١٤٦

(٤) العنكبوت ٢

(٧) الهزلة ٤

(١٠) القارعة ٦

(١٣) الليل ٥

رُبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿١﴾. ومنه حذف متملق «أفعل التفضيل»، نحو ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٢﴾. ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿٣﴾.

العشرون : الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿٤﴾ .

الحادى والعشرون : الاستغناء به عن الجمع ، نحو ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿٥﴾ ، ولم يقل : «أئمة» ، كما قال : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ﴾ ﴿٦﴾ . ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ﴿٧﴾ ، أى أنهار .

الثانى والعشرون : الاستغناء بالتثنية عن الإفراد ، نحو ﴿وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٨﴾ ، قال الفراء : أراد «جنة» ، كقوله : ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٩﴾ ، فتنى لأجل الفاصلة . قال : والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام . ونظير ذلك قول الفراء أيضاً فى قوله تعالى : ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ ﴿١٠﴾ ، فإنهم مارجلان : قدار وآخر معه ، ولم يقل . «أشقيها» للفاصلة ، وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه . وقال : إنما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همن ، أو صرف ، فأما أن يكون الله وعد بختين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآى ، معاذ الله ! وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال : ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿١١﴾ ، ثم قال : ﴿فِيهِمَا﴾ ﴿١٢﴾ . وأما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفراء أنه أراد «جنتان» ، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة . ثم قال : وهذا غير بعيد ، قال : وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ ، وهذا هو الثالث والعشرون .

(٣) الأعلى ١٧

(٦) الأنبياء ٧٣

(٩) التازعات ٤١

(٢) طه ٧

(٥) الفرقان ٧٤

(٨) الرحمن ٤٦

(١١) الرحمن ٤٨ ، ٥٠

(١) الضحى ٣

(٤) طه ١١٧

(٧) القمر ٥٤

(١٠) الشمس ١٢

الرابع والعشرون : الاستثناء بالجمع عن الأفراد، نحو ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾^(١)،
أى ولا خلة؛ كما فى الآية الأخرى ، وجمع مراعاةً للفاصلة .

الخامس والعشرون : إجراء غير العاقل بحرى العاقل ، نحو ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢)،
﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣) .

السادس والعشرون : إمالة ما لا يمال ، كآي طه والنجم .

السابع والعشرون : الإتيان بصيغة المبالغة ، كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو
هو القادر وعالم الغيب، ومنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٤) .

الثامن والعشرون : إثبات بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
مُّجَابٌّ﴾^(٥) ، أو ثر على «عجيب» لذلك .

التاسع والعشرون : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، نحو ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(٦) .

الثلاثون : إيقاع الظاهر موضع المضمر ، نحو ﴿وَالَّذِينَ يُتِمُّونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٧) ، وكذا آية الكهف .

الحادى والثلاثون : وقوع «مفعول» موقع «فاعل» ، كقوله : ﴿حِجَابًا مُّسْتَوْرًا﴾^(٨) ،
﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾^(٩) ، أى ساتراً وآتياً .

الثانى والثلاثون : وقوع «فاعل» موقع «مفعول» ، نحو ﴿فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾^(١٠) ،
﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾^(١١) .

الثالث والثلاثون : الفصل بين الموصوف والصفة ، نحو ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى *

(٣) الأنبياء ٣٣

(٦) طه ١٢٩

(٩) مريم ٦١

(٢) يوسف ٤

(٥) ص ٥

(٨) الإسراء ٤٥

(١١) الطارق ١٦

(١) إبراهيم ٣١

(٤) مريم ٦٤

(٧) الأعراف ١٧٠

(١٠) الحاقة ٢١

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَخْوَى ﴿١﴾ ، إن أعرب «أخوى» صفة «المرعى» ، أى حالا .

الرابع والثلاثون : إيقاع حرف مكان غيره ، نحو ﴿يَأْنُ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ﴿٢﴾ ، والأصل «إليها» .

الخامس والثلاثون : تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ، ومنه ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ، ﴿رَهْوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ ؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة .

السادس والثلاثون : حذف الفاعل ونياية الفـول ، نحو ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ﴿٤﴾ .

السابع والثلاثون : إثبات هاء السكت ، نحو ﴿مَا لِيَّ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿سُلْطَانِيَّةٍ﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿مَاهِيَةٍ﴾ ﴿٧﴾ .

الثامن والثلاثون : الجمع بين المجزورات ، نحو ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا تَبِيْعًا﴾ ﴿٨﴾ ، فإن الأحسن الفصل بينهما ، إلا أن سماعا الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير «تبيعا» .

التاسع والثلاثون : العدول عن صيغة إلى صيغة المضى الاستقبال ، نحو ﴿فَقَرِيْبًا كَذَبْتُمْ وَقَرِيْبًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿٩﴾ والأصل «قتلتم» .

الأربعون : تغيير بنية الكلمة ، نحو ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾ والأصل «سينا» .

تفـيـيـه

قال ابن الصائغ : لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم - كما جاء في الأثر - «لا تنقض عجائبه» .

(٣) التوبة ١٢٨

(٦) الحاقة ٢٩

(٩) البقرة ٨٧

(٢) الزلزال ٥

(٥) الحاقة ٢٨

(٨) الإسراء ٦٩

(١) الأعلى ٦ ، ٥

(٤) الليل ١٩

(٧) الفارغة ١٠

(١٠) التين ٢

فصل

قال ابن أبي الإصبع : لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء : التمكن ، والتصدير ، والتوشيح ، والإيفال .

[التمكن]

فالتمكن - ويسمى ائتلاف القافية - أن يمدّ الناصر للقرينة ، أو الشاعر للقافية ؛ تمهيداً تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلّقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلّقاً تامّاً ، بحيث لو طرحت لا ختلّ المعنى واضطرب الفهم ، وبحيث لو سكّت عنها كلمة السامع بطبعه .

ومن أمثلة ذلك : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصْلَوَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ... ﴾ ^(١) الآية ، فإنه لما تقدم في الآية ذكر العباداة ، وتلاه ذكر التصرف في الأموال ، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبادات ، والرشد يناسب الأموال .
وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(٣) فأتى في الآية الأولى : « يَهْدِ لَهُمْ » ، وختمها : « يَسْمَعُونَ » ، لأنه الموعظة فيها مسموعة ، وهي أخبار القرون ، وفي الثانية : « يَرَوْا » ، وختمها : « يُبْصِرُونَ » ، لأنها مرتبة .

وقوله : ﴿ لَا تَذَرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٤) ؛ فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبر يناسب ما يدركه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٥) ؛ فإن في هذه الفاصلة التمكن التام المناسب لما قبلها . وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها ، قبل أن يسمع آخرها ؛ فأخرج ابن أبي

حاتم من طريق الشعبي ، عن زيد بن ثابت ، قال : أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ خَلَقْنَا آخَرَ ﴾ ، قال معاذ بن جبل : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مِمَّ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : بها خُتِمْتُ !

وحكى أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَكُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ^(١) « فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ » ، ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، [ومر بهما رجل فقال : كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل ﴿ فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ فقال ، هكذا ينبغي] ^(٢) ، الحكيم لا يذكر القرآن عند الزلل ، لأنه إغراء عليه .

تنبيهات

الأول : قد تجتمع فواصل في موضع واحد ؛ ويخالف بينها كأوائل النحل ، فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك ، فقال : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، ثم ذكر خلق الإنسان من نطفة ، ثم خلق الأنعام ، ثم عجائب النبات ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٤) ، فجعل مقطع هذه الآية التفكر ؛ لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار ؛ ولما كان هنا مظنة سؤال ، وهو أنه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر ، وكان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال كلن مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً . فأجاب تعالى عنه من وجهين :

أحدهما : أن تغيرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، ف تلك الحركات

(١) البقرة ٢٠٩ (٢) زيادة من تفسير القرطبي يستقيم بها الكلام . (٣) النحل ٣

(٤) النحل ١٠ ، ١١

كيف حصلت ، فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم ، فذاك إقرار بوجود الإله تعالى ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) ، فجعل مقطع هذه الآية العقل ، وكأنه قيل : إن كنت عاقلاً ، فاعلم أن التسلسل باطل ؛ فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدتها غير متحرك ، وهو الإله القادر المختار .

والثاني : أن نسبة الكواكب والطبائع إلى أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة . ثم إننا نرى الورقة الواحدة من الزرد أحد وجهيها في غاية الحرارة ، والآخر في غاية السواد ؛ فلو كان المؤثر موجياً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار ؛ فعلما أن المؤثر قادر مختار ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُم فِي الْأَرْضِ مُمْتَخِلًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢) ، كأنه قيل : اذكر ما ترسخ في عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره ، فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف ، علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار ، فهذا جعل مقطع الآية التذكّر .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ... ﴾ (٣) ، والآيات ، فإن الأولى ختمت بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، والثالثة بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى ؛ لأن الإشراف بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته ، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق ، وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرأق الحية الكريم ، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل ، وكذا قتل النفس لفيظ أو غضب في القاتل ؛ فحسن بعد ذلك « يعقلون » ، وأما الثانية فلتعلقها بالحقوق المالية والقولية ،

فإن من علم أن له أيتاماً يحلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامل به أيتامه ، ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له ، لم يجب أن يكون فيه خيانة ولا بحس ، وكذا من وعد لو وعد ، لم يجب أن يخلف ، ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله ، فترك ذلك إنما يكون إغفلة عن تدبر ذلك وتأمله ، فلذلك ناسب الختم بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤدّ إلى غضبه وإلى عقابه ، تحسن ﴿ لعلكم تتقون ﴾ ، أى عقاب الله بسببه .

ومن ذلك قوله فى الأنعام أيضاً : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ... ﴾ (١) ، الآيات ، فإنه ختم الأولى بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ، والثالثة بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختصّ بالعلماء بذلك ، فناسب ختمه بـ « يعلمون » ، وإنشاء الخلاق من نفس واحدة ، ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ، ثم إلى حياة وموت ، والنظر فى ذلك والفكر فيه أدق ، فناسب ختمه بـ « يفقهون » لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة ، ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ، ناسب ختمه بالإيمان الداعى إلى شكره تعالى على نعمه .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، حيث ختم الأولى بـ « تؤمنون » ، والثانية بـ « تذكرون » ووجه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد ، فقول من قال : شعر ، كفر وعناد محض ، فناسب ختمه بقوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ . وأما مخالفة لنظم الكهان وألفاظ السجع فحتاج إلى تذكّر وتدبر ، لأن كلاّ منهما نثر ، فليست مخالفته له فى وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر ، وإنما تظهر بتدبر ما فى القرآن من الفصاحة

والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة ، لحسن ختمه بقوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد ، لنكتة لطيفة ، كقوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(١) ، ثم قال في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) ؛ قال ابن المنير : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة ، فأنت أخذها وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوماً ، وكونك كفاراً ؛ يعنى لعدم وفائك بشكرها ، ولى عند إعطائها وصفان وهما : إني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفرانى ، وكفرك برحمتى ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ، ولا أجازى جفاك إلا بالوفاء .

وقال غيره : إنما خصّ سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه ، وسورة النحل بوصف المنعم ، لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان ، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات لألوهيته .

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) ، وفي فصات ختم بقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٤) ، ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٥) ، فناسب الختام بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وضّهم بإنكاره ، وأما الثانية فالختم فيها مناسب ؛ لأنه لا يضيع عملاً صالحاً ، ولا يزيد على من عمل سيئاً .

وقال في سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ^(٦) ، ثم أعادها ، وختم بقوله : ﴿ وَمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ .

يُشْرِكُمْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١﴾ ، ونسكتة ذلك أن الأولى نزلت في اليهود ، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه ، والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد .

ونظيره قوله في المائدة : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٢﴾ ، ثم أعادها فقال : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، ثم قال في الثالثة : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، ونسكتته أن الأولى نزلت في أحكام المسلمين ، والثانية في اليهود ، والثالثة في النصارى . وقيل : الأولى فيمن جحد ما أنزل الله ، والثانية فيمن خالفه مع علمه ولم ينكره ، والثالثة فيمن خالفه جاهلاً . وقيل : الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبر عنه بالفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار .

وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والحديث عنه مختلف ، كقوله في سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَآذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ﴿٥﴾ ، إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَآذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٥﴾ .

التنبيه الثاني : من مشكلات القواصل قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦﴾ ، فإن قوله : « وإن تغفر لهم » يقتضى أن تكون الفاصلة « الغفور الرحيم » ، وكذا قلت عن مصحف أبي ، وبها قرأ ابن شنبوذ ، وذكر

في حكمته أنه لا يفر لمن استحق العذاب إلا مَنْ ليس فوقه أحد يردُّ عليه حكمه ، فهو العزيز أى الغالب ، والحكيم هو الذى يضع الشيء في محله . وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها ، وليس كذلك ، فكان في الوصف بالحكيم احتباس حسن ، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته .

ونظير ذلك قوله في سورة التوبة : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) ، وفي سورة المتحنة : ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٢) ، وفي غافر : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ ^(٣) ، إلى قوله : ﴿ إِنَّا أَتَيْنَاكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٤) ، وفي النور : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٥) ، فإن بادىء الرأى يقتضى « تَوَّابٌ رَحِيمٌ » لأن الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته ، وهى السَّتر عن هذه الناحشة العظيمة .

ومن خفى ذلك أيضاً قوله في سورة البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٦) ، وفي آل عمران : ﴿ قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٧) ، فإن التبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدر ، وفي آية آل عمران الختم بالعلم . والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض ، وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت ، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً ، مجللاً ومفصلاً ، ناسب ختمها بصفة العلم ، وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالة الكفار وكان التعبير

(٣) غافر ٨
(٦) آل عمران ٢٩

(٢) المتحنة ٥
(٥) البقرة ٢٩

(١) التوبة ٧١
(٤) النور ١٠

بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ، ناسب ختمها بصفة القدرة .
ومن ذلك قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ^(١) ، فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادي
الرأى . وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ،
ختم به مراعاة للقدّر في الآية وهو العصيان ، كما جاء في الحديث : « لولا بهائم رُنع ،
وشيوخ رُكّع ، وأطفال رُضّع ، لُصّب عليكم العذاب صباً » .

وقيل : التقدير : حلماً عن تفریط المسبّحين ، غفوراً لذنوبهم . وقيل : حلماً عن المخاطبين
الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في
مخلوقاته مما يوجب تنزيهه .

التنبيه الثالث : في القواصل ما لا نظير له في القرآن ، كقوله عقب الأمر بالفض
في سورة النور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٢) ، وقوله عقب الأمر بالدعاء
والاستجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ^(٣) .

وقيل : فيه تعريض بآية القدّر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان ، أى لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ إلى معرفتها .

[التصدير]

وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدّمت في أول الآية ، وتسمى أيضاً
ردّ العجز على الصدر .

وقال ابن المعتز : هو ثلاثة أقسام :

الأول : أن يوافق آخر الفاصلة ، آخر كلمة في الصدر ، نحو ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ^(٤) .

والثاني : أن يوافق أول كلمة منه ، نحو ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ^(١) ، ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ ^(٢) .

الثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَنْتَفِرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(٥) ، إلى قوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ^(٦) .

* * *

[التوشيح]

وأما التوشيح، فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية . والفرق بينه وبين التصدير، أن هذا دلالة معنوية ، وذلك لفظية ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ... ﴾ ^(٧) ، الآية ، فإن « اصطفى » لا يدل على أن الفاصلة « العالمين » لا باللفظ ؛ لأن لفظ « العالمين » غير لفظ « اصطفى » ، ولكن بالمعنى ، لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختاراً على جنسه ، وجنس هؤلاء المصطفين العالمون .

وكقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ... ﴾ ^(٨) ، الآية قال ابن أبي الإصبع : فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفعلنا إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع في صدر الآية انسلخ النهار من الليل علم أن الفاصلة « مظلومون » لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ، أى دخل في الظلمة ، ولذلك سمي تَوْشِيحًا ، لأن الكلام لم يادل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشكش اللذين يحول عليهما الوشاح .

* * *

[الإيغال]

وأما الإيغال ، فتقدم في نوع الإطناب .

- | | | |
|-------------------|-------------------|------------------|
| (١) آل عمران ٨ | (٢) الشعراء ١٦٨ | (٣) الأنعام ١٠ |
| (٤) الإسراء ٢١ | (٥) طه ٦١ | (٦) نوح ١٠ |
| (٧) آل عمران ٣٣ | (٨) يس ٣٩ | |

فصل

[في أقسام الفواصل]

قسم البديميون السجع ، ومثله الفواصل إلى أقسام : مطرف ، ومتواز ، ومرصع ، ومتوازن ، ومماثل .

فالمطرف : أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع ، نحو ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿^(١) .

والمتوازي : أن يتفقا وزناً وتقفية ، ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والتقفية ، نحو ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿^(٢) .

والمتوازن أن يتفقا في الوزن دون التقفية ، نحو ﴿ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ * وَزَرَّائِي مَبْنُوتَةٌ ﴿^(٣) .

والمرصع أن يتفقا وزناً وتقفية ، ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية كذلك ، نحو ﴿ إِنْ إِلَيْنَا إِبَابَهُمْ ﴾ * ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿^(٤) ، ﴿ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ * وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿^(٥) .

والمماثل أن يتساويا في الوزن دون التقفية ، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية ، فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي ، نحو ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿^(٦) ، فالكتاب والصرائط متوازنان ، وكذا المستبين والمستقيم ، واختلفا في الحرف الأخير .

(٣) الفاشية ١٥ ، ١٦

(٢) الفاشية ١٣ ، ١٤

(١) وج ١٣ ، ١٤

(٦) الصافات ١١٧ ، ١١٨

(٥) الانقطار ١٣ ، ١٤

(٤) الفاشية ٢٥ ، ٢٦

فصل

بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل :

أحدهما : التشريع ، سماه ابن أبى الأصبع التوهم ، وأصله أن يبنى الشاعر بيته على وزن من أوزان العروض ، فإذا أسقط منها جزءاً أو جزءين صار الباقي بيتاً من وزن آخر . ثم زعم قوم اختصاصه به .

وقال آخرون : بل يكون في النثر بأن يبنى على سجعيتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاماً مفيداً . وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى مازاد من اللفظ .

قال ابن أبى الإصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن ؛ فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ^(١) ، لكان تاماً مفيداً وقد كُمل بالثانية ، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ .

قلت : التمثيل غير مطابق ، والأولى أن يمثل بالآيات التي في إنباتها ما يصلح أن تكون فاصلة ، كقوله : ﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ ^(٢) ، وأشبه ذلك .

الثاني : الالتزام ، ويسمى لزوم مالا يلزم ، وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعداً قبل الروى بشرط عدم الكلفة . مثال التزام حرف ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * ﴾ ^(٣) التزم الهاء قبل الراء ، ومثله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... ﴾ ^(٤) الآيات التزم فيها الراء قبل الكاف ، ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَمْسِ * الْخَوَارِ الْكُنْزِ ﴾ ^(٥) التزم فيها النون المشددة قبل السين ، ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ ^(٦) .

(٣) الضحى ٩ ، ١٠

(٢) الطلاق ١٢

(١) الرحمن ١٨

(٦) التكوثر ١٥ ، ١٦

(٥) التكوثر ١٦ ، ١٧

(٤) الشرح ١

ومثال التزام حرفين ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُسْتَوْرٍ﴾^(١) ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَتْنُونٍ^(٢) ، ﴿بَلَغْتَ التَّرَاقِيَّ وَوَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ^(٣) .

ومثال التزام ثلاثة أحرف ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ^(٤) .

تنبيهات

الأول : قال أهل البديع : أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه ، نحو ﴿فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ﴾ * وَطَلَحَ مَنضُودٍ * وَطَلَّ مَمْدُودٍ^(٥) ، وبابه ما طالت قرينته الثانية ، نحو ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى^(٦) . أو الثالثة نحو ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه﴾ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ...^(٧) الآية .

وقال ابن الأنثير : الأحسن في الثانية المساواة وإلا فأطول قليلاً ، وفي الثالثة أن تكون أطول . وقال الخفاجي : لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى .

الثاني : قالوا أحسن السجع ما كان قصيراً لدلالته على قوة المنشئ ، وأقله كلمتان نحو ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ * قُمْ فَأَنْذِرْ ...^(٨) الآيات ، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ...﴾^(٩) الآيات ، ﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا ...﴾^(١٠) الآيات ، ﴿وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا ...﴾^(١١) الآيات ، والطويل ما زاد عن العشر ، كغالب الآيات ، وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر .

الثالث : قال الزمخشري في كشافه القديم : لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها ، على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتأمة ، فأما أن

(١) الطور ١ ، ٢	(٢) القلم ٢ ، ٣	(٣) القيامة ٢٦ - ٢٨
(٤) الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢	(٥) الواقعة ٢٨ - ٣٠	(٦) النجم ١ ، ٢
(٧) الحاقة ٣٠ - ٣٢	(٨) المدثر ١ ، ٢	(٩) المرسلات ١
(١٠) الذاريات ١	(١١) العاديات ١	

تَهْمَلُ المعاني وَيُهْتَمُّ بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة،
وبنى على ذلك أن التقديم في ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(١)، ليس لجرد الفاصلة، بل
لرعاية الاختصاص .

الرابع : مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ،
كقوله : ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ مع قوله : ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ ، ﴿وَشِهَابٌ
ثَاقِبٌ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿بِمَاءٍ مِنْهُمْ﴾ مع قوله : ﴿قَدْ قُدِّرَ﴾ ، ﴿وَدُسِّرَ﴾ ، ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾^(٣) .
وقوله : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ مع قوله : ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ
الثَّقَالَ﴾^(٤) .

الخامس : كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون ، وحكمته
وجود التمكن من التطريب ، بذلك كما قال سيبويه : إنهم إذا ترتموا يلحقون الألف
والياء والنون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترتموا ، وجاء في
القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع .

السادس : حروف الفواصل إما متماثلة وإما متقاربة :

فالأولى مثل ﴿وَالطُّورِ﴾ و﴿كِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ في رَقٍّ مَنشُورٍ * وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ^(٥) .

والثاني مثل ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ^(٦) ، ﴿قَ وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ^(٧) .
قال الإمام نخر الدين وغيره : وفواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين بل

(٣) القمر ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩

(٥) الفاتحة ٤ ، ٣

(٢) الصافات ٩ - ١١

(٤) الطور ١ - ٤

(١) البقرة ٤

(٣) الرعد ١١ ، ١٢

(٧) ق ١ ، ٢

تنحصر في التماثلة والمقاربة ، قال : وبهذا يرجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسمة . وجعل ﴿ صراط الذين ﴾ إلى آخرها آية ؛ فإن من جعل آخر الآية السادسة ﴿ أنعمت عليهم ﴾ مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة ، لا بالمائلة ولا بالمقاربة ، ورعاية التشابه في الفواصل لازمة .

السابع : كثر في الفواصل التضمن والإبطاء لأنها ليسا بعيين في النثر ، وإن كانا عيين في النظم ، فالتضمن أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْمْ لَتَمُرُونَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴾ وبالليل^(١) ، والإبطاء تكرّر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الإسراء : ﴿ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٢) ، وختم بذلك الآيتين بعدها .

النوع السِّتُونَ في فوائج السُّور

أفردا بالتأليف ابن أبي الأصم في كتاب «سماء الخواطر السوانح في أسرار الفوائج» ^(١) وأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره .

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بمشرة أنواع من الكلام ، لا يخرج شئ من السور عنها .

الأول : الثناء عليه تعالى ، والثناء قسيمان : إثبات لصفات المدح ونفى وتنزيه من صفات النقص ، فالأول التحميد في خمس سور ، وتبارك في سورتين ، والثاني التسبيح في سبع سور .

قال الكرمان في مشابه القرآن : التسبيح كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل ؛ لأنه الأصل ، ثم بالماضي في الحديد والحشر ؛ لأنه أسبق الزمانين ، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ، ثم بالأمر في الأعلى ؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها .

الثاني : حروف التهجى في تسع وعشرين سورة ، وقدم مضى الكلام عليها مستوعباً في نوع المتشابه ، ويأتى الإمام بمناسباتها في نوع المناسبات .

الثالث : النداء في عشر سور : خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم : الأحزاب ، والطلاق ، والتحریم ، والمزمل ، والمدثر ، وخمس بنداء الأمة : النساء ، والمائدة ، والحج ، والحجرات ، والمتحنة .

الرابع : الجمل الخبرية ، نحو «بَسَّالُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ» ، «بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ» ، «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ» ، «أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» ، «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» ، «سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا» ، «تَنْزِيلَ الْكِتَابِ» ، «الَّذِينَ كَفَرُوا» ، «إِنَّا فَتَحْنَا» «أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ» «الرَّحْمَنُ عَلمٌ»

«قد سمع الله»، الحاقّة، سأل سائل، إنا أرسلنا نوحاً، لا أقسم، في موضعين، عبس، إنا أنزلناه»، لم يكن، القارعة، ألهاكم، إنا أعطيناك؛ فلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة؛ سورة أقسم فيها بالملائكة، وهى والصفات، وسورتان بالأفلاك: البروج والطارق، وست سور بلوازمها، فالنجم قسم بالترتيا، والفجر بمبدأ النهار، واللّيل بشرط الزمان، والضحى بشرط النهار، والمصر بشرط الآخر، أو بجملة الزمان، وسورتان بالهواء الذى هو أحد العناصر: والذاريات والمرسلات، وسورة بالتربة التى هى منها أيضاً، وهى الطور، وسورة بالنبات وهى والتين، وسورة بالحيوان الناطق وهى والنازعات، وسورة بالبهيم وهى والعاديات.

السادس: الشرط في سبع سور: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر.

السابع: الأمر في ست سور: قل أوحى، اقرأ، قل يأتها الكافرون، قل هو الله أحد، قل أعوذ، المودتين.

الثامن: الاستفهام في ست سور: عمّ يقساءلون، هل أتاك، ألم نشرح، ألم تر، أرايت.

التاسع: الدعاء في ثلاث: ويل للمطففين، ويل لكل همزة، ثبت.

العاشر: التعليل في لإيلاف قريش، هكذا جمع أبو شامة، قال: وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر إلا «سبح»، فإنه في قسم الأمر، وسبحان يحتمل الأمر الدعاء والخبر. ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أنتى على نفسه سبحانه بشبو ت الحمد والسلب لما استفتح السورَا
والأمر شرط النداء والتعليل والقسم الد عاروف التهجى استفهم الخبرا

وقال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء؛ وهو أن يتأق في أول الكلام،

لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه ، وإلا أعرض عنه ، ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً ، وأصح معنى ، وأوضحه وأخلاه من التعقيد ، والتقديم ، والتأخير الملبس ، أو الذي لا يناسب .

قالوا : وقد أتت جميع فوائج السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها ، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء ، وغير ذلك .

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله ، والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة ، التي هي مطلع القرآن ، فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان : أخبرنا أبو القاسم بن حبيب ، أنبأنا محمد بن صالح بن هاني ، أنبأنا الحسين بن الفضل ؛ حدثنا عَفَّان بن مسلم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن ، قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب ، أودعَ علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم القرآن المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب . فمن علم تفسيرها ، كان لمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة .

وقد وجّه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن قامت بها الأدباني أربعة : علم الأصول ومداره على معرفة الله وصفاته ، وإليه الإشارة ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الرحمن الرحيم ﴿ وَمَعْرِفَةِ النُّبُوتِ ، وإليه الإشارة ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومعرفة المعاد ، وإليه الإشارة ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ وعلم العبادات وإليه الإشارة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ، وعلم السلوك وهو حل النفس على الآداب الشرعية والافتقار لرب البرية ، وإليه الإشارة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ الصراط المستقيم ﴿ ، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله ، وشقاوة من عصاه ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ غير المنفروب عليهم ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، فتنه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن ، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلاك ، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة ، والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة ،

وكذلك أول سورة « اقرأ » ، فإنها مشتملة على نظير ما شتمت عليه الفاتحة ؛ من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل من القرآن ، فإن فيها الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله ، وفيه الإشارة إلى علم الأحكام ، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل . وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين ، وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(١) ؛ ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن ؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله .

التَّوْحُ الْخَامِسُ وَالسَّتُونَ فِي خَوَاتِمِ السُّورِ

هي أيضاً مثل الفوائح في الحسن ؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع ، فلهذا جاءت متضمنة للعاني البديعة ، مع إيدان السامع بانتهاء الكلام ، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد ، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ، وتحميد ، وتهليل ، ومواعظ ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك ، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المستببة لغضب الله والضلال ، ففصل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، والمراد المؤمنون ، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيد ليتناول كل إنعام ، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان ، فقد أنعم عليه بكل نعمة ، لأنها مستتبعة لجميع النعم ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المستببين عن معاصيه وتعدّي حدوده .

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة .
وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران .
والفرائض التي ختمت بها سورة النساء ، وحسن ألحتم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي ، ولأنها آخر ما أنزل من الأحكام .
وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة .
وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام .
وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف .
وكالخص على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال .
وكوصف الرسول ومدحه ، والتهليل الذي ختمت به براءة .
وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختمت به يونس ، ومثلها خاتمة هود ، ووصف القرآن

ومدحه الذي ختم به يوسف ، والرد^(١) على مَنْ كَذَّبَ الرسول الذي خُتم به الرعد .
ومن أوضح ما أذن بالختام خاتمة إبراهيم : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ... ﴾ الآية ، ومثلها
خاتمة الأحقاف ، وكذا خاتمة الحجر بقوله : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ، وهو
مفسَّر بالموت ؛ فإنها في غاية البراعة .

وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة ، وخُتمت بقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .
وانظر راعة آخر آية نزلت ، وهي قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ،
وما فيها من الإشعار بالآخِرَةِ المستلزِمة بالوفاة .

وكذلك آخر سورة نزلت وهي سورة النصر ، فيها الإشعار بالوفاة ، كما أخرج
البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أن عمر سألهم عن قوله : ﴿ إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، فقالوا : فتح المدائن والقصور ، قال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قال :
أجلُ ضَرْبٍ لحمد ، نُعِمَتْ له نفسه .

وأخرج أيضاً عنه قال : كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في
نفسه ، فقال : لِمَ تُدْخِلُ هَذَا معنا ، ولنا أبناء مثله ! فقال عمر : إنه من قد علمتم ؛ ثم دعاهم
ذات يوم فقال : ما تقولون في قول الله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ فقال بعضهم :
أمرنا أن نحمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وفتح علينا ؛ وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ،
فقال لى : أكَذَلِكَ تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجلُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، وذلك
علامة أجلك ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ، قال عمر : إني
لا أعلم منها إلا ما تقول .

النوع الثاني والستون في مناسبة الآيات والسور

أفردته بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه «البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن»، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي^(١) في كتاب سماه «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»، وكتايب الذي صنفته في أسرار التنزيل كأقل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد تلخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سمّيته «تناسق الدرر في تناسب السور».

وعلم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته. وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط».

وقال ابن العربي في «سراج المريدين»: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المعاني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه؛ فلما لم نجد له حكمة، ورأينا الخلق بأوصاف البطالة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان عزيز العلم في الشريعة والأدب؛ وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزَيَّرُ على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متعده مرتبط أوله بآخره؛ فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان

(١) هو إبراهيم بن عمر برهان الدين البقاعي، منسوب إلى البقاع، من بلاد سوريا، مؤرخ أديب توفي سنة ٨٨٥. البدر الطالع ١: ١٩

عن مثله حسن الحديث ؛ فضلا عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في ثيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض .
وقال الشيخ ولي الدين الملوّي : قد وسم من قال : لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ ، مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف ، كما أنزل جملة إلى بيت العزة ؛ ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكّلة لما قبلها أو مستقلة ؛ ثم المستقلة ، ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم ، وهكذا في الشّور ، يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له . انتهى .

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة : ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ، وامل الذين قالوا : إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين على هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنّجمُ تستصغر الأبصار صورتهُ والدّنب للطّرف لا للنّجم في الصّفر

فصل

ح المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظير والضدّين ، ونحوه .
وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، وبصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ، فنقول :

ذكر الآية بعد الأخرى إيماناً أن يكون ظاهر الارتباط ، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح . وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البديل ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .
وإما ألا يظهر الارتباط ، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به .

فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أولاً ؛ فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى : ﴿يَلْمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾^(١) ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَغْبِضُ وَيُبْغِضُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) ، للتضاد بين الغبض والبغض ، والولوج والخروج ، والنزول والعروج ، وشبه التضاد بين السماء والأرض . ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة ؛ وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً ، ليكون باعثاً على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي ، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجد كذلك .
وإن لم تكن معطوفة ، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام ؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط .

* * *

— وله أسباب :

أحدها : التنظير ، فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء ، كقوله : ﴿كَأَنَّهُ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ عقب قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٣) ؛ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الفنائم على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون ، والقصد أن كراهتهم لما فعله من قسمة الفنائم ككراهتهم للخروج ، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والفتية وعز الإسلام ، فكذا يكون فيما فعله في القسمة ، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم .

الثاني: المضادة ، كقوله في سورة البقرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾^(١) الآية، فإن أول السورة كانت حديثاً عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان ، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين ؛ فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كاقيل : « وبضدّها تتبين الأشياء . »

فإن قيل : هذا جامع بعيد ؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين ، بالمرض لا بالذات ، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام ، إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتوح القول . قيل : لا يشترط في الجامع ذلك ، بل يكفي التعلق على أى وجه كان ، وبكفى وجه الربط ما ذكرنا ، لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾^(٢) ، فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ، كقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾^(٣) ؛ قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عقب ذكر بدو السوءات وخسف الورق عليهما ، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الأستر باب عظيم من أبواب التقوى .

وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤) ، فإن أول الكلام ذكر الرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح ، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين نبوة الملائكة .

ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان . حسن التخلص ، وهو أن ينتقل بما

ابتدى به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً ، دقيق المعنى ؛ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلّا وقد وقع عليه الثانى ، لشدة الالتئام بينهما . وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم فى قوله : لم يقع منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلف . وقال : إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم . وليس كما قال ، ففيه من التخلّصات المعجبية ما يحتر العقول .

وانظر إلى سورة الأعراف ، كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة ، ثم ذكر موسى ، إلى أن قصّ حكاية السبعين رجلاً ودعائه لهم ، ولسائر أمتة بقوله : ﴿ وَآكُتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ، وجوابه تعالى عنه ، ثم تخلّص بمناقب سيّد المرسلين بعد تخلّصه لأمتة بقوله : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ ﴾ ^(١) من صفاتهم كيت وكيت ، وهم الذين يتبعون الرسول النبىّ الامّى . وأخذ فى صفاته الكريمة وفضائله .

وفى سورة الشعراء حكى قول إبراهيم : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ، فتخلّص منه إلى وصف المعاد بقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ... ﴾ الخ ^(٢) .

وفى سورة الكهف حكى قول ذى القرنين فى السدّ بعد دكّه الذى هو من أشرط الساعة ، ثم النفخ فى الصور وذكر الحشر ، ووصف مآل الكفار والمؤمنين .

وقال بعضهم : الفرق بين التخلّص والاستطراد ؛ أنك فى التخلّص تركت ما كنت فيه بالكلىة ، وأقبلت على ما تخاصت إليه ، وفى الاستطراد تمرّ بذكر الأمر الذى استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده ، وإنما عرض عروضاً .

قيل : وبهذا يظهر أن ما فى سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد

لا التخلص ، اعوده في الأعراف إلى قصة موسى بقوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ ... ﴾ ^(١) إلى آخره . وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم .

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع ، مفصلاً بهذا ، كقوله في سورة ص بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرُ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ^(٢) ، فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْرِ ، لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ، ثم لما فرغ قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّا لِلطَّاغِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ ^(٣) ، فذكر النار وأهلها .

قال ابن الأثير ^(٤) : هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر .

ويقرب منه أيضاً حسن المطلب ، قال الزنجاني والطَّيْبِي : وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة ، كقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٥) .

قال الطَّيْبِي : ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ^(٦) ، إلى قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

* * *

قاعدة

قال بعض المتأخرين : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ،

(٣) ص ٥٥

(٢) ص ٤٩

(١) الأعراف ١٥٩

(٤) هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد ضياء الدين بن الأثير ، صاحب كتاب المثل السائر ، ووزير الملك الأفضل نور الدين بن صلاح الدين . توفي سنة ٦٣٧

(٦) الشعراء ٧٧ ، ٧٨

(٥) الفاتحة ٥

هو أنك تنظر إلى الفرض الذى سيقى له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الفرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات فى القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام فى المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له ، التى تقتضى البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا فصلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية فى كل سورة سورة . انتهى .

تنبيه

من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها ، من ذلك قوله تعالى فى سورة القيامة :

﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجَلَ بِهِ ۖ ۞ ﴾ ^(١) . الآيات ، فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسرٌ جداً ، فإن السورة كلها فى أحوال القيامة ؛ حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء ، وحتى ذهب القفال ^(٢) فيما حكاه الفخر الرازى ، أنها نزلت فى الإنسان المذكور قبل فى قوله : ﴿ يُذَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۖ ۞ ﴾ ^(٣) ، قال : يُعْرَضُ عليه كتابه ، فإذا أخذ فى القراءة تلجلج خوفاً ، فأسرع فى القراءة ، فيقال له : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجَلَ بِهِ ۖ ۞ ﴾ . إِنَّا عَلَّمْنَا أَنْ نَجْمَعَ عَمَلَكَ ، وَأَنْ نَقْرَأَ عَلَيْكَ ، [فإذا قرأنا] ^(٤) ، فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت ، ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته . انتهى .

وهذا يخالف ما ثبت فى الصحيح أنها نزلت فى تحريك النبى صلى الله عليه وسلم لسانه حالة نزول الوحي عليه .

(١) القيامة ١٧

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعى الشافى المعروف بالقفال الكبير ، صاحب المصنفات فى الفقه والأصول والتفسير . توفى سنة ٣٦٥ شذرات الذهب ٣ : ٥٢

(٣) القيامة ١٣ (:) منط

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات :

منها أنه تعالى لما ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه، وهو الإضفاء إلى الوحي، وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر بالألباد إلى التعطف، لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصنع إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما شتمل عليه. ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المتأبد كره ومن هو من جنسه، قال: ﴿كَلَّا﴾، وهي كلمة رذع كأنه قال: «بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقت من عجل تمجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة».

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة، عملاً وتركاً، كما قال في الكهف: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾^(١) إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ...﴾^(٢) الآية، وقال في سبحان: ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾^(٣) إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾^(٤) الآية. وقال في طه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(٥).

ومنها أن أول السورة لما نزل إلى ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(٦)، صادف أنه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة، بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرك به لسانه من مجلته خشية من تفلته، فنزل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَايِنَا بَيَّانُهُ﴾، ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به.

قال الفجر الرازي : ونحوه ما لو ألقى المدرّس على الطالب مثلاً مسألة ، فتشغل الطالب بشئ عرض له ، فقال له : ألق إلى بالك وتفهم ما أقول ، ثم كتمل المسألة ؛ فمن لا يعرف السبب يقول : ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة ، بخلاف مَنْ عرف ذلك .

ومنها : أن « النفس » لما تقدّم ذكرها في أول السورة ، عدل إلى ذكر « نفس » المصطفى ، كأنه قيل : هذا شأن النفوس ، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس ، فلتأخذ بأكمل الأحوال .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ... ﴾ ^(١) الآية ، فقد يقال : أى رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت ؟

وأجيب : بأنه من باب الاستطراد ، لما ذكر أنها مواقيت للحج ، وكان هذا من أفعالهم في الحج - كما ثبت في سبب نزولها - ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال ، كما سئل عن ماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ... ﴾ الآية ، فقد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... ﴾ ^(٢) الآية ؟

وقال الشيخ أبو محمد الجويني ^(٣) في تفسيره : سمعت أبا الحسن الدهان يقول : وجه اتصاله ، هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أى فلا يجوز منكم ذلك ، واستقبلوه فإن لله المشرق والمغرب .

فصل

من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها ، وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سمّيته : « مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع » .

وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ

(٢) البقرة ١١٤ ، ١١٥

(١) البقرة ١٨٩

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني العراقي ، شيخ الغزالي ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، توفي سنة ٤٧٨ هـ . ابن خلكا ١ : ٣٧٨

ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ ، وخروجه من وطنه ، وختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم
بأن لا يكون ظهيراً للكافرين ، ونسليته عن إخراجهم من مكة ، ووعدته بالموءد إليها لقوله
في أول السورة : ﴿ إِنَّا زَادُوهُ ﴾ ^(١) .

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وأورد في
خاتمها ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) ، فشقان ما بين الفاتحة والخاتمة !
وذكر الكرماني في المعجائب مثله .

وقال في سورة «ص» : بدأها بالذكر ، وختمها به في قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) .

وفي سورة «ن» بدأها بقوله : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ، وختمها بقوله :
﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ ^(٤) .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ؛ حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً ، كما في
﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ كَمَصْفٍ مَّا كُولٌ ﴾ ﴿ لَا يَلْفِئُ قَرِيْشٌ ﴾ ^(٥) ، فقد قال الأخفش :
اتصالها من باب ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٦) .

وقال الكواشي في تفسير المائدة : لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين
العباد أكد ذلك بقوله : ﴿ بَايِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٧) .

وقال غيره : إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة
قبها ، ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختم
المائدة من فصل القضاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) . وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله ، فإنه مناسب لختم ما قبلها من قوله :

(٣) ص ٨٧

(٦) القصص ٨

(٢) المؤمنون ١ ، ١١٧

(٥) القيل ٥ ، قريش ١

(٨) الزمر ٧٥

(١) القصص ٧ ، ١٧

(٤) ن ٢ ، ٥١

(٧) المائدة ١

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ ^(١) ، كما قال تعالى: ﴿قَطِّعْ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) ، وكافتتاح سورة سورة الحديد بالحديد ، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به .

وكافتتاح سورة البقرة بقوله ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ ، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، كأنهم سألوا الهداية إلى الصراط ، قيل لهم ذلك : الصراط الذى سألتم الهداية إليه هو الكتاب ، وهذا معنى حسن ، يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة .

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ، فذكر فيها في مقابلة البخل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أى الخير الكثير ، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أى دم عليها ، وفي مقابلة الرياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أى لرضاه ، وللناس ، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَانْحَرْ﴾ ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحى .

وقال بعضهم : لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطليع على أنه توقيفى صادر عن حكيم :

أحدها بحسب الحروف ، كما فى الحواميم .

الثانى ، لواقعة أول السورة لآخر ما قبلها ، كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة .

الثالث : للوزان فى اللفظ كآخر «تَبَّتْ» وأول «الإخلاص» .

الرابع : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح .

قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه فى دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية ، وسورة البقرة تضمنت قواعد

الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها ، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا وردَ فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى . وأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها ، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الانبياء ؛ فخطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقرّ بالانبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخطبوا بآل أهل الكتاب ، يابني اسرائيل ، يأبى الذين آمنوا ، وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس ، وهى نوعان : مخلوقة لله ، ومقدورة لهم كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ثم قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ؛ فانظر هذه المناسبة المجيبة في الافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه ؛ من نكاح النساء ومحرماته ، والموارث المتعلقة بالأرحام ؛ وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ، ثم خلق زوجه منه ، ثم بثّ منها رجالا ونساء في غاية الكثرة . وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ، ومكملات الدين ، والوفاء بعهود الرسل ، وما أخذ على الأمة ، وبها تم الدين ، فهى سورة التكميل ؛ لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، كالنضوء والتميم ، والحكم بالقرآن على كل دين ، ولهذا كثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام ، وذكر فيها أن من ارتدّ عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملا ، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إشارات الختم

التمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب .
وقال : أبو جعفر بن الزبير : حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن ،
وضعوا سورة القدر عقب العلق ، استدلتوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله :
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، الإشارة إلى قوله : « أَقْرَأُ » ، قال القاضي أبو بكر
ابن العربي : وهذا بديع جداً .

* * *

فصل

قال في البرهان : ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة
بما بدئت به ، حتى لم يكن لترد « الم » في موضع « الر » ولا « حَم » في موضع « طُس » .
قال : وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها ، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له ، فحق
لكل سورة منها ألا يناسبها غير الواردة فيها ، فلو وضع « ق » موضع « ن » لعدم
التناسب الواجب مراعاته في كلام الله ، وسورة « ق » بدئت به ، لما تكررت فيها من
الكلمات بلفظ القاف ، من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مراراً ، والقرب
من ابن آدم وتلقى المسكين ، وقول العتيد ، والرقب ، والسائق والإلقاء في جهنم ،
والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، والقلب والقرون ، والتنقيب في البلاد ، وتشقق الأرض ،
وحقوق الوعيد وغير ذلك .

وقد تكررت في سورة يونس من الكلم الواقعة فيها « الرء » مائتا كلمة ، أو أكثر
فلهذا افتتحت بـ « الر » .

واشتملت سورة « ص » على خصومات ممتدة ، فأولها خصومة النبي صلى الله
عليه وسلم مع الكفار ، وقولهم : ﴿ أَجْمَلُ آلِهَةٍ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ ^(١) ، ثم اختصاص الخصمين
عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائكة الأعلى ، ثم تخاصم إبليس في شأن
آدم ، ثم في شأن بنيهِ وإغوائهم .

و «الم» جمعت الخارج الثلاثة: الخلق ، واللسان ، والشفتين على ترتيبها ، وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق ، والنهاية التي هي بدء المعاد ، والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي ، وكل سورة افْتَتَحَتْ بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة.

وسورة الأعراف زيد فيها الصاد على «الم» ، لما فيها من شرح القصص ؛ قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ؛ ولما فيها من ذكر ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ ، ولهذا قال بعضهم : معنى «المص» ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ .

وزيد في الرعد راء لأجل قوله : ﴿ رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾ ، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها .

واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ﴿ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَحْيَى الْقِيَوْمُ ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿ ، ﴿ الْمَصْ ﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴿ ، ﴿ الرَّ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴿ ﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ ، ﴿ طسم ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴿ ، ﴿ يس ﴾ وَالْقُرْآنِ ﴿ ، ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ﴾ ، ﴿ حم ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴿ ، ﴿ ق وَالْقُرْآنِ ﴾ ، إِلَّا ثَلَاثُ سُوْر : العنكبوت ، والروم ، ون ، ليس فيها ما يتعلق به ، وقد ذكرتُ حكمة ذلك في «أسرار التنزيل» .

وقال الحرالي في معنى حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف : زاجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال » : اعلم أن القرآن منزل عند انتهاء الخلق ، وكل كل الأمر ، بدأ فكان المتخلق به جامعاً لانتهاء كل خاق ؛ وكل كل أمر ، فلذلك هو صلى الله عليه وسلم قُمُّ الكون ؛ وهو الجامع الكامل ، ولذلك كان خاتماً ، وكتابه كذلك ، وبدأ المعاد من حين ظهوره ، فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الأولين بداياتها ، وتمت عنده غاياتها : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم أصنع لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصنع لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصنع لي الآخرة التي فيها معاد » .

لى آخرتى التى إليها معادى . وفى كل صلاح إقدام وإحجام ، فتصير الثلاثة الجوامع ستة ، هى حروف القرآن الستة ، ثم وهب حرفاً جامعاً سابغاً فرداً ، لازوج له ، فتمت سبعة ، فأدنى تلك الحروف هو حرفاً صلاح الدنيا ، فلها حرفان : حرف الحرام الذى لاتصلح النفس والبدن إلا بالتطهر منه لبعده عن تقويمها ، والثانى : حرف الحلال الذى تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها ، وأصل هذين الحرفين فى التوراة ، وتامهما فى القرآن .

ولى ذلك حرفاً صلاح المعاد ، أحدهما : حرف الزجر والنهى ، الذى لاتصلح الآخرة إلا بالتطهر منه لبعده عن حسناتها والثانى : حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها ، وأصل هذين الحرفين فى الإنجيل وتامهما فى القرآن .

ولى ذلك حرفاً صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان للعبد فيه خطاب ربه ، والثانى حرف التشابه الذى لا يتبين لأبدي فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه .

فالحروف الخمسة للاستعمال ، وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالمعجز ، وأصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها ، وتامهما فى القرآن ، ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى . ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن ، وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بشها فى القرآن ، فالأولى تشتمل على حرف الحمد السابع ، والثانية تشتمل على حرفى الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا ، والرحيمية الآخرة ، والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى النهى اللذين يبدأ أمرهما فى الدين ، والرابعة تشتمل على حرفى الحكم فى قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، والمتشابه فى قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه .

انتهى كلام الحراتى . والمقصود منه هو الأخير ، وبقتيه ينبوعه السمع ، وينفر منه القلب ، ولا تميل

إليه النفس ، وأنا استغفر الله من حكايته ، على أنى أقول فى مناسبة ابتداء البقرة بـ « أَلَمْ »
أحسن ممّا قال ، وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف الحکم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر
أحد فى فهمه ، ابتدئت البقرة بمقابلته ، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل ، أو المستحيله .

فصل

ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها ، وقد تقدّم فى النوع السابع عشر
الإشارة إلى ذلك . وفى عجائب الكرمانى : إنما سميت السور السبع « حم » على
الاشتراك فى الاسم ، لما بينهما من التشاكل الذى اختصت به ، وهو أن كل واحدة منها
استُفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب ، مع تقارب المقادير فى الطول والقصر ، وتشاكل
الكلام فى النظام .

فوائد منشورة فى المناسبات

فى تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي — ومن خطه نقلت : سأل الإمام : ما الحكمة
فى افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح ، والكهف بالتحميد ؟ وأجاب بأن التسبيح — حيث
جاء — مقدّم على التحميد ، نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ، ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .
وأجاب ابن الزملى كفى : بأن سورة « سبحان » لما اشتملت على الإسراء الذى
كذب المشركون به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى ،
أتى « بسبحان » لتزيه الله تعالى عما تُنسب إلى نبيه من الكذب ، وسورة الكهف
لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي ، نزلت مبينة
أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين ، بل أتمّ عليهم النعمة بإزالة الكتاب ،
فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة .

فى تفسير الخوئىّ ابتدئت الفاتحة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فوصف بأنه
مالك جميع الخلقين ، وفى الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك ،
(٢٢ م - الإنان ج ٣)

بل بفرد من أفراد صفاته ، وهو خالق السموات والأرض والظلمات والنور في الأنعام ، وإنزال الكتاب في الكهف ، وملك مافي السموات ومافي الأرض في سبأ ، وخلقهمافي ناظر ؛ لأن العاتحة أم القرآن ومطلعه ، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها .

في المعجائب للكهرماني : إن قيل : كيف جاء « يسألونك » أربع مرات بغير واو : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ﴾ ^(١) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٢) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ ^(٤) ، ثم جاء ثلاث مرات بالواو : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ ^(٧) ؟ قلنا : لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقاً ، وعن الحوادث الآخر وقع في وقت واحد ، فحى بحرف الجمع دلالة على ذلك .

فإن قيل : كيف جاء ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ ﴾ ^(٨) ، وعادة القرآن يحى « قل » في الجواب بلا فاء ؟ أجب الكرماني بأن التقدير : « لو سئلت عنها فقل » .

فإن قيل : كيف جاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ^(٩) ، وعادة السؤال يحى جوابه في القرآن « بقل » ؟ قلنا : حذف للإشارة إلى أن العبد في حالة الدعاء في أشرف المقامات ، لا واسطة بينه وبين مولاه .

ورّد في القرآن سورتان : أولهما ﴿ بِأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ ^(١٠) في كل نصف سورة ، فالتى في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ ، والتي في الثانى على شرح المعاد .

(٣) البقرة ٢١٧

(٢) البقرة ٢١٩ ،

(١) البقرة ١٨٩

(٦) البقرة ٢٣٠

(٥) البقرة ٢١٩

(٤) البقرة ٢١٩

(٩) البقرة ١٨٦

(٨) طه ١٠٥

(٧) البقرة ٢٢٢

(١٠) هما سورتان النساء والحج

النوع الثالث والستون في الآيات المشبهات

أفرده بالتصنيف خلق ، أولهم - فيما أحسب - الكيساني ، ونظمه السجاي ، وألف في توجيهه الكرماني كتابه « البرهان مشابه القرآن »^(١) ، وأحسن منه « درة التنزيل وغرة التأويل »^(٢) لأبي عبد الله الرازي ، وأحسن من هذا « ميلك التأويل » لأبي جعفر ابن الزبير^(٣) ، ولم أقف عليه ، والقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه « كشف المعاني عن مشابهة المثاني »^(٤) ، وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى « قطف الأزهار في كشف الأسرار » من ذلك الجَم الغفير .

والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى ، وفواصل مختلفة ، بل تأنى في موضع واحد مقدماً ، وفي آخر مؤخراً ، كقوله في البقرة : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾^(٥) ، وفي الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾^(٦) . وفي البقرة : ﴿ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾^(٧) ، وسائر القرآن ﴿ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^(٨) .
أوفي موضع بزيادة ، وفي آخر بدونها ، نحو ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ﴾^(٩) في البقرة وفي يس ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ ﴾^(١٠) . وفي البقرة ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾^(١١) وفي الأنفال ﴿ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾^(١٢) .

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : لشخ برهان الدين أبو القاسم محمود بن حزة الكرماني ، المتوفى بعد سنة خمسمائة .

(٢) ذكره أيضاً صاحب كشف الظنون ، وقال : للإمام غفر الدين محمود بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ ، تكلم فيه على الآيات المتكررة بالكلمات المختلفة التي يقصد المتعدون النطرق منها إلى غيرها .

(٣) منه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(٤) ذكره صاحب كشف الظنون (٥) البقرة ٥٨ (٦) الأعراف ١٦١

(٧) البقرة ١٧٣ (٨) المائدة ١٤٥ (٩) البقرة ٦

(١٠) يس ١٠ (١١) البقرة ١٩٣ (١٢) الأنفال ٣٩

أوفى موضع مقرفاً ، وفي آخر منكراً ، أو مفرداً وفي آخر جمعاً ، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر ، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً ، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات .
وهذه أمثلة منه بتوجيهها :

قوله تعالى في البقرة : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ، وفي لقمان ^(٢) ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ... ﴾ ^(٣) لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب « المتقين » ، ولما ذكر ثم الرحمة ناسب « المحسنين » .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾ ^(٤) ، وفي الأعراف ﴿ فَكُلَا ﴾ ^(٥) بالفاء ، قيل : لأن السكنى في البقرة الإقامة ، وفي الأعراف اتخاذ السكن ، فلما نسب القول إليه تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ، ولذا قال فيه « رغداً » ، وقال : ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ ، لأنه أعم . وفي الأعراف ﴿ وَيَا آدَمُ ﴾ ، فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها ، لأن الأكل بعد اتخاذها ، و ﴿ من حيث ﴾ لا تعطى عموم معنى ﴿ حَيْثُمَا شِئْتُمَا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ^(٦) ، وقال بعد ذلك : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٧) ففيه تقديم العدل وتأخيرها ، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى ، وذكر في حكمته أن الضمير في « منها » راجع في الأولى إلى النفس الأولى ، وفي الثانية إلى النفس الثانية ، فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعته ولا يؤخذ منها عدل ، وقدّمت الشفاعة لأن الشافع يقدم الشفاعة على العدل ، وبين في الثانية أن النفس المطلوبة بحرمها

لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعه شافع منها ، وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعه إنما تكون عند زده ، ولذلك قال في الأولى : ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ وفي الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ، لأن الشفاعه إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ ﴾ ^(١) وفي إبراهيم ﴿ وَيُذَبِّجُونَ ﴾ ^(٢) بالواو ، لأن الأولى من كلامه تعالى لهم ، فلم يعدد عليهم المحن تكراراً في الخطاب ؛ والثانية من كلام موسى فعدها . وفي الأعراف ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ ^(٣) وهو من تنويع الألفاظ المسمى بالتفتن .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ .. ﴾ ^(٤) الآية ، وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظ ، ونكته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم حيث قال : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ إلى آخره ، فناسب نسبة القول إليه تعالى ، وناسب قوله : « رغداً » لأن النعم به أتم ، وناسب تقديم ﴿ وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ﴾ ^(٥) وناسب « خطاياكم » لأنه جمع كثرة ، وناسب الواو في « وسنزيد » لدالاتها على الجمع بينهما ، وناسب الفاء في « فكلوا » لأن الأكل مرتب على الدخول . وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ^(٦) ، ثم اتخذهم العجل ، فناسب ذلك ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ ^(٧) ، وناسب ترك « رغداً » . والسكنى تجامع الأكل ، فقال : ﴿ وَكُلُوا ﴾ ، وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في « سنزيد » . ولما كان في الأعراف تبغيض الهادين بقوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ

(٣) الأعراف ١٤١

(٦) الأعراف ١٣٨

(٢) إبراهيم ٦

(٥) البقرة ٤٧

(١) البقرة ٤٩

(٤) البقرة ٥٨

(٧) الأعراف ١٦١

بالحق ﴿^(١)﴾ فاسب تمييز الظالمين بقوله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ^(١) ، ولم يتقدم في البقرة مثله فترك . وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا نصريحه بالإزالة على المتفصين بالظلم ، والإرسال أشدّ وقعاً من الإزالة ، فاسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك ، وختم آية البقرة : ﴿يُفْسِقُونَ﴾ ^(٢) ، ولا يلزم منه الظلم ، والظلم يلزم منه الفسق ، فاسب كل لفظة منها سياقه .

وكذا في البقرة : ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ ^(٣) ، وفي الأعراف ﴿انْبَجَسَتْ﴾ ^(٤) لأن الانهجار أبلغ في كثرة الماء ، فاسب سياق ذكر النعم التعمير به .

قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ ^(٥) ، وفي آل عمران ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ ^(٦) قال ابن جماعة : لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود ، إحداها قالت : إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا ، والأخرى قالت : إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم المعجل ، فأية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة ، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة .

وقال أبو عبد الله الرازي : إنه من باب التفتن قوله تعالى : ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ ^(٧) ، وفي آل عمران ، ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ ^(٨) ؛ لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة ، وفي آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله : ﴿لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ ^(٩) ، ومعناه إن دين الله الإسلام .

قوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ ^(١٠) ، وفي إبراهيم ﴿هَذَا الْبَلَدُ آمِنًا﴾ ^(١١)

(٣) البقرة ٦٠

(٦) آل عمران ٢٤

(٩) البقرة ١٢٦

(٢) البقرة ٥٩

(٥) البقرة ٨٠

(٨) آل عمران ٧٢

(١) الأعراف ١٥٩ ، ١٦٢

(٤) الأعراف ١٦٠

(٨) البقرة ١٢٠

(١٠) إبراهيم ٣٥

لأن الأول دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به ، وهو وادٍ ، فدعا بأن يصير بلداً ، والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلداً فدعا بأمنه .

قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ^(١) ، وفي آل عمران ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ^(٢) ، لأن الأولى خطابٌ للمسلمين ، والثانية خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم ، و « إلى » بُنْتِهي بها من كل جهة و « على » لا بُنْتِهي بها إلا من جهة واحدة وهي العلو ، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إيام منها وإنما أتى النبي صلى الله عليه وسلم [من جهة العلو خاصة ، فناسب قوله : « علينا » ، ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي صلى الله عليه وسلم] ^(٣) : « على » ، وأكثر ما جاء في جهة الأمة : « إلى » .

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ ^(٤) ، وقال بعد ذلك ، ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ ^(٥) ؛ لأن الأولى وردت بعد نواهٍ فناسب النهي عن قربانها والثانية بعد أوامر ، فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها .

قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ وَأُنْزِلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٧) ، لأن الكتاب أنزل مُنْجَماً فناسب الإتيان بـ « نزل » الدال على التكرير بخلافها ؛ فإنهما أنزلا دفعة .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ^(٨) ، وفي الإسراء ﴿ خَشِيتُ إِمْلَاقٍ ﴾ ^(٩) ، لأن الأولى خطابٌ للفقراء الثقلين ، أى لا تقتلوا من قريبتكم ، حسن ﴿ نَحْنُ رَزَقُكُمْ ﴾ ، ما ينزل به إِمْلَاقكم ، ثم قال « وإيام » ، أى نرزقكم جميعاً ، والثانية خطابٌ للأغنياء ، أى خشيية فقرٍ يحصل لكم بسببهم ، ولذا حسن ﴿ نَحْنُ رَزَقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ^(١٠) .

(٣) تكملة من ط

(٦) آل عمران ٣

(٢) آل عمران ٨٤

(٥) البقرة ٢٢٩

(٨) الإسراء ٣١

(١) البقرة ١٣٦

(٤) البقرة ١٨٧

(٧) الأنعام ١٥١

قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) ، وفي فصّات ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) . قال ابن جماعة : لأن آية الأعراف نزلت أولاً ، وآية فصلت نزلت ثانياً ، فحسن التعريف ، أى هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الذى تقدّم ذكره أولاً عند نزول الشيطان .

قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، وقال فى المؤمنين : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(٤) ، وفى الكفار : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ^(٥) ، لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة ، فكان بعضهم يهوداً ، وبعضهم مشركين ، فقال : ﴿ مِنْ بَعْضٍ ﴾ ، أى من الشك والنفاق ، والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام ، وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين ، كما قال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ ^(٦) . فهذه أمثلة يستضاء بها ، وقد تقدّم منها كثير فى نوع التقديم والتأخير ، وفى نوع الفواصل ، وفى أنواع آخر .

تم الجزء الثالث من كتاب الإتيان فى علوم القرآن ، ويليه الجزء الرابع

وأوله النوع الرابع والستون

فى إعجاز القرآن

فهرس الموضوعات

النوع الثالث والأربعون

في المحكم والمتشابه

٣ — ٣٢

٣ — ٥

٥ — ١٢

١٢ ، ١٤

١٤ ، ١٥

١٥ ، ١٦

١٦

١٦ ، ١٧

١٧ ، ١٨

١٨

١٨ ، ١٩

١٩ ، ٢٠

٢٠

٢٠

٢١

٢١ — ٣٠

٣٠ — ٣٢

أقوال العلماء في هذا الشأن

فصل في ذكر اختلاف القول حول إمكان معرفة المتشابه

فصل في ذكر المتشابه من آيات الصفات

أقوال العلماء في تأويل بعض الألفاظ المشتبهة التأويل في القرآن:

تأويل لفظ «الرحمن على العرش استوى»

تأويل كلمة «النفس»

تأويل كلمة «الوجه»

تأويل كلمة «العين»

تأويل كلمة «اليد»

تأويل كلمة «الساق»

تأويل كلمة «الجنب»

تأويل صفات «القرب» و «الفوقية» و «الحجى» و «الغضب»

و «الرضا» و «العجب» و «الرحمة» في القرآن

تأويل كلمة «عند»

تأويل قوله: «وهو معكم»

تأويل قوله: «سنفرغ لكم»

تأويل المتشابه من أوائل السور

خاتمة في الفرق بين المحكم والمتشابه

النوع الرابع والأربعون

٤١ — ٣٣

في مقدمه ومؤخره

٣٥ — ٣٣

ذكر بعض الآيات الواردة في هذا الشأن وما قيل فيها

٤١ — ٣٥

ذكر أسباب التقديم وأساراه

* * *

النوع الخامس والأربعون

٥١ — ٤٣

في عامه وخاصه

٤٦ — ٤٣

العام وصيغه

٤٨ — ٤٦

الخاص وأنواعه

٤٩ ٦ ٤٨

استطرداد بذكر ما كان مخصصا للعموم السنة

٥١ — ٤٩

فروع منشورة تتعاق بالعموم والخصوص

* * *

النوع السادس والأربعون

٥٨ — ٥٣

في مجمله ومبينه

٥٤ ، ٥٣

أسباب الإجمال

٥٦ — ٥٤

مثل من الآيات المبينة

٥٨ — ٥٦

ذكر الخلاف حول بعض الآيات في هذا الشأن

* * *

النوع السابع والأربعون

٧٧ — ٥٩

في ناسخه ومنسوخه

٥٩

ذكر بعض العلماء الذين ألفوا في هذا النوع

٦٥ — ٥٩

ذكر مسائل تتعلق بالنسخ

ذكر بعض الآيات المنسوخة :

٦٥	من البقرة
٦٦	من آل عمران
٦٦	من النساء
٦٦	من المائدة
٦٧	من الأنفال
٦٧	من براءة
٦٧	من النور
٦٧	من الأحزاب
٦٧	من المجادلة
٦٧	من المتحنه
٦٨	من الزمل
٦٩ — ٧١	فوائد منشورة في هذا الباب
٧١ — ٧٧	ايراد أقوال لبعض العلماء في النسخ



النوع الثامن والأربعون

٧٩ — ٨٨	في مشكله وموم الاختلاف والتناقص
٧٩ — ٨٤	أقوال العلماء فيما يوم التعارض
٨٤ — ٨٨	فصل في ذكر أسباب الاختلاف



النوع التاسع والأربعون

٩١ — ٩٨	في مطلقه ومقيده
---------	-----------------

٩٢ — ٩١

ضابط كلي من المطلق والمقيّد

٩٣ ، ٩٢

متى يحمل المطلق على المقيّد؟

* * *

النوع الخمسون

٩٨ — ٩٥

في منطوقه ومفهومه

٩٦ ، ٩٥

المنطوق وأنواعه

٩٨ — ٩٦

المفهوم وأنواعه

* * *

النوع الحادى والخمسون

١٠٧ — ٩٩

في وجوه مخاطباته

١٠٤ — ٩٩

ذكر بعض آيات تشمل أنواع الخطاب

١٠٤

تقسيم الخطاب في القرآن

١٠٧ ، ١٠٦

أنزل القرآن على ثلاثين نحواً ؛ ذكر أمثلة من الآيات لكل منها

* * *

النوع الثانى والخمسون

١٢٧ — ١٠٩

في حقيقته ومجازه

١٠٩

ذكر بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن

١٢٣ — ١٠٩

أقسام المجاز ، مع ذكر مثل من الآيات في ذلك

١٢٦ — ١٢٤

فصل في أنواع مختلف في عدّها من المجاز

— ١٢٦

فصل فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين

١٢٧ ، ١٢٦

فصل في ذكر الوسطة بين الحقيقة والمجاز

١٢٧

مجاز المجاز

النوع الثالث والأربعون

في تشبيهه واستعاراته

١٢٨ — ١٤٢

أقوال العلماء في هذا الشأن

١٢٨ ، ١٢٩

ذكر أقسام التشبيه

١٢٩ — ١٣٢

دخول أداة التشبيه على المشبه والمشبه به

١٣٢

قاعدة في التشبيه في حالتي المدح والذم

١٣٣

تشبيه شيئين بشيئين

١٣٣

الاستعارة

١٣٣ — ١٣٥

أركان الاستعارة وأقسامها بحسب الأركان

١٣٥ — ١٣٧

أقسامها باعتبار اللفظ

١٣٧ ، ١٣٨

تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة

١٣٨

تقسيمها إلى حقيقية، وتخيلية، وممكنية وتصريحية

١٣٨ ، ١٣٩

أقسامها إلى وفاقية وعنادية

١٣٩ ، ١٤٠

أقسامها إلى تمثيلية وغير تمثيلية

١٤٠

قد تكون الاستعارة بلفظين

١٤٠

مفاضلة بين الاستعارة والتشبيه

١٤١

خاتمة في الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة

١٤١ ، ١٤٢

النوع الرابع والخمسون

١٤٨—١٤٣

في كنيائاته وتعريضه

١٤٦—١٤٣

تعريف الكناية وأسبابها

١٤٧ ، ١٤٦

الإرداف

١٤٨ ، ١٤٧

فصل في الفرق بين الكناية والتعريض

* * *

النوع الخامس والخمسون

١٦٠—١٤٩

في الحصر والاختصاص

١٥٠ ، ١٤٩

أنواع الحصر

١٥٦—١٥٠

طرقه

١٦٠—١٥٦

تنبيه في ذكر إفادة الحصر عند تقديم المفعول

* * *

النوع السادس والخمسون

٢٢٤—١٦١

في الإيجاز والإطناب

١٦٢ ، ١٦١

الفرق بين الإيجاز والإطناب والمساواة

نوعا الإيجاز :

١٧٠—١٦٢

إيجاز القصر

١٧٣—١٧٠

إيجاز الحذف

١٧٤ ، ١٧٣

قاعدة في حذف المفعول اختصارا واقتصارا

١٧٧—١٧٤

شروط الحذف

١٨٠—١٧٧

فوائد متنوعة حول الحذف

١٨٤—١٨٠

أنواع الحذف

١٨٧-١٨٤	أمثلة حذف الاسم
١٨٨ ، ١٨٧	أمثلة حذف الفعل
١٩٠-١٨٨	أمثلة حذف الحرف
١٩٢-١٩٠	أمثلة حذف أكثر من كلمة
	أنواع الإطناب :
١٩٣ ، ١٩٢	الإطناب بالبدط
	أنواع الإطناب بالزيادة :
١٩٦-١٩٣	النوع الأول : دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد
١٩٧ ، ١٩٦	» الثاني : دخول الأحرف الزائدة
١٩٩-١٩٧	» الثالث : التأكيد الصناعي
٢٠٦-١٩٩	» الرابع : التكرير
٢١٠-٢٠٦	» الخامس : الصفة
٢١١ ، ٢١٠	» السادس : البديل
٢١١	» السابع : عطف البيان
٢١٢ ، ٢١١	» الثامن : عطف أحد المترادفين على الآخر
٢١٢	» التاسع : عطف الخاص على العام
٢١٤ ، ٢١٣	» العاشر : عطف العام على الخاص
٢١٥ ، ٢١٤	» الحادى عشر : الإيضاح بعد الإيهام
٢١٦ ، ٢١٥	» الثانى عشر : التفسير
٢٢٠-٢١٦	» الثالث عشر : وضع الظاهر موضع المضمّر
٢٢١-٢٢٠	» الرابع عشر : الإيفال
٢٢١	» الخامس عشر : التذييل
٢٢١	» السادس عشر : الطرد والعكس

٢٢٢ ، ٢٢١

٢٢٢

٢٢٣ ، ٢٢٢

٢٢٤ ، ٢٢٣

٢٢٤

« النوع السابع عشر : التكميل

« الثامن عشر : التتميم .

« التاسع عشر : الاستقصاء

« العشرون : الاعتراض

« الحادى والعشرون : التعلييل

• • •

النوع السابع والخمسون

في الخبر والإنشاء

٢٤٨—٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٥

٢٢٧ ، ٢٢٦

٢٢٨ ، ٢٢٧

٢٢٩

٢٣٤—٢٢٨

٢٤٣—٢٣٤

٢٤٣ ، ٢٤٢

٢٤٤ ، ٢٤٣

٢٤٥ ، ٢٤٤

٢٤٦ ، ٢٤٥

٢٤٨ ، ٢٤٦

٢٤٨

٢٤٨

أقوال العلماء في أنواع الكلام

أقسام بالخبر :

التعجب

الوعد والرعيد

التنفي

أقسام الإنشاء :

الاستفهام الأمر

النهى

التمنى

الترجى

النداء

القسم

الشرط

النوع الثامن والحسون
في بديع القرآن

٢٨٩—٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٤٩

٢٥٢—٢٥٠

٢٥٣ ، ٢٥٢

٢٥٩—٢٥٣

٢٥٩

٢٦١—٢٥٩

٢٦١

٢٦١

٢٦١

٢٦٣—٢٦٢

٢٦٤

٢٦٥—٢٦٤

٢٦٥

٢٦٦ ، ٢٦٥

٢٦٦

٢٦٧

٢٦٨

٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٦٨

٢٦٩

مجل أنواع البديع

الإيهام

الاستخدام

الالتفات

الاطراد

الانسجام

الإدماج

الاقتنان

الاقتدار

اكتلاف اللفظ مع اللفظ واكتلافه مع المعنى

الاستدراك والاستثناء

الاقتصاص

الإبدال

تأكيد المدح بما يشبه الذم

التعريف

التقسيم

التدريج

التنكيث

التجريد

التعديد

٢٧٠ ، ٢٦٩	الترتيب
٢٧٠	الترقى والتدلى
٢٧١ ، ٢٧٠	التضمين
٢٧٤—٢٧١	الجناس
٢٧٥ ، ٢٧٤	الجمع
٢٧٥	الجمع والتفريق
٢٧٥	الجمع والتقسيم
٢٧٦ ، ٢٧٥	جمع المؤنث والمختلف
٢٧٦	حسن النسق
٢٧٦	عتاب المرء نفسه
٢٧٨ ، ٢٧٧	العكس
٢٧٨	العنوان
٢٧٩ ، ٢٧٨	الفرائد
٢٧٩	القسم
٢٨١—٢٧٩	الف والنشر
٢٨٢ ، ٢٨١	المشاكلة
٢٨٢	المزاوجة
٢٨٤—٢٨٢	المبالغة
٢٨٧—٢٨٤	المطابقة
٢٨٧	المواربة
٢٨٨ ، ٢٨٧	المراجعة
٢٨٨	النزاهة

الإبداع

* * *

النوع التاسع والخمسون

في فواصل الآي

٢٨٩ ، ٢٨٨

٣١٥-٢٩٠

٢٩٥-٢٩٠

أقوال العلماء في هذا الشأن

٣٠١-٢٩٦

فصل في ذكر الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة

٣١٠-٣٠٢

أنواع الفواصل باعتبار التمكين والتصدير والترشيح والايغال

٣١٥-٣١١

أقسام الفواصل باعتبار آخر المطرف والمتوازي والمرصع والمتوازن والمتماثل

* * *

النوع الستون

٣١٩-٣١٦

في فوائح السور

٣١٩-٣١٦

ذكر أنواع الفوائح ومثل لها من الآيات

* * *

النوع الحادى والستون

٣٢٢-٣١٩

في خواتم السور

٣٢٢-٣١٩

مثل من الخواتم ووجه الاختتام بها

* * *

النوع الثانى والستون

٣٢٨-٣٢٣

ذكر المؤلفات وأقوال العلماء في هذا الشأن

٣٢٨ ٣٢٣

سرد بعض الآيات وذكر المناسبات في ترتيبها

٢٢٨—٢٣٠

٢٣٠—٢٣٤

٢٣٤—٢٣٧

٢٣٧

٢٣٧—٢٣٨

ذكر بعض الآيات التي أشكلت مناسبتها

تناسب فوائح السور وخواتمها

فصل افتتاح السور بالحروف المقطعة

مناسبة أسماء السور لمقاصدها

فوائد متشورة في المناسبات

* * *

النوع الثالث والستون

٢٣٩—٢٤٤

٢٣٩

في الآيات المشتبهات

المصنفات التي وضعت في هذا الشأن

ذكر بعض الآيات المشتبهات

وتوجيه تأويلها

٢٣٩—٢٤٤



الافتتاح

في
سورة الفاتحة

تأليف

الحافظ جلال الدين السيوطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحضيري المصري الشافعي

المولود بأسيوط سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى بهاسنة ٩١١ هـ

رحمته الله تعالى

المجلد الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات

مكتبة الشريعة الإسلامية في القاهرة

الملك محمد عبد الله الثاني

الافتات في علم القرائن

تأليف
أحافظ جلال الدين السيوطي
أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير المصري الشافعي
المتوفى بأسبوط سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى بهاسنة سنة ٩١١ هـ
رحمته الله تعالى

تحقيق
محمد أبو فضل إبراهيم

من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الملكه العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النوع السادس والثلاثون
في مقترنة غريبة

أفرده بالتصنيف خلائق لأَيُحْصَوْنَ : منهم أبو عُبَيْدَة ، وأبو عُمر الزاهد ، وابن دُرَيْد . ومن أشهرها كتاب العُزْزِي ؛ فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة ، يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري .

ومن أحسنها المفردات للزَّاعِب . ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين . قال ابن الصلاح : وحيث رأيتَ في كتاب التفسير : « قال أهل المعاني » ، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن ، كالزجاج ، والقراء ، والأخفش ، وابن الأنباري . انتهى .

وينبغي الاعتناء به ؛ فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « أغربوا القرآن ، والتمسوا غرائبهِ » .

وأخرج مثله عمرُ وابنُ عمر وابن مسعود موقوفاً .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً : « مَنْ قرأ القرآن فأعربه ، كان له بكلِّ حرفٍ شرون حسنة ، وَمَنْ قرأه بغير إعراب كان له بكلِّ حرفٍ عشر حسنات » . المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه ، وليس المرادُ به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ؛ وهو ما يقابل اللحن ؛ لأنَّ القراءة مع فقدِهِ ليست قراءةً ، ولا ثوابَ فيها .

وعلى الخائض في ذلك التنبُّت والرجوع إلى كتب أهل الفن ، وعدم الخوض

بالظن ؛ فهذه الصحابة ؛ وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة النصحي ومن نزل القرآن عليهم ، وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها ؛ فلم يقولوا فيها شيئاً ؛ فأخرج أبو عبيد في الفضائل ، عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ^(١) ، فقال : أيُّ سماء تظاني ، أو أيُّ أرض نقلي ؛ إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم !

وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه ؛ فقال : إن هذا هو السكف ياعمر !

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : كنت لأدرى ما فاطر السموات ^(٢) ، حتى أتاني أعرابيان مختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، يقول : أنا ابتدأها . وأخرج ابن جرير عن سميد بن جبير أنه سئل عن قوله : ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٣) ، فقال : سألت عنها ابن عباس ، فلم يجب فيها شيئاً .

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : لا والله ، ما أدري ما حنانا ! وأخرج الفريابي ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعماء : ﴿ غَسِيلِينَ ﴾ ^(٤) ، و ﴿ وَحَنَانًا ﴾ ^(٥) ، و ﴿ أَوَاهَ ﴾ ^(٦) ، و ﴿ الرَّقِيمَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة عبس ٣١

(٢) من قوله تعالى في أول سورة فاطر : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ .

(٣) سورة مريم ١٣

(٤) سورة الحاقة ٣٦ ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ ﴾ .

(٥) سورة التوبة ١١٤ ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ .

(٦) سورة الكهف ٩ ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : قال ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) ، حتى سمعت قول بنت ذى يزن : « تعال أفأفأحك » ، تقول : تعال أخاصمك .

وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : ما أدري ما للفلسين ! ولكنني أظنه الزقوم .

* * *

فصل

معرفة هذا الفن [أمر] ضروري للمفسر كإسقاط في شروط المفسر ؛ قال في البرهان : ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : أسماء وأفعالا وحروفا ؛ فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة ، وأكبرها كتاب ابن السيد .

ومنها التهذيب للأزهري والمحكم لابن سيده ، والجامع للقرآزي ، والصحاح للجوهري والبارع للفارابي ومجمع البحرين للصاغاني .

ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية وابن طريف والسر قسطنطين . ومن أجمعها كتاب ابن القطائع ^(٢) .

* * *

قلت : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن ، بالأسانيد الثابتة الصحيحة .

وها أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس ، من طريق ابن أبي طلحة خاصة ؛ فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه ؛ مرتباً على السور .

(سورة البقرة)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي - (ح) وقال ابن جرير : حدثنا الثقفى - قال : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح ؛ حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى :

- ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، قال : يصدّقون .
- ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ ^(٢) : يتمادون .
- ﴿ مَطَهَّرَةٌ ﴾ ^(٣) : من القذر والأذى .
- ﴿ الْخَاشِعِينَ ﴾ ^(٤) : المصدّقين بما أنزل الله .
- ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ ﴾ ^(٥) : نعمة .
- ﴿ وَفُؤْمِهَا ﴾ ^(٦) : الحنطة .
- ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ ^(٧) : أحاديث .
- ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ ^(٨) : غطاء .
- ﴿ مَا نَنْسَخْ ﴾ ^(٩) : نبذل .
- ﴿ أَوْ نُنْصِبْهَا ﴾ ^(١٠) : نتركها فلا نبذلها .
- ﴿ مُثَابَةً ﴾ ^(١١) : يشوبون إليه ، ثم يرجعون .
- ﴿ حَنِيفًا ﴾ ^(١٢) : حاجبا .
- ﴿ شَطْرَهُ ﴾ ^(١٣) : نحوه .
- ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ ^(١٤) : فلا حرج .

٢٥ آية (٣)

٦١ آية (٦)

١٠٦ آية (٩)

١٣٥ آية (١٢)

١٥ آية (٢)

٩ آية (٥)

٨٨ آية (٨)

١٢٥ آية (١١)

١٥٧ آية (١٤)

٦ آية (١)

٤٥ آية (٤)

٧٨ آية (٧)

١٠٦ آية (١٠)

١٤٤ آية (١٣)

- ﴿ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ^(١) : عمله .
 ﴿ أَهْلَ بِهِ لغيرِ الله ﴾ ^(٢) : ذُبْحٌ للطواغيت .
 ﴿ وابنِ السَّبِيلِ ﴾ ^(٣) : الضيف الذي ينزل بالمسلمين .
 ﴿ إن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ^(٤) : مَالًا .
 ﴿ جَنَفًا ﴾ ^(٥) : إِمَامًا .
 ﴿ حدودِ الله ﴾ ^(٦) : طاعة الله ..
 ﴿ لا تكونَ فتنًا ﴾ ^(٧) : شرك .
 ﴿ فَمَنْ قَرَضَ ﴾ ^(٨) : أحرم .
 ﴿ قل العفو ﴾ ^(٩) : مالا يبين في أحوالكم .
 ﴿ لأَعْتَسِكُمْ ﴾ ^(١٠) : لأخرجكم وضيق عليكم .
 ﴿ ما لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا ﴾ ^(١١) : المسن : الجماع ، والقريضة : الصداق .
 ﴿ فيه سَكِينَةٌ ﴾ ^(١٢) : رحمة .
 ﴿ سِنَةٌ ﴾ ^(١٣) : نفاس .
 ﴿ ولا يَتَوَدُّهُ ﴾ ^(١٤) : يشغل عليه .
 ﴿ كَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ ^(١٥) : حجر صُلْدٌ ليس عليه شئ .

(آل عمران)

﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ^(١٦) : مميتك .

* كذا في الأصل ، ولم يذكر المضاف من هذه السورة على طولها إلا موضعين .

(٣) آية ١٧٧	(٢) آية ١٧٣	(١) آية ٢٠٨
(٦) آية ٢٢٩	(٥) آية ١٨٢	(٤) آية ١٨٠
(٩) آية ٢١٩	(٨) آية ١٩٧	(٧) آية ١٩٣
(١٢) آية ٢٤٨	(١١) آية ٢٣٦	(١٠) آية ٢٢٠
(١٥) آية ٢٦٤	(١٤) آية ٢٥٥	(١٣) آية ٢٥٥
		(١٦) آية ٥٥

﴿ رَبِّتُونَ ﴾ ^(١) جموع .

(النساء)

﴿ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ ^(٢) : إنما عظيمًا .

﴿ نَخْلَةً ﴾ ^(٣) : مهرًا .

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى ﴾ ^(٤) : اختبروا .

﴿ أَنْسَمُ ﴾ ^(٥) : عرقم .

﴿ رُشْدًا ﴾ ^(٦) : صلاحًا .

﴿ كَلَالَةً ﴾ ^(٧) : من لم يترك والدًا ولا ولدًا .

﴿ وَلَا تَمْضُلُوهُنَّ ﴾ ^(٨) : تقهرُوهُنَّ .

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾ ^(٩) : كل ذات زوج .

﴿ طَوَلًا ﴾ ^(١٠) : سعة .

﴿ مُحْصَنَاتٍ ﴾ ^(١١) : غير مسالحات ، عفاف غير زوان في السر والعلانية .

﴿ وَلَا مَتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ ^(١٢) : أخلاء .

﴿ فَإِذَا أُحْصِنَ ﴾ ^(١٣) : تزوجن .

﴿ الْعَنَتِ ﴾ ^(١٤) : الزَّنا .

﴿ مَوَالِيَ ﴾ ^(١٥) : عسبة .

﴿ قَوَّامُونَ ﴾ ^(١٦) : أمراء .

(٣) آية ٤

(٦) آية ٦

(٩) آية ٢٤

(١٢) آية ٢٥

(١٥) آية ٣٣

(٢) آية ٢

(٥) آية ٦

(٨) آية ١٩

(١١) آية ٢٥

(١٤) آية ٣٣

(١) آية ١٤٦

(٤) آية ٦

(٧) آية ١٢

(١٠) آية ٢٥

(١٣) آية ٢٥

(١٦) آية ٣٤

- ﴿ قَانَتَاتٌ ﴾ ^(١) : مطيعات .
- ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٢) : الذى بينك وبينه قرابة .
- ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ ^(٣) : الذى ليس بينك وبينه قرابة .
- ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ ^(٤) : الرفيق .
- ﴿ فَنِيلاً ﴾ ^(٥) : الذى فى الشق الذى فى بطن النواة .
- ﴿ الْجِبْتِ ﴾ ^(٦) : الشُّرك .
- ﴿ نَقِيرًا ﴾ ^(٧) : النقطلة التى فى ظهر النواة .
- ﴿ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴾ ^(٨) : أهل الفقه والدين .
- ﴿ ثُبَاتٍ ﴾ ^(٩) : عَصَبًا سرايا متفرقين .
- ﴿ مُقَيَّمَاتٍ ﴾ ^(١٠) : حفيظًا .
- ﴿ أَرْكَسَهُم ﴾ ^(١١) : أوقعهم .
- ﴿ حَصَرَتْ صُدُورَهُمْ ﴾ ^(١٢) : ضاقت .
- ﴿ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ ^(١٣) : الْمُعْذِر .
- ﴿ مَرَاغِمًا ﴾ ^(١٤) : التحول من الأرض إلى الأرض .
- ﴿ وَسَعَةً ﴾ ^(١٥) : الرزق .
- ﴿ مَوْقُوتًا ﴾ ^(١٦) : مفروضا .
- ﴿ تَأْلُمُونَ ﴾ ^(١٧) : تُوجَعُونَ .
- ﴿ خَلَقَ اللَّهُ ﴾ ^(١٨) : دين الله .

(٣) آية ٣٨

(٦) آية ٥١

(٩) آية ٧١

(١٢) آية ٩٠

(١٥) آية ١٠٠

(١٨) آية ١١٩

(٢) آية ٣٨

(٥) آية ٤٩

(٨) آية ٥٩

(١١) آية ٨٨

(١٤) آية ١٠٠

(١٧) آية ١٠٤

(١) آية ٣٤

(٤) آية ٣٨

(٧) آية ٥٣

(١٠) آية ٨٥

(١٣) آية ٩٥

(١٦) آية ١٠٣

- ﴿نشوزاً﴾ ^(١) بفضاً .
 ﴿كالمعلقة﴾ ^(٢) : لاهي أيم ولاهي ذات زوج .
 ﴿وإن تلووا﴾ ^(٣) : ألسنتكم بالشهادة أو تعرضوا عنها .
 ﴿وقولهم على مرزيم بهتاناً﴾ ^(٤) : يعنى رموها بالزنا .

(المائدة)

- ﴿أوفوا بالمعقود﴾ ^(٥) : ما أحلّ وما حرّم وما فرض وما جدّ فى القرآن كله .
 ﴿يجرممنكم﴾ ^(٦) : يحمّلنكم .
 ﴿شنان﴾ ^(٧) : عداوة .
 ﴿على البرّ والتقوى﴾ ^(٨) : البرّ : ما أمرت به ، والتقوى : ما نهيت عنه .
 ﴿المنخنيقة﴾ ^(٩) : التى تخنق فتموت .
 ﴿والموقودة﴾ ^(١٠) : التى تضرب بالخشب فتموت .
 ﴿والمتردية﴾ ^(١١) : التى تتردى من الجبل .
 ﴿النطيحة﴾ ^(١٢) : الشاة التى تنطح الشاة .
 ﴿وما أكل السبع﴾ ^(١٣) : ما أخذ .
 ﴿إلا ما زكيتم﴾ ^(١٤) : ذبحتم ، وبه روح .
 ﴿بالأزلام﴾ ^(١٥) : القداح .
 ﴿غير متجانف﴾ ^(١٦) : متعدّ لأنهم

(٣) آية ١٣٥

(٦) آية ٨

(٩) آية ٣

(١٢) آية ٣

(١٥) آية ٣

(٢) آية ١٢٩

(٥) آية ١

(٨) آية ٣

(١١) آية ٣

(١٤) آية ٣

(١) آية ١٢٨

(٤) آية ١٥٦

(٧) آية ٨

(١٠) آية ٣

(١٣) آية ٣

(١٦) آية ٣

﴿ مِنْ الْجَوَارِحِ ﴾ ^(١) : الكلاب والفهود والصقور وأشباهها

﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ ^(٢) : ضواري .

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) : ذبائحهم .

﴿ فَافْرُقْ ﴾ ^(٤) : فافصل .

﴿ وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ ^(٥) : ضلاله .

﴿ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) : أميناً ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .

﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ^(٧) : سبيلاً وسنة .

﴿ أَدِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٨) : رحماء .

﴿ مَغْلُوبَةٌ ﴾ ^(٩) : يعنون : بخيلٌ أمسك ماعنده ، تعالى الله عن ذلك !

﴿ بِحَبْرَةٍ ﴾ ^(١٠) : هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس ، فإن كان ذكراً

ذبحوه فأكله الرجال ، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها ، وأما السائبة فكانوا

يسبيون من أنعامهم لأهلهم لا يركبون لها ظهراً ، ولا يتخذون لها لبناً ، ولا يحزؤون لها وبراً ،

ولا يحملون عليها شيئاً . وأما الوصيصة فالشاة إذا نتجت سبعة أبطن ، نظروا السابع ،

فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت اشترك فيه الرجال والنساء ، وإن كانت أنثى وذكراً

في بطن استحيوها وقالوا : وصالته أخته ، غرمتها علينا . وأما الحام فالفحل من الإبل

إذا ولد لولده قالوا : حتى هذا ظهره ، فلا يحملون عليه شيئاً ، ولا يحزؤون له وبراً ، ولا

يمنعونه من حمى رعى ، ولا من حوض يشرب منه ، وإن كان الحوض لغير صاحبه .

(الأنعام)

﴿ مَذَرَارًا ﴾ ^(١١) : يتبع بعضها بعضاً .

(٣) آية ٥

(٢) آية ٤

(١) آية ٤

(٦) آية ٤٨

(٥) آية ٤١

(٤) آية ٢٥

(٩) آية ٦٤

(٨) آية ٦٤

(٧) آية ٤٨

(١١) آية ٦

(١٠) آية ١٠٣

- ﴿ وَيَنَازُونَ ﴾ ^(١) : يتباعدون .
 ﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾ ^(٢) : تركوا .
 ﴿ مُبِلِسُونَ ﴾ ^(٣) : آيسون .
 ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ ^(٤) : يعدلون .
 ﴿ يُدْعَوْنَ ﴾ ^(٥) : يعبدون .
 ﴿ جَرَحْتُمُ ﴾ ^(٦) : كسبتم من الآثم .
 ﴿ يُفَرِّطُونَ ﴾ ^(٧) : يضيِّعون .
 ﴿ شَيْعَاءَ ﴾ ^(٨) : أهواء مختلفة .
 ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفَرٍّ ﴾ ^(٩) : حقيقة .
 ﴿ أَنْ تُنْسَلَ ﴾ ^(١٠) : تُفَضَّح .
 ﴿ بِأَسْطُوأَيْدِيهِمْ ﴾ ^(١١) : البسط : الضرب .
 ﴿ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ ﴾ ^(١٢) : ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل .
 ﴿ حُسْبَانًا ﴾ ^(١٣) : عدد الأيام والشهور والسنين .
 ﴿ قِفْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ ^(١٤) : قصار النخل اللاصقة عروقه بالارض .
 ﴿ وَخَرَقَوَالَهُ ﴾ ^(١٥) : تخرصوا .
 ﴿ قُبْلًا ﴾ ^(١٦) : معاينة .
 ﴿ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ ^(١٧) : ضالًّا فهديناه .
 ﴿ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ ^(١٨) : ناحيتكم .

(٣) آية ٤٤
 (٦) آية ٦٠
 (٩) آية ٦٧
 (١٢) آية ٩٥
 (١٥) آية ١٠٠
 (١٨) آية ١٤٥

(٢) آية ٤٤
 (٥) آية ٥٢
 (٨) آية ٦٥
 (١١) آية ٩٣
 (١٤) آية ٩٩
 (١٧) آية ١٢٢

(١) آية ٢٦
 (٤) آية ٤٦
 (٧) آية ٦٢
 (١٠) آية ٧٠
 (١٣) آية ٩٦
 (١٦) آية ١١١

- ﴿ وَحَرِثٌ حَجْرٌ ﴾ ^(١) : حرام .
 ﴿ حَمُولَةٌ ﴾ ^(٢) : الإبل والخيول والبغال والحمر ، وكل شيء يحمل عليه .
 ﴿ وَفَرَشًا ﴾ ^(٣) : القم .
 ﴿ مَسْفُوحًا ﴾ ^(٤) : مُهْرَاقًا .
 ﴿ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ ^(٥) : ما علق بها من الشحم .
 ﴿ الْحَوَايَا ﴾ ^(٦) : البعير .
 ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ^(٧) : الفقر .
 ﴿ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ ﴾ ^(٨) : تلاوتهم .
 ﴿ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ ^(٩) : أعرض .

(الأعراف)

- ﴿ مَذْمُومًا ﴾ ^(١٠) : مَلُومًا .
 ﴿ وَرِيشًا ﴾ ^(١١) : مَالًا .
 ﴿ حَثِيثًا ﴾ ^(١٢) : سَرِيعًا .
 ﴿ رِجْسٌ ﴾ ^(١٣) : سَخَطٌ .
 ﴿ بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾ ^(١٤) : الطريق .
 ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ ﴾ ^(١٥) : اقْضِ .
 ﴿ أَسَى ﴾ ^(١٦) : أَحْزَنُ .

(٣) آية ١٤٢

(٦) آية ١٤٦

(٩) آية ١٥٧

(١٢) آية ٥٤

(١٥) آية ٨٩

(٢) آية ١٤٢

(٥) آية ١٤٦

(٨) آية ١٥٦

(١١) آية ٣٦

(١٤) آية ٨٦

(١) آية ١٣٨

(٤) آية ١٤٥

(٧) آية ١٥١

(١٠) آية ١٨

(١٣) آية ٧١

(١٦) آية ٩٣

- ﴿ حَتَّىٰ عَمَّوَا ﴾ (١) : كَثُرُوا .
 ﴿ وَيَذَرِكَ آلَٰهَتَكَ ﴾ (٢) : يترك عبادتك .
 ﴿ الطَّوْفَانِ ﴾ (٣) : المطر .
 ﴿ مُتَبَرِّئًا ﴾ (٤) : خسران .
 ﴿ أَسْفَا ﴾ (٥) : [الأسف] : الحزين .
 ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ (٦) : إِنْ هُوَ إِلَّا عَذَابُكَ .
 ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ (٧) : حموه ووقروه .
 ﴿ ذَرَأْنَا ﴾ (٨) : خلقنا .
 ﴿ فَاَنْبَجَسْتَ ﴾ (٩) : انفجرت .
 ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ (١٠) : رفعناه .
 ﴿ كَانَتْ حَفًىٰ عَنْهَا ﴾ (١١) : لطيف بها .
 ﴿ مَسَّهْمٌ طَائِفٌ ﴾ : [الطائف] (١٢) : اللّمة .
 ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ (١٣) : لولا أحدثتها ، لولا تَلَقَّيْتَهَا فَأَنشَأْتَهَا .

* * *

(الأنفال)

- ﴿ كُلِّ بَنَانٍ ﴾ (١٤) : [البنان] : الأطراف .
 ﴿ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ (١٥) : [الفتح] : الحرج .
 ﴿ لِيُشْمِتُوكَ ﴾ (١٦) : ليوثقوك .

(٣) آية ١٣٣
 (٦) آية ١٥٥
 (٩) آية ١٦٠
 (١٢) آية ٢٠١
 (١٥) آية ١٧

(٢) آية ١٢٧
 (٥) آية ١٥١
 (٨) آية ١٧٩
 (١١) آية ١٨٧
 (١٤) آية ١٢

(١) آية ٩٥
 (٤) آية ١٣٩
 (٧) آية ١٥٧
 (١٠) آية ١٧١
 (١٣) آية ٢٠٣
 (١٦) آية ٣٠

﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ (١) : يوم بدر ، فرق الله فيه بين الحق والباطل .
 ﴿فَشَرَّدَ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (٢) : نكَّلَ بِهِم من بعدهم .
 ﴿مِنَ وَلَا يَتَّخِذُهُمْ﴾ (٣) : ميراثهم .

* * *

(سورة التوبة)

﴿يُضَاهِنُونَ﴾ (٤) : يشبهون .
 ﴿كَافَّةً﴾ (٥) : جميعاً .
 ﴿لِيُؤْاطِلُوا﴾ (٦) : يشبهوا .
 ﴿وَلَا تَفْتِنِي﴾ (٧) : ولا تحرجني .
 ﴿إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ﴾ (٨) : فتح أو شهادة .
 ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ (٩) : الغيران في الجبل .
 ﴿مُدْخَلًا﴾ (١٠) : السرب .
 ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ (١١) : يسمع من كل أحد .
 ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (١٢) : أذهب الرفق عنهم .
 ﴿وَصَلَّاتِ الرَّسُولِ﴾ (١٣) : صلوات الرسول : استغفاره .
 ﴿وَسَكَنَ لَهُمْ﴾ (١٤) : رحمة .
 ﴿رَبِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١٥) : شك .
 ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ (١٦) : يعني الموت .

٧١ آية (٣)	٥٧ آية (٢)	٤١ آية (١)
٣٧ آية (٦)	٣٦ آية (٥)	٣٠ آية (٤)
٥٧ آية (٩)	٥٢ آية (٨)	٤٩ آية (٧)
٧٣ آية (١٢)	٦١ آية (١١)	٥٧ آية (١٠)
١١٠ آية (١٥)	١٠٣ آية (١٤)	٩٩ آية (١٣)
		١١١ آية (١٦)

﴿لَأَوَاقٍ﴾ (١) : [الأَوَاقِ] : المؤمنين التَّوَابِ .
 ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ (٢) : عَصِيَّةٌ .

(يونس)

﴿أَنْ لَّهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ﴾ (٣) : سبق لهم السعادة في الذكر الأول .
 ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ (٤) : أعلمكم .
 ﴿تَرَاهُمْ﴾ (٥) : تفشاهم .
 ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ (٦) : مانع .
 ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ (٧) : تفعلون .
 ﴿وَلَا يَمْرُبُ﴾ (٨) : يغيب .

(هود)

﴿يَشْنُونَ﴾ (٩) : يكتنون .
 ﴿حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ (١٠) : يغطون رموسهم .
 ﴿لَا جَرَمَ﴾ (١١) : بلى .
 ﴿أَخْبِتُوا﴾ (١٢) : خافوا .
 ﴿فَارَ التَّنُورُ﴾ (١٣) : نبع .
 ﴿أَقْلَمِي﴾ (١٤) : اسكني .
 ﴿كَأَنْ لَمْ يَفْنُوا﴾ (١٥) : [يفنوا] : يعيشوا .

٢ (٣) آية	١١٢ (٢) آية	١١٤ (١) آية
٢٧ (٦) آية	٢٧ (٥) آية	١٦ (٤) آية
٥ (٩) آية	٦١ (٨) آية	٦١ (٧) آية
٢٣ (١٢) آية	٢٢ (١١) آية	٥ (١٠) آية
٦٨ (١٥) آية	٤٤ (١٤) آية	٤٠ (١٣) آية

- ﴿ حَنِیْذٍ ﴾ ^(۱) : نضیج .
 ﴿ سِیِّئِهِمْ ﴾ ^(۲) : ساء ظَنَّا بِقَوْمِهِ
 ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ ^(۳) : بأُضِیَافِهِ .
 ﴿ عَصِیْبٌ ﴾ ^(۴) : شدید .
 ﴿ یُہْرَعُونَ إِلَیْهِ ﴾ ^(۵) : یُسْرِعُونَ .
 ﴿ بِقَطْعٍ ﴾ ^(۶) : سواد .
 ﴿ مُسَوِّمَةٌ ﴾ ^(۷) : مُعَلِّمَةٌ .
 ﴿ عَلٰی مَكَاتِفِکُمْ ﴾ ^(۸) : ناحیتِکُم
 ﴿ اِنَّ اَخَذَهُ الْاِلَیْمُ ﴾ ^(۹) : موجع
 ﴿ زَفِیْرٌ ﴾ ^(۱۰) : صوتٌ شدید .
 ﴿ وَشَہِیقٌ ﴾ ^(۱۱) : صوتٌ ضعیف
 ﴿ غَیْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ ^(۱۲) : غیر منقطع .
 ﴿ وَلَا تَرَوْا کُنُوزًا ﴾ ^(۱۳) : تدهنوا

(یوسف)

- ﴿ شَفَعْنَا ﴾ ^(۱۴) : غَلَبْنَا .
 ﴿ مُتَّكًا ﴾ ^(۱۵) : مجلساً .
 ﴿ اُكْبِرَتْ لَهُ ﴾ ^(۱۶) : اَعْظَمَتْهُ .
 ﴿ فَاسْتَقْصَمَ ﴾ ^(۱۷) : اَمْتَنَعَ .

- (۳) آیه ۷۷
 (۶) آیه ۸۱
 (۹) آیه ۱۰۲
 (۱۲) آیه ۱۰۸
 (۱۵) آیه ۳۱

- (۲) آیه ۷۷
 (۵) آیه ۷۸
 (۸) آیه ۹۳
 (۱۱) آیه ۱۰۶
 (۱۴) آیه ۳۰
 (۱۷) آیه ۳۲

- (۱) آیه ۶۹
 (۴) آیه ۷۷
 (۷) آیه ۸۳
 (۱۰) آیه ۱۰۶
 (۱۳) آیه ۱۱۳
 (۱۶) آیه ۳۱

- ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ^(١) : حين .
 ﴿ مِمَّا تُخْصِنُونَ ﴾ ^(٢) : تخزنون .
 ﴿ يَفْصِرُونَ ﴾ ^(٣) : الأعياب والدهن .
 ﴿ حَصَّحَصَّ ﴾ ^(٤) : تبين .
 ﴿ زَعِيمٌ ﴾ ^(٥) : كفيل .
 ﴿ فِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ ^(٦) : خطئك .

* * *

(الرعد)

- ﴿ صِنَوَانٌ ﴾ ^(٧) : مجتمع .
 ﴿ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ^(٨) : داع .
 ﴿ مُمَقَّبَاتٌ ﴾ ^(٩) : الملائكة يحفظونه من أمر الله بإذنه .
 ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ ^(١٠) : على قدر طاقتها .
 ﴿ لَهُمْ سُوءُ الدَارِ ﴾ ^(١١) : سوء العاقبة .
 ﴿ طَوْنَى لَهُمْ ﴾ ^(١٢) : فرح وقرّة عين .
 ﴿ أَقْلَمَ يَنَاسٍ ﴾ ^(١٣) : يعلم .

* * *

(إبراهيم)

- ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ ^(١٤) : ناظرين .
 ﴿ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ ^(١٥) : في وثاق .

(٣) آية ٤٩
 (٦) آية ٩٥
 (٩) آية ٢١
 (١٢) آية ٢٩
 (١٥) آية ٤٩

(٢) آية ٤٨
 (٥) آية ٢٧
 (٨) آية ٧
 (١١) آية ٢١
 (١٤) آية ٤٣

(١) آية ٤٥
 (٤) آية ٥١
 (٧) آية ٤
 (١٠) آية ١٧
 (١٣) آية ٣١

﴿ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ ^(١) : النحاس المذاب .

* * *

(الحجر)

﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) : يتنصرون .

﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٣) : موحددين .

﴿ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٤) : أُمَم ..

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ موزُونٍ ﴾ ^(٥) : معلوم .

﴿ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ ﴾ ^(٦) : طين رطب .

﴿ أَغْوَيْتَنِي ﴾ ^(٧) : أضللتني .

﴿ فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(٨) : فامضه .

* * *

(النحل)

﴿ بِالرَّوحِ ﴾ ^(٩) : بالوحي .

﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ ^(١٠) : الثياب .

﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ ^(١١) : الأهواء المختلفة .

﴿ نُسَيْمُونَ ﴾ ^(١٢) : ترعون .

﴿ مَوَاحِرُ ﴾ ^(١٣) : جوارى .

﴿ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ ^(١٤) : تخالفون .

﴿ يَتَفَيَّأُ ﴾ ^(١٥) : تتميل .

(٣) آية ٢

(٦) آية ٢٦

(٩) آية ٢

(١٢) آية ١٠

(١٥) آية ٤٨

(٢) آية ٢

(٥) آية ١٩

(٨) آية ٩٤

(١١) آية ٩

(١٤) آية ٢٧

(١) آية ٥٠

(٤) آية ١٠

(٧) آية ٣٩

(١٠) آية ٥

(١٣) آية ٤٨

﴿ حَفَدَةً ﴾ ^(١) : الْأَصْهَار .

﴿ عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾ ^(٢) : الزَّانَا .

﴿ يَعْظِيكُمْ ﴾ ^(٣) : يَوْصِيكُمْ .

﴿ هِيَ أَرْبَى ﴾ ^(٤) : أ كَثَر .

* * *

(الْإِسْرَاء)

﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ ^(٥) : أَعْلَمْنَا .

﴿ فَجَاسُوا ﴾ ^(٦) : فَشَّوْا .

﴿ حَصِيرًا ﴾ ^(٧) : سَجْنًا .

﴿ فَضَلَّلْنَاهُ ﴾ ^(٨) : بَيَّنَّاهُ .

﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ ^(٩) : سَلْطَنًا شَرَارَهَا .

﴿ دَمَّرْنَا ﴾ ^(١٠) : أَهْلَكْنَا .

﴿ وَفَضَى رَبُّكَ ﴾ ^(١١) : أَمَرَ .

﴿ وَلَا تَقِفْ ﴾ ^(١٢) : وَلَا تَقُل .

﴿ رُفَاتًا ﴾ ^(١٣) : غِبَارًا .

﴿ فَسَيُفْضَوْنَ ﴾ ^(١٤) : يَهْرَوْنَ .

﴿ بِمُحْمَدِهِ ﴾ ^(١٥) : بِأَمْرِهِ .

﴿ لَأَحْتَفِكَنَّ ﴾ ^(١٦) : لَأَسْتَوْلِينَ .

(٣) آية ٩٠

(٦) آية ٥

(٩) آية ١٦

(١٢) آية ٣٦

(١٥) آية ٤٤

(٢) آية ٩٠

(٥) آية ٤

(٨) آية ١٢

(١١) آية ٢٣

(١٤) آية ٥١

(١) آية ٧٢

(٤) آية ٩٢

(٧) آية ٨

(١٠) آية ١٦

(١٣) آية ٣٦

(١٦) آية ٦٢

﴿يُزَجَّى﴾ ^(١) : يجرى .

﴿فَرَقْنَاهُ﴾ ^(٢) : فصلناه .

(الكهف)

﴿عَوَجًا﴾ ^(٣) : ملتبسا .

﴿قِيَمًا﴾ ^(٤) : عدلا .

﴿وَالرَّقِيمِ﴾ ^(٥) : الكتاب .

﴿تَزَاوَرُ﴾ ^(٦) : تميل .

﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ ^(٧) : تذرهم .

﴿بِالْصِّيدِ﴾ ^(٨) : بالفناء .

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ^(٩) : لا تتعداهم إلى غيرهم .

﴿كَالْمُهْلِ﴾ ^(١٠) : عكر الزيت .

﴿الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ﴾ ^(١١) : ذكر الله .

﴿مَوْثِقًا﴾ ^(١٢) : مهالكا .

﴿مَوْثِلًا﴾ ^(١٣) : ملجأ .

﴿حُقُبًا﴾ ^(١٤) : دهرًا .

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ^(١٥) : علما .

﴿فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ ^(١٦) : حارة .

﴿زُبُرَ الْحَدِيدِ﴾ ^(١٧) : قطع الحديد .

(٣) آية ١

(٦) آية ١٧

(٩) آية ٢٨

(١٢) آية ٥٢

(١٥) آية ٨٤

(٢) آية ١٠٦

(٥) آية ٩

(٨) آية ١٧

(١١) آية ٦

(١٤) آية ٦٠

(١٧) آية ٩٦

(١) آية ٦٦

(٤) آية ٢

(٧) آية ١٧

(١٠) آية ٢٩

(١٣) آية ٥٨

(١٦) آية ٨٦

﴿ بَيْنَ الصَّدَقِينَ ﴾ ^(١) : الجبلين .

(مريم)

﴿ سَوِيًّا ﴾ ^(٢) من غير خرس .

﴿ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٣) : رحمة من عندنا .

﴿ سَرِيًّا ﴾ ^(٤) : هو عيسى .

﴿ جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ ^(٥) : عصيًا .

﴿ وَاجْهَرْنِي ﴾ ^(٦) : اجتنبي .

﴿ بِي حَنِيئًا ﴾ ^(٧) : لطيفًا .

﴿ لِسَانِ صَدَقٍ عَلِيًّا ﴾ ^(٨) : الثناء الحسن .

﴿ غِيًّا ﴾ ^(٩) : خسرانا .

﴿ لَعُؤًا ﴾ ^(١٠) : باطلاً .

﴿ أَنَانَا ﴾ ^(١١) : مالا .

﴿ ضِدًّا ﴾ ^(١٢) : أعوانًا .

﴿ نَوَزُهُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ^(١٣) : تفويهم إغواء .

﴿ نَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ ^(١٤) : أنفاسهم التي يشتفّسون في الدنيا .

﴿ وَرِدًّا ﴾ ^(١٥) : عطاشًا .

﴿ عَهْدًا ﴾ ^(١٦) : شهادة ألا إله إلا الله .

﴿ إِذَا ﴾ ^(١٧) : عظيمًا .

﴿ هَدًّا ﴾ ^(١٨) : هدمًا .

(٣) آية ١٣

(٦) آية ٤٦

(٩) آية ٢٩

(١٢) آية ٨٢

(١٥) آية ٨٦

(١٨) آية ٩٠

(٢) آية ١٠

(٥) آية ٣٢

(٨) آية ٥٠

(١١) آية ٧٤

(١٤) آية ٨٤

(١٧) آية ٨٩

(١) آية ٩٦

(٤) آية ٢٤

(٧) آية ٤٧

(١٠) آية ٦٢

(١٣) آية ٨٣

(١٦) آية ٧٨

﴿رِكْزاً﴾ ^(١) : صوتاً .

* * *

(طه)

﴿بالوادِ القدّس﴾ ^(٢) : المبارك ، واسمه طوى .

﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ ^(٣) : لا أظهِرُ عايناً أحداً غيرى .

﴿سِيرَتِهَا﴾ ^(٤) : حالتها .

﴿وَفَتْنَاكَ فِتُونًا﴾ ^(٥) : اختبرناك اختباراً .

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ ^(٦) : لا تبطنأ .

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ^(٧) : خلق لكل شئ روحه ، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه .

﴿لَا يَبْضُلُ﴾ ^(٨) : لا يخطئ .

﴿تَارَةً﴾ ^(٩) : مرّة .

﴿فَيَسْحَتُكُمْ﴾ ^(١٠) : فيها لكم .

﴿وَالسَّلَوَى﴾ ^(١١) : طائر شبيه بالسّمانى .

﴿وَلَا تَطْفُوا﴾ ^(١٢) : لا تظلموا .

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ ^(١٣) : شقى .

﴿بِمَلَكِنَا﴾ ^(١٤) : بأمرنا .

﴿ظَلَّتْ عَلَيْهِ﴾ ^(١٥) : أقمت .

﴿لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾ ^(١٦) : لنذريه في البحر .

(٣) آية ١٥

(٦) آية ٤٢

(٩) آية ٥٥

(١٢) آية ٨١

(١٥) آية ٨٧

(٢) آية ١٢

(٥) آية ٤٠

(٨) آية ٥٢

(١١) آية ٨٠

(١٤) آية ٨٧

(١) آية ٩٨

(٤) آية ٢١

(٧) آية ٥٠

(١٠) آية ٦١

(١٣) آية ٨١

(١٦) آية ٩٧

- ﴿سَاءَ﴾ ^(١) : بُئِسَ
 ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ ^(٢) : يَتَسَارَرُونَ .
 ﴿قَاعًا﴾ ^(٣) : مُسْتَوِيًا .
 ﴿صَفْصَفًا﴾ ^(٤) : لَانِبَاتٍ فِيهِ .
 ﴿عَوَجًا﴾ ^(٥) : وَادِيًا .
 ﴿أَمْتًا﴾ ^(٦) : رَابِيَةً .
 ﴿وَحْشَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ ^(٧) : سَكَتَتْ .
 ﴿هَمْسًا﴾ ^(٨) : الصَّوْتِ الْخَفِيِّ .
 ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ ^(٩) : ذَلَّتْ .
 ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا﴾ ^(١٠) : أَنْ يُظْلَمَ فَيَزِيدَ فِي سَيِّئَاتِهِ .

* * *

(الْأَنْبِيَاءُ)

- ﴿فَلَكَ﴾ ^(١١) : دُورَانِ .
 ﴿يَسْبَحُونَ﴾ ^(١٢) : يَجْرُونَ .
 ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ^(١٣) : نَقْصُصُ أَهْلِهَا وَبَرَكَتِهَا .
 ﴿جُذَاذًا﴾ ^(١٤) : حَطَامًا .
 ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ^(١٥) : أَنْ لَنْ يَأْخُذَهُ الْعَذَابُ الَّذِي أَصَابَهُ .
 ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ ^(١٦) : شَرْفٍ .

١٠٦ آية (٣)

١٠٧ آية (٦)

١١١ آية (٩)

٣٣ آية (١٢)

٨٧ آية (١)

١٣٠ آية (٢)

١٠٧ آية (٥)

١٠٨ آية (٨)

٣٣ آية (١١)

٥٨ آية (١٤)

٩٦ آية (١٦)

١٠١ آية (١)

١٠٦ آية (٤)

١٠٨ آية (٧)

١١٢ آية (١٠)

٤٤ آية (١٣)

٩٦ آية (١٥)

﴿ يَسْلُون ﴾ ^(١) : يَقْبَلُونَ .

﴿ حَصَبَ جَهَنَّمَ ﴾ ^(٢) : شَجَر .

﴿ كُتِبَ السَّجِلَ لِلْكِتَاب ﴾ ^(٣) : كُتِبَ الصَّحِيفَةُ عَلَى الْكِتَابِ .

* * *

(الْحِج)

﴿ يَرْجِي ﴾ ^(٤) : حَسَن .

﴿ ثَانِي عِظْفِهِ ﴾ ^(٥) : مُسْتَكْبِرًا فِي نَفْسِهِ .

﴿ وَهَدُوا ﴾ ^(٦) : أَلْهِمُوا .

﴿ تَفْشَهُمْ ﴾ ^(٧) : وَضَعَ إِحْرَامَهُمْ مِنْ حُقِّ الرَّأْسِ وَابَسَ الثِّيَابَ وَقَصَّ الْأُظْفَارَ

وَنَحَوِ ذَاكَ .

﴿ مَنَّكَ ﴾ ^(٨) : عَيْدًا .

﴿ الْقَانِع ﴾ ^(٩) : الْمُتَعَفِّف .

﴿ الْمُعْتَرَّ ﴾ ^(١٠) : السَّائِل .

﴿ إِذَا تَمَى ﴾ ^(١١) : حَدَثَ .

﴿ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ^(١٢) : حَدِيثِهِ .

﴿ يَبْطُون ﴾ ^(١٣) : يَبْطِشُونَ .

* * *

(الْوُثْنُونَ)

﴿ خَاشِعُونَ ﴾ ^(١٤) : خَائِفُونَ سَا كُنُونَ .

(٣) آية ٥

(٦) آية ٣٩

(٩) آية ٣٦

(١٣) آية ٨٢

(٢) آية ١٠٤

(٥) آية ٢٤

(٨) آية ٢٦

(١٢) آية ٢٥

(١) آية ٩٨

(٤) آية ٩

(٧) آية ٣٤

(١١) آية ٥٢

(١٤) آية ٢٧

- ﴿ تَنْبِتُ بِالذُّهْنِ ﴾ ^(١) : هو الزيت .
 ﴿ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ﴾ ^(٢) : بعيد بعيد .
 ﴿ تَتَرَى ﴾ ^(٣) : يَنْبِعُ بَعْضًا بَعْضًا .
 ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ ^(٤) : خَائِفِينَ .
 ﴿ يَجَارُونَ ﴾ ^(٥) : يَسْتَغِيثُونَ .
 ﴿ تَنْكِصُونَ ﴾ ^(٦) : تَذِرُونَ .
 ﴿ سَامِعًا تَهَجَّرُونَ ﴾ ^(٧) : تَسْمَعُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَتَقُولُونَ هَجْرًا .
 ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كِبُورٌ ﴾ ^(٨) : عَنِ الْحَقِّ عَادِلُونَ .
 ﴿ تُسَحَّرُونَ ﴾ ^(٩) : تَكْذِبُونَ .
 ﴿ كَالْحُونَ ﴾ ^(١٠) : عَابِسُونَ .

النور

- ﴿ يَرْمُونَ اغْصَنَاتٍ ﴾ ^(١١) : الحرائر .
 ﴿ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ ﴾ ^(١٢) : مَا اهْتَدَى .
 ﴿ وَلَا يَأْتِلِ ﴾ ^(١٣) : لَا يَقْسِمُ .
 ﴿ دِينَهُمْ ﴾ ^(١٤) : حَسَابُهُمْ .
 ﴿ تَسْتَأْذِنُوا ﴾ ^(١٥) : تَسْلُؤُوا .
 ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ ^(١٦) : لَا تُبْدِي خِلَافَهَا وَمَعْصِدِيهَا وَنَحْوَهَا
 وَشَعْرَهَا إِلَّا لَزَوْجِهَا .

(٣) آية ٤٤

(٦) آية ٦٦

(٩) آية ٨٩

(١٢) آية ٢١

(١٥) آية ٢٧

(٢) آية ٣٦

(٥) آية ٦٤

(٨) آية ٧٤

(١١) آية ٤

(١٤) آية ٢٥

(١) آية ٢٨

(٤) آية ٦٠

(٧) آية ٦٧

(١٠) آية ١٠٤

(١٣) آية ٢٢

(١٦) آية ٣١

- ﴿ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ﴾ ^(١) : المغفل الذى لا يشتهى النساء .
 ﴿ إِنْ عَلِمْتَ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ^(٢) : إِنْ عَلِمْتَ لَهُمْ حِيلَةً .
 ﴿ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) : ضَعُوا عَنْهُمْ مِنْ مَكَاتِبِهِمْ .
 ﴿ فَتَيَاتِكُمْ ﴾ ^(٤) : إِمَائِكُمْ .
 ﴿ الْبَغَاءُ ﴾ ^(٥) : الزَّوْنَا .
 ﴿ نُورِ السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٦) : هَادِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ .
 ﴿ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ ^(٧) : هِدَاةٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .
 ﴿ كَشَاةٍ ﴾ ^(٨) : مَوْضِعُ الْفَتِيلَةِ .
 ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ ^(٩) : الْمَسَاجِدِ .
 ﴿ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ ^(١٠) : تَكْرَمَ .
 ﴿ وَيَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(١١) : يَتْلَى فِيهَا كِتَابُ .
 ﴿ يَسْبَحُ ﴾ ^(١٢) : يُصَلِّي .
 ﴿ بِالْعُدُوِّ ﴾ ^(١٣) : صَلَاةُ الْعِدَاءِ .
 ﴿ وَالْأَصَالِ ﴾ ^(١٤) : صَلَاةُ الْعَصْرِ .
 ﴿ بِقِيَمَةٍ ﴾ ^(١٥) : أَرْضُ مُسْتَوِيَةٍ .
 ﴿ تَحِيَّةٍ ﴾ ^(١٦) : [التَّحِيَّةُ] السَّلَامُ .

* * *

(الْفَرْقَانِ)

﴿ ثُبُورًا ﴾ ^(١٧) : وَيَلًا .

(٣) آيَةُ ٣٣
 (٦) آيَةُ ٣٥
 (٩) آيَةُ ٣٦
 (١٢) آيَةُ ٣٦
 (١٥) آيَةُ ٣٩

(٢) آيَةُ ٣٣
 (٥) آيَةُ ٣٣
 (٨) آيَةُ ٣٥
 (١١) آيَةُ ٣٦
 (١٤) آيَةُ ٣٦
 (١٧) آيَةُ ٤٣

(١) آيَةُ ٣١
 (٤) آيَةُ ٣٣
 (٧) آيَةُ ٣٥
 (١٠) آيَةُ ٣٦
 (١٣) آيَةُ ٣٦
 (١٦) آيَةُ ٦١

- ﴿بُورًا﴾^(١) : هَلَكِي .
 ﴿هَبَاءٌ مَّنْثُورًا﴾^(٢) : الماء المِهْرَاقُ .
 ﴿سَاكِنًا﴾^(٣) : دَائِمًا .
 ﴿قَبْضًا سَيْرًا﴾^(٤) : سَرِيعًا .
 ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾^(٥) : مَن فَاتَهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَعْمَلَهُ، أَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ .
 ﴿عِبَادَ الرَّحْمَنِ﴾^(٦) : الْمُؤْمِنُونَ .
 ﴿هُونًا﴾^(٧) : بِالطَّاعَةِ وَالْعِفَافِ وَالتَّوَاضُعِ .
 ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٨) : إِيْمَانُكُمْ .

* * *

(الشعراء)

- ﴿كَالطُّودِ﴾^(٩) : كَالْجَبَلِ .
 ﴿فَكُبْكِبُوا﴾^(١٠) : جَعِمُوا .
 ﴿رَبِيعٍ﴾^(١١) : شَرَفٍ .
 ﴿لَعَلَّكُمْ﴾^(١٢) : كَأَنَّكُمْ .
 ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣) : دِينَ الْأَوَّلِينَ .
 ﴿هَضِيمٍ﴾^(١٤) : مَعْشَبَةٍ .
 ﴿فَارِهِينَ﴾^(١٥) : حَاقِظِينَ .
 ﴿الْأَيْكَةِ﴾^(١٦) : الْفَيْضَةِ .
 ﴿وَالْجِبِلَّةِ﴾^(١٧) : الْخُلُقِ .

(٣) آية ٤٥
 (٦) آية ٦٣
 (٩) آية ٦٣
 (١٢) آية ١٢٩
 (١٥) آية ١٤٩

(٢) آية ٢٣
 (٥) آية ٦٢
 (٨) آية ٧٧
 (١١) آية ١٢٨
 (١٤) آية ١٤٨
 (١٧) آية ١٨٤

(١) آية ١٨
 (٤) آية ٤٦
 (٧) آية ٦٣
 (١٠) آية ٩٤
 (١٣) آية ١٣٧
 (١٦) آية ١٧٦

﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ^(١) : فِي كُلِّ لَفْوٍ يَخْوضُونَ .

(النمل)

﴿ بَوْرِكَ ﴾ ^(٢) : قُدَّس .

(أَوْزَعْنِي) ^(٣) : اجْعَلْنِي .

﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ ^(٤) : يَعْلَمُ كُلَّ خَفِيَّةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

﴿ طَائِرُكُمْ ﴾ ^(٥) : مَصَائِبُكُمْ .

﴿ إِذَا رَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) : غَابَ عَلَيْهِمْ .

﴿ رَدِفَ ﴾ ^(٧) : قَرَّبَ .

﴿ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٨) : يُدْفَعُونَ .

﴿ دَاخِرِينَ ﴾ ^(٩) : صَاغِرِينَ .

﴿ جَامِدَةً ﴾ ^(١٠) : قَائِمَةً .

﴿ أَنْقَنَ ﴾ ^(١١) أَحْكَمَ

(القصص)

﴿ لَتَنْوَهُ ﴾ ^(١٢) : تَنْقُلُ

(النمل)

﴿ وَتَخْلُقُونَ ﴾ ^(١٣) : تَصْنَعُونَ .

﴿ إِنْكَارًا ﴾ ^(١٤) : كَذِبًا .

(٣) آيَة ١٩

(٦) آيَة ٦٦

(٩) آيَة ٨٧

(١٢) آيَة ٧٦

(٢) آيَة ٨

(٥) آيَة ٤٧

(٨) آيَة ٨٣

(١١) آيَة ٨٨

(١٥) آيَة ١٧

(١) آيَة ٢٢٥

(٤) آيَة ٢٥

(٧) آيَة ٧٢

(١٠) آيَة ٨٨

(١٣) آيَة ١٧

(الروم)

﴿أَذْنَى الْأَرْضِ﴾ ^(١) : طرف الشام .

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ^(٢) : أيسر .

﴿بَصَدَّعُونَ﴾ ^(٣) : يفترقون .

* * *

(لقمان)

﴿وَلَا تَصُمْرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ ^(٤) : لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم
بوجهك إذا كلوك .

﴿الغُرُورُ﴾ ^(٥) : الشيطان .

* * *

(السجدة)

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ ^(٦) : تركناكم .

﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى﴾ ^(٧) : مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها .

* * *

(الأحزاب)

﴿سَلَقُواكُمْ﴾ ^(٨) : استقبلوكم .

﴿تَرْجِي﴾ ^(٩) : تؤخر .

﴿لَنَغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ ^(١٠) : لنسلطنك عليهم .

﴿الْأَمَانَةُ﴾ ^(١١) : الفرائض .

﴿جَهْلًا﴾ ^(١٢) : غرًا بأمر الله .

(٣) آية ٤٣

(٦) آية ١٤

(٩) آية ٥١

(١٢) آية ٧٢

(٢) آية ٢٧

(٥) آية ٣٣

(٨) آية ١٩

(١١) آية ٧٢

(١) آية ٢

(٤) آية ١٨

(٧) آية ١٢

(١٠) آية ٦٠

(سبأ)

- ﴿ إِذَا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ ^(١) : الْأَرْضُ .
 ﴿ مِنْسَاتُهُ ﴾ ^(٢) : عَصَاهُ .
 ﴿ سَبِيلَ الْعَرِمِ ﴾ ^(٣) : الشَّدِيدُ .
 ﴿ حَظِيءٍ ﴾ ^(٤) : الْأَرَاكِ .
 ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ ﴾ ^(٥) : جُلِّيَ .
 ﴿ الْفَتْحَاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٦) : الْقَاضِي .
 ﴿ فَلَا فُتُورَ ﴾ ^(٧) : فَلَا نَجَاةَ .
 ﴿ وَأَتَى لَهُمُ التَّنَافُشُ ﴾ ^(٨) : فَكَيْفَ لَهُمُ بِالرَّدِّ .

* * *

(فاطر)

- ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ﴾ ^(٩) : أَدَاءُ الْفَرَائِضِ .
 ﴿ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ^(١٠) : الْجِلْدُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى ظَهْرِ النَّوَاةِ .
 ﴿ مِنْ لَفُوفٍ ﴾ ^(١١) : إِعْيَاءٍ .

* * *

(يس)

- ﴿ يَا حَسْرَةَ ﴾ ^(١٢) : وَيْلَ .
 ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ^(١٣) : أَصْلُ الْمَذْقِ الْعَتِيقِ .

(٣) آية ١٦

(٦) آية ٢٧

(٩) آية ١٠

(١٢) آية ٣١

(٢) آية ١٤

(٥) آية ٢٣

(٨) آية ٥٢

(١١) آية ٣٥

(١) آية ١٤

(٤) آية ١٦

(٧) آية ٥١

(١٠) آية ١٣

(١٣) آية ٣٩

﴿ الْمَشْحُونِ ﴾ ^(١) : المتلى .
 ﴿ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ ^(٢) : [الأجداث] : القُبور .
 ﴿ فَاكْهُونِ ﴾ ^(٣) : فرحون .

* * *
 (الصافات)

﴿ فَاهْدُوهُمْ ﴾ ^(٤) : وجهوهم .
 ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ ^(٥) : صداغ .
 ﴿ بَيِّضٌ مَكْنُونٌ ﴾ ^(٦) : اللؤلؤ المكنون .
 ﴿ سِوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ ^(٧) : وسط الجحيم .
 ﴿ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ﴾ ^(٨) : وجدوا .
 ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ^(٩) : لسان صدق الأنبياء .
 ﴿ مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ ^(١٠) : أهل دينه .
 ﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى ﴾ ^(١١) : العمل .
 ﴿ نَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ^(١٢) : صرعه .
 ﴿ فَتَبَدَّأَهُ ﴾ ^(١٣) : ألقيناه .
 ﴿ بِالْعُرَاءِ ﴾ ^(١٤) : بالساحل .
 ﴿ بِفَاتِنِينَ ﴾ ^(١٥) : مُضِلِّينَ .

* * *
 (ص)

﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ^(١٦) : ليس حين فرار .

(٣) آية ٥٥
 (٦) آية ٤٩
 (٩) آية ٧٨
 (١٢) آية ١٠٣
 (١٦) آية ٦٢

(٢) آية ٥١
 (٥) آية ٤٨
 (٨) آية ٦٩
 (١١) آية ١٠٢
 (١٤) آية ١٤٥

(١) آية ٤١
 (٤) آية ٢٣
 (٧) آية ٥٥
 (١٠) آية ٨٣
 (١٣) آية ١٤٥
 (١٦) آية ٣

- ﴿ اِخْتَلَاقٌ ﴾ ^(١) : تخريص .
 ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ ^(٢) : السماء .
 ﴿ مِنْ قَوَاقٍ ﴾ ^(٣) : تردد .
 ﴿ عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا ﴾ ^(٤) : العذاب .
 ﴿ وَطَفِقَ مَسْحًا ﴾ ^(٥) : جعل يمسح .
 ﴿ جَسَدًا ﴾ ^(٦) : شيطانا .
 ﴿ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٧) : مطيعة له حيث أراد .
 ﴿ ضِفْنًا ﴾ ^(٨) : حزمة .
 ﴿ أُولَى الْأَيْدَى ﴾ ^(٩) : القوة .
 ﴿ وَالْأَبْصَارِ ﴾ ^(١٠) : النقه في الدين .
 ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ ^(١١) : عن غير أزواجهن .
 ﴿ أَتْرَابَ ﴾ ^(١٢) : مستويات .
 ﴿ غَسَّاقٌ ﴾ ^(١٣) : الزمهرير .
 ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ ^(١٤) : ألوان من العذاب .

* * *

(الزمر)

- ﴿ يُسْكَوِّرُ اللَّيْلَ ﴾ ^(١٥) : يحمل .
 ﴿ لِمَنِ السَّاعِرِينَ ﴾ ^(١٦) : المحوفين .

(٢) آية ١٥
 (٦) آية ٣٤
 (٩) آية ٤٥
 (١٢) آية ٥٢
 (١٥) آية ٥
 (٣) — الإنشقاق ج ٢)

(٢) آية ١٠
 (٥) آية ٣٣
 (٨) آية ٤٤
 (١١) آية ٥٢
 (١٤) آية ٥٨

(١) آية ٧
 (٤) آية ١٦
 (٧) آية ٣٦
 (١٠) آية ٤٥
 (١٣) آية ٥٧
 (١٦) آية ٥٦

﴿ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) : المهتدين .

* * *

(غافر)

﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ^(٢) : السعة والغنى .

﴿ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ ^(٣) : حال .

﴿ فِي تَبَابٍ ﴾ ^(٤) : خسران .

﴿ ادْعُونِي ﴾ ^(٥) : وحدوني .

* * *

(فصلت)

﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ ^(٦) : بيناهم .

* * *

(الشورى)

﴿ رَوَّاءَ كَيْدٍ ﴾ ^(٧) : وقوفاً .

﴿ أَوْ يُوقِنَ ﴾ ^(٨) : يهلكهن .

* * *

(الزخرف)

﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ ﴾ ^(٩) : مطيقين .

﴿ مَطَارِجَ ﴾ ^(١٠) : الدَّرَج .

﴿ وَزَخْرَفًا ﴾ ^(١١) : الذهب .

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ ﴾ ^(١٢) : شرف .

(٣) آية ٣١

(٦) آية ١٧

(٩) آية ١٣

(١٢) آية ٤٤

(٢) آية ٣

(٥) آية ٦٠

(٨) آية ٣٤

(١١) آية ٣٥

(١) آية ٥٨

(٤) آية ٣٧

(٧) آية ٣٣

(١٠) آية ٣٣

﴿ تَحْبِرُونَ ﴾ ^(١) : تَكْرُمُونَ .

* * *

(الدخان)

﴿ وَأَرْزُكِ الْبَحْرَ رَهَوْاً ﴾ ^(٢) : سَمْتاً .

* * *

(الجاثية)

﴿ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ ^(٣) : فِي سَابِقِ عِلْمِهِ .

* * *

(الأحقاف)

﴿ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٤) : لَمْ نَمَكِّنْكُمْ فِيهِ .

* * *

(القتال)

﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسَنِ ﴾ ^(٥) : مُتَقَيَّرٍ

* * *

(الحجرات)

﴿ لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٦) : لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ^(٧) : هُوَ أَنْ تَتَّبِعَ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِ .

* * *

(ق)

﴿ الْمَجِيد ﴾ ^(٨) : الْكَرِيم .

﴿ مَرِيحٍ ﴾ ^(٩) : مُخْتَلَفٍ .

(٣) آيَةُ ٢٣

(٦) آيَةُ ١

(٩) آيَةُ ٥

(٢) آيَةُ ٢٤

(٥) آيَةُ ١٥

(٨) آيَةُ ١

(١) آيَةُ ٧٠

(٤) آيَةُ ٢٦

(٧) آيَةُ ١٢

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾^(١) : طوال .

﴿فِي لَبْسٍ﴾^(٢) : شك .

﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣) : [الوريد] : عرق العنق .

* * *

(الذاريات)

﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾^(٤) : يعنى المرتابون .

﴿فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ﴾^(٥) : فى ضلالتهم يتأدون .

﴿يُفْتَنُونَ﴾^(٦) : يعدَّبون .

﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٧) : ينامون .

﴿فِي صَرَّةٍ﴾^(٨) : صيحة .

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾^(٩) : لطمت .

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾^(١٠) : بقوته .

﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(١١) : بقوة .

﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١٢) : الشديد .

﴿ذُنُوبًا﴾^(١٣) : دلوًا .

* * *

(الطور)

﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾^(١٤) : الموقد .

﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾^(١٥) : تمحرك .

(٣) آية ١٦

(٦) آية ١٣

(٩) آية ٢٩

(١٢) آية ٥٨

(١٥) آية ٩

(٢) آية ١٥

(٥) آية ١١

(٨) آية ٢٩

(١١) آية ٤٧

(١٤) آية ٦

(١) آية ١٠

(٤) آية ١٠

(٧) آية ١٧

(١٠) آية ٣٩

(١٣) آية ٥٩

- ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ ^(١) : يدفعون .
 ﴿فَاكِهِينَ﴾ ^(٢) : مُعْجِبِينَ .
 ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ﴾ ^(٣) : مَا نَقَضْنَاهُمْ .
 ﴿وَلَا تَأْنِيهِمْ﴾ ^(٤) : كَذِب .
 ﴿رَبِّ النَّونِ﴾ ^(٥) : [النون] : الموت .
 ﴿الْمُسْتَطْرُونَ﴾ ^(٦) : السَّاطُونَ .

* * *

(النجم)

- ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ^(٧) : منظر حسن .
 ﴿أَغْنَىٰ وَاقْتَىٰ﴾ ^(٨) : أعطى وأرضى .
 ﴿الْأَرْزَاقُ﴾ ^(٩) : من أسماء يوم القيامة .
 ﴿سَامِدُونَ﴾ ^(١٠) : لاهون .

* * *

(الرحمن)

- ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ ^(١١) : النجم ما ينبسط على الأرض، والشجر ما ينبت على ساق .
 ﴿لِلْأَنَامِ﴾ ^(١٢) : الْخَلْقِ .
 ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ ^(١٣) : القتب .
 ﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ ^(١٤) : خضرة الزرع .
 ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا﴾ ^(١٥) : بِأَيِّ نِعْمَةِ اللَّهِ .

(٣) آية ٢١

(٦) آية ٣٧

(٩) آية ٥٧

(١٢) آية ١٠

(١٥) آية ١٣

(٢) آية ١٨

(٥) آية ٣٠

(٨) آية ٤٨

(١١) آية ٦

(١٤) آية ١٢

(١) آية ١٣

(٤) آية ٢٣

(٧) آية ٦

(١٠) آية ٦١

(١٣) آية ١٢

- ﴿ مِنْ مَّارِجٍ ﴾ ^(١) : خالص النار .
 ﴿ مَرْجٍ ﴾ ^(٢) : أُرْسِلَ .
 ﴿ بَرْزَخٍ ﴾ ^(٣) : حَاجِزٌ .
 ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ^(٤) : ذُو الْعِظَمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ .
 ﴿ سَنَفَرُغْ لَكُمْ ﴾ ^(٥) : هَذَا وَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ وَلَيْسَ بِاللَّهِ شُغْلٌ .
 ﴿ لَا تَنْفُذُونَ ﴾ ^(٦) : لَا تَخْرُجُونَ مِنْ سُلْطَانٍ .
 ﴿ شَوَاطِئُ ﴾ ^(٧) : لَهَبُ النَّارِ .
 ﴿ وَنَحَاسٌ ﴾ ^(٨) : دُخَانُ النَّارِ .
 ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ ^(٩) : ثَمَارٌ .
 ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ ﴾ ^(١٠) : يَدُنْ مِنْهِنَّ .
 ﴿ نَضَاجَتَانِ ﴾ ^(١١) : فَائِضَتَانِ .
 ﴿ رَفَرَفَ خُضْرٍ ﴾ ^(١٢) : الْمَجَالِسُ .

* * *

(الواقعة)

- ﴿ مُتَرَفِّينَ ﴾ ^(١٣) : مُنْتَعِمِينَ .
 ﴿ لِلْمَقُورِينَ ﴾ ^(١٤) : الْمَسَافِرِينَ .
 ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ ^(١٥) : مُحَاسِبِينَ .
 ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ ^(١٦) : رَاحَةٌ .

(٣) آية ٢٠
 (٦) آية ٣٣
 (٩) آية ٥٤
 (١٢) آية ٧٦
 (١٥) آية ٨٦

(٢) آية ١٩
 (٥) آية ٣١
 (٨) آية ٣٥
 (١١) آية ٦٦
 (١٤) آية ٧٣

(١) آية ١٥
 (٤) آية ٢٧
 (٧) آية ٣٥
 (١٠) آية ٥٦
 (١٣) آية ٤٥
 (١٦) آية ٨٩

(الحديد)

﴿ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾^(١) : نخلقها .

* * *

(المتحنة)

﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٢) : لا تسلطهم علينا فيفتنوننا .

﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَانِ يَفْتَرِينَهُ ﴾^(٣) : لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم .

* * *

(المنافقون)

﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ﴾^(٤) : لعنهم ؛ وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن .

﴿ وَأَنْفَقُوا ﴾^(٥) : تصدقوا .

* * *

(الطلاق)

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾^(٦) : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة .

﴿ عَصَتْ ﴾^(٧) : عصت .

* * *

(الملك)

﴿ مَمَيَّزٌ ﴾^(٨) : تفرق .

﴿ فَحَقًّا ﴾^(٩) : بعداً .

* * *

(القلم)

﴿ لَوْ تَذَكَّرُنْ فَيَذَرُوهُنَّ ﴾^(١٠) : لو ترخص لهم فيرخصون .

(٣) آية ١٢

(٦) آية ٢

(٩) آية ١١

(٢) آية ٥

(٥) آية ١٠

(٨) آية ٨

(١) الحديد ٢٢

(٤) آية ٤

(٧) آية ٨

(١٠) آية ٩

- ﴿ زَنْبِيرٌ ﴾^(١) : ظلوم .
 ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾^(٢) : أعدلهم .
 ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾^(٣) : هو الأمر الشديد المقطع من الهول يوم القيامة .
 ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾^(٤) : مغموم .
 ﴿ مَذْمُومٌ ﴾^(٥) : ملوم .
 ﴿ لَيَزُلْ زَنُورُكَ ﴾^(٦) : يماثونك .

* * *

(الحاقّة)

- ﴿ لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾^(٧) : [طغى] : كثر .
 ﴿ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾^(٨) : [واعية] : حافظة .
 ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾^(٩) : أيقنت .
 ﴿ مِنْ غَسِيلَيْنِ ﴾^(١٠) : صديدين .
 ﴿ الْخَاطِئُونَ ﴾^(١١) : أهل الغار .

* * *

(المعارج)

- ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾^(١٢) : الملوّ والفواضل .

* * *

(نوح)

- ﴿ سُبُلًا ﴾^(١٣) : طرقا .

- ﴿ فَجَاجَا ﴾^(١٤) : مختلفة .

(٣) آية ٤٢

(٦) آية ٥١

(٩) آية ٢٠

(١٢) آية ٣

(٢) آية ٢٨

(٥) آية ٤٨

(٨) آية ١٢

(١١) آية ٣٧

(١٤) آية ٢٠

(١) آية ١٣

(٤) آية ٤٨

(٧) آية ١١

(١٠) آية ٣٦

(١٣) آية ٢٠

* * *

(الجن)

- ﴿ جَدُّ رَبَّنَا ﴾ ^(١) : فعله وأمره وقدرته .
 ﴿ فَلَا يَخَافُ بُخْسًا ﴾ ^(٢) : نقصان حسنه .
 ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ ^(٣) : زيادة في سيئاته .

* * *

(الزمل)

- ﴿ كَثِيبًا مَّهِلًا ﴾ ^(٤) : الرمل السائل .
 ﴿ وَيِلًّا ﴾ ^(٥) : شديداً .

* * *

(المدثر)

- ﴿ يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾ ^(٦) : شديد .
 ﴿ لَوْاحٍ لِّلْبَشْرِ ﴾ ^(٧) : مغيرة .

* * *

(القيامة)

- ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ ^(٨) : بيناه .
 ﴿ فَاتَّبِعْ قَوْلَانِهِ ﴾ ^(٩) : اعمل به .
 ﴿ وَالتَّقَاتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ^(١٠) : آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام
 الآخرة ، فتاتق الشدة بالشدة .
 ﴿ سَدَى ﴾ ^(١١) : هملاً .

(٣) آية ١٣

(٦) آية ٩

(٩) آية ١٨

(٢) آية ١٣

(٥) آية ١٦

(٨) آية ٩

(١١) آية ٣٦

(١) آية ٣

(٤) آية ١٤

(٧) آية ٢٩

(١٠) آية ٢٩

(الإنسان)

﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ ^(١) : مختلفة الألوان .

﴿ مُسْتَطِيرًا ﴾ ^(٢) : فاشيا .

﴿ عَبُوسًا ﴾ ^(٣) : ضيقا .

﴿ قُمْطَرِيرًا ﴾ ^(٤) : طويلا .

* * *

(المرسلات)

﴿ كِفَاتًا ﴾ ^(٥) : كفاء .

﴿ رِوَاسِي ﴾ ^(٦) : جبلاً .

﴿ شَاحَخَاتٍ ﴾ ^(٧) : مشرفات .

﴿ مَاءٍ فُرَاتًا ﴾ ^(٨) : عذباً .

* * *

(النبأ)

﴿ سَرَّاجًا وَهَّاجًا ﴾ ^(٩) : مضيئاً .

﴿ مِنَ الْمَعْصِرَاتِ ﴾ ^(١٠) : السحاب .

﴿ نَجَّاجًا ﴾ ^(١١) : منصباً .

﴿ أَلْفَافًا ﴾ ^(١٢) : مجتمعة .

﴿ جَزَاءً وَفَاقًا ﴾ ^(١٣) : وفق أعمالهم .

﴿ مَفَازًا ﴾ ^(١٤) : متنزهاً .

(٣) آية ١٠

(٦) آية ٢٧

(٩) آية ١٣

(١٢) آية ١٦

(٢) آية ٧

(٥) آية ٢٥

(٨) آية ٢٧

(١١) آية ١٤

(١٤) آية ٣١

(١) آية ٢

(٤) آية ١٠

(٧) آية ٢٧

(١٠) آية ١٤

(١٣) آية ٢٦

- ﴿ كَوَاعِبَ ﴾ ^(١) : نواهد .
 ﴿ يَقُومُ الرُّوحَ ﴾ ^(٢) : ملك من أعظم الملائكة خلقا .
 ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ ^(٣) : لا إله إلا الله .

* * *

(النازعات)

- ﴿ الرَّادِفَةُ ﴾ ^(٤) : النفخة الثانية .
 ﴿ وَاجِفَةٌ ﴾ ^(٥) خائفة .
 ﴿ فِي الْخَافِرَةِ ﴾ ^(٦) : الحياة .
 ﴿ سَمَكَهَا ﴾ ^(٧) : بناها .
 ﴿ وَأَغْطَشَ ﴾ ^(٨) : أظلم .

* * *

(عبس)

- ﴿ وَجْوهٌ مُّسْفِرَةٌ ﴾ ^(٩) : مشرقة .

* * *

(التكوير)

- ﴿ كُورَتْ ﴾ ^(١٠) : أظلمت .
 ﴿ انْكَدَرَتْ ﴾ ^(١١) : تغيرت .
 ﴿ إِذَا عَمَسَ ﴾ ^(١٢) : أدبر .

* * *

(الانفطار)

- ﴿ فَجُرَّتْ ﴾ ^(١٣) : بعضها في بعض .

٣٨ آية (٣)

١٠ آية (٦)

٣٨ آية (٩)

١٧ آية (١٢)

٣٨ آية (٢)

٨ آية (٥)

٢٩ آية (٨)

٢ آية (١١)

٣٣ آية (١)

٧ آية (٤)

٢ آية (٧)

١٠ آية (١٠)

٣ آية (١٣)

﴿ بُعِثْتُ ﴾ ^(١) : بُحِثْتُ .

* * *

(المطففين)

﴿ فِي عَلِيِّينَ ﴾ ^(٢) : الجنة .

* * *

(الانشقاق)

﴿ اِنْ يَحْوَِرَ ﴾ ^(٣) : لن يبعث .

﴿ نَمَآيُوعُونَ ﴾ ^(٤) : يُسِرُّونَ .

* * *

(البروج)

﴿ الْوُدُّ ﴾ ^(٥) : الحبيب .

* * *

(الطارق)

﴿ لَقَوْلٍ فَصْلٌ ﴾ ^(٦) : حق .

﴿ بِالْهَزْلِ ﴾ ^(٧) : بالباطل .

* * *

(الأعلى)

﴿ غَمَّاءَ ﴾ ^(٨) : هشيماً .

﴿ أَحْوَى ﴾ ^(٩) : أسود .

﴿ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ^(١٠) : من الشرك .

(٣) آية ١٤

(٦) آية ٣

(٩) آية ٥

(٢) آية ١٨

(٥) آية ١٤

(٨) آية ٥

(١) آية ٤

(٤) آية ٢٣

(٧) آية ١٤

(١٠) آية ١٤

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾^(١) : وحّد الله .

﴿فَصَلَّى﴾^(٢) : الصلوات الخمس .

* * *

(الفاشية)

﴿الفاشية﴾^(٣) ، و ﴿الطامة﴾ ، و ﴿الصاخة﴾ ، و ﴿الحاقة﴾ ، و ﴿القارعة﴾

من أسماء يوم القيامة

﴿من ضريع﴾^(٤) : شجر ذو شوك .

﴿ونمارق﴾^(٥) : المرافق .

﴿بمُسْطَرٍ﴾^(٦) : بحبار

* * *

(الفجر)

﴿لِلْمُرْصَادِ﴾^(٧) : يسمع ويرى .

﴿جَمًّا﴾^(٨) : شديداً .

﴿وَأَتَى لَهُ الذِّكْرَى﴾^(٩) : كيف له .

* * *

(البلد)

﴿النَّجْدِينَ﴾^(١٠) : الضلالة والهدى

* * *

(الشمس)

﴿طَحَاها﴾^(١١) : قسمها .

﴿نَجَّوْرها وتَقَوَّها﴾^(١٢) : بين الخير والشر .

﴿ولا يَخَافُ عَقْبَاهَا﴾^(١٣) : لا يخاف من أحدٍ عاقبة .

(٣) آية ١

(٦) آية ٢٢

(٩) آية ٢٣

(١٢) آية ١٢

(٢) آية ١٥

(٥) آية ١٥

(٨) آية ٢٠

(١١) آية ٦

(١) آية ١٥

(٤) آية ٦

(٧) آية ١٤

(١٠) آية ١٠

(١٣) آية ١٥

(الضحى)

﴿ سَجَى ﴾ ^(١) : ذهب .
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٢) : ما تركك وما أبغضك .

* * *

(الشرح)

﴿ فانصب ﴾ ^(٣) : فى الدعاء .

* * *

(قرش)

﴿ إبلا فيهم ﴾ ^(٤) : لزومهم .

* * *

(الكوثر)

﴿ شاتئك ﴾ ^(٥) : عدوك .

* * *

(الإخلاص)

﴿ الصمد ﴾ ^(٦) : السيد الذى كمل فى سؤدده .

* * *

(العلق)

﴿ الفلق ﴾ ^(٧) : الخلق .

* * *

هذا لفظ ابن عباس ، أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما مفرقا ، لجمعته ، وهو وإن لم يستوعب غريب القرآن فقد أنى على جملة سالحة منه .

٨ آية (٣)

٣ آية (٢)

١ آية (١)

٢ آية (٦)

٣ آية (٥)

٢ آية (٤)

١ آية (٧)

وهذه الفاظ لم تذكر في هذه الرواية سقتها من نسخة الضحاك عنه . قال ابن أبي حاتم :
حدثنا أبو زُرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث — (ح) ، وقال ابن جرير : حدثت عن
المنجاب — حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روف ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في
قوله تعالى :

- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) : قال : الشكر لله .
﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) : قال : الخلق كله .
﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) : المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي .
﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(٣) : إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها .
﴿ مَرَضٌ ﴾ ^(٤) : نفاق .
﴿ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ ^(٤) : نكال موجه .
﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ ^(٤) : يبدلون ويحرفون .
﴿ السَّفَهَاءُ ﴾ ^(٥) : الجهال .
﴿ طُغْيَانِهِمْ ﴾ ^(٦) : كفرهم .
﴿ كَصَيِّبٍ ﴾ ^(٧) : المطر .
﴿ أَنْدَادًا ﴾ ^(٨) : أشباهاً .
﴿ وَنَقَدَسُ لَكَ ﴾ ^(٩) : التقديس : التطهير .
﴿ رَغَدًا ﴾ ^(١٠) : سعة المعيشة .
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ ^(١١) : تخلطوا .
﴿ أَنْفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ ﴾ ^(١٢) : يضرّون .

(٣) سورة البقرة ١٣

(٦) سورة البقرة ١٥

(٩) سورة البقرة ٣٠

(١٢) سورة البقرة ٥٧

(٢) سورة البقرة ٢

(٥) سورة البقرة ١٣

(٨) سورة البقرة ٢٢

(١١) سورة البقرة ٤٢

(١) سورة الفاتحة ٢

(٤) سورة البقرة ١٠

(٧) سورة البقرة ١٩

(١٠) سورة البقرة ٣٥

- ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ^(١) : قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم .
- ﴿ الطُّورِ ﴾ ^(٢) : ما أنبت من الجبال ، وما لم ينبت فليس بطور .
- ﴿ خَاسِثِينَ ﴾ ^(٣) : ذليلين .
- ﴿ نَكَالًا ﴾ ^(٤) : عقوبة .
- ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ ^(٥) : من بعدهم .
- ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ ^(٦) : الذين بقوا معهم .
- ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾ ^(٧) : تذكرة .
- ﴿ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٨) : بما أكرمكم به .
- ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ^(٩) : الاسم الذي كان عيسى يحيى به الموتى .
- ﴿ قَانِثُونَ ﴾ ^(١٠) : مطيعون .
- ﴿ الْقَوَاعِدَ ﴾ ^(١١) : أساس البيت .
- ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ ^(١٢) : دين الله .
- ﴿ أَنُحَاجُّونَنَا ﴾ ^(١٣) : أتخاصموننا .
- ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ ^(١٤) : يؤخرون .
- ﴿ أَلَدِ الْخِصَامِ ﴾ ^(١٥) : شديد الخصومة .
- ﴿ فِي السَّلَامِ ﴾ ^(١٦) : في الطاعة .
- ﴿ كَافَّةً ﴾ ^(١٧) : جميعا .
- ﴿ كَذَّابٍ ﴾ ^(١٨) : كصنع .

(١) سورة البقرة ٥٨	(٢) سورة البقرة ٦٣	(٣) سورة البقرة ٦٥
(٤) سورة البقرة ٦٦	(٥) سورة البقرة ٦٦	(٦) سورة البقرة ٦٦
(٧) سورة البقرة ٦٦	(٨) سورة البقرة ٧٦	(٩) سورة البقرة ٨٧
(١٠) سورة البقرة ١١٦	(١١) سورة البقرة ١٢٧	(١٢) سورة البقرة ١٣٩
(١٣) سورة البقرة ١٣٩	(١٤) سورة البقرة ١٦٢	(١٥) سورة البقرة ٢٠٤
(١٦) سورة البقرة ٢٠٨	(١٧) سورة آل عمران ١١	

- ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ ^(١) : بِالْعَدْلِ .
 ﴿ الْأَكْمَهْ ﴾ ^(٢) : الَّذِي يُولَدُ وَهُوَ أَعْمَى .
 ﴿ رَبَانِيَيْنِ ﴾ ^(٣) : عُلَمَاءُ فَقَهَاءُ .
 ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ ^(٤) : وَلَا تَضَعُفُوا .
 ﴿ وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴾ ^(٥) : يَقُولُونَ : اسْمِعْ لَا سَمِعْتَ .
 ﴿ لَيًّا بِالسُّنْتِهِمْ ﴾ ^(٥) : تَحْرِيفًا بِالْكَذِبِ .
 ﴿ إِلَّا إِنَانَا ﴾ ^(٦) : مَوَاتِنَا .
 ﴿ وَعَزَّزْتُمُوهُمْ ﴾ ^(٧) : أَعْتَمْتُمُوهُمْ .
 ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ ^(٨) : قَالَ : أَمْرَهُمْ .
 ﴿ ثُمَّ لَمْ نَكُنْ فَنْتَنِهِمْ ﴾ ^(٩) : حُجَّتَهُمْ .
 ﴿ بِمُعْجِزَيْنِ ﴾ ^(١٠) : بِمَسَابِقَيْنِ .
 ﴿ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ ^(١١) : كُفَّارًا .
 ﴿ بَسْطَةً ﴾ ^(١٢) : شِدَّةً .
 ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا ﴾ ^(١٣) : لَا تَنْظَلُوا .
 ﴿ الْقُمَّلَ ﴾ ^(١٤) : الْجَرَادَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَجْنَحَةٌ .
 ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ ^(١٥) : يَبْنُونَ .
 ﴿ مُتَبَرِّئِينَ ﴾ ^(١٦) : هَالِكًا .
 ﴿ نَخَذُهَا بِقُوَّةٍ ﴾ ^(١٧) : بِجِدِّ وَحَزْمٍ .
 ﴿ إِضْرَبْهُمْ ﴾ ^(١٨) : عَهْدِهِمْ وَمَوَاقِفَهُمْ .

(١) سورة آل عمران ١٨	(٢) سورة آل عمران ٤٩	(٣) سورة آل عمران ٧٩
(٤) سورة آل عمران ١٣٩	(٥) سورة النساء ٤٦	(٦) سورة النساء ١١٧
(٧) سورة المائدة ١٢	(٨) سورة المائدة ٨٠	(٩) سورة الأنعام ٢٣
(١٠) سورة الأنعام ١٣٤	(١١) سورة الأعراف ٦٤	(١٢) سورة الأعراف ٦٩
(١٣) سورة الأعراف ٨٥	(١٤) سورة الأعراف ١٣٣	(١٥) سورة الأعراف ١٣٧
(١٦) سورة الأعراف ١٣٩	(١٧) سورة الأعراف ١٤٥	(١٨) سورة الأعراف ١٥٧
(٤ - الإِنْفَاقُ ج ٢)		

- ﴿ مُرْسَاهَا ﴾ ^(١) : منتهأها .
- ﴿ خَذِ الْقَفْوَ ﴾ ^(٢) : أنفق الفضل .
- ﴿ وَأَمُرُ بِالْعَرْفِ ﴾ ^(٣) : بالمعروف .
- ﴿ وَجِئَتْ ﴾ ^(٤) : فرقت .
- ﴿ الْبُكْمُ ﴾ ^(٥) : الخرس .
- ﴿ فُرْقَانًا ﴾ ^(٦) : نصرا .
- ﴿ بِالْمُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) : شاطئ الوادي .
- ﴿ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ ﴾ ^(٨) : الإل : القرابة ، والذمة : العهد .
- ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ^(٩) : كيف يكذبون .
- ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ ﴾ ^(١٠) : القضاء .
- ﴿ عَرَضًا ﴾ ^(١١) : غنيمة .
- ﴿ الشُّقَّةَ ﴾ ^(١٢) : المسير .
- ﴿ فَتَبَطَّحُوا ﴾ ^(١٣) : حبسهم .
- ﴿ مَاجِئًا ﴾ ^(١٤) : الحرز في الجبل .
- ﴿ أَوْ مَفَارَاتٍ ﴾ ^(١٥) : الأبراب في الأرض الخيفة .
- ﴿ أَوْ مُدْخَلًا ﴾ ^(١٦) : المأوى .
- ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ ^(١٧) : السعاة .
- ﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ ^(١٨) : تركوا طاعة الله .
- ﴿ فَلَنَسِيَهُمْ ﴾ ^(١٩) : تركهم من ثوابه وكرامته .

(٣) سورة الأنفال ٢	(٢) سورة الأعراف ١٩٩	(١) سورة الأعراف ١٨٧
(٦) سورة الأنفال ٤٢	(٥) سورة الأنفال ٢٩	(٤) سورة الأنفال ٢٢
(٩) سورة التوبة ٣٦	(٨) سورة التوبة ٣٠	(٧) سورة التوبة ٨
(١٢) سورة التوبة ٥٧	(١١) سورة التوبة ٤٦	(١٠) سورة التوبة ٤٢
	(١٤) سورة التوبة ٦٧	(١٣) سورة التوبة ٦٠

- ﴿ بِحِلَالِهِمْ ﴾ ^(١) : بدينهم .
 ﴿ الْمَعْدُرُونَ ﴾ ^(٢) : أهل العذر
 ﴿ مَخْصَةٌ ﴾ ^(٣) : مجاعة .
 ﴿ غَلْظَةً ﴾ ^(٤) : شدة .
 ﴿ يَقْتَنُونَ ﴾ ^(٥) : يبتلون .
 ﴿ عَزِيزٌ ﴾ ^(٦) : شديد .
 ﴿ مَا عَنَّمْ ﴾ ^(٦) : ماسق عليكما .
 ﴿ أَمْ أَقْضُوا إِلَى ﴾ ^(٧) : انهضوا إلى .
 ﴿ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴾ ^(٧) : تؤخرون .
 ﴿ حَقَّتْ ﴾ ^(٨) : سبقت .
 ﴿ وَبِعِلْمٍ مُّسْتَقَرَّهَا ﴾ ^(٩) : يأتيها رزقها حيث كانت .
 ﴿ مُنِيبٌ ﴾ ^(١٠) : المقبل إلى طاعة الله .
 ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ ^(١١) : يتخلف .
 ﴿ وَلَا تَعْتُوا ﴾ ^(١٢) : تسعوا .
 ﴿ هُنْتُ لَكَ ﴾ ^(١٣) : تهينات لك - وكان يقرؤها مهموزة .
 ﴿ وَأَعْتَدْتُ ﴾ ^(١٤) : هيات .
 ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ^(١٥) : السرير .
 ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ ^(١٦) : دعوتي .
 ﴿ الْمَثَلَاتِ ﴾ ^(١٧) : ما أصاب القرون الماضية من العذاب .

(١) سورة التوبة ٦٩	(٢) سورة التوبة ٩٠	(٣) سورة التوبة ١٢٠
(٤) سورة التوبة ١٢٣	(٥) سورة التوبة ١٢٦	(٦) سورة التوبة ١٢٨
(٧) سورة يونس ٧١	(٨) سورة يونس ٣٣	(٩) سورة هود ٦
(١٠) سورة هود ٧٥	(١١) سورة هود ٨١	(١٢) سورة هود ٨٥
(١٣) سورة يوسف ٢٣	(١٤) سورة يوسف ٣١	(١٥) سورة يوسف ١٠٠
(١٦) سورة يوسف ١٠٨	(١٧) سورة الرعد ٦	

﴿الغيب والشهادة﴾ ^(١) : السرّ والعلانية .

﴿شديد المحال﴾ ^(٢) : شديد المكر والعداوة .

﴿على تخوف﴾ ^(٣) : نقص من أعمالهم .

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ ^(٤) : ألهمها .

﴿وأضلّ سبيلاً﴾ ^(٥) : أبعد حجة .

﴿قيلاً﴾ ^(٦) : عياناً .

﴿وابتغِ بينَ ذَلِكَ سبيلاً﴾ ^(٧) : اطلب بين الإعلان والجهر ، وبين التخافت

والخفض طريقاً لاجراً شديداً ولا خفضاً لا يُسمع أذنك .

﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾ ^(٨) : طرياً .

﴿أَنْ يَقْرُطُ﴾ ^(٩) : يعجل .

﴿يَطْفَى﴾ ^(٩) : يقتدى .

﴿لَا تَطْمَأَنَّ﴾ ^(١٠) : لا تعطش .

﴿وَلَا تَضْحَكِي﴾ ^(١١) : لا يصيبك حرّ .

﴿إِلَى رُبُوعٍ﴾ ^(١١) : المكان المرتفع .

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ ^(١١) : خصب .

﴿وَمَعِينٍ﴾ ^(١١) : ماء طاهر .

﴿أَمْتَكُمْ﴾ ^(١٢) : دينكم .

﴿تَبَارَكَ﴾ ^(١٣) : تفاعل من البركة .

﴿كَرَّةً﴾ ^(١٤) : رجعة .

(٣) سورة النحل ٤٧

(٦) سورة الإسراء ٩٢

(٩) سورة طه ٤٥

(١٢) سورة المؤمن ٥٢

(٢) سورة الرعد ١٣

(٥) سورة الإسراء ٧٢

(٨) سورة مريم ٢٥

(١١) سورة المؤمن ٥٠

(١٤) سورة الشعراء ١٠٢

(١) سورة الرعد ٩

(٤) سورة النحل ٦٨

(٧) سورة الإسراء ١١٠

(١٠) سورة طه ١١٩

(١٣) سورة الفرقان ١

- ﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ ^(١) : سقط أعلاها على أسفلها .
 ﴿ فله خير ﴾ ^(٢) : ثواب .
 ﴿ يُبَاسُ ﴾ ^(٣) : يئأس .
 ﴿ جُدَدٌ ﴾ ^(٤) : طرائق .
 ﴿ إلى صراط الجحيم ﴾ ^(٥) : طريق النار .
 ﴿ وقفوهم ﴾ ^(٦) : احبسوهم .
 ﴿ إنهم مسئولون ﴾ ^(٦) : محاسبون .
 ﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ ^(٧) : تمانعون .
 ﴿ مستسلمون ﴾ ^(٨) : مستنجدون .
 ﴿ وهو ملهم ﴾ ^(٩) : مسمى مذهب .
 ﴿ فَصَلَّتْ ﴾ ^(١٠) : بنيت .
 ﴿ والفوا فيه ﴾ ^(١١) : عيبوه .
 ﴿ مهطعين ﴾ ^(١٢) : مقبلين .
 ﴿ بُسَّتْ ﴾ ^(١٣) : فتن .
 ﴿ ولا ينزفون ﴾ ^(١٤) : لا يقيثون كما بقي . صاحب خمر الدنيا .
 ﴿ الحنث العظيم ﴾ ^(١٥) : الشرك .
 ﴿ المهيمن ﴾ ^(١٦) : الشاهد .
 ﴿ العزيز ﴾ ^(١٧) : المقتدر على ما يشاء .
 ﴿ الحكيم ﴾ ^(١٧) : المحكم لما أراد .

(٣) سورة الروم ١٢	(٢) سورة النمل ٨٩	(١) سورة النمل ٥٢
(٦) سورة الصافات ٢٤	(٥) سورة الصافات ٢٣	(٤) سورة فاطر ٢٧
(٩) سورة الصافات ١٤٢	(٨) سورة الصافات ٣٦	(٧) سورة الصافات ٣٥
(١٢) سورة التمر ٨	(١١) سورة فصلت ٢٦	(١٠) سورة فصلت ٣
(١٥) سورة الواقعة ٦	(١٤) سورة الواقعة ١٩	(١٣) سورة الواقعة ٥
		(١٦) سورة الحشر ٢٣

- ﴿ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ ﴾ ^(١) : نخل .
 ﴿ مِنْ فُطُورٍ ﴾ ^(٢) : تشقق .
 ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ ^(٣) : كليل ضعيف .
 ﴿ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارَأَ ﴾ ^(٤) : لا تخافون له عظمة .
 ﴿ جَدَّ رَبِنَا ﴾ ^(٥) : عظمته .
 ﴿ أَتَانَا الْيَقِينِ ﴾ ^(٦) : الموت .
 ﴿ يَتَمَطَّى ﴾ ^(٧) : يحتال .
 ﴿ أَتْرَابًا ﴾ ^(٨) : في شقٍّ واحد ، ثلاث وثلاثين سنة .
 ﴿ مُرْسَاها ﴾ ^(٩) : منتهاها .
 ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾ ^(١٠) : منفعة .
 ﴿ تَمْنُونٍ ﴾ ^(١١) : منقوص .

(١) سورة المنافقين ٤	(٢) سورة الملك ٣	(٣) سورة الملك ٤
(٤) سورة نوح ١٣	(٥) سورة الجن ٣	(٦) سورة المدثر ٤٧
(٧) سورة القيامة ٣٣	(٨) سورة النبا ٣٣	(٩) سورة النازعات ٢
(١٠) سورة عبس ٣٢	(١١) سورة الانشقاق ٢٥	

فصل

قال أبو بكر بن الأنباري : قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا ، الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وأنكر جماعة لاعلم لهم على النحويين ذلك ، وقالوا : إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن ؛ قالوا : وكيف يجوز أن يُحتج بالشعر على القرآن ، وهو مذموم في القرآن والحديث ! قال : وليس الأمر كما زعموه من أننا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن ، بل أردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، ^(١) وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) .

وقال ابن عباس : الشعر ديوان العرب ؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه .

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس ، قال : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

وقال أبو عبيد في فضائله : حدثنا هُشيم ؛ عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الله ابن عبد الله بن عتبة ؛ عن ابن عباس ، أنه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر . قال أبو عبيد : يعني كان يستشهد به على التفسير .

قلت : قد روينا عن ابن عباس كثيرا من ذلك ؛ وأوعب ماوريناه عنه مسائل نافع بن الأزرق ؛ وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف ، والطبراني في معجمه الكبير ، وقد رأيت أن أسوقها هنا بتمامها لتستفاد :

أخبرني أبو عبد الله محمد بن علي الصالح بقرآني عليه ، عن أبي إسحاق التَّوْخِي ، عن القاسم بن عساكر ، أخبرنا أبو نصر محمد بن عبد الله الشيرازي ، أخبرنا أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي ، أخبرنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان الكاتب ، أخبرنا أبو علي بن شاذان ، حدثنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن مكرم المعروف بابن الطستى ، حدثنا أبو سهل السرمي بن سهل الجنديسابوري ؛ حدثنا يحيى بن أبي عبيدة بجرير بن قروخ المسكي ، أخبرنا سعد بن أبي سعيد ، أخبرنا عيسى بن

دأب ، عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه ، قال : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء السكبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق ^(١) لنجدة بن عويمر ^(٢) : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إننا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلائي عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ ، ^(٣) قال : العزون : الحلق الرقاق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ؛ أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهزعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ ، ^(٥) قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عثمة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخصبي ^(٦)

قال : أخبرني عن قوله : ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ، ^(٧) قال : الشريعة : الدين ، والمنهاج : الطريق . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وهو يقول :

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى ، الحرورى ، رأس الأزارقة الحوارج ، وإليه نسبتهم . كان أمير قومه وقيهم . توفي سنة ٦٥ . وانظر لسان الميزان للذهبي ٦ : ١٤٤ .
(٢) نجدة بن عامر الحرورى الحنفى ، رأس الفرقة النجدية من الحوارج ، وكان من أصحاب الثورات في الإسلام . توفي سنة ٦٩ . وانظر مرآة الجنان ١ : ١٤٤ .
(٣) سورة المارج ٣٧ .
(٤) لم أجده في ديوانه .
(٥) سورة المائدة ٣٥ .
(٦) ديوانه (٣٥) ضمن كتاب العقد الثمين .
(٧) سورة المائدة ٤٨ .

لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالْهُدَى وَبَيَّنَ لِلْإِسْلَامِ دِينًا وَمِنْهَا جَا
قال: أخبرني عن أقوله: ﴿إِذَا أُمِرَ وَيَنْعِهِ﴾^(١)، قال: نصحه وبلاغه، قال: وهل
تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إِذَا مَامَشَتْ وَسَطَ الذِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ كَمَا اهْتَزَّ غَضْنُ نَاعِمِ النَّبْتِ يَانِعُ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَرِيثًا﴾^(٢)، قال: الريش المال، قال: وهل تعرف
العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا مَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٣)، قال: في اعتدال
واستقامة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبيد بن ربيعة وهو يقول:
يَا عَيْنَ هَلَا بِكَ كَيْتِ أُرْبَدُ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ^(٤)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنًا بَرْقُهُ﴾^(٥)، قال: السنا الضوء، قال:
وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدَلًا يَجْلُو بِضَوْءِ سَنَاهُ دَاجِي الظُّلَمِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَفْدَةً﴾^(٦)، قال: وَلَدُ الْوَلَدِ، وهم الأعوان،
قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

حَفِظَ الْوَلَانِدِ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ بَأْ كَفْهِنَّ أَرْمَةُ الْأَجَالِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾^(٧)، قال: رحمة من عندنا، قال:

(٣) سورة البلد ٤

(٢) سورة الأعراف ٢٦

(١) سورة الأنعام ٩٩

(٤) ديوانه ١٦٠ ، والكبد : القيام اعلى الأمر الشديد .

(٧) سورة مريم ١٣

(٦) سورة النحل ٧٢

(٥) سورة النور ٤٣

وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ طرفة بن العبد يقول :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَقَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضٍ^(١)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ،^(٢) قال : أفلم يعلم ،
بأفة بنى مالك ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ مالك بن
عوف يقول :

لَقَدْ يَيْئَسُ الْأَقْوَامُ أَيُّ أَنَا ابْنُهُ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِبًا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَثْبُورًا ﴾^(٣) قال : ملعونا محبوسا من الخير ،
قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ عبد الله بن الزُّبَيْرِ يقول :

إِذَا أَنَا فِي الشَّيْطَانِ فِي سِنَةِ النَّوْمِ وَمِنْ مَالٍ مَيْلُهُ مَثْبُورًا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَاجْأَهَا الْحَاضِ ﴾ ،^(٤) قال : أَلْجَأَهَا ، قال :
وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ حسان بن ثابت يقول :

إِذَا شَدَدْنَا شِدَّةَ صَادِقَةٍ فَاجْأَنَا كُمْ إِلَى سَفْجِ الْجَبَلِ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ نَذِيًّا ﴾^(٦) قال : التَّادِي : المجلس ، قال : وهل
تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ الشاعر يقول :

يَوْمَانِ يَوْمِ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمِ سِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَنَاثًا وَرِثِيًّا ﴾ ،^(٧) قال : الأنثاء : التماع ، والرى
من الشراب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ الشاعر يقول :

كَأَنَّ عَلَى الْحَمُولِ غَدَاةَ وَلَوْأَ مِنَ الرُّثَى الْكَرِيمِ مِنَ الْأَنَاثِ^(٨)

(١) سورة الإسراء ١٠٢

(٢) سورة الرعد ٣١

(٣) ديوانه ١٢٠

(٤) سورة مريم ٢٣

(٥) سورة مريم ٧٤

(٦) سورة مريم ٧٣

(٧) ديوانه ٣٠٢

(٨) اللسان « رأى » ، وأورد البيت بنسبته لمحمد بن عبد الحميد التقي بهذه الرواية :

أَشَاقَقْتُكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بِدَى الرُّثَى الْجَمِيلِ مِنَ الْأَنَاثِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ ، ^(١) قال : القاع : الأملس ، والصفصف المستوى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

بلمومةٍ شهباءٍ لو قد فؤا بها شَمَارِيخَ مِنْ رُضْوَى إِذْنِ عَادَ صَفْصَفًا
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ ، ^(٢) قال : لا تفرق فيها من شدة حرّ الشمس ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت الشاعر يقول :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشَى فَيُخَصِرُ ^(٣)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَهُ خُورٌ ﴾ ، ^(٤) قال : له صياح ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

كَانَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ صَائِعَةً تَخُورُ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَفِيأِي ذِكْرِي ﴾ ^(٥) قال : لاتضعفا عن أمري ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

إِنِّي وَجَدَكَ مَا وَنَيْتُ وَلَمْ أَزَلْ أَبْغِي الْفَكَكَ لَهُ بِكُلِّ سَبِيلٍ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ ، ^(٦) قال : القانع الذي يَقْنَعُ بما أُعْطِيَ ، والمُعْتَرَّ : الذي يعترض الأبواب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَفْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ ^(٧)

(١) سورة طه ١٠٦ (٢) سورة طه ١١٩

(٣) لعمري بن أبي ربيعة ، ديوانه ٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٤٨ (٥) سورة طه ٤٢

(٦) سورة الحج ٣٦

(٧) لزهراء ديوانه ١١٤

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَقَصِّرْ مَشِيدَ ﴾ ^(١) قال : مشيد بالحصن والآجر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عدى بن زيد يقول :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيْرِي ذَرَاهُ وَكُورُ ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ شَوَاظُ ﴾ ^(٣) قال : الشواظ : اللهب الذي لادخان له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

يظَلَّ يَشْبَ كِبْرًا بَعْدَ كِبَرٍ وَيَنْفَخُ دَائِبًا لَهَبَ الشَّوَاظِ ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، ^(٥) قال : فازوا وسعدوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

فَاعْقِلِي إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَعْمَلِي وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلُ ^(٦)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، ^(٧) قال : يقوى ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :

بِرَجَالٍ لَسْتُؤْمُوا أَمْثَالَهُمْ أَيَّدُوا جَبْرِيلَ نَصْرًا فَتَزَلُ ^(٨)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَنَحَّاسٌ ﴾ ، ^(٩) قال : هو الدخان الذي لا لهب فيه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلَيطِ لَمْ يَجْمَعْ لِي اللَّهُ فِيهِ نَحَّاسًا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ ^(١٠) قال : اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرَّحِمِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبي ذؤيب :

(٢) الأغانى ٢ : ١٣٩

(٤) ديوانه ٣٩

(٦) ديوانه ١٧٧

(٨) ديوانه ٣٠٤

(١٠) سورة الإنسان ٢

(١) سورة الحج ٤٥

(٣) سورة الرحمن ٣٥

(٥) سورة المؤمن ١

(٧) سورة آل عمران ١٣

(٩) سورة الرحمن ٣٥

كَانَ الرَّيْشَ وَالْفُوقَى مِنْهُ خِلَالَ النَّصْلِ خَالَطَهُ مُشِيجٌ^(١)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَفُومِهَا ﴾^(٢) : قال : الحنطة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبي مخجن الثقفي :

قَدْ كُنْتُ أَحْسِدُنِي كَأَغْنِي وَاحِدٍ قَدِيمَ الْمَدِينَةِ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ^(٣)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾^(٤) ، قال : السمود اللهم والباطل ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول هزيلة بنت بكر ، وهي تبكي قوم عاد :

لَيْتَ عَادًا قَبِلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يُبَدُّوا حُجُودًا^(٥)
قِيلَ فَقُمْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ دَغَّ عَنْكَ الشُّمُودَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾^(٦) ، قال : ليس فيها نئن ولا كراهية كخمر الدنيا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

رَبِّ كَأْسٍ شَرِبْتُ لَا غَوْلَ فِيهَا وَسَقَيْتُ النَّدِيمَ مِنْهَا مِزَاجًا^(٧)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾^(٨) ، قال : اتساقه اجتماعه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طرفة بن العبد :

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا نَقَانَا مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ تَجِدْنَ سَارِقًا^(٩)

(١) نسبة في ديوان الهذليين ٣ : ١٠٤ إلى عمرو بن الداخل الهذلي ، ورواه :

كَانَ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَالَ النَّصْلِ خَالَطَهُ مُشِيجٌ

وانظره في اللسان (مشج) بنسبة أخرى .

(٣) اللسان (فوم) بهذه النسبة .

(٢) سورة البقرة ٦١

(٤) سورة النجم ٦١

(٥) البيت الثاني في اللسان من غير نسبة ، قال : السامد القائم في تحبير .

(٧) لم يرد في ديوانه

(٦) سورة الصافات ٤٧

(٩) اللسان (وسق) ، دون نسبة

(٧) سورة الاشفاق ١٨

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، ^(١) قال : باقون ، لا يخرجون منها أبداً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :
فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِذَا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ بِالنَّاسِ مِنْ عَارٍ !
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَجفانٍ كالجوابِ ﴾ ^(٢) ، قال : كالحياض ،
قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طرفة بن العبد :
كالجوابي لا تني مترعة لقرى الأضياف أول المحتضر ^(٣)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ ، ^(٤) قال : الفجور والزنى : قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :
حافظ للفرج راضٍ بالثقي ليس من قلبه فيه مرض ^(٥)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ طَرَفٍ لَارِبٍ ﴾ ، ^(٦) قال : الملتزق ، قال :
وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :
فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَأَشَرِّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَارِبٍ ^(٧)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أُنْدَادًا ﴾ ، ^(٨) قال : الأشباه والأمثال ، قال :
وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدْلَهُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ ^(٩)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ، ^(١٠) قال : الخلط . الحميم
والفساق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بَمَاءٍ قَعَادًا بَعْدَ أَبْوَالٍ ^(١١)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَجَلْنَا لَنَا قَطَنًا ﴾ ، ^(١٢) قال : القط : الجزاء ،
قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

- | | | |
|------------------------|--------------------------------------|-----------------------|
| (١) سورة البقرة ٣٩ | (٢) سورة سبأ ١٣ | (٣) ديوانه ٨٠ |
| (٤) سورة الأحزاب ٣٢ | (٥) لم أجده في ديوانه | (٦) سورة الصافات ١١ |
| (٧) ديوانه ٩ | (٨) سورة البقرة ٢٢ | (٩) ديوانه ١٧٤ |
| (١٠) سورة الصافات ٦٧ | (١١) لأبي الصلت ، طبقات الشعراء ٤٨ | (١٢) سور من ١٦ |

وَلَا الْمَلِكَ النَّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيْتَهُ بِنِعْمَتِهِ يُعْطَى الْقَطُوطُ وَيُطْلَقُ^(١)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾^(٢) ، قال : الحمأ السواد ، والمسنون : المصور ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ نعم ، أما سمعت قول حمزة بن عبد المطلب :

أَغْرَ كَانَ الْبَدْرَ سُنَّةً وَجْهِهِ جَلَا النِّعَمَ عَنْهُ ضَوْؤُهُ فَتَبَدَّدَا

قال : فأخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْبَائِسُ الْفَقِيرُ ﴾^(٣) قال : الذي لا يجد شيئاً من شدة الحال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طرفة :

يَفْشَاهُمُ الْبَائِسُ الْمَدْقَعُ وَالضَّيْفُ وَجَارٌ مَجَاوِزٌ جُنُبٌ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَاءٌ غَدَقًا ﴾^(٥) قال : كثيراً جارياً ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

تَذْنِي كِرَادِيْسٍ مَلْتَفًا حَدَاثَتُهَا كَالنَّبْتِ جَادَتْ بِهَا أَنْهَارُهَا غَدَقًا

قال : أخبرنا عن قوله تعالى : ﴿ بِشَّابٍ قَبْسٍ ﴾^(٦) قال : شعلة من نار يقتبسون منه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول طرفة ابن العبد :

مَمْ عَرَانِي قَيْتُ أَذْفَعُهُ دُونُ سُهَادِي كَشَعْلَةِ الْقَبْسِ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾^(٨) [قال : الأليم :] الوجيع ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

نَامَ مَنْ كَانَ خَلِيًّا مِنْ أَلَمٍ وَبَقِيَتْ اللَّيْلُ طَوْلًا لَمْ أَنْمَ

(٣) سورة الحج ٢٨

(٦) سورة النمل ٧

(٢) سورة الحجر ٢٦

(٥) سورة الجن ١٦

(٨) سورة البقرة ١٠

(١) ديوانه ٢١٩

(٤) لم أجده في ديوانه

(٧) لم أجده في ديوانه

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَفَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ ، ^(١) قال : اتبعنا على آثار الأنبياء ، أي بعثنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :

يَوْمَ قَفَّتْ عَيْرُهُمْ مِنْ عَيْرِنَا واحتمال الحى في الصبيح فَلَئِنْ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَرَدَّى ﴾ ، ^(٢) قال : إذا مات وتردّى في النار قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :

حَظَفَتْهُ مِنْيَّةٌ فَتَرَدَّى وَهُوَ فِي الْمَلِكِ يَأْمُلُ التَّعْمِيرَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ، ^(٣) قال : النهر : البقعة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءَهَا ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ ، ^(٥) قال : الخلق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

فَإِنْ تَسَالَيْنَا مِمَّ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذِي الْأَنَامِ الْمَسْحَرِ ^(٦)

قال : فأخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ لَنْ يَحْمُورَ ﴾ ، ^(٧) قال : أن لن يرجع ، بلغة الحبشة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَحْمُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ ^(٨)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ لَا تَعُولُوا ﴾ ، ^(٩) قال : أجدى ألا تميلوا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

(٣) سورة الفجر ٥٤

(٢) سورة الليل ١١

(١) سورة المائدة ٤٦

(٥) سورة الرحمن ١٠

(٤) لم أجد في ديوانه

(٦) ديوانه ٥٦ ، والمسحر : الملل بالطعام والشراب

(٨) لبيد ، ديوانه ١٦٩

(٧) سورة الاشفاق ١٤

(٩) سورة النساء ٣

إِنَّا تَبَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ وَغَاوُوا فِي الْمَوَازِينِ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ^(١) قال : السَّيِّءُ الْمَذْنِبُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

مَنْ الْآفَاتِ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ وَلَكِنَّ السَّيِّءَ هُوَ الْمَلِيمُ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَجَسَّوْهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ ^(٢) قال : تَقْتُلُونَهُمْ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وَمِنَّا الَّذِي لَاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَحَسَّ بِهِ الْأَعْدَاءُ عُرْضَ الْعَسَاكِرِ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا أَلْمَيْنَا ﴾ ^(٣) قال : يَعْنِي وَجَدْنَا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت قول نابغة بنى ذبيان :

فَحَسْبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمْتَ تَسْعَاوُتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ ^(٤)

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ جَنَفًا ﴾ ^(٥) قال : الْجَوْرُ وَالْمِيلُ فِي الْوَصِيَّةِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدلى بن زيد :

أُمُّكَ يَا نَعْمَانُ فِي أَخَوَاتِهَا ثَاتَيْنِ مَا يَأْتِيْنَهُ جَنَفًا

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ^(٦) قال : الْبَأْسَاءُ الْخِصْبُ ، وَالضَّرَّاءُ الْجَدْبُ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زيد بن عمرو :

إِنَّ إِلَهَهُ عَزِيزٌ وَاسِعٌ حَكِيمٌ بَكَفَّةِ الضَّرِّ وَالْبَأْسَاءِ وَالنَّعَمِ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ^(٧) قال : الْإِشَارَةُ بِالْيَدِ وَالْوَحْيُ بِالرَّأْسِ . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

(١) سورة الصافات ١٤٢ (٢) سورة آل عمران ١٥٢ (٣) سورة البقرة ١٧٠

(٤) ديوانه ٢٤ (٥) سورة البقرة ١٨٢ (٦) سورة الأنعام ٤٢

(٧) سورة آل عمران ٤١

مَا فِي السَّمَاءِ مِنَ الرَّحْمَنِ مَرَّ تَعَزَّرَ إِلَّا إِلَيْهِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ وَزَرَ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ قَارَىٰ﴾، ^(١) قال: سعدونجا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبد الله بن رَوَاحَةَ:

وَعَسَى أَنْ أَفُوزَ ثُمَّ أَلْقَى حُجَّةً أَتَقَى بِهَا الْفُتَانَا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ^(٢) قال: عدل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

تَلَا قَيْنَا فَقَاضِينَا سَوَاءٌ وَلَكِنْ جَرَّ عَنْ حَالٍ بِحَالٍ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ﴾ ^(٣) قال: السفينة الموقرة الممتلئة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص:

شَحْنًا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرْكَنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصَّرَاطِ ^(٤)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿زَنِيمٍ﴾، ^(٥) قال: ولد الزنى، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

زَنِيمٌ تَدَاعَتْهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ ^(٦)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿طَرَاتِقٍ قَدَدًا﴾، ^(٧) قال: المنقطعة في كل وجه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حَاسِرٌ يَوْمَ وَأَتَى خَيْلُ زَيْدٍ وَقَدَدًا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ^(٨) قال: الصبح إذا انفلق

(١) سورة آل عمران ١٨٥ (٢) سورة آل عمران ٦٤ (٣) سورة الشعراء ١١٩
(٤) لم أجده في ديوانه (٥) سورة القلم ١٣
(٦) اللسان (زيم) ونسب للخطيب التيمي
(٧) سورة الجن ١١ (٨) سورة الفلق ١

من ظلمة الليل، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زهير ابن أبي سلمى :

الفارجُ الهمَّ سدولاً عساكره كما يُفَرِّجُ غَمَّ الظُّلَمَةِ الْفَلَقُ (١)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، (٢) قال : نصيب ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لِاخْلَاقِ لَهُمْ إِلَّا سَرَابِيلُ مِنْ قَطَرٍ وَأَغْلَالِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكُمْ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ ، (٣) قال : مقرّون ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :

قَانِتًا لِلَّهِ يَرْجُو عَفْوَهُ يَوْمَ لَا يُكْفَرُ عَبْدٌ مَا دَخَرَهُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ جَدُّ رَبَّنَا ﴾ ، (٤) قال : عظمة ربنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْمَلَأُ رَبَّنَا فَلَاشَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ جَدًّا وَأَتَجَدُّ (٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ حَجِيمٍ آتٍ ﴾ ، (٦) قال : الآن الذي انتهى طبعه وحره ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول نابغة بني دبيان :

وَيَحْضِبُ لَحْيَةَ غَدَرَتْ وَحَانَتْ بِأَنْحَمِي مِنْ نَجِيمِ الْجَوْفِ آتٍ (٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حَدَادٍ ﴾ ، (٨) قال : الطعن باللسان ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

فِيهِمْ الْخَضْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدَةُ فِيهِمْ وَالْخَاطِبُ الْمِسْلَاقُ (٩)

(٣) سورة البقرة ١١٦

(٢) سورة البقرة ١٥٢

(١) لم أجده في ديوانه

(٦) سورة الرحمن ٤٤

(٥) ديوانه ٢٧

(٤) سورة الجن ٣

(٩) ديوانه ٢١٥٨

(٨) سورة الأحزاب ١٩

(٧) ديوانه ٧٨٨

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَكْدَى ﴾ ، ^(١) قال : كدَّره بمنه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

وَأَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ أَكْدَى بِمَنْه وَمَنْ يَنْشُرُ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ يُحْمَدُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ ، ^(٢) قال : الوزر : الملجأ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عمرو بن كلثوم :

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ صَخْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَزَرٍ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ ، ^(٣) قال : أجله الذي قدَّر له ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحَاوِلُ أَتَنْحِبُ فَيَقْضَىٰ أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ ، ^(٥) قال : ذو شدة في أمر الله ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول نابغة بني ذبيان :

* وَهنا قِرَى ذِي مِرَّةٍ حَازِمٌ *

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْمَعِصِرَاتِ ﴾ ، ^(٦) قال : السحاب يعصر بعضها بعضا فيخرج الماء بين السحابتين ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :

تُجَرِّبُهَا الْأَزْوَاحُ مِنْ بَيْنِ شَمَائِلٍ وَبَيْنَ صَبَاهَا الْمَعِصِرَاتِ الدَّوَامِيسِ ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴾ ، ^(٨) قال : العضد المعين الناصر ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول النابغة :

(١) سورة النجم ٢٤	(٢) سورة القيامة ١١	(٣) سورة الأحزاب ٢٣
(٤) ديوانه ٢٥٤	(٥) سورة النجم ٦	(٦) سورة النبأ ١٤
(٧) لم أجده في ديوانه	(٨) سورة القصص ٣٥	

فِي ذِمَّةٍ مِنْ أَبِي قَابُوسٍ مُنْقَذَةٌ لِلخَائِفِينَ وَمَنْ لَيْسَتْ لَهُ عِصْدُ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي الْغَابِرِينَ ﴾ ^(١) قال : فِي الْبَاقِينَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص :

ذَهَبُوا وَخَلَّفَنِي الْخَلْفُ فِيهِمْ فَكَأَنَّنِي فِي الْغَابِرِينَ غَرِيبُ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ ^(٢) قال : لَا تَحْزَنْ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ ^(٣)

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ ^(٤) قال : يعرضون عن الحق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول أبي سفيان :

عَجِبْتُ لِلْحِلْمِ اللَّهُ عَنَّا وَقَدْ بَدَأَ لَهُ صَدْفُنَا عَنْ كُلِّ حَقٍّ مُزَلِّ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَنْ تُبْسَلَ ﴾ ^(٥) قال : تَحْبَسَ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول زهير :

وَفَارَقْتُكَ بَرَهْنٍ لَا فَكَكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَقَلْبِي مُبْسَلٌ غَلِقًا ^(٦)

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَفْلَتْ ﴾ ^(٧) قال : زَالَتْ الشَّمْسُ عَنْ كِبِدِ السَّمَاءِ ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول كعب بن مالك :

فَتَفَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِنَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ وَكَادَتْ تَأْفُلُ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَالصَّرِيمِ ﴾ ^(٨) قال : الذَّاهِبِ ، أما سمعت

قول الشاعر :

- | | | |
|------------------------|-----------------------|--------------------------------------|
| (١) سورة الشعراء ١٧١ | (٢) سورة المائدة ٢٦ | (٣) ديوانه ٧ |
| (٤) سورة الأنعام ٤٦ | (٥) سورة الأنعام ٧٠ | (٦) ديوانه ٣٣ مع اختلاف في الرواية |
| (٧) سورة الأنعام ... | (٨) سورة الذم ٢٠ | |

غَدُوتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَوَجَدْتُهُ قَعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلَهُ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَفْتَنُوا ﴾ ^(١) ، قال : لَا تَزَالُ ، أَمَا سَمِعْتَ
قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا نَفَقْنَا تَذَكُّرُ خَالِدًا وَقَدْ غَالَهُ مَا غَالُ تَبِعَ مِنْ قَبْلُ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ ^(٢) ، قال : مَخَافَةُ الْفَقْرِ ، أَمَا
سَمِعْتَ قول الشاعر :

وَإِنِّي عَلَى الْإِمْلَاقِ بِأَقْوَمُ مَا جَدُّ أَعْدُ الْأُضْيَافِ الشُّوَاءِ الْمَضْمَنَا
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَدَّائِقُ ﴾ ^(٣) ، قال : الْبَسَاتِينُ ، أَمَا سَمِعْتَ قول الشاعر :
بِلَادَ سَقَاها اللهُ ، أَمَّا سَهْوُهَا فَقَضْبٌ وَدَرٌّ مُغْدِقٌ وَحَدَّائِقُ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مُقْتِنًا ﴾ ^(٤) ، قال : قَارِدًا مُقْتَدِرًا ، أَمَا سَمِعْتَ قول أُحَيِّحَةَ
الْأَنْصَارِيِّ :

وَذِي ضِعْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقْتِنًا
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشُودُهُ ﴾ ^(٥) ، قال : لَا يَثْقُلُهُ ، أَمَا سَمِعْتَ
قول الشاعر :

يُعْطَى الْبَنِينَ وَلَا يُوْدُهُ حَمْلُهَا نَحْضُ الصَّرَائِبِ مَا جَدُّ الْأَخْلَاقِ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَرِيًّا ﴾ ^(٦) ، قال : النَّهْرُ الصَّغِيرُ ، أَمَا سَمِعْتَ قول الشاعر :
سَهْلُ الْخَلِيفَةِ مَا جَدُّ ذُو نَائِلٍ مِثْلُ : السَّرِيِّ تَمَدُّهُ الْأَنْهَارُ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَأَسَادِهِاقًا ﴾ ^(٧) ، قال : مَلَأَى ، أَمَا سَمِعْتَ قول الشاعر :

(٣) سورة النمل ٦٠

(٢) سورة الإسراء ٣٧

(١) سورة يوسف ٨٥

(٦) سورة مريم ٢٤

(٥) سورة البقرة ٢٥٥

(٤) سورة النساء ٨٥

(٧) سورة النبأ ٢٤

أَنَا عَامِرٌ بِرَجْوٍ قِرَانًا فَأَتَرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا آيَاتِهِمْ﴾ ^(١) ، قال : كَفُورٌ لِلنَّعَمِ ، وَهُوَ الَّذِي
يَأْكُلُ وَحْدَهُ ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ ، وَيُجِيعُ عَبْدَهُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

شَكَرْتُ لَهُ يَوْمَ الْعُكَاظِ نَوَالَهُ وَلَمْ أَكُ الْمَعْرُوفِ نَمَّ كُنُودًا

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ ^(٢) ، قال : يَحِرُّ كَوْنُ
رُءُوسِهِمْ اسْتِهْزَاءً ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَتَنْفِضُ لِي يَوْمَ الْفَخَارِ وَقَدْ تَرَى خِيُولًا عَلَيْهَا كَالْأَسْوَدِ ضَوَارِيَا

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يُهْرَعُونَ﴾ ^(٣) ، قال : يَقْبَلُونَ إِلَيْهِ بِالْغَضَبِ ، أَمَا سَمِعْتَ
قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَتُونَا يُهْرَعُونَ وَهُمْ أَسَارِي نَسُوقُهُمْ عَلَى رَغَمِ الْأُنُوفِ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَنْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودَ﴾ ^(٤) ، قال : يَنْسُ اللَّعْنَةُ
بَعْدَ اللَّعْنَةِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَقْدَقَنَّ بَرَكَنَ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأَنَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفْدِ

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿غَيْرَ تَمْلِيْبٍ﴾ ^(٥) ، قال : تَحْسِيرٌ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ
يُسْرِ بْنِ أَبِي خَارِمْ :

هَمْ جَدُّعُوا الْأُنُوفَ فَأَوْعَبُوهَا وَهُمْ بَرَكُوا بَنِي سَدٍّ تَبَابًا ^(٦)

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ ^(٧) ، مَا يَقْطَعُ ؟
قال : آخِرُ اللَّيْلِ سَحَرًا ، قَالَ مَالِكُ بْنُ كِنَانَةَ :

وَنَائِمَةٌ تَقُومُ بِقِطْعٍ لَيْلٍ عَلَى رَجُلٍ أَصَابَتْهُ شَعُوبٌ

(١) سورة العاديات ٦	(٢) سورة الإسراء ٥١	(٣) سورة هود ٧٨
(٤) سورة هود ٩٩	(٥) سورة هود ١٠١	(٦) لم أجده في ديوان
(٧) سورة هود ٨١		

قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَيَّئْتُ لَكَ ﴾ ^(١) ، قال : تَهَيَّأْتُ لَكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَحْيَحَةَ الْأَنْصَارِيِّ :

بِهِ أَحْيَى الْمُضَافِ إِذَا دَعَانِي إِذَا مَا قِيلَ لِلْأَبْطَالِ هَيَّئَا
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ عَصِيبٍ ﴾ ^(٢) ، قال : شَدِيدٌ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

هُمْ صَرَبُوا قَوَانِسَ خَلِّ حُجْرٍ بِجَنْبِ الرَّذَّةِ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مُؤَصَّدَةٍ ﴾ ^(٣) ، قال : مَطْبَقَةٌ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

تَحَنَّنْ إِلَى أَجْبَالٍ مَكَّةَ نَاقِيَةٍ وَمِنْ دُونِنَا أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مُؤَصَّدَةٍ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ ^(٤) ، قال : لَا يَفْتَرُونَ وَلَا يَمَلُّونَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

مِنَ الْخُوفِ لَا ذَوْسَامَةٍ نَعْبَادَةٍ وَلَا هُوَ مِنْ طُولِ التَّعَبِّدِ يُجْهِدُ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ طَبِيرُ أَبَابِيلٍ ﴾ ^(٥) ، قال : ذَاهِبَةٌ وَجَائِيَةٌ تَنْقُلُ الْمِجَارَةَ بِمَنَاقِيرِهَا وَأَرْجَاهَا فَيَبْلِيلُ عَلَيْهِمْ فَوْقَ رءُوسِهِمْ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَبِالْفَوَارِسِ مِنْ وَرَقَاءَ قَدْ عَلِمُوا أَخْلَاسَ خَيْلٍ عَلَى جُرْدِ أَبَابِيلٍ
قال : أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَقَفَّتُمْوَهُمْ ﴾ ^(٦) ، قال : وَجَدْتُمُوهُمْ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَنِ :

فَإِمَّا تَقَفَّتَنَ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيمَةً إِنْ قَتَلَهُمْ دَوَاهُ ^(٧)

(١) - سورة يوسف ٢٣	(٢) - سورة هود ٧٧	(٣) - سورة الحمزة ٨
(٤) - سورة فصات ٣٨	(٥) - سورة الفيل ٣	(٦) - سورة البقرة ١٩١
(٧) - لم أجده في ديوانه		

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَأَتَرْنَاهُ نَقْعًا ﴾ ^(١) ، قال : النقع ما يسطع من حوافر الخيل ، أما سمعت قول حسان :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاهُ ^(٢)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴾ ^(٣) ، قال : وسط الجحيم ، أما سمعت قول الشاعر :

رَمَاهَا بِسَهْمٍ فَاسْتَوَى فِي سَوَائِهَا وَكَانَ قَبُولًا لِلْهُوَادِي الطَّوَارِقِ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ سِذْرٍ تَخْضُودِ ﴾ ^(٤) ، قال : الذي ليس له شوك ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت .

إِنَّ الْخَدَائِقَ فِي الْجَنَانِ ظَلِيلَةٌ فِيهَا الْكَوَاعِبُ سِذْرُهَُا تَخْضُودُ ^(٥)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴾ ^(٦) ، قال : منهضم ، بعضه إلى بعض ، أما سمعت قول امرئ القيس :

دَارُ لَبِيضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ مَهْضُومَةُ الْكَشْحِينَ رِيَا الْمَعْصَمِ ^(٧)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ^(٨) ، قال : قولاً عذلاً حقاً ، أما سمعت قول حمزة :

أَمِينٌ عَلَى مَا اسْتَدْعَى اللَّهُ قَلْبَهُ فَإِنْ قَالَ قَوْلًا كَانَ فِيهِ مَسَدًا
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ ﴾ ^(٩) ، قال : الإلّ القراية ، والذمة العهد ، أما سمعت قول الشاعر :

جَزَى اللَّهُ إِلَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ جَزَاءَ ظُلُومٍ لَا يُؤَخَّرُ عَاجِلًا

(١) سورة العاديات ٤	(٢) ديوانه ٤	(٣) سورة الصافات ٥٥
(٤) سورة الواقعة ٢٨	(٥) ديوانه ٢٦	(٦) سور قال الشعراء ١٤٨
(٧) لم يرد في ديوانه	(٨) سورة الأحزاب ٧	(٩) سورة التوبة ٨

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ خَامِدِينَ ﴾ ^(١) ، قال : ميتين ، أما سمعت قول لييد :

حَلُّوا نِيَابَهُمْ عَلَى عِورَاتِهِمْ فَهُمْ بِأَفْنِيَةِ الْبُيُوتِ خُمُودٌ ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ زُبُرَ الْحَدِيدِ ﴾ ^(٣) ، قال : قطع الحديد ، أما سمعت

قول كعب بن مالك :

تَلَطَّيْ عَلَيْهِمْ حِينَ أَنْ شَدَّ حِمِيهَا بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَسُحْقًا ﴾ ^(٤) ، قال : بعداً ، أما سمعت قول حسان :

أَلَا مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي أَبْيَا فَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ ^(٦) ، قال : في باطل ، أما سمعت

قول حسان :

تَمَتَّتْكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلِ الْكَفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورٍ ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ ^(٨) ، قال : الذي لا يأتي النساء ، أما سمعت

قول الشاعر :

وَحَصُورٌ عَنِ اخْنَا يَأْمُرُ النَّاسَ سَ بَفْعَلِ الْخَبِرَاتِ وَالشَّامِرِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَبُوسًا قَطَطِرًا ﴾ ^(٩) ، قال : الذي ينقبض وجهه من

شدة الوجد ، أما سمعت قول الشاعر :

وَلَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَكَانَ يَوْمًا عَبُوسًا فِي الشَّدَائِدِ قَطَطِرًا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ^(١٠) ، قال : عن شدة

الآخرة ، أما سمعت قول الشاعر :

* قَدْ قَامَتْ بِنَا الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ *

(٣) سورة الكهف ٩٦

(٢) لم أجده في ديوانه

(١) سورة الأنبياء ١٥

(٦) سورة الملك ٢٠

(٥) لم أجده في ديوانه

(٤) سورة الملك ١١

(٩) سورة الإنسان ١٠

(٨) سورة آل عمران ٣٩

(٧) لم أجده في ديوانه

(١٠) سورة القلم ٤٢

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿إِيَّاهُمْ﴾ ^(١) ، قال : الإيَّاب : المرجع ؛ أما سمعت قول عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غِييَةٍ يَثُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَثُوبُ ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿حُوبًا﴾ ^(٣) قال : إئماً ، باغة الحبشة ؛ قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الأعشى :

فَإِنِّي وَمَا كَلَفْتُمُونِي مِنْ أَمْرِكُمْ لِيُعْلَمَ مِنْ أَمْسِي أَعَى وَأَحُوبًا ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿الْعَمْتُ﴾ ^(٥) قال : الإنم ، أما سمعت قول الشاعر :

رَأَيْتُكَ تَبْتَغِي عَنِّي وَتَسْعَى مَعَ السَّاعِي عَلَى بَغْيٍ دَخَلِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿فَتِيلاً﴾ ^(٦) قال : التي تكون في شق النواة ، أما سمعت قول النابغة :

يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يَرِزُّ الْأَعَادِيَ فَتِيلاً ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ^(٨) قال : الجلدة البيضاء التي على النواة ، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت :

لَمْ أَنْلُ مِنْهُمْ قَسِيْطًا وَلَا زُبْدًا وَلَا فَوْقَةَ وَلَا قِطْمِيرًا ^(٩)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿أَرْكَهْمُ﴾ ^(١٠) ، قال : حاسهم ، أما سمعت قول أمية :

أَرْكَسُوا فِي جَهَنَّمَ إِيَّاهُمْ نُوا عَتَاةً تَقُولُ كَذِبًا وَزُورًا ^(١١)

(٣) سورة النساء ٢

(٢) ديوانه ١٣

(١) سورة الفاشية ٢٥

(٤) ديوانه ١٢٥٠ ، وروايته : « وأحربا »

(٧) لم أجده في ديوانه

(٦) سورة النساء ٤٩

(٥) سورة النساء ٢٥

(١٠) سورة النساء ٨٨

(٩) ديوانه ٣٦

(٨) سورة فاطر ١

(١١) ديوانه ٣٥

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ ^(١) ، أما : سَلَطْنَا . قال سمعت قول كبيد :

إِنْ يَغْبَطُوا يَنْسِرُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْهَلِكِ وَالْفَقْدِ ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَفْتَنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٣) قال : يُضِلُّكُمْ بالعذاب والجهد ، باغة هوازن ، أما سمعت قول الشاعر :

كُلُّ أَمْرٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٌ ببطن مكة مقهور ومفتون

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا ﴾ ^(٤) ، قال : كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا ، أما سمعت قول كبيد :

وَعْنَيْتَ سَبْتًا قَبْلَ تَجَرِي دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللُّجُوجُ خُلُودٌ ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ ^(٦) قال : الهوان ، أما سمعت قول الشاعر :

إِنَّا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً تنجى من الذلِّ والحزاة والهون

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَطْلُمُونَ نَقِيرًا ﴾ ^(٧) قال : النقيير : مافي شق النواة ، ومنه تنبت الفخلة ، أما سمعت قول الشاعر :

وَلَيْسَ النَّاسُ بَعْدَكَ فِي نَقِيرٍ وليسوا غير أصداء وهام ^(٨)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا فَارِضٌ ﴾ ^(٩) قال الهريرة ، أما سمعت قول الشاعر :

-
- | | | |
|--|-------------------------|-----------------------|
| (١) سورة الإسراء ١٦ | (٢) لم أجده في ديوانه | (٣) سورة النساء ١٠١ |
| (٤) سورة الأعراف ٩٢ | (٥) ديوانه ٣٥ | (٦) سورة الأنعام ٩٣ |
| (٧) سورة النساء ١٢٤ | | |
| (٨) للبيد ، ديوانه ٢٠٩ ، ولسان العرب (نقر) | | |
| (٩) سورة البقرة ٦٨ | | |

- أَعْمَرِي لَمَّا أَعْطَيْتَ ضَيْفَكَ فَارِضًا يُسَاقُ إِلَيْهِ ، مَا يَقُومُ عَلَى رَجُلٍ ^(١)
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ ^(٢) ، قال :
- بياض النهار من سواد الليل ، وهو الصبح إذا انقلب ؛ أما سمعت قول أُمَيَّة
- الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ضَوْءُ الصُّبْحِ مُنْقَلِقٌ وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ لَوْنُ اللَّيْلِ مَكْمُومٌ ^(٣)
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ بَنَسَمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ^(٤) ، قال : باعوا
- نصيبهم من الآخرة بطمع يسير من الدنيا ، أما سمعت قول الشاعر :
- يُفْطَى بِهَا ثَمَنًا فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهَا أَلَا تَشْرِي
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(٥) ، قال : نار من السماء ،
- أما سمعت قول حسان :
- بَقِيَّةٌ مَعْشَرٍ صُبَّتْ عَلَيْهِمْ شَايِبٌ مِنَ الْخُسْبَانِ شُهْبٌ ^(٦)
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ ﴾ ^(٧) ، قال : استسلمت وخضعت ،
- أما سمعت قول الشاعر :
- إِيَّاكَ عَلَيْكَ كُلُّ عَانٍ بِكَرْبَةٍ وَآلُ قَصَى مِنْ مُقَلٍّ وَذِي وَفْرِ
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَعِيَشَةً ضَنْكًا ﴾ ^(٨) ، قال : الضنك الضيق
- الشديد ، أما سمعت قول الشاعر :
- وَالْخَلِيلُ قَدْ لَحَقَتْ بِهَا فِي مَازِقٍ ضَنْكٌ نَوَاحِيَةٌ شَدِيدٍ الْمَقْدَمِ
- قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ قَبْجٍ ﴾ ^(٩) ، قال : طريق ، أما سمعت
- قول الشاعر :

(١) اللسان - فرس ، ونسبه إلى علقمة

(٤) - سورة البقرة ١٠٢

(٣) لم أجده في ديوانه

(٢) سورة البقرة ١٨٨

(٧) - سورة طه ١١١

(٦) لم أجده في ديوانه

(٥) سورة الأنعام ٩٦

(٩) سورة الحج ٢٧

(٨) - سورة طه ١٢٤

وحازوا العيال وسدّوا الفجاج بأجساد عاذ لها أيدآت

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ^(١) ، قال : ذات طرائق والخلق الحسن ، أما سمعت قول زهير بن أبي سلمى :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيبَكَ الْبَيْضَ إِذْ لَحَمُوا لَا يَنْكِصُونَ إِذَا اسْتَرْجَحُوا رَحِمُوا ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ حَرَضًا ﴾ ^(٣) ، قال : المذنب الهالك من شدّة الوجع ، أما سمعت قول الشاعر :

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى أَنْ نَأْتِ غُرْبَةً بِهَا كَأَنْكَ حَمٌّ لِلْأَطْبَاءِ مُحَرَّضُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ ^(٤) ، قال : يدفعه عن حقه ، أما سمعت قول أبي طالب :

يُقَسِّمُ حَقًّا لِلْيَتِيمِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُ لَدَى أَيْسَارِهِنَّ الْأَصَاغِرَا ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنْطَوِّبَةٌ ﴾ ^(٦) ، قال : منصّاع من خوف يوم القيامة ، أما سمعت قول الشاعر :

طَبَاهَنَ حَتَّى أَعْرَضَ اللَّيْلَ دُونَهَا أَفَاطِيرَ وَشَمِيَّ رَوَاءَ جَذُورِهَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فُهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٧) ، قال : يحبس أولهم على آخرهم ، حتى تنام الطير ، أما سمعت قول الشاعر :

وَزَعْتُ رَعِيلَهَا بِأَقْبِ نَهْدٍ إِذَا مَا الْقَوْمُ شَدُّوا بَعْدَ خَمْسٍ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كَلَّمَا خَبِتَ ﴾ ^(٨) ، قال : الخبو الذي يُطْفَأُ مَرَّةً ، ويسرّ أخرى ، أما سمعت قول الشاعر :

(١) سورة الداريات ٧	(٢) لم أجده في ديوانه	(٣) سورة يوسف ٨٥
(٤) سورة الماعون ٢	(٥) لم أجده في ديوانه	(٦) سورة المزمل ١٧
(٧) سورة النمل ١٧	(٨) سورة الإسراء ٩٧	(٩) سورة السجدة ٢٩

وتخبُّو النارَ عن آذان قَوْمِي وأضرَمها إذا أبتردوا سميراً
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كَانُلهُ ﴾ ^(١) ، قال : كدردى الزيت ، أما
سمعت قول الشاعر :

تبارى بها العيسُ السُّمومَ كأنها تبطنُ الأقواب من عرقٍ مُهلاً
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ ^(٢) ، قال : شديداً ليس له ملجأ ،
أما سمعت قول الشاعر :

وخِزى الحياةَ وخِزى المات وكلاً أراه طعاماً وبيلاً
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ ^(٣) ، قال : هربوا ، بلغة اليمن ،
أما سمعت قول عدى بن زيد :

تَقَبَّوْا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَدَرِ الْمَوِ توجَّالُوا فِي الْأَرْضِ أَيَّ تَجَمَّالِ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ^(٤) ، قال : الوطء الخفي والكلام
الخفي ، أما سمعت قول الشاعر :

فبَاتُوا يُدْجُونَ وَبَاتَ يَسْرِي بصيرٌ بالدَّجَا هَادٍ هَمُوسُ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مُقَمَّحُونَ ﴾ ^(٥) ، قال المقمح : الشامخ بأنفه ،
المنكسر رأسه ، أما سمعت قول الشاعر :

وَتَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قُعُودٌ نفَضَ الطرفَ كالإبلِ القِمَاجِ ^(٦)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ﴾ ^(٧) ، قال : المريج الباطل ، أما سمعت
قول الشاعر :

فراعت فابتدَرْتُ بِهَا حَشَاهَا نَحَرَ كَأَنَّهُ خُوطُ مَرْيَمَ ^(٨)

(١) سورة الكهف ٢٩ (٢) سورة المزمل ١٦ (٣) - ورقة ٢٦

(٤) سورة طه ١٠٨ (٥) سورة يين ٨

(٦) بشر بن أبي خازم ، ديوانه ٤٨ ، لسان العرب - قح

(٧) سورة ق ٥ (٨) لسان - مرج ، ونسب بعض الهذليين

قال : أخبرني عن قوله تعالى ﴿ حَتَّمَا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) ، قال : الحُتْم : الواجب ، أما سمعت قول أمية :

عبادك يُحْطِنُونَ وَأَنْتَ رَبُّ بَيْكَمَنِكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ ^(٣) ، قال : القلال التي لا عرى لها ، أما سمعت قول الهذلي :

فلم ينطق الديك حتى ملأتُ كُؤُوبَ الدَّنانِ لَهُ فاستَدَارَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ ^(٤) ، قال : لا يسكرون ، أما سمعت قول عبد الله بن رواحة :

ثُمَّ لَا يُنْزَفُونَ عَنْهَا وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْهَمُّ عَنْهُمْ وَالْغَلِيلُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٥) ، قال : ملازمًا شديدًا كلزوم الغريم الغريم ، أما سمعت قول بشر بن أبي خازم :

وَبِوَمِ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْجِنِّ رِكَانًا عَذَابًا وَكَانَا غَرَامًا ^(٦)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ^(٧) قال : هو موضع القلادة من المرأة ، أما سمعت قول الشاعر :

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرْقًا بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّخْرُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ ^(٨) ، قال : هلكت ، باغة عُمان ، وهم من اليمن أما سمعت قول الشاعر :

فَلَا تَكْفُرُوا مَا قَدْ صَنَعْنَا إِلَيْكُمْ وَكَافُوا بِهِ فَالْكُفْرُ بُورٌ لِصَانِعِهِ ^(٩)

(٢) سورة الزخرف ١٠

(٦) ديوانه ١٩٠

(٩) سورة الأنبياء ٧٨

(٢) ديوانه ٥٤

(٥) سورة الفرقان ٦٥

(٨) سورة الفتح ١٢

(١) سورة مريم ٧١

(٤) سورة الصافات ٤٧

(٧) سورة الطارق ٧

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ نَفَسَتْ ﴾ ^(١) ، قال : النفس الرّعى بالليل ، أما سمعت قول لبّيد :

بُذِّلْنَ بَعْدُ النَّفْسَ الْوَجِيفَا وبعد طول الجرة الصّريفَا ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَلْدُ الْخِصَامِ ﴾ ^(٣) ، قال الجدل : المحاصم في الباطل ، أما سمعت قول مهلهل :

إِنَّ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقٍ ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴾ ^(٥) ، قال : النضيج مما يشوى بالحجارة ، أما سمعت قول الشاعر :

لَهُمْ رَاحٌ وَفَارُ الْمِسْكِ فِيهِمْ وشاويهم إِذَا شَاءُوا حَنِيدًا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ ^(٦) ، قال : القبور ، أما سمعت قول ابن رواحة :

حِينَمَا يَقُولُونَ إِذْ مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أُرْشِدُهُ يَارَبِّ مِنْ عَانٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ هَلُوعًا ﴾ ^(٧) ، قال : ضَجِرًا جَزُوعًا ، أما سمعت قول بشر بن أبي خازم :

لَا مَانِعًا لِلْيَتِيمِ نَحِلَّتَهُ وَلَا مُكَبِّبًا خَلَقَهُ هَلِمًا ^(٨)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ^(٩) ، قال : ليس بحين قرار ، أما سمعت قول الأعشى :

تَذَكَّرْتُ لَيْلِي حِينَ لَاتَ تَذَكَّرِي وقد بنتُ منها والمناصُ بعيدًا ^(١٠)

(٣) البقرة ٢٠٤

(٦) يس ٥١

(٩) س ٣

(٦) — لقمان ج — ٢)

(٢) ديوانه ٣٥١

(٥) هود ٦٩

(٨) لم أجده في ديوانه

(١) الأنبياء ٧٨

(٤) اللسان — علق .

(٧) المعارج ١٩

(١٠) لم أجده في ديوانه

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَدُسْرِ﴾^(١)، قال: الدُّسر الذي تُخَرِّزُ به السفينة، أما سمعت قول الشاعر:

سَفِينَةٌ نُوتِيَّ قَدْ أَحْكَمَ صُنْعُهَا مُنْخَنَةُ الْأَلْوَا حِ مَنْسُوجَةِ الدُّسْرِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿رِكَزًا﴾^(٢)، قال: حِسًّا، أما سمعت قول الشاعر:

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكَزًا مُقْفِرٌ نَدَسٌ بِنَبَأِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبُ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿بَاسِرَةً﴾^(٣)، قال: كالحة، أما سمعت قوله عبيد بن الأبرص:

صَبَحْنَا تَمِيمًا غَدَاةَ النَّسَا رَشِبَاءَ مَلُومَةٍ بَاسِرَةٍ^(٤)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ضِيْزَى﴾^(٥)، قال: جائرة، أما سمعت قول امرئ القيس:

صَاَزَتْ بَنُو أَسَدٍ بِحُكْمِهِمْ إِذْ يَغْدُلُونَ الرَّأْسَ بِالذَّنْبِ^(٦)

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْتَسِنَهُ﴾^(٧)، قال: تغيّره السنون، أما سمعت قول الشاعر:

طَابَ مِنْهُ الطَّعْمُ وَالرَّيْحُ مَعًا لَنْ تَرَا مُتَغَيِّرًا مِنْ أَسَنٍ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿حَقَّارٌ﴾^(٨)، قال: الغدّار الظلوم الغشوم، أما سمعت قول الشاعر:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَاسْتَيْقَنْتُ ذَاتُ نَفْسِي بِأَلَّا تَخَافُ الدَّهْرَ صَرْمِي وَلَا خَتْرِي

(٣) القيامة ٢٤

(٦) لم يرد في ديوانه

(٢) مريم ٩٨

(٥) النجم ٢٢

(٨) لفهان ٣٢

(١) القمر ١٣

(٤) لم أجده في ديوانه

(٧) الفقرة ٢٥٩

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَيْنَ الْفِطْرِ ﴾ ^(١) ، قال : الصُّفْر ، أما سمعت قول الشاعر :

فألقي في مراجل من حديدٍ قدورَ الْفِطْرِ لَيْسَ مِنَ الْبَرَاءِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَكُلِ خَطِيءَ ﴾ ^(٢) ، قال : الأراك ، أما سمعت

قول الشاعر :

وما مُغْرِلٌ فردٌ تُراعى بعينها أغنَّ غَضِيضَ الطَّرْفِ مِنْ خَلَلِ الْخَطِيطِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ اِشْمَازَتْ ﴾ ^(٣) ، قال : نفرت ، أما سمعت

قول عمرو بن كلثوم :

إذا عَصَّ النَّقَافُ بِهَا اِشْمَازَتْ وَوَلَّتَهُ عَشْوَزَنَةٌ زَبُونًا ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ جُدُّ ﴾ ^(٥) ، قال طرائق ، أما سمعت قول الشاعر :

قد غادر الذَّنْعُ في صنعاتها جدداً كأنها طرقٌ لَاحَتْ عَلَى أَكْمٍ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ أَغْنَى وَأَغْنَى ﴾ ^(٦) ، قال : أغنى من الفقر ،

وأغنى من الغنى ففنع به ، أما سمعت قول غنتره العبسي :

فَأَغْنَى حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَغْلَمَى أَنَّى أَمْرُؤُ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتُلِ ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا يَلْتَسِكُمْ ﴾ ^(٨) ، قال : لا ينفصم ، باغة بنى

عبس ، أما سمعت قول الخطيئة العبسي :

أَبْلِغْ سَرَاةَ بَنِي سَعْدِ مُغْلَفَلَةً جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْمَا وَلَا كَذِبًا ^(٩)

(٣) الزمر ٢٥

(٥) فاطر ٢٧

(٨) الحجرات ١٤

(٢) سبأ ١٦

(٤) من المعلقة — بشرح التبريزي ٢٢٧

(٧) ديوانه ٤٢ (من مجموعة العقدا الثمين)

(١) سبأ ١٢

(٦) النجم ٨ :

(٩) ديوانه ٧

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَبَا 》 ^(١) : قال : الأب ما تعطف منه الدواب ،
أما سمعت قول الشاعر :

تَرَى بِهِ الْأَبَّ وَالْيَقُطِينَ مَخْطَلًا عَلَى الشَّرِيعَةِ يَجْرِي تَحْتَهَا الْغَرَبُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا تَوَاعِدُوهُمْ سَرًّا 》 ^(٢) ، قال : السرّ الجماع ،
أما سمعت قول امرئ القيس :

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنْتَى كَثِيرْتُ وَأَلَّا يَحْسُنُ السَّرَّ أَمْثَالِي ^(٣)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تُسَيِّمُونَ 》 ^(٤) ، قال : ترعون ، أما
سمعت قول الأعشى :

وَمَشَى الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى الرَّزِّ حَى وَأَعْيَا الْمَسِيمُ أَيْنَ الْمَسَاقِ ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا 》 ^(٦) ، قال : لا تحشون لله
عظمة ، أما سمعت قول أبي ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّخْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ 》 ^(٨) ، قال : ذا حاجة وجهه ، أما
سمعت قول الشاعر :

تَرَبَّتْ يَدَاكَ ثُمَّ قَلَّ نَوَالُهَا وَتَرَفَّعَتْ عَنْكَ السَّمَاءُ سِجَالُهَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ 》 ^(٩) ، قال : مذعنين خاضعين ، أما
سمعت قول تبع :

تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ دَرَى وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مَذِيفٌ وَمُهْطِعُ

(٣) ديوانه ٢٨

(٢) البقرة ٢٣٥

(١) عبس ٣١

(٦) نوح ١٣

(٥) ديوانه ٢١٣

(٤) النحل ١٠

(٩) إبراهيم ٤٣

(٨) البلد ١٦

(٧) ديوانه الهذليين ١ : ١٤٣

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ^(١) ، قال : ولدا ، أما سمعت قول الشاعر :

أَمَّا السَّمِيُّ فَأَنْتَ مِنْهُ مُكَذِّبٌ وَالْمَسَالُ فِيهِ تَعْتَدِي وَتَرُوحُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يُضَاهِرْ ﴾ ^(٢) ، قال : يذابُ أما سمعت قول الشاعر :

سَخُنْتُ صَهَارَتُهُ فَظَلَّ عُنَانُهُ فِي سَيْطَلٍ كَفَيْتُ بِهِ يَتَرَدَّدُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَتَنْوُوهُ بِالْمَصْبَةِ ﴾ ^(٣) قال : لَتَنْقُلُ ، أما سمعت قول امرئ القيس :

تَمْشِي فَتُثْقَلُهَا عَجِيزَتُهَا مَشَى الضَّعِيفُ بِنَوْءٍ بِالْوَسْقِ ^(٤)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ^(٥) ، قال : أطراف الأصابع ، أما سمعت قول عنترة :

فَنَعِمَ فَوَارِسُ الْهَيْجَاءِ قَوْمِي إِذَا عَلِقُوا الْأَسِنَّةَ بِالْبَنَانِ ^(٦)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِنْصَارْ ﴾ ^(٧) ، قال : الريح الشديدة ، أما سمعت قول الشاعر :

فَلَهُ فِي آثَارِهِنَّ خَوَارٌ وَحَنِيفٌ كَأَنَّهُ إِنْصَارُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَرَاغِمًا ﴾ ^(٨) ، قال : منفصحا ، بلغة هذيل ، أما سمعت قول الشاعر :

وَأَتْرَكَ أَرْضَ جَهْرَةَ إِنْ عِنْدِي رَجَاءٌ فِي الْمَرَاغِمِ وَالتَّعَادِي

(٣) القصص ٧٦

(٦) ديوانه ٤٠

(٢) الحج ٢٠

(٥) الأفعال ١٢

(٨) النساء ١٠٠

(١) مريم ٧

(٤) ليس في ديوانه

(٧) البقرة ٢٦٦

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ صَلِّدًا ﴾ ^(١) ، قال : أملس ، أما سمعت قول أبي طالب :

وإني لقرمٌ وابنُ قرمٍ لهاشمٍ
لآباءِ صدقٍ مجدمٍ معقلٍ صلِّدٍ
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ^(٢) ، قال : غير منقوص ،
أما سمعت قول زهير :

فَضْلُ الجَوَادِ عَلَى الخَيْلِ البَطَاءِ فَلَا
يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزِقًا ^(٣)
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ جَابُوا الصَّخِرَ ﴾ ^(٤) ؛ قال : نقبوا الحجارة في الجبال ،
فاتخذوها بيوتًا ، أما سمعت قول أمية :

وَشَقَّ أَبْصَارَنَا كَيْبَا نَعِيشَ بَهَا
وَجَابَ لِلسَّمْعِ أَصْمَاخًا وَأَذَانَا
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ حُبًّا جَمًّا ﴾ ^(٥) ، قال : كثيرًا ، أما سمعت
قول أمية :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيَّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا
قال أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ غَاسِقٌ ﴾ ^(٦) ؛ قال : الظلمة ، أما سمعت قول زهير :
ظَلَّتْ تَجُوبُ بَدَاهَا وَهِيَ لَا هِيَةَ
حَتَّى إِذَا جَنَحَ الإِظْلَامُ وَالْفَسَقُ
قال أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ^(٧) ، قال : النفاق ، أما
سمعت قول الشاعر :

أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى
صُدُورَهُمْ تَغْلِي عَلَى مِرَاضِهَا

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ يَعْصُونَ ﴾ ^(١) ، قال يلعبون ويترددون ، أما سمعت قول الأعشى :

أَرَانِي قَدْ عَمِيتُ وَشَابَ رَأْسِي وَهَذَا اللَّعْبُ شَيْنٌ بِالْكَبِيرِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ ^(٢) ، قال : خالقكم ، أما سمعت قول تبع :

شهدت على أحدٍ أنه رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ بَارِئُ النَّسَمِ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٣) ، قال : لاشك فيه ، أما سمعت قول ابن الزُّبَيْرِ :

لَيْسَ فِي الْحَقِّ بِأَمَامَةِ رَبِّ إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الْكَذُوبُ

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٤) ، قال : طبع عاينها ، أما سمعت قول الأعشى :

وَصَهْبَاءُ طَافَ يَهُودِيَّهَا فَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتْمٌ ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ صَفْوَانٍ ﴾ ^(٦) ، قال : الحجر الأملس ، أما سمعت قول أوس بن حجر :

عَلَى ظَهْرِ صَفْوَانٍ كَانَ مَقْرُونُهُ عُلِّلَنَ بِدُهْنٍ يُزْلِقُ الْمُتَنَزِّلَ ^(٧)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ فِيهَا صَرْحٌ ﴾ ^(٨) ، قال : برد ، أما سمعت قول نابعة :

لَا يُبْرَمُونَ إِذَا مَا لَأَرْضُ جَلَّلَهَا صِرُّ الشَّتَاءِ مِنَ الْإِحْمَالِ كَالْأَدَمِ

(٣) البقرة ٢

(٦) البقرة ٢٦٤

(٢) البقرة ٥٤

(٥) ديوانه ٣٥

(٨) آل عمران ١١٧

(١) البقرة ١٥

(٤) البقرة ٧

(٧) ديوانه ٨٦٩

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ ^(١) ، قال : توطن المؤمنين ، أما سمعت قول الأعشى :

وما بؤاً الرّحمنُ بيئتكَ منزلاً بأجسادِ غزبي الصّففا والحرّم ^(٢)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ رَبِّيؤُنْ ﴾ ^(٣) ، قال : جموع كثيرة ، أما سمعت قول حسان :

وإذا معشرٌ تجافوا عن القصدِ حملنا عليهم ربيّاً

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ مَخْمَصَةٌ ﴾ ^(٤) ، قال : مجاعة ، أما سمعت قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غزني بين خمايص ^(٥)

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ ^(٦) ، قال : ليكتسبوا ما هم مكتسبون ، أما سمعت قول لبيد :

وإني لآتي ما أتيت وإنتي لما اقترفت نفسي على لراهب

هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذف منها يسيراً نحو بضعة عشر سؤالاً ، أسئلة مشهورة ، وأخرج الأئمة أفراداً منها بأسانيد مختلفة إلى ابن عباس .

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوتف والابتداء منها قطعة ، وهي المعلم عليها بالجزء صورة «ك» ، قال : حدثنا بشر بن أنس ، أنبأنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا أبو صالح هذية . بن مجاهد ، أنبأنا مجاهد بن شجاع ، أنبأنا ، محمد بن زياد اليشكري ، عن ميمون بن مهران ، قال : دخل نافع بن الأزرق المسجد .. فذكره .

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير منها قطعة وهي المعلم عليها صورة «ط» من طريق جوير ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : خرج نافع بن الأزرق ، .. فذكره .

(٣) آل عمران ١٤٦

(٦) الأنعام ١١٣

(٢) ديوانه ١٢٣

(٥) ديوانه ١٤٩

(١) آل عمران ١٢١

(٤) المائدة ٣

النوع السابع والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة الجواز

تقدم الخلاف في ذلك في النوع السادس عشر ؛ ونورد هنا أمثلة ذلك . وقد رأيت فيه تأليفا مفرداً .

أخرج أبو عبيد من طريق عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ^(١) ؛ قال : الغناء ، وهي يمانية .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة ؛ هي بالحميرية .

وأخرج أبو عبيد ، عن الحسن ؛ قال : كنّا لاندري ما الأرائك ! حتى لقينا رجلاً من أهل اليمن ؛ فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة ^(٢) ؛ فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ ^(٣) ؛ قال : ستوره بلغه أهل اليمن .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ ^(٤) ؛ قال : لاجبل ؛ وهي بلغة أهل اليمن .

وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ ﴾ ^(٥) ؛ قال : هي لغة يمانية ؛ وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوّجنا فلانا بفلانة ، قال الراغب في مفرداته . ولم يحى في القرآن : « زَوَّجْنَاهُمْ حُوراً » ، كما يقال : زوجته امرأة ، تنبيهاً أن ذلك لا يكون على حسب التعارف فيما بيننا بالمناكحة .

(٢) المحلة : كالقبة ، أو موضع يزبن بالنياب

(١) النجم ٦١

(٥) الدخان ٤٥

(٤) القيامة ١١

(٣) القيامة ١٥

وأخرج عن الحسن في قوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾ ^(١) ؛ قال : اللهو
بلسان اليمن المرأة .

وأخرج عن محمد بن علي في قوله تعالى : ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ ^(٢) ؛ قال : هي
بلغة طيئ ابن امرأته .

قلت : وقد قرئ : ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهَا﴾ .

وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿أَعِصِرْ خَمْرًا﴾ ^(٣) ، قال : عنباً بلغة أهل
عمان ، يسمون العنب خمرًا .

وأخرج ابن عباس في قوله تعالى : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ ^(٤) ، قال : رباً بلغة
أهل اليمن . وأخرج عن قتادة قال : بعلا : رباً ، بلغة أزد شنودة .

وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف عن ابن عباس قال : الوزر : ولد
الولد ، بلغة هذيل .

وأخرج فيه عن ابن الكلبي قال : المرجان صفار اللؤلؤ ، بلغة اليمن .

وأخرج في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان عن مجاهد ، قال : الصّواع :
لطرجهالة ، بلغة حمير .

وأخرج فيه عن أبي صالح ، في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَبَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(٥) ، قالوا :
أفلم يعلموا ، بلغة هوازن . وقال الفراء : قال الكلبي : بلغة النخع .

* * *

وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس : ﴿يَفْتَنُكُمْ﴾ ^(٦) ، يضلّكم ، بلغة هوازن .

(٣) يوسف ٣٦

(٦) النساء ١٠١

(٢) هود ٤٥

(٥) الرعد ٣١

(١) الأنبياء ١٧

(٤) الصافات ١٢٥

- وفيها: ﴿بوراً﴾^(١): هلكى ، بلغة عمان .
 وفيها: ﴿فَنَقَّبُوا﴾^(٢): هربوا ، بلغة اليمن .
 وفيها: ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾^(٣): لَا يَنْقُصُكُمْ ، بلغة بنى عبس .
 وفيها: ﴿مُرَاعَمًا﴾^(٤): منفسحاً ، بلغة هذيل .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه ، عن عمرو بن شرحبيل فى قوله تعالى :
 ﴿سَيَلَّ الْعَرِمُ﴾^(٥) : المستاء بلغة أهل اليمن .

وأخرج جُوَيْرِ فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿فى الكتابِ
 مَسْطُورًا﴾^(٦) قال : مكتوباً ، وهى لغة حميرية ، يسمون الكتاب « أسطوراً » .

وقال أبو القاسم فى الكتاب الذى ألفه فى هذا النوع فى القرآن .

بلغة كنانة

- ﴿والسُّفْهَاءُ﴾^(٧) : الجهال
 ﴿خَاسِثِينَ﴾^(٨) : صاغرین
 ﴿شَطْرَهُ﴾^(٩) : تلقاه
 ﴿لَا خَلَاقَ﴾^(١٠) : لا نصيب
 ﴿وجعلكم ملوكاً﴾^(١١) : أحرارا
 ﴿قبیلاً﴾^(١٢) : عيانا

(٣) الحجرات ١٤

(٦) الإسراء ٥٨

(٩) البقرة ١٤٤

(١٢) الإسراء ٩٢

(٢) ق ٣٦

(٥) سبأ ١٦

(٨) البقرة ٦٥

(١١) النمل ٢٠

(١) الفرقان ١٨

(٤) النساء ١٠٠

(٧) البقرة ١٣

(١٠) آل عمران ٧٧

- ﴿يُمَجِّزِينَ﴾^(١) : سابقين
 ﴿يَعْرُوبُ﴾^(٢) : يغيث
 ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾^(٣) : ولا تميلوا
 ﴿فِي فُجُوءٍ﴾^(٤) : ناحية
 ﴿مَوْثَلًا﴾^(٥) : ملجأ
 ﴿مُبْلِسُونَ﴾^(٦) : آيسون
 ﴿دُحُورًا﴾^(٧) : طردا
 ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾^(٨) : الكذابون
 ﴿أَسْفَارًا﴾^(٩) : كتباً .
 ﴿أَقْتَتَ﴾^(١٠) : جمعت .
 ﴿كَفُودٌ﴾^(١١) : كفورٌ للنعم .

وبلغة هذيل :

- ﴿وَالرُّجْزَ﴾^(١٢) : العذاب .
 ﴿شَرَوْا﴾^(١٣) : باعوا .
 ﴿عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾^(١٤) : خفَعُوا .
 ﴿صَلْدًا﴾^(١٥) : نقيًا .
 ﴿آثَاءَ اللَّيْلِ﴾^(١٦) : ساعاته .
 ﴿مِنْ قَوَرِهِمْ﴾^(١٧) : وجههم .
 ﴿مَذَرَارًا﴾^(١٨) : متتابعاً .

(٣) هود ١١٣

(٦) الأنعام ٤٤

(٩) الجمعة ٥

(١٢) المدثر ٥

(١٥) البقرة ٢٦٤

(١٨) الأنعام ٦

(٢) يونس ٦١

(٥) الكهف ٥٨

(٨) الذاريات ١٠

(١١) العاديات ٦

(١٤) البقرة ٢٢٧

(١٧) آل عمران ١٢٥

(١) الأنعام ١٣٤

(٤) الكهف ١٧

(٧) الصافات ٩

(١٠) المرسلات ١١

(١٣) البقرة ١٠٢

(١٦) طه ١٣٠

- ﴿ فَرَقَانَا ﴾ ^(١) : مخرجا .
 ﴿ حَرَضَ ﴾ ^(٢) : حضّ .
 ﴿ عَيْلَةً ﴾ ^(٣) : فاقة .
 ﴿ وَلِجَّةً ﴾ ^(٤) : بطانة .
 ﴿ انْفَرَوْا ﴾ ^(٥) : اغزوا .
 ﴿ السَّامِحُونَ ﴾ ^(٦) . الصائمون .
 ﴿ الْعَنَتَ ﴾ ^(٧) : الإثم .
 ﴿ بَدَدَ نَكَ ﴾ ^(٨) : بدرعك .
 ﴿ غَمَةً ﴾ ^(٩) : شبيهة .
 ﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ ^(١٠) : زوالها .
 ﴿ شَأْ كَلَّتِهِ ﴾ ^(١١) : ناحيته .
 ﴿ رَجَمًا ﴾ ^(١٢) : ظنًا .
 ﴿ مَلْتَحَدًا ﴾ ^(١٣) : ملجأ .
 ﴿ يَرْجُو ﴾ ^(١٤) : يخاف .
 ﴿ مَضًا ﴾ ^(١٥) : نقصا .
 ﴿ هَامِدَةً ﴾ ^(١٦) : مغبرة .
 ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ ﴾ ^(١٧) : أسرع .
 ﴿ الْأَجْدَاثِ ﴾ ^(١٨) : القبور .

- (٣) التوبة ٢٨
 (٦) التوبة ١١٢
 (٩) يونس ٧١
 (١٢) الكهف ٢٢
 (١٥) طه ١١٢
 (١٨) يس ٥١

- (٢) الأنفال ٦٥
 (٥) التوبة ٣٨
 (٨) يونس ٩٢
 (١١) الإسراء ٨٤
 (١٤) الكهف ١١٠
 (١٧) لقمان ١٩

- (١) الأنبياء ٤٨
 (٤) التوبة ١٦
 (٧) النساء ٢٥
 (١٠) الإسراء ٧٨
 (١٣) الكهف ٢٧
 (١٦) الحج ٥

- ﴿ثَاقِبٌ﴾ ^(١) : مضى .
 ﴿بِالْهِمِّ﴾ ^(٢) : حالهم .
 ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ^(٣) : ينامون .
 ﴿ذُنُوبًا﴾ ^(٤) : عذابا .
 ﴿دُسُرٍ﴾ ^(٥) : المسامير .
 ﴿مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ ^(٦) : عَيبٍ .
 ﴿أَرْجَائِهَا﴾ ^(٧) : نواحيها .
 ﴿أَطْوَارًا﴾ ^(٨) : ألوانا .
 ﴿بَرْدًا﴾ ^(٩) : نومًا .
 ﴿وَاجِفَةً﴾ ^(١٠) : خائفة .
 ﴿مَسْفِيَةٍ﴾ ^(١١) : مجاعة .
 ﴿الْمُبْذَرِينَ﴾ ^(١٢) : المِسْرِفِينَ .

وليلة حمير

- ﴿وَلَا تَفْشَلَا﴾ ^(١٣) : لَا تَجْبِنَا .
 ﴿عُثْرَ﴾ ^(١٤) : اطلع .
 ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ ^(١٥) : جنون .
 ﴿فَزَيْلَنَا﴾ ^(١٦) : قَمِيْزَنَا .
 ﴿مَرْجُوءًا﴾ ^(١٧) : حقيرا .

- (٣) الذاريات ١٧
 (٦) الملك ٣
 (٩) النبأ ٢٤
 (١٢) الإسراء ٢٧
 (١٥) الأعراف ٦٦

- (٢) القتال ١
 (٥) القمر ١٣
 (٨) نوح ١٤
 (١١) البلد ١٤
 (١٤) المائدة ١٠٧
 (١٧) هود ٦٢

- (١) الصفات ١٠
 (٤) النرايات ٥٩
 (٧) الحاقة ١٧
 (١٠) النازعات ٧
 (١٣) آل عمران ١٢٢
 (١٦) يونس ٢٨

- ﴿ السَّاقِيَةِ ﴾ ^(١) . الإِنَاء .
 ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ ^(٢) : مُتَن .
 ﴿ إِمَامٍ ﴾ ^(٣) : كِتَاب .
 ﴿ فَسِينَفْضُونَ ﴾ ^(٤) : يَحْرُكُونَ .
 ﴿ حُسْبَانًا ﴾ ^(٥) : تَرَدًّا .
 ﴿ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيًا ﴾ ^(٦) : مَحْوًا .
 ﴿ مَا رَبٍّ ﴾ ^(٧) : حَاجَات .
 ﴿ خَرَجًا ﴾ ^(٨) : جُنْدًا .
 ﴿ غَرَامًا ﴾ ^(٩) : بَلَاء .
 ﴿ صَّرَحَ ﴾ ^(١٠) : الْبَيْت .
 ﴿ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ﴾ ^(١١) : أَقْبَحَهَا .
 ﴿ يَتَرَكُمُ ﴾ ^(١٢) : يَنْقُصُكُمْ .
 ﴿ مَدِينِينَ ﴾ ^(١٣) : مُحَاسِبِينَ .
 ﴿ رَأْيَةً ﴾ ^(١٤) : شَدِيدَةً .
 ﴿ وَبَيَّلًا ﴾ ^(١٥) : شَدِيدًا .

بلغة جرهم

- ﴿ فَبَاءُوا ﴾ ^(١٦) : اسْتَوْجَبُوا .
 ﴿ شِقَاقٍ ﴾ ^(١٧) : ضَلَال .

(٣) الإسراء ٧١

(٦) مريم ٨

(٩) الفرقان ٦٥

(١٢) محمد ٣٥

(١٥) الزمل ١٦

(٢) الحجر ٢٦

(٥) الكهف ٤٠

(٨) الكهف ٩٤

(١١) لقمان ١٩

(١٤) الحاقة ١٥

(١٧) القرة ١٣٧

(١) يوسف ٧٠

(٤) الإسراء ٥١

(٧) طه ١٨

(١٠) النمل ٤٣

(١٣) الواقعة ٨٦

(١٦) البقرة ٩٠

- ﴿ خَيْرًا ﴾ ^(١) : مالا
 ﴿ كَذُوبًا ﴾ ^(٢) : كاشباه
 ﴿ أَنْ تَعْدُلُوا ﴾ ^(٣) : تميّلوا
 ﴿ لَمْ يَفْنُوا ﴾ ^(٤) : لم يتمتعوا
 ﴿ فَشَرِّدْ ﴾ ^(٥) : نكّل
 ﴿ أَرَاذِلُنَا ﴾ ^(٦) : سفلاتنا
 ﴿ عَصِيب ﴾ ^(٧) : شديد
 ﴿ لَفِيفًا ﴾ ^(٨) : جميعا
 ﴿ مَحْسُورًا ﴾ ^(٩) : منقطعا
 ﴿ حَذَبٍ ﴾ ^(١٠) : جانب
 ﴿ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ ^(١١) : السحاب
 ﴿ الْوَدَقِ ﴾ ^(١٢) : المطر
 ﴿ شَرِّ ذِمَّةٍ ﴾ ^(١٣) : عصابة
 ﴿ رَيْعٍ ﴾ ^(١٤) : طريق
 ﴿ يَنْفَسِلُونَ ﴾ ^(١٥) : يخرجون
 ﴿ شَوَابًا ﴾ ^(١٦) : مزجاً
 ﴿ الْحُبُكِ ﴾ ^(١٧) : الطرائق
 ﴿ بَسُورٍ ﴾ ^(١٨) : الحائط

(٣) النساء ١٢٩

(٦) هود ٢٧

(٩) الإسراء ٢٩

(١٢) النور ٤٣

(١٥) الأنبياء ٩٦

(١٨) الحديد ١٣

(٢) آل عمران ١١

(٥) الأنفال ٥٧

(٨) الإسراء ١٠٤

(١١) النور ٤٣

(١٤) الشعراء ١٢٨

(١٧) الذاريات ٧

(١) البقرة ١٨٠

(٤) الأعراف ٩٢

(٧) هود ٧٧

(١٠) الأنبياء ٩٦

(١٣) الشعراء ٥٤

(١٦) الصافات ٦٧

وبلغة أزدشنوة

- ﴿لَاشِيَّةَ﴾^(١) : لاوضح .
 ﴿الفضل﴾^(٢) : الحبس .
 ﴿أُمَّةٍ﴾^(٣) : سنين .
 ﴿الرَّسَّ﴾^(٤) : البئر .
 ﴿كَاطِمِينَ﴾^(٥) : مكروبين .
 ﴿غِسْلِينَ﴾^(٦) : الحارَّ الَّذِي تَنَاهَى حَرَّهُ .
 ﴿لَوَاحَةً﴾^(٧) : حرقاه .

وبلغة مذحج

- ﴿رَفَثَ﴾^(٨) : جماع .
 ﴿مُقَيَّتًا﴾^(٩) : مُقْتَدِرًا .
 ﴿بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١٠) : بكذب .
 ﴿بِالْوَصِيدِ﴾^(١١) : الفناء .
 ﴿حُقْبًا﴾^(١٢) : دهرًا .
 ﴿الْخُرْطُومَ﴾^(١٣) : الأنف .

وبلغة خثعم

- ﴿تُسِيمُونَ﴾^(١٤) : ترعون .
 ﴿مَرِيجٍ﴾^(١٥) : منتشر .

(٣) يومف ٤٥	(٢) البقرة ٢٣٢	(١) البقرة ٧١
(٦) الحاقة ٣٦	(٥) غافر ١٨	(٤) الفرقان ٣٨
(٩) النساء ٨٥	(٨) البقرة ٩٧	(٧) المدثر ٢٨
(١٢) الكهف ٦٠	(١١) الكهف ١٨	(١٠) الرعد ٣٣
(١٥) ق ٥	(١٤) النحل ١٠	(١٣) القلم ١٦
(٧٢ — الاغان ج ٢)		

﴿ صَغَتْ ﴾ ^(١) : مالت .

﴿ هَلُوعًا ﴾ ^(٢) : ضجوراً .

﴿ شَطَطًا ﴾ ^(٣) : كذباً .

وبلغة قيس عيلان:

﴿ نَحْلَةً ﴾ ^(٤) : فريضة .

﴿ حَرْجًا ﴾ ^(٥) : ضيقاً .

﴿ لُحَاسِرُونَ ﴾ ^(٦) : مُضَيَّعُونَ .

﴿ تَفَنَّدُونَ ﴾ ^(٧) : تستهزئون .

﴿ صِيَاصِيهِمْ ﴾ ^(٨) : حصونهم .

﴿ تُحْبِرُونَ ﴾ ^(٩) : تنعمون .

﴿ رَجِيمٍ ﴾ ^(١٠) : ملعون .

﴿ يَبْتَئِسْكُمْ ﴾ ^(١١) : يَنْقُصُكُمْ .

وبلغة ساعد العشيرة:

﴿ حَفْدَةً ﴾ ^(١٢) : أختان .

﴿ كَلٌّ ﴾ ^(١٣) : عيال .

وبلغة كندة:

﴿ فُجَاجًا ﴾ ^(١٤) : طرقات .

﴿ بُسْتٌ ﴾ ^(١٥) : فقتت .

(٣) الكهف ١٤

(٦) الأعراف ٩٠

(٩) الزخرف ٧٠

(١٢) النحل ٧٢

(١٥) الواقعة ٥

(٢) الماعز ١٩

(٥) النساء ٦٥

(٨) الأحزاب ٢٦

(١١) الحجرات ١٤

(١٤) الأنبياء ٣١

(١) التحريم ٤

(٤) النساء ٤

(٧) يوسف ٩٤

(١٠) الحجر ١٧

(١٣) النحل ٧٦

﴿ تَبْتَئِسْ ﴾ ^(١) : تحزن .

وبلغة عذرة :

﴿ اخْسُؤْا ﴾ ^(٢) : اخزوا .

وبلغة حضر موت :

﴿ رَبِّئُوتَ ﴾ ^(٣) : رجال .

﴿ دَمَّرْنَا ﴾ ^(٤) : أهلكنا .

﴿ لُعُوب ﴾ ^(٥) : إعياء .

﴿ مَنَسَّاتُهُ ﴾ ^(٦) : عضاه .

وبلغة غسان :

﴿ طَفَقَا ﴾ ^(٧) : عمداً .

﴿ بَشِيسٍ ﴾ ^(٨) : شديد .

﴿ سَيِّءٌ مِّمَّ ﴾ ^(٩) : كرههم .

وبلغة مزينة :

﴿ لَا تَفْلُؤَا ﴾ ^(١٠) : لا تزيدوا .

وبلغة نخم :

﴿ إِمَالَقٍ ﴾ ^(١١) : جوع .

﴿ وَلْتَعْلُنَّ ﴾ ^(١٢) : وَلْتَقَهْرُنَّ .

(٣) آل عمران

(٦) سبأ ١٤

(٩) مرد ٧٧

(١٢) الإسماء ٤

(٤) المؤمنون ١٠٨

(٥) فاطرة ٣٥

(٨) الأعراف ١٦٥

(١١) الأنعام ١٥١

(١) هود ٣٦

(٤) الأعراف ١٣٧

(٧) الأعراف ٢٢

(١٠) النساء ١٧١

وبلغة جذام:

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾^(١): تَخَلَّلُوا الْأَزْقَةَ.

وبلغة بني حنيفة:

﴿الْعُقُودِ﴾^(٢): المهود.

﴿الْجَنَاحِ﴾^(٣): اليد.

﴿الرَّهْبِ﴾^(٤): الفرع.

وبلغة اليمامة

﴿حَصَرَتْ﴾^(٥): ضاقت.

ربلغة سبأ

﴿تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾^(٦): تَخْطُونَا خَطًّا بَيْنًا

﴿تَبْرَنَّا﴾^(٧): أَهْلَكْنَا

وبلغة سليم:

﴿نَكَّصَ﴾^(٨): رجع

وبلغة عمارة:

﴿الصَّاعِقَةِ﴾^(٩): الموت.

وبلغة خزاعة:

﴿أَفِضُوا﴾^(١٠): انفروا، والإفضاء: الجماع

(٣) الإسراء ٣٤

(٦) النساء ٢٧

(٩) البقرة ٥٥

(٢) المائدة ١١

(٥) النساء ٩

(٨) الأنفال ٤٨

(١) الإسراء ٥

(٤) القصص ٣٢

(٧) الفرقان ٣٩

(١٠) البقرة ١٩٩

وبلغة عمان :

﴿ خَبَالًا ﴾ ^(١) : غَيًّا .

﴿ نَفَقًا ﴾ ^(٢) : سَرَبًا .

﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٣) : أَرَادَ

وبلغة تميم :

﴿ أَمَّةٍ ﴾ ^(٤) : نَسِيَان

﴿ بَغْيًا ﴾ ^(٥) : حِدَادًا .

وبلغة أنحار :

﴿ طَائِرُهُ ﴾ ^(٦) : عَمَلُهُ .

﴿ أَغَطَّشَ ﴾ ^(٧) : أَغْلَمَ .

وبلغة الأشعرين :

﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ ^(٨) : لَأَسْتَأْصِلَنَّ .

﴿ نَارَةٌ ﴾ ^(٩) : مَرَّةٌ

﴿ اِشْمَازَتْ ﴾ ^(١٠) : مَالَتْ وَنَفَرَتْ

وبلغة الأوس :

﴿ لَيْنَةً ﴾ ^(١١) : النَّخْلَ

وبلغة الخزرج

﴿ يَنْفَضُّوا ﴾ ^(١٢) : يَذْهَبُوا

وبلغة مدلين

﴿ فَافْرُقْ ﴾ ^(١٣) : فَاقْضِ

(٣) ص ٣٦

(٦) الإسراء ١٣

(٩) طه ٥٥

(١٢) المنافقين ٧

(٢) الأنعام ٣٥

(٥) البقرة ٢١٣

(٨) الإسراء ٦٢

(١١) الحنجره

(١) آل عمران ١١٨

(٤) يوسف ٢٥

(٧) النازعات ٢٩

(١٠) الزمر ٤٥

(١٣) المائدة ٢٥

انتهى ما ذكره أبو القاسم ماخصا .

* * *

وقال أبو بكر الواسطي في كتابه : الإرشاد في القراءات العشر : في القرآن من اللغات خمسون لغة : لغة قُريش ، ، وهذيل ، وكِنانة ، وخثعم ، والخزرج ، وأشعر ونُمير ، وقيس عيلان ، وجُرهم ، واليمن ، وأزد شَفْوَة . وكِنْدَة ، وتَمِيم ، وخَخير ، ومَدْيَن ، ونُخْلَم ، وسعد العشيرة ، وحَضْرَمَوْت ، وسَدُوس ، والعمالقة ، وأنمار ، وغسان ، ومَذْحِج ، وخُزَاعَة ، وعُظَفَان ، وسَبَأ ، وعُمان وبُنو حَنِيفَة ، وِثْعَالَة ، وطِيء ، وعَامِر بن صَعَصعة ، وأوس ، ومُزَيْنَة ، ونَقِيف ، وجَذَام ، وبِلَى ، وعُذْرَة ، وهَوَازِن ، والنَّمِر ، والحِلمَة .

ومن غير العربية : الفُرس ، والرُّوم ، والقَبِيط ، والحَبْشَة ، والبربر ، والسُرْيَانِيَة ، والعِبْرَانِيَة ، والقَبِيط . ثم ذكر في أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم ، وزاد :

﴿ الرَّجْز ﴾ ^(١) : العذاب ، بلغة بَلَى .

﴿ طَائِف من الشيطان ﴾ ^(٢) : نخسة ، بلغة نَقِيف :

﴿ بِالْأَحْقَاف ﴾ ^(٣) : الرمال ، بلغة ثَعَالَة .

* * *

وقال ابن الجوزي في فنون الألفان : في القرآن بلغة همدان :

﴿ الرِّيحَان ﴾ ^(٤) : الرزق .

﴿ عَيْن ﴾ ^(٥) : بيض .

﴿ الْمَبْقَرِي ﴾ ^(٦) : الطَّنَافِس .

وبلغة نصر بن معاوية :

﴿ الْخِتَار ﴾ ^(٧) : الغدَار

(٣) الأحقاف ٢١

(٦) الرحمن ٧٦

(٢) الأعراف ٢٠١

(٥) الدخان ٥٤

(١) الأعراف ١٣٤

(٤) الواقعة ٨٩

(٧) لقمان ٣٢

وبلغة عامر بن صعصعة :

﴿ الحفدة ﴾ ^(١) الخدم .

وبلغة ثقيف :

﴿ العول ﴾ ^(٢) : الميل

وبلغة عك :

﴿ الصُور ﴾ ^(٣) : القرن .

* * *

وقال ابن عبد البر في التمهيد : قول من قال : نزل بلغة قريش معناه عندي الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات ، من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

* * *

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلا ، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في ﴿ وَمَنْ يَشَاقَّ اللَّهَ ﴾ ^(٤) ، وفي ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ ^(٥) ؛ فإن إدغام المجزوم لغة تميم ؛ ولهذا قل ، والفك لغة الحجاز ؛ ولهذا أكثر ، نحو ﴿ وَلِيَمْلِكْ ﴾ ^(٦) ، ﴿ يَحْيِيكُمْ اللَّهُ ﴾ ^(٧) ، ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرَى ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غُضْبِي ﴾ ^(٩) .

قال : وقد أجمع القراء على نصب : ﴿ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنَّ ﴾ ^(١٠) ؛ لأن لغة الحجاز بين التزام النصب في المنقطع ، كما أجمعوا على نصب ﴿ ماهذا بشرأ ﴾ ^(١١) ؛ لأن لغتهم إعمال « ما » .

(٣) الأنعام ٧٣

(٦) البقرة ٢٨٢

(٩) طه ٨١

(٢) النساء ٣

(٥) المائدة ٥٤

(٨) طه ٣١

(١١) يوسف ٣١

(١) النحل ٧٢

(٤) الأفعال ١٣

(٧) آل عمران ٣١

(١٠) النساء ١٥٧

وزعم الزمخشري في قوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) ، أنه استثناء منقطع جاء على لغة بني تميم .

* * *

فائدة

قال الواصطي : ليس في القرآن حرف غريب ، من لغة قريش غير ثلاثة أحرف ؛ لأن كلام قريش سهل لين واضح . وكلام العرب وحشي غريب ، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة : ﴿ فَيَنْفِضُونَ ﴾ ^(٢) ، وهو تحريك الرأس ، ﴿ مُقِيمًا ﴾ ^(٣) : مقتدراً ، ﴿ فَشَرَّذْ بِهِمْ ﴾ ^(٤) .

النوع الثامن والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة العرب

قد أفردت في هذا النوع كتاباً باسميته: «المهذب فيما وقع في القرآن من العرب»، وها أنا أتلخص هنا فوائده؛ فأقول: اختلف الأئمة في وقوع العرب في القرآن؛ فالأكثر، ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾^(٢)، وقد شدد الشافعي التأكيد على القائل بذلك. وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية، فقد أكبر القول.

وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وقال ابن جرير: ماورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لساير الألسنة في أسفارهم، فملقت من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها؛ حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.

وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متمسكة جداً؛

ولا يبعد أن تخفى على الأَكابرِ الجَلَّة ، وقد خفى على ابن عباس معنى « فاطر » و « فاتح » .
قال الشافعي في الرسالة : لا يحيط باللغة إلا نبي .

وقال أبوالمعالى عَزَيزى بن عبد الملك : إنما وُجِدَت هذه الألفاظ فى لغة العرب ، لأنها أوسع اللغات ، وأكثرها ألفاظاً ، ويحوز أن يكونوا سُبِقُوا إلى هذه الألفاظ .

وذهب آخرون إلى وقوعه فيه . وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) ، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية ، وعن قوله تعالى : ﴿ أَعْجَبِيَّ وَعَرْبِيَّ ﴾ ^(٢) بأن المعنى من السياق : « أكلام أعجميٍّ ومخاطب عربى ! » . واستدلوا باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو « إبراهيم » للعجمية والعجمة ، ورُدَّ هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محلَّ خلاف ، فالكلام فى غيرها مَوْجَهٌ بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلامانع من وقوع الأجناس ، وأقوى مَرايَته للوقوع — وهو اختياري — ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبى مَيْسرة التابعيِّ الجليل قال : فى القرآن من كلِّ لسان .

وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبّه .

فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ، وَنَبَأَ كلَّ شَيْءٍ ، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لِيَتِمَّ إحاطته بكلِّ شَيْءٍ ، فاختر له من كلِّ لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب .

ثم رأيت ابن النقيب صرَّح بذلك ، فقال : من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، ولم ينزل فيها شَيْءٌ بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شَيْءٌ كثير . انتهى

وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم مرسلٌ إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(١)، فلا بدَّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.

وقد رأيت الخويّ ذكر لوقوع العرب في القرآن فائدة أخرى، فقال: إن قيل أن «إستبرق» ليس بعربيّ وغير العربي من الألفاظ دون العربيّ في الفصاحة والبلاغة، فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لمجزوا عن ذلك، وذلك لأن الله تعالى إذا حث عباده على الطاعة، فإن لم يرغبهم بالوعد الجميل ونحو فهم بالعذاب الويل، لا يسكون حثه على وجه الحكمة، فالوعد والوعيد نظراً إلى الفصاحة واجب. ثم إن الوعد بما يرغب فيه العقلاء، وذلك منحصر في أمور: الأما كن الطيبة، ثم المأكّل الشهية، ثم المشارب الهنية، ثم اللباس الرفيع ثم المناكح اللذيذة، ثم ما بعده مما يختلف فيه الطباع، فإذا ذكر الأما كن الطيبة والوعد به لازم عند الفصيح، ولو تركه لقال من أمر بالعبادة ووعد عليها بالأكل والشرب: إن الأكل والشرب لا ألتذّبه، إذا كنت في حبس أو موضع كريه، فإذا ذكر الله الجنة ومساكن طيبة فيها، وكان ينبغي أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها، وأرفع الملابس في الدنيا الحرير، وأما الذهب فليس مما ينسج منه ثوب. ثم إن الثوب الذي من غير الحرير لا يعتبر فيه الوزن والنقل، وربما يكون الصفيق الخفيف أرفع من الثقيل الوزن، وأما الحرير فكلاً كان ثوبه أثقل كان أرفع؛ فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر الأثقل الأثخن، ولا يتركه في الوعد لئلا يقصر في الحث والدعاء. ثم هذا الواجب المذكور، إما أن يذكر بلفظ واحد موضوع له صريح، أو لا يذكر بمثل هذا؛ ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى، لأنه أوجز وأظهر في الإفادة، وذلك «إستبرق» فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ، ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد

العربي لفظا واحدا يدلّ عليه ، لأنّ الثّياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ، ولا وضع في اللغة العربية للدّيباج الثّخين اسم ، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وزرّة تلفظهم به ، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر ، فإنه يكون قد أخلّ بالبلاغة ، لأنّ ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل ، فعلم بهذا أن لفظ «إستبرق» يجب على كلّ فصيح أن يتكلّم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه ، وأى فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله ! انتهى

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن العربية : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال : أعجمية فصادق . ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون .

* * *

وهذا سرد الألفاظ الواردة في القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم :

(أباريق) : حكى الثعالبي في فقه اللغة أنها فارسية ، وقال الجواليقي : الإبريق فارسيّ معرب ، ومعناه طريق الماء أو صبّ الماء على هيئة .

(أب) : قال بعضهم : هو الحشيش بلغة أهل الغرب حكاة شذيلة

(أبلعي) : أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالى : ﴿أَبْلَعِيْ مَاءَكَ﴾ ^(١) قال : بالحبيشية «أزدرديه» . وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اشربي بلغة الهند

(أخلد) : قال الواسطيّ في الإرشاد : أخلد إلى الأرض ، ركن بالعبرية .

(الأرائك): حكى ابن الجوزى فى فنون الأفنان، أنها الشرر بالحشية.

(آزر): عدّ فى العرب على قول من قال: إنه ليس بعلم لأبى إبراهيم ولا للصم. وقال ابن أبى حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبى يقرأ: ﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(١) يعنى بالرفع، قال: بلغنى أنها أعوج وأنها أشدّ كلفة قالها إبراهيم لأبيه. وقال بعضهم: هى بلغتهم يا مخطئ.

(أسباط): حكى أبو الليث فى تفسيره أنها بلغتهم كلقبائل بلغة العرب.

(إستبرق): أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك أنه الديباج الغليظ، بلغة العجم.

(أسفار): قال الواسطى فى الإرشاد: هى الكتب بالسريانية، وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك قال: هى الكتب بالنبطية.

(إضرى): قال أبو القاسم فى لغات القرآن: معناه عهدى بالنبطية.

(أكواب): حكى ابن الجوزى أنها الأكواز بالنبطية. وأخرج ابن جرير عن الضحاك أنها بالنبطية جرار ليست لها عرى.

(إل): قال ابن جنى: ذكروا أنه اسم الله تعالى بالنبطية.

(أليم): حكى ابن الجوزى أنه الموجع بالزنجية. وقال شيدلة: بالعبرانية.

(إناه): فضجّه باسان أهل المغرب، ذكره شيدلة. وقال أبو القاسم: بلغة البربر، وقال فى قوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ آنٌ﴾^(٢) هو الذى انتهى حرّه بها، وفى قوله تعالى: ﴿مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾^(٣) أى حارة بها.

(أواه): أخرج أبو الشيخ بن حبان من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال:

الأَوَاهِ اللّوَقْنَ بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ . وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِثْلَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ . وَأَخْرَجَ عَنْ
عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلٍ ، قَالَ : الرَّحِيمُ بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ ، وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ : الْأَوَاهِ الدَّعَاءُ بِالْعَبْرِيَّةِ .
(أَوَابُ) : أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلٍ قَالَ : الْأَوَابُ : الْمَسْبُوحُ بِلِسَانِ الْحَبْشَةِ
وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْبَى مَعَهُ ﴾ ^(١) ، قَالَ : سَبَّحَ بِلسَانِ الْحَبْشَةِ
(اللِّمَّةُ الْآخِرَةُ) : قَالَ شَيْذَلَةُ : الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى أَى الْآخِرَةُ فِي اللَّمَّةِ الْآخِرَةِ ، أَى
الْأُولَى بِالْقِبْطِيَّةِ وَالْقِطْبِطِ يَسْمُونِ الْآخِرَةَ الْأُولَى ، وَالْأُولَى الْآخِرَةَ . وَحَكَاهُ الزَّرْكَشِيُّ
فِي الْبَرَهَانِ ^(٢)

(بَطَانُهَا) : قَالَ شَيْذَلَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ^(٣) أَى ظَوَاهِرُهَا
بِالْقِبْطِيَّةِ . وَحَكَاهُ الزَّرْكَشِيُّ . ^(٤)

(بَعِيرٌ) : أَخْرَجَ الْفَرَابِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَيْلٌ بِعَيْرٍ ﴾ ^(٥) ، أَى كَيْلُ حِمَارٍ ،
وَعَنْ مِقَاتِلٍ : إِنَّ الْبَعِيرَ كُلُّ مَا يَحْمَلُ عَلَيْهِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ .

(بَيْعٌ) : قَالَ الْجَوَالِيقِيُّ فِي كِتَابِ الْمَرْبِ : الْبَيْعَةُ وَالْكُنَيْسَةُ جَعَلَهُمَا بَعْضُ الْعَمَاءِ فَارَسِيَّيْنِ
مَعْرَبَيْنِ ^(٦) .

(تَنْوَرٌ) : ذَكَرَ الْجَوَالِيقِيُّ وَالتَّنْعَالِيُّ أَنَّهُ فَارَسِيٌّ مَعْرَبٌ . ^(٧)

(تَنْذِيرٌ) : أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِيُنْذِرُوا مَا عَلَوْا
تَنْذِيرًا ﴾ ^(٨) قَالَ : تَنْذِيرُهُ بِالنَّبَطِيَّةِ

(نَحْتٌ) : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ فِي لُغَاتِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ﴾ ^(٩)
أَى بَطْنِهَا بِالنَّبَطِيَّةِ . وَنَقَلَ الْكُرْمَانِيُّ فِي الْعَجَائِبِ مِثْلَهُ عَنْ مُؤَرِّجٍ .

(٣) الرَّحْنُ ٥٤

(٦) الْمَرْبُ ٨١

(٩) مَرِيمَ ٢٤

(٢) الْبَرَهَانُ ٢٨٨ : ١

(٥) يَوْسُفَ ٦٥

(٨) الْإِسْرَاءُ ٧

(١) سَبَأُ ١٠

(٤) الْبَرَهَانُ ٢٨٩ : ١

(٧) الْمَرْبُ ٨٤

(الجَبْت) : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال : الجَبْت اسم الشيطان بالحبشية .
وأخرج عن ابن حميد عن عكرمة ، قال : الجَبْت بلسان الحبشة الشيطان ، وأخرج ابن جرير
عن سعيد بن جبير ، قال : الجَبْت : الساحر ، بلسان الحبشة .

(جهنم) : قيل : أمجمية ، وقيل : فارسية وعبرانية ، أصلها « كهنام » .

(حرم) : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة ، قال : وحرم : وجب بالحبشية .

(حَصَب) : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ .^(١)

قال : حطب جهنم ، بالزنجية .

(حِطَّة) : قيل : معناه : قولوا صوابا ، باقتهم .

(حَوَارِيُون) : أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : الحَوَارِيُون : الفسّالون
بالنبطية ، وأصله « هوارى »

(حوب) : تقدّم في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس ، أنه قال : حوباً : إنما بلغة الحبشة

(دارست) : معناه قارات بلغة اليهود .

(دُرِّي) : معناه المضيء بالحيشية ، حكاه شاذل وأبو القاسم .

(دينار) : ذكر الجو اليقي وغيره أنه فارسي .

(راعنا) : أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن ابن عباس قال : راعنا سب بلسان اليهود .

(ربّانيون) : قال : الجو اليقي : قال أبو عبيدة : العرب لا تعرف الربّانيين ، وإنما عرفها

الفقهاء وأهل العلم . قال : وأحسب الكلمة ليست بعربية وإنما هي عبرانية أو سريانية ،

وجزم القاسم بأنها سريانية^(٢)

(رَبِيبُونَ): ذكر أبو حاتم أحمد بن حمدان اللّغوى فى كتاب الزينة أنها سرىانية .

(الرحمن): ذهب المبرّد وثعلب إلى أنه عبرانى، وأصله بالخاء المعجمة .

(الرسن): فى العجائب للكرمانى: إنه عجمى ومعناه البئر .

(الرقيم): قيل: إنه اللوح بالرومية حكاه شاذلة . وقال أبو القاسم: هو الكتاب بها، وقال الواسطى: هو الدواء بها .

(رَمْزًا): عدّه ابن الجوزى فى فنون الألفان من المعرب . وقال الواسطى: هو تحريك الشفتين بالعبريّة .

(رَهْوًا): قال أبو القاسم فى قوله تعالى: ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾^(١) أى سهلاً دميئاً، بلغة النبط . وقال الواسطى: أى ساكناً، بالسريانية .

(الرّوم): قال الجوالقى: هو أعجمى، اسم لهذا الجيل من الناس^(٢) .

(زَنْجَبِيل): ذكر الجوالقى والثعالبى أنه فارسى^(٣) .

(السَّجَل): أخرج ابن مردويه من طريق أبى الجوزاء عن ابن عباس، قال: السَّجَل بلغة الحبشة الرجل . وفى المختص لابن جنى السَّجَل: الكتاب . قال قوم: هو فارسى معرب^(٤) .

(سَجَّيل): أخرج الفريابى عن مجاهد، قال: سَجَّيل بالفارسية، أو لها حجارة، وآخرها طين . (سَجَّين): ذكر أبو حاتم فى كتاب الزينة أنه غير عربى .

(سُرَادق): قال الجوالقى: فارسى معرب، وأصله سرادر، وهو الدهليز . وقال غيره: الصّواب أنه بالفارسية سردار، أى ستر الدار .

(سرى): أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿سَرِيًّا﴾^(٥)، قال نهر، بالسريانية .

وعن سعيد بن جبیر بالنّبطيّة، وحكى شاذلة أنه باليونانية .

(سَفَرَة) : أخرج ابن أبي حاتم : من طريق ابن جريح ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ ^(١) قال : بالنَّبْطِيَّة : القراء ..

(سفر) : ذكر الجواليقي أنها أعجمية ^(٢) .

(سُجِّدَا) : قال الواسطي في قوله تعالى : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ ^(٣) ، أى مقننى الرأس ،

بالسريانية .

(سَكَّرَ) : أخرج ابن مردويه ، من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، قال : السَّكْر بلسان

الحبشة الخَلَل .

(سلسبيل) : حكى الجواليقي أنه عجمي ^(٤) .

(سنًا) : عدّه الحافظ ابن حجر في نظمه ، ولم أقف عليه لغيره .

(سُنْدُس) : قال الجواليقي هورقيق الديباج بالفارسية ، وقال الليث : لم يختلف أهل اللغة

والمفسرون في أنه معرّب . وقال شيدلة : هو بالهندية .

(سيدها) : قال الواسطي في قوله تعالى : ﴿ وَالْفَيَاسِيْدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ^(٥) ، أى زوجها

بلسان القبط : قال أبو عمرو : لا أعرفها في لغة العرب .

(سينين) : أخرج ابن أبي حاتم ، وابن جرير عن عكرمة قال : سينين : الحسن

بلسان الحبشة .

(سيناء) : أخرج ابن أبي حاتم ، عن الضحاك ، قال : سيناء بالنَّبْطِيَّة الحسن .

(شَطْر) : أخرج ابن أبي حاتم ، عن رُفِيع في قوله تعالى : ﴿ شَطْرُ الْمَسْجِدِ ﴾ ^(٦) ،

قال : تلقاء ، بلسان الحبش .

(شَهْر) : قال الجواليقي : ذكر بعض أهل اللغة أنه بالسريانية ^(٧) .

(٢) العرب ١٩٨ ، وقال : اسم لئار الآخرة

(١٠) عيس ١٥

(٥) يوسف ٢٥

(٤) العرب ١٨٩

(٣) الأعراف ١٦١

(٧) العرب ٢٠٧

(٦) البقرة ١٤٤

(الصراط) : حكى الفقاشر وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم ، ثم رأيت في كتاب الزينة لأبي حاتم .

(صُرْهُنْ) : أخرج ابن جرير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَصُرْهُنَّ ﴾ ^(١) ، قال : هي نَبَطِيَّة ، فشقَّقهن . وأخرج مثله عن الضحاك . وأخرج ابن المنذر عن وهب ابن منبه قال : مامن اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء ، قيل : وما فيه من الرومية ؟ قال : ﴿ فَصُرْهُنَّ ﴾ يقول : قطعن .

(صَلَوَاتُ) : قال الجواليقي : هي بالعبرانية كنائس اليهود ، وأصلها « صلوتا » ^(٢) . وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن الضحاك .

(طه) : أخرج الحاكم في المستدرك ، من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ طه ﴾ قال : هو كقولك : يا محمد ، بلسان الحبش ، وأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ﴿ طه ﴾ بالنَّبَطِيَّة .

وأخرج عن سعيد بن جبير قال : طه يارجل ، بالنَّبَطِيَّة . وأخرج عن عكرمة قال : طه يارجل ، بلسان الحبشة .

(الطاغوت) : هو الكاهن بالحبشية .

(طافقا) : قال بعضهم : معناه قَصْدًا بالرومية ، وحكاة شيدلة .

(طوبى) : أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير ، قال : بالهندية .

(طور) : أخرج الفريابي ، عن مجاهد . قال : الطور : الجبل بالسريانية . وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك ، أنه بالنَّبَطِيَّة .

(عبدت) : قال أبو القاسم في قوله تعالى : ﴿ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(٣) ، معناه قتلت

بلغة النبط .

(عَدَن): أخرج ابنُ جرير، عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ ^(١) قال: جَنَّاتُ كَرْوَمٍ وَأَعْنَابٍ بالسريانية، ومن تفسير جُوَيْرَ أَنَّهُ بِالرُّومِية. (العَرِم): أخرج ابن أبي حاتم، عن مجاهد، قال: العَرِمُ بالحِشْيَةِ، وهى المَسْنَةُ التى يُجْمَعُ فيها الماءُ ثم ينبثق.

(غَتَّاق): قال الجوالقي والواسطي: هو البارد المنين بلسان الترك. وأخرج ابنُ جرير عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ قال: الغَتَّاق: المنين، وهو بالطخارية ^(٢).

(غِيضَ): قال أبو القاسم: غِيضَ: نقص، بلغة الحبشة.

(فردوس): أخرج ابنُ أبي حاتم عن مجاهد، وقال: الفِرْدَوْسُ بُسْتَانٌ بِالرُّومِية. وأخرج عن السدى، قال: الكَرَمُ بالنَّبْطِية. وأصله «فرداسا».

(فُوم): قال الواسطي: هو الحَنْظَةُ بالعبرية.

(قراطيس): قال الجوالقي: يقال إن القراطس أصله غير عربى ^(٣).

(قسط): أخرج ابنُ أبي حاتم، عن مجاهد قال: القِسطُ العَدْلُ، بالرومية.

(قِسطاس): أخرج الفريابي، عن مجاهد، قال: القِسطاس: العدل بالرومية. وأخرج

ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: القِسطاس بلغة الروم: الميزان.

(قسورة): أخرج ابنُ جرير، عن ابن عباس، قال: الأسد، يقال له بالحِشْيَةِ: قسورة.

(قِطْنَا): قال أبو القاسم: معناه كتابنا، بالنَّبْطِية.

(قُفْل): حكى الجوالقي عن بعضهم أنه فارس معرب ^(٤).

(قُفْل): قال الواسطي: الدِّبَابُ ^(٥) بلسان العبرية والسريانية. قال أبو عمرو: لا أعرفه في لغة

أحدٍ من العرب.

(١) التوبة ٧٢

(٢) الطخارية: منسوب إلى طخارستان.

(٣) العرب ٢٧٦

(٤) العرب ٢٧٦، قال: «أصله كفل»

(٥) الدِّبَابُ: نوع من الجراد.

(قنطار) : ذكر الثعالبي في فقه اللغة أنه بالرومية اثنتا عشرة ألف أوقية : وقال الخليل : زعموا أنه بالسريانية مل جلد ثور ذهاباً أوفضة . وقال بعضهم : إنه بلغة بربر ألف مثقال . وقال ابن قتيبة : قيل إنه ثمانية آلاف مثقال ، بلسان أهل إفريقية .

(القيوم) : قال الواسطي : هو الذي لا ينام بالسريانية .

(كافور) : ذكر الجواليقي وغيره أنه فارسي معرب ^(١) .

(كفر) : قال ابن الجوزي : كفر عنّا معناه : امحُ عنّا بالنبطية . وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى : ﴿ كَفَرُ عَنْهُمْ سِحَابُهُمْ ﴾ ^(٢) قال : بالعبرانية .

(كفلين) : أخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : كفلين : ضعفين بالحبشية .

(كنز) : ذكر الجواليقي أنه فارسي معرب ^(٣) .

(كورت) : أخرج ابن جرير عن سعيدين جبير : كورت : غورت ، وهي بالفارسية .

(لينة) : في الإرشاد للواسطي : هي النخلة ، وقال الكلبي : لا أعلمها إلا بلسان

يهود يثرب .

(مُتَكَا) : أخرج ابن أبي حاتم ، عن سلمة بن تمام الشقري ، قال : مُتَكَا بلسان الحبش ،

يسمّون الترنج مُتَكَا .

(مَجُوس) : ذكر الجواليقي أنه أعجمي ^(٤) .

(مرجان) : حكى الجواليقي عن بعض أهل اللغة أنه أعجمي .

(مِسْكَاة) : أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : المِسْكَاة : السَكْوَة ، بلغة الحبشة .

(مقاليد) : أخرج الفريابي عن مجاهد : قال : مقاليد : مفاتيح بالفارسية . وقال ابن دُرَيْد

والجواليقي : الإقليد والتقليد : المفتاح فارسي معرب ^(٥) .

(١) العرب ٢٧ (٢) آل عمران ١٩٣ (٣) العرب ٢٩٧
 (٤) العرب ٣٢٠ (٥) العرب ٣١٤ وعبارته : « التقليد : المفتاح ، فارسي معرب
 لغة في الإقليد » .

(مَرْقُوم) : قال الواسطى فى قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ ، ^(١) أى مكتوب ،

بلسان العبرية

(مُرْجَاة) : قال الواسطى : مرجاة : قليلة ، بلسان العجم ، وقيل بلسان القبط

(مَلَكُوت) : أخرج ابن أبى حاتم ، عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ مَلَكُوتٌ ﴾ ^(٢) ، قال : هو الملك ، ولكنه بكلام النَّبَطِيَّة « مَلَكُوتَا » .

وأخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس وقال الواسطى فى الإرشاد : هو الملك بلسان النَّبَط .

(مَنَاص) : قال : أبو القاسم : معناه فرار بالنَّبَطِيَّة .

(مَنَسَاة) : أخرج ابن جرير عن السُّدِّى ، قال : المنسأة : العصا بلسان الحبشة .

(مُنْفَطِرٌ) : أخرج ابن جرير عن ابن عباس ، فى قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ ^(٣) قال : ممتلئة به ، بلسان الحبشة .

(مُهل) : قيل : هو عكر الزيت بلسان أهل المغرب ، حكاة شيلة . وقال أبو القاسم : بلغة البربر .

(ناشئة) : أخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود ، قال : ناشئة الليل : قيام الليل بالحبشية . وأخرج البيهقى عن ابن عباس مثله .

(ن) : حكى الكرماني فى المعجائب ، عن الضحاك أنه فارسى ، أصله النون ؛ ومعناه : اصنع ماشئت .

(هَذَا) : قيل معناه تَبَنَّا بالعبرانية ، حكاة شيلة وغيره .

(هود) : قال الجواليقى : الهود اليهود ، أعجمى .

(هَوْنُ) : أخرج ابنُ أبي حاتم عن ميمون بن مهران في قوله تعالى : ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ^(١) قال : حكاه بالسريانية . وأخرج عن الضحاك مثله ، وأخرج عن عن أبي عمران الجوني أنه بالعبرانية .

(هَيْتَ لَكَ) : أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، قال : هَيْتَ لَكَ ، هَلَمْ لَكَ بالقبطية . وقال الحسن : هي بالسريانية كذلك ، أخرجه ابن جرير . وقال عكرمة : هي بالخورانية ، كذلك أخرجه أبو الشيخ . وقال أبو زيد الأنصاري : هي بالعبرانية ، وأصله « هيتاج » أى تعاله .

(وراء) : قيل : معناه أمام بالنبطية ، وحكاه شاذل وأبو القاسم ، وذكر الجواليقي أنها غير عربية .

(وَرْدَةٌ) : ذكر الجواليقي أنها غير عربية ^(٢) .

(وَزَر) : قال أبو القاسم : هو الحبل والمجأ ، بالنبطية .

(ياقوت) : ذكر الجواليقي والشماعلي وآخرون أنه فارسي ^(٣) .

(يَحُور) : أخرج ابنُ أبي حاتم ، عن داود بن هند ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ ^(٤) ، قال : بلغة الحبشة « يرجع » . وأخرج مثله عن عكرمة ، وتقدم في أسئلة نافع بن الأزرق عن ابن عباس .

(يَس) : أخرج ابنُ مردويه ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ يَسْ ﴾ قال : بالإنسان بالحبشية ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، قال : يس : يارجل بلغة الحبشة .

(يَصْدُون) : قال ابن الجوزي : معناه يضجون بالحبشية .

(١) الفرقان ٦٣ (٢) المغرب ٣٤٤

(٣) المغرب ٣٥٦ ، وقال : الياقوت ، والجمع اليواقيت ، قال مالك بن نويرة :

لَنْ يَذْهَبَ اللَّوْمُ تَاخً قَدْ حَبِثَ بِهِ مِنْ الزَّبْرِ جَدٍ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ (٤) الانشقاق ١٤

(بصهر) : قيل معناه ينضج ، بلسان أهل المغرب ، حكاة شيدلة .

(اليم) : قال ابن قتيبة : اليم البحر بالسريانية ، وقال ابن الجوزي : بالمبرانية ، وقال شيدلة : بالقبطية .

(اليهود) : قال الجواليقي : أعجمي معرب ، مذعوبون إلى يهوذا بن يعقوب ، فعرّب بإجمال الدال ^(١) .

فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ، ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا .

وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين نقطا في أبيات ، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل بن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظا وذيلت عليها بالباقي ، وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة . فقال ابن السبكي :

السَّيْلُ وَطَه كُورَتْ يَبَعُ	رُومٌ وَطَوْبَى وَسَجِيلٌ وَكَافُورُ
وَالرَّجَبِيلُ وَمَشْكَاةٌ سُرَادِقُ مَعُ	إِسْتَبْرَقِ صَلَوَاتٍ سُدُسٌ طُورُ
كَذَا قَرَاتِيسُ رَبَائِيهِمْ وَغَنَا	قٌ وَدَبْنَارُ وَالْقَسَاسُ مَشْهُورُ
كَذَاكَ قَسُورَةٌ وَالْيَمُ نَاشِئَةٌ	وَبُوتَ كِفْلَيْنِ مَذْكَورٌ وَمَنْطُورُ
لَهُ مَقَالِيدُ فَرْدُوسٍ يَعْدُ كَذَا	فَمَا حَكَى ابْنُ دُرَيْدٍ مِنْهُ تَنُورُ

وقال ابن حجر :

وَزِدَتْ حِرْمٌ وَمُهْلٌ وَالسَّجِلُ كَذَا	السَّرَى وَالْأَبُ ثُمَّ الْجَبْتُ مَذْكَورُ
وَقِطْنَا وَإِنَاهُ نَمٌ مُتَكَنَّا	دَارَسَتْ بِصَهْرٍ مِنْهُ فَهُوَ مَضْهُورُ
وَهَيْتُ وَالسَّكْرُ الْأَوَاهُ مَعَ حَصَبِ	وَأَوْبَى مَعَهُ وَالطَّاعُوتُ مَنْطُورُ
صُرْهَنْ إِضْرِي وَغِيضُ الْمَاءِ مَعَ وَزَرِ	نَمَ الرِّقْمُ مَنَاصُ وَالسَّنَا الثُّورُ

وقلت أيضا :

وزدت يس والرخمن مع ملكو
 ثم الصراط ودرى بحور ومز
 ورأينا طفقا هذنا ابلعى وورا
 هود وقسط كقر رمزہ سقر
 شهر مجوس وإقال يهود حوا
 بعير آزر حوب وزدة عرم
 ولينة قومها رهو وأخلد مز
 وقمل ثم أسفار عني كتبا
 وحطة وطوى والرّس نون كذا
 مسك أباريق ياقوت رروا فهنا
 وبعضهم عد الأولى مع بطاننها

ت ثم سينين شطر البيت مشهور
 جان ويم مع القنطار مذكور
 والأرائك والأكواب مانور
 هون يصدون والمنساء مسطور
 ربون كنز وسجين وتنبير
 إل ومن تحتها عبدة والصور
 جاة وسيدها القيوم موقور
 وسجدا ثم ربون تكثير
 عدن ومنظر الأساط مذكور
 مافات من عدد الألفاظ محصور
 والآخرة لمعاني الضد مقصور

النوع التاسع والثلاثون في معرفة الوجوه والتظائر

صنف فيها مقاتل بن سلمان، ومن التأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري وابن فارس وآخرون .

فالوجوه للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الأمة ، وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سمّيته « معترك الأقران في مشترك القرآن » .

والنظائر كالألفاظ المتواطئة . وقيل : التّظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني، وضُفَّ ؛ لأنه لو أريد هذا ، لكان الجمع في الألفاظ المشتركة ، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً آخر .

وقد جمل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً : « لا يكون الرَّجل فقيهاً كلّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة » .

قلت : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، ولفظه : « لا يفقه الرجل كلّ الفقه » . وقد فسّره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة ، فيعمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة، وعدم الاختصار على التفسير الظاهر .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة ، وعدم الاختصار على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء ، قال : « إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها » .

قال حماد : فقلت لأيوب : أرايت قوله : « حتى ترى للقرآن وجوها » ؟ أهو أن يرى له وجوها فيها بالإقدام عليه ؟ قال : نعم ، هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة ، عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج ، فقال : « اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن ، فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة » .

وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين ، فأنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل ، قال : صدقت ، ولكن القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن خاصمهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً . فخرج إليهم فخاصمهم بالسنة فلم يبق بأيديهم حجة

وهذه عيون من أمثلة هذا النوع

من ذلك :

(الهدى) : يأتي على سبعة عشر وجها :

بمعنى الثبات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١) .

والبيان : ﴿ أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٢) .

والدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾^(٣) .

- والإيمان: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ ^(١)
- والدعاء: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ^(٢)، ﴿وَجَمَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ^(٣).
- وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ ^(٤).
- والمعرفة: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ^(٥).
- وبمعنى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ ^(٦).
- وبمعنى القرآن: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ^(٧).
- والتوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ ^(٨).
- والاسترجاع: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ^(٩).
- والحجة: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(١٠)، بمد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ ^(١١) أى لا يهديهم حجة.
- والتوحيد: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ ^(١٢).
- والسنة: ﴿فَيَهْدَاهُمْ سَبِيلَ الْقِتَادَةِ﴾ ^(١٣)، ﴿وَأَنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ ^(١٤).
- والإصلاح: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ^(١٥).
- والإلهام: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ^(١٦)، أى ألهمهم المعاش.
- والتوبة: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ ^(١٧).

(٣) الأنبياء ٧٣

(٦) البقرة ١٥٩

(٩) البقرة ١٥٧

(١٢) الأنعام ٩٠

(١٥) طه ٥٠

(٢) الرعد ٧

(٥) النحل ١٦

(٨) غافر ٥٣

(١١) القصص ٥٧

(١٤) يوسف ٥٢

(١) مريم ٧٦

(٤) البقرة ٣٨

(٧) النجم ٢٣

(١٠) البقرة ٢٥٨

(١٣) الزخرف ٢٢

(١٦) الأعراف ١٥٦

والإرشاد : ﴿ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(١)

* * *

ومن ذلك :

(السوء) : يَأْتِي عَلَى أَوْجِهِ :

الشدة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾ ^(٢)

وَالْعَمْرِ : ﴿ وَلَا تَسْأَلْهَا بِسُوءِ ﴾ ^(٣)

والزنى : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ^(٤) ، ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ ^(٥)

والبرص : ﴿ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ^(٦)

والعذاب : ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ ﴾ ^(٧)

وَالشَّرْكَ : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ ^(٨)

والشدة : ﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَأَلَسِنْتُهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ ^(١٠)

والذنب : ﴿ يَمْكُلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ ^(١١)

وبمعنى : بئس ﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ ^(١٢)

والضرر : ﴿ وَيَكْثِفُ السُّوءَ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ ^(١٤)

والقتل والمهزيمة : ﴿ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ ^(١٥)

* * *

(٣) الأعراف ٧٣

(٦) القصص ٣٢

(٩) النساء ٢٤٨

(١٢) الرعدة ٢

(١٥) آل عمران ١٧٤

(٢) النحل ٢٨

(٥) مريم ٢٨

(٨) النمل ٢٧

(١١) النساء ١٧

(١٤) الأعراف ١٨٨

(١) القصص ٢٢

(٤) يوسف ٢٥

(٧) النمل ٢٧

(١٠) الممتحنة ٢

(١٣) النمل ٦٢

ومن ذلك :

(الصلاة) : تأتي على أوجه :

الصلوات الخمس : ﴿ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (١) .

وصلاة العصر : ﴿ تَجْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ (٢) .

وصلاة الجمعة : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ﴾ (٣) .

والجنازة : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ (٤) .

والدعاء : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ (٥) .

والدين : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ (٦) .

والقراءة : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ (٧) .

والرحمة والاستغفار : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٨) .

ومواضع الصلاة : ﴿ وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ ﴾ (٩) ، ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾ (١٠) .

* * *

ومن ذلك :

(الرحمة) : وردت على أوجه :

الإسلام : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١١) .

والإيمان : ﴿ وَأَنَّا نُنَزِّلُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ (١٢) .

والجنة : ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٣) .

والمر : ﴿ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ (١٤) .

(٣) الجمعة ٦

(٦) هود ٧٧

(٩) الحج ٤٠

(١٢) هود ٢٨

(٢) المائدة ١٠٦

(٥) التوبة ١٠٣

(٨) الأحزاب ٥٦

(١١) آل عمران ٧٤

(١٤) الأعراف ٥٧

(١) البقرة ٣

(٤) التوبة ٨٤

(٧) الإسراء ١١٠

(١٠) النساء ٤٣

(١٣) آل عمران ١٠٧

- والنعمة : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ^(١) .
- والنبوة : ﴿ أَمْ عِنْدَكُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ^(٢) ، ﴿ أَلَمْ يَقْسِمُوا رَحْمَةَ رَبِّكَ ^(٣) .
- والرزق : ﴿ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّي ^(٤) .
- والنصر والفتح : ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ^(٥) والعافية : ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ^(٦) .
- والمودة : ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ^(٧) ، ﴿ رَحْمَاءَ بَيْنَهُمْ ^(٨) .
- والسبعة : ﴿ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً ^(٩) .
- والمغفرة : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ^(١٠) .
- والمصمة : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ^(١١) .

* * *

ومن ذلك :

(الفتنة) : وردت على أوجه :

- الشرك : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ^(١٢) ، ﴿ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ^(١٣) .
- والإضلال : ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ^(١٤) .
- والقتل : ﴿ أَنْ يَفْتَنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١٥) .
- والصد : ﴿ وَاحْذَرُوا أَنْ يَفْتَنُوكَ ^(١٦) .

(١) النور ١٠	(٢) ص ٩	(٣) الزخرف ٣٢
(٤) الإسراء ١٠٠	(٥) الأحزاب ١٧	(٦) الزمر ٣٨
(٧) الحديد ٢٧	(٨) الفتح ٢٩	(٩) البقرة ١٧٨
(١٠) الأنعام ١٢	(١١) هود ٤٣	(١٢) البقرة ١٩١
(١٣) الأنفال ٣٩	(١٤) آل عمران ٧	(١٥) النساء ١٠١
		(١٦) المائدة ٤٩

- والضلالة : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ ^(١) .
 والمعدة : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ ﴾ ^(٢) .
 والقضاء : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ^(٣) .
 والإثم : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ^(٤) .
 والمرض : ﴿ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ ﴾ ^(٥) .
 والعبرة : ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ ^(٦) .
 والعقوبة : ﴿ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ^(٧) .
 والاختبار : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ^(٨) .
 والعذاب : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ ^(٩) .
 والإحراق : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ ^(١٠) .
 والجنون : ﴿ بِأَيْسَرُ الْفِتْنُونَ ﴾ ^(١١) .

* * *

ومن ذلك :

(الروح) ، ورد على أوجه :

الأمر : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ^(١٢) .

والوحي : ﴿ يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ ^(١٣) .

والقرآن : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ^(١٤) .

(٣) الأعراف ١٥٥

(٦) يونس ٨٥

(٩) العنكبوت ١٠

(١٢) النساء ١٧١

(٢) الأنعام ٢٣

(٥) التوبة ١٢٦

(٨) العنكبوت ٣

(١١) الفلم ٦

(١٤) الشورى ٥٢

(١) المائدة ٤١

(٤) التوبة ٤٩

(٧) البور ٦٣

(١٠) الذريات ١٢

(١٣) النحل ٢

- والرحمة : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُمْ بِرُوحِ الْقُدُّسِ ﴾ ^(١) .
 والحياة : ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ ^(٢) .
 وجبريل : ﴿ فَارْسَلْنَا لَهُ رُوحَنَا ﴾ ^(٣) ، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ^(٤) .
 وملائكة عظيم : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ ^(٥) .
 وجيش من الملائكة : ﴿ نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ ^(٦) .
 وروح البدن : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ^(٧) .

ومن ذلك :

- (القضاء) : ورد على أوجه :
 الفراغ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ أَسْكَكُمْ ﴾ ^(٨) .
 والأمر : ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾ ^(٩) .
 والأجل : ﴿ قَبْلَهُمْ مَنْ قَضَى نَحْمَهُ ﴾ ^(١٠) .
 والفصل : ﴿ لَقَضَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ^(١١) .
 والمضى : ﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(١٢) .
 والملاك : ﴿ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ ﴾ ^(١٣) .
 والوجوب : ﴿ قَضَى الْأَمْرُ ﴾ ^(١٤) .
 والإبرام : ﴿ فِي نَفْسٍ يَمُقُوبَ قَضَاهَا ﴾ ^(١٥) .

(٣) مريم ١٧

(٦) القمر ٤

(٩) البقرة ١١٧

(١٢) الأفعال ٤٢

(١٥) يوسف ٦٨

(٢) الواقعة ٨٩

(٥) النبأ ٨٣

(٨) البقرة ٢٠٠

(١١) الأنعام ٨

(١٤) يوسف ٤١

(١) البقرة ٨٧

(٤) الشعراء ١٩٣

(٧) الإسراء ٨٥

(١٠) الأحزاب ٢٣

(١٣) يونس ١١

- والإعلام : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(١)
 والوصية : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ^(٢) .
 والموت : ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) .
 والنزول : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ ^(٤) .
 والخلق : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ^(٥) .
 والفعل : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴾ ^(٦) ، بمعنى حقا لم يفعل .
 والعهد : ﴿ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾ ^(٧) .

* * *

ومن ذلك :

(الذكر) : ورد على أوجه :

- ذكر اللسان : ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ ^(٨) .
 وذكر القلب : ﴿ ذَكِّرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ^(٩) .
 والحفظ : ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ ^(١٠) .
 والطاعة والجزاء : ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ^(١١) .
 والصلوات الخمس : ﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ^(١٢) .
 والمظة : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ وَذُكِّرُوا الذِّكْرَى ﴾ ^(١٤) .
 والبيان : ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(١٥) .

(١) الإِسْرَاءُ ٤	(٢) الإِسْرَاءُ ٢٣	(٣) القصص ١٥
(٤) سَبَأُ ١٤	(٥) فصلت ١٢	(٦) عبس ٢٣
(٧) القصص ٤٤	(٨) البقرة ٢٠٠	(٩) آل عمران ١٣٥
(١٠) البقرة ٦٣	(١١) البقرة ١٥٢	(١٢) البقرة ٢٣٩
(١٣) الأعراف ١٦٥	(١٤) الداريات ٥٥	

- والحديث : ﴿ اذْ كُرِّنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ^(١) ، أى حَدِّثْهُ بِحَالِي .
 والقرآن : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ ^(٢) ، ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ﴾ ^(٣) .
 والتوراة : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ ^(٤) .
 والخبر : ﴿ سَأْتَلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ^(٥) .
 والشرف : ﴿ وَإِنَّهُ لَدِ ذِكْرٍ لَكَ ﴾ ^(٦) .
 والعيب : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ^(٧) .
 واللوح المحفوظ : ﴿ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ^(٨) .
 والثناء : ﴿ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴾ ^(٩) .
 والوحي : ﴿ فَالْتَأَمَّاتِ ذِكْرًا ﴾ ^(١٠) .
 والصلاة : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ^(١١) .
 وصلاة الجمعة : ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١٢) .
 وصلاة العصر : ﴿ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ ^(١٣) .

• • •

ومن ذلك :

(الدعاء) : ورد على أوجه :

(١٠) يوسف ٤٢	(٢) طه ١٢٤	(٣) الأنبياء ٢
(٤) النحل ٤٣	(٥) الكهف ٨٣	(٦) الزخرف ٤٤
(٧) الأنبياء ٣٦	(٨) الأنبياء ١٠٥	(٩) الأحزاب ٢١
(١٠) الصافات ٣	(١١) العنكبوت ٩٥	(١٢) الجمعة ٩
(١٣) ص ٣٢		

- العبادة : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ ^(١) .
 والاستغاثة : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ^(٢) .
 والسؤال : ﴿اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ^(٣) .
 القول : ﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ ^(٤) .
 والنداء : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ ^(٥) .
 والتسمية : ﴿لَا تَجْعَلُوا ذَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ^(٦) .

* * *

- ومن ذلك :
 (الإحصان) : ورد على أوجه :
 العفة : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ ^(٧) .
 والنزوح : ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ ^(٨) .
 والحرية : ﴿نُصِفْ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ^(٩) .

(٣) غافر ٦٠

(٦) النور ٦٣

(٩) الإسراء ٢٥

(٢) البقرة ٢٣

(٥) الإسراء ٥٢

(٨) النساء ٢٥

(١) يونس ١٠٦

(٤) يونس ١٠

(٧) النور ٤

فصل

قال ابن فارس في كتاب الأفراد : كل ما في القرآن من ذكر الأسف، فمعناه الحزن إلا ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾^(١) فمعناه أغضبونا .

وكل ما فيه من ذكر « البروج » فهي الكواكب إلا : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾^(٢)، فهي القصور الطوال الحصينة .

وكل ما فيه من ذكر « البر والبحر » فالمراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس، إلا ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾^(٣) فالمراد به البرية والعرمان .

وكل ما فيه من « بنحس »^(٤)، فهو النقص إلا ﴿ بَشَنٍ بَخْسٍ ﴾^(٥) أى حرام .

وكل ما فيه من « البعل » فهو الزوج إلا ﴿ أَتَدْعُونَ بَمَلٍّ ﴾^(٦) فهو الضم .

وكل ما فيه من « البكم » فالخرس عن الكلام بالإيمان إلا ﴿ عُصْفَاءٌ وَبُكْمٌ وَصُمٌّ ﴾^(٧) .

في الإسراء ، ﴿ وَأَحَدُهَا أَبْكَمٌ ﴾^(٨) في النمل ، فالمراد به عدم القدرة على الكلام مطلقاً .

وكل ما فيه « جنباً » فمعناه جميعاً، إلا ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِبَةً ﴾^(٩) فمعناه تجنوا على ركبها .

وكل ما فيه من « حُشْبَانٍ » فهو العدد إلا ﴿ حُشْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾^(١٠) في الكهف

فهو العذاب .

وكل ما فيه « حسرة » فالندامة إلا ﴿ لِيَجْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(١١)

فمعناه الحزن .

وكل ما فيه من « الدحض » فالباطل إلا ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾^(١٢)، فمعناه

من المنزوعين .

(٣) الروم ٤١

(٦) الإسراء ٩٧

(٩) الأنعام ٩٦

(٢) النساء ٧٨

(٥) الصافات ١٢٥

(٨) الجنانية ٢٨

(١١) الصافات ١٤١

(١) الزخرف ٥٥

(٤) يوسف ٢٠

(٧) النحل ٧٦

(١٠) آل عمران ١٥٦

- وكل مافيه من « زجر » فالعذاب إلا ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾^(١) ، فالمراد به الصم .
- وكل مافيه من « ريب » فالشك إلا ﴿ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴾^(٢) ، يعنى حوادث الدهر .
- وكل مافيه من « الرجم » فهو القتل إلا ﴿ لَأَرْجَمَنَّكَ ﴾^(٣) ، فعناه لأشتمنك
و ﴿ رَجَمًا بِالْغَيْبِ ﴾^(٤) ظنا .
- وكل مافيه من « الزور » فالكذب مع الشرك إلا ﴿ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾^(٥)
فإنه كذب غير الشرك .
- وكل مافيه من « زكاة » فهو المال إلا ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴾^(٦) ، أى طهرة .
- وكل مافيه من « الزيف » فالليل إلا ﴿ وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ﴾^(٧) أى شخصت .
- وكل مافيه من « سخر » فالاستهزاء إلا ﴿ سُخْرِيًّا ﴾^(٨) أى الزخرف فهو من التسخير
والاستخدام .
- وكل « سكينه » فيه طمانينه إلا التى فى قصة طالوت فهو شئ . كراس الهرة له
جناحان^(٩) .
- وكل « سمير » فيه فهو النار والوقود إلا ﴿ فِي ضَلَالٍ وَسَمُرٍ ﴾^(١٠) فهو العناء .
- وكل « شيطان » فيه فإبليس وجنوده إلا ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾^(١١) .
- وكل « شهيد » فيه غير القتلى فمن يشهد فى أمور الناس إلا ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾^(١٢)
فهو شركاؤكم .

(١) المدثره	(٢) الطور ٣٠	(٣) مريم ٤٦
(٤) الكهف ٢٢	(٥) الفرقان ٤	(٦) مريم ١٣
(٧) الأحزاب ١٠	(٨) الزخرف ٣٢	
(٩) وهو قوله تعالى فى البقرة ٤٢٨ ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	(١١) البقرة ١٤	(١٢) البقرة ٢٣
(١٠) القمر ٤٧		

وكل ما فيه من «أصحاب النار» فأهلها إلا ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ ^(١) فالمراد خزنتها .

وكل « صلاة » فيه عبادة ورحمة إلا ﴿وَصَلَّاتٍ وَمَسَاجِدُ﴾ ^(٢) فهي الأماكن .

وكل « صمم » فيه، ففي سماع الإيمان والقرآن خاصة إلا الذي في الإسراء ^(٣) .

وكل « عذاب » فيه فالتعذيب إلا ﴿وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمْ﴾ ^(٤) فهو الضرب .

وكل « قنوت » فيه طاعة إلا ﴿كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ﴾ ^(٥) فمعناه مقرَّبون .

وكل « كنز » فيه مال إلا الذي في الكهف فهو صحيفة علم ^(٦) .

وكل « مصباح » فيه كوكب إلا الذي في النور فالسراج ^(٧) .

وكل « نكاح » فيه تزوج إلا ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ ^(٨) فهو الحلم .

وكل « نبا » فيه خبر إلا ﴿فَمَعَيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ ^(٩) فهي الحجج .

وكل « ورود » فيه دخول إلا ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ ^(١٠) بمعنى هجم عليه ولم يدخله .

وكل ما فيه من ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فالمراد من العمل، إلا التي في

الطلاق ^(١١) فالمراد من النفقة .

وكل « يأس » فيه قنوط إلا التي في الرعد ^(١٢) فمن العلم .

(١) المدثر ٣١

(٢) الحج ٤٠

(٣) وهو قوله تعالى في الإسراء ٩٧: ﴿وَنُخْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ تُعْمِيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾

(٤) النور ٢ (٥) البقرة ١١٦ ، الروم ٢٦

(٦) وهو قوله تعالى في الكهف ٨٢: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾

(٧) وهو قوله تعالى في سورة النور ٣٥: ﴿كَيْشَكَاهُ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾

(٨) النساء ٦

(٩) القصص ٦٦

(١٠) القصص ٢٣ (١١) الطلاق ٧ واقتض الآيه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

(١٢) هو قوله تعالى في آية ٣٩ منها: ﴿أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وكل « صبر » فيه محمود إلا ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾^(١) ، ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾^(٢) .
هذا آخر ما ذكره ابن فارس .

* * *

وقال غيره : كل « صوم » فيه من العبادة إلا ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(٣) أى صمتا .
وكل ما فيه من « الظلمات والنور » فالمراد الكفر والإيمان إلا التى فى أول الأنعام فالمراد
ظلمة الليل ونور النهار .

وكل « إنفاق » فيه فهو الصدقة إلا ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ
مَا أَنْفَقُوا﴾^(٤) ، فالمراد به المهر .

* * *

وقال الدانى : كل ما فيه من « الحضور » بالضاد فهو من المشاهدة إلا موضعاً
واحداً ، فإنه بالطاء من الاحتظار وهو المنع ، وهو قوله تعالى : ﴿كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ﴾^(٥) .

* * *

وقال ابن خالويه : ليس فى القرآن « بعد » بمعنى « قبل » إلا حرف واحد ﴿وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾^(٦) .

قال مغلطاي فى كتاب الميسر : قد وجدنا حرفاً آخر وهو قوله تعالى :
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٧) .

قال أبو موسى فى كتاب المغيث : معناه هنا « قبل » لأنه تعالى خلق الأرض فى
يومين ، ثم استوى إلى السماء ، فعلى هذا خلق الأرض قبل خلق السماء . انتهى .

* * *

قلت : قد تعرض النبى صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعون بشىء من هذا النوع .

(٣) مريم ٢٦

(٦) الأنبياء ١٠٥

(٢) ص ٦

(٥) القمر ٣١

(١) الفرقان ٤٢

(٤) المتحنة ١١

(٧) النازعات ٣٠

فأخرج الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي حاتم وغيرهما من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلّ حرف في القرآن يذكّر فيه القنوط فهو الطاعة . هذا إسناد جيد وابن حبان يصححه .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « كلّ شيء في القرآن أليم » فهو الموضع .

وأخرج من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن « قتل » فهو لمن .

وأخرج من طريق الضحاك عن ابن عباس ، قال : كل شيء في كتاب الله من « الرجز » يعني به العذاب .

وقال الفرابي : حدثنا قيس ، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « كل تسبيح في القرآن صلاة ، وكل سلطان في القرآن حُجَّة » .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء في القرآن « الدين » فهو الحساب .

وأخرج ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء من طريق السدي ، عن أبي مالك عن ابن عباس قال : كلّ ريب شك إلا مكانا واحدا في الطور ﴿ رَبِّ الْمُنُونِ ﴾ ^(١) يعني حوادث الأمور .

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب ، قال : كل شيء في القرآن من « الرياح » فهي رحمة ، وكل شيء فيه من « الريح » فهو عذاب .

وأخرج عن الضحاك ، قال : كلّ « كناس » ذكره الله في القرآن إيماء عني به الخمر .

وأخرج عنه قال : كل شيء في القرآن « فاطر » فهو خالق .

وأخرج عن سعيد بن جبير ، قال : كل شيء في القرآن « إفك » فهو كذب .

وأخرج عن أبي العالية ، قال : كل آية في القرآن يذكر فيها « حِفْظِ الْفَرْجِ » فهو من الزنى إلا قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ^(١) فالمراد ألا يراها أحد .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كل شيء في القرآن « إن الإنسان كفور » إنما يعني به الكفار .

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز ، قال : كل شيء في القرآن « خلود » فإنه لا توبة له .

وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : كل شيء في القرآن « يقدر » فعناء ، يقل .

وأخرج عنه ، قال : « التزكى » في القرآن كله الإسلام .

وأخرج عن أبي مالك ، قال : « وراء » في القرآن « أمام » كله غير حرفين ﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ ^(٢) ، يعني سوى ذلك ، ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَأْوَاهُ ذَلِكُمْ ﴾ ^(٣) ، يعني سوى ذلكم .

وأخرج عن أبي بكر بن عياش ، قال : ما كان « كِسْفًا » فهو عذاب وما كان « كِسْفًا » فهو قطع السحاب .

وأخرج عن عكرمة ، قال : ما صنع الله فهو « السَّد » ما صنع الناس فهو « السَّد » ^(٤) .

(٢) المؤمنون ٧

(٤) اطر اللسان — سد

(١) النور ٣٠

(٣) النساء ٢٤

وأخرج ابن جرير عن أبي رَوْق ، قال : كل شيء في القرآن « جعل » فهو خلق .

وأخرج عن مجاهد ، قال : « المباشرة » في كل كتاب الله الجماع .

وأخرج عن ابن زيد ، قال : كل شيء في القرآن « فاسق » فهو كاذب إلا قليلا .

وأخرج ابن المنذر ، عن الشَّذْي ، قال : ما كان في القرآن « حنيفاً مسلماً » وما كان في القرآن « حنفياً مسلماً » حُجَّاجاً .

وأخرج عن سميد بن جبير ، قال : « المغو » في القرآن على ثلاثة أنحاء : نحوُ تجاوزَ عن الذنب ، ونحوُ في القصد في النفقة ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْمَغْفُورُ ﴾^(١) ، ونحوُ في الإحسان فيما بين الناس ﴿ إِلَّا أَنْ يَغْفُورَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزُّنُوحِ ﴾^(٢) .

وفي صحيح البخاري قال سفيان بن عيينة : ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذاباً ، وتسميه العرب الغيث .

قلت : استثنى من ذلك ﴿ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ ﴾^(٣) ، فإن المراد به الغيث قطعاً .

وقال أبو عبيدة : إذا كان في المذاب فهو « أمطرت » وإذا كان في الرحمة فهو « مطرت » .

* * *

فرع

أخرج أبو الشيخ عن الضحَّاك قال : قال لي ابن عباس : احفظ عني كل شيء في

القرآن ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فهو للمشركين ، فأما المؤمنون فما أكثر أنصارهم وشفعاءهم

وأخرج : سعيد بن منصور عن مجاهد ، قال : كل طعام في القرآن فهو نصف صاع .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن وهب بن منبه ، قال : كل شيء في القرآن « قليل » و « إلا قليل » فهو دون العشرة .

وأخرج عن مسروق ، قال : ما كان في القرآن « على صلاتهم » يحافظون « حافظوا على الصلوات » فهو على مواقيتها .

وأخرج عن سفيان بن عيينة ، قال : كل شيء في القرآن : « وما يدريك » فلم يحبر « وما أدراك » فقد أخبر به .

وأخرج عنه قال : كل « مكر » في القرآن فهو عمل .

وأخرج عن مجاهد ، قال : ما كان في القرآن « قَتْلٌ ، لَعْنٌ » فإما عني به الكفر .

وقال الراغب في مفرداته : قيل : كل شيء ذكره الله بقوله « وما أدراك فستره ، وكل شيء ذكره بقوله : « وما يدريك » تركه . وقد ذكر ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ ^(٢) ثم فسر الكتاب ، لا السجّين ولا العليّون . وفي ذلك نكتة لطيفة ^(٣) . انتهى — ولم يذكرها .

وبقيت أشياء تأتي في النوع الذي نلّي هذا إن شاء الله تعالى :

النوع الأربعون

في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر

وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف .

اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(١) : فاستعملت «على» في جانب الحق ، و«في» في جانب الضلال ، لأن صاحب الحق كأنه مستعمل بصرف نظره كيف شاء ، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدرى أين يتوجه .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ ^(٢) عطف على الجمل . الأول بالفاء والأخيرة بالواو ، لما انقطع نظام الترتيب ، لأن التلطف غير مرتب على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان به مترتباً على النظر فيه ، والنظر فيه مترتباً على التوجه في طلبه ، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدل في مسألة عن مدة البعث وتسليم العلم له تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ... ﴾ ^(٣) ، الآية عدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة إيداناً إلى أنهم أكثر استحقاقاً للمتصدق عليهم بمن سبق ذكره باللام ، لأن في اللوعاء ، فنبه باستعمالها على أنهم أحقأ بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم ، كما يوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه .

وقال الفارسي : إماما قال : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ ، ولم : يقل «وللرقاب» ليدل على أن العبد لا يملك .

وعن ابن عباس قال : الحمد لله الذى قال : ﴿ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(١) ولم يقل : « فى صلاتهم » .

وسياتى ذكر كثير من أشباه ذلك .

وهذا سردها مرتبة على حروف المعجم ، وقد أفرد هذا النوع بالتصنيف خلائق من المتقدمين كالهروى فى الأزهية ، والمتأخرين كابن أم قاسم فى الجنى الدانى .

* * *

الهمزة

تأتى على وجهين :

(أحدها) : الاستفهام وحقيقته طلب الإلهام ، ومن ثم اختصت بأمور : أحدها : جواز حذفها كما سياتى فى النوع السادس والخمسين .

ثانيها : ترد لطلب التصوّر والتصديق بخلاف هل ، فإنها للتصديق خاصة وسائر الأدوات للتصوّر خاصة .

ثالثها : إنها تدخل على الإثبات نحو ﴿ أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ آ لَدَّ كَرَيْنٍ حَرَمٌ ﴾ ^(٣) ، وعلى النفي نحو ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ ﴾ ^(٤) ، وتفيد حينئذ معنيين : أحدهما التذكّر والتنبيه كالمثال المذكور ، وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ^(٥) ، والآخر : التعجب من الأمر العظيم ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ ^(٦) . وفى كلا الحالين هى تحذير نحو ﴿ أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَالَيْنَ ﴾ ^(٧) .

رابعها : تقديمها على العاطف تنبيها على إصالتها فى التصدير ، نحو ﴿ أَوْ كَلِمَاتًا

(٣) الأنعام ١٤٣

(٦) البقرة ٢٤٣

(٢) يونس ٢

(٥) الفرقان ٤٥

(١) الماعون ٥

(٤) الشرح ١

(٧) الرسائل ١٦

عَاهِدُوا عَهْدًا^(١)، ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلَ الْقُرَى﴾^(٢)، ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾^(٣) وسائر أخواتها يتأخر عنه، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو ﴿فَكَيْفَ تَقْفُونَ﴾^(٤)، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٥)، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾^(٦)، ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ﴾^(٧)، ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾^(٨)، ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾^(٩).

خامسها : أنه لا يستفهم بها حتى يهجنس في النفس إثبات ما يستفهم عنه بخلاف هل فإنه لما لا يترجح عنده فيه نفى ولا إثبات . حكاه أبو حيان عن بعضهم .

سادسها : أنها تدخل على الشرط ، نحو ﴿أَفَأِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(١٠) ﴿أَفَأِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ﴾^(١١) بخلاف غيرها .

وتخرج عن الاستفهام الحقيقي فتأتي لمعان تذكر في النوع السابع والمحسون .

فائدة : إذا دخلت على « رأيت » امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصار بمعنى « أخبرني » وقد تبدل « ها » ، وخرج على ذلك قراءة قنبل ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾^(١٢) بالقصر ، وقد تقع في القسم ومنه ما قرئ ﴿وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةً﴾ بالتثنية ﴿اللَّهُ﴾^(١٣) بالمد .

* * *

الثاني : من وجهي الهمزة أن تكون حرفاً ينادى به القريب ، وجعل منه الفراء : ﴿أَمِنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءُ اللَّيْلِ﴾^(١٤) على قراءه تخفيف الميم ، أي صاحب هذه الصفات .

قال هشام : ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير ياء ، ويقربه سلامته من دعوى

(١) البقرة ١٠٠	(٢) الأعراف ٩٨	(٣) يونس ٥١
(٤) الزمر ١٧	(٥) التكوين ٢٦	(٦) الأعمام ٩٥
(٧) الأحقاف ٣٥	(٨) الأعمام ٨١	(٩) النساء ٨٨
(١٠) الأنبياء ٣٤	(١١) آل عمران ١٤٤	(١٢) آل عمران ١١٩
(١٣) المائدة ١٠٦	(١٤) الزمر ٩	

المجاز، إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، وَمِنْ دَعْوَى كَثْرَةِ الحذف إذ التقرير عند من جعلها للاستفهام. أمّن هو فانت خير أم هذا الكافر؟ أى المخاطب بقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾^(١)، لحذف شيثان: معادل المزمرة والخبر

أحد

قال أوحانم في كتاب الزينة: هو اسم أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جازى فى المعنى أن يقوم اثنان فأكثر بخلاف قولك: لا يقوم له أحد. وفى الأحد خصوصية ليست فى الواحد، تقول: ليس فى الدار واحد، فيجوز أن يكون من الدواب والطيور والوحش والإنس، فيعم الناس وغيرهم، بخلاف ليس فى الدار أحد، فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم.

قال: ويأتى الأحد فى كلام العرب بمعنى الأول وبمعنى الواحد، فيستعمل فى الإثبات وفى النفي، نحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) أى واحد، وأوّل ﴿فَأَبَعَثُوا أَحَدَ كُفْرٍ بِوَرِقِكُمْ﴾^(٣)، وبخلافهما فلا يستعمل إلا فى النفي، تقول: ما جاءنى من أحد، ومنه: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾^(٤)، و﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾^(٥) ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾^(٦)، ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ﴾^(٧).

وواحد يستعمل فيهما مطلقاً، وأحد يستوى فيه المذكور والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٨) بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء بل كواحدة. وأحد يصلح للأفراد والجمع.

قلت: ولهذا وصف قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ بخلاف الواحد.

والأحد له جمع من لفظه وهو، الأحدون والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا

يقال: واحدون، بل اثنان وثلاثة.

(٣) الكهف ١٩

(٦) الخافق ٤٨

(٢) الإخلاص ١

(٥) البلد ٨

(٨) الأحزاب ٣٢

(١) الزمر ٨

(٤) البلد ٥

(٧) التوبة ٨٤

والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب بخلاف الواحد . انتهى ملخصاً وقد تحصل من كلامه بينهما سبعة فروق .

وفي أسرار التنزيل للبارزى في سورة الإخلاص : فإن قيل : المشهور في كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي ، والواحد بعد الإثبات ، فكيف جاء أحد هنا بعد الإثبات ؟ . قلنا : قد اختار أبو عبيد أنهما بمعنى واحد ، فلا تختص أحدهما بمكان دون الآخر ، وإن غلب استعمال أحد في النفي ، ويجوز أن يكون المدول هنا عن الغالب وحينئذ رعاية للفواصل . انتهى .

وقال الراغب في مفردات القرآن : أحد يستعمل على ضربين : أحدهما في النفي فقط ، والآخر في الإثبات .

فالأول لاستغراق جنس الناطقين ، ويتناول الكثير والقليل ، ولذلك صح أن يقال : ما من أحد فاضلين ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ . والثاني ، على ثلاثة أوجه :

الأول : المستعمل في العدد مع العشرات نحو أحد عشر ، أحد وعشرين .
والثاني : المستعمل مضافاً إليه بمعنى الأول ، نحو ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَسْنِي رَّبَّهُ خَرًّا ﴾ (١) .

والثالث : المستعمل وصفاً مطلقاً ، ويختص بوصف الله تعالى ، نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، وأصله واحد ، إلا أن واحداً ، يستعمل في غيره . انتهى .

إذ

ترد على أوجه :

أحدها : أن تكون اسماً للزمن الماضي وهو الغالب ، ثم قال الجمهور : لا تكون إلا ظرفاً ، نحو ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٣) ، أو مضافاً إليها

الظرف نحو ﴿إِذْ هَدَيْنَا﴾ ^(١)، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ ^(٢)، ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ^(٣).
وقال غيرهم: تكون مفعولا به، نحو ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ ^(٤)، وكذا
المذكورة في أوائل القصص كلها مفعول به بتقدير: «اذكر».

وبدلا منه، نحو ﴿وَإِذْ كُرُوا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ ^(٥)، بإذ بدل اشتمال
من مريم على حد البدل، ﴿بَسَّالُوا نَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ ^(٦)، ﴿وَإِذْ كُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ ^(٧)، أى اذكروا النعمة التى هى الجعل
المذكور، فهى بدل كل من كل، والجمهور يجعلونها فى الأول ظرفا للمفعول محذوف،
أى اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلا. وفى الثانى ظرفا لمضاف إلى المفعول
محذوف، أى واذكروا قصة مريم، ويؤيد ذلك التصريح به فى ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ﴾ ^(٨).

وذكر الزمخشري أنها تكون مبتدأ، وخرج عليه قراءة بعضهم ﴿أَمِنْ مِنْ
اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٩) قال: التقدير: «مَنْهُ إِذْ بَعَثَ»، بإذ فى محل رفع كذا فى قولك:
أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما، أى لِمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وقت بعثه. انتهى
قال ابن هشام: ولا نعلم بذلك قائلا.

وذكر كثير أنها تخرج عن الضى إلى الاستقبال، نحو ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ
أَخْبَارَهَا﴾ ^(١٠)، والجمهور أنكروا ذلك، وجعلوا الآية من باب ﴿وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ﴾ ^(١١)، أعنى من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضى الواقع. واحتج
الليثيون، منهم ابن مالك بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إِذِ الْاَغْلَالُ فِي اَعْنَاقِهِمْ ^(١٢)
فإن «يعلمون» مستقبل لفظا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل فى «إِذْ» فيلزم
أن تكون بمنزلة «إذا».

(٣) الواقعة ٨٤

(٢) الزلزلة ٤

(١) آل عمران ٨

(٦) البقرة ٢١٧

(٥) مريم ١٦

(٤) الأعراف ٢٠

(٩) آل عمران ١٦٤

(٨) آل عمران ١٠٣

(٧) المائدة ١٠

(١٢) غافر ٧٠، ٧١

(١١) الكهف ٩٩

(١٠) الزلزلة ٤

(م ١٠ — الاقان ج ٢)

وذكر بعضهم أنها تأتي في الحال ، نحو ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ ^(١) ، أى حين تفيضون فيه .

فائدة : أخرج ابنُ أبي حاتم من طريق السُّدِّي عن أبي مالك ؛ قال : ما كان في القرآن « إن » يكسر الألف فلم يكن ، وما كان « إذ » فقد كان .

(الوجه الثاني) : أن تكون للتعليل ، نحو ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ^(٢) ، أى ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب ، لأجل ظلمكم في الدنيا . وهل هي حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لامن اللفظ ؟ قولان ، المنسوب إلى سيبويه الأول ، وعلى الثاني في الآية إشكال ، لأن « إذ » لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ، ولا تكون ظرفاً لـ « ينفع » لأنه لا يعمل في ظرفين ، ولا لـ « مشتركون » لأن معمول خبر « إن » وأخواتها لا يتقدم عليها ، ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول ، ولأن اشتراكهم في الآخرة ، لافى زمن ظلمهم .

ومما حل على التعليل ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَمَا يَبْدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ ^(٤) . وأنكر الجمهور هذا القسم ، وقالوا : التقدير « بعد إذ ظلمتم » .

وقال ابن جني : راجعت أبا علي مراراً في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ ﴾ الآية ، مستشكلاً إبدال « إذ » من « اليوم » ، وآخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان ، وأنهما في حكم الله سواء ، فكان اليوم ماض . انتهى .

(الوجه الثالث) : التوكيد بأن تحمل على الزيادة . قاله أبو عبيدة ، وتبعه ابن قتيبة ،

وحمل عليه آيات منها : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ^(١) ﴾ .
 (الرابع) : التحقيق كقد ، وحملت عليه الآية المذكورة . وجعل منه السهلي
 قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(٢) ﴾ ، قال ابن هشام : وليس القولان بشيء .

مسألة

تلزم إذ الإضافة إلى جملة ، إما إسمية نحو ﴿ وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ^(٣) ﴾ ، أو فعلية فعلها
 ماضٍ لفظاً ومعنى ، نحو ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ^(٤) ﴾ ، ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ^(٥) ﴾ . وقد
 اجتمعت الثلاثة في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ ^(٦) ﴾ . وقد تحذف الجملة للعلم
 كقروا ثانی اثنین إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه ^(٧) . وقد تحذف الجملة للعلم
 بها ، ويعوض عنها التنوين وتسكّر الذال لالتقاء الساكنين ، نحو ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ ^(٨) ﴾ .
 الْمُؤْمِنُونَ ^(٩) ، ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ^(١٠) ﴾ .

وزعم الأخفش أن « إذ » في ذلك معربة لزوال افتقارها إلى الجملة ، وأن الكسرة
 إعراب ، لأن اليوم والحين مضافان إليها . ورد بأن بناءها لوضعها على حرفين ، وبأن
 الافتقار باقٍ في المعنى كالموصول تحذف صلته .

• • •

إذا

على وجهين :

(أحدهما) : أن تكون المفاجأة ، فتختص بالجلل الإسمية ، ولا تحتاج لجواب ، ولا تقع
 في الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال ، نحو ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْمَى ^(١) ﴾ ،
 ﴿ فَلَمَّا أَتَتْهُمْ إِذَا هُمْ يُبْقُونَ ^(٢) ﴾ ، ﴿ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ ^(٣) ﴾ .
 ﴿ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ^(٤) ﴾ .

(٣) الأنفال ٢٦

(٦) التوبة ٤٠

(٩) طه ٢٠

(٢) آل عمران ٨٠

(٥) الأحزاب ٣٧

(٨) الواقعة ٨٤

(١١) يس ٢

(١) البقرة ٣٠

(٤) البقر ١٢٤

(٧) الروم ٤

(١٠) يونس ٣٢

قال ابن الحاجب : ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أو صافك
الذهلية ، تقول : خرجت فإذا الأسد بالباب ، فمعناه حضور الأسد معك في زمن وصفك
بالخروج أو في مكان خروجك ، وحضوره معك في مكان خروجك ألصق بك من
حضوره في خروجك ، لأن ذلك المكان يخصك دون ذلك الزمان ، وكلما كان ألصق
كانت المفاجأة فيه أقوى . واختلف في «إذا» هذه فقيل : إنها حرف ، وعليه الأخفش ،
ورجح ابن مالك . وقيل : ظرف مكان ، وعليه المبرّد ورجحه ابن عصفور وقيل :
ظرف زمان ، وعليه الزجاج ورجحه الزمخشري ، وزعم أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ
المفاجأة قال : التقدير : ثم إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت ، ثم قال ابن هشام :
ولا يعرف ذلك لغيره ، وإنما يعرف ناصبها عندهم الخبر المذكور أو المقدّر ، قال : ولم يقع
الخبر معها في التبريل إلا مصرحاً به .

(الثاني) : أن تكون لغير المفاجأة ، فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمّنة معنى
الشرط ، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية وتحتاج لجواب . وتقع في الابتداء ، عكس
النجائية ، والفعل بعدها إما ظاهر نحو ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ (١) ، أو مقدر ، نحو ﴿ إِذَا
السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (٢) . وجوابها إما فعل نحو ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣) .
أو جملة اسمية مقرونة بالفاء ، نحو ﴿ فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ ﴾ فذلك يومئذ يوم عسير ﴿ (٤) ،
﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ﴾ (٥) . أو فعلية طلبية كذلك ، نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ ﴾ (٦) ، أو اسمية مقرونة بإذا الفجائية ، نحو ﴿ إِذَا دَعَا كَدْعَوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرُجُونَ ﴾ (٧) ، ﴿ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٨) .
وقد يكون مقدراً للدلالة ما قبله عليه ، أو لدلالة النقام ، وسيأتي في أنواع الحذف .

(٣) غافر ٧٨

(٦) الحجر ٩٨

(٢) الانشقاق ١

(٥) المؤمنون ١٠١

(٨) الروم ٤٨

(١) النصر ١

(٤) الذر ٩٨

(٧) الروم ٢٥

وقد تخرج إذا عن الظرفية ، قال الأخفش في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا ﴾ ^(١) : إن إذا جرتحتى . وقال ابن جني في قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ... ﴾ ^(٢) الآية فيمن نصب ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ ^(٣) : إن إذا الأولى مبتدأ والثانية خبر ، والمنصوبان حالان ، وكذا جملة ليس ومعمولها . والمعنى : وقعت الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين ، هو وقت رج الأرض . والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية وقالوا في الآية الأولى : إن « حتى » حرف ابتداء ، داخل على الجملة بأسرها ولا عمل له ، وفي الثانية إن إذا الثانية بدل من الأولى ، والأولى ظرف وجوابها محذوف لفهم المعنى ، وحسنه طول الكلام وتقديره بعد إذا الثانية : أى انقسم أقساما وكنتم أزواجا ثلاثة .

وقد تخرج عن الاستقبال فتد للحال ، نحو ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ، فإن الغشيان مقارن لليل ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ^(٥) . وللماضى نحو ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ... ﴾ الآية ^(٦) ، فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانقضاء ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٧) ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ ^(٨) ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا شَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ ^(٩)

وقد تخرج عن الشرطية ، نحو ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ، فإذا في الآيتين ظرف لخبر المبتدأ بملها ، ولو كانت شرطية والجملة الإسمية جواب لا قترنت بالفاء . وقول بعضهم : إنه على تقديرها ، مردود بأنها لا تحذف إلا لضرورة ، وقول آخر : إن الضمير توكيد لامبتدأ ، وأن ما بعده

(١) الزمر ٧١	(٢) الواقعة ١	(٣) الواقعة ٣
(٤) الليل ٣	(٥) النجم ١	(٦) الجمعة ١١
(٧) التوبة ٩٢	(٨) الكهف ٩٠	(٩) الكهف ٩٦
(١٠) الشورى ٣٧	(١١) الشورى ٣٩	

الجواب، تَمَسَّتْ ؛ وقول آخر : جوابها محذوف مدلول عليه بالجملة بعدها، تسكّلف من غير ضرورة .

تنبيهات

(الأول) : المحققون على أنّ ناصب إذا شرطها ، والأكثر أن أنه مافى جوابها من فعل أو شبهه .

(الثاني) : قد تستعمل إذا للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية ، كما يستعمل الفعل المضارع لذلك ، ومنه ﴿ وَإِذَا أَقْبُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ^(١) ، أى هذا شأنهم أبداً ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً ﴾ ^(٢) .

(الثالث) : ذكر ابن هشام في المغنى « إذا ما » ولم يذكر « إذا ما » . وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح في أدوات الشرط . فأما « إذا ما » ، فلم تقع في القرآن ، ومذهب سيبويه أنها حرف . وقال المبرّد وغيره : إنها باقية على الظرفية ، وأما « إذا ما » فوقعت في القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ ^(٤) ، ولم أر من تعرض لكونها باقية على الظرفية أو محوالة إلى الحرفية . ويحتمل أن يجرى فيها القولان في « إذا ما » . ويحتمل أن يجزم ببقائها على الظرفية ، لأنها أبعد عن التركيب بخلاف « إذا ما » .

(الرابع) : تختص إذا بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع ، بخلاف إن فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم النادر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

فَاغْسِلُوا ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا ﴾ (١) ، فَأَتَى بِإِذَا فِي الْوَضوءِ لِتَكَرُّرِهِ
وَكثْرَةِ أَسْبَابِهِ ، وَبَيَّنَ فِي الْجَنَابَةِ لِنَدْرَةِ وَقُوعِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَدَثِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا
جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنْ هَذِهِ سَيِّئَةٌ نَّصِيبُهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً
فَرِحُوا بِهَا ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (٤) ، أُنِى فِي جَانِبِ
الْحَسَنَةِ بِإِذَا ، لِأَنَّ نِعْمَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ وَمَقْطُوعُهَا ، وَبَيَّنَ فِي جَانِبِ السَّيِّئَةِ لِأَنَّهَا
نَادِرَةٌ الْوُقُوعِ وَمَشْكُوكٌ فِيهَا .

نعم أشكل على هذه القاعدة آيتان : الأولى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ مِمَّنْ ﴾ (٥) ،
﴿ أَفَأَنْ مَاتَ ﴾ (٦) ، فَأَتَى بِأَنَّ مَعَ أَنَّ الْمَوْتَ مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ ، وَالْأُخْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْنَاهُمْ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ (٧)
فَأَتَى بِإِذَا فِي الطَّرَفَيْنِ . وَأَجَابَ الزَّخَّشِيُّ عَنْ الْأُولَى ، بِأَنَّ الْمَوْتَ لَمَّا كَانَ بِمَجْهُولِ الْوَقْتِ
أُجْرِيَ بِمَجْرَى غَيْرِ الْمَجْزُومِ . وَأَجَابَ السَّكَّاكِيُّ عَنْ الثَّانِيَةِ ، بِأَنَّهُ قَصْدُ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ ،
فَأَتَى بِإِذَا لِيَكُونَ تَخْوِيفًا لَهُمْ وَإِخْبَارًا بِأَنَّهُمْ لَا يَدَّ أَنْ يَمْتَنِعُوا شَيْءًا مِنَ الْعَذَابِ ، وَاسْتَفِيدَ
التَّخْفِيلُ مِنْ لَفْظِ « الْمَسِّ » وَتَنْكِيرِ « ضَرٌّ » .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (٨) وَإِذَا مَسَّهُ
الشَّرُّ قَدَّوْ دُعَاءَ عَرَبِيٍّ ﴿ ٧ ﴾ فَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي « مَسَّهُ » لِلْمَعْرُضِ لِلتَّكْبِيرِ ،
لِلْمَطْلُوقِ الْإِنْسَانِ ، وَيَكُونُ لَفْظُ « إِذَا » لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَعْرُضِ يَكُونُ ابْتِلَاؤُهُ
بِالشَّرِّ مَقْطُوعًا بِهِ .

وَقَالَ الْخَوَّيِّ (٨) : الَّذِي أَظْهَرَ أَنَّ إِذَا يَجُوزُ دُخُولُهَا عَلَى الْمُتَيَقِّنِ وَالْمَشْكُوكِ ، لِأَنَّهَا ظَرْفٌ
وَشَرْطٌ ، فَبِالنَّظَرِ إِلَى الشَّرْطِ تَدْخُلُ عَلَى الْمَشْكُوكِ ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى الظَّرْفِ تَدْخُلُ عَلَى
الْمُتَيَقِّنِ كَسَائِرِ الظَّرُوفِ .

(٣) الرُّومُ ٣٦

(٢) الْأَعْرَافُ ١٣١

(١) الْمَائِدَةُ ٦

(٦) الرُّومُ ٣٣

(٥) آلُ عِمْرَانَ ١٤٤

(٤) آلُ عِمْرَانَ ١٥٨

(٧) فَصَلَتْ ٥١ (٨) الْخَوَّيِّ ، بِضَمِّ الْهَاءِ وَفَتْحِ الرَّوِّ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ ، هُوَ شَيْخُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ خَلِيلِ بْنِ سَعَادَةَ
الْخَوَّيِّ النَّافِقِيُّ صَاحِبُ الْإِمَامِ غُفَرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ . كَانَ فَقِيهًا مُنَاطِرًا وَأَسْتَاذًا فِي الطَّبِّ الْحَكِيمَةِ . تَوَفَّى
سَنَةَ ٦٣٨ ، وَنَسَبُهُ إِلَى خَوٍّ ، مَدِينَةُ بَازَرْجَانَ . شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٥ : ١٨٣ ، وَفُوطُ : « الْجَوْنِيُّ » تَصْحِيفٌ .

(الخامس): خالفت «إذا»، «إن» أيضاً في إفادة العموم، قال ابن عصفور: فإذا قلت إذا قام زيد قام عمرو، أفادت أنه كلما قام زيد قام عمرو. قال: هذا هو الصحيح، وفي أن الشروط بها إذا كان عدماً يقع الجزاء في الحال، وفي إن لا يقع حتى يتحقق اليأس من وجوده، وفي أن جزاءها مستعقب لشرطها على الاتصال، لا يتقدم ولا يتأخر، بخلاف إن، وفي أن مدخولها لا تجزمه، لأنها لا تنمخض شرطاً.

خاتمة

قيل: قد تأتي إذا زائدة، وخرج عليه ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١)، أى انشقت السماء، كما قال: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾^(٢).

* * *

إذاً

قال سيبويه: معناها الجواب والجزاء. فقال الشلوبين: في كل موضع، وقال الفارسي: في الأكثر، والأكثر أن تكون جواباً، لأن أولو، ظاهرتين أو مقدرتين. قال النمر: وحيث جاءت بعدها اللام قبلها لو مقدره إن لم تكن ظاهرة نحو ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾^(٣)، وهى حرف ينصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها أو انفصالها بالقسم أو بلا النافية، قال النحاة: وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان، نحو ﴿وَإِذَا لَا يَذَّبُثُونَ خِلَافَكَ﴾^(٤)، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾^(٥) وقرئ شاذاً بالنصب فيهما.

وقال ابن هشام: التحقيق أنه إذا تقدمها شرط وجزاء وعطف، فإن قدرت العطف على الجواب جزمتم وبطل عمل إذا، لوقوعها حشواً، أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب، وكذا إذا تقدمها مبتدأ خبره فعل مرفوع، إن عطف على الفعلية رفعت أو الإسمية فالوجهان^(٦)

(٣) المؤمنون ٩١

(٦) المغنى ١ : ٢٤

(٢) القمر ١

(٥) النساء ٥٣

(١) الانشقاق ١

(٤) الإسراء ٧٦

وقال غيره : إذاً نوعان :

الأول : أن تدل على إنشاء السببية والشرط ، بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها ، نحو أزورك غداً ، فنقول : إذاً أكرمك ، وهى فى هذا الوجه عاملة تدخل على الجمل الفعلية فتنبص المضارع المستقبل المتصل إذا صدرت .

والثانى : أن تكون مؤكدة لجواب ارتباط بمقدم أو منتهية على مسبب حصل فى الحال ، وهى حينئذ غير عاملة ؛ لأنّ التوكيدات لا يعتمد عليها ، والعامل يعتمد عليه ، نحو إن تأتى إذا آتيك ، والله إذا لأفعلن ، ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط ، وتدخل هذه على الإسمية فنقول إذاً أنا أكرمك ، ويجوز توسطها وتأخرها ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً ﴾ ^(١) فهى مؤكدة للجواب مرتبطة بما تقدم .

تنبيهان

(الأول) : سمعت شيخنا العلامة الكافيجي يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَاً لخاسرُونَ ﴾ ^(٢) : ليست إذاً هذه الكلمة المعهودة ، وإنما هى إذا الشرطية ، حذف جملتها التى تضاف إليها ، وعوض عنها بالتثنية كما فى يومئذ . وكنت أستحسن هذا جداً ، وأظن أن الشيخ لاسلف له فى ذلك . ثم رأيت الزركشى قال فى البرهان ^(٣) بعد ذكره لإذا المعنيين السابقين :

وذكر لما بعض التأخرين معنى ثالثاً ، وهى أن تكون مربة من إذا التى هى ظرف زمن ماض ، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً ، لكن حذف الجملة تحقيقاً ، وأبدل منها التثنية ، كما فى قولهم : حينئذ ، وليست هذه الناصبة للمضارع ؛ لأنّ تلك تختص به

ولذا عملت فيه ، ولا يعمل الآما يختص ، وهذى لا تختص ، بل تدخل على الماضى كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِذَا لَأَمْسَكْتُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ إِذَا لَأَذْفَاكَ ﴾ ^(٣) وعلى الاسم نحو ﴿ وَإِنكُم إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّرِينَ ﴾ ^(٤) قال : وهذا المعنى لم يذكره النحاة ، لكنه قياس ما قالوه فى إذ .

وفى التذكرة لأبى حيان : ذكر لى علم الدين القمى أن القاضى الدين بن رزىن كان يذهب إلى إلى أن إذا عوض من الجملة المحذوفة ، وإيس هذا قول نحوى . وقال الخوى : وأنا أظن أنه يجوز أن تقول لمن قال : أنا آتيك : إذا أكرمك ، بالرفع على معنى إذا أتيتنى أكرمك ، فحذفت أتيتنى ، وعوضت التنوين من الجملة ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، قال : ولا يقدح فى ذلك اتفاق النحاة ، على أن الفعل فى مثل ذلك منصوب بإذا لأنهم يريدون بذلك ما إذا كانت حرفاً ناصباً ، ولا ينفى ذلك رفع الفعل بعدها إذا أريد بها إذا الزمانية معوضاً من جملتها التنوين ، كما أن منهم من يحزم ما بعد « مَنْ » إذا جاعها شرطية ، ويرفعه إذا أريد بها الموصولة . انتهى .

فهؤلاء قد حاموا حول ما حام عليه الشيخ ، إلا أنه ليس أحد منهم من المشهورين بالنحو ، ومن يعتمد قوله فيه ؛ نعم ذهب بعض النحاة إلى أن أصل إذا الناصبة اسم والتقدير فى إذا أكرمك : إذا جئتني أكرمك ، فحذفت الجملة وعوض منها التنوين ، وأضمرت « أن » . وذهب آخرون إنها حرف مركبة من إذ وإن ؛ حكى القولين ابن هشام فى الغنى .

(التنبية الثانى) : الجمهور على أن إذا يؤقف عليها بالألف المبذلة من النون ، وعليه إجماع القراء ، وجوز قوم ، منهم البرد والمازنى فى غير القرآن الوقوف عليها بالنون ، كلن وإن ؛ وينبنى على الخلاف فى الوقوف عليها كتابتها ، فعلى الأول تكتب

بالألف كما رُسِمَتْ في المصاحف ، وعلى الثاني بالنون .

وأقول : الإجماع في القرآن على الوقف عليها ، وكتابتها بالألف دليل على أنها اسم منون لا حرف آخره نون ، خصوصاً أنها لم تقع فيه ناصبة للمضارع ، فالصواب إثبات هذا المعنى لها ، كما جنح إليه الشيخ ومن سبق النقل عنه .

* * *

أَفْ

كلمة تستعمل عند التضجّر والتكبره ، وقد حكى أبو البقاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ ﴾ ^(١) قولين :

(أحدهما) : أنه اسم لفعل الأمر ، أى كفّ واترك .

(والثاني) : أنه اسم لفعل ماض ؛ أى كَرِهْتَ وتضجّرت .

وحكى غيره ^(٢) ثالثاً : أنه اسم لفعل مضارع ، أى أتضجّر منك .

وأما قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ أَفْ لَكُمْ ﴾ ^(٣) ، فأحاله أبو البقاء على ما سبق في الإسراء ، ومقتضاه تساويهما في المعنى .

وقال المُرَبِّزِي في غريبه : هنا ، أى بئس لكم ^(٤) .

ويفسر صاحب الصحاح : أَفٍ بمعنى قذراً ^(٥) .

وقال في الارتشاف : أَفْ ، أتضجّر .

وفي البسيط : منناه التضجّر ، وقيل الضجر ، وقيل : تضجّرت ، ثم حكى فيها تسماً وثلاثين لغة .

(١) الإسراء ٢٣ (٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٩٤ (٣) الأنبياء ٦٧

(٤) نقله في الإرهان ٤ : ٢٤٨ ، ولفظ « أى لتلكم » (٥) الصحاح ٣ : ١٣٣١

قلت : قرئ منها في السبع « أف » بالكسر بلا تنوين ، و « أف » بالكسر ، والتنوين « وأف » بالفتح بلا تنوين ، وفي الشاذ « أف » بالضم منوناً وغير منون ، وأف بالتخفيف .

أخرج ابن أبي حاتم ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ ﴾ قال : لا تَقْذِرْهُمَا .

وأخرج عن أبي مالك ، قال : هو الردى من الكلام .

* * *

أل

على ثلاثة أوجه :

(أحدهما) : أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه ، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين ، نحو ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ، ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ... ﴾ ^(٢) الآية .

وقيل : هي حينئذ حرف تعريف ، وقيل : موصول حرفي .

(الثاني) : أن تكون حرف تعريف ، وهي نوعان : عهدية وجنسية . وكل منهما على ثلاثة أقسام :

فالعهدية إما أن يكون مصحوبها معهوداً ذكرباً ، نحو ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَمَهَوَّيْ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ﴾ ؛ وضابط هذه أن يبدل الضمير مسداً مع مصحوبها . أو معهوداً ذهنيّاً ، نحو ﴿ إِذْ هَمَّ فِي الْغَارِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(٥) . أو معهوداً حضورياً ، نحو ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ^(٦) .

(٣) الزمل ١٥ ، ١٦

(٢) التوبة ١١٢

(١) الأحزاب ٣٥

(٦) الفتح ١٨

(٥) التوبة ٤٠

(٤) النور ٣٥

(٧) المائدة ٣

﴿الْيَوْمَ أَحْلَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١). قال ابن عسّور : وكذا كل واقعة بعد اسم الإشارة أو أى فى النداء ، وإذا الفجائية أو فى اسم الزمان الحاضر نحو الآن .

والجنسية ، إما لاستفراق الأفراد وهى التى تخلفها « كمل » حقيقة ، نحو ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) ، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٣) ومن دلائلها صحة الاستثناء من مدخولها ، نحو ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤) ووصفه بالجمع ، نحو ﴿أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾^(٥) . وإما لاستفراق خصائص الأفراد وهى التى تخلفها « كل » مجازاً نحو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٦) أى الكتاب الكامل فى الهداية الجامع لصفات جميع الكتب الميزة وخصائصها ، وإما لتعريف الماهية والحقيقة والجنس ، وهى التى لا تخلفها « كل » لا حقيقة ولا مجازاً ، نحو ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٧) ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾^(٨) . قيل : والفرق بين المعرف بأل وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين القيد والمطلق ، لأن المعرف بها يدل على الحقيقة بقيد حضورها فى ذهن ، واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد .

(الثالث) : أن تكون زائدة ، وهى نوعان : لازمة كالتى فى الموصولات على القول بأن تعريفها بالصلة ، وكالتى فى الأعلام المقارنة لنقلها كاللآت والعزى ، أو لعابيتها كاليبت للكمية ، والمدنية لطبية ، والنجم للثرى ، وهذه فى الأصل للعمد ، أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾^(٩) ، قال : الثرى . وغير لازمة كالواقعة فى الحال ، وخرج عليه قراءة بعضهم : ﴿لَيَخْرُجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾^(١٠) ، بفتح الياء ، أى

(٣) انرعد ٩

(٦) البقرة ٢

(٩) النجم ١

(٢) النساء ٢٨

(٥) النور ٣١

(٨) الأنعام ٨٩

(١) المائدة ٥

(٤) العصر ٣٢

(٧) الأنبياء ٣

(١٠) المائون ٣٠

ذليلاً ، لأن الحال واجبة التذكير ، إلا أن ذلك غير فصيح ، فالأحسن تخرجها على حذف مضاف ، أى خروج الأذل ، كما قدرة الزمخشري .

* * *

مسألة

اختلف فى أل فى اسم الله تعالى ، فقال سيبويه : هى عوض من الهمزة المحذوفة بناء على أن أصله « إله » ، دخلت أل فنقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم أدغمت . قال الفارسي : وبدل على ذلك قطع همزها ولزومها .

وقال آخرون : هى مزيدة للتعريف تفخياً وتعظيماً ، وأصل « إله » « أولاه » . وقال قوم : هى زائدة لازمة للتعريف .

وقال بعضهم : أصله هاء الكتابة ؛ زيدت فيه لام الملك ، فصار « له » ، ثم زيدت « أل » تعظيماً ، وفخموه توكيداً .

وقال الخليل وخلائق : هى من بنية الكلمة ، وهو اسم علم لاشتقاق له ولا أصل .

خاتمة

أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة « أل » عن الضمير المضاف إليه ، وخرجوا على ذلك ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ^(٢) ، والمانعون يقدرون له ، وأجاز الزمخشري نيابتها عن الظاهر أيضاً ، وخرج عليه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(٣) ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ اسْمَاءُ الْمُسَمَّيَاتِ .

* * *

ألا

بالفتح والتخفيف ، وردت فى القرآن على أوجه :

(أحدها) : للتنبيه ، فتدلّ على تحقيق ما بعدها ، قال الزمخشري : ولذلك قلّ وقوع الجمل بعدها إلا مصدره بنجوم ما يتلّقي به القسم ، وتدخل على الإسمية والفعلية ، نحو ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ ^(٢) ، قال في المغني : ويقول الممرّبون فيها : حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها ، وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا ، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق : نحو ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ ﴾ ^(٣) .

(الثنائي والثالث) : التخصيص والعرض ، ومعناها طلب الشيء ، لكن الأول طلب بحث ، والثاني طلب بلين ، وتختص فيهما بالفعلية ، نحو ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا ﴾ ^(٤) ، ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٧) .

أَلَا

بافتتح والتشديد . حرف تخصيص ، لم يقع في القرآن لهذا المعنى فيما أعلم ، إلا أنه يجوز عندي أن يخرج عليه قوله : ﴿ أَلَا بَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ ^(٨) ، وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى ﴾ ^(٩) ، فليست هذه ، بل هي كلمتان : أن الناصبة ولا النافية ، أو أن المفسرة ولا النافية .

إِلَّا

بالكسر والتشديد على أوجه :

(أحدها) : الاستثناء متصلا ، نحو ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١٠) ، ﴿ مَا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١١) . أو منقطعا ، نحو ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ

(٣) القيامة ٤٠ وأظهر المغني ٦٩ :

(٦) الذاريات ٢٧ :

(٩) النمل ٣١ :

(٢) هود ٨ :

(٥) الشعراء ١١ :

(٨) النمل ٢٥ :

(١١) النساء ٦٦ :

(١) البقرة ١٣ :

(٤) التوبة ١٣ :

(٧) النور ٢٢ :

(١٠) البقرة ٢٤٩ :

شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢).

(الثاني) : بمعنى « غير » ، فيوصف بها وبثاليها جمع منكر أو شبهه ، ويعرب الاسم الواقع بعدها بإعراب غير ، نحو ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٣) ، فلا يجوز أن تكون هذه الآية للاستثناء ، لأن « آلهة » جمع منكر في الإثبات ، فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه ، ولأنه يصير المعنى حينئذ : « لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا » ، وهو باطل باعتبار مفهومه .

(الثالث) : أن تكون عاطفة بمنزلة الواو في التثنية ، ذكره الأحسن والفرء وأبو عبيدة ، وخرجوا عليه ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (٤) ، ﴿لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴿٥﴾ ، أى ولا الذين ظلموا ولا من ظلم . وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

(الرابع) : بمعنى « بل » ، ذكره بعضهم ، وخرج عليه : ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ * إِلَّا تَذَكُّرٌ ﴿٦﴾ أى بل تذكرة .

(الخامس) : بمعنى « بدل » ، ذكره ابن الصائغ ، وخرج عليه ﴿إِلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٧) أى بدل الله أو عوضه ، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء ، وفي الوصف بإلا من جهة المفهوم .

وغلط ابن مالك فعد من أقسامها نحو ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (٧) ، وليست منها ، بل هي كلمتان : إن الشرطية ولا النافية .

فائدة

قال الرّمانيّ في تفسيره : معنى إلا اللّازم لها الاختصاص بالشئ دون غيره ، فإذا قلت : جاءني القوم إلّا زيداً ، فقد اختصت زيداً بأنه لم يجرى ، وإذا قلت : ما جاءني إلّا زيد ، فقد اختصته بالجرى ، وإذا قلت : ما جاءني زيد إلّا ركباً ، فقد اختصته بهذه الحالة دون غيرها من المشى والعدو ونحوه .

* * *

الآن

اسم للزمن الحاضر ، وقد يستعمل في غيره مجازاً . وقال قوم : هي حدّ للزمانين ، أي ظرف الماضي وظرف للمستقبل ، وقد يتجاوز عما قرب من أحدهما .

وقال ابن مالك : لوقت حضر جميعه ، كوقت فعل الإنشاء ، حال النطق به أو بمضيه نحو ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾^(١) ، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَهُ شَهَاباً رَصْداً﴾^(٢) قال : وظرفيته غالبية ، لا لازمة .

واختلف في «أل» التي فيه ، فقيل : للتعريف الحضورى ، وقيل : زائدة لازمة .

* * *

إلى

حرف جرّ له معان :

أشهرها انتهاء الغاية زماناً ، نحو ﴿ثُمَّ أَثْمَرَ الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٣) . أو مكاناً نحو ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾^(٤) .

أو غيرهما ، نحو ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾^(٥) ، أي منتهى إليك ، ولم يذكر لها إلا كثيرون غير هذا المعنى .

(٣) البقرة ١٨٧

(٢) الجن ٩

(١) الأنفال ٦٦

(٥) النمل ٣٣

(٤) الإسراء ١

وزاد ابن مالك وغيره تبعاً للكوفيين معاني أخر، منها المعية، وذلك إذا ضممت شيئاً إلى آخر في الحكم به أو عليه أو التعلق؛ نحو ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ ^(١)، ﴿وَأَيَّدَكُمْ إِلَى الْمُرَافِقِ﴾ ^(٢)، وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ^(٣)، قال الرضى: والتحقيق أنها الانتهاء، أى مضافة إلى المرافق، وإلى أموالكم.

وقال غيره: ماورد من ذلك مؤول على تضمين العامل وإبقاء إلى على أصاها، والمعنى فى الآية الأولى: مَنْ يَضِيفُ نَصْرَتَهُ إِلَى نَصْرَةِ اللَّهِ؟ أَوْ مَنْ يَنْصُرُنِي حَالِ كَوْنِي ذَاهِباً إِلَى اللَّهِ؟

ومنها الظرفية كفى، نحو ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٤) أى فيه، ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ ^(٥) أى فى أَنْ.

ومنها مرادفة اللام، وجعل منه ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، أى لك، وتقدم أنه من الانتهاء. ومنها التبين، قال ابن مالك: وهى المبينة لفاعلية، مجرورها بعدما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تمجب أو اسم تفضيل، نحو ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ^(٦).

ومنها التوكيد، وهى الزائدة، نحو ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ ^(٧) فى قراءة بعضهم بفتح الواو، أى تهوأم. قاله الفراء. وقال غيره: هو على تضمين «تهوى» معنى «تميل».

تنبيه

حكى ابن عصفور فى شرح أبيات الإيضاح عن ابن الأنبارى، أن إلى تستعمل اسماً فيقال: انصرفت من إليك كما يقال: غدوت من عليه، وخرج عليه من القرآن قوله تعالى ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ الْخَلَّةِ﴾ ^(٨)، وبه يندفع إشكال أبى حيان فيه بأن القاعدة

(٣) النساء ٢

(٦) يوسف ٢٣

(٢) المائدة ٦

(٥) التارغات ١٨

(٨) مريم ٢٥

(١) آل عمران ٥٢

(٤) النساء ٨٧

(٧) إبراهيم ٢٧

المشهور أن الفعل لا يمتدّ إلى ضمير يتصل بنفسه أو بالحرف ، وقد رفع المتصل ؛ وهما
لمدلول واحد في غير باب ظن .

* * *

اللهم

المشهور أن معناه : يا الله ، حذفت ياء النداء ، وعوّض عنها الميم المشددة في آخره .
وقيل : أصله يا الله أمنا بخير ، فركب تركيب حيّلا .

وقال أبو رجاء العطاردي : الميم فيها تجمع سبعين اسما من أسمائه .

وقال ابن خالز : قيل إنها الاسم الأعظم ، واستدلّ لذلك بأن الله دالّ على الذات ،
والميم دالة على الصفات التسعة والتسمين ، ولهذا قال الحسن البصري : اللهم تجمع الدعاء .
وقال النضر بن شميل : من قال : اللهم ، فقد دعا الله بجميع أسمائه .

* * *

أم

حرف عطف وهي نوعان :

متصلة وهي قسمان :

(الأول) : أن يتقدم عليها همزة التسوية ، نحو ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنذِرْهُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنًا أَمْ صَبْرُنَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ^(٣) .

(والثاني) : أن يتقدم عليها همزة يُطلب بها وبأَم التعيين ، نحو ﴿ أَلَاذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمْ الْآنُسَيْنِ ﴾ ^(٤) .

(٣) المتفقون ٦

(٢) ابراهيم ٢١

(١) البقرة ٦
(٤) الأنعام ١٤٤

وسميت في القسمين متصلة ، لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر . وتسمى أيضا معادلة لمعادلتها للهمزة ، في إفادة التسوية في القسم الأول والاستفهام في الثانى .

ويفترق القسمان من أربعة أوجه :

أحدهما وثانيها : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جوابا ، لأن المعنى معها ليس على الاستفهام ، لأن وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنه خبر ، وليست تلك كذلك ، الاستفهام منها على حقيقة . والثالث والرابع : أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ، ولا تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردين ، وتكون الجملتان فعليتين واسميتين ومختلفتين ، نحو ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ^(١) ، وأم الأخرى تقع بين المفردين ، وهو الغالب فيها نحو ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ ﴾ ^(٢) ، وبين جملتين ليسا في تأويلهما .

(النوع الثانى) : منقطعة ، وهى ثلاثة أقسام :

مُسَبَّوْقَةٌ بِالْخَبَرِ الْمَحْضِ ، نحو ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ ^(٤) .

ومُسَبَّوْقَةٌ بِالْهَمْزَةِ لغير الاستفهام ، نحو ﴿ أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أُيُدُ يُبِطِشُونَ بِهَا ﴾ ^(٥) ، إذا الهمزة في ذلك للإنكار ، فهى بمنزلة النفى ، والمتصلة لا تقع بعده . ومُسَبَّوْقَةٌ بِاسْتِفْهَامٍ بِغير الهمزة ، نحو ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ ^(٦) .

ومعنى أم المنقطعة ، الذى لا يفارقها الإضراب ، ثم تارة تكون له مجردا وتارة تضمن مع ذلك استفهاما إنكاريا .

فمن الأول : ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظَّالِمَاتُ وَالنُّورَ ﴾ ^(١) ، لأنه لا يدخل الاستفهام على استفهام .

ومن الثاني : ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ ^(٢) ، تقديره : بل له البنات ؛ إذ لو قدرت الاضراب المحض لزم المحال .

تنبيهان

الأول : قد ترد أم محتملة للاتصال وللانقطاع ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) . قال الزمخشري : يجوز في أم بأن تكون معادلة بمعنى أيُّ الأمرين كأن على سبيل التقرير لحصول العلم بكون أحدهما ، ويجوز أن تكون منقطعة .

الثاني : ذكر أبو زيد ، أن أم تقع زائدة وخرج عليه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَبْصِرُونَ ﴾ * أم أنا خير ^(٤) ، قال : التقدير : أفلا يبصرون أنا خير .

* * *

أَمَّا

بافتح والتشديد ، حرف شرط وتفصيل وتوكيد .

أما كونها حرف شرط ، فبدليل لزوم الفاء بعدها ، نحو ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْمَلُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ﴾ ^(٥) . وأما قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ ﴾ ^(٦) ، فعلى تقدير القول ، أي فيقال لهم : أكفرتم ، فحذف القول استغناء عنه بالمقول ، فبقيته الفاء في الحذف . وكذا قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنْذِرُ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٧) .

(٤) الزخرف ٥١ ، ٥٢

(٣) البقرة ٨٠

(٢) الطور ٣٩

(١) الرعد ١٦

(٧) الجاثية ٣١

(٦) آل عمران ١٠٦

(٥) البقرة ٢٦

وأما التفصيل فهو غالب أحوالها كما تقدم ، وكقوله : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ﴾ ^(٢) ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ﴾ ^(٣) . وقد بترك تكرارها استغناء بأحد القسمين عن الآخر ، وسيأتى فى أنواع الحذف .

وأما التوكيد فقال الزمخشري : فائدة : أَمَّا الكلام أن تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه يصدد الذهاب ، وأنه منه عزيمة ، قلت : أما زيد فذاهب ، ولذلك قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شئ ، فزيد ذاهب .

وفصل بين أما والفاء إما بمتبداً كآيات السابقة ، أو خبر ، نحو أما فى الدار فزيد ، أو جملة شرط نحو ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ ... ﴾ ^(٤) ، الآيات ، أو اسم منصوب بالجواب ، نحو ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ^(٥) . أو اسم معمول لمحذوف يفسره ما بعد الفاء ، نحو ﴿ فَأَمَّا سَمُودَ فَهَدَّ يَنَاهُمْ ﴾ ^(٦) ، فى قراءة بعضهم بالنصب .

نبيه

ليس من أقسام أما التى فى قوله تعالى ﴿ أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ، بل هى كلمتان : أم المنقطعة وما الاستفهامية .

إما

بالكسر والتشديد ، ترد لمعان :

الإيهام نحو : ﴿ وَآخِرُ نَزْرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) .

(٣) الكهف ٨٢

(٦) فصلت ١٧

(٢) الكهف ٨٠

(٥) الضحى ٩

(٨) التوبة ١٠٦

(١) الكهف ٧٩

(٤) الواقعة ٨٩

(٧) النحل ٨٤

والتخيير نحو ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ^(١) ، ﴿وإِمَّا أَنْ نَكُونَ
أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ^(٢) ، ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ ^(٣) .
والتفصيل، نحو ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ^(٤) .

تنبيهات

الأول : لاختلاف أن إمّا الأولى في هذه الأمثلة ونحوها غير عاطفة ، واختلف
في الثانية ، فالأكثر على أنها عاطفة ، وأنكره جماعة منهم ابن مالك ، لملازمتها غالباً
الواو العاطفة. وأدعى ابن عصفور الإجماع على ذلك ، قال: وإمّا ذكروها في باب العطف
لمصاحبتها لحرفه . وذهب بعضهم إلى أنها عطفت الاسم على الاسم والواو عطفت إمّا
على إمّا، وهو غريب .

الثاني : سيأتي أن هذه لمعاني لأو ، والفرق بينهما وبين إمّا ، أن إمّا
يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جرى بها لأجله ، ولذلك وجب تكرارها .
وأُوفتتح الكلام معها على الجزم، ثم يطرأ الإبهام أو غيره ولهذا لم يتكرر .

الثالث : ليس من أقسام إمّا ، التي في قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ ^(٥)
بل هي كلمتان : إن الشرطية وما الزائدة .

إِنْ

بالكسر والتخفيف ، على أوجه :

الأول : أن تكون شرطية ، نحو ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ^(٦)
﴿وَإِنْ يَبُوءُوا فَقَدْ مَضَتْ﴾ ^(٧) ، وإذا دخلت على «لم» فالجزم بلم لا بها . نحو ﴿فَإِنْ

(٣) ع ٤
(٦) الأنفال ٣٨

(٢) طه ٦٥
(٥) مريم ٢٦

(١) الكهف ٨٦
(٤) الإنسان ٣
(٧) الأنفال ٣٨

لَمْ تَقْعَلُوا ﴿١﴾ ، أَوْ عَلَى لَا ، فَالْجُزْمُ بِهَا لَا بَلَاءٌ ، نَحْوُ ﴿وَالْأَلَّا تَغْفِرَ لِي﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ ﴿٣﴾ ، وَالْفَرْقُ أَنَّ لَمْ عَامِلٌ يُلْزَمُ مَعْمُولُهُ ، وَلَا يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ ، وَإِنْ يَجُوزُ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ مَعْمُولِهَا بِمَعْمُولِهِ ، وَلَا لَا تَعْمَلُ الْجُزْمُ إِذَا كَانَتْ نَافِيَةً ، فَأُضِيفَ الْعَمَلُ إِلَى إِنْ .

(الثاني) : أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً ، وَتَدْخُلَ عَلَى الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، نَحْوُ ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿إِنْ أُمَمَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَهُمْ﴾ ﴿٥﴾ ، ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا نَا﴾ ﴿٧﴾ . قِيلَ : وَلَا تَقَعُ إِلَّا وَبَعْدَهَا إِلَّا كَمَا تَقْدُمُ أَوْ لَمَّا الشَّدَّةُ نَحْوُ ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٨﴾ ، فِي قِرَاءَةِ الشَّدِيدِ . وَرَدَّ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ ﴿٩﴾ ، ﴿وَأِنْ أَدْرَى أَلَمَهُ فِتْنَةً لَكُمْ﴾ ﴿١٠﴾ .

وَمَا حَمَلَ عَلَى النَّافِيَةِ قَوْلُهُ : ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١١﴾ ، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ ﴿١٢﴾ ، وَعَلَى هَذَا فَالْوَقْفُ هُنَا ، ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾ ﴿١٣﴾ ، أَيْ فِي الَّذِي مَأْمَنَّاكُمْ فِيهِ . وَقِيلَ : هِيَ زَائِدَةٌ ، وَبُيِّدَ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ : ﴿مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾ ﴿١٤﴾ ، وَعُدِلَ مِنْ «مَا» لثَلَاثًا تَتَكَرَّرُ فَيَثْقُلُ الْفَلِظُ .

قُلْتُ : وَكَوْنُهَا لِلنَّفْيِ هُوَ الْوَاقِعُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا تَقْدُمُ فِي نَوْحِ الْغَرِيبِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الشَّرْطِيَّةُ وَالنَّافِيَةُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿١٥﴾ ، وَإِذَا دَخَلَتِ النَّافِيَةُ عَلَى الْإِسْمِيَّةِ لَمْ تَعْمَلْ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، وَأَجَازَ الْكَسَاؤِيُّ وَالْمُبَرِّدُ إِعْمَالَهَا عَمَلِ لَيْسَ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ سَمْعِيدِ بْنِ جَبْرِ : ﴿إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾ ﴿١٦﴾ .

(٣) التوبة ٤٠	(٢) هود ٤٧	(١) البقرة ٣٤
(٦) التوبة ١٠٧	(٥) المجادلة ٢	(٤) الملك ٢٠
(٩) يونس ٦٨	(٨) الطارق ٤	(٧) النساء ١١٧
(١٢) الزخرف ٨١	(١١) الأنبياء ١٧	(١٠) الأنبياء ١١٠
(١٥) فاطر ٤١	(١٤) الأنعام ٦	(١٣) الأحقاف ٢٦
		(١٦) الأعراف ١٩٤

فائدة : أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد ، قال : كل شيء في القرآن « إن » إنكار .

(الثالث) : أن تكون مخففة من الثقيلة ، فتدخل على الجملتين ، ثم الأكثر إذا دخلت على الإسمية إهامها ، نحو ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٣) ، في قراءة حفص وابن كثير .

وقد تعمل نحو ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٤) في قراءة الحرميين ، وإذا دخلت على الفعل ، فالأكثر كونه ماضيا ناسخا ، نحو ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٥) ، ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٦) ، ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٧) ، ﴿ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ إِلَّا خَوْفٌ وَكَرْهٌ ﴾ (٨) ، وحيث وجدت إن بعدها اللام المفتوحة فهي المخففة من الثقيلة .

(الرابع) : أن تكون زائدة ، وخرج عليه : ﴿ فَمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ (٩) .

(الخامس) : أن تكون للتعليل كما إذا قاله الكوفيون ، وخرجوا عليه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠) ، ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (١١) ، ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢) ، ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع .

وأجاب الجمهور عن آية المشيئة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا خبروا عن المستقبل أو بأن أصل ذلك الشرط ، ثم صار يُذكر للتبرك ، أو أن المعنى : لتدخلن جميعا إن شاء الله ألا

(١) الزخرف ٣٥	(٢) يس ٣٢	(٣) طه ٦٣
(٤) هود ١١١	(٥) البقرة ٤٥	(٦) الإسراء ٧٣
(٧) القلم ٥١	(٨) الشعراء ١٨٦	(٩) الأحقاف ٢٦
(١٠) المائدة ٥٧	(١١) الفتح ٢٧	(١٢) آل عمران ١٣٩

يموت منكم أحد قبل الدخول ، وعن سائر الآيات بأنه شرط جيء به للتيسير والإلهاب ، كما تقول لابنك : إن كنت ابني فأطعني .

(السادس) : أن تكون بمعنى قد ، ذكره قطرب ، وخرج عليه : ﴿ فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذَّكَرَى ﴾ ^(١) ، أى قد نفعت ، ولا يصح معنى الشرط فيه لأنه مأمور بالتذكير على كل حال .

وقال غيره : هى للشرط ، ومعناه ذمهم واستبعاد لنفع التذكير فيهم . وقيل : التقدير : وإن لم تنفع ، على حد قوله : ﴿ سَرَّابِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ ^(٢) .

فائدة

قال : بعضهم : وقع في القرآن إن بصيغة الشرط وهو غير مراد في ستة مواضع : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبَقَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا ﴾ ^(٣) .
﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٤) .
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ ﴾ ^(٥) .
﴿ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ﴾ ^(٦) .
﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ ^(٧) .
﴿ وَبِعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ ^(٨) .

(أَنْ)

بالفتح والتخفيف على أوجه :

(الأول) : أن تكون حرفا مصدريا ناصبا للمضارع ، ويقع في موضعين : في الإبتداء فيكون في محل رفع ، نحو : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ

(٣) النور ٣٣

(٢) النحل ٨١

(١) الأعلى ٩

(٦) الطلاق ٤

(٥) البقرة ٢٨٣

(٤) النحل ١١٤

(٩) البقرة ١٨٤

(٨) البقرة ٢٢٨

(٧) النساء ١٠١

لَتَقْوَى ﴿١﴾ . وبعد لفظ دالٍّ على معنى غير اليقين في محل رفع ، نحو ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾ (٣) .

ونصب نحو ﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ (٤) ، ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى ﴾ (٥) ، ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ (٦)

وخفضي نحو : ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾ (٧) ، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ (٨) .

وأن هذه موصول حرفي ، وتوصل بالفعل المتصرف ، مضارعاً كما مر ، وماضياً نحو ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (٩) ، ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ ﴾ (١٠) .

وقد يرفع المضارع بعدها إماماً ، حملاً على ما اختها كقراءة ابن محيصن : ﴿ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (١١) .

الثاني : أن تكون مخففة من النفي ، فتقع بعد فعل اليقين أو ما نُزِّل منزلته نحو ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ (١٢) ، ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ ﴾ (١٣) ، ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونُ ﴾ (١٤) ، في قراءة الرفع .

الثالث : أن تكون مفسرة بمنزلة أي ، نحو ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (١٥) ، ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ كُفَّةُ الْجَنَّةِ ﴾ (١٦) ، وشرطها أن تسبق بجملة ، فذلك غلط من جعل منها : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) .

وَأَنْ يَتَأَخَّرَ عنها جملة ، وأن يكون في الجملة السابقة معنى القول ، ومنه ﴿ وَانْطَلَقَ

(٣) البقرة ٢١٦

(٦) الكهف ٦٩

(٩) الإسراء ٧٤

(١٢) طه ٧٩

(١٥) المؤمنون ٢٧

(٢) الحديد ١٦

(٥) يونس ٣٧

(٨) المنافقون ١٠

(١١) البقرة ٢٣٣

(١٤) المائدة ٧١

(١٧) يونس ١٠

(١) البقرة ٢٣٧

(٤) المائدة ٥٢

(٧) الأعراف ١٢٩

(١٠) الإسراء ٧٠

(١٣) الزمر ٢٠

(١٦) الأعراف ٤٣

الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا ﴿١﴾ ، إِذْ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْانْطِلَاقِ الْمَشْيَ ، بَلْ انْطِلَاقُ أَلْسِنَتِهِمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ الْمَشْيَ الْمُتَعَارَفَ ، بَلِ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى الْمَشْيِ .

وزعم الزمخشري أَنَّ التِّي فِي قَوْلِهِ ﴿٢﴾ : ﴿أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ، مَفْسُورَةٌ ، بِأَنْ قَبْلَهُ : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ، وَالْوَحْيُ هُنَا إِلْهَامٌ بِاتِّفَاقٍ ، وَلَيْسَ فِي الْإِلْهَامِ مَعْنَى الْقَوْلِ ، وَإِنَّمَا هِيَ مُصَدَّرِيَّةٌ ، أَيْ بِاتِّخَاذِ الْجِبَالِ ، وَأَلَّا يَكُونَ فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ أَحْرَفَ الْقَوْلِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ﴿٣﴾ : إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَفْسُورَةً لِلْقَوْلِ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِالْأَمْرِ ، أَيْ مَا أَمَرْتَهُمْ إِلَّا بِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهُوَ حَسَنٌ ، وَعَلَى هَذَا فَيُقَالُ فِي الضَّائِطِ أَنْ لَا تَكُونَ فِيهِ حُرُوفٌ إِلَّا الْقَوْلُ مُؤَوَّلٌ بغيره .

قُلْتُ : وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ ، كَوْنُهُمْ يَشْرَطُونَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ ، فَإِذَا جَاءَ لَفْظُهُ أَوَّلُوهُ بِمَا فِيهِ مَعْنَاهُ مَعَ صَرِيحِهِ ، وَهُوَ نَظِيرُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ جَعْلِهِمْ أَلْ فِي الْآنَ زَائِدَةٌ مَعَ قَوْلِهِمْ بِتَضَمُّنِهَا مَعْنَاهَا ، وَأَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهَا حَرْفٌ جَرَّ .

الرَّابِعُ : أَنْ تَكُونَ زَائِدَةٌ ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ تَقَعَ بَعْدَ لَمَّا التَّوْقِيفِيَّةِ ، نَحْوُ ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ﴿٤﴾ .

وَزَعِمَ الْأَخْفَشُ أَنَّهَا تَنْصَبُ الْمَضَارِعَ وَهِيَ زَائِدَةٌ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُفَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾ ، : ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿٦﴾ ، قَالَ : فَهِيَ زَائِدَةٌ بِدَلِيلٍ : ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ﴿٧﴾ .

الخامس : أن تكون شرطية كالمكسورة ، قاله الكوفيون . وخرّجوا عليه : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ ^(١) ، ﴿ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ ^(٣) . قال ابن هشام : ويرجّعه عندي تواردها على محلّ واحد ، والأصل التوافق . وقد قرئ بالوجهين في الآيات المذكورة ، ودخول الفاء بعدها في قوله : ﴿ فتذكّر ﴾ ^(٤) .

السادس : أن تكون نافية ، قال بعضهم . في قوله : ﴿ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ ^(٥) ، أى لا يؤتى ، والصحيح أنها مصدرية ، أى ولا تؤمنوا أن يؤتى ، أى بإيتاء أحد .

السابع : أن تكون للتعليل كإذ ، قاله بعضهم في قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ ^(٦) ، ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِياكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا ﴾ ^(٧) ، والصواب أنها مصدرية ، وقبلها لام العلة مقدّرة .

الثامن : أن تكون بمعنى لئلا ، قاله بعضهم في قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ^(٨) ، والصواب أنها مصدرية ، والتقدير : كراهة أن تضلّوا .

إِنَّ

بالكسر والتشديد ، على وجه :

أحدها : التأكيد والتحقيق ، وهو الغالب ، نحو ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٩) ، ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(١٠) : قال عبد القاهر : والتأكيد بها أقوى من التأكيد

(١) البقرة ٢٨٢	(٢) المائدة ٢	(٣) الزخرف ٥ ، وانظر المعنى ٣٥
(٤) آل عمران ٧٣	(٥) ق ٢	(٦) المنتحة ١
(٧) النساء ١٧٦	(٨) البقرة ١٧٣	(٩) يس ١٦

باللام ، قال : وأكثر مواقعها بحسب الاستقراء ، والجواب لسؤال ظاهر أو مقدر ، إذا كان للسائل فيه ظن .

والثاني : التعليل ، أثبتته ابن جني وأهل البيان ، ومثله بنحو ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ غَفُورًا رَحِيمٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَمَا أُبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ^(٣) ، وهو نوع من التأكيد .

الثالث : معنى نعم ، أثبتته الأكثرون ، وخرج عليه قوم منهم ، المبرد : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(٤) .

أَنَّ

بالفتح والتشديد على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف تأكيد ، والأصح أنها فرع المكسورة ، وأنها موصول حرفي تَوَوَّلَ مع اسمها وخبرها بالمصدر ، فإن كان الخبر مشتقاً بالمصدر المؤول به من لفظه نحو ﴿ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٥) ، أي قدرته ، وإن كان جامداً قُدِّرَ بالكون .

وقد استشكل كونها للتأكيد ، بأنك لو صرحت بالمصدر المنسبك منها لم يفد تأكيداً ، وأجيب : بأن التأكيد للمصدر المنحل ، وبهذا يفرض بينها وبين المكسورة لأن التأكيد في المكسورة للإسناد ، وهذه لأحد الطرفين .

الثاني : أن يكون لفة في « لعل » وخرج عايبها : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٦) ، في قراءة الفتح ، أي لعلها

(٣) يوسف •

(٦) الأنعام ١٠٩ •

(٢) التوبة ١٠٣ •

(٥) الطلاق ١٢ •

(١) الزمزم ٢٠ •

(٤) طه ٦٣ •

أَنَّى

اسم مشترك بين الاستفهام والشرط، فلَمَّا الاستفهام، فترد فيه بمعنى كيف، نحو ﴿أَنَّى يُخَيِّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١)، ﴿أَنَّى يُؤْفِكُون﴾^(٢) . ومن أين، نحو ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾^(٣)، أى من أين قلتم أَنَّى هذا أى من أين جاءنا .

قال فى عروس الأفراح : والفرق بين أين ومن أين، أن أين سؤال عن المكان الذى حلّ فيه الشئ، ومن أين سؤال عن المكان الذى برز منه الشئ، وجعل من هذا المعنى ما قرئ شاذاً ﴿أَنَّى صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾^(٤) .

وبمعنى متى . وقد ذكرت المعانى الثلاثة فى قوله تعالى : ﴿فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(٥) .

وأخرج ابن جرير الأول من طريق عن ابن عباس ، وأخرج الثانى عن الربيع بن أنس واختاره ، وأخرج الثالث عن الضحاك ، وأخرج قولاً رابعاً عن ابن عمر وغيره ، أنها بمعنى « حيث شئتم » . واختار أبو حيان وغيره أنها فى الآية شرطية ، وحذف جوابها لالدلالة ما قبلها عليه ، لأنها لو كانت استفهامية لا كتفت بما بعدها ، كما هو شأن الاستفهامية، أن تكتفى بما بعدها، أى تكون كلاماً يحسن السكوت عليه إن كان أسماء أو فعلاً .

(أَوْ)

حرف عطف ترد لمعان :

الشك من المتكلم ، نحو ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٦) .

(١) البقرة ٢٥٩ (٢) التوبة ٣٠ (٣) آل عمران ٣٧
(٤) عبس ٢٤ وفى البرهان ٤ : ٢٤٩ : « أى من أين » ، فيكون الوقف على قوله : « إلى طعامه »
(٥) البقرة ٢٢٣ (٦) المؤمنون ١١٣

والإيهام على السامع ، نحو ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١) .
والتخيير بين المعطوفين ، بأن يمتنع الجمع بينهما .
والإباحة بالأ لا يمتنع الجمع .

ومثل الثاني بقوله : ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ...﴾^(٢) الآية ؛ ومثل الأولى بقوله تعالى : ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿فَكَفَّارَةٌ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيَكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(٤) .

واستشكل بأن الجمع في الآيتين غير ممتنع .

وأجاب ابن هشام بأنه ممتنع بالنسبة إلى وقوع كل كفارة أوفدية ، بل يقع واحد منهن كفارة أوفدية ، والباقي قرينة مستقلة خارحة عن ذلك .

قلت : وأوضح من هذا التمثيل قوله : ﴿أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا...﴾^(٥) ، الآية ، على قول من جعل الخيرة في ذلك إلى الإمام ، فإنه يمتنع عليه الجمع بين هذه الأمور بل يفعل منها واحدا يؤدّي اجتهاده إليه .

والتفصيل بعد الإجمال ، نحو ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾^(٦) ، ﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾^(٧) ، أى قال بعضهم كذا وبعضهم كذا .

والإضراب كبيل ، وخرج عليه : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٨) ، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾^(٩) ، وقراءة بعضهم : ﴿أَوْ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾^(١٠) ، يسكون الواو .

(٣) البقرة ١٩٦

(٢) النور ٦١

(١) سبأ ٢٤

(٦) البقرة ١٣

(٥) المائدة ٣٣

(٤) المائدة ٨٩

(٩) النجم ٩

(٨) الصافات ١٤٧

(٧) القاريات ٥٢

(١٠) البقرة ١٠٠

ومطلق الجمع كالواو، نحو ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ^(١)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ^(٢).

والتقريب، ذكره الحريري وأبو البقاء، وجعل منه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ^(٣).

ورُدَّ بأنَّ التقريب مستفاد من غيرها.

ومعنى إلّا في الاستثناء ومعنى إلى، وهاتان ينصب المضارع بعدها بأن مضمرة وخرج عليها ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ^(٤). فقيل: إنه منصوب لا مجزوم بالمطف على «تَمْسُوهُنَّ»، لثلاثا يصير المعنى: لا جناح عليكم فيما يتعلق بمهور النساء إن طلقتموهن في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين، مع أنه إذا انتفى الفرض دون الميسر لمهر المثل، وإذا انتفى الميسر دون الفرض لزم نصف المسمى؛ فكيف يصح دفع الجناح عند انتفاء أحد الأمرين! ولأنَّ المطلقات المفروض لهنَّ قد ذُكرن ثانياً بقوله: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ...﴾ الآية، وترك ذكر المسوسات لما تقدم من المفهوم، ولو كانت «تفرضوا» مجزوماً لكانت المسوسات والمفروض لهنَّ مستويين في الذكر. وإذا قدّرت «أو» بمعنى «إلّا» خرجت المفروض لهنَّ عن مشاركة المسوسات في الذكر، وكذا إذا قدّرت بمعنى «إلى»، وتسكون غاية لنفي الجناح لا لنفي الميسر.

وأجاب ابن الحاجب عن الأول بمنع كون المعنى مدة انتفاء أحدهما، بل مدة لم يكن واحد منهما، وذلك بتفصيلهما جميعاً، لأنه نكرة في سياق النفي الصريح. وأجاب بعضهم عن الثاني، بأن ذكر المفروض لهنَّ، إنما كان لتيقن النصف لهنَّ لالبيان أن لهنَّ شيئاً في الجملة.

ومما خرج على هذا المعنى قراءة أبي: ﴿تُقَاتِلُوهُمْ أَوْ تُسَلِّمُوا﴾ ^(٥).

(٢) النحل ٧٧

(م ١٢ - الإتيان ج ٢)

(٢) طه ١١٣

(٥) الفصح ١٦

(١) طه ٤

(٤) البقرة ٢٣٦

تنبيهات

(الأول) : لم يذكر المتقدمون لأو هذه المعاني بل قالوا : هي لأحد الشيئين أو الأشياء ، قال ابن هشام : وهو التحقيق والمعاني المذكورة مستفادة من القرآن ^(١) .

(الثاني) : قال أبو البقاء : أو في النهي نقيضة أو في الإباحة ؛ فيجب اجتناب الأمرين كقوله : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ^(٢) ، فلا يجوز فعل أحدهما ، فلو جمع بينهما كان فعلاً للمعنى عنه مرتين ، لأن كل واحد منهما أحدهما ^(٣) .

وقال غيره : أو في مثل هذا بمعنى الواو ، تفيد الجمع .

وقال الخطيب : الأولى أنها على بابها ، وإنما جاء التعميم فيها من النهي الذي فيه معنى النفي ، والنسكرة في سياق التثنية تعميم ، لأن المعنى قبل النهي : « تطيع آيماً أو كفوراً » ، أي واحداً منهما ، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً ، فالمعنى : لا تطع واحداً منهما ، فالتعميم فيهما من جهة النهي ، وهي على بابها .

(الثالث) : السكون مبناها على عدم التشريك عاد الضمير إلى مفردية بالافراد ، بخلاف الواو ، وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا ﴾ ^(٤) فقيل : إنها بمعنى الواو ، وقيل : المعنى أن يكن الخصمان غنيين أو فقيرين .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : كل شيء في القرآن « أو » فهو مخير ، فإذا كان « فن لم يجد » فهو الأول فالأول .

وأخرج البيهقي في سننه عن ابن جريج ، قال : كل شيء في القرآن فيه « أو » فلتخير إلا قوله : ﴿ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ ^(٥) ليس بمخير فيها . قال الشافعي وبهذا أقول .

(٣) (اضرب إملاء ما من به

(٥) (المائدة ٣٣

(٢) (الإنسان ٢٤

(٤) (النساء ٣٥

(١) (المعنى ١ : ٦٧

الرحمن لأبي البقاء ١ : ١٤٩

أُولَى

في قوله تعالى : ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ ^(١) ، وفي قوله تعالى : ﴿فَأُولَى لَهُمْ﴾ ^(٢) ، قال في الصحاح : قولهم : « أولى لك » كلمة تهذد ووعيد ، قال الشاعر :

* فَأُولَى لَهُ نُمَّ أُولَى لَهُ *

قال الأصمعي : فمعناه قاربه ما يهلكه ، أى نزل به . قال الجوهري : ولم يقل أحد فيها أحسن مما قال الأصمعي .

وقال قوم : هو اسم فعل مبنى ، ومعناه : وليك شرّ بعد شرّ ، و « لك » تبين .
وقيل : هو علم للوعيد غير مصروف ، ولذا لم ينون ، وإن محله رفع على الابتداء .
ولك الخبر ، ووزنه على هذا « فعلى » ، والألف للإلحاق وقيل « افعِل » .
وقيل : معناه الويل لك ؛ وأنه مقلوب منه ، والأصل « أويل » ، فأخرج حرف العلة ، ومنه قول الخنساء :

هَمَمْتُ لِنَفْسِي بِمَعْصِ الْهَمُومِ فَأُولَى لِنَفْسِي أُولَى لَهَا ^(٣)

وقيل : معناه : الذم لك أولى من تركه ، فحذف المبتدأ لكثرة دورانه في الكلام .
وقيل . المعنى : أنت أولى وأجدر بهذا العذاب .

وقال ثعلب : أولى لك في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك ، كأنه يقول : قد وليت الهلاك ، أ ، وقد دانيت الهلاك ، أصله من الولي وهو القرب ، ومنه : ﴿فَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ ^(٤) ، أى يقربون منكم .

وقال النحاس : العرب تقول : أولى لك ، أى كدت تهلك ، وكان تقديره : أولى لك الهلكة .

إِى

بالتكسر والسكون ؛ حرف جواب بمعنى نعم ، فتكون لتضديق المخبر ، ولإعلام المستخبر ، ولوعد الطالب ، قال النحاة : ولا تقع إلا قبل القسم .
قال ابن الحاجب : وإلا بعد الاستفهام ، نحو : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِى رَبِّى ﴾ (١) .

أِى

بالفتح والتشديد ، على أوجه :

(الأول) : أن تكون شرطية ، نحو ﴿ أَيَّمَا الْأَجَايِنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ (٢) ، ﴿ أَيَّامًا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٣) .

(الثانى) : استفهامية ، نحو ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾ (٤) ، وإثما يُسألُ بها عما يمر أحد المتشاركون فى أمرٍ يعتمها ، نحو ﴿ أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ (٥) أى أنحن أم أصحاب محمد !
(الثالث) : موصولة ، نحو ﴿ لَنَنْزِعَنَّ عَنْ مِّنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدَّ ﴾ (٦) .

وهى فى الأوجه الثلاثة معربة ، وتبنى فى الوجه الثالث على الضم إذا حذف عائدها وأضيفت كالآية المذكورة . وأعربها الأخفش فى هذه الحالة أيضا ، وخرج عليه قراءة بعضهم بالنصب ، وأول قراءة الضم على الحكاية ، وأولها غيره على التعليق للفعول وأولها الزمخشري على أنها خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام : لننزعنَّ بعض كل شيعه ، فكأنه قيل : من هذا البعض ؛ فقيل : هو الذى أشد ، ثم حذف المبتدآن المكتنفان لأى .

وزعم ابن الطراوة أنها في الآية مقطوعة عن الإضافة مبنية ؛ وأن « هم أشد » مبتدأ وخبر . وردّ برسم الضمير متصلاً بأن ، وبالإجماع على إعرابها إذا لم تضاف .
الرابع : أن تكون صلة إلى نداء مافية آل ، نحو ﴿ يا أيها الناس ﴾ ، ﴿ يا أيها النبي ﴾ .

إِذَا

زعم الزجاج أنها اسم ظاهر ، والجمهور ضمير ، ثم اختلفوا فيه على أقوال :
(أحدها) : أنه كلمة ضمير هو ، وما اتصل به .

(والثاني) : أنه وحده ضمير وما بعده اسم مضاف له يفسر ما يراد به من تكلم وغيبه وخطاب ، نحو ﴿ فإيأى فارهبون ﴾ ^(١) ، ﴿ بل إيأى تدعون ﴾ ^(٢) ، ﴿ إيأى نعبد ﴾ ^(٣) .

(والثالث) : أنه وحده ضمير وما بعده حروف تُفسر المراد .

(والرابع) : أنه عماد ، وما بعده هو الضمير . وقد غلط من زعم أنه مشتق ، وفيه سبع لغات قرئ بها : بتشديد الياء وتخفيفها مع الهزة ، وإبدالها مكسورة ومفتوحة ، هذه ثمانية يسقط منها بفتح الماء التشديد .

أَيَّانَ

اسم استفهام ، وإيأى يُستفهم به عن الزمان المستقبل ، كما جزم به ابن مالك وأبو حيان ، ولم يذكر فيه خلافاً .
وذكر صاحب المعاني مجيئها للماضي .

وقال السكاكي : لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم ، نحو ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ ^(١) ،
﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ^(٢) .

والشهور عند النحاة أنها كمتى تستعمل في التفخيم وغيره .

وقال بالأول من النحاة علي بن عيسى الرِّبَعي ، وتبعه صاحب البسيط ، فقال :
إنما تستعمل في الاستفهام عن الشيء العظيم أمره .

وفي الكشف : قيل إنها مشتقة من أي « فعلان » منه لأن معناه أي وقت وأي فعل ،
من آويت إليه ، لأن البعض آو إلى الكل ومتساند وهو بعيد .
وقيل : أصله أي أن .

وقيل : أي أوان ، حذفت الهمزة من « أوان » ، والياء الثانية من « أي » ، وقلبت
الواو ياء وأدغمت الساكنة فيها . وقرئ بكسر همزتها .

* * *

أَيْنَ

اسم استفهام عن المكان ، نحو ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ ^(٣) . وترد شرطاً عاماً في
الأمكنة ، وأينما أعم منها ، نحو ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ ^(٤) .

* * *

الباء المفردة

حرف جر له ، معانٍ ، أشهرها الإصاق ، ولم يذكر لها سيبويه غيره .

وقيل : إنه لا يفارقها ، قال في شرح اللب : وهو تعلق أحد المعنيين بالآخر ، ثم قد
يكون حقيقة ، نحو ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ ^(٥) أي ألقوا المسح برؤوسكم ،

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾^(١) ، وقد يكون مجازاً ، نحو ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾^(٢) أى بمكان يقربون منه .

(الثانى) : التعمدية كالمهزمة ، نحو ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾^(٣) ، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾^(٤) ، أى أذهب كما قال : ﴿لَيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ﴾^(٥) .

وزعم المبرد والسهيلي أن بين تعمية الباء والمهزمة فرقاً ، وأنتك إذا قلت : ذهبت بزيد كنت مصاحياً له فى الذهاب ، وردت بالآية .

(الثالث) : الاستعانة ، وهى الداخلة على آلة الفعل كباء البسمة .

(الرابع) : السببية وهى التى تدخل على سبب الفعل ، نحو ﴿فَسَكُلًا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^(٦) ، ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَاتَّخَذِكُمُ الْعِجْلُ﴾^(٧) ، ويعبر عنها أيضاً بالتعليل .

(الخامس) : المصاحبة كمع ، نحو ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾^(٨) ، ﴿فَدَجَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾^(٩) ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^(١٠) .

(السادس) : الظرفية كفى ، زماناً ومكاناً ، نحو ﴿تَجِيئَانَا هُمْ بِسَحَرٍ﴾^(١١) ، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾^(١٢) .

(السابع) : الاستعلاء كعلى ، نحو ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَقْنَطَارٍ﴾^(١٣) ، أى عليه ، بدليل ﴿إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾^(١٤) .

(الثامن) : المجاوزة كمن ، نحو : ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾^(١٥) ، أى عنه ، بدليل :

(١) المائدة ٦	(٢) الطوفين ٣٠	(٣) البقرة ١٧
(٤) البقرة ٢٠	(٥) الأخراب ٣٣	(٦) العنكبوت ٤٠
(٧) البقرة ٥٤	(٨) هود ٤٨	(٩) النساء ١٧٠
(١٠) الحجر ٩٨	(١١) القمر ٣٤	(١٢) آل عمران ١٢٣
(١٣) آل عمران ٧٥	(١٤) يوسف ٦٤	(١٥) الفرقان ٥٩

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾^(١) ، ثم قيل : تَحْتَصُّ بالسؤال ، وقيل : لا ، نحو ﴿نُورُهُمْ يَسْقَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(٢) ، أى وعن أيماهم ، ﴿وَبَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ﴾^(٣) ، أى عنه .

(التاسع) : التبعض كمن ، نحو : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٤) ، أى منها .

(العاشر) : الغاية كإلى نحو : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾^(٥) ، أى إلى .

(الحادى عشر) : المقابلة ، وهى الداخلة على الأعواض ، نحو : ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦) ، وإِنَّمَا لم تقدرها بباء السببية كما قال المعتزلة ، لأن المعطى بموضع قد يعطى مجازاً ، وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب .

(الثانى عشر) : التوكيد ، وهى الزائدة ، فترادُ فى الفاعل وجوباً فى نحو : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْهَرْ﴾^(٧) ، وجوازاً غالباً فى ، نحو ﴿كُنْفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾^(٨) ، فإن الاسم الكريم فاعل ، و«شهيذا» نصب على الحال أو التمييز ، والباء زائدة ودخلت لتأكيد الاتصال ، لأن الاسم فى قوله : ﴿كُنْفَى بِاللَّهِ﴾ متصل بالفعل اتصال الفاعل .

قال ابن السجرى : وفعل ذلك إيداناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فى عظم المنزلة ، فضعف اعظم التضاعف معناها . وقال الزجاج : دخلت لتضمن «كنفى» معنى «لا كتنفى» .

قال ابن هشام : وهو من الحين بمكان^(٩)

وقيل الفاعل مقدر والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، فحذف المصدر وبقي معموله دالاً عليه

- | | | |
|------------------|-----------------|---------------------|
| (١) الاحزاب ٢٠ | (٢) التحريم ٨ | (٣) الفرقان ٢٥ |
| (٤) الإنسان ٦ | (٥) يوسف ١٠٠ | (٦) النحل ٣٢ |
| (٧) مريم ٣٨ | (٨) النساء ٧٩ | (٩) الغنى ١ : ١٠٦ |

ولا تزداد في فاعل « كفى » بمعنى وفى ، نحو ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَكَفَى ، اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ ^(٢) .

وفى المفعول نحو : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَمَنْ يَرْدْ فِيهِ بِالْهَادِ ﴾ ^(٦) .

وفى المبتدأ نحو : ﴿ بِأَيْدِيكُمْ الْمُفْتُونِ ﴾ ^(٧) ، أى أَيْدِيكُمْ . وقيل : هى ظرفية ، أى فى أى طائفة منكم .

وفى اسم ليس فى قراءة بمضهم : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا ﴾ ^(٨) ، بنصب « البر » .

وفى الخبر المنفى نحو : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ ﴾ ^(٩) ، قيل : والموجب ، وخرج عليه : ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا ﴾ ^(١٠) .

وفى التوكيد ، وجعل منه : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ ^(١١) .

فائدة

اختلاف فى الباء ، من قوله : ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ ^(١٢) ، فقيل : للإصاق ، وقيل : للتبويض ، وقيل : زائدة ، وقيل : للاستعانة ، وإن فى الكلام حذفاً وقلبا ، فإن « مسح » يتعدى إلى المزال عنه بنفسه ، وإلى المزيل بالباء ، فالأصل « امسحوا رؤوسكم » بالباء .

• • •

بل

حرف إضراب إذا تلاها جملة :

ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها ، نحو : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ

(٣) البقرة ١٩٥

(٢) الأحراب ٢٥

(١) البقرة ١٣٧

(٦) الحج ٢٥

(٥) الحج ١٥

(٤) مريم ٢٥

(٩) البقرة ٧٤

(٨) البقرة ١٧٥ ، ومى قراءة حزة وحفس

(٧) القلم ٦

(١٢) المائدة ٦

(١١) البقرة ٢٢٨

(١٠) يونس ٢٧

وَلَدَا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١﴾ ، أَى بَلْ هُمْ عِبَادٌ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ .

وتارة يكون معناه الانتقال من غرض إلى آخر، نحو : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴿٤﴾ ، فما قبل «بَلْ» فيه على حاله ، وكذا ﴿ فَذَاقُوا فَالْحَمْلَ مِنْ تَرَكَى ﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٥﴾ بَلْ تُؤْزِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦﴾ .

وذكر ابن مالك في شرح كافيته : أنها لا تقع في القرآن إلا على هذا الوجه ، ووجه ابن هشام ، وسبق ابن مالك إلى ذلك صاحب البسيط ، ووافقه ابن الحاجب ، فقال في شرح المفضل : إبطال الأول وإثباته للثاني إن كان في الإثبات من باب الغلط ، فلا يقع مثله في القرآن .. انتهى .

أما إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف ، ولم تقع في القرآن كذلك .

* * *

بَلَى

حرف أصلى الألف ، وقيل : الأصل «بَلْ» والألف زائدة ، وقيل : هي للتأنيث بدليل إِمَاتِهَا .

ولها موضعان :

أحدهما : أن تكون ردًا للنفي يقع قبلها ، نحو ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى ﴾ ﴿٥﴾ أَى عِلْمُ السُّوءِ ، ﴿ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى ﴾ ﴿٦﴾ أَى يَبْعَثُهُمْ ، ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ ﴿٧﴾ ، ﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ ﴿٨﴾ بَلَى . ثم قال : ﴿ بَلَى ﴾ أَى عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ ، ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ سَبِيلٌ ﴾ .

(٣) المؤمنون ٦٢ ، ٦٣

(٦) النحل ٣٨

(٢) المؤمنون ٧٠

(٥) النحل ٢٨

(٨) آل عمران ٧٥ ، ٧٦

(١) الأنبياء ٢٦

(٤) الأعلى ١٤ — ١٦

(٧) التغابن ٧

كَانَ هُوَذَا أَوْ نَصَارَى ﴿١﴾ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ بَلَى ﴾ (١) ، أَي ، يَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ ، ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ بَلَى ﴾ (٢) ، أَي تَمَسُّهُمْ وَيُحْلِدُونَ فِيهَا .

الثاني : أن تقع جواباً لاستفهام دخل على نفى فتفيد إبطاله ، سواء كان الاستفهام حقيقةً نحو : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى ، وتوبيخاً نحو : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى ﴾ (٣) ، ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ بَلَى (٤) ، أو تقريراً نحو : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قَالُوا بَلَى (٥) : قال ابن عباس وغيره : لو قالوا : نعم ، كفروا ، ووجهه أن نعم تصديق للخبر بنفى أو إيجاب ، فكانهم قالوا : لست ربنا ، بخلاف بلى ، فإنها لإبطال النفي ، فالتقدير : أنت ربنا .

ونازع في ذلك السهلي وغيره بأن الاستفهام التقريرى خبر موجب ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أم متصلة في قوله : ﴿ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴾ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴿ (٦) ، لأنها لا تقع بعد الإيجاب ، وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق له . انتهى . قال ابن هشام : ويشكل عليهم أن بلى لا يجاب بها عن الإيجاب اتفاقاً (٧) .

* * *

بئس

فعلٌ لإنشاء الذم لا يتصرف

* * *

بين

قال الراغب : هي موضوعة للخلل بين الشيئين ووسطهما ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا دَرْعًا ﴾ (٨) .

وتارة تستعمل ظرفاً ، وتارة اسماً ، فمن الظرف ﴿ لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ

(٣) الزخرف ٨٠

(٦) الزخرف ٥١ ، ٥٢

(٢) البقرة ٨٠ ، ٨١

(٥) الأعراف ١٧٢

(٨) الكهف ٣٢

(١) البقرة ١١١ ، ١١٢

(٤) القيامة ٣ ، ٤

(٧) الفتن ١ : ١١٥

وَرَسُولِهِ ﴿١﴾ ، ﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿فَاخْتَكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ ﴿٣﴾ .
ولا تستعمل إلا فيما له مسافة نحو بين البلدان ، أوله عدد ما : اثنان فصاعداً ، نحو :
وبين الرجلين ، وبين القوم ، ولا يضاف إلى ما يقتضى معنى الوحدة إلا إذا كرّر نحو :
﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ﴿٤﴾ ، ﴿فاجعل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ ﴿٥﴾ ، وقرئ
قوله تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ﴿٦﴾ ، بالنصب على أنه ظرف ، وبالرفع على أنه
اسم مصدر بمعنى الوصل .

ويحتمل الأمرين قوله تعالى : ﴿ذَاتَ بَيْنٍكُمْ﴾ ﴿٧﴾ ، وقوله : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنَهُمَا﴾ ﴿٨﴾ ، أى فراقهما .

* * *

التاء

حرف جر معناه القسم ، يختص بالتعجب وباسم الله تعالى ؛ قال فى الكشف فى قوله :
﴿وَتَاللَّهِ لَا كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ ﴿٩﴾ الباء أصل حرف القسم والواو بدل منها ، والتاء
بدل من الواو ، وفيها زيادة معنى التعجب ، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يديه
وتأنيبه مع عتوه ثم روده وقهره . انتهى .

* * *

تبارك

فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضى ولا يستعمل إلا لله .

* * *

تعال

فعل ، لا يتصرف ، ومن ثم قيل : إنه اسم فعل .

(٣) ص ٢٢

(٦) الأنعام ٩٤

(٩) الأنبياء ٥٧

(٢) المجادلة ١٢

(٥) طه ٥٨

(٨) الكهف ٦١

(١) الحجرات ١

(٤) فصلت ٥

(٧) الأنفال ١

نم

حرف يقتضى ثلاثة أمور :

التشريك فى الحكم ، والترتيب ، والمهلة ، وفى كل خلاف .

أما التشريك فزعم الكوفيون والأخفش أنه قد يتخلف بأن تقع زائدة ، فلا تكون عاطفة البتة ، وخرجوا على ذلك : ﴿ حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) .

وأجيب بأن الجواب فيها مقدر .

وأما الترتيب والمهلة فخالف قوم فى اقتضاها إياها متمسكا بقوله : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٢) ، ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ثم ﴿ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ثم ﴿ سَوَّاهُ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (٤) ، والاهتداء سابق على ذلك ، ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ثم آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿ (٥) .

وأجيب : عن الكل بأن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم .

قال ابن هشام : وغير هذا الجواب أنفع منه لأنه يصحح الترتيب فقط لا المهلة إذ لا تراخى بين الإخبارين ، والجواب المصحح لما قيل فى الأولى : إن العطف على مقدر ، أى من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها ، وفى الثانية ، أن « سَوَّاهُ » عطف على الجملة الأولى لا الثانية ، وفى الثالثة أن المراد : ثم دام على الهداية (٦) .

فائدة

أجرى الكوفيون « ثُمَّ » مجرى الفاء والواو ، فى جواز نصب المضارع المقرون بها

بعد فعل الشرط، وخرج عليه قراءة الحسن : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ ^(١) بنصب « يدركه » ^(٢) .

* * *

ثُمَّ

بالفتح، اسم يُشار به إلى المكان البعيد، نحو ﴿ وَأَرْزَلْنَاهُمْ الْآخِرِينَ ﴾ ^(٣) ، وهو ظرف لا يتصرف ، فذلك غلط من أعربه مفعولا « رأيت » ، في قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ ^(٤) ، وقرئ : ﴿ فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ، أى هنا لك الله شهيد ، بدليل ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ ^(٦) .

وقال الطبري في قوله : ﴿ أُنْثِمَ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ ^(٧) : معناه: هنا لك ، وليس ثمَّ العاطفة .

وهذا وهم أشبه عليه المضمومة بالفتوحة .

وفي الترشيح لخطاب : ثُمَّ ظرف فيه معنى الإشارة إلى حيث ، لأنه هو في المعنى .

* * *

جَعَلَ

قال الراغب : افطعام في الأفعال كآها ، وهو أعم من فعل وصنع ، وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه :

(أحدها) : يجرى مجرى صار وطلق ، ولا يتعدى . نحو : جعل زيد يقول كذا .

(والثاني) : يجرى أوجده ، فيتعدى لمفعول واحد ، نحو : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(٨) .

(والثالث) : في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه ، نحو : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ ^(١٠) .

(٢) انظر المعنى لابن هشام ١ : ١١٩

(١) النساء ١٠٠

(٥) يونس ٤٦

(٤) الدهر ٢٠

(٣) الشعراء ٦٤

(٨) الأنعام ١

(٧) يونس ٥١

(٦) الكهف ٤٤

(١٠) النحل ٨١

(٩) النحل ٧٢

(والرابع) : في تصوير الشيء على حالة دون حالة ، نحو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ ^(١) ، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ^(٢) .

(الخامس) : الحكم بالشيء على الشيء ، حقاً كان نحو ﴿وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(٣) ، أو باطلاً نحو ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ ^(٤) ، ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ^(٥) .

* * *

حاشا

اسم بمعنى التنزيه في قوله تعالى : ﴿حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ ^(٦) ، ﴿حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ^(٧) ، لا فعل ولا حرف ، بدليل قراءة بعضهم : ﴿حَاشَا لِلَّهِ﴾ بالتنوين ، كما يقال : «براءة من الله» ، وقراءة ابن مسعود . ﴿حَاشَا لِلَّهِ﴾ بالإضافة كَمَا ذَا اللَّهِ ، وسبحان الله ، ودخولها على اللام في قراءة السبعة ، والجار لا يدخل على الجار وإنما ترك التنوين في قراءتهم لبنائها ، لشبهها بحاشا الحرفية لفظاً .

وزعم قوم أنها اسم فعل معناه : أتبرأ وتبرأت لبنائها .

ورُدَّ بإعرابها في بعض اللغات .

وزعم المبرد وابن جني أنها فعل وأن المعنى في الآية : جانب يوسف المصيبة لأجل الله ، وهذا التأويل لا يتأتى في الآية الأخرى .

وقال الفارسي : حاشا فعل من الحشا ، وهو الناحية ، أي صار في ناحية ، أي بُدِّعَ مما رُمِيَ به وتنفَّى عنه فلم يفسه ولم يلبسه ، ولم يقع في القرآن حاشا إلا استثنائية .

(٣) القصص ٧

(٢) نوح ١٦

(١) البقرة ٢٢

(٥) الحجر ٩١ وانظر مفردات الراغب ٩٤

(٤) النحل ٥٧

(٧) يوسف ٣١

(٦) يوسف ٥١

حَتَّى

حرف لانتهاء الغاية كـ « إلى » ، لكن يفتقران في أمور :
فتنفرد حَتَّى بأنها لا تجر إلا الظاهر وإلا الآخر المسبوق بذى إجزاء أو الملاقى له نحو :
﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(١) .

وأنها لإفادة تقضى الفعل قبلها شيئاً فشيئاً .

وأنها لا يقابل هذا ابتداء الغاية .

وأنها يقع بعدها المضارع المنصوب بأن المقدرة ، ويكونان في تأويل مصدر مخفوض .

ثم لها حينئذ ثلاثة معان :

مرادفة إلى ، نحو ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^(٢) ، أى إلى رجوعه .

ومرادفة كى التعليلية ، نحو : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُوكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾^(٣) ،
﴿وَلَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾^(٤) .

وتحتملها نحو ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٥) .

ومرادفة إلا فى الاستثناء ، وجعل منه ابن مالك وغيره ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾^(٦) .

* * *

مسألة

متى دل دليل على دخول الغاية التى بعد إلى وحتى فى حكم ما قبلها ، أو على عدم دخوله فواضح أنه يُعمل به .

(٣) البقرة ٢١٧

(٢) طه ٩١

(١) القدر ٥

(٦) البقرة ١٠٢

(٥) الحجرات ٩

(٤) المنافقون ٧

فالأول نحو: ﴿وَأَيِّبْكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(١)، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٢)،
دلّت السّفة على دخول المرافق والكعبين في الغسل .

والثاني : نحو : ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٣) ، دلّ النهى عن الوصال على
عدم دخول الليل في الصيام ، ﴿فَنِظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾^(٤) ، فإن الغاية لودخلت هنا
لوجب الإنظار حال اليسار أيضاً ، وذلك يؤدّى إلى عدم المطالبة وتفويت حقّ الدائن .
وإن لم يدلّ دليل على واحد منهما ففيها أربعة أقوال :

أحدها - وهو الأصحّ : تدخل مع « حتى » دون « إلى » حملا على الغالب في
البايين ؛ لأن الأكثر مع القرينة عدم الدخول مع إلى والدخول مع حتى ، فوجب الحمل
عليه عند التردد .

والثاني : تدخل فيهما عليه .

والثالث : لافيهما ، واستدلّ القولان في استوائهما بقوله : ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ﴾^(٥) . وقرأ ابن مسعود ﴿حَتَّى حِينٍ﴾^(٥) .

تنبيه

ترد حتى ابتدائية ، أى حرفاً يُبتدأ بعده الجمل ، أى تُستأنف ، فتدخل على الإسمية
والفعلية المضارعية والماضية، نحو : ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾^(٦) ، بالرفع ، ﴿حَتَّى عَفَوْا
وَقَالُوا﴾^(٧) ، ﴿حَتَّى إِذَا فَشِئْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٨) .
وادعى ابن مالك أنها في الآيات جازة لإذا ولأن مضمرة في الآيتين ؛ والأكثرون
على خلافه .

(٣) البقرة ٢٨٠

(٦) البقرة ٢١٤

(٢) البقرة ١٨٧

(٥) لم يذكر الرابع

(٨) آل عمران ١٥٢

(١) المائدة ٦

(٤) يونس ٩٨

(٨) لأعراف ٩٥

وترد عاطفة ، ولا أعلمه في القرآن ؛ لأن المطف بها قليل جداً ، ومن ثم أنكره الكوفيون البتة .

فائدة

إبدال حائها عيناً لغة هذيل ، وبها قرأ ابن مسعود ، أخرج ^(١) .

* * *

حيث

ظرف مكان . قال الأخفش : وترد للزمان مبنية على القم تشبيهاً بالغايات ؛ فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، ولهذا قال الزجاج في قوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ ﴾ ^(٢) : ما بعد حيث صلة لها ، وليست بمضافة إليه ، يعنى أنها غير مضافة للجملة بعدها ؛ فصارت كاصلة لها ، أى كالزيادة وليست جزءاً منها . وفهم الفارسي أنه أراد أنها موصولة فرد عليه .

ومن العرب من يعربها ، ومنهم من يبينها على الكسر لاقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف ، وتحتملها قراءة من قرأ ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) بالكسر ، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ ^(٤) ، بالفتح ، والمشهور أنها لا تنصرف .

وجوز قوم في الآية الأخيرة كونها مفعولاً به على السعة ، قالوا : ولا تكون ظرفاً لأنه تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان ، ولأن المعنى : أنه يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لاشيئاً في المكان ، وعلى هذا فالناصب لها « يعلم » محذوفاً مدلولاً عليه بـ « أعلم » . لابه ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أولته بعالم .

(٣) الأعراف ١٨٢

(٢) الأعراف ٢٧

(١) بعدها يابض في الأصل

(٤) الأنعام ١٢٤

وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الطريقة الحجازية وتضمنين «أعلم» معنى ما يتعدى إلى الظرف ، فالتقدير : الله أنفذ علما حيث يحفل ، أى هو نافذ العلم فى هذا الموضع ^(١) .

* * *

دون

ترد ظرفاً نقيص ، «فوق» فلا تتصرف على المشهور .

وقيل : تتصرف ، وبالوجهين قرئ ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ ^(٢) بالرفع والنصب .

وترد اسماً بمعنى «غير» نحو : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ ^(٣) ، أى غيره .

وقال الزمخشري : معناه : أدنى مكان من الشيء .

وتستعمل للتفاوت فى الحال ، نحو زيد دون عمرو ، أى فى الشرف والعلم .

واتسع فيه فاستعمل فى تجاوز حدٍّ إلى حدٍّ ، نحو : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) ، أى لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين .

* * *

ذو

اسم بمعنى صاحب ، وضع للتوصل إلى وصف الذوات بأسماء الأجناس ، كما أن الذى وضعت صلة إلى وصف المعارف بالجل . ولا يستعمل إلا مضافاً . ولا يضاف إلى ضمير ولا مشتق ، وجوزّه بعضهم وخرج عليه قراءة ابن مسعود ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٥) .

وأجاب الأكثرون عنها بأن العالم هنا مصدر كالباطل ، أو بأن «ذو» زائدة .

قال السهلي : والوصف بـ «ذو» أبلغ من الوصف بصاحب ، والإضافة بها أشرف

(٣) الأنبياء ٢٤

(٢) المي ١١

(١) نقله فى البرهان ٤ : ٢٧٥

(٥) يوسف ٢٦

(٤) النساء ١٣٤

فإن «ذو» يضاف للتابع وصاحب يضاف إلى المتبوع ، تقول : أبو هريرة صاحب النبي ، ولا تقول : النبي صاحب أبي هريرة . وأما ذو فإنك تقول : ذو المال وذو الفرس ، فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع ، وبني على هذا الفرق أنه تعالى قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ ^(١) ، فأضافه إلى النون وهو الحوت ، وقال في سورة « ن » : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ ^(٢) ، قال : والمعنى واحد ، لكن بين اللفظين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين ، فإنه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بذى لأن الإضافة بها أشرف ، وبالنون لأن لفظه أشرف من لفظ الحوت ، لوجوده في أوائل السور ؛ وليس في لفظ الحوت ما يشرفه لذلك ، فأتى به وبصاحب حين ذكره في معرض النهي عن اتباعه ^(٣) .

* * *

رويدا

اسم لا يتكلم به إلا مصغراً مأموراً به ، وهو تصغير « رَوَدَ » وهو المهل .

* * *

ربّ

حرف في معناه ثمانية أقوال :

أحدها : أنها للتقليل دائماً ، وعليه الأكثرون .

الثاني : للتكثير دائماً ، كقوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٤) . فإنه يكثر منهم تمنى ذلك ، وقال الأولون : هم مشغولون بفمرات الأحوال ، فلا يفقهون بحيث يتمنون ذلك إلا قليلا .

الثالث : أنها لها على السواء .

الرابع : للتقليل غالباً ، والتكثير نادراً ، وهو اختياري .

الخامس : عكسه .

السادس : لم توضع لواحد منهما ، بل هي حرف إثبات لا تدلّ على تكثير ولا تقليل ، وإِنَّمَا يفهم ذلك من خارج .

السابع : للتكثير في موضع المباهاة والافتخار ، وللتقليل فيما عداه .

الثامن : لبهم العدد ، تكون تقليلًا وتكثيرًا ، وتدخل عليها « ما » فتكفيها عن عمل الجرّ وتدخلها على الجمل ، والغالب حينئذ دخولها على الفعلية الماضي فعلمها لفظًا ومعنى ، ومن دخولها على المستقبل الآية السابقة . قيل إنه على حدّ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ ^(١) .

• • •

السَّيْنُ

حرف يختصّ بالمضارع ويخلصه للاستقبال ، ويتنزل منه منزلة الجزء ، فلذا لم تعمل فيه . وذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف ، وعبرة العرب : حرف تنفيس ، ومعناها حرف توسّع ، لأنها تقلب المضارع من الزمن الضيق - وهو الحال - إلى الزمن الواسع ، وهو الاستقبال .

وذكر بعضهم أنها قد تأتي للاستمرار لا للاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ... ﴾ ^(٢) . الآية ، ﴿ سَيَقُولُ الشَّقَاءُ... ﴾ ^(٣) . الآية ، لأن ذلك إنما نزل بعد قولهم : ﴿ مَا وَلَاهُم ﴾ فجاءت السين إعلامًا بالاستمرار لا للاستقبال .

قال ابن هشام : وهذا لا يعرفه النحويون ^(٤) . بل الاستمرار مستفاد من المضارع ، والسين باقية على الاستقبال إذ الاستمرار إنما يكون في المستقبل .

قال : وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة؛ ولم أر من فهم وجه ذلك ، ووجه أنها تفيد الوعد في محصول الفعل ، فدخلوها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه ، وقد أومأ إلى ذلك في سورة البقرة فقال : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(١) ، معنى الدين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين ، وصرح به في سورة براءة ، فقال في قوله : ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٢) : السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك : سأنتقم منك .

* * *
سَوْفَ

كالتسين وأوسع زماناً منها عند البصريين ؛ لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى ، ومصادفة لها عند غيرهم . وتنفرد عن السين بدخول اللام عليها نحو : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ ^(٣) .

قال أبو حيان : وإنما امتنع إدخال اللام على السين كراهة توالي الحركات في « لسيدخرج » ثم طرد الباقي .

قال ابن بابشاذ : والغالب على سوف استعملها في الوعيد والتهديد ، وعلى السين استعمالها في الوعد ، وقد تستعمل سوف في الوعد والسين في الوعيد .

* * *
سَوَاءَ

تكون بمعنى مستوي ففصر مع الكسر ، نحو : ﴿ مَكَانًا سَوًى ﴾ ^(٤) ، وتعد مع الفتح نحو : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ ^(٥) .

(٣) الضم

(٢) التوبة ٧١

(٥) الصادات ٥٥

(١) البقرة ١٣٧

(٤) طه ٨

وبمعنى التَّام فكذلك ، نحو ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ ﴾ ^(١) ، أى تماماً .
ويجوز أن يكون منه ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ^(٢) .

ولم ترد في القرآن بمعنى غير . وقيل : وردت ، وجعل منه في البرهان : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٣) ، وهو وهم ، وأحسنُ منه قول السكابي في قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيٌّ ﴾ ^(٤) : إنها استثنائية ، والستثنى محذوف ، أى مكانا سوى هذا المكان ، حكاة الكرماني في عجائبه ، قال : وفيه بُعد ، لأنها لا تستعمل غير مضافة .

* * *

سأ .

فعل للذم لا بتصرف .

* * *

سبحان

مصدر بمعنى التسبيح لازم النصب والإضافة إلى مفرد ظاهر ، نحو ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرَئِي ﴾ ^(٦) ، أو مضمّر ، نحو ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ ^(٨) ، وهو مما أميت فعله .

وفي العجائب للكرماني : من الغريب ما ذكره المفضل أنه مصدر « سَبَح » إذا رفع صوته بالدعاء والذكر ، . وأنشد :

قَبِحَ الْإِلَهِ وَجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا سَبَحَ الْحَجِيجَ وَكَبَّرُوا إِهْلَالَآ

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ ، قال : تنزيه الله نفسه عن السوء .

(٣) المائة ١٢

(٦) الإسراء ١

(٢) ص ٢٢

(٥) يوسف ١٠٨

(٨) البقرة ٣٢

(١) فصلت ٤٠

(٤) طه ٥٨

(٧) النساء ١٧١

ظَنَ

أصله للاعتقاد الراجح ، كقوله تعالى : ﴿ إِن ظَنَّا أَنَّ يَٰقِيماً حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، وقد تستعمل بمعنى اليقين ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ ^(٢) .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد ، قال : كل ظن في القرآن يقين ؛ وهذا مشكل بكثير من الآيات لم تستعمل فيها بمعنى اليقين كآية الأولى .

وقال الزركشي في البرهان : الفرق بينهما في القرآن ضابطان :

أحدهما : أنه حيث وجد الظن محموداً مثلاً عليه فهو اليقين ، وحيث وجد مذموماً متوعداً عليه بالعقاب فهو الشك .

والثاني : أن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك ، نحو : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ ﴾ ^(٣) ، وكل ظن يتصل به أن الشددة فهو يقين كقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ ^(٥) ، وقرئ : ﴿ وَأَيُّقِنُ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ ، والمعنى في ذلك أن الشددة للتأكيد فدخلت على اليقين ، والخفيفة بخلافها فدخلت في الشك ؛ ولهذا دخلت الأولى في نحو : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ^(٧) .

والثانية في الحسبان نحو : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ ^(٨) .

ذكر ذلك الراغب في تفسيره ، وأورد على هذا الضابط ﴿ وَظَنُّوا أَن لَّا مَآجَا مِنْ اللَّهِ ﴾ ^(٩) .

وأجيب بأنها هنا اتصلت بالاسم ، وهو ما جاء ، وفي الأمثلة السابقة اتصلت

(١) البقرة ٢٣٠

(٢) البقرة ٤٦

(٣) الفتح ١٢

(٤) الحاقة ٢٠

(٥) القياس ٢٨

(٦) محمد ١٩

(٧) الأنفال ٦٦

(٨) المائدة ٧٨

(٩) التوبة ١١٨ وانظر البرهان ٤ : ١٥٦

بالفعل .. ذكره في البرهان قال : فتمسك بهذا الضابط ، فهو من أسرار القرآن ^(١) .
وقال ابن الأبناري : قال ثعلب : العرب تجعل الظنّ علماً وشكاً وكذباً ، فإن قامت براهين العلم ، فكانت أكبر من براهين الشك ، فالظنّ يقين ، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك ، فالظنّ شك ، وإن زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظنّ كذب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ^(٢) ، أراد يكذبون . انتهى .

على

* * *

حرف جرّه معان : أشهرها الاستعلاء حساً أو معنى نحو : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ ﴾ ^(٦) .

(ثانيها) : للمصاحبة كم نحو : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ ^(٧) ، أى مع حبه ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ ^(٨) .

(ثالثها) : للمصاحبة كم ، نحو ﴿ إِذَا اكْتَأَلُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ ^(٩) ، أى من الناس ، ﴿ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ^(١٠) ، أى منهم ، بدليل : احفظ عورتك إلا من زوجتك .

(رابعها) : التعليل كاللام ، نحو : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ ﴾ ^(١١) ، أى لهدايته إياكم .

(خامسها) : الظرفية كفي نحو : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ

(٣) المؤمنون ٢٢

(٢) الجاثية ٢٤

(١) البرهان ٤ : ١٥٧

(٦) الشعراء ١٤

(٥) البقرة ٢٥٣

(٤) الرحمن ٢٦

(٩) الطغفين ٢

(٨) الرعد ٦

(٧) البقرة ١٧٧

(١١) البقرة ١٨٥

(١٠) المؤمنون ٦ ، ٥

أَهْلِيهَا ﴿١﴾ ، أى فى حين ، ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلْبَانٍ﴾ ﴿٢﴾ ،
أى فى زمن ملكه .

(سادسها) : معنى الباء نحو : ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَأَقُولَ﴾ ﴿٣﴾ ، أى بأن ، كما قرأ أبى .

فائدة

هى فى نحو : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ﴿٤﴾ بمعنى الإضافة
والإسناد ، أى أضف توكلك وأسنده إليه كذا قيل ، وعندى أنها فيه بمعنى باء
الاستعانة . وفى نحو : ﴿كُتِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ ﴿٥﴾ ، لتأكيد التفضل لا الإيجاب
والاستحقاق ، وكذا فى نحو : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ لتأكيد المجازاة .

قال بعضهم : وإذا ذكرت النعمة فى الغالب مع الحمد لم تقترب بعلی ، وإذا أريدت
النعمة آتت بها ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحبّه ، قال : « الحمد لله الذى
بنعمته تمّ الصالحات » ، وإذا رأى ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » .

تنبيه

ترد « على » اسماً فيما ذكره الأخفش إذا كان مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين
لمسمى واحد ، نحو : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ﴿٧﴾ ، لما تقدمت الإشارة إليه فى
إلى . وترد فعلاً من العلوّ ، ومنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٨﴾ .

عن

حرف جرّ له معانٍ :

(٣) الأعراف ١٠٥

(٦) الفاعية ٢٦

(٢) البقرة ١٠٢

(٥) الأنعام ١٢

(٨) النقص ٤

(١) النقص ١٥

(٤) الفرقان ٥٨

(٧) الأحزاب ٣٧

أشهرها المجاوزة ، نحو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ ^(١) ، أى
يجاوزونه ويعبدون عنه .

(ثانيها) : البدل ، نحو : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ^(٢) :

(ثالثها) : التعاميل ، نحو : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ﴾ ^(٣) .
أى لأجل موعدة ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هُنَيْنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ ^(٤) ، أى لقولك .

(رابعها) : بمعنى على نحو : ﴿ فَأَيُّ تَمَنَّا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ^(٥) . أى عليها .

(خامسها) : بمعنى من نحو : ﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٦) ، أى ، منهم بدليل
﴿ فَتَقَبَّلْ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾ ^(٧) .

(سادسها) : بمعنى بعد ، نحو : ﴿ يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ ^(٨) بدليل أن فى
أخرى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ ^(٩) ، ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ^(١٠) ، أى حالة
بعد حالة .

تنبيه

ترد اسماً إذا دخل عليها من ، وجعل ابن هشام : ﴿ ثُمَّ لَا تَعْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِهِمْ ﴾ ^(١١) ، قال : فتقدّر معطوفة على مجرور من ،
لاعلى من ومجرورها .

عسى

فعل جامد لا يتصرف ، ومن ثم ادعى قوم أنه حرف ، ومعناه التّرجى فى المحبوب

(٣) التوبة ١١٤

(٦) التوبة ١٠٤

(٩) المائدة ٤١

(٢) البقرة ٤٨

(٥) محمد ٣٨

(٨) المائدة ١٣

(١١) الأعراف ١٧

(١) النور ٦٣

(٤) مود ٥٣

(٧) المائدة ٢٧

(١٠) الانشقاق ١٩

والإشفاق في المكره. وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(١).

قال ابن فارس. وتأتى للقرب والدنو، نحو: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٢).

وقال الكسائي: كل ما في القرآن من «عسى» على وجه الخبر، فهو موحد كآية السابقة، ووحد «عسى» على معنى الأمر أن يكون كذا. وما كان على الاستفهام فإنه يجمع، نحو: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُطِغُوا فِيهِ﴾^(٣). قال أبو عبيدة: معناه هل عدوكم ذلك، وهل جزئتموه؟

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس، قال: كل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

وقال الشافعي: يقال: عسى من الله واجبة.

وقال ابن الأنباري: عسى في القرآن واجبة إلا في موضعين:

أحدهما: ﴿وَعَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُزَحِّكَكُمْ﴾^(٤)، يعني بنى النصير، فإرحمهم الله، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوقع عليهم العقوبة.

والثاني: ﴿وَعَسَى أَنْ يُلَاقَكُمْ أَنْ تُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا﴾^(٥)، فلم يقع التبديل. وأبطل بعضهم الاستثناء، وعمم القاعدة، لأن الرحمة كانت مشروطة بالآب يهودوا، كما قال: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾^(٦)، وقد عادوا، فوجب عليهم العذاب والتبديل مشروطاً بأن يُطْلَقَ وَلَمْ يُطْلَقَ، فلا يجب.

وفى الكشف ، فى سورة التحريم : « عسى » إطماع من الله تعالى لعباده ، وفيه وجهان :

أحدهما : أن يكون ماجرت به عادة الجبارة من الإجابة بلعلّ وعسى ، ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت .

والثانى : أن يكون جئ به تملياً للعباد أن يكونوا بين الخوف والرجاء .

وفى البرهان : عسى ولعلّ من الله واجبتان ، وإن كانتا رجاء وطمعا فى كلام المخلوقين ؛ لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون ، والبارئ منزّه عن ذلك ، والوجه فى استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكّون فيها ولا يقطعون على الكائن منها ، والله يعلم الكائن منها على الصنعة ، صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله تسمى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوقين تسمى نسبة شك وظنّ ، فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هو عليه عند الله تعالى نحو : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ^(١) ، وتارة بلفظ الشك بحسب ما هو عليه عند الخلق ، نحو : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ ^(٢) ، ونحو : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ، وقد علّم الله حال إرسالهما ^(٣) ما يفضى إليه حال فرعون ؛ لكن ورد اللفظ بصورة ما يخلج فى نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع . ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهبهم فى ذلك ، والعرب قد تخرج الكلام التيقين فى صورة المشكوك لأغراض ^(٤) .

وقال ابن الدهان : عسى فعل ماضى اللفظ والمعنى ؛ لأنه طمع قد حصل فى شئ مستقبل .

وقال قوم : ماضى اللفظ مستقبل المعنى ؛ لأنه إخبار عن طمع يريد أن يقع .

تنبيه

وردت في القرآن على وجهين :

أحدهما : رافعة لاسم صريح بعده فعل مضارع مقرون بأن ، والأشهر في إعرابها حينئذ أنها فعل ماضٍ ناقص عاملٌ عمل كان ، فالرفوع اسمها وما بعده الخبر .
وقيل : متعدي بمنزلة قارب معني وعملا ، أو قاصر بمنزلة قَرُب من أن يفعل ، وحُذِفَ الجارُ توسعاً ؛ وهو رأى سيبويه والمبرد . وقيل قاصر بمنزلة قَرُب ، وأن يفعل بدل اشتمال من فاعلها .

الثاني : أن يقع بعدها أن والفعل ؛ فالفهوم من كلامهم أنها حينئذ تامة .
وقال ابن مالك : عِنْدِي أَنَّهَا ناقصة أبدأ ، وأن وصلتْها سَدَّتْ مسدَّ الجزأين كما في ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾ ^(١) .

* * *

عند

ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب ؛ سواء كانا حسيين ؛ نحو : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ ^(٣) .
أو معنويين ، نحو : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفِينَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٧) ، ﴿ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ^(٨) ، فالمراد بهذه الآيات قرب التشريف ، ورفعة المنزلة .

ولا تستعمل إلا ظرفاً أو مجرورة بمن خاصة ، نحو : ﴿ فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَلَمَّا

(٣) النجم ١٤ ، ١٥

(٦) القمر ٥٥

(٩) القصص ٢٧

(٢) النمل ٤٠

(٥) س ٤٧

(٨) التحريم ١١

(١) المكيوت ٢

(٤) النمل ٤٠

(٧) آل عمران ١٦٩

جاءهم كتاب من عند الله ^(١) ،

وتعاقبها لدى ولدن ، نحو : ﴿لدى الحناجر﴾ ^(٢) ، ﴿لدى الباب﴾ ^(٣) ، ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ . ﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ ^(٤) .

وقد اجتمعتا في قوله : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ^(٥) .

ولوحى فيها بعد أولدن صح ، لكن ترك دفعا للتكرار ، وإنما حسن تكرار لدى في : ﴿وما كنت لديهم﴾ ، لتباعد ما بينهما .

وتفارق عند ولدى لدن من ستة أوجه :

فعند ولدى تصلح في محل ابتداء غاية وغيرها ، ولا تصلح لدن إلا في ابتداء غاية .

وعند ولدى يكونان فضلا ، نحو : ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ ^(٦) ، ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ ^(٧) ، ولدن لا تكون فضلا .

وجر لدن بمن أكثر من نصبها ، حتى أنها لم تحي في القرآن منصوبة ، وجر عند كثير ، وجر لدى ممتنع .

وعند ولدى يُعربان ، ولدن مبنية في لغة الأكثرين .

ولدن قد لا تضاف ، وقد تضاف للجملة ؛ بخلافهما .

وقال الراغب : لدن أخص من عندوا ببلغ ، لأنه يدل على ابتداء نهاية الفعل انتهى .

وعند أمكن من لدن من وجهين : أنها تكون ظرفاً للأعيان والمعاني ، بخلاف لدى .

وعند تستعمل في الحاضر والغائب ولا تستعمل لدى إلا في الحاضر ، ذكرهما ابن الشجري وغيره .

(٣) يوسف ٢٥

(٦) ق ٤

(٢) غافر ١٨

(٥) الكهف ٦٥

(١) البقرة ٨٩

(٤) آل عمران ٤٤

(٧) المؤمنون ٦٢

غير

اسم ملازم للإضافة والإبهام ، فلا تتعرف ما لم تقع بين ضدين ، ومن ثمَّ جاز وصفُ المعرفة بها في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ^(١) ، والأصل أن تكون وصفاً للنكرة، نحو: ﴿فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ^(٢) .

وتقع حالا إن صلح موضعها « لا » ، واستثناء إن صلح موضعها « إلا » فتعرب بإعراب الاسم التالي إلا في ذلك الكلام ، وقرئ قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ ^(٣) ، بالرفع على أنها صفة « القاعدون » .

أو استثناء وأبدل ، على حَدِّ مَا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ^(٤) ، وبالتنصب على الاستثناء ، وبالجَرِّ خارج التنوع ، صفة للمؤمنين .

وفي المفردات للراغب ^(٥) : غير يقال على أوجه :

الأول : أن تكون للنفي الجرّد من غير إثبات معنى به ، نحو مررت برجل غير قائم أى لا قائم ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ ^(٦) ، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ﴾ ^(٧) .

الثاني : بمعنى « إلا » فيستثنى بها ، وتوصف به النكرة ، نحو ﴿مَالِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ ^(٨) ، ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ^(٩) .

الثالث : لنفي الصورة من غير مادتها ، نحو « الماء إذا كان حارّاً غيرُه إذا كان بارداً » ، ومنه قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ^(١٠) .

الرابع : أن يكون ذلك متناولاً لذاتٍ ، نحو : ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

(٣) النساء ٩٥

(٦) القصص

(٩) فاطر ٣

(٢) الأعراف ٥٣

(٥) المفردات ٣٦٧

(٨) الأعراف ٨٥

(١) الفاتحة ٧

(٤) النساء ٦٦

(٧) الزخرف ١٨

(١٠) النساء ٥٦

غَيْرِ الْحَقِّ ﴿١﴾ ، ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبًّا﴾ ﴿٢﴾ ، ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ ﴿٣﴾ .
﴿يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ﴿٤﴾ . انتهى .

* * *

الفاء

ترد على أوجه :

(أحدهما) : أن تكون عاطفة ، فتفيد ثلاثة أمور :

أحدهما : الترتيب ، معنويا كان نحو : ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ ﴿٥﴾
أو ذكريا ، وهو عطف متصل على مجمل ، نحو : ﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا
مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ﴿٧﴾ ،
﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ ...﴾ ﴿٨﴾ الآية ، وأنكره - أى الترتيب - الفراء ، واحتج
بقوله : ﴿أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا﴾ ﴿٩﴾ .

وأجيب بأن المعنى : أردنا إهلاكها .

ثانيها : التعقيب وهو فى كل شيء بحسبه ، وبذلك ينفصل عن التراخى فى
نحو : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ ﴿١٠﴾ ، ﴿خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً
خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ...﴾ ﴿١١﴾ ، الآية .

ثالثها : السببية غالبا ، نحو : ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ ﴿١٢﴾ ، ﴿فَقُلْتُ
آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ﴿١٣﴾ ، ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ * فَلَا لُثُونٍ
مِنْهَا أَنْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿١٤﴾ .

(٣) يونس ١٥

(٦) البقرة ٣٦

(٩) الأعراف :

(١٢) القصص ١٥

(٢) الأنعام ١٦٤

(٥) القصص ١٥

(٨) هود ٤

(١١) المؤمنون ١٤

(١٤) الواقعة ٥٢ ، ٥٥

(١) الأنعام ٩٣

(٤) ٣٨-٤

(٧) النساء ١٥٣

(١٠) الحج ٦٣

(١٣) البقرة ٢٧

وقد تجيء لجرد الترتيب ، نحو : ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ فقرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴿^(١)﴾ ، ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَةٍ فَصَكَّتْ ﴾ ﴿^(٢)﴾ ، ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ ﴾ زَجْرًا فَالْقَالِيَاتِ ... ﴿^(٣)﴾ .

(الوجه الثانى) : أن يكون لجرد السببية ، من غير عطف نحو : ﴿ إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ السَّكُونُ ﴾ ﴿^(٤)﴾ فصل ﴿^(٥)﴾ إذا لا يعطف الإنشاء على الخبر وعكسه .

(الثالث) : أن تكون رابطة للجواب حيث لا يصلح لأن يكون شرطاً ، بأن كان جملة إسمية ، نحو : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ﴿^(٦)﴾ ، ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ تَحْيِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿^(٧)﴾ ، أو فعلية فعلها جامد نحو : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿^(٨)﴾ ، ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي ﴾ ﴿^(٩)﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ ﴿^(١٠)﴾ ، ﴿ إِنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ﴿^(١١)﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ ﴿^(١٢)﴾ . أو إنشائي نحو : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ ﴿^(١٣)﴾ ، ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ ﴿^(١٤)﴾ ، واجتمعت الإسمية والإنشائية ، في قوله : ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ ﴿^(١٥)﴾ ، أو ماضٍ لفظاً ومعنى ، نحو : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿^(١٦)﴾ ، أو مقرون بحرف استقبال ، نحو : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ ﴾ ﴿^(١٧)﴾ ، ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ ﴿^(١٨)﴾ .

وكما تربط الجواب بشرطه تربط شبه الجواب بشبه الشرط ، نحو : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ ﴾ ﴿^(١٩)﴾ .

(٣) الصافات ٣ ، ٢

(٦) الأنعام ١٧

(٩) البقرة ٢٧١

(١٢) الأنعام ١٥٠

(١٥) المائدة ٥٤

(٢) الذاريات ٢٩

(٥) المائدة ١١٨

(٨) آل عمران ٢٨

(١١) آل عمران

(١٤) يوسف ٧٧

(١٧) آل عمران ٢١

(١) الذاريات ٢٦ ، ٢٧

(٤) السكوت ٢ ، ١

(٧) الكهف ٣٩ ، ٤٠

(١٠) النساء ٣٨

(١٣) الملك ٣٠

(١٦) آل عمران ١١٥

(الوجه الرابع) : أن تكون زائدة ، وحمل عليه الزّجاج هذا ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ ^(١) ،
ورّد بأن الخبر ﴿ حميم ﴾ ^(٢) ، وما بينهما معترض ، وخرج عليه الفارسي ﴿ بَلِ اللَّهُ
فَاعْبُدْ ﴾ ^(٣) ، وغيره ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ، إلى قوله :
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ ^(٥) .

(الخامس) : أن تكون للاستئناف ، وخرج عليه ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ^(٦) بالرفع .

* * *

في

حرف جر له معان :

أشهرها الظرفية ، مكاناً أو زماناً ، نحو : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ * في بضع سنين ^(٧) ، حقيقة كآلية ، أو مجازاً نحو :
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٨) ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ ﴾ ^(٩) ،
﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١٠) .

ثانيها : المصاحبة كعم ، نحو : ﴿ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ ﴾ ^(١١) ، أى معهم ، ﴿ فِي تِسْعِ
آيَاتٍ ﴾ ^(١٢) .

ثالثها : التعليل ، نحو : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ اسْكُم فَمَا
أَقْضَمْتُ فِيهِ ﴾ ^(١٤) أى لأجله .

رابعها : الاستعلاء ، نحو : ﴿ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ ^(١٥) ، أى عليها .

(٣) البقرة ٨٩

(٦) البقرة ١٧٩

(٩) الأعراف ٣٨

(١٢) النور ١٤

(٢) الزمر ٦٦

(٥) الروم ٢ ، ٣

(٨) الأعراف ٦٠

(١١) يوسف ٣٢

(١) ص ٥٧

(٤) البقرة ١١٧

(٧) يوسف ٧

(١٠) النمل ١٢

(١٣) طه ٧١

- خامسها : معنى الباء ، نحو : ﴿ يَذَرُواكُمْ فِيهِ ﴾ ^(١) ، أى بسببه .
- سادسها : معنى « إلى » نحو : ﴿ فَارْزُقُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٢) ، أى إليها .
- سابعها : معنى « من » نحو : ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ ^(٣) ، أى منهم بدليل الآية الأخرى .
- ثامنها : معنى عن نحو : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ^(٤) ، أى عنها وعن محاسنها .
- تاسعها : التقايسة ، وهى الداخلة بين مفعول سابق وفاضل لاحق ، نحو : ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٥) .
- عاشرها : التوكيد وهى الزائدة ، نحو : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا ﴾ ^(٦) ، أى اركبوها .

* * *

قـد

حرف مختصّ بالفعل المتصرف الخبرى المثبت المجرد من ناصب وجازم وحرف تنفيس ، ماضياً كان أو مضارعاً ، ولها معان :

التحقيق مع الماضى ، نحو : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ ^(٨) ، وهى فى الجملة الفعلية المحاب بها القسم ، مثل إن واللام فى الإسمية المحاب بها فى إفادة التوكيد ، والتقريب مع الماضى أيضاً تقرّبه من الحال ، تقول : قام زيد ، فيحتمل الماضى القريب والماضى البعيد ، فإن قلت : قد قام ، اختصّ بالقريب ، قال النحاة : وانبئى على إفادتها ذلك أحكام :

(٣) النحل ٨٩

(٦) هود ٤١

(٢) إبراهيم ٩

(٥) التوبة ٣٨

(٨) الشمس ٩

(١) الشورى ١١

(٤) الإسراء ٧٢

(٧) المؤمنون ١

منها منع دخولها على ليس وعسى ونعم ونس ، لأنهن للحال ، فلا معنى لذكر ما يقرب ما هو حاصل ، ولأنهن لا يفدن الزمان .

ومنها وجوب دخولها على الماضي الواقع حالا ، إما ظاهرة نحو : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا ﴾ ^(١) ، أو مقدرة نحو : ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ ^(٢) ، ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ ^(٣) ، وخالف في ذلك الكوفيون والأخفش ، وقالوا : لا تحتاج لذلك لكثرة وقوعه حالاً بدون قد .

وقال السيد الجرجاني وشيخنا العلامة الكاقيجي : ما قاله البصريون غلط ، سببه اشتباه لفظ الحال عليهم ، فإن الحال الذي تقر به « قد » حال الزمان ، والحال المبين للهيئة حال الصفات ، وهما متغايران في المعنى .

المعنى الثالث : التقليل مع المضارع . قال في النغنى : وهو ضربان : تقليل وقوع الفعل ، نحو : « قد يصدق الكذوب » وتقليل متعلقه ، نحو : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) ، أى أن ما هم عليه هو أقل معلوماته تعالى : قال : وزعم بعضهم أنها في هذه الآية ونحوها للتحقيق ^(٥) . انتهى .

ومن قال بذلك الزمخشري ، قال : إنها ادخلت لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد .

الرابع : التكثير ، ذكره سيبويه وغيره ، وأخرج عليه الزمخشري قوله : ﴿ قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٦) ، أى قال : ربّما نرى ، ومعناه تكثير الرؤية .

الخامس : التوقع نحو : قد يقدم الغائب ، إن يتوقع قدومه وينظره ، وقد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة مُنتظرون ذلك ، وحمل عليه بعضهم : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ... ﴾ ^(٧) ، لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها .

(٢) النساء ٩٠

(٢) يوسف ٦٥

(١) البقرة ٢٤٦

(٦) البقرة ١٤٤

(٥) النغنى ١ : ١٣٤

(٤) النور ٦٤

(٧) المجادلة ١

الكاف

حرف جر له معان :

أشهرها التشبيه ، نحو : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ^(١) .
 والتعليل نحو : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ ^(٢) . قال الأخفش : أى لأجل
 إرسالنا فيكم رسولا منكم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ ^(٣) ، ﴿وَإِذْ كُرُوهُ كَمَا
 هَذَا كُمْ﴾ ^(٤) ، أى لأجل هوايته إياكم ، ﴿وَنِي كَانَتْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٥) ،
 أى أعجب لعدم فلاحهم ، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ^(٦) . والتوكيد وهى الزائدة ،
 وحل عليه الأكترون : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(٧) ، ولو كانت غير زائدة لزم
 إثبات المثل وهو محال ، والقصد بهذا الكلام نفيه ، قال ابن جني : وإنما زبدت
 لتوكيد نفي المثل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيا .

وقال الراغب : إنما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النفي ، تنبيها على أنه لا يصح
 استعمال المثل ولا الكاف ، فنفي بليس الأمرين جميعا ^(٨) .

وقال ابن فورك : ليست زائدة ، والمعنى . ليس مثل مثله شيء ، وإذا نفيت التماثل
 عن الممثل ، فلا مثل لله في الحقيقة ^(٩) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : مثل تطلق ويراد بها الذات ، كقولك :
 مثلك لا يفعل هذا ، أى أنت لا تفعله ، كما قال :

ولم أقُلْ مثلك أعنى به سواك يافرداً بلا مُشَبِّهٍ
 وقد قال تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ ^(١٠) ، أى بالذى
 آمنتم به إياه ، لأن إيمانهم لا مثل له ، فالتقدير في الآية : ليس كذاته شيء .
 وقال الراغب : المثل هنا بمعنى الصفة ، ومعناه : ليس كصفته صفة ، تنبيها على أنه

(٣) البقرة ١٥٢

(٦) الفردات ٤٦٢

(٩) نقله في البرهان ٤ : ٣١

(٢) البقرة ١٥١

(٥) القصص ٨٢

(٨) الشورى ١١

(١) الرحمن ٢٤

(٤) البقرة ١٩٨

(٧) الأعراف ١٨٣

(١٠) البقرة ١٣٧

وإن كان وصف بكثير مما وُصف به البشر ، فليس تلك الصفات له على حسب ما تستعمل في البشر ، والله المثل الأعلى ^(١) .

تنبيه

ترد الكاف اسماً بمعنى « مثل » فتكون في محل إعراب ويعود عليها الضمير .
قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ ^(٢) : إن الضمير في « فيه » للكاف في « كهية » ، أي فأنفخ في ذلك الشيء المائل فيصير كسائر الطيور . انتهى .

مسألة

الكاف في « ذلك » أي في اسم الإشارة وفروعه ونحوه حرف خطاب لا محل له من الإعراب وفي « إياك » ، قيل : حرف ، وقيل : اسم مضاف إليه ، وفي « أرايتك » قيل : حرف ، وقيل اسم في محل رفع ، وقيل نصب ، والأول أرجح .

* * *

كاد

فعل ناقص أتى منه الماضي والمضارع فقط ، اسم مرفوع وخبر مضارع مجرد من أن ، ومعناها قارب ، فنفيها نفي للمقاربة وإثباتها إثبات للمقاربة . واشتهر على السنة كثير أن نفيها إثبات وإثباتها نفي ، فقواك : كاد زيد يفعل ، معناه لم يفعل ، بدليل ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ ^(٣) ، « وما كادُوا يفعل » معناه فعل بدليل ﴿ وَمَا كَادُوا لَيَفْعَلُونَ ﴾ ^(٤) .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال ، : كل شيء في

(١) المفردات ٦٢ :

(٤) البقرة ٧١

(٢) آل عمران ٤٩

(٣) الإسراء ٧٣

القرآن كاد وأكاد، ويكاد فإنه لا يكون أبداً . وقيل إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر، وقيل : نفى الماضي إثبات ، بدليل ﴿ وَمَا كَادُوا يَقْعُلُونَ ﴾ ^(١) ، ونفى المضارع نفى بدليل ﴿ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا ﴾ ^(٢) مع أنه لم ير شيئاً . والصحيح الأول أنها كغيرها ، نفياً نفى ، وإثباتها إثبات ؛ فمعنى كاد يفعل ، قارب الفعل ولم يفعل ، وما كاد يفعل ، ما قارب الفعل فضلاً عن أن يفعل ، فنفي الفعل لازم من نفي المقاربة عقلاً .

وأما آية ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَقْعُلُونَ ﴾ ^(٣) ، فهو إخبار عن حالهم في أول الأمر ، فإنهم كانوا أولاً بُمْدَاءٍ من ذبحها ، وإثبات الفعل إنما فهم من دليل آخر ، وهو قوله : ﴿ فَذَبْحُوهَا ﴾ .

وأما قوله : ﴿ لَقَدْ كَذَبْتَ تَرَكَنْ ﴾ ^(٤) مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن لا قليلاً ولا كثيراً ، فإنه مفهوم من جهة أن « لولا » الافتناعية تقتضي ذلك .

فائدة

ترد كاد بمعنى أراد ، ومنه ﴿ كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ^(٦) ، وعكسه ، كقوله : ﴿ حِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ^(٧) ، أى يكاد .

كان

فعل ناقض متصرف ، يرفع الاسم وينصب الخبر ، ومعناه في الأصل المضى والانقطاع ، نحو ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ﴾ ^(٨) ، وتأتى بمعنى الدوام والاستمرار ، نحو : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِينَ ﴾ ^(١٠) ، أى لم يزل كذلك ، وعلى هذا المعنى تتخرج جميع الصفات لذاتية المقترنة بكان .

(٢) الإسراء ٧٤

(٦) الكهف ٧٧

(٩) الأنبياء ٨١

(٢) النور ٤٠

(٥) طه ١٥

(٨) النساء ٩٦

(١) البقرة ٧١

(٤) يوسف ٧٦

(٧) التوبة ٦٩

قال أبو بكر الرازي : كان في القرآن على خمسة أوجه :

بمعنى الأزَل والأبَد ، كقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ ^(١) .

بمعنى الضَى المنقطع وهو الأصل في معناها ، نحو : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ ^(٢) .

وبمعنى الحال نحو : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ ^(٤) .

وبمعنى الاستقبال ، نحو : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ ^(٥) .

وبمعنى صار نحو : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٦) . انتهى .

قلت : أخرج ابن أبي حاتم ، عن السُّدِّي ، قال : عمر بن الخطاب : لو شاء الله أقال : « أنتم » فكنا كلنا ، ولكن قال : « كنتم » في خاصة أصحاب محمد .

وترد كان بمعنى « ينبغي » نحو : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ ^(٧) ، ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ ^(٨) .

وبمعنى حضر أو وجد ، نحو : ﴿ وَإِنْ كَانَ دُوعُورَةٌ ﴾ ^(٩) ، ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا تِجَارَةً ﴾ ^(١٠) ، ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ﴾ ^(١١) .

وترد للتأكيدهى الزائدة ، وجعل منه ﴿ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٢) ، أى بما يعملون .

• • •

كان

بالتشديد . حرف للتشبيه المؤكِّد ؛ لأن الأكثر على أنه مركب من كاف التشبيه

(٣) آل عمران ١١٠

(٦) البقرة ٢٤

(٩) البقرة ٢٨٠

(١٢) الشعراء ١١٢

(٢) النمل ٤٨

(٥) الإسراء ٧

(٨) النور ١٦

(١١) النساء ٤٠

(١) النساء ١٧

(٤) النساء ١٠٣

(٧) النمل ٦٠

(١٠) البقرة ٢٨٢

وَأَنَّ الْوَكْدَةَ ، وَالْأَصْلَ فِي كَأَنَّ زَيْدًا أَسَدٌ « أَنْ زَيْدًا كَأَسَدٍ » ، قَدْ دُمَّ حَرْفُ التَّشْبِيهِ
اِهْتِمَامًا بِهِ ، فَفُتِحَتْ هَمْزَةُ أَنْ لِدُخُولِ الْجَارِ .

قَالَ حَازِمٌ : وَإِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ حَيْثُ يَقْوَى الشَّبَهُ ، حَتَّى يَكَادُ الرَّائِي بِشَكِّ فِي أَنْ
لِلشَّبهِ هُوَ الْمَشَبَّهِ بِهِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ بَلْقَيْسُ : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ^(١) .

قِيلَ : وَتَرَدُّ لِلظَّنِّ وَالشَّكِّ فِيمَا إِذَا كَانَ خَبَرَهَا غَيْرُ جَامِدٍ .

وَقَدْ تَخَفَّفَ نَحْوُ : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّ مَسِّهِ ﴾ ^(٢) .

* * *

كَأَيِّنْ

اسْمُ مَرْكَبٍ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ وَأَيِّ الْمَنُونَةِ لِلتَّكْثِيرِ فِي الْعَدَدِ ، نَحْوُ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ
نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ ﴾ ^(٣) .

وَفِيهَا لُغَاتٌ مِنْهَا كَأَيِّنْ ، بوزن بائع ، وَقَرَأَ بِهَا ابْنُ كَثِيرٍ حَيْثُ وَقَعَتْ ، وَكَأَيِّنْ
بوزن ، كَمَا بَيَّنَّ وَقَرَأَ بِهَا ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ ﴾ ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ لِأَزْمَةِ الصَّدْرِ ،
مِلَازِمَةُ الْإِبْهَامِ مَفْتُقَةٌ لِلتَّمْيِيزِ ، وَتُمَيِّزُهَا بِجُرُورِ بَيْنِ غَالِبًا ، وَقَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ : لِأَزْمَةٍ .

* * *

كَذَا

لَمْ تَرُدَّ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا لِلْإِشَارَةِ ، نَحْوُ : ﴿ أَهَكَذَا عَارِشُكَ ﴾ ^(٤) .

* * *

كُلَّ

اسْمُ مَوْضُوعٍ لِاسْتِفْرَاقِ أَفْرَادِ الْمَذْكُورِ الْمُضَافِ هُوَ إِلَيْهِ ، نَحْوُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٥) .

والمعرف المجموع نحو: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(١)، ﴿كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّا﴾^(٢)، وأجزاء المفرد المعرف نحو: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ﴾^(٣) بإضافة «قلب» إلى «منكبر» أى على كل أجزائه، وقراءة التنوين لعموم أفراد القلوب . وترد باعتبار ما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه :

(أحدها) : أن تكون نعتاً لنكرة أو معرفة ، فتدلّ على كماله ، وتجب إضافتها إلى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنى ، نحو : ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٤) ، أى بسط كل البسط ، أى تاماً ، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾^(٥) .

(ثانيها) : أن تكون توكيداً لمعرفة ، فقائدتها العموم ، وتجب إضافتها إلى ضمير راجع للمؤكد نحو : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتْمَعُونَ﴾^(٦) . وأجاز القراء والزحشرى قطعها حينئذ عن الإضافة لفظاً ، وخرج عليه قراءة بعضهم ﴿إِنَّا كُلاًَّ فِيهَا﴾^(٧) .

(ثالثها) : تكون تابعة بل تالية للعوامل ، فتقع مضافة إلى الظاهر وغير مضافة ، نحو : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٨) ، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٩) . وحيث أضيفت إلى منكر وجب في ضميرها مراعاة معناها ، نحو : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾^(١٠) ، ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ﴾^(١١) ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١٢) ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١٣) ، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾^(١٤) .

أو إلى معرف جاز مراعاة لفظها في الأفراد والتذكير ، ومراعاة معناها ، وقد اجتمع في قوله : ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ لقد أحصاهم وعدّهم عدداً * وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(١٥) .

(١) مريم ٩٥	(٢) آل عمران ٩٣	(٣) غافر ٣٥
(٤) الإسراء ٢٩	(٥) النساء ١٢٩	(٦) الحجر ٣٠
(٧) هود ١١١	(٨) المدثر ٣٨	(٩) الفرقان ٣٩
(١٠) القمر ٥٢	(١١) الإسراء ١٣	(١٢) آل عمران ١٨٥
(١٣) الحج ٢٧	(١٤) مريم ٩٣ - ٩٥	

أوقطعت فكذلك ، نحو : ﴿ كُلُّ يَمَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(١) ، ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَكُلُّ أُنُوتِهِ دَاخِرِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ^(٤) .

وحيث وقعت في حيز النفي ، بأن تقدمت عليها أداته أو الفعل المنفي فالنفي موجه إلى الشمول خاصة .

ويفيد بمفهومه إثبات الفعل لبعض الأفراد ، وإن وقع النفي في خبرها فهو موجه إلى كل فرد ؛ هكذا ذكره البيانين .

وقد أشكل على هذه القاعدة قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ^(٥) ، إذ يقتضى إثبات الحب لمن فيه أحد الوصفين .

وأجيب : بأن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض ، وهو هنا موجود إذ دلّ الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقا .

مسألة

تتصل « ما » بكل ، نحو : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ ^(٦) ، وهي مصدرية ولكنّها نابت بصاتها عن ظرف زمان ، كما ينوب عنه المصدر الصريح ، والمعنى : كل وقت ، ولهذا تسمى « ما » هذه المصدرية الظرفية ، أى النابتة عن الظرف ؛ لأنها ظرف في نفسها ؛ فكل من كَلَّمَ منصوب على الظرف لإضافته إلى شئ هو قائم مقامه ، وناصبه الفعل الذى هو جواب في المعنى .

وقد ذكر الفقهاء والأصوليون أن « كلما » للتكرار ، قال أبو حيان : وإذ ذلك من عموم « ما » لأن الظرفية مراد بها العموم ، وكلّ أكَدَّتْهُ .

كَلَّا وَكَلَّا

اسمان مفردان لفظاً مثنيان معنى ، مضافان أبدأ لفظاً ومعنى إلى كلمة واحدة معرفة دالة على اثنين . قال الراغب : وهما في التثنية ككل في الجمع ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾^(١) ، ﴿ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾^(٢) .

• • •

كَلَّا

مرکبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا الثانية ، شُدَّت لامها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين .

وقال غيره : بسيطة ، فقال سيبويه والأكثر : حرف معناه الرَّدْع والزَّجْر ، لامعنى لها عندهم إلا ذلك ؛ حتى إنهم يحيزون أبدأ الوقف عليها والابتداء بما بعدها ؛ وحتى قال جماعة منهم : متى سمعت كَلَّا في سورة فاحكم بأنها مكية ، لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكة ؛ لأن أكثر العتو كان بها .

قال ابن هشام : وفيه نظر ؛ لأنه لا يظهر معنى الزَّجْر في ﴿ مَا شَاءَ رَكَبَكَ ﴾ كَلَّا^(٣) ، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ كَلَّا^(٤) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ كَلَّا^(٥) ، وقولهم : انته عن ترك الإيمان بالتصوير في أى صورة شاء الله وبالبسث وعن العجلة بالقرآن ، تعسف ؛ إذ لم تتقدم في الأوليين حكاية نفي ذلك عن أحدٍ ولطول الفصل في الثالثة بين كلا وذكر العجلة ، وأيضاً فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة الملق ، ثم نزل ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَفَى ﴾^(٦) فجاءت في افتتاح الكلام . ورأى آخرون أن معنى الرَّدْع والزَّجْر ليس مستمراً فيها ، فزادوا معنى ثانياً يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها .

(٣) الاغطار ٨ ، ٩

(٦) الطلق ٦

(٢) الإسراء ٢٣

(٥) الفاتحة ١٩ ، ٢٠

(١) الكهف ٣٣

(٤) المطففين ٦

ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى . فقال الكسائي : تكون بمعنى حقاً . وقال أبو حاتم : بمعنى ألا الاستفتاحية ، قال أبو حيان : ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ ، وتابعه جماعة ، منهم الزجاج . وقال النضر بن شميل : حرف جواب بمنزلة أي ونعم ، وحملوا عليه ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ^(١) . وقال الفراء وابن سمدان : بمعنى سوف ، وحكاه أبو حيان في تذكرته .

قال مكي : وإذا كان بمعنى حقاً فهي اسم ، وقرئ : ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ ^(٢) بالتنوين ، ووُجِّه بأنه مصدر كَلَّ إذا أعيا ، أي كلَّوا في دعواهم وانقطعوا ، أو من من الكلَّ وهو النفل ، أي حملوا كَلَّا .

وجوز الزمخشري كونه حرف ردع نَوْنٌ كما في ﴿ سَلَسَلَا ﴾ ^(٣) .

ورده أبو حيان بأن ذلك إنما صح في ﴿ سَلَسَلَا ﴾ لأنه اسم أصله التنوين ، فرُجع به إلى أصله للتناسب .

قال ابن هشام : وليس التوجيه منحصرًا عند الزمخشري في ذلك ، بل يجوز كون التنوين بدلًا من حرف الإطلاق المزيد في رأس الآية . ثم أنه وُصِلَ بنية الوقف .



اسم مبني لازم الصدر ، مبهم ، مفتقر إلى التمييز . وترد استفهامية - ولم تقع في القرآن - وخبرية بمعنى كثير .

وإنما تقع غالبًا في مقام الافتخار والمباهاة ، نحو : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٤)

﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾^(١) ، ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا قَرْيَةً ﴾^(٢) .

وعن الكسائي أن أصلها « كا » ، فحذفت الألف مثل بم ولم ، وحكاه الزجاج ورده بأنه لو كان كذلك لكانت مفتوحة الميم .

* * *

كى

حرف له معنيان :

أحدهما : التعليل ، نحو : ﴿ كَنَى لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ ﴾^(٣) .

والثاني : معنى أن المصدرية نحو : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾^(٤) لصحة حلول أن مجملها ، ولأنها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل .

* * *

كيف

اسم يرد على وجهين :

الشرط ؛ وخروج عليه : ﴿ يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٥) ، ﴿ يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ

كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٦) ، ﴿ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٧) . وجوابها في ذلك كله

مخدوف لدلالة ما قبلها .

والاستفهام وهو الغالب ، ويستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته . قال الراغب : وإنما يسأل بها عما يصح أن يقال فيه شبيه وغير شبيه ، ولهذا لا يصح أن يقال في الله : كيف . قال : وكلما أخبر الله بلفظ « كيف » عن نفسه ، فهو استخبار على طريق التنبيه

(٣) الحشر ٧
(٦) آل عمران ٦

(٢) الأنبياء ١١
(٥) المائدة ٦٤

(١) الأعراف ٤
(٤) الحديد ٢٣
(٧) الروم ٤٨

للمخاطب ، أو التوبيخ نحو : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(١) ، ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا ﴾ ^(٢) .

* * *

اللام

أربعة أقسام جارة ، وناصبة ، وجازمة ، ومهمله غير عاملة .

فالجارة مكسورة مع الظاهر ؛ وأما قراءة بعضهم : ﴿ الْحمدُ لله ﴾ ^(٣) ، فالضمة عارضة للاتباع ، مفتوحة مع المضمر إلا الياء . ولها معان :

الاستحقاق ، وهي الواقعة بين معنى وذات ، نحو : ﴿ الْحمدُ لله ﴾ ، ﴿ لله الْأمرُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَيُلْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ ^(٦) .

والاختصاص ، نحو ﴿ إِنْ لَهُ آبَاءٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٨) .

والملك ، نحو ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٩) .

والتعليل ، نحو ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(١٠) ، أى وإنه من أجل حب المال لبخيل ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ... ﴾ ^(١١) الآية فى قراءة حمزة ، أى لأجل إتيانى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لحجى محمد صلى الله عليه وسلم ، ﴿ مَصَدَّقًا لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ ^(١٢) ، فما مصدرية واللام تعليلية ، وقوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ^(١٣) وتعلقها بـ « يعبدوا » ^(١٤) . وقيل بما قبله ، أى ﴿ فَجَعَلَهُمْ

(١) البقرة ٢٨	(٢) آل عمران ٨٦	(٣) الفاتحة ١
(٤) الروم ٤	(٥) المطففين ١	(٦) الفرة ١١٤
(٧) يوسف ٢٨	(٨) النساء ١١	(٩) البقرة ٢٢٥
(١٠) العاديات ٨	(١١) آل عمران ٨١	(١٢) قريش ١ ، ٣

كَمَصْفٍ مَا كُولٍ لِإِبْلَافٍ قُرَيْشٍ ﴿١﴾، وَرَجَّحَ بَأْسَهُمَا فِي مَصْحَفِ أَبِي سُوْرَةٍ وَاحِدَةٍ .
وَمُوَافَقَةٍ «إِلَى»، نَحْوُ: ﴿بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ﴿٢﴾، ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ﴿٣﴾ .
وَعَلَى، نَحْوُ: ﴿وَيَخْرُوْنَ لِلْأَذْقَانِ﴾ ﴿٤﴾، ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ﴾ ﴿٥﴾، ﴿وَتَلَّهُ
لِلْجَبِينِ﴾ ﴿٦﴾، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ ﴿٧﴾، ﴿لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ﴿٨﴾ أَيْ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ .
وَفِي، نَحْوُ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿٩﴾، ﴿لَا يُجْلِيهَا
لَوْ قَتَمَهَا إِلَّا هُوَ﴾ ﴿١٠﴾، ﴿بِالْيَمِينِ قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ﴿١١﴾ أَيْ فِي حَيَاتِي . وَقِيلَ: هِيَ
فِيهَا لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ لِأَجْلِ حَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ .

وَعِنْدَ، كَقِرَاءَةِ الْجَحْدَرِيِّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾ .
وَبَعْدَ، نَحْوُ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ﴾ ﴿١٣﴾ .
وَعَنْ، نَحْوُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا
إِلَيْهِ﴾ ﴿١٤﴾ أَيْ عَنْهُمْ وَفِي حَقِّهِمْ، لَا أَنَّهُمْ خَاطَبُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَّا لَقِيلَ: «مَسَبَقْتُمُونَا» .
وَالْتَبْلِيغِ، وَهِيَ الْجَارَةُ لِاسْمِ السَّامِعِ لِقَوْلِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ كَالْأَذْنِ .
وَالصِّيْرُورَةِ، وَتَسْمَى لَامُ الْعَاقِبَةِ، نَحْوُ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ
عَدُوًّا وَحَرَزًا﴾ ﴿١٥﴾، فَهَذَا عَاقِبَةُ التَّقَاطُهِمْ لِاعْتَنَاهُ بِهِ إِذْ هِيَ التَّبَتُّي . وَمَنْعَ قَوْمٍ ذَلِكَ
وَقَالُوا: هِيَ لِلتَّعْلِيلِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ عَدُوًّا لَمَّا كَانَ نَاشِئًا عَنِ الْإِلْقَاطِ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
غَرَضًا لَهُمْ - نَزَلَ مَنْزِلَةُ الْفَرْضِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ .

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: الَّذِي عِنْدِي أَنَّهَا لِلتَّعْلِيلِ حَقِيقَةً، وَأَنَّهُمُ التَّقَطُّوهُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا؛
وَذَلِكَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ تَقْدِيرِهِ «لِخَافَةِ أَنْ يَكُونَ»، كَقَوْلِهِ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ
تَصَلُّوا﴾ ﴿١٦﴾، أَيْ كَرَاهَةِ أَنْ تَصَلُّوا . انْتَهَى .

(١) الفيل ٥	(٢) النزل ٥	(٣) الرعد ٢
(٤) الإسراء ١٠٩	(٥) يونس ١٢	(٦) الصافات ١٠٣
(٧) الإسراء ٧	(٨) الرعد ٢٥	(٩) الأنبياء ٤٧
(١٠) الأعراف ١٨٧	(١١) الفجر ٢٤	(١٢) ق ٥
(١) الإسراء ٧٨	(١٤) الأحناف ١١	(١٥) القصص ٨
(١٦) النساء ١٧٦		(م ١٥) الإنشقاق ج

والثا كيد وهى الزائدة ، أو انقوية العامل الضعيف لفرعية أو تأخير ، نحو : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ ^(١) ، ﴿ يَرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَمْرُنَا لِنَسْلَمَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَكُنَّا لِلْحَكْمِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ^(٦) .
والتبيين للفاعل أو المفعول ، نحو : ﴿ فَتَمَسَّ نَهْمٌ ﴾ ^(٧) ، ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ^(٨) ، ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ^(٩) .

والناصبه هى لام التمليل ، وادعى الكوفيون النصبها وقال غيرهم بأن مقدرة فى محل جرّ باللام .

والجازمة وهى لام الطالب ، وحركتها الكسر ، وسُليَم تفتحها ، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها ، نحو : ﴿ فَلَيْسَتْجِيئُوا إِلَى وَلِيٍّ وَمُنُوا بِى ﴾ ^(١٠) ، وقد تسكن بعد ثَمَّ نحو : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا ﴾ ^(١١) ، وسواء كان الطالب أمراً نحو : ﴿ لِيَنْفَقَ ذُو سَعَةٍ ﴾ ^(١٢) ، أو دعاء نحو : ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ^(١٣) .
وكذا لو خرجت إلى الخبر ، نحو : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ ^(١٤) ، ﴿ وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ ^(١٥) .

أو التهديد ، نحو : ﴿ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ ^(١٦) .
وجزمها فعل الغائب كثير ، نحو : ﴿ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ﴾ ^(١٧) .
فعل المخاطب قليل ، ومنه : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرُّحُوا ﴾ ^(١٨) ، فى قراءة التاء ، وفعل المتكلم أقل ، ومنه ﴿ وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ ^(١٩) .

وغير العاملة : أربع :

(١) النمل ٧٢	(٢) النساء ٢٦	(٣) الأنعام ٧١
(٤) هود ١٠٧	(٥) يوسف ٤٢	(٦) الأنبياء ٧٨
(٧) محمد ٨	(٨) المؤمنون ٣٦	(٩) يوسف ٢٣
(١٠) البقرة ١٨٦	(١١) الحج ٢٩	(١٢) الطلاق ٧
(١٣) الزخرف ٧٧	(١٤) مريم ٧٥	(١٥) العنكبوت ١٢
(١٦) الكهف ٢٩	(١٧) النساء ١٠٢	(١٨) يونس ٥٨

لام الابتداء ، وفائدتها أمران : تؤكد مضمون الجملة ، ولهذا زحلقتها في باب إن عن صدر الجملة كراهة توالى مؤكدين ، وتخليص المضارع للحال .

وتدخل في المبتدأ نحو : ﴿ لَا تَنْمُ أَشَدُّ رَهْبَةً ﴾ ^(١) وفي خبر إن نحو : ﴿ إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَخْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنَّكَ لَأَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٤) . واسمها المؤخر ، نحو : ﴿ إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ ﴾ ^(٥)

واللام الزائدة في خبر « أن » المفتوحة كقراءة سميد بن جبير ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾ ^(٦) والمفعول كقوله : ﴿ يَدْعُو كَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ ^(٧) .

ولام الجواب للقسم أو لو أو لولا ، نحو : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْتُ اللَّهَ ﴾ ^(٨) . ﴿ تَاللَّهِ لَا كَيْدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ ^(٩) ، ﴿ لَوْ نَزَّلُوا لَعَذَّبْنَا ﴾ ^(١٠) ، ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(١١) :

واللام الموطئة ، وتسمى المؤذنة ، وهي الداخلة على أداة شرط ، للإيدان بأن الجواب بعدها معها مبنى على قسم مقدر نحو : ﴿ لَئِنْ أَخَّرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤَنَّ الْأَذْبَارُ ﴾ ^(١٢) ، وخرج عليها قوله تعالى : ﴿ لَمَّا آتَيْتَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ .

• • •

لا

على أوجه :

(أحدها) : أن تكون نافية ، وهي أنواع :

(٣) النحل ١٢٤

(٦) الفرقان ٢٠

(٩) الأبيات ٥٧

(١٢) الحشر ١٢

(٢) إبراهيم ٣٩

(٥) الليل ١٢

(٨) يوسف ٩

(١١) البقرة ٢٥١

(١) الحشر ١٣

(٤) القلم ٤

(٧) الحج ١٣

(١٠) الفتح ٢٥

أحدهما : أن تعمل عمل «إن» وذلك إذا أريد بها نفس الجنس على سبيل التفصيل وتسمى حينئذ تبرئة وإنما يظهر نصبها إذا كان اسمها مضافاً أو شبهه ، وإلا فيركب معها نحو : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ^(١) ، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ^(٢) ، فإن تكررت جاز التركيب والرفع ، نحو : ﴿فَلَا رَفْتَ وَلَا فَسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ ^(٣) ، ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ﴾ ^(٤) ، ﴿لَا تَفُوتُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمَ﴾ ^(٥) .

ثانيها : أن تعمل عمل ليس ، نحو : ﴿وَلَا أَصْفَرَمِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(٦) .

ثالثها ورابعها : أن تكون عاطفة أو جوابية ، ولم يقع في القرآن .

خامسها : أن تكون على غير ذلك ؛ فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ، ولم تعمل فيها ، أو فعلا ماضياً ، لفظاً أو تقديرًا ، وجب تكرارها ، نحو ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ ^(٧) ، ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ ^(٨) ، ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ^(٩) .

أو مضارعاً لم يجب ، نحو : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ﴾ ^(١٠) ، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ^(١١) .

وتعترض «لا» هذه بين الناصب والمنصوب ، نحو : ﴿لَثَلَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ﴾ ^(١٢) ، والجازم والمجزوم نحو : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ ^(١٣) .

(الوجه الثاني) : أن تكون لطلب الترك ، فتختص بالمضارع ، وتقضي جزمه واستقباله ، سواء كان نهياً نحو : ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي﴾ ^(١٤) ، ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

(٣) البقرة ١٩٧

(٦) يونس ٦١

(٩) القيامة ٣١

(١٢) النساء ١٦٥

(٢) البقرة ٢

(٥) الطور ٢٣

(٨) الصافات ٤٧

(١١) الشورى ٢٣

(١٤) المنتجة ١

(٢) البقرة ٢٥٥

(٤) البقرة ٣٥٤

(٧) يس ٤٠

(١٠) الساء ١٤٨

(١٣) الأفعال ٧٣

الكَافِرِينَ ﴿١﴾ ، ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢) ، أو دعاء نحو :
﴿ لَا تَوَاحِدْنَا ﴾ (٣) .

(الثالث) : التأكيد ، وهى الزائدة ، نحو : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ ﴾ (٤) ،
﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * إِلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ (٥) ، ﴿ لَنَلَّا بِعِلْمِ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (٦)
أى ليعلموا . قال ابن جنى ، لاهنا مؤكدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة أخرى .

واختلف فى قوله : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧) ، فقيل زائدة ، وفائدتها
مع التوكيد التمهيد لنفى الجواب ، والتقدير : « لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سدى » ،
ومثله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ بِحَكْمِكَ ﴾ (٨) . ويؤيده قراءة « لَا أَقْسِمُ » ، وقيل
نافية لما تقدم عندهم من إنكار البعث ، فقيل لهم : ليس الأمر كذلك ، ثم استؤنف
القسم ، قالوا : وإنما صح ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ولهذا يذكر الشئ فى
سورة وجوابه فى سورة ، نحو : ﴿ وَقَالُوا أَيُّهَا الَّذِى نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٩) ،
﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ ﴾ (١٠) .

وقيل : منفيتها أقسم على أنه إخبار لا إنشاء ، واختاره الزمخشري ، قال : والمعنى فى
ذلك أنه لا يقسم بالشئ إلا إعظاماً له ، بدليل ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ
لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (١١) ، فكأنه قيل : إن إعظامه بالأقسام به كلا إعظام ، أى أنه
يستحق إعظاماً فوق ذلك .

واختلف فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا
تُشْرِكُوا ﴾ (١٢) ، فقيل : لنافية ، وقيل ناهية ، وقيل زائدة . وفى قوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ

(٣) البقرة ٢٨٦

(٦) الحديد ٢٩

(٩) الحجر ٦

(١٢) الأنعام ١٥١

(٢) البقرة ٢٣٧

(٥) طه ٩٣ ، ٩٢

(٨) النساء ٦٥

(١١) الواقعة ٧٥ ، ٧٦

(١) آل عمران ٢٨

(٤) الأعراف ١٢

(٧) القيامة ١

(١٠) القلم ٢

عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْمُ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ فقل ، زائدة ، وقيل نافية ، والمعنى يمتنع عدم رجوعهم إلى الآخرة .

تنبيه

ترد « لا » اسما بمعنى غير ، فيظهر إعرابها فيما بعدها ، نحو : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (٢) ، ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (٣) ، ﴿ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرٍ ﴾ (٤) .

قاعدة

قد تحذف ألفها ، وخرج عليه ابن جني : ﴿ وَانْقَرَأُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ (٥) .

* * *

لات

اختلف فيها ، فقال قوم : فعل ماض بمعنى نقص . وقيل : أصلها ليس ، تحركت الياء فقامت ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، وأبدلت السين تاء ، وقيل هي كلمتان : لا النافية زبدت عليها التاء لتأنيث الكلمة ، وحركت لالتقاء الساكنين ، وعليه الجمهور . وقيل : هي لا النافية والتاء زائدة ، في أول الحين ، واستدل له أبو عبيدة بأن وجدها في مصحف عثمان مختلطة بحين في الخط .

واختلف في عملها ، فقال الأخفش : لا تعمل شيئاً ، فإن تلاها مرفوع فبمبدأ وخبر أو منصوب فبفعل محذوف ، فقوله تعالى : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (٦) ، بالرفع ، أي كائن لهم ، وبالنصب أي لا أرى حين مناص .
وقيل : تعمل عمل إن .

(٣) الواقعة ٢٣

(٦) ص ٣

(٢) المائدة ٧

(٥) الأنفال ٢٥

(١) الأنبياء ٩٥

(٤) البقرة ٦٨

وقال الجمهور: تعمل عمل ليس ، وعلى كل قول لا يُذكر بعدها إلا أحد الممولين ، ولا تعمل إلا في لفظ الحين ، قيل : أو ما رادفة ، قال الفراء : وقد تستعمل حرف جر لأسماء الزمان خاصة ، وخرج عليها قوله : ﴿وَلَا تَحِينَ﴾ بالجر .

لا جرم

وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها ولم يحىء بعدها فعل ^(١) . واختلف فيها فقيل : لا نافية لما تقدم ، وجَرَمَ فعل معناه حق ، وأن مع ما في حيزه فاعله موضع .

وقيل : زائدة وجرم معناه كسب ، أى كسب لهم عملهم التدامة ، وما في حيزها في موضع نصب .

وقيل : هما كلمتان ركبتا وصار معناها حقاً .

وقيل : معناها لا بد ، وما بعدها في موضع نصب بإسقاط حرف الجر .

لكن

مشددة النون : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، ومعناه الاستدراك ، وفسر بأن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها ، ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له ، نحو : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ^(٢) .

وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك ، قاله صاحب البسيط ؛ وفسر الاستدراك

(١) الأول في هود آية ٢٢ ، وثلاثة في النحل في الآيات ٦٢ ، ٢٣ ، ١٠٩ ، والخامس في غافر آية ٤٣ .

(٢) البقرة ١٠٢ .

برفع ما تَوَهُّم ثبوته ، نحو ما زيد شجاعاً لكنه كريم ، لأن الشجاعة والكرم لا يكادان يفترقان ، فنقّى أحدهما يوم نقّى الآخر .

ومثل التوكيد بنحو لوجاءنى أكرمه لكنه لم يحى .، فأكدت ما أفادته «لو» من الامتناع .
واختار ابن عصفور أنّها لها ممّا وهو المختار ، كما أن كانّ للتشبيه التوكّد ، ولهذا قال بعضهم : إنها مركبة من «لكن أن» فطُرِحَت الهمزة للتخفيف ونون «لكن» لساكنين

* * *

لكن

مخففة ضربان :

أحدهما : مخففة من الثقيلة ، وهى حرف ابتداء لا يعمل ، بل مجرد إفادة الاستدراك ،
ولست عاطفة لاقتراحها بالعاطف فى قوله : ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

والثانى : عاطفة إذا تلاها منفرد ، وهى أيضا للاستدراك ، نحو ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ﴾ (٢) ، ﴿ لَكِنَّ الرَّسُولَ ﴾ (٣) ، ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾ (٤) .

* * *

لدى ولدى

تقدمنا فى عند .

* * *

لعلّ

حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، وله معانٍ :

أشهرها التوقع وهو الترجى فى المحبوب نحو : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ (٥) .

والإشفاق في المكروه ، نحو : ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ^(١) ، وذكر التنوخي أنها تفيد تأكيد ذلك .

الثاني : التعليل ، وخرج عليه : ﴿ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّه يَنْذِرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ^(٢) .

الثالث : الاستفهام ، وخرج عليه : ﴿ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثْ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّه يَزْكِي ﴾ ^(٤) ؛ ولذا علق « يدرى » .

قال في البرهان : وحكى البغوي عن الواقدي أن جميع ما في القرآن من « لعل » فإنها للتعليل ، إلا قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ^(٥) فإنها للتشبيه ، قال : وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة ، ووقع في صحيح البخاري في قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ، أن لعل للتشبيه . وذكر غيره أنه للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم ^(٦) ، انتهى .

قلت : أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن أبي مالك ، قال : « لعلمكم » في القرآن بمعنى « كي » غير آية في الشعراء ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ، يعني كأنكم تخلدون .

وأخرج عن قتادة قال : كان في بعض القراءة : ﴿ وَتَتَخَذُونَ مَصَانِعَ كَأَنَّكُمْ خَالِدُونَ ﴾ ^(٧) .

لم

حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً ، نحو : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ^(٨) ، والنصب بها لغة ، حكاهما اللحياتي ، وخرج عليها قراءة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ ^(٩) .

(٣) الطلاق ١

(٢) طه ٤٤

(١) الشورى ١٧

(٦) البرهان ٤ ، ٣٩٤

(٥) الشعراء ١٢٦

(٤) عبس ٣

(٨) الصرح ١

(٧) الإخلاص ٣

لَمَّا

على أوجه :

أحدها : أن تكون حرف جزم ، فتختص بالمضارع وتنفيه وتقلبه ماضياً كما « لم » ، لكن يفترقان من أوجه : أنها لا تقترن بأداة شرط ، ونفيها مستمرٌّ إلى الحال وقريب منه ، ومتوقع ثبوته ، قال ابن مالك في ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ ﴾ ^(١) : المعنى لم يذوقوه وذوقه لهم متوقع . وقال الزمخشري في ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(٢) : ما في لَمَّا من معنى التوقع دالٌّ على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد : وأن نفيها آكد من نفي لم ، فهي لنفي قد فعل ، ولم لنفي فُعل ؛ ولهذا قال الزمخشري في الفائق تبعاً لابن جني : إنها مركبة من لم وما ، وإيهم لَمَّا زادوا في الإثبات « قد » زادوا في النفي « ما » ، وأن منفي « لَمَّا » جائزة الحذف اختصاراً ، بخلاف « لم » . وهي أحسن ما يخرج عليه ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمَّا ﴾ ^(٣) ، أى لَمَّا يهملوا أو يتركوا . قاله ابن الحاجب .

قال ابن هشام : ولا أعرف وجهاً في الآية أشبه من هذا ، وإن كانت تستبعد ، لأن مثله لم يقع في التنزيل قال : والحق ألا يستبعد ، ولكن الأولى أن يقدر « لما يوقوا أعمالهم » ، أى أنهم إلى الآن لم يوقوها وسيوقونها .

الثاني : أن تدخل على الماضي ، فتقتضي جملتين ، وُجدت الثانية عند وجود الأولى ، نحو : ﴿ وَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا ﴾ ^(٤) ، ويقال فيها : حرف وجود لوجود . وذهب جماعة إلى أنها حينئذ ظرف بمعنى حين .

وقال ابن مالك : بمعنى إذ ، لأنها مختصة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة . وجواب هذه يكون ماضياً كما تقدم ، وجملة اسمية بالنفاء ، أو بإذا الفجائية ، نحو : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ﴾

فهم مقتصد^(١) ، ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾^(٢) .

وجوز ابن عصفور كونه مضارعاً ، نحو : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ
الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا ﴾^(٣) وأوله غيره « يُجَادِلُنَا » .

الثالث : أن تكون حرف استثناء ، فتدخل على الاسمية والماضية نحو : ﴿ إِنْ
كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾^(٤) ، بالتشديد ، أي « إلا » ، وإن كل ذلك تمام نافع الحياة الدنيا^(٥) .

* * *

ان

حرف نفى ونصب واستقبال ، والنفى بها أبلغ من النفي بلا ، فهي لتأكيد النفي كما
ذكره الزمخشري وابن الخباز ، حتى قال بعضهم : وإن منعه مكابرة فهي لنفي « إني
أفعل » ولا لنفي « أفعل » كما في « لم » و « لما » .

قال بعضهم : العرب تنفي المظنون بـ « لا » ، والشكوك بـ « لا » ، ذكره ابن الزمكاني
في التبيان .

وادعى الزمخشري أيضاً أنها لتأييد النفي كقوله : ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾^(٦) ،
﴿ وَلَنْ تَقْعَلُوا ﴾^(٧) .

قال ابن مالك : وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾^(٨) ، أن الله لا يرى .
وردّ غيره بأنها لو كانت للتأييد ، لم يقيّد منفيها باليوم ، في ﴿ فَلَنْ أَكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا ﴾^(٩) ، ولم يصح التوقيت في ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴾^(١٠) ، ولا كان ذكر « الأبد » في ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾^(١١) تكراراً ، ولأصل
عدمه واستفادة التأييد في ﴿ وَلَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾^(٦) ونحوه من خارج .

(٣) هود ٦٤

(٦) الحج ٧٣

(٩) مريم ٢٦

(٢) العنكبوت ٦٥

(٥) الزخرف ٣٥

(٨) الأعراف ١٤٣

(١١) البقرة ٩٥

(١) لقمان ٣٢

(٤) الطارق ٤

(٧) البقرة ١٤

(١٠) طه ٩١

وواقعه على إفادة التأييد ابن عطية . وقال في قوله : ﴿ أَنْ تَرَانِي ﴾ ^(١) : لو بُقِينَا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبداً ، ولا في الآخرة ، لكن ثبت في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه .

وعكس ابن الزمكاني مقالة الزمخشري ، فقال : إنَّ لَنَ لِنفي ما قرب وعدم امتداد النفي ، ولا يمتد معها النفي ، قال : وسر ذلك أن الألفاظ مشاكلةٌ للمعاني ولا آخرها الألف ، والألف يمكن امتداد الصوت بها ، بخلاف النون ؛ فطابق كل لفظٍ معناه . قال : ولذلك أتى بلن حيث لم يرد به النفي مطلقاً ، بل في الدنيا حيث قال : ﴿ أَنْ تَرَانِي ﴾ ^(١) ، وبإلى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٢) ، حيث أريد نفي الإدراك على الإطلاق ، وهو مغاير للرؤية . انتهى .

قيل : وترد أن للدعاء وخرج عليه : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ قَدْ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ﴾ ^(٣) ، الآية

* * *

لو

حرف شرط في المضى ، يصرف المضارع إليه ، بعكس « إن » الشرطية .

واختلف في إفادتها الامتناع وكيفية إفادتها إياه على أقوال :

أحدهما : أنها لا تفيد بوجه ، ولا تدل على امتناع الشرط ولا امتناع الجواب ، بل هي مجرد ربط الجواب بالشرط دالة على التعليق في الماضي ، كما دلت « أن » على التعليق في المستقبل ، ولم تدل بالإجماع على امتناع ولا ثبوت .

قال ابن هشام : وهذا القول كإنكار الضرريات إذ فهم الامتناع منها كالبديهي ؛ فإن كل من سمع « لو فعل » فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ؛ ولهذا جاز استدراكه ، فتقول : لو جاء زيداً كرمته ، لكنه لم يجز .

الثاني ، وهو لسيبويه : قال : إنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، أى أنها تقتضى فعلاً ماضياً كان يُتوقع ثبوته لثبوت غيره ، والمتوقع غير واقع ؛ فكأنه قال : حرف يقتضى فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته .

الثالث ، وهو المشهور على ألسنة النحاة ، ومشى عليه العربون أنها حرف امتناع لامتناع ، أى يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ، فقولاك : لو جئت لأكرمك ، دالٌّ على امتناع الإكرام لامتناع المجيء . واعترض بعدم امتناع المجيء ، واعترض بعدم امتناع الجواب في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَوْ أَسْمِعِهِمْ لَتَوَلَّوْا ﴾ (٢) ، فان عدم النفاذ عند فقد ما ذكر ، والتولي عند عدم الإسماع أولى .

والرابع ، وهو لابن مالك : أنها حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفى التالى ، قال : فقيام زيد من قولك : لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزماً لثبوته لثبوت قيام من عمرو ، وهل وقع لعمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد أو ليس له ؟ لانعرض لذلك : قال ابن هشام : وهذه أجود العبارات .

فائدة

أخرج ابن أبي حاتم عن طريق الضحاك ، عن ابن عباس قال : كل شيء في القرآن « لو » فإنه لا يكون أبداً .

فائدة ثانية

تختص لو المذكورة بالفعل ؛ وأما نحو ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) فعلى تقديره .

قال الزمخشري : وإذا وقعت أن بعدها وجب كون خبرها فعلاً ليكون عوضاً عن الفعل المحذوف . وردّه ابن الحاجب بآية ﴿وَلَوْ أَنَّ مِائِي الْأَرْضِ ﴿١﴾﴾ ، وقال : إنما ذلك إذا كان مشتقاً لاجامداً ، وردّه ابن مالك بقوله :

لَوْ أَنَّ حَيًّا مُدْرِكُ الْفَلَّاحِ أَدْرَكُهُ مُلَاعِبُ الرَّمَّاحِ

قال ابن هشام : وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقاً ، ولم يتنبه لها الزمخشري كما لم يتنبه لآية لقمان ، ولا ابن الحاجب ، وإلا لما منع من ذلك ، ولا ابن مالك ، وإلا لما استدلل بالشعر وهي قوله : ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴿٢﴾﴾ ، ووجدت آية الخبر فيها ظرف ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾﴾ .

وردّ ذلك الزركشي في البرهان وابن الدماميني بأن لو في الآية الأولى للتمني ، والكلام في الامتناعية ، وأعجب من ذلك أن مقالة الزمخشري سبقه إليها السيرافي ، وهذا الاستدراك وما استدرك به منقول قديماً في شرح الإيضاح لابن الخباز ، لكن في غير مطبّعه ، فقال في باب إن وأخواتها : قال السيرافي : لو أن زيداً أقام لأكرمه ، لا يجوز : لو أن زيداً حاضراً لأكرمه ، لأنك لم تلفظ بفعل يسدّ مسدّد ذلك الفعل . هذا كلامه وقد قال تعالى : ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ بَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ﴿٤﴾﴾ ، فأوقع خبرها صفة . ولهم أن يفروا بأن هذه للتمني فأجريت مجرى ليت ، كما نقول : ليتهم بادون . انتهى ^(٤) كلامه .

وجواب « لو » إما مضارع منفى بلم ، أو ماضٍ مثبت أو منفى ، بما ، والغالب على المثبت دخول اللام عليه نحو : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَمَعْنَاهُ حِطَامًا ﴿٥﴾﴾ ، ومن تجرده ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَمَعْنَاهُ أُجَاجًا ﴿٦﴾﴾ ، والغالب على المنفى تجرده نحو : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴿٧﴾﴾ .

(٣) الصافات ١٦٨

(٦) الواقعة ٧٠

(٢) الأخراب ٢٠

(٥) الواقعة ٦٥

(١) لقمان ٣٧

(٤) البرهان ٤ : ٣٧

(٧) الأنعام ١١٢

فائدة ثالثة

قال الزمخشري : الفرق بين قولك : لو جاءني زيد لكسوته ، ولو زيد جاءني لكسوته ، ولو أن زيدا جاءني لكسوته ، أن القصد في الأول مجرد ربط الفعلين ، وتعليق أحدهما بصاحبه لا غير ، من غير تعرض لمعنى زائد على التعلق الساذج ، وفي الثاني انضمام إلى التعليق أحد معنيين ؛ إما نفي الشك والشبهة ، وأن المذكور مكسوا لا محالة ، وإما بيان أنه هو المختص بذلك دون غيره ، وتخرج عليه آية ﴿ لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) ، وفي الثالث مع ما في الثاني زيادة التأكيد الذي تعطيه « أَنْ » وإشعار بأن زيدا كان حقه أن يحيى ، وأنه بتركه الحى قد أغفل حظه ، ويخرج عليه ﴿ وَلَوْ أَنََّّهُمْ صَبَرُوا ﴾ ^(٢) ، ونحوه ، فتأمل ذلك وخرج عليه ما وقع في القرآن من أحد الثلاثة .

تنبيه

ترد لو شرطية في المستقبل ؛ وهي التي يصلح موضعها « إِنْ » ، نحو ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهَا ﴾ ^(٤) .
ومصدرية ، وهي التي يصلح موضعها « أَنْ » المفتوحة ، وأكثر وقوعها بعد « وَدَّ » ونحوه : نحو ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ ^(٦) ، ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدَى ﴾ ^(٧) ، أى الرد والتمير والافتداء .
وللتنبي وهي التي يصلح موضعها « لَيْتَ » . نحو : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ ^(٨) ، ولهذا نصب الفعل في جوابها
وللتعليل ، وخرج عليه ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ^(٩) .

* * *

لولا

على أوجه :

أحدها : أن تكون حرف امتناع لوجود ، فتدخل على الجملة الإسمية ، ويكون

(٣) التوبة ٢٣

(٢) الحجرات ٥

(١) الإسراء ١٠٠

(٦) البقرة ٩٦

(٥) البقرة ١٠٩

(٤) الأحزاب ٥٢

(٩) النساء ١٣٥

(٨) الشعراء ١٠٢

(٧) الماعز ١١

جوابها فعلا مقرونا باللام إن كان مثبتاً، نحو: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلْبَيْتِ﴾ ^(١) . ومجرداً منها إن كان منفيّاً نحو: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ^(٢) ، وإن وليها ضمير فحقة أن يكون ضمير رفع نحو: ﴿وَلَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) .

الثاني: أن تكون بمعنى «هلا» فهي للتحضيض والعرض في المضارع، أو ماضى تأويله نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ ^(٤) ، ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ^(٥) ، وللتوبيخ والتنديم في المضارع نحو: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ^(٦) ، ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ^(٧) ، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ ^(٨) ، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ ^(٩) ، ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ﴾ ^(١٠) ، ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(١١) .

الثالث: أن تكون للاستفهام ، ذكره الهروي ، وجعل منه ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ ^(١٢) ، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ^(١٣) ، والظاهر أنها فيهما بمعنى «هلا» .

الرابع: أن تكون للنفي ، ذكره الهروي أيضاً ، وجعل منه ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ﴾ ^(١٤) ، أى فما آمنت قرية ، أى أهلها ، عند مجئ العذاب فنفى إيمانها . والجمهور لم يثبتوا ذلك وقالوا: المراد فى الآية التوبيخ على ترك الإيمان قبل مجئ العذاب ، ويؤيده قراءة أبى «فهلأ» ، والاستثناء حينئذ منقطع .

(١) الصافات ١٤٣ ، ١٤٤	(٢) النور ١٠	(٣) سبأ ٢١
(٤) النمل ٤٦	(٥) المنافقون ١٠	(٦) النور ١٣
(٧) الأخاف ٢٨	(٨) النور ١٦	(٩) الأنعام ٤٣
(١٠) الواقعة ٨٣	(١١) الواقعة ٨٦ ، ٨٧	(١٢) المنافقون ١٠
(١٣) الأنعام ٨	(١٤) يونس ٩٨	

فائدة

نقل عن الخليل، أن جميع ما في القرآن من «لولا»، فهي بمعنى «هلا»، إلا ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(١)، وفيه نظر لما تقدم من الآيات.

وكذا قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٢)، لولا فيه امتناعية، وجوابها محذوف، أي لهم بها، أو لوافعها.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِنَا﴾^(٤) أي لأبدت به، في آيات آخر.

وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا موسى الخطمي، أنبأنا هارون بن أبي حاتم، أنبأنا عبد الرحمن بن حماد، عن أسباط، عن الشدي، عن أبي مالك، قال: كل ما في القرآن «فلولا» فهو «فهلأ» إلا حرفين: في يونس: (٥)

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾، يقول: فما كانت قرية، وقوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾.

وبهذا يتضح مراد الخليل، وهو أن مراده «لولا» المقترنة بالفاء.

* * *

لوما

بمنزلة «لولا»، قال تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾^(٦) وقال الماتقي: لم ترد إلا للتحضيض.

* * *

ليت

حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه التمني، وقال القنوجي: إنها تعيد تأكيد كيدته.

* * *

ليس

فعل جامد، ومن ثم ادعى قوم حرقيته، ومعناه نفى مضمون الجملة في الحال ونفى غيره بالقرنية.

(٣) القصص ٨٢

(٦) الحجر ٧

(م) — ١٦ الإثنان ج ٢

(٢) يوسف ٢٤

(٥) يونس ٩٨

(١) الصافات ٣٧

(٤) القصص ٢٠

وقيل : هي لنفى الحال وغيره ؛ وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى : ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ ^(١) ، فإنه نفي للمستقبل .

قال ابن مالك : وترد للنفي العام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة ، وهو مما يُفعل عنه ، وخرج عليه ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ^(٢) .

* * *

ما

إسمية وحرفية :

فالإسمية ترد موصولة بمعنى الذى ، نحو : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ ^(٣) ، ويستوى فيها المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع ، والغالب استعمالها فيما لا يعلم ، وقد تستعمل فى العالم ، نحو : ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ ^(٤) ، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ^(٥) ، أى الله . ويجوز فى ضميرها مراعاة اللفظ والمعنى ، واجتمعا فى قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ^(٦) ، وهذه معرفة بخلاف الباقي .

واستفهامية بمعنى أى شئ ، ويسأل بها عن أعيان مالا يعقل وأجناسه وصفاته ، وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم ، نحو ﴿مَا هِيَ﴾ ^(٧) ، ﴿مَا لَوْهَا﴾ ^(٨) ، ﴿مَا وَلَّاغُمْ﴾ ^(٩) ، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ ^(١٠) ، ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ^(١١) .

ولا يسأل بها عن أعيان أولى العلم خلافا لمن أجازها . وأما قول فرعون : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١٢) فإنه قاله جهلا ، ولهذا أجابه موسى بالصفات .

ويجب حذف ألفها إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلا عليها فرقا بينها وبين الموصولة ،

(٣) النحل ٩٦

(٢) العنكبوت ٦

(١) هود ٨

(٦) النحل ٧٣

(٥) الكافرون ٣

(٤) الشمس ٥

(٩) طه ١٧

(٨) البقرة ١٤٢

(٧) البقرة ٦٨ ، ٦٩

(١١) الشعراء ٢٣

(١٠) الفرقان ٦٠

نحو: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(١)، ﴿فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ ذِكْرِ هَآءِ﴾ ^(٢)، ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ^(٣)، ﴿يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ^(٤).

وشرطية نحو: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ﴾ ^(٥)، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ^(٦)، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ^(٧)، وهذه منصوبة بالعمل بعدها.

تعجبية نحو: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ^(٨)، ﴿فَقَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ^(٩)، ولا ثالث لهما في القرآن إلا في قراءة سعيد بن جبير: ﴿مَا أَغْرَكَ رَبُّكَ الْكَرِيمِ﴾ ^(١٠) ومحلهما رفع بالابتداء، وما بعدها، خبر وهي نكرة تامة.

ونكرة موصوفة نحو: ﴿بِمَوْضِعٍ فَوْقَهَا﴾ ^(١١)، ﴿نِعَمًا يَعْظُمُكُمْ﴾ ^(١٢)، أي نعم شيئاً يعظمكم به.

وغير موصوفة نحو: ﴿فَنِعْمَ هِيَ﴾ ^(١٣)، أي نعم شيئاً

والحرفية ترد مصدرية إما زمانية، نحو: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ^(١٤)، أي مدة استطاعتكم، أو غير زمانية، نحو: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ ^(١٥)، أي بنسيانكم.

ونافية، إما عاملة عمل ليس نحو: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ^(١٦)، ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ^(١٧)، ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ^(١٨)، ولا رابع لها في القرآن.

أو غير عاملة نحو: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ^(١٩)، ﴿فَمَا رَاحَتِ تَجَارِهُمُ﴾ ^(٢٠)،

(١) النبأ ١	(٢) النازعات ٤٣	(٣) الصف ٢
(٤) النمل ٣٥	(٥) البقرة ١٠٦	(٦) البقرة ١٩٧
(٧) التوبة ٨	(٨) البقرة ١٧٥	(٩) عبس ١٧
(١٠) الأفاطار ٦، وانظر الكشف ٤ : ٥٧٢	(١١) البقرة ٢٦	(١٢) البقرة ٢٦
(١٣) النساء ٥٨	(١٤) النفاثان ١٦	(١٥) البقرة ٢٧١
(١٤) السجدة ١٤	(١٦) يوسف ٣١	(١٧) الخادلة ٢
(١٨) الحاقة ٤٧	(١٩) البقرة ٢٧٢	(٢٠) البقرة ١٦

قال ابن الحاجب : وهى لنفى الحال ، ومقتضى كلام سيبويه أن فيها معنى التأكيد ، لأنه جعلها فى النفى جواباً لقد فى الإثبات ، فكما أن « قد » فيها معنى التأكيد ، فكذلك ما جعل جواباً لها .

وزائدة للتأكيد إما كافة ، نحو ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٢) ، ﴿ كَأَنَّمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ رَبِّمَا يَبُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٤) . أو غير كافة نحو ﴿ فَإِنَّمَا تَرَيْنِ ﴾ ^(٥) ، ﴿ أَيَايَا تَدْعُو ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَيَايَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَيَمَّا رَحِمَهُ ﴾ ^(٨) ، ﴿ تَمَّا خَطِيبْنَا بِهِمْ ﴾ ^(٩) ، ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾ ^(١٠) .

قال الفارسي : جميع ما فى القرآن من الشرط بعد « إمّا » مؤكد بالنون لمشايعته فعل الشرط ، بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أن « ما » كاللام فى القسم ، لما فيها من التأكيد ، وقال أبو البقاء : زيادة « ما » مؤذنة بإرادة شدة التأكيد .

فائدة

حيث وقعت « ما » قبل ليس أو لم أو لا أو بعد إلا فهى موصولة ، نحو ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ ^(١١) ، ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(١٢) ، ﴿ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٣) ، ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْنَا ﴾ ^(١٤) . وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهى مصدرية ، وحيث وقعت بعد الباء فإنها تحتملها نحو ﴿ بِمَا كَانُوا يَظْلَمُونَ ﴾ .

وحيث وقعت بين فعلين سابقهما علم أو دراية أو نظر ، احتملت الموصولة

- | | | |
|------------------|--------------------|-------------------|
| (١) الأمام ١٩ | (٢) الكهف ١١٠ | (٣) يونس ٢٧ |
| (٤) الحجر ٢ | (٥) مريم ٢٦ | (٦) الإسراء ١١٠ |
| (٧) القصص ٢٨ | (٨) آل عمران ١٥٩ | (٩) نوح ٢٥ |
| (١٠) البقرة ٢٦ | (١١) المائدة ١١٦ | (١٢) الملق ٥ |
| (١٣) البقرة ٣٠ | (١٤) البقرة ٣٢ | |

والاستفهامية نحو ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ نَسْكَتُمُونَ﴾^(١)، ﴿وَمَا أَذْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٢)، ﴿وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ فَلَيَدَّبْدَبَنَّ﴾^(٣)

وحيث وقعت في القرآن قبل «إلا» فهي نافية، إلا في ثلاثة عشر موضعا :

﴿مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾^(٤)

﴿فَنَصَفُ مَا فَرَضْتَ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾^(٥)

﴿بِمَعْصِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ﴾^(٦)

﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٧)

﴿وَمَا أَكُلَ الْبَعْضُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمُ﴾^(٨)

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا﴾^(٩)

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا﴾^(١٠)

﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا﴾^(١١) في موضعين هود .

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١٢)، ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا﴾^(١٣)

﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(١٤)،

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(١٥)، حيث كان.

ماذا

ترد على أوجه :

(٣) الحشر ١٨

(٦) النساء ١٩

(٩) الأنعام ٨٠

(١١) هود ١٠٧، ١٠٨، قال في البرهان : أحدهما في ذكر أهل

(١٣) يوسف ٤٨

(٢) الأحقاف ٩

(٥) القرة ٢٣٧

(٨) المائدة ٣

(١١) هود ١٠٧، ١٠٨، قال في البرهان : أحدهما في ذكر أهل

(١٢) يوسف ٤٧

(١٥) الحجر ٨٥

(١) البقرة ٣٣

(٤) البقرة ٢٢٩

(٧) النساء ٢٢

(١٠) الأنعام ١١٩

النار والثاني في ذكر أهل الجنة . (١٢) يوسف ٤٧

(١٤) الكهف ١٦

أحدها : أن تكون ما استفهماً وذا موصولة ، وهو أرجح الوجهين في ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَآذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ ^(١) ، في قراءة الرفع ، أى الذى ينفقونه العفو ، إذ الأصل أن تجاب الإسمية بالإسمية والفعاية بالفعلية .

الثانى : أن يكون ما استفهماً وذا إشارة .

الثالث : أن تكون ماذا كله استفهماً على التركيب ، وهو أرجح الوجهين في ﴿ مَآذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ ^(١) في قراءة النصب ، أى ينفقون العفو .

الرابع : أن يكون ماذا كله اسم جنس بمعنى شيء أو موصولا بمعنى الذى .

الخامس : أن تكون ما زائدة وذا للإشارة .

السادس : أن تكون ما استفهماً ، وذا زائدة ، ويجوز أن يخرج عليه ^(٢) . . .

متى

ترد استفهما عن الزمان نحو ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ؛ وشرطاً ^(٤) . . .

مع

اسم بدليل جرّها بمن في قراءة بعضهم ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مِمِّى ﴾ ^(٥) ، وهى فيها بمعنى عند وأصلها لمكان الاجتماع أو وقته ، نحو ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾ ^(٧) ، ﴿ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾ ^(٨) .

وقد يراد به مجرد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة المكان والزمان ، نحو ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٩) ، ﴿ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّائِضِينَ ﴾ ^(١٠) .

(٣) البقرة ٢١٤

(٦) يوسف ٢١

(٩) البقرة ٤٣

(٢) يياض بالأصل

(٥) يوسف ٣٦

(٨) التوبة ١١٩

(١) البقرة ٢١٩

(٤) الأنبياء ٢٤

(٧) يوسف ٦٦

وَأَمَّا نَحْوُ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾^(١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾^(٢)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^(٣)، ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٥)، فالمراد به العلم والحفظ والمعونة مجازاً قال الراغب : والمضاف إليه لفظ «مع» هو المنصور كآيات المذكورة .

مِنْ

حرف جر له معان أشهرها .

ابتداء الغاية مكاناً وزماناً، وغيرها نحو ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٦)، ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾^(٧)، ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾^(٨) .
والتبويض بأن يسد «بعض» مسدداً نحو ﴿حَتَّى تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٩)، وقرأ ابن مسعود «بَعْضَ مَا تُحِبُّونَ» .

والتبيين ، وكثيراً ما تقع بعدما ومهما نحو ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾^(١٠) ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾^(١١) ﴿مِنْهَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾^(١٢) . ومن وقوعها بعد غيرها ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(١٣)، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾^(١٤) .
والتعليل ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾^(١٥)، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾^(١٦) .

—والفصل — بالمهملة وهي الداخلة على ثنائي المتضادين^(١٧)، نحو ﴿يَعْلَمُ الْمُنْفِئَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(١٨)، ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(١٩) .

(١) المائدة ١٢	(٢) النحل ١٢٨	(٣) الحديد ٤
(٤) الشعراء ٦٢	(٥) الإسراء ١	(٦) التوبة ١٠٨
(٧) النمل ٣٠	(٨) الأعراف ٩٢	(٩) فاطر ٢
(١٠) البقرة ١٠٦	(١١) آل عمران ٩٢	(١٢) الحج ٣٠
(١٣) الكهف ٣١	(١٤) نوح ٢٥	(١٥) البقرة ١٩
(١٦) البرهان : «بين المضادين»	(١٧) البقرة ٢٢٠	(١٨) آل عمران ١٧٩

والبديل نحو ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ ^(١) ، أى بدلها ، ﴿لَجَمَعْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٢) ، أى بدلهم .

وتنصيص العموم ، نحو ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(٣) ، قال في الكشف : هو بمنزلة البناء [عَلَى الْفَتْح] ^(٤) ، فى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(٥) ، فى إفادة معنى الاستغراق .

ومعنى الباء نحو ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ^(٦) ، أى به .

وعلى ، نحو ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ^(٧) أى عليهم .

وفى نحو ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ ^(٨) ، أى فيه . وفى الشامل عن الشافعى أن « مِنْ » فى قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ بمعنى « فى » بدليل قوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ^(٩) .

وعن ، نحو ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ ^(١٠) ، أى عنه .

وعند ، نحو ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ^(١١) ، أى عند .

والتأكيد ، وهى الزائدة فى النفى أو النهى أو الاستفهام ، نحو ﴿وَمَا تَنْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا﴾ ^(١٢) ، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾ ^(١٣) ، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ^(١٤) .

وأجازها قوم فى الإيجاب ، وخرجوا عليه : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١٥) ، ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ^(١٦) ، ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ ^(١٧) ، ﴿يَفُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ^(١٨) .

(٣) آل عمران ٦٢

(٢) الزخرف ٦٠

(١٠) التوبة ٣٨

(٦) الشورى ٤٥

(٥) الكشف ١ : ٤٨٤

(٤) من الكشف

(٩) النساء ٩٢

(٨) الجمعة ٩

(٧) الأنبياء ٧٧

(١٢) الأنعام ٥٩

(١١) آل عمران ١٠

(١٠) الأنبياء ٩٧

(١٥) الكهف ٣١

(١٤) الأنعام ٣٤

(١٣) الملك ٣

(١٧) النور ٣٠

(١٦) النور ٤٣

قائدة

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن ابن عباس ، قال : لو أن إبراهيم حين دعا قال : « فاجعل أئمة الناس تهوى إليهم » لزدحت عليه اليهود والنصارى ولكنه خص حين قال : ﴿ أَفئدة من الناس ﴾ ^(١) ، فجعل ذلك للمؤمنين .

وأخرج عن مجاهد قال : لو قال : إبراهيم : « فاجعل أئمة الناس تهوى إليهم لراحتكم عليه الروم وفارس » ، وهذا صريح في فهم الصحابة والتابعين التبعيض من « من »

وقال بعضهم : حيث وقعت « يغفر لكم » في خطاب المؤمنين لم تذكر معها « من » كقوله في الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصاح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ^(٢) : وفي الصف ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أذلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ إلى قوله : ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ ^(٣) .

وقال في خطاب الكفار في سورة نوح : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ ^(٤) وكذا في سورة إبراهيم وفي سورة الأحقاف ، وما ذاك إلا للترفة بين الخطابين ؛ لئلا يسوى بين الفريقين في الوعد ، ذكره في الكشف .

* * *

من

لا تقع إلا اسما ، فترد موصولة . نحو ﴿ ولله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون ﴾ ^(٥) .

وشرطية ، نحو ﴿ من يعمل سوءا يجزيه ﴾ ^(٦) .

واستفهامية ، نحو : ﴿ من بعثنا من مرقدنا ﴾ ^(٧) .

(٢) الصف ٩ — ١٢

(٦) النساء ١٢٢

(٢) الأحزاب ٧٠ ، ٧١

(٥) الأنبياء ١٩

(١) إبراهيم ٢٧

(٤) نوح ٤

(٧) يس ٥٢

ونكرة موصوفة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ ^(١) ، أى فريق يقول .

وهى كما فى استوائها فى المذكور والفرد وغيرهما ، والغالب استعمالها فى العالم عكس « ما » ، ونُكّته : ما أكثر وقوعا فى الكلام منها ، وما لا يعقل أكثر ممن يعقل ، فأعطوا ما كثرت مواضعه للكثير ، وما قلت للقليل للمشكلة .

قال ابن الأنبارى : واختصاص « مَنْ » بالعالم و « ما » بغيره فى الموصولتين دون الشرطيتين ؛ لأن الشرط يستدعى الفعل ولا يدخل على الأسماء .

* * *

مها

اسم لعود الضمير عليها فى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ﴾ ^(٢) ، قال الزمخشري : عاد عليها ضمير « به » وضمير « بها » حملا على اللفظ وعلى المعنى . وهى شرط لما لا يعقل غير لزمان كالآية المذكورة .

وفىها تأكيد ، ومن ثم قال قوم : إن أصلها ما الشرطية وما الزائدة ، أدلت ألف الأولى هاء دفتما للتكرار .

* * *

النون

على أوجه :

اسم وهى ضمير النسوة ، و ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ﴾ ^(٣) . وحرف وهى نوعان : نون التوكيد وهى خفيفة وثقيلة ، نحو ﴿لَيْسَ جَنًّا وَلَيْسَ كُوفًّا﴾ ^(٤) ، ﴿لَنَسْفَقَنَّ بِالْناصِيَةِ﴾ ^(٥) ، ولم تقع الخفيفة فى القرآن إلا فى هذين الموضعين .

(٣) يوسف ٣٢

(٢) الأعراف ١٣٢

(١) البقرة ٨

(٥) الملق ١٥

(٤) يوسف ٣٢

قلت : وثالث في قراءة شاذة وهي ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ ^(١) ،
 ورابع : في قراءة الحسن : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ ^(٢) ، ذكره ابن جني في المحتسب .
 ونون الوقاية ، وتلحق ياء التشكلم المنصوبة بفعل ، نحو ﴿ فَأَعْبُدْنِي ﴾ ^(٣) ،
 ﴿ أَيْحِزْنِي ﴾ ^(٤) . أو حرف نحو ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنِّي
 أَنَا اللَّهُ ﴾ ^(٦) . والمجرورة بلذن نحو ﴿ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ^(٧) . أو من أو عن ، نحو
 ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ ^(٨) ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ ^(٩) .

التنوين

نون تثبت لفظاً لا خطأً ، وأقسامه كثيرة :

تنوين التمسكين ، وهو اللاحق للأسماء العربية ، نحو ﴿ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴾ ^(١٠) ، ﴿ أَوَّلَىٰ
 عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ^(١١) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ^(١٢) .

وتنوين التنكير ؛ وهو اللاحق لأسماء الأفعال فرقاً بين معرفتها ونكرتها ، نحو
 التنوين اللاحق لأفٍ في قراءة مَنْ نَوَّته ، ولهيئات في قراءة مَنْ نَوَّها .

وتنوين المقابلة وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم نحو ﴿ مَسَلَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ
 تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَاجِدَاتٍ ﴾ ^(١٣) .

وتنوين العوض ، إماعن حرف آخر مفاعل المعتل ، نحو ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ ﴾ ^(١٤) ،

(١) الإسراء ٧	(٢) ق ٢٤	(٣) طه ١٤
(٤) يوسف ١٣	(٥) النساء ٧٣	(٦) الكهف ٧٦
(٧) الحاقة ٢٨	(٨) طه ٣٩	(٩) الأنعام ١٥٤
(١٠) هود ٥٠	(١١) نوح ١	(١٢) التحریم •
(١٣) الفجر ١		

﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ ^(١) أو عن اسم مضاف إليه في كل وبعض وأى ، نحو ﴿كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾ ^(٢) ، ﴿فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ^(٣) ، ﴿أَيَّامًا تَدْعُو﴾ ^(٤) .
وعن الجملة المضاف إليها إذا ، نحو ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ^(٥) ، أى حين إذ بلغت الروح الحلقوم .

أو إذا — على ما تقدم عن شيخنا ومن نحوها نحوه — نحو ﴿وَأَنْتُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ^(٦) ، أى إذا غلبتم .

وتنوين الفواصل ، الذى يسمى فى غير القرآن الترتيم بدلاً من حرف الإطلاق ، ويكون فى الاسم والفعل والحرف ، وخرج عليه الزمخشري وغيره ﴿قَوَارِيرًا﴾ ^(٧) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ^(٨) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾ ^(٩) ، بتنوين الثلاثة .

* * *

نعم

حرف جواب ، فيكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للمستخبر ، وإبدال عينها حاء وكسرها ، واتباع النون لها فى الكسر لغات قرئ بها « نعم » ،

* * *

نعم

فعل لإنشاء المدح لا يتصرف

الماء

اسم ضمير غائب ، يستعمل فى الجزم والنصب ، نحو ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ﴾ ^(١٠) . وحرف للفتية وهو اللاحق لإبآء ، وللسكت نحو ﴿مَاهِيَةٍ﴾ ^(١١) ،

٢٥٣ (٣) البقرة

١١٤ (٦) الأعراف

٨٢ (٩) مريم

٤٠ (٢) يس

٨٤ (٥) الواقعة

٤ (٨) الفجر

١٠ (١١) الفارعة

(١) الأعراف ٤١

(٤) لإسراء ١١٠

(٧) الإنسان ١٥

(١٠) الكهف ٣٤

﴿ كِتَابِيَهٗ ﴾ ^(١) ، ﴿ حِسَابِيَهٗ ﴾ ^(٢) ، ﴿ سُلْطَانِيَهٗ ﴾ ^(٣) ، ﴿ مَالِيَهٗ ﴾ ^(٤) ، ﴿ لَمْ يَنْسَنَهُ ﴾ ^(٥) ، وقرئ بها في أواخر آي الجمع كما تقدم وفقاً .

* * *

ها

ترد اسم فعل بمعنى خذ ، ويجوز مد ألفه فيتصرف حينئذ للمثنى والجمع ، نحو : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴾ ^(٦) .

واسما ضميراً للمؤنث ، نحو ﴿ قَالَهُمَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ^(٧) .

وحرف تنبيه ، فتدخل على الإشارة نحو هؤلاء ، هذان خصمان ، وهاهنا ؛ وعلى ضمير الرفع المخبر عنه بإشارة ، نحو هاتم أولاء ، وعلى نعت «أى» فى النداء ، نحو ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ ويجوز فى لغة أسد حذف ألف هذه وضمها اتباعاً ، وعليه قراءة ﴿ آيَةُ الْفُلَانِ ﴾ ^(٨) .

* * *

هات

فعل أمر لا يتصرف ، ومن ثم ادعى بعضهم أنه اسم فعل .

* * *

هل

حرف استفهام يُطلب به التصديق دون التصور ، ولا يدخل على منفى ولا شرط ، ولأن ، ولا اسم بعده فعل غالباً ، ولا عاطف ، قال ابن سيده : ولا يكون الفعل معها إلا مستقبلاً ، وردّ بقوله تعالى : ﴿ قَهْلٌ وَجْدُكُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ ^(٩) . و«ترد» بمعنى «قد» وبه فُسر ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ ^(١٠) .

(٣) الحاقة ٢٩

(٢) الحاقة ٢٦

(١) الحاقة ١٩

(٦) الحاقة ١٩

(٥) البقرة ٢٥٩

(٤) الحاقة ٢٨

(٨) الرحمن ٣١ ، ومعى قراءة أهل الشام

(٧) الشمس ٨

(١٠) الإنسان ١

(٩) الأعراف ٤٤

ويعنى النفي نحو ﴿ هَلْ جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾^(١) ، ومعانٍ آخر ستأتى فى مبحث الاستفهام .

هَلَمْ

دعاء إلى الشئ وفيه قولان :

أحدهما : أن أصله « هاوُلَمْ » من قولك : لَمَمْتُ الشئ ، أى أصلحته ، فحذفت الألف وركب .

وقيل : أصله « هل أم » ، كأنه قيل : هل لك فى كذا ؟ أمه ، أى اقتصده ، فركبها ، وانه الحجاز تركه على حاله فى التنثية والجمع ، وبها ورد القرآن ، وانه تميم إلحاقه العلامات .

هنا

اسم يشار به للسكان القريب ، نحو ﴿ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٢) .

وتدخل عليه اللام والكاف فيكون للبيد نحو ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

وقد يشار به للزمان اتساعاً ، وخرج عليه : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا سَلَفَتْ ﴾^(٤) ، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾^(٥) .

هَيْت

اسم فعل بمعنى أسرع وبادر ، قال فى المحتسب : وفيها لغات قرىء بيمضها : هَيْتَ

(٣) الأحزاب ١١

(٢) المائدة ٢٤

(١) الرحمن ٦٠

(٥) آل عمران ٣٨

(٤) يونس ٣٠

بفتح الهاء والتاء ، وهَيْتَ بكسر الهاء فتح التاء ، وهَيْتَ بفتح الهاء وكسر التاء ، وهَيْتُ ، بفتح الهاء وضمّ التاء ، وقرئ : ﴿ هَيْتُ ﴾ ^(١) ، بوزن جيت . وهو فعل بمعنى تهيّأت ، وقرئ : ﴿ هُيئتُ ﴾ ^(١) ، وهو فعل بمعنى أصِلحت .

* * *

هيّات

اسم فعل بمعنى « بعد » ، قال تعالى : ﴿ هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ ^(٢) ، قال الزجاج : البمد لما توعدون ، قيل : وهذا غلط أوقعه فيه اللّام ، فإن تقديره بعد الأمر لما توعدون ، أى لأجله .

وأحسن منه أن اللام لتبيين الفاعل وفيها لغات ، قرئ منها بالفتح ، وبالضمّ ، وبالحذف مع التنوين فى الثلاثة وعدمه .

* * *

الواو

جارّه وناصبة ، وغير عاملة .

فالجارّة واو القسم ، نحو ﴿ وَاللّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) .

والناصبة واو « مع » ، فتنصب المفعول معه فى رأى قوم ، نحو ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ^(٤) ولا ثانى له فى القرآن ، والمضارع فى جواب النفى أو الطلب عند الكوفيين ، نحو ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصّٰبِرِينَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ نَزِدْ وَلَا نَكْذِبْ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ ﴾ ^(٦) .

وواو الصرف عندهم ومعناها أن الفعل كان يقتضى إعرابا ، فصرفته عنه إلى النصب

(٣) الأنعام ٢٣

(٢) المؤمنون ٣٦

(١) يوسف ٢٣

(٦) الأنعام ٢٧

(٥) آل عمران ١٤٢

(٤) يونس ٧١

نحو ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ^(١) ، في قراءة النصب :
وغير العاملة أنواع :

أحدها : واو العطف وهي لطاق الجمع ، فتعطف الشي على مضاحبه ، نحو ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ ^(٢) .

وعلى سابقه نحو ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ^(٣) .

ولا حقه نحو ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ ^(٤) .

وتفارق سائر حروف العطف في اقترانها بإما ، نحو ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمًا كَفُورًا﴾ ^(٥) .

وبلا بعدنفي نحو ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ﴾ ^(٦) .

وبلكن ، نحو ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ ^(٧) .

وبعطف المقد على التيف والعام على الخاص وعكسه نحو ﴿وَمَلَأْنٰكُمُوهٓ وَرَسَلَهُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ ^(٨) ، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٩) .

والشيء على مرادفه ، نحو ﴿صَلَوَاتٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةً﴾ ^(١٠) ، ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ^(١١) .

والجور على الجوار ، نحو ﴿بَرِّمُوْكُمْ وَأَرْحَمِكُمْ﴾ ^(١٢) .

وقيل : ترد بمعنى «أو» وحمل عليه مالك ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ ^(١٣) الآية .

(٣) الحديد ٢٦

(٦) بآ ٣٧

(٩) نوح ٢٨

(١٢) المائدة ٦

(٢) العنكبوت ١٥

(٥) الإنسان ٣

(٨) البقرة ٩٨

(١١) يوسف ٨٦

(١) البقرة ٣٠

(٤) الشورى ٣

(٧) الأحزاب ٤٠

(١٠) البقرة ١٥٧

(١٣) التوبة ٦٠

والتعلييل ، وحمل عليه الخارزنجي الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة .

(ثانيها) : واو الاستئناف ، نحو ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجْلاً مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ^(١) ﴿ لَنْبِئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ كُمْ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، ﴿ مِنْ يُضِلِّلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ ^(٤) بالرفع ، إذ لو كانت عاطفة لنصب « نقر » وانجزم ما بعده ونصب « أجل » .

(ثالثها) : واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية ، نحو ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ يَفْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ ^(٦) ، ﴿ لَنْ أَكُلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عَصِيَّةٌ ﴾ ^(٧) .

وزعم الزمخشري أنها تدخل على الجملة الواقعة صفة ، لتأكيد ثبوت الصفة للموصوف ولعوقبها به ، كما تدخل على الحالية ، وجعل من ذلك ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ^(٨) . (رابعها) : واو الثمانية ، ذكرها جماعة كالحريرى وابن خالويه والنعلمى ، وزعموا أن العرب إذا عدوا يدخلون الواو بعد السبعة ، إيداناً بأنها عدد تام ، وأن ما بعده مستأنف ، وجعلوا من ذلك قوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ^(٩) إلى قوله : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(١٠) ، لأنه الوصف الثامن .

وقوله : ﴿ مَسَلَاتٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾ ^(١١)

والصواب عدم ثبوتها وأنها في الجميع للعطف .

(٢) البقرة ٢٨	(٢) الحج ٥	(١) الأنعام ٢
(٦) آل عمران ١٥٤	(٥) البقرة ٣٠	(٤) الأعراف ١٨٦
(٩) الكهف ٢٢	(٨) الكهف ٢٢	(٧) يوسف ١٤
	(١١) التحريم ٥	(١٠) التوبة ١١٢

(خامسها) : الزائدة ، وخرج عليه واحدة من قوله ﴿وتلّ للجبين ﴾ ونادى ناه ﴿^(١)﴾ .

(سادسها) : واو ضمير الذكور في اسم أو فعل نحو « المؤمنون » ، ﴿وإذا سمعوا
اللفوا أعرضوا عنه ﴾ ^(٢) ، ﴿قل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ﴾ ^(٣) .

(سابعها) : واو علامة المذكرين في لغة طيئ ، وخرج عليه ﴿وأسرّوا النَّجْوَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ^(٤) ، ﴿ثمَّ عَمُوا وَصَمُوا كثير منهم ﴾ ^(٥) .

(ثامنها) : الواو المبدلة من همزة الاستفهام المضموم ما قبلها كقراءة قبل ﴿وإليه
النشورُ ﴾ ﴿أَمِنْتُمْ﴾ ^(٦) ، ﴿قال فرعونُ وَأَمِنْتُ بِهِ﴾ ^(٧) .

* * *

وى كأن

قال الكسائي : كلمة تندم وتعجب ، وأصله « ويليك » ، والكاف ضمير مجرور .

وقال الأخفش : وى اسم فعل بمعنى اعجب ، والكاف حرف خطاب ، وأن
على إضمار اللام ، والمعنى : اعجب لأن الله .

وقال الخليل : وى وحدها ، وكأن كلمة مستقلة للتحقيق لالتشبيه .

وقال ابن الأنباري : يحتمل وى كأنه ثلاثة أوجه : أن يكون ويليك حرفاً ، وأنه
حرف والمعنى « ألم تر » ، وأن تكون كذلك ، والمعنى « ويليك » ، وأن تكون
وى حرفاً للتعجب وكأنه حرف ، ووصلاً خطأ لسكون الاستعمال كما وصل « بينوم » .

* * *

ويل

قال الأصمعي : ويل تقييح ، قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ^(٨) .

(٣) إبراهيم ٣١

(٦) الملك ١٥

(٢) القصص ٥٥

(٥) المائدة ٧١

(٧) الأنبياء ١٨

(١) الصافات ١٠٤

(٤) الأنبياء ٣

(٧) الأعراف ١٢٣

وقد يوضع موضع التحسّر والتفجع ، نحو ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾^(١) ، ﴿يَا وَيْلَتِي أَعْجِزْتُ﴾^(٢) .
أخرج الحربى في فوائده من طريق إسماعيل بن عياش ، عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك ! » فجزعت
منها ، فقال لى : « يا حيراء ، إن « ويحك » أو « ويسك » رحمة ، فلا تجزعى منها ؛ ولكن
اجزعى من الويل » .

* * *

يا

حرف لنداء البعيد ، حقيقة أو حكما ، وهى أكثر أحرفه استعمالاً ، ولهذا لا يقدر
عند الحذف سواها ، نحو ﴿رب اغفر لى﴾^(٣) ، ﴿يوسف أعرض﴾^(٤) . ولا ينادى اسم الله وأشيها
وأيتها إلا بها .

قال الزمخشري : وتفيد التأكيد المؤذن بأن الخطاب الذى يتلوه معتنى به جداً .
أو ترد للتنبيه فتدخل على الفعل والحرف ، نحو ﴿ألا يسجدوا﴾^(٥) ، ﴿يأليت
قومي يعلمون﴾^(٦) .

تنبيه

ها قد أتيت على شرح معانى الأدوات الواقعة فى القرآن على وجه موجز مفيد
محصل للمقصود منه ، ولم أبسطه ؛ لأن محل البسط والأطناب إنما هو تصانيفنا فى فن
العربية وكتبنا النحوية ، والمقصود فى جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد
والأصول ، لا استيعاب الفروع والجزئيات .

(٣) نوح ٢٨

(٦) يس ٢٦

(٢) المائدة ٣١

(٥) النمل ٢٥

(١) الكهف ٤٩

(٤) يوسف ٢٩

النوع الحادى والأزئبون

فى معصرة إعرابه

أفرده بالتصنيف خلائق ، منهم مكى وكتابه فى المشكل خاصة ، والحوافى ، وهو أوضحها ، وأبو البقاء المكبرى وهو أشهرها ، والسمن وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل ، وتلخصه السماقسى فخره ، وتفسير أبى حيان مشحون بذلك .
ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى ، لأن الإعراب يميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين .

أخرج أبو عبيد فى فضائله ، عن عمر بن الخطاب ، قال « تعلموا اللحن والفرائض والسُنن كما تعلمون القرآن » .

وأخرج عن يحيى بن عتيق ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته ، قال : حسن يابن أخى فتعلمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها ، فيهلك فيها .

وعلى الناظر فى كتاب الله تعالى الكاشف عن أسرارده ، النظر فى الكلمة وصيغتها ومحامها ، ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً ، أو فى مبادئ الكلام أو فى جواب ، إلى غير ذلك .

ويجب عليه مراعاة أمور :

أحدهما : وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل الإعراب ، فإنه قرع المعنى . ولهذا لا يجوز إعراب فوائخ السور إذا قلنا بأنها من التشابه الذى استأثر الله بعلمه .

وقالوا فى توجيه نصب « كلاله » فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ ^(١) :

إنه يتوقف على المراد بها ، فإنه كان اسماللميت فهو حال ، و « يورث » خبر « كان »
أو صفة وكان تامة أو ناقصة وكلاهما خبر ، أو للورثة فهو على تقدير مضاف ، أى إذا
كلالة ، وهو أيضاً حال أو خبر كما تقدم ، أو للقراءة فهو مفعول لأجله .

وقوله : ﴿ سَمِعَا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ^(١) : إن كان المراد بالمثاني القرآن فـ « من » للتبميز ،
أو الفاتحة فليبيان الجنس .

وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ فَتَاءَ ﴾ ، إن كان بمعنى الاتقاء فعلى مصدر ، أو بمعنى
متقى ، أى أمراً يجب اتقاؤه فمفعول به ، أو جمعاً كرماء فحال .

وقوله : ﴿ غُثَاءٌ أَحْوَى ﴾ ^(٢) ، إن أريد به الأسود من الجفاف واليبس فهو صفة
لغثاء ، أو من شدة الخضرة فحال من المرعى .

قال ابن هشام : وقد زلت أقدام كثير من العربيين راعوا في الأعراب ظاهر
اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى ، من ذلك قوله : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا بَعْدَهُ
آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أُمُورِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ^(٣) ، فإنه يتبادر إلى الذهن عطف « أن نفعل »
على « أن تترك » ، وذلك باطل ، لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون ، وإنما هو
عطف على « ما » فهو معمول للترك ، والمعنى : أن تترك أن نفعل ، وموجب الوهم المذكور أن
العرب يرى أن والفعل مرتين ، وبينهما حرف العطف .

• • •

الثاني : أن براعى ما تقتضيه الصناعة ، فربما راعى العرب وجهاً صحيحاً ولا ينظر
في صحته في الصناعة فيخطئ .

من ذلك قول بعضهم : ﴿ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ^(٤) : إن تموداً مفعول مقدم ،

وهذا ممتنع لأن « ما » النافية الصدر ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، بل هو معطوف على « عاداً » أو على تقدير : « وأهلك نوداً » .

وقول بعضهم في ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ ^(٢) : إن الظرف متعلق باسم لا ، وهو باطل ؛ لأن اسم « لا » حينئذ مطوّل فيجب نصبه وتنوينه ، وإنما هو متعلق بمحذوف .

وقول الحوفي : إن البناء من قوله : ﴿ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٣) متعلقة بـ « ناظرة » ، وهو باطل ، لأن الاستفهام له الصدر ، بل هو متعلق بما بعده .

وكذا قول غيره في ﴿ مَلْعُونَيْنِ أَبَئِمًا يُقْفُوا ﴾ ^(٤) : إنه حال من معمول « تقفوا » أو « أخذوا » باطل ، لأن الشرط له الصدر ، بل هو منصوب على الذم .

* * *

الثالث : أن يكون ملئاً بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت ، كقول أبي عبيدة في ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ ^(٥) : إن الكاف قسم ، حكاه مكى وسكت عليه ، فشنع ابن الشجري عليه في سكوته . ويُبَيِّطُهُ أَنَّ الْكَافَ لَمْ تَحْجُ بِمَعْنَى وَאו الْقِسْم ، وإطلاق ما الموصولة على الله وربط الموصول بالظاهر وهو فاعل « أخرجك » ، وباب ذلك الشعر .

وأقرب ما قيل في الآية ، إنها مع مجرورها خبر محذوف ، أى هذه الحال من تنفيلك الفراءة على ما رأيت في كراهتهم لها كحال إخراجك للحرب في كراهيتهم لها . وكقول ابن مهران في قراءة : ﴿ إِنْ الْبَقْرَ تَشَابَهَتْ ﴾ بتشديد التاء : إنه من زيادة التاء في أول الماضي ، ولا حقيقة لهذه القاعدة ، وإنما أصل القراءة « إِنْ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَتْ » بتاء الوحدة ، ثم أدغمت في تاء « تشابهت » فهو إدغام من كلمتين .

(٣) النمل ٣٥

(٢) يوسف ٩٢

(٥) الأقال ٥

(١) هود ٤٣

(٤) الأحزاب ٦١

الرابع : أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة .

ويخرج على القريب والقويّ والقصيح ، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد فله عذر ، وإن ذكر الجميع لقصد الإغراب والتكثير فصوب شديد ، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن ، أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يغلب على الظن إرادته ، فإن لم يغلب شئ ، فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف ، ومن ثمّ خطئ من قال في ﴿وَقِيلِهِ﴾ ^(١) ، بالجرّ أو النصب : إنه عطف على لفظ «الساعة» ^(٢) أو محملها لما بينهما من التباعد ، والصواب أنه قسم أو مصدر « قال » مقدراً .

ومن قال في ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَرِ﴾ ^(٣) : إن خبره ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ^(٤) ، والصواب أنه محذوف .

ومن قال في ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّ كَرِ﴾ ^(٥) : إن جوابه « إن ذلك لحق » ، والصواب أنه محذوف ، أي ما الأمر كما زعموا ، أو أنه لمعجز أو إنك لمن المرسلين .

ومن قال في ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ﴾ ^(٦) : إن الوقف على « جناح » و« عليه » إغراء ، لأن إغراء الغائب ضعيف بخلاف القول بمثل ذلك في ﴿عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا﴾ ^(٧) ، فإنه حسن ، لأن إغراء المخاطب فصيح .

من قال في ﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ^(٨) : إنه منضوب على الاختصاص اضعفه بعد ضمير المخاطب ، والصواب أنه منادى .

من قال في ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾ ^(٩) بالرفع : إن « أصله » أحسنوا ، فحذفت الواو اجتزاء عنها بالضمّة ، لأن باب ذلك الشعر ، والصواب تقدير مبتدأ ؛ أي هو أحسن . ومن قال في : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ﴾ ^(١٠) ، بضم الراء المشددة إنه من باب :

(٢) من قوله الآية قبلها : «وعنده علم الساعة »

(٥) البقرة ١٥٨

(٨) الأنعام ١٥٤

(٧) الأحزاب ٣٣

(١) الزخرف ٨٨

(٣) فصلت ٤٤، ٤١

(٦) الأنعام ١٥١

(٩) آل عمران ١٢٠

* إِنَّكَ إِنْ يَضْرَعْ أَخُوكَ تَصْرَعْ *

لأن ذلك خاص بالشعر . والصواب أنها ضمة إنباع وهو مجزوم .

ومن قال في ﴿ وَأَرْجِلُكُمْ ﴾ ^(١) : إنه مجرور على الجوار ، لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرد منه إلا أحرف يسيرة ، والصواب أنه معطوف على ﴿ وَرَوِّسَكُمْ ﴾ على أن المراد به مسح الخف .

قال ابن هشام : وقد يكون الموضع لا يتخرج إلا على وجهه رجوح ، فلا حرج على مخرجه كقراءة ﴿ نَجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) قيل : الفعل ماض ، ويضعفه إسكان آخره وإنباء ضمير المصدر عن الفاعل ، مع وجود المفعول به . وقيل مضارع أصله « نَجِّى » بكون ثانية ، ويضعفه أن النون لا تدغم في الجيم ، وقيل أصله « نَجِّى » بفتح ثانية وتشديد ثالثة ، فحذفت النون ، ويضعفه أن ذلك لا يجوز إلا في التاء .

الخامس : أن يستوفى جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة ، فنقول في نحو ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ^(٣) : يجوز كون « الأعلى » صفة للرب وصفة للاسم .
وفي نحو ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ ﴾ ^(٤) : يجوز كون « الذين » تابعا ومقطوعا إلى النصب بإضمار « أعنى » أو « أمدح » وإلى الرفع بإضمار « هو » .

السادس : أن يراعى الشروط المختلفة بحسب الأبواب ، ومتى لم يتأتملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط ، ومن ثم خطئ الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ إلى الناس ^(٥) : إنها عطف بيان ، والصواب أنها نعتان لا اشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان .

(٣) الأعلى ١

(٢) الأنبياء ٨٨

(١) المائدة ٦

(٥) الناس ٢، ٣

(٤) البقرة ٢٠٢

وفي قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ﴾ ^(١) بنصب «تخاصم» : إنه صفة للإشارة ، لأن اسم الإشارة إنما ينعت بذى اللام الجنسية ، والصواب كونه بدلا .
وفي قوله ﴿فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ﴾ ^(٢) ، وفي ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ ^(٣) : إن المنصوب فيهما ظرف ؛ لأن ظرف المكان شرطه الإبهام ، والصواب أنه على إسقاط الجار توسعا ، وهو فيهما «إلى» .

وفي قوله : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ^(٤) : إن «أن» مصدرية ، وهى وصلتها عطف بيان على الماء ، لامتناع عطف البيان على الضمير كنفته . وهذا الأمر السادس عدّه ابن هشام فى المغنى ، ويحتمل دخوله فى الأمر الثانى .

* * *

السابع : أن يراعى فى كل تركيب ما يشاكله ، فربما خرج كلاما على شىء ، ويشهد استعمال آخر فى نظير ذلك الموضع بخلافه ، ومن ثم خطئ الزمخشري فى قوله فى ﴿وُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ^(٥) : إنه عطف على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالْنَّوَى﴾ ^(٦) ، ولم يجعله معطوفاً على ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ^(٥) ، لأن عطف الاسم على الاسم أولى ، ولكن مجىء قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ^(٦) ، بالفعل فيهما ، يدل على خلاف ذلك ، ومن ثم خطئ من قال فى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ^(٧) : إن الوقف على «رب» و «فيه» خبر «هدى» ، ويدل على خلاف ذلك قوله فى سورة السجدة : ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٨) . ومن قال فى ﴿وَلَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٩) : إن الرابط الإشارة ، وإن الصابر والغافر جُعلا من عزم الأمور مبالغة ؛ والصواب أن الإشارة

(١) من ٦٤	(٢) من ٦٦	(٣) طه ٢١
(٤) المائدة ١١٧	(٥) الأنعام ٩٥	(٦) الروم ١٩
(٧) البقرة ٢	(٨) السجدة ٢	(٩) الشورى ٤٣

للسبر والغفران بدليل : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(١) ، ولم يقل « إنكم » .

ومن قال في نحو ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ ﴾ ^(٢) : إن المجرور في موضع رفع ، والصواب في موضع نصب ؛ لأن الخبر لم يجر مجرّداً من الباء إلا وهو منصوب .

ومن قال في ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ^(٣) : إن الاسم الكريم مبتدأ ؛ والصواب أنه فاعل بدليل ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٤) .

تنبيه : وكذا إذا جاءت قراءة أخرى في ذلك الموضع بعينه تساعد أحد الإعرابين ، فينبغي أن يترجح ، كقوله ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾ ، قيل : التقدير : ولكن ذا لبر ، وقيل : ولكن البرّ برّ من آمن ، ويؤيد الأول أنه قرئ « ولكن البار » .

تنبيه : وقد يوجد ما يرجح كلا من المحتملات ، فينظر في أولها ، نحو ﴿ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ ^(٥) ، فـ « موعداً » محتمل للمصدر ، ويشهد له ﴿ لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ﴾ ^(٦) ، وللزمان ، ويشهد له ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ ^(٦) ، وللمكان ويشهد له ﴿ مَكَانًا سَوًى ﴾ ^(٦) . وإذا أعرب « مكاناً » بدلا منه لا ظر فـ « نخلفه » تعين ذلك .

* * *

الثامن : أن يراعى الرسم ، ومن ثم خطئ من قال في ﴿ سَلَسْبِيلًا ﴾ : إنها جملة أمرية ، أى سل طريقاً موصلة إليها ، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة .

ومن قال في ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(٧) ، : إنها ، إن واسمها ، أى إن القصة ،

(١) الزخرف ٨٧

(٢) الأنعام ١٣٢

(١) آل عمران ١٨٦

(٦) طه ٥٩ ، ٥٨

(٥) البقرة ١٧٨

(٤) الزخرف ٩

(٨) طه ٦٣ ومعى قراءة نافع وابن عامر

(٧) الأنسان ١٨

وذا، مبتدأ خبره «لساحران»، والجملة خبر إن، وهو باطل برسم «أن» منفصلة وهذان متصلان.

ومن قال في ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾^(١) : إن اللام للابتداء والذين مبتدأ والجملة بعده خبره؛ وهو باطل؛ فإن الرسم «ولا».

ومن قال في ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾^(٢) : إن «هم أشد» مبتدأ وخبر، وأى مقطوعة عن الإضافة؛ وهو باطل برسم «أيهم» متصلة.

ومن قال في ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٣) : إن «هم» ضمير رفع مؤكّد للواو؛ وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها، والصواب أنه مفعول.

* * *

التاسع : أن يتأمل عند ورود المشتبهات، ومن ثمّ خطئ من قال في ﴿أَخَصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٤) : إنه فعل تفضيل، والنصب تمييز، وهو باطل، فإن الأمد ليس محصياً، بل مُحَقَّق، وشرط التمييز المنصوب بعد «أفعل» كونه فاعلاً في المعنى، فالصواب إنه فعل، وأمداً مفعول، مثل ﴿وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٥).

* * *

(العاشر) : ألا يخرج على خلاف الأصل، أو خلاف الظاهر لغير مقتضى، ومن ثمّ خطئ مكي في قوله في ﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي﴾^(٦) : إن الكاف نعت لمصدر، أي إبطالا كإبطال الذي. والوجه كونه حالاً من الواو، أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي، فهذا لاحذف فيه.

* * *

الحادى عشر : أن يبحث عن الأصلّي والزائد، نحو : ﴿إِلَّا أَنْ يَفْعُولَ أَوْ

(٣) المطففين ٣

(٢) مريم ٦٩

(١) النساء ١٨

(٦) البقرة ٢٦٤

(٥) الجن ٢٨

(٤) الكهف ١٢

يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ﴿١﴾ ، فَإِنَّ قَدْ يُتَوَمَّنُ أَنْ لَوَاوُ فِي ﴿٢﴾ يَعْفُونَ ﴿٣﴾ ضَمِيرُ
الْجَمْعِ ، فَيَشْكَلُ إِثْبَاتُ النُّونِ ، وَلا يَسْ كَذَلِكَ ؛ بَلْ هِيَ فِيهِ لَامُ الْكَلِمَةِ ، فَهِيَ أَصْلِيَّةٌ
وَالنُّونُ ضَمِيرُ النُّسُوءِ ، وَالْفِعْلُ مَعَهَا مَبْنِيٌّ ، وَوزنه : « يَفْعَلُن » بِخِلَافِ ﴿٤﴾ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ ﴿٥﴾
فَالَوَاوُ فِيهِ ضَمِيرُ الْجَمْعِ ، وَلا يَسْتَمِنْ أَصْلُ الْكَلِمَةِ .

* * *

الثاني عشر : أَنْ يَحْتَجِبُ إِطْلَاقُ لَفْظِ الزَّائِدِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الزَّائِدَ
قَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَامَعْنَى لَهُ ، وَكِتَابُ اللَّهِ مَنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَلِذَا فَرَّ بَعْضُهُمْ إِلَى التَّعْبِيرِ
بِدَلِّهِ بِالتَّائِي كَيْدٍ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالْمَقْحَمِ .

وَقَالَ ابْنُ الْخُشَّابِ : اخْتَلَفَ فِي جَوَازِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الزَّائِدِ فِي الْقُرْآنِ ، فَلَا أَكْثَرُونَ
عَلَى جَوَازِهِ نَظَرًا إِلَى أَنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ الْقَوْمِ وَمَتَعَارَفَهُمْ ، وَلِأَنَّ الزِّيَادَةَ بِإِزَاءِ الْحَذْفِ هَذَا
لِلْاِخْتِصَارِ وَالتَّخْفِيفِ ، وَهَذَا لِلتَّوَكِيدِ وَالتَّوَطُّئِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى ذَلِكَ وَقَالَ : هَذِهِ الْأَلْفَاظُ
الْحُمُولَةُ عَلَى الزِّيَادَةِ جَاءَتْ لِفَوَائِدَ وَمَعَانٍ تَخَصُّصًا ، فَلَا أَفْضَى عَلَيْهَا بِالزِّيَادَةِ .

قَالَ : وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ إِنْ أُريدَ بِالزِّيَادَةِ إِثْبَاتُ مَعْنَى لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ فَبَاطِلٌ لِأَنَّهُ عِبْتُ ،
فَتَعَيَّنَ أَنَّ إِلَيْنَا بِهِ حَاجَةٌ ؛ لَكِنْ الْحَاجَةُ إِلَى الْأَشْيَاءِ قَدْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ ؛ فَلَيْسَتْ
الْحَاجَةُ إِلَى اللَّفْظِ الَّذِي عَدَّهُ هَؤُلَاءِ زِيَادَةً كَالْحَاجَةِ إِلَى اللَّفْظِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ . انْتَهَى

وَأَقُولُ : بَلْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ كَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ سَوَاءً ، بِالنَّظَرِ إِلَى مَقْتَضَى الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ ،
وَأَنَّهُ لَوْ تَرَكَ كَانَ الْكَلَامُ دُونَهُ مَعَ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ أَبْتَرَّ خَالِيًا عَنِ الرَّوْنَقِ الْبَلِيغِيِّ
لِاشْبَهَةِ فِي ذَلِكَ ، وَمِثْلُ هَذَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالإِسْنَادِ الْبَيَانِيِّ الَّذِي خَالَطَ كَلَامَ النُّصَحَاءِ ، وَعُرفَ
مَوَاقِعَ اسْتِعْمَالِهِمْ وَذَاقَ حُلَاوَةَ أَلْفَاظِهِمْ ، وَأَمَّا النُّجُوزِيُّ الْجَافِيُّ فَمَنْ ذَلِكَ بِمَنْقَطَعِ الثَّرَى .

تنبيهات

الأول : قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد ، بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه والمتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة الأعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ ^(١) ، فالظرف الذي هو « يوم » يقتضى المعنى أنه يتعلّق بالمصدر ، وهو « رجع » ، أى أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر ؛ لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله ، فيجعل العامل فيه فعلاً مقدّراً دلّ عليه المصدر . وكذا : ﴿ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ ^(٢) ، فاللغنى يقتضى تعلّق « إذ » بالقت ، والإعراب يمنعه للفصل المذكور فيقدّر له فعل يدل عليه .

* * *

الثانى : قد يقع في كلامهم : هذا تفسير معنى ، وهذا تفسير إعراب ، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لابدّ فيه من ملاحظة الصناعة النحوية وتفسير المعنى لانتصره مخالفة ذلك .

* * *

الثالث : قال أبو عبيد في فضائل القرآن : حدّثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَأَسَاحِرَٰنِ ﴾ ^(٣) وعن قوله تعالى : ﴿ وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(٤) ، وعن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْبَنَاتُونَ ﴾ ^(٥) ، فقالت : يابن أخى ، هذا عمل الكتاب ، أخطئوا في الكتاب . هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

وقال : حدّثنا حجاج ، عن هارون بن موسى ، أخبرنى الزبير بن الخريّث ،

عن عكرمة ، قال : لما كُتِبَتِ المصاحف عُرِضَتْ على عثمان ، فوجد فيها حروفاً من من اللحن ، فقال : لا تغيروها ؛ فإن العرب ستغيرها - أو قال ستعربها - بالسنتها ، لو كان الكاتب من ثَقِيفٍ والمُعلِّى من هُذَيْلٍ لم توجد فيه هذه الحروف . أخرجه ابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وابن أشته في كتاب المصاحف . ثم أخرج ابن الأنباري نحوه ، من طريق عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر وابن أشته نحوه من طريق يحيى بن يعمر .

وأخرج من طريق أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقرأ ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ ويقول : هو لحن من الكاتب .

وهذه الآثار مشكلة جداً ، وكيف يُظَنّ بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللدّ ! ثم كيف يُظَنّ بهم ثانياً في القرآن الذي تلقّوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما أنزل ، وحفظوه وضبطوه ، وأتقنوه ! ثم كيف يُظَنّ بهم ثالثاً اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ! ثم كيف يُظَنّ بهم رابعاً عدم تنبيههم ورجوعهم عنه ! ثم كيف يُظَنّ بعثمان أنه ينهى عن تغييره ! ثم كيف يُظَنّ أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف ! هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة . وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن ذلك لا يصحّ عن عثمان ؛ فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع ، ولأن عثمان جعل للناس إماماً يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقييمه العرب بالسنتها ! فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ! وأيضاً فإنه لم يَكُتَبْ مصحفاً واحداً ، بل كتب عدة مصاحف ، فإن قيل : إن اللحن وقع في جميعها ، فبعيد اتفاقها على ذلك ، أو في بعضها فهو اعتراف بصحة البعض ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

الوجه الثاني : على تقدير صحة الرواية ، إن ذلك محمول على الرمز والإشارة ومواضع الحذف ، نحو « الكتب » ، « الصّبرين » ، وما أشبه ذلك .

(الثالث) : أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ، كما كتبوا « لا أوضّعوا » ^(١)

و « لا أذبحنه » ^(٢) بأنف بعد لاو « جزاؤا الظالمين » ^(٣) بو او وألف و « بأيد » ^(٤) بيائن ، فلو قرئ بظاهر الخط لكان لحنًا ، وبهذا الجواب وما قبله جزم ابن أشتة في كتاب المصاحف .

وقال ابن الأنباري في « كتاب الردّ على من خالف مصحف عثمان » في الأحاديث

المروية عن عثمان في ذلك : لا تقوم بها حجة ، لأنها منقطعة غير متصلة ، وما يشهد

عقل بأن عثمان وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته ، وقدرتهم ، يجمعهم على المصحف

الذي هو الإمام فيتبين فيه خللاً ، ويشاهد في خطه زللاً فلا يصلحه ! كلاً والله ما يتوهم

عليه هذا ذو إنصاف وتميز ، ولا يُعتمد أنه آخر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده

وسبيل الجائين من بعده البناء على رسمه والوقوف عند حكمه . ومن زعم أن عثمان أراد

بقوله : « أرى فيه لحنًا » ، أرى في خطه لحنًا إذا أقنأه بالسنتنا كان لحن الخط غير مفسد

ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب فقد أبطل ولم يُصِبْ ؛ لأن الخط

منبئ عن النطق ، فمن لحن في كتبه فهو لحن في نطقه ، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في

هذه ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق . ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن ،

مُتَقِنًا لألفاظه ، موافقاً على ما رسم في المصاحف المنقذة إلى الأمصار والنواحي . ثم أيد

ذلك بما أخرجه أبو عبيد قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد الله بن مبارك ،

حدثنا أبو وائل ، شيخ من أهل اليمن ، عن هاني البربري مولى عثمان ، قال : كنت عند

عثمان وهم يعرضون للمصاحف ، فأرسانى بكتف شاة إلى أبي بن كعب ، فيها « لَمْ

يَتَسَنَّ » ^(٥) ، وفيها « لَا تَبْدِيلَ لِلْخَاقِ » ^(٦) ، وفيها « فَأَمِهْلْ

الْكَافِرِينَ » ^(٧) ، قال : فدعا بالدواة - فحأ أحد اللامين ، فكتب « تَخْلُقِ اللهُ

وَمَحْيَ » فَأَمِهْلْ » ، وكتب « فَمَهْلْ » ، وكتب « لَمْ يَتَسَنَّ » ألحق فيها الماء . قال

(٣) المائدة ٢٩

(٢) النحل ٢١

(١) التوبة ٤٧

(٤) الدابارت ٤٧ (٥) البقرة ٢٠٩ (٦) الروم ٣٠ (٧) الطارق ١٧

ابن الأنباري : فكيف يدعى عليه أنه رأى فسادا فأماضاه ، وهو يوقف على ما كتب ، ويرفع الخلاف إليه الواقع من الناسخين ، ليحكم بالحق ، ويلزمهم إثبات الصواب وتحليده ، انتهى .

قلت : وبؤيد هذا أيضا ما أخرجه ابن أشته في المصاحف ، قال : حدثنا الحسن بن عثمان ، أنبأنا الربيع بن بدر ، عن سوار بن شبيب ، قال : سألت ابن الزبير عن المصاحف ، فقال : قام رجل إلى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، فكان عمر قد هم أن يجمع القرآن على قراءة واحدة ، فطعن طمته التي مات بها ، فلما كان في خلافة عثمان قام ذلك الرجل ، فذكر له ، فجمع عثمان المصاحف ، ثم بعثني إلى عائشة فحُت بالصَّحَف ، فمرضاها عليها حتى قوَّمتها ، ثم أمر بسايرها فشققت . فهذا يدل على أنهم ضبطوها وأتقنوها ، ولم يتركوا فيها ما يحتاج إلى إصلاح ولا تقويم .

ثم قال ابن أشته : أنبأنا محمد بن يعقوب ، أنبأنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، أنبأنا أحمد بن مسعدة ، أنبأنا إسماعيل ، أخبرني الحارث بن عبد الرحمن ، عن عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر ، قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان ، فنظر فيه ، فقال : أحسنتم وأجملتم ! أرى شيئا سقيمه بالسنتنا . فهذا الأثر لا إشكال فيه ، وبه يتضح معنى ما تقدم ، فكانه عرض عليه عقب الفراغ من كتابته ، فرأى فيه شيئا كتب على غير لسان قریش ، كما وقع لهم في « التابوة » و « التابوت » فوجد بأنه سقيمه على لسان قریش ، ثم وفي بذلك عند العرض والتقويم ، ولم يترك فيه شيئا . ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ، ولم يتقن اللفظ الذي صدر عن عثمان ، فلزم منه ما لزم من الإشكال ، فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك . والله الحمد .

وبعد ، فهذه الأجوبة لا يصلح منها شيء عن حديث عائشة ، أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى . وأما الجواب بالرمز وما بعده ، فلأن سؤال عروة عن الأحرف المذكورة لا يطابقه ، فقد أجاب عنه ابن أشته ، وتبعه ابن جبارة في شرح

الرأية ، بأن معنى قولها « أخطئوا » أى فى اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه ، لا أن الذى كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز . قال : والدليل على ذلك أن ما لا يجوز مردود بإجماع من كل شئ ، وإن طالت مدة وقوعه . قال : وأما قول سعيد بن جبيرة : لحن من الكتاب ، فيعنى باللحن القراءة واللغة ، يعنى أنها لغة الذى كتبها وقراءته ، وفيها قراءة أخرى .

ثم أخرج عن إبراهيم النخعي ، أنه قال : ﴿ إِنَّ هَذَانِ سَاحِرَانِ ﴾ ، وه « إِنَّ هَذَيْنِ سَاحِرَانِ » سواء ، لعلهم كتبوا الألف مكان الياء ، والواو فى قوله : ﴿ وَالصَّابِقُونَ ﴾ ، مكان الياء ، قل ابن أشقة : يعنى أنه من إبدال حرف فى الكتاب بحرف ، مثل الصلوة والزكوة والحياة .

وأقول : هذا الجواب إنما يحسن لو كانت القراءة بالياء فيها والكتابة بخلافها ، وأما والقراءة على مقتضى الرسم فلا ، وقد تكلم أهل العربية على هذه الأحرف ووجهوها على أحسن توجيه .

أما قوله : ﴿ إِنَّ هَذَانِ سَاحِرَانِ ﴾ ، ففيه أوجه :

أحدها : أنه جار على لغة من يجرى المشى بالألف فى أحواله الثلاث ، وهى لغة مشهورة إسكناة ، وقيل : لبنى الحارث .

الثانى : أن اسم « إِنَّ » ضمير الشأن محذوفاً ، والجملة مبتدأ وخبر ، خبر إن .

الثالث : كذلك ، إلا أن « ساحران » خبر مبتدأ محذوف ، والقدير : لهما ساحران .

الرابع : أن « إِنَّ » هنا بمعنى نعم .

الخامس : أن « ها » ضمير الفصة اسم إن ، و « ذان لساحران » مبتدأ وخبر ، وتقدم رد هذا الوجه بانفصال « إن » واتصالها فى الرسم .

قلت : وظهر لى وجه آخر ، وهو أن الإنيان بالألف لمناسبة « ساحران يربدان »

كما نَوَّنَ ﴿سَلَاسًا﴾ ﴿لِمُنَاسِبَةٍ﴾ ﴿أَغْلَالًا﴾ ^(١) و ﴿مِنْ سَبَائٍ﴾ ﴿لِمُنَاسِبَةٍ﴾ ﴿بَنِيٍّ﴾ ^(٢) .

وأما قوله : ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ ، ففيه أيضاً أوجه :

أحدها : أنه .مقطوع إلى المذح بتقدير : « أمدح » ، لأنه أبلغ .

الثاني : أنه معطوف على المحرور في ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أى « يؤمنون بالمقيمِينَ الصلاة » ، وهم الأنبياء . وقيل الملائكة ، وقيل : التقدير : يؤمنون بدين المقيمِينَ ، فيكون المراد بهم المسلمين ، وقيل : إجابة المقيمِينَ .

الثالث : إنه معطوف على « قبل » ، أى ومن قبل المقيمِينَ ، لحذفت « قبل » ، وأقيم المضاف إليه مقامه .

الرابع : أنه معطوف على الكاف في « قبلك » .

الخامس : أنه معطوف على الكاف في « إليك » .

السادس : أنه معطوف على الضمير في « منهم » .

حكى هذه الأوجه أبو البقاء ^(٣) .

وأما قوله : ﴿وَالصَّابِتُونَ﴾ ففيه أيضاً أوجه :

أحدها : أنه مبتدأ حذف خبره ، أى والصابِتُونَ كذلك .

الثاني : أنه معطوف على محل « إن » مع اسمها ، فإن محلهما رفعٌ بالابتداء .

الثالث : أنه معطوف على الفاعل في « هادوا » .

الرابع : أن « إن » بمعنى نعم « فالذين آمنوا » وما بعده ، في موضع رفع ،

« والصابِتُونَ » عطف عليه .

الخامس : أنه على إجراء صيغة الجمع تجزئ المفرد ، والنون حرف الإعراب . حكى

هذه الأوجه أبو البقاء ^(٤) .

(٣) إملأ مامن به الرحمن ١ : ١١٧

(٢) الغل ٢٢

(١) الإنسان ٤

(٥) إملأ مامن به الرحمن ١ : ١٢٨

(٤) المائدة ٦٩

تذنيب

يقرب مما تقدم ، عن عائشة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن أشعث في المصاحف من طريق إسماعيل المسكيني ، عن أبي خلف مولى بني جُمح ، أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة ، فقال : جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى ، كيف كان رسول الله صلى عليه وسلم يقرأها ؟ قالت : آية آية ؟ قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَبُوتُونَ مَا آتَوْا ﴾ أو « والذين يأتون ما آتوا » ^(١) ، فقالت : أيتهما أحب إليك ؟ قلت : والذي نفسي بيده ، لأحدهما أحب إلى من الدنيا جميعاً ، قالت : أيهما ؟ قلت : « والذين يأتون ما آتوا » ، فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرأها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حُرِف .

وما أخرجه ابن جرير ، وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ ^(٢) قال : إنما هي خطأ من الكاتب ، « حتى تستأذِنُوا وتسلمُوا » ، أخرجه ابن أبي حاتم بلفظ « هو » — فيما أحب — مما أخطأت به الكتاب . وما أخرجه ابن الأنباري من طريق عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ « أَلَمْ يَبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً » ، فقيل : إنها في المصحف : ﴿ أَلَمْ يَأْسَ ﴾ ^(٣) ، فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس .

وما أخرجه سعيد بن منصور ، من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ﴾ ^(٤) : إنما هي « ووصى ربك » التزقت الواو بالصاد . وأخرجه ابن أشعث ، بلفظ « استمد مداً كثيراً » فالتزقت الواو بالصاد .

وأخرجه من طريق أخرى عن الضحاك ، أنه قال : كيف تقرأ هذا الحرف ؟ قال : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ ﴾ قال : ليس كذلك تقرأها نحن ، ولا ابن عباس ، إنما هي « ووصى ربك »

وكذلك كانت تُقرأ وتكتب ، فاستمدَّ كاتبكم ، فاحتمل القلم مداداً كثيراً ، فالتصقت الواو بالصاد ؛ ثم قرأ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(١) ، ولو كانت « قضي » من الرب ، لم يقطع أحد ردَّ قضاء الرب ، ولكنه وصية أوصى بها العباد .

وما أخرجه سعيد بن منصور وغيره ، من طريق عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً » ^(٢) ، ويقول : خذوا هذه الواو واجملوها هنا ، « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ... » ^(٣) الآية .

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق الزبير بن خريث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : انزعوا هذه الواو فاجملوها في ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ ^(٤) ، وما أخرجه ابن أشتة وابن أبي حاتم من طريق عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ ^(٥) ، قال : هي خطأ من الكاتب ، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة ، إنما هي « مثل نور المؤمن كمشكاة » .

وقد أجاب ابن أشتة عن هذه الآثار كلها بأن المراد أخطئوا في الاختيار ، وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة ، لأن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن ، قال : فعني قول عائشة : خُرف الهجاء ، ألقي إلى الكاتب هجاء غير ما كان الأولى أن يلقى إليه من الأحرف السبعة . قال : وكذا معنى قول ابن عباس : « كتبها وهو ناعس » ، يعني فلم يتدبر الوجه الذي هو أولى من الآخر ، وكذا سائرهما .

وأما ابن الأنباري فإنه جنح إلى تضعيف الروايات ومعارضتها بروايات آخر ، عن ابن عباس وغيره بثبوت هذه الأحرف في القراءة ، والجواب الأول أولى وأقعد .

(١) النساء ١٣١ (٢) الأنبياء ٤٨ بحذف الواو من : « ضياء » (٣) آل عمران ١٧٣
 (٤) سورة غافر ٧ (٥) النور ٣٥

ثم قال ابن أشتة: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود، حدثنا ابن الأسود، حدثنا يحيى بن آدم، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، قال: قالوا لزيد: يا أبا سعيد، أوهمت! إنما هي ثمانية أزواج من الضأن اثنين اثنين ومن المعز اثنين اثنين ومن الإبل اثنين اثنين ومن البقر اثنين اثنين، فقال: لأن الله تعالى يقول: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(١)، فهما زوجان، كل واحد منهما زوج: الذكر زوج، والأنثى زوج.

قال ابن أشتة: فهذا الخبر يدل على أن القوم يتخيرون أجمع الحروف للمعاني وأسلسها على الألسنة، وأقربها في المسأخذ، وأشهرها عند العرب للكتاب في المصاحف، وأن الأخرى كانت قراءة معروفة عند كلهم وكذا ما أشبه ذلك. انتهى.

فائدة

فيما قرئ بثلاثة أوجه: الإغراب أو البناء أو نحو ذلك، قد رأيت تأليفاً لطيفاً لأحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَيْنِي سَمَاهُ «تحفة الأفران فيما قرئ بالتثنية من حروف القرآن».

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٢)، قرئ بالرفع على الابتداء والنصب على المصدر والكسر على اتباع الدال اللام، في حركاتها.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، قرئ بالجر على أنه نعت، وبالرفع على القطع بإضمار مبتدأ، وبالنصب عليه بإضمار فعل، أو على النداء.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)، قرئ بالثلاثة.

﴿اثنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^(٥)، قرئ بكون الشين وهي افة تميم، وكسرها وهي افة الحجاز، وفتحها وهي لفة.^(٦)

﴿يَبْنَ الْمَرْءُ﴾^(٧)، قرئ بتثنية الميم لغات فيه.

﴿ فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾^(١)، قراءة الجماعة بالبناء للمفعول ، وقرئ بالبناء للفاعل ، بوزن ضَرَبَ وَعَلِمَ وَحَسُنَ .

﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّمَّنْهُمُ مِنْ بَعْضِ ﴾ : قرئ بتشليث الدال .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(٢)، قرئ بالنصب عطفاً على لفظ الجلالة ، وبالجر عطفاً على ضمير « به » وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف ، أى والأرحام مما يجب أن أن تقوه وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾^(٣) ، قرئ بالرفع صفة «القاعدون» وبالجر صفة «المؤمنين» وبالنصب على الاستثناء .

﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾^(٤)، قرئ بالنصب عطفاً على الأيدي ، وبالجر على الجوار أو غيره ، وبالرفع على الابتداء والخبر محذوف دل عليه ما قبله .

﴿ جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾^(٥) : قرئ بجر «مثل» بإضافة «جزاء» إليه ، ويرفعه وتونين «مثل» صفة له ، وينصبه مفعول «جزاء» .

﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا ﴾^(٦)، قرئ بجر «ربنا» نعتاً أو بدلاً ، وينصبه على النداء أو بإضمار أمدح ، ويرفعه ورفع لفظ الجلالة مبتدأ وخبر .

﴿ وَيَذَرِكَ وَآلِهَتِكَ ﴾^(٧) : قرئ برفع « يذرك » ، ونصبه ، وجزمه للصفة .

﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾^(٨)، قرئ بنصب «شركاءكم» مفعولاً معه ، أو معطوفاً ، أو بتقدير «وادعوا» ، ويرفعه عطفاً على ضمير «فأجمعوا» ، أو مبتدأ خبره محذوف ، ويجره عطفاً على «كم» في «أمركم» .

(٣) النساء ١

(٢) آل عمران ٣٤

(١) القرة ٣٥

(٦) المائدة ٩٥

(٥) المائدة ٦

(٤) النساء ٩٥

(٩) يونس ٧١

(٨) الأعراف ١٢٧

(٧) الأنعام ٢٣

﴿ وَكَأَيُّنْ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ﴾ ^(١) ، قرئ نجر « الأرض » عطفًا على ما قبله ، وبنصبها من باب الاشتغال ، ورفعهما على الابتداء والخبر ما بعدها .

﴿ مَوْعِدَكَ يَمْلِكُنَا ﴾ ^(٢) : قرئ بثلاث الميم .

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ ﴾ ^(٣) ، قرئ بلفظ الماضي بفتح الراء ، وكسرهما ، وضمهما ، وبلفظ الوصف بكسر الراء ، وسكونهما مع فتح الحاء ، وحرام بالفتح وألف ، فهذه سبع قراءات .
﴿ كَوَّكِبٌ دُرِّيٌّ ﴾ ^(٤) ، قرئ بثلاث الدال .

﴿ يَا سَيْنُ ﴾ ^(٥) ، القراءة المشهورة بسكون النون ، وقرئ شاذًا بالفتح للخفة ، والكسر لالتقاء الساكنين ، وبالضم على النداء .

﴿ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ ^(٦) ، قرئ بالنصب على الحال ، وشاذًا بالرفع ، أى هو ، وبالجر حملًا على « الأيام » .

﴿ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ ^(٧) ، قرئ بنصب « حين » ورفعه وجره .

﴿ وَوَقِيلَهُ يَا رَبِّ ﴾ ، قرئ بالنصب على المصدر ، وبالجر - وتقدم توجيهه - وشاذًا بالرفع عطفًا على ﴿ علم الساعة ﴾ ^(٨) .

﴿ قَافٍ ﴾ ^(٩) ، القراءة المشهورة بالسكون ، وقرئ شاذًا بالفتح والكسر لما مر .

﴿ الْحَبْكُ ﴾ ^(١٠) ، فيه سبع قراءات : ضم الحاء والباء ، وكسرهما ، وفتحهما ، وضم الحاء وسكون الباء وضمهما ، وفتح الباء وكسرهما ، وسكون الباء وكسرهما ، وضم الباء .

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ ^(١١) : قرئ برفع الثلاثة ونصبها وجرها .

(٣) الأبيات ٩٥

(٦) فصلت ١٠

(٩) ق ١

(٢) طه ٨٥

(٥) يس ١

(٨) الزخرف ٨٥ ، ٨٨

(١١) الرحمن ١٢

(١) يوسف ١٠٥

(٤) النور ٣٥

(٧) ص ٣

(١٠) التاريات ٧

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ﴿١﴾ : قَرِىُّ بَرَفَمَها وجرهما ، ونصبهما بفعل مضارع ،
أى وِزْوَ جَوْنَ .

فائدة

قال بعضهم : ليس فى القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه .
قلت : فى القرآن عدة مواضع ، أعرب كلٌّ منها مفعولا معه .
أحدها ، وهو أشهرها : قوله تعالى : ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (٢) ، أى أجمعوا
أنتم مع شركائكم أمركم ؛ ذكره جماعة منهم .
الثانى : قوله تعالى : ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٣) : قال الكرماني فى غرائب
التفسير : هو مفعول معه ، أى مع أهليكم .
الثالث : قوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ﴾ (٤) ، قال الكرماني : يحتمل أن يكون قوله : «والمشركين» مفعولا معه
من «الذين» أو من الواو فى «كفروا» .

النوع الثاني والأربعون
في قواعد خمسة يحتاج الغير إلى معرفتها

قاعدة في الضمائر

ألف ابن الأنباري في بيان الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين ، وأصل وضع الضمير للاختصار، ولهذا قام قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهرة .

وكذا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾^(٢) ، قال مكي : ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها ، فإن فيها خمسة وعشرين ضميراً ، ومن ثم لا يُعدل إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل ، بأن يقع في الابتداء ، نحو ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾^(٣) ، أو بعد «إِلَّا» نحو ﴿وَوَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٤) .

مرجع الضمير

لا بد له من مرجع يعود إليه ، ويكون ملفوظاً به سابقاً مطابقاً به ، نحو ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾^(٥) ، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٦) ، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا﴾^(٧) . أو متضمنة له ، نحو ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾^(٨) ، فإنه عائد على العدل المتضمن له «اعدلوا» . ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِغِينَ فَارِزُ قَوْمٍ مِنْهُ﴾^(٩) أي المقسوم لدلالة القسمة عليه .

(٣) الفاتحة ٥

(٦) طه ١٢١

(٩) النساء ٨

(٢) النور ٣١

(٥) هود ٤٢

(٨) المائدة ٨

(١) الأحزاب ٣٥

(٤) الإسراء ٢٣

(٧) النور ٤٠

أو دالاً عليه بالالتزام، نحو ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١)، أى القرآن، لأن الإنزال يدل عليه التزاماً. ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَا إِلَيْهِ﴾^(٢)، و«عُفِيَ» يستلزم عافياً أعيد عليه الهاء من «إليه».

أو متأخراً لفظاً لا رتبة مطابقاً نحو، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٣)، ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤)، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(٥).

أو رتبة أضافى باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع.

أو متأخراً دالاً بالالتزام نحو ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(٦). ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٧)، أضرر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها. ﴿حَتَّى نَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٨)، أى الشمس لدلالة الحجاب عليها.

وقد يدل عليه السياق فيضمرة ففهم السامع، نحو ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٩). ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا﴾^(١٠)، أى الأرض أو الدنيا. ﴿وَلَا يُؤْتِيهِ﴾^(١١)، أى الميت ولم يتقدم له ذكر.

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه، نحو ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ﴾^(١٢)، أى عمر معمر آخر.

وقد يعود على بعض ما تقدم، نحو ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١٣) إلى قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾^(١٤)، ﴿وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾^(١٥)، بعد قوله: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ﴾^(١٦).

(٣) طه ٦٧

(٦) الواقعة ٨٣

(٩) الرحمن ٢٦

(١٢) فاطر ١١

(٢) البقرة ١٧٨

(٥) الرحمن ٣٩

(٨) ص ٣٢

(١١) النساء ١١

(١٤) البقرة ٢٢٨

(١) القمر ١

(٤) القصص ٧٨

(٧) القيامة ٢٦

(١٠) فاطر ٤٥

(١٣) النساء ١١

فإنه خاص بالرجعيات والمائد عليه فيهن وفي غيرهن .

وقد يعود على المعنى كقوله في آية السكالة : ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾ ^(١) ، ولم يتقدم لفظ مثني يعود عليه ، قال الأخفش : لأن السكالة تقع على الواحد والاثنين والجمع ، فثنى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى ، كما يعود الضمير جمعاً على « مَنْ » حملاً على معناها .
وقد يعود على لفظ شيء والمراد به الجنس من ذلك الشيء ، قال الزمخشري كقوله : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ ^(٢) ، أى بجنسى الفقير والغنى لدلالة ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ على الجنسين ، ولورجع إلى التكلم به لوحده .

وقد يذكر شيان ويساد الضمير إلى أحدهما ، والغالب كونه الثانى ، نحو ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ ^(٣) ، فأعيد الضمير للصلاة . وقيل للاستعانة المفهومة من ﴿ استعينوا ﴾ . ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴾ ^(٤) ، أى القمر ، لأنه الذى يعلم به الشهور ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ^(٥) أراد « يرضوها » ، فأفرد لأن الرسول هو داعى العباد والمخاطب لهم شفاها ، ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى .
وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين ، نحو ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ^(٦) وإنما يخرج من أحدهما .

وقد يحى الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره ، نحو ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ، يعنى آدم ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً ﴾ ^(٧) ، فهذه لولده ، لأن آدم لم يخلق من نقطة .

قلت : هذا هو باب الاستخدام ، ومنه ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤَمُ ﴾ ، ثم قال : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ ^(٨) ، أى أشياء أخر مفهومة من لفظ « أشياء » السابقة .

(٣) البقرة ٤٥

(٢) النساء ١٣٥

(١) النساء ١٧٦

(٦) الرحمن ٢٢

(٥) التوبة ٦٢

(٤) يونس •

(٨) المائدة ١٠١ ، ١٠٢

(٧) المؤمنون ١٢ ، ١٣

وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له ، نحو ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ^(١) ، أى ضحى يومها ، لاضحى العشية نفسها ، لأنه لاضحى لها .

وقد يعود على غير مشاهد محسوس ، والأصل خلافه ، نحو ﴿وَإِذَا فَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٢) ، فضمير « له » عائد على الأمر ، وهو إذ ذاك غير موجود ، لأنه لما كان سابقاً فى علم الله كونه ، كان بمنزلة الشاهد الموجود .

قاعدة

الأصل عوده على أقرب مذكور ، ومن ثم أخر المفعول الأول فى قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ ^(٣) ، ليعود الضمير عليه لقربه إلا أن يكون مضافاً ومضافاً إليه ، فالأصل عوده المضاف لأنه المحدث عنه ، نحو ﴿وَإِنْ تَدْعُوا نِعْمَةً اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ ^(٤) . وقد يعود على المضاف إليه ، نحو ﴿إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ ^(٥) .

واختلف فى ﴿أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ^(٦) ، فمنهم من أعاده على المضاف ، ومنهم من أعاده إلى المضاف إليه .



قاعدة

الأصل توافق الضمائر فى المرجع حذراً من التشتيت ، ولهذا لما جوز بعضهم فى ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ^(٧) أن الضمير فى الثانى للتأبوت وفى الأول لموسى عابه الزمخشري ، وجملة تنافراً مخرجاً للقرآن عن إعجازه ، فقال : والضمائر

(٣) الأنعام ١١٢

(٦) الأنعام ١٤٥

(٢) البقرة ١١٧

(٥) غافر ٣٧

(١) النازعات ٤٦

(٤) إبراهيم ٣٤

(٧) طه ٣٩

كلها راجعة إلى موسى ، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجئة ، لما تؤدي فيه من تنافر النظم الذى هو أمّ إعجاز القرآن ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر .

وقال في ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ ^(١) : الضمائر لله تعالى ، والمراد بتعزيزه تعزيز دينه ورسوله ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد .

وقد يخرج عن هذا الأصل كما فى قوله : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ^(٢) ، فإن ضمير « فيهم » لأصحاب الكهف و « منهم » لليهود . قاله ثعلب والمبرد .

ومثله ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَضَاغَ بِهَمْ ذَرْعًا ﴾ ^(٣) ، قال : ابن عباس : ساء ظننا بقومه ، وضاق ذرعاً بأضيافه .

وقوله : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ .. ﴾ ^(٤) الآية ، فيها اثنا عشر ضميراً ، كلها للنبي صلى الله عليه وسلم ، إلا ضمير « عليه » فلصاحبه ، كما نقله السهيلي عن الأكثرين ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم تنزل عليه الكينة ، وضمير « جعل » له تعالى .

وقد يخالف بين الضمائر حذراً من التنافر ، نحو ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ^(٥) الضمير للآثني عشر ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَظْهَرُوا فِيْهِنَّ ﴾ ^(٥) أتى بصيغة الجمع مخالفاً لعوده على الأربعة .

* * *

ضمير الفصل

ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله ؛ تكاملاً وخطاباً وغيبة ، إفراداً وغيره ، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك ، نحو ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) ، ﴿ تَجِدُوهُ ﴾

(٣) هود ٧٧

(٦) البقرة ٥

(٢) الكهف ٢٢

(٥) التوبة ٣٦

(٨) المائدة ١١٧

(١) الفتح ٩

(٤) التوبة ٤٠

(٧) الصافات ١٦٥

عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ ﴿١﴾ ، ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا﴾ (٢) ، ﴿هُوَ لَا بِنَائِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (٣) .

وجوز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها ، وخرج عليه قراءة : ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ بالنصب .

وجوز الجرجاني وقوعه قبل مضارع ، وجعل منه : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (٤) ، وجعل منه أبو البقاء : ﴿وَمَكَرُ أَوْلِيكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (٥) .

ولا محلّ لضمير الفصل من الإعراب . وله ثلاثة فوائد : الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع . والتأكيد ؛ ولهذا سماه السكوفيون دعامة ، لأنه يدعم به الكلام ، أى يقوى ويؤكد ، وبني عليه بعضهم ، أنه لا يجمع بينه وبينه ، فلا يقال : زيد نفسه هو الفاضل . والاختصاص .

وذكر الزمخشري الثلاثة فى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٦) ، فقال : فائدته الدلالة على أن ما بعده خبر لصفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره .

* * *

ضمير الشأن والفصة

ويسمى ضمير الجھول ، قال فى المغنى : خالف القياس من خمسة أوجه : أحدها : عَوْدُهُ عَلَى مَا بَعْدَهُ لِرُومًا ، إذ لا يجوز للجمله المفسرة له أن تتقدم عليه ولا شئ منها .

والثانى : أن مفسرته ، لا يكون إلا جملة .

(٣) هود ٧٨

(٦) البقرة ٥

(٢) الكهف ٣٩

(٥) فاطر ١٠

(١) الزمل ٢٠

(٤) البروج ١٣

والثالث : أنه لا يُتَّبَع بتابع ، فلا يُؤكِّد ولا يُعْطَفُ عليه ، ولا يبدل منه .

والرابع : أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخ .

والخامس : أنه ملازم للإفراد .

ومن أمثلته : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) ، ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) ، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٣) .

وفائدته الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتفضيحه ، بأن يذكر أو لا مبهماً ثم يفسر .

تنبيه

قال ابن هشام : متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن ، فلا ينبغي أن يُحمَل عليه ، ومن ثمَّ ضعف قول الزمخشري في ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ ﴾ ^(٤) : إن اسم « إن » ضمير الشأن ، والأولى كونه ضمير الشيطان ، ويؤيده قراءة ﴿ وَقَبِيلَهُ ﴾ ^(٥) بالنصب ، وضمير الشأن لا يُعْطَفُ عليه .

قاعدة

جمع العاقلات لا يعود عليه الضمير غالباً إلا بصيغة الجمع ؛ سواء كان للقلة أو للكثرة ، نحو : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ^(٧) وورد الإفراد في قوله تعالى : ﴿ أَرْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ ^(٨) ولم يقل « مطهرات » .

وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الإفراد ، وفي القلة الجمع ، وقد اجتمعا في قوله : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ ^(٩) ، إلى أن قال : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرَمٌ ﴾ ^(١٠) ، فأعاد « منها » بصيغة الإفراد على الشهور ، وهي للكثرة ، ثم قال : ﴿ فَلَا

(٣) الحج ٤٦

(٦) البقرة ٢٢٨

(٢) الأنبياء ٩٧

(٥) البقرة ٢٣٣

(٨) التوبة ٣٦

(١) الإخلاص ١

(٤) الأعراف ٢٧

(٧) البقرة ٢٥

تظلموا فيهنَّ ﴿١﴾ ، فأعاده جمعاً على « أربعة حرم » ، وهي القلة .
وذكر الفراء لهذه القاعدة سرّاً لطيفاً ؛ وهو أن المميز مع جمع الكثرة هو ما زاد
على العشرة ، لما كان واحداً وحّد الضمير ، ومع القلة وهو العشرة فمادونها ، لما
كان جمعا جمع الضمير .

قاعدة

إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بُدِئ باللفظ ثم بالمعنى ؛ هذا هو الجادة
في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، أفرد
أولاً باعتبار اللفظ ، ثم جمع باعتبار المعنى . وكذا ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ^(٣)
قال الشيخ علم الدين العراقي : ولم يحى في القرآن البداءة بالحمل على المعنى ، إلا في
موضع واحد ، وهو قوله : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كُورُوا
وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ ^(٤) ، فأنت « خالصاً » حملاً على معنى « ما » ، ثم راعى اللفظ ، فذكر
فقال : ﴿ مُحَرَّمٌ ﴾ . انتهى .

قال ابن الحاجب في أماليه : إذا حمل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى ، وإذا
حُمل على المعنى ضُعف الحمل بعده على اللفظ ؛ لأن المعنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد
اعتبار اللفظ ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف .

وقال ابن جني في المحتسب : لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى ،
وأورد عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَمْشِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ *
وَأَنَّهُمْ كَيْفَ ضَدُّوهُمْ عَنِ النَّسَبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ حَتَّى إِذَا
جَاءَنَا ﴾ ^(٥) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى .

وقال محمود بن حمزة في كتاب المعانيب : ذهب بعض النحويين إلى أنه لا يجوز الحذف على اللفظ بعد الحمل على المعنى ، وقد جاء في القرآن بخلاف ذلك ، وهو قوله : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ ^(١) ، قال ابن خالويه في كتاب « ايس » : القاعدة في « مَنْ » ونحوه الرجوع من اللفظ إلى المعنى ، ومن الواحد إلى الجمع ، ومن المذكور إلى المؤنث ، نحو ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ ^(٢) ، ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) ، أجمع على هذا النحويون .

قال : وليس في كلام العرب ولا في شيء من العربية الرجوع من المعنى إلى اللفظ ، إلا في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ^(٤) ، الآية ، وحذف « يؤمن » و « يعمل » و « يدخله » ، ثم جمع في قوله : « خالدين » ، ثم وحذف قوله : ﴿ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ ^(٥) فرجع بعد الجمع إلى التوحيد .

* * *

قاعدة

في التذكير والتأنيث

التأنيث ضربان : حقيقي وغيره ؛ فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً ؛ إلا إن وقع فصل ، وكلما كثر الفصل حسن الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ؛ ما لم يكن جمعاً ، وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن ، نحو ﴿ قَمَنَ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ ^(٧) ، ؛ فإن كثر الفصل ازداد حسناً ، نحو ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ ^(٨) .

(١) البقرة ١١٢

(٢) الأحزاب ٣١

(٣) الطلاق ١١

(٤) هود ٦٧

(٥) آل عمران ١٣

(٦) البقرة ٢٧٥

(٧) — الإيفان ج ٢ (١٩)

والإثبات أيضاً حسن ، نحو ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾^(١) ، فجمع بينهما في سورة هود .

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف ، واستدل بأن الله قدمه على الإثبات ، حيث جمع بينهما .

ويجوز الحذف أيضاً مع عدم الفصل حيث الإسناد إلى ظاهره ، فإن كان إلى ضميره امتنع .

وحيث وقع ضمير أو إشارة بين مبتدأ وخبر ، أحدهما مذكّر والآخر مؤنث ، جاز في الصمير والإشارة التذكير والتأنيث ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾^(٢) ، فذكر والخبر مؤنث لتقدم السد وهو مذكّر ، وقوله تعالى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) ذكر والمشار إليه اليد والعصا ، وهما مؤنثان لتذكير الخبر ، وهو «برهانان» .

وكل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملاً على الجنس ، والتأنيث حملاً على الجماعة ، كقوله : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٤) ، ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(٥) ، ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٦) ، وقرئ : ﴿تَشَابَهَتْ﴾ ، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾^(٧) ، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٨) .

وجعل منه بعضهم : ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾^(٩) ، ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ﴾^(١٠) . وقد سئل : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(١١) ، وقوله : ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(١٢) . وأجيب بأن ذلك لوجهين : لفظي ، وهو كثرة حروف الفاصل في الثاني - والحذف

(٣) (القصص ٣٢)

(٢) (الكهف ٩٨)

(١) (هود ٩٤)

(٦) (البقرة ٧٠)

(٥) (القمر ٢٠)

(٤) (الحاقة ٧)

(٩) (يونس ٢٢)

(٨) (الانقطار ١)

(٧) (المزمل ١٨)

(١٢) (الأعراف ٣٠)

(١١) (الحبل ٣٦)

(١٠) (الأنبياء ٨١)

مع كثرة الحواجز أكثر - ومعنوي وهو أن « مَنْ » في قوله : ﴿ مَنْ حَقَّتْ ﴾ راجعة إلى الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً بدليل ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً ﴾ ^(١) ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ ^(٢) ، أي من تلك الأمم ، ولو قال : « ضَلَّتْ » لتعميت التاء ، والكلامان واحد ، وإذا كان معناه واحداً ، كان إثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها ثابتة فيما هو معناه . وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَى ... ﴾ الآية ، فالفريق يذكّر ، ولو قال : « فريق ضلّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ في معناه ، فجاء بغير تاء . وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يدّعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم ، إذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم .

* * *

قاعدة

في التعمير والتفكير

اعلم أن لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر ، أما التفكير فله أسباب :
أحدها : إرادة الوحدة ، نحو ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ^(٣) ، أي رجل واحد ، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ ^(٤) .
الثاني : إرادة النوع ، نحو ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ ^(٥) ، أي نوع من الذكور ، ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ ^(٦) ، أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس ، بحيث غطى مالا يغطيه شيء من الغشاوات . ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ ^(٧) ، أي نوع منها ، وهو الازدياد في المستقبل ، لأن الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر .
ويحتمل الوحدة والنوعية معاً قوله : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ ^(٨) ، أي

(٢) الزمر ٢٩

(٦) البقرة ٩٦

(٢) القصص ٢٠

(٥) البقرة ٧

(١) النحل ٣٦

(٤) ص ٤٩

(٧) النور ٤٥

كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء ، وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد الثنطف .

الثالث : التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف ، نحو ﴿ فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ ﴾ ^(١) ،
أى بحرب أى حرب ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ ^(٣) ،
﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ ^(٥) .

الرابع : التكثير ، نحو ﴿ إِنَّا لَمَّا لَا جُرَّاءَ ﴾ ^(٦) ، أى وإفراً جريلاً .

ويحتمل التعظيم والتكثير معاً ، نحو ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ ﴾ ^(٧) ، أى رسل
عظام ذوو عددٍ كثير .

الخامس : التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حدٍّ لا يمكن أن يعرف ، نحو ﴿ إِنْ تَنْظُرْ
إِلَّا ظَنًّا ﴾ ^(٨) ، أى ظناً حقيراً لا يعابيه ، وإلّا لا تبعوه ، لأن ذلك دبتهم ، بدليل
﴿ إِنْ يَذَّيْبُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ ^(٩) ، ﴿ مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ ^(١٠) ، أى من شىء حقير مهين ،
ثم بينه بقوله : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾ .

السادس : التقابل نحو ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ^(١١) ، أى رضوان قليل منه أكبر
من الجنات ، لأنه رأس كل سعادة .

قليلٌ منك يكفى ولكن قليلك لا يقال له قليل

وجعل منه لزمخشرى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ^(١٢) ، أى ليلاً قليلاً
أى بعض ليل .

وأورد عليه أن التقاليل رد الجنس إلى فرد من أفرادها ، لا تنقيص فرد إلى جزء من

(٣) مريم ١٥

(٦) الشعراء ١٠١

(٩) الأنعام ١١٦

(١٢) الإسراء ١

(٢) البقرة ١٠

(٥) البقرة ٢٥

(٨) الجنات ٣٢

(١١) النوبة ٧٢

(١) البقرة ٢٧٩

(٤) الصافات ١٠٩

(٧) طاهر ٤

(١٠) عبس ١٨ ، ١٩

أجزائه، وأجاب في عروس الأفراح بأننا لانسلم أن الليل حقيقة في جميع الليلة، بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلاً.

وعد السكاكي من الأسباب ألا يعرف من حقيقة إلا ذلك. وجعل منه أن تقصد التجاهل، وأنت لا تعرف شخصه كقواك: هل لك في حيوان على صورة إنسان يقول كذا! وعليه من تجاهل الكفار، هل تدلّكم على رجل ينشكم! كأنهم لا يعرفونه. وعدّ غيره منها قصد العموم، بأن كانت سياق النفي نحو ﴿لأريب فيه﴾ (٢)، ﴿فلأرقت...﴾ (١) الآية.

أو الشرط، نحو ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ (٣).
أو الامتنان، نحو ﴿وأزلفنا من السماء ماءً طهّورا﴾ (٤).

وأما التعريف فله أسباب، فبالإضمار لأن المقام مقام التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وبالعلمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به، نحو ﴿قل هو الله أحد﴾ (٥) ﴿محمد رسول الله﴾ (٦).

أو لتعظيم أو إهانة، حيث علمه ينتقضى ذلك، فمن التعظيم ذكر يعقوب بآية إسرائيل، لمآفيه من المدح والتعظيم بكونه صفوة الله، أو سرى الله، على ماسياتي في معناه في الانقلاب. ومن الإهانة: قوله ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ (٧). وفيه أيضاً نكتة أخرى، وهي الكناية عن كونه جهنمياً.

وبالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حساً نحو: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ (٨).

وللتعريض بغاوة السامع حتى أنه لا يميز له الشيء إلا بإشارة الحسن، وهذه الآية تصلح لذلك؛ ولبيان حاله في القرب والبعد فيؤتى في الأول بنحو هذا، وفي الثاني بنحو ذلك وأولئك.

(٣) التوبة ٦

(٦) الفتح ٢٩

(٢) البقرة ١٩٧

(٥) الإخلاص ١

(٨) لقمان ١١

(١) البقرة ٢

(٤) الفرقان ٤٨

(٧) تبّت ١

ولفصد تخفيره بالقرب ، كقول الكفار : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَدَّكُمْ آلِهَتَكُمْ ﴾ (١) ،
﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٢) ، ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ (٣) ، وكقوله
تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَأَمْبٌ ﴾ (٤) .

ولقصده تعظيمه بالبعد ، نحو : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٥) ، ذهاباً إلى
بُعد درجته .

وللتنبية بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يرد بعده من أجلها ،
نحو : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

وبالموصولة ، لكرهه ذكره بخاص اسمه ، إما ستراً عليه ، أو إهانة له أو لغير ذلك ، فيؤتى
بالذی ونحوها موصولة بما صدر منه من فعل أو قول ، نحو : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِّ
لَكُمَا ﴾ (٧) ، ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ (٨) .

وقد يكون لإرادته العموم ، نحو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْأَمُوا... ﴾ (٩)
الآية ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١٠) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ﴾ (١١) .

وللاختصار ، نحو : ﴿ لَا تَسْكُونُوا كَآذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ﴾ (١٢) ،
أى قولهم إنه آذر ، إذ لو عد أسماء القائلين لاطال ؛ وليس للعموم لأن بنى إسرائيل
كلهم لم يقولوا في حقه ذلك .

وبالآلف واللام للإشارة إلى معهود خارجي أو ذهني أو حضوري .

وللاستغراق حقيقة أو مجازاً ، أول تدوير الماهية ؛ وقد مرّت أمثلتها في نوع الأدوات .

(٣) البقرة ٢٦

(٦) البقرة ٥

(٩) فصلت ٣٠

(١٢) الأنعام ٦٩

(٢) الفرقان ٤١

(٥) البقرة ٢

(٨) يوسف ٢٣

(١١) غافر ٦٠

(١) الأبياء ٣٦

(٤) العنكبوت ٦٤

(٧) الأحقاف ١٧

(١٠) العنكبوت ٦٩

وبالإضافة لكونها أخصر طريق ، ولتعظيم المضاف ، نحو : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ^(١) ، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ^(٢) أى الأصفاء . فى الآيتين ، كما قاله ابن عباس وغيره .

واقصد العموم ، نحو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ ^(٣) ، أى كل أمر الله تعالى .

* * *

فائدة

سئل عن الحكمة فى تنكير « أحد » وتعريف « الصمد » من قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ^(١) ، وألفت فى جوابه تأليفاً مودعاً فى الفتاوى ، وحاصله أن فى ذلك أجوبة :

أحدها : أنه نكر للتعظيم والإشارة إلى أن مدلوله ، وهو الذات المقدسة غير ممكن تعريفها والإحاطة بها .

الثانى : أنه لا يجوز إدخال « أل » عليه كغير وكل وبعض ، وهو فاسد ، فقد قرئ شاذاً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ، حكى هذه القراءة أبو حاتم فى كتاب الزينة ، عن جعفر بن محمد .

الثالث : وهو مما خطر لى أن هو مبتدأ والله خبر ، وكلاهما معرفة ، فاقتضى الحصر ، فعرف الجزآن فى « الله الصمد » ، لإفادة الحصر ليطابق الجملة الأولى ، واستغنى عن تعريف « أحد » فيها لإفادة الحصر دونه ، فأتى به على أصله من التنكير ، على أنه خبر ثان . وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و « أحد » خبره ، ففيه من ضمير الشأن ما فيه من التفضيم والتعظيم ، فأتى بالجملة الثانية على نحو الأولى ، بتعريف الجزأين للحصر تفضيماً وتعظيماً .

قاعدة أخرى

تتعلق بالتعريف والتنكير

إذا ذكر الاسم مرتين ، فله أربعة أحوال ؛ لأنه إما أن يكونا معرفتين ، أو نسكرتين ، أو الأول نسكرة والثاني معرفة ، أو بالعكس .

فإن كانا معرفتين فالثاني هو الأول غالباً ، دلالة على المهود الذي هو في الأصل في اللام أو الإضافة ، نحو ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ (١) ، ﴿ فَأَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصَالَهُ الدِّينَ ﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿ (٢) ، ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَبَآاً ﴾ ولقد علمت الجنة ﴿ (٣) ، ﴿ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (٤) ﴿ لَعَلَىٰ أُبُلَغَ الْأَسْبَابَ ﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴿ (٥) .

وإن كانا نسكرتين فالثاني غير الأول غالباً ، وإلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهوداً سابقاً ، نحو ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (٦) ، فإن المراد بالضعف الأول النطفة ، وبالثاني الطفولية ، وبالثلث الشيخوخة .

وقال ابن الحاجب في قوله تعالى : ﴿ عُدُّوْهَا شَهْرًا وَرَوَّاحُهَا شَهْرًا ﴾ (٧) : الفائدة في إعادة لفظ الشهر الإعلام بتقدار زمن القدوة وزمن الرواح ، والألفاظ التي تأتي مبيّنة للمقادير لا يحسن فيها الإضمار ، ولو أضمر فالضمير إنما يكون لما تقدم باعتبار خصوصيته ، فإذا لم يكن له ، وجب المدول عن المضمّر إلى الظاهر .

وقد اجتمع التسمان في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ (٨) ،

(٣) الصافات ١٥٨

(٦) الروم ٥٤

(٢) الزمر ٣٠ ، ٢

(٥) غافر ٣٧ ، ٣٦

(٨) الشرح ٦٠ ، ٥

(١) الفاتحة ٦ ، ٧

(٤) غافر ٩

(٧) سبأ ١٢

فالعسر الثاني هو الأول والبسر الثاني غير الأول ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الآية :
« أَنْ يَغْلِبَ عُسْرُهُ يُسْرِينَ » .

وإن كان الأول نكراه والثاني معرفة ، فالثاني هو الأول حملاً على العهد ، نحو ﴿ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ ﴾ ^(١) ، ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ إِلَىٰ مِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، ﴿ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ ^(٤) .
وإن كان الأول معرفة والثاني نكراه ، فلا يطلق القول بل يتوقف على القرائن ، فتارة تقوم قرينة على التغاير ، نحو ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ ^(٥) ، ﴿ يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى ﴾ ^(٧) . قال الزمخشري : المراد جميع حائاته من الدين والمعجزات والشرائع ، وهدى : إرشاداً وتارة تقوم قرينة على الاتحاد ، نحو ﴿ وَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٨) .

تنبيه

قال الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح وغيره : إن الظاهر أن هذه القاعدة غير محررة فإنها منتقصة بآيات كثيرة ، منها في القسم الأول :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ^(٩) ؛ فإنهما معرفتان والثاني غير الأول
﴿ الْخُرُّ بِالْخُرِّ ... ﴾ ^(١٠) الآية ﴿ هَلْ آتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ ^(١١) ، ثم قال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ ، فإن الأول آدم والثاني ولده .

(٣) الشورى ٥٢ ، ٥٣

(٦) النساء ١٥٣

(٩) الرحمن ٦٠

(٢) النور ٣٥

(٥) الروم ٥٥

(٨) الزمر ٢٧ ، ٢٨

(١١) الإنسان ٢ ، ١

(١) المزمل ١٥ ، ١٦

(٤) الشورى ٤١ ، ٤٢

(٧) غافر ٥٣ ، ٥٤

(١٠) البقرة ١٧٨

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(١)
فإن الأول القرآن والثاني التوراة والإنجيل .

ومنها في القسم الثاني :

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾^(٢) .
﴿بَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾^(٣) ، فإن الثاني
فيهما هو الأول، وهما نكرتان .

ومنها في القسم الثالث :

﴿أَنْ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٤) .

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(٥) .

﴿وَبَرِّزْكُمْ فُتُوءَ إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾^(٦) .

﴿لِيَزِدَّادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(٧) .

﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾^(٨) .

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ﴾^(٩) فإن الثاني فيها غير الأول .

وأقول : لا انتقاض بشئ من ذلك عند التأمل فإن اللام في الإحسان للجنس فيما يظهر ،
وحينئذ يكون في المعنى كالتسكرة ، وكذا آية النفس والحرّ بخلاف آية العسر ؛ فإن
« أَل » فيها إمّا للعهد أو للاستغراق كما يفيد الحديث ، وكذا آية الظنّ ، لأنّ سلم فيها أن
الثاني فيها غير الأول ؛ بل هو عينه قطعاً ، إذ ليس كلّ ظنّ مذموماً ، كيف وأحكام
الشرعية ظنّية ! وكذا آية الصلح ، لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور ،
وهو الذي بين الزوجين ، واستحباب الصلح في سائر الأمور مأخوذ من السّمة ومن الآية
بطريق القياس ، بل لا يجوز القول بعموم الآية ، وأنّ كلّ صلح خير ، لأنّ ما أحلّ حراماً
من الصلح ، أو حرّمّ حلالاً فهو ممنوع ، وكذا آية القتال ليس الثاني فيها عين الأول
بلا شك لأنّ المراد بالأول المستول عنه القتال الذي وقع في سرّية ابن الحضرمي سنة

(١) العنكبوت ٤٧

(٢) الزخرف ٨٤

(٣) البقرة ٢١٧

(٤) النساء ١٢٨

(٥) هود ٣

(٦) هود ٥٢

(٧) الفتح ٤

(٨) النحل ٨٨

(٩) يونس ٣٦

اثنين من الهجرة لأن سبب نزول الآية ، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه .
وأما آية ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ ﴾ ^(١) ، فقد أجاب عنها الطيبي أنها من باب التكرير ، لإفادة أمر زائد ، بدليل تكرير ذكر الرب فيما قبله من قوله : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ ﴾ ^(٢) ، ووجهه الأطناب في تنزيهه تعالى عن نسبة الولد إليه ، وشرط القاعدة ألا يقصد التكرير .

وقد ذكر الشيخ بهاء الدين في آخر كلامه : إن المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكوراً في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل ، بأن يكون أحدهما معطوفاً على الآخر ، وله به تعلق ظاهر وتناسب واضح ، وأن يكونا من متكلم واحد ، ودفع بذلك إيراد آية القتال ؛ لأن الأول فيها محكي عن قول السائل والثاني محكي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

قاعدة

في الإفراد والجمع

من ذلك السماء والأرض ، حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ، ولم تجمع ، بخلاف السموات لتقل جمعها وهو أرضون ؛ ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ ^(٣) ، وأما السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد لتليق بذلك الحل ، لما أوضحت في أسرار التنزيل . والحاصل أنه حيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع للهالة على سعة العظمة والكثرة ، نحو ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٤) ، أي جميع سكانها على كثرتهم ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٥) أي كل واحد على اختلاف عددها ، ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٦) ، إذ المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة واحدة من السموات .

وحيث أريد الجهة أتى بصيغة الإفراد، نحو ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ ^(١) ، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ ^(٢) ، أى من فوقكم .

* * *

ومن ذلك الريح ذكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة جمعت ، أو في سياق العذاب أفردت .

أخرج ابن أبي حاتم وغيره ، عن أبي بن كعب ، قال : « كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب » ، ولهذا ورد في الحديث : « اللهم اجعلها رياحاً ، ولا تجعلها ريحاً » . وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبّات والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر شورتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات ؛ فكانت في الرحمة رياحاً ، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى في سورة يونس : ﴿وَجَرَيْنِ بَيْنَهُمَ رِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ^(٣) ، وذلك لوجهين : لفظي وهو المقابلة في قوله : ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ ^(٤) ورب شيء يحوز في المقابلة ولا يحوز استقلالاً ، نحو ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾ ^(٥) . ومعنوي ، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد ، فإن اختلفت عليها الريح كان سبب الهلاك ، والمطلوب هنا ريح واحدة ، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب ، وعلى ذلك أيضاً جرى قوله : ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ^(٥) .

وقال ابن المنير : إنه على القاعدة . لأن سكون الريح عذاب وشدة على أصحاب السنين . ومن ذلك أفراد النور وجمع الظلمات ، وأفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل ، في

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَفَرَّقَ بَيْنَكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ﴾ ^(١)؛ لأن طريق الحق واحدة، وطريق الباطل مشعبة متعددة، والظلمات بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هما، ولهذا وحّد «وليّ المؤمنين»، وجمع «أولياء الكفار» لتعدد هم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ^(٢).

ومن ذلك إفراد النار حيث وقعت، والجنة وقعت مجموعة ومفردة؛ لأن الجنان مختلفة الأنواع بخسن جمعها والنار مادة واحدة، ولأن الجنة رحمة والنار عذاب، فناسب جمع الأولى وإفراد الثانية على حدّ الرياح والريح.

ومن ذلك إفراد السمع، وجمع البصر؛ لأن السمع غلب عليه المصدرية، فأفرد بخلاف البصر، فإنه اشتهر في الجارحة، ولأن متعلّق السمع الأصوات، وهي حقيقة واحدة. ومتعلّق البصر الألوان والأشياء، وهي حقائق مختلفة، فأشار في كلّ منهما إلى متعلّقه.

ومن ذلك إفراد الصديق وجمع الشافعين في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ^(٣)، وحكته كثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق. قال الزمخشري: ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم، نهضت جماعة وافرة من أهل بلدى لشفاعته رحمة، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق فأعز من بيض الأنوق.

ومن ذلك: «الألباب» لم يقع إلا مجموعاً، لأن مفردة ثقيل لفظاً.

ومن ذلك مجيئ المشرق والمغرب بالإفراد والتثنية والجمع، حيث أفردا فاعتباراً للجهة، وحيث ثنياً فاعتباراً لمشرق الصيف والشتاء ومغربها، وحيث جمعا فاعتباراً

لتعدد المطالع في كل فصل من فصول السنة .

وأما وجه اختصاص كل موضوع بما وقع فيه ، ففي سورة الرحمن وقع بالثنائية ، لأن سياق السورة سياق المزدوجين ، فإنه سبحانه وتعالى ذكر أولاً نوعي الإيجاد وهما الخلق والتعليم ، ثم ذكر سراجي العالم الشمس والقمر ، ثم نوعي النبات ما كان على ساق وما لاساق له ، وهما النجم والشجر ، ثم نوعي السماء والأرض ، ثم نوعي المدل والظلم ، ثم نوعي الخارج من الأرض ، وهما الحبوب والرياحين ، ثم نوعي المكافين وهما الإنس والجان ، ثم نوعي المشرق والمغرب ، ثم نوعي البحر الملح والعذب ؛ فلهذا حسن ثنائية المشرق والمغرب في هذه السورة ، وجمعا في قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ ^(١) ، وفي سورة الصافات للدلالة على سعة القدرة والعظمة .

فائدة

حيث ورد « البار » مجموعا في صفة الآدميين قيل « أبرار » ، وفي صفة الملائكة قيل « بررة » ؛ ذكره الراغب ، ووجهه بأن الثاني أبلغ ، لأنه جمع بار ، وهو أبلغ من « بر » مفرد الأول .

وحيث ورد الأخ مجموعا في النسب قبل إخوة ، وفي الصداقة قيل إخوان ، قاله ابن فارس وغيره ؛ وأورد عليه في الصداقة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٢) ، وفي النسب ﴿ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ ^(٣) .

فائدة

ألف أبو الحسن الأجنف كتابا في الأفراد والجمع ، ذكر فيه جمع ما ونوع في القرآن

مفرداً ، ومفرد ما وقع جمماً ، وأكثره من الواضحات ، وهذه أمثلة من خفي ذلك .

المن : لا واحده .

السُّلوى : لم يُسمع له بواحد .

النصارى : قيل جمع نصرانيّ ، وقيل جمع نصير ، كنديم وقبيل .

العَوّان : جمعه عَوْن .

الهُدى : لا واحده .

الإعصار : جمعه أعاصير .

الأنصار : واحده نصير ، كشریف وأشراف .

الأزلام : واحدها زَلَم ، ويقال : زَلَمَ بالضم .

مِدْراراً : جمعه مدارير .

أساطير : واحده أسطورة ، وقيل أسطار ، جمع سَطَر .

الصُّور : جمع صُورَة ، وقيل وأحد الأصواز .

فُرَادى : جمع أفراد ، جمع فرد .

قِنَوَان : جمع قِنُو . وصنوان : جمع صِنُو ؛ وليس في اللغة جمع ومثنى بصيغة واحدة .

إلا هذان ، ولفظ ثالث لم يقع في القرآن ، قاله ابن خالويه في كتاب « ليس » .

الحوايا : جمع حاوية ، وقيل حاوباء .

نُشْرَا : جمع نُشُور .

عُضَيْن وعِزَيْن : جمع عُضَة وعِزَة .

المُشائى : جمع مثنى .

تارة : جمعها تارات وتير .

أبقاظاً : جمع يَقْظُ .

الأرائك : جمع أريكة .

سرى : جمعه سريان ، كخعتى وخصيان .

آناء الليل : جمع إِنَاءٌ بالقصر كعمى ، وقيل : إِنَى كقِرْد . وقيل : إِنَوَةٌ كقِرْفَة .

الصياصى : جمع صيصية .

منسأة : جمعها مناسى .

الحرور : جمعه حرور بالضم .

غرايب : جمع غريب .

أتراب : جمع ترُب .

الألاء : جمع إِلَى كيمى ، وقيل إِلَى كتمى ، وقيل إِلَى كقِرْد ، وقيل ألو .

التراقى : جمع ترقوة ، بفتح أوله .

الأمشاج : جمع مشج .

ألفافاً : جمع إِفّ ، بالكسر .

العشار : جمع عُشر .

الخنس : جمع خنسة ، وكذا الكنس .

الزبانية : جمع زبانية ، وقيل زابن ، وقيل زبانى .

أشتاناً : جمع شتّ وشتيت .

أباييل : لا واحد له ، وقيل واحدُه إِبُول مثل عَجُول ، وقيل : إَيْيَل مثل إِكْلِيل .

فائدة

ليس في القرآن من الألفاظ المعدولة إلا ألفاظ العدد « مثنى وثلاث ورباع » ، ومن غيرها « طوى » ، فيما ذكره الأخفش في الكتاب المذكور ، ومن الصفات « آخر » في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُ مَتَشَابَهَاتٍ ﴾ ^(١) .

قال الراغب وغيره : هي معدولة عن تقدير ما فيه الألف واللام ، وليس له نظير في كلامهم ، فإن « أفعَل » إما أن يذكر معه « مِن » لفظاً أو تقديرًا ، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وتحذف منه « مِن » فتدخل عليه الألف واللام ، ويثنى ويجمع ، وهذه اللفظة من بين أخواتها يجوز فيها ذلك من غير الألف واللام .

وقال الكرماني في الآية المذكورة : لا يمتنع كونها معدولة عن الألف واللام مع كونها وصفًا لنسكرة ؛ لأن ذلك مقدر من وجه ، غير مقدر من وجه .

قاعدة

مقابلة الجمع بالجمع تارة تقتضي مقابلة كل فرد من هذا بكل فرد من هذا ، كقوله : ﴿ وَاسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ ^(٢) ، أي استفشى كل ثوب منهم ثوبه .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ^(٣) ، أي على كل من مخاطبين أمه .

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ^(٤) ، أي كلًا في أولاده .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ ^(٥) ، أي كل واحدة ترضع ولدها .

وتارة يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد من أفراد المحكوم عليه ، نحو ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ ^(٦) . وجعل منه الشيخ عز الدين : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ ^(٧) .

(٣) النساء ٢٣

(٢) نوح ٧

(١) آل عمران ٧

(٦) البقرة ٤

(٥) البقرة ٢٣٣

(٤) النساء ١١

(٧) البقرة ٢٥

وتارة يحتمل الأمرين فيحتاج إلى دليل يبين أحدهما .

وأما مقابلة الجمع بالفرد فالغالب ألا يقتضى تعميم المفرد ، وقد يقتضيه كما في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ ^(١) ، المعنى : على كل واحد لكل يوم طعام مسكين ، والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ^(٢) ، لأن على كل واحد منهم ذلك .

قاعدة في الألفاظ يظن بها الترادف ، وليست منه .

من ذلك الخوف والخشية ؛ لا يكاد القوي يفرق بينهما ، ولا شك أن الخشية أعلى منه ، وهى أشد الخوف ؛ فإنها مأخوذة من قولهم : شجرة خشية أى يابسة ، وهو قوات بالسكية ، والخوف من ناقة خوفاء أى بها داء ، وهو نقص ، وليس بفوات ؛ ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعالى : ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ^(٣) . وفرق بينهما أيضاً ، بأن الخشية تكون من عظام الخشْي ، وإن كان الخاشي قوياً ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان الخوف أمراً يسيراً ؛ وبدل لذلك أن الخاء والشين والياء في تقاليها تدل على العظمة ، نحو شيخ للسيد الكبير ، وخيش لما غاظ من اللباس ، ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى نحو : ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ^(٤) ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ^(٥) وأما ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ﴾ ^(٦) ، ففيه نكتة لطيفة ، فإنه في وصف الملائكة ، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم ، عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظاً شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاء ، ثم أردفه بالقوقية الدالة على العظمة ، فجمع بين الأمرين ؛ ولما كان ضعف البشر معلوماً لم يحتاج إلى التنبيه عليه . ومن ذلك الشح والبخل ؛ والشح هو أشد البخل . قال الراغب : الشح يخل مع حرص .

وفترق المسكرى بين البخل والضحى ، بأن الضحى أصله أن يكون بالموارى والبخل بالهبات ؛ ولهذا يقال : هوضنين بعلمه ولا يقال بخيل ؛ لأن العلم بالعارية أشبه منه بالهبة ، لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه ؛ بخلاف العارية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ ^(١) ، ولم يقل : ببخيل .

ومن ذلك السبيل والطريق ، والأول أغلب وقوعاً في الخير ، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقروناً بوصف أو إضافة تخلّصه لذلك . كقوله : ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) وقال الراغب : السبيل الطريق التي فيها سهولة ، فهو أخص .

ومن ذلك جاء وآتى ؛ فالأول يقال في الجواهر والأعيان ، والثانى فى المعانى والأزمان ، ولهذا ورد « جاء » فى قوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ بِهِ خَلٌّ بِعَيْرٍ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَجِئْتُ بِوَمْنَةٍ يُخَفِّئُهُمْ ﴾ ^(٥) . وآتى فى ﴿ أَنَّى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ أَنَاهَا أَمْرُنَا ﴾ ^(٧) .

وأما ﴿ وَجَاءَ رَبِّكَ ﴾ ^(٨) أى أمره ، فإن المراد به أهوال القيامة المشاهدة ، وكذا ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ ^(٩) ، لأن الأجل كالشاهدة ، ولهذا عبر عنه بالحضور فى قوله : « حضره الموت » ولهذا فترق بينهما فى قوله : ﴿ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١٠) ، لأن الاول العذاب وهو مشاهد مرئى ، بخلاف الحق .

وقال الراغب : الإتيان محىء بسهولة ، فهو أخص من مطلق المحىء ، قل : ومنه قيل للسائل المار على وجهه : آتى وأتاوى .

(٣) يوسف ٧٢

(٦) الحجر ١

(٩) الأعراف ٣٥

(٢) الأحقاف ٣٠

(٥) الفجر ٢٣

(٨) الفجر ٢٢

(١) التكوين ٢٤

(:) يوسف ١٨

(٧) يونس ٢٤

(١٠) الحجر ٦٣ ، ٦٤

ومن ذلك مدوآمد ، قال الرغب : أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب ، نحو ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ ^(١) ، والذئى المكروه نحو ﴿وَتَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ^(٢) .

ومن ذلك سقى وأسقى ؛ فالأول لما لا كلفة فيه ، ولهذا ذكر في شراب الجنة ، نحو ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾ ^(٣) ، والثانى لما فيه كلفة ، ولهذا ذكر في ماء الدنيا ، نحو ﴿لَأَسْقِيَنَّاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ^(٤) . وقال الراغب : الإسقاء أبلغ من السقى ، لأن الإسقاء أن يجعل له ماء يسقى منه ويشرب ، والسقى أن يعطيه ما يشرب .

ومن ذلك عمل وفعل ؛ فالأول لما كان من امتداد زمان ؛ نحو ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ ^(٥) ، ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ ^(٦) ، لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد ، والثانى بخلافه ، نحو ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ^(٧) ، ﴿كَيْفَ قَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ^(٨) ، ﴿كَيْفَ قَعَلْنَا بِهِمْ﴾ ^(٩) ، لأنها إهلاكات وقعت من غير بقاء ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(١٠) ، أى فى طرفه عين . ولهذا عبر بالأول فى قوله : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ^(١١) ، حيث كان المقصود المناورة عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة ، وبالثانى فى قوله : ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ ^(١٢) ، حيث كان ، بمعنى سارعوا ، كما قال : ﴿فَاسْتَدِيقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ^(١٣) ، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ^(١٤) ، حيث كان القصد يأتون بها على سرعة من غير توان .

ومن ذلك القعود والجلوس ؛ فالأول لما فيه ثبث بخلاف الثانى ، ولهذا يقال : قواعد البيت ولا يقال جواسه ، للزومها ولبثها ؛ ويقال : جاليس الملك ولا يقال قعیده ؛

(٣) الإنسان ٢١

(٦) يس ٧١

(٩) إبراهيم ٤٥

(١٢) الحج ٧٧

(٢) مريم ٧٩

(٥) سبأ ١٣

(٨) الحجر ٦

(١١) البقرة ٢٥

(١٤) المؤمنون ٤

(١) الطور ٢٢

(٤) الجن ١٦

(٧) الفيل ١

(١٠) النحل ٥٠

(١٣) البقرة ١٤٨

لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف ، ولهذا استعمل الأول في قوله : ﴿ مَقْمَدٌ صِدْقٌ ﴾ ^(١) ، للإشارة إلى أنه لا زوال له ، بخلاف ﴿ تَفَحَّجُوا فِي الْمَجَالِسِ ﴾ ^(٢) ؛ لأنه يجلس فيه زماناً يسيراً .

ومن ذلك التمام والكمال ؛ وقد اجتمعا في قوله : ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ^(٣) ، فقيل : الإتمام لإزالة نقصان الأصل ، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل ، ولهذا كان قوله : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ^(٤) ، أحسن من « تامة » ، فإن التمام من العدد قد علم ، وإما في احتمال نقص في صفاتها . وقيل : تمّ يشعر بحصول نقص قبله ، وكمل لا يشعر بذلك . وقال العسكري : الكمال اسم لاجتماع أبعاد الموصوف به ، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف ، ولهذا يقال : القافية تمام البيت ، ولا يقال : كماله ، ويقولون : البيت يكمله ، أى باجماعه .

ومن ذلك الإعطاء والإيتاء ، قال الخوئي : لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما ؛ وظهر لي بينهما فرق بنى عن بلاغة كتاب الله ، وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ، لأن الإعطاء له مطاوع ، تقول : أعطاني فمطوت ، ولا يقال في الإيتاء : آتاني فأيت ، وإنما يقال آتاني فأخذت ، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له ؛ لأنك تقول : قطعتُه فاقطع ؛ فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول في الحل ، لولاه ما ثبت المفعول ، ولهذا يصح قطعتُه فما انقطع . ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك ، فلا يجوز ضربته فانضرب ، أو فما انضرب ، ولا قتلته فاقتل ، ولا فما انقل ، لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في الحل والفاعل مستقل بالافعال التي لا مطاوع لها ، فالإيتاء أقوى من الإعطاء . قال . وقد تفكرت في مواضع من

القرآن فوجدت ذلك مراعى ، قال تعالى : ﴿ تَوَتَّى الْمَلَائِكَةُ مِنْ تَتَابَعِهِ ﴾ ^(١) ، لأن الملك شئ عظيم لا يعطاه إلا من له قوة ، وكذا ﴿ يُوْتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾ ^(٣) ، لعظم القرآن وشأنه ، وقال : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ^(٤) : لأنه مورد في الموقف مرتحل عنه ، قريب إلى منازل العز في الجنة ، فعبّر فيه بالإعطاء ، لأنه يُترك عن قرب وينتقل إلى ما هو أعظم منه ، وكذا ﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ^(٥) ؛ لما فيه من تكرير الإعطاء والزيادة إلى أن يرضى كل الرضا ؛ وهو مفسر أيضاً بالشفاعة ، وهي نظير الكوثر في الانتقال بمقدضاء الحاجة منه ، وكذا ﴿ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ ^(٦) ، لتكرّر حدوث ذلك باعتبار الموجودات حتى يعطوا الجزية ، لأنها موقوفة على قبول منا وإعما يعطونها عن كثره .

فائدة : قال الراغب : خصّ دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء ، نحو ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ ^(٨) ، قال : وكل موضع ذكر في وصف الكتاب « آتينا » فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه « أوتوا » لأن « أوتوا » قد يقال إذا أوتى من لم يكن منه قبول « وآتيناهم » يقال فيمن كان منه قبول .

ومن ذلك السنة والعام ؛ قال الراغب : الغالب استعمال السنة في الحول الذي فيه الشدة والجذب ، ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة ، والعام مافيه الرخاء والخصب ، وبهذا تظهر الفسحة في قوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ^(٩) ؛ حيث عبر عن المستثنى بالعام وعن المستثنى منه بالسنة .

قاعدة في السؤال والجواب

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال ، إذا كان السؤال متوجّهاً ، وقد يعدّل

(٣) الحجر ٨٧

(٦) طه ٥

(٩) العنكبوت ١٤

(٢) البقرة ٢٦٩

(٥) الضحى ٥

(٨) البقرة ١٧٧

(١) آل عمران ٢٦

(٤) الكوثر ١

(٧) البقرة ٧٧

في الجواب عما يقتضيه السؤال ، تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك ، ويسميه السكاكي الأسلوب الحكيم .

وقد يحىء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال ، وقد يحىء . أنقص لانتضاء الحال ذلك .

مثال ما عدل عنه قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ^(١) .
سألوا عن الهلال : لم يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزايد قليلاً قليلاً حتى يتلى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك ، تنبيهاً على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه ، كذا قال السكاكي ومتابعوه . واسترسل التفتازاني في الكلام إلى أن قال : لأنهم ليسوا ممن يطالع على دقائق الهيئة بسهولة .

وأقول : ليت شعري ، من أين لهم أن السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به ! وما المانع من أن يكون إنما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها ، فإن نظم الآية محتمل لذلك ، كما أنه محتمل لما قالوه . والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الاحتمال الذي قلناه ، وقرينة ترشد إلى ذلك ؛ إذ الأصل في الجواب المطابقة للسؤال ، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل ، ولم يرد بإسنادٍ لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع على ما ذكره ؛ بل ورد ما يؤيد ما قلناه ؛ فأخرج ابن جرير عن أبي العالية ، قال : بائنا أنهم قالوا : يا رسول الله ، لم خلقت الأهل ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ ، فهذا صريح في أنهم سألوا عن حكمة ذلك ، لاعن كلفه من جهة الهيئة . ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدق فهم ، وأغزر علماً ، أنهم ليسوا ممن يطالع على دقائق الهيئة بسهولة ، وقد اطلع عليها آحاد المعجم الذين أطبق الناس على أنهم أبله أذهاناً من العرب بكثير ؛ وهذا لو كان الهيئة أصل معتبر ، فكيف وأكثرها فاسد لادليل عليه ! وقد صفت كتاباً في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي صمد إلى

السماء ، ورآها عياناً ، وعلم ماحوته من عجائب الملوكوت بالمشاهدة ، وأتاه الوحي من خالقها ، ولو كان السؤال وقع عما ذكره لم يتمتع أن يجابوا عنه باقظ يصل إلى أفهامهم ؛ كما وقع ذلك لما سألوا عن الحجره وغيرها من الملوكوتيات . نعم المثال الصحيح لهذا القسم ، جواب موسى لفرعون حيث قال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿ ^(١) ، لأن « ما » سؤال عن المساميه أو الجنس ؛ ولما كان هذا السؤال في حق البارئ سبحانه وتعالى خطأ لأنه لا جنس له ، فيذكروا تدرك ذاته ، عدل إلى الجواب بالصواب ، ببيان الوصف المرشد إلى معرفته ؛ ولهذا تعجب فرعون من عدم مطابقته للسؤال ، فقال لمن حوله : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ ^(٢) ، أى جوابه الذى لم يطابق السؤال ، فأجاب موسى بقوله : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٣) ، المتضمن إبطال ما يعتقدونه من ربوبية فرعون نصاً وإن كان دخل في الأول ضمناً اغلاطاً ، فزاد فرعون في الاستهزاء ، فلما رآهم موسى لم يتفطنوا ، أغلظ في الثالث بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٤) .

ومثال الزيادة في الجواب قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴾ ^(٥) ، في جواب ﴿ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٦) .
وقول موسى : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكْتُ عَلَيْهَا وَأَهْشَ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ ^(٧) في جواب : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ ^(٨) زاد في الجواب استلذاذاً بخطاب الله تعالى .

وقول قوم إبراهيم : ﴿ تَعْبُدُونَ أَصْنَامًا وَتَنْظُرُونَ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ ^(٩) في جواب ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ^(١٠) ، زادوا في الجواب إظهاراً للاستهياج بعبادتها والاستمرار على مواظبتها ليزداد غيظ السائل .

(٣) الأمام ٦٤ ، ٦٥

(٤) الشعراء ٧٠ ، ٧١

(١) الشعراء ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨

(٣) طه ١٧ ، ١٨

ومثال النقص منه ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ﴾ ^(١) ، في جواب ﴿ أَنْتَ بقرآنٍ غيرِ هذا أوْبَدِّلَهُ ﴾ ^(٢) ، أجاب عن التبديل دون الاختراع . قال الزمخشري : لأن التبديل في إمكان البشر دون الاختراع . فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال . وقال غيره : التبديل أسهل من الاختراع ، وقد نفى إمكانه ، فالاختراع أولى .

* * *

تنبيه

قد يُعَدَّل عن الجواب أصلاً ؛ إذا كان السائل قصده التمثيل ، نحو ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ^(٣) ، قال صاحب الإفصاح : إنما سأل اليهود تعجيزاً وتغليظاً ، إذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة ، فقصده اليهود أن يسألوه ، فبأنى مسمي أجابهم قائلوا : ليس هو ، فجاءهم الجواب مجملاً ، وكان هذا الإجمال كيداً يرذبه كيدهم .

* * *

قاعدة

قيل : أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ، ليكون وقفه ، نحو ﴿ أَأَنْتَ لَا أَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾ ^(٤) ، و « أنا » في جوابه « هو أنت ؟ » في سؤالهم . وكذا ﴿ أَأَقْرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَزْنَا ﴾ ^(٥) ، فهذا أصله ، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وتركاً للتكرار .

وقد يُحذف السؤال ثقةً بفهم السامع بتقديره ، نحو ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكائِكُمْ مَنِ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ^(٦) ، فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد ، فتعين أن يكون « قل لله » جواب سؤال ، كأنهم سألوا لما سمعوا ذلك : فمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟

قاعدة

الأصل في الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال، فإن كان جملة إسمية فينبغي أن يكون الجواب كذلك. ويحیی كذلك في الجواب المقدّر؛ إلا أن ابن مالك قال في قولك: زيد، في جواب مَنْ قرأ؟ إنه من باب حذف الفعل، على جمل الجواب جملة فعلية. قال: وإنما قدرته كذلك لا مبتدأ مع احتماله، جرياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا تمامها، قال تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا ﴿١﴾، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ ﴿٣﴾ ولما أتى بالفعل مع فوات مشاكله السؤال، علم أن تقدير الفعل أولاً أولى. انتهى.

وقال ابن الزمكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأن زبداً في جواب من قام؟ فاعل، على تقدير قام زيد، والذي توجبه صناعة علم البيان، أنه مبتدأ لوجهين: أحدهما: أن يطابق الجملة المشكولة في الإسمية، كما وقع التطابق في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا خَبَرًا﴾ ﴿٤﴾ في الفعلية، وإنما لم يقع التطابق في قوله: ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٥﴾، لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرين بالإنزال، وهم من الإذعان به على مفاوز.

الثاني: أن اللبس لم يقع عند السائل إلا فيمن فعل الفعل، فوجب أن يتقدم الفاعل في المعنى؛ لأنه متعلق غرض السائل، وأما الفعل فمعلوم عنده؛ ولا حاجة به إلى السؤال عنه، فخرى أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات.

وأشكل على هذا ﴿بَلْ قَمَلَهُ كِبَرُهُمْ﴾ ﴿٦﴾ في جواب ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾ ﴿٦﴾؛ فإن السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل، فإنهم لم يستفهموه عن الكسر، بل عن الكسر، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل.

وأجيب بأن الجواب مقدّر دلّ عليه السياق ؛ إذ « بل » لا تصلح أن يصدر بها الكلام ، والتقدير : « ما فاعلته بَلْ فَقَلَهُ » .

قال الشيخ عبد القاهر : حيث كان السؤال مافوظاً به فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاختصار على الاسم وحده ، وحيث كان مضمراً فالأكثر التصريح به لضعف الدلالة عليه ، ومن غير الأكثر ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ ﴾ ^(١) ، في قراءة البناء للمفعول .

فائدة

أخرج البرّار عن عباس قال : ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ، ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن .

وأورده الإمام الرازي بالفظ « أربعة عشر حرفاً » ، وقال : منها ثمانية في البقرة :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ ^(٢) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ ^(٣) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَتَقَرَّم ﴾ ^(٤) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٥) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ ^(٦) .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ﴾ ^(٧) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ ^(٨) .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ ﴾ ^(٩) .

(٣) البقرة ١٨٩

(٦) البقرة ٢١٩

(٩) البقرة ٢٢٢

(٢) البقرة ١٨٦

(٥) البقرة ٢١٧

(٨) البقرة ٢١٩

(١) النور ٣٦ ، ٣٧

(٤) البقرة ٢١٥

(٧) البقرة ٢٢٠

- والتاسع : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ ^(١) في المائة .
 والعاشر : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ^(٢) .
 والحادي عشر : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ^(٣) .
 والثاني عشر : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ ^(٤) .
 والثالث عشر : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ^(٥) .
 والرابع عشر : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ ^(٦) .

قلت : السائل عن الروح وعن ذى القرنين مشركو مكة أو اليهود كما في أسباب النزول لا الصحابة ، فالخالص اثنا عشر كما صحت به الرواية .

* * *

فائدة

قال الراغب : السؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثانى ؛ تارة بنفسه وتارة «عن» وهو أكثر ، نحو : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ^(٥) ، وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يعدى بنفسه أو بمن ، وب نفسه أكثر ، نحو : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ^(٧) ، ﴿وَاسْأَلُوا مَا نَفَقْتُمْ﴾ ^(٨) ، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ^(٩) .

* * *

قاعدة فى الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل

الاسم يدل على الثبوت والاستمرار ، والفعل يدل على التجدد والحدوث ، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر ، فن ذلك قوله تعالى : ﴿وَكَلِّبُهُمْ بِأَسِطٍ ذِرَاعِيهِ﴾ ^(١٠) ،

(١) النازعات ٤٢

(٢) الإسراء ٨٥

(٣) الكهف ١٥

(٤) النساء ٣٢

(٥) الأنفال ١

(٦) الإسراء ٨٥

(٧) المتحفة ١٠

(٨) الكهف ١٨

(٩) المائدة ٤

(١٠) طه ١٠٥

(١١) الأحزاب ٥٣

(١٢) الكهف ١٨

وقيل : « يبسط » لم يؤد الغرض ، لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط ، وأنه يتجدد له شيء بعد شيء ، فبإسقاط أشعر بثبوت الصفة .

وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ ﴾ ^(١) ، لو قيل « رازقكم » لفات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد شيء ؛ ولهذا جاءت الحال في صورة المضارع ، مع أن العامل الذي يفيد ماضٍ ، نحو ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ ^(٢) ، إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت الحى ، وأنهم آخذون في البكاء يتجددونه شيئاً بعد شيء ؛ وهو المسمى حكاية الحال الماضية ، وهذا هو سرُّ الإعراض عن اسم الفاعل والمنفعل ؛ ولهذا أيضاً عبر بـ « الذين ينفقون » ولم يقل : « المنفقون » ، كما قيل : المؤمنون والمنفقون ، لأن النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد ، بخلاف الإيمان ، فإن له حقيقة تقوم بالقلب ، يدوم مقتضاها ، وكذلك التقوى والإسلام والصبر والشكر والهدى والعمى والضلالة والبصر ؛ كلها لها مسميات حقيقية أو مجازية تستمر وأثار تتجدد وتقطع ، لجأت بالاستعانة .

وقال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ^(٣) ، قال الإمام فخر الدين : أما كان الاعتناء بشأن إخراج الحى من الميت أشد ، أى فيه بالمضارع ، ليدل على التجدد كما في قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(٤) .

تنبيهات

الأول : المراد بالتجدد في الماضى الحصول ، وفي المضارع أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى . صرح بذلك جماعة ؛ منهم الزمخشري في قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(٤) .

قال الشيخ بهاء الدين السبكي : وبهذا يتضح الجواب عما يورد من نحو « علم الله كذا » ، فإن علم الله لا يتجدد ، وكذا سائر الصفات الدائمة التي يستعمل فيها الفعل ، وجوابه أن معنى « علم الله كذا » وقع علمه في الزمن الماضي ، ولا يلزم أنه لم يكن قبل ذلك ، فإن العلم في زمن ماضٍ أعم من المستمر على الدوام قبل ذلك الزمن وبعده وغيره ، ولهذا قال تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ... ﴾ ^(١) ، الآيات ، فاتى بالماضى في الخلق ، لأنه مفروغ منه ، وبالمضارع في الهداية والإطعام والإسقاء والشفاء ، لأنها متكررة متجددة تقع مرة بعد أخرى .

الثاني : مضمرة الفعل فيما ذكر كظاهرة ، ولهذا قالوا : إن سلام الخليل أبلغ من سلام الملائكة حيث ﴿ قَالَوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ ﴾ ^(٢) ، فإن نصب « سلاماً » إنما يكون على إرادة الفعل ، أى سلمنا سلاماً ، وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم ، إذ الفعل متأخر عن وجود الفاعل ، بخلاف سلام إبراهيم ، فإنه مرتفع بالابتداء ، فاقضى الثبوت على الإطلاق ، وهو أولى مما يعرض له الثبوت ، فكأنه قصد أن يخيبهم بأحسن مما حيّوه به .

الثالث : ما ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت ، والفعل على التجدد والحدوث ، هو المشهور عند أهل البيان ، وقد أسكره أبو المطرف بن عميرة في كتاب التموهيات على البيان لابن الزمكافى ، وقال : إنه غريب لا مستند له ، فإن الاسم إنما يدل على معناه فقط ؛ أما كونه يُثبت المعنى للشيء فلا . ثم أورد قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِعَذَابِ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِهَآئِهِ لَالْقِيَامَةِ تَبْعُهُمْ ن ﴿ ^(٣) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ^(٤) .

وقال ابن : بفة العربية تلوين الكلام ، وبحجى الفعلية تارة والإسمية أخرى

من غير تكلف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء المخلص اعتماداً على أن المقصود حاصل بدون التأكيد ، نحو : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ ^(١) ، ولاشئ بعد ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ ^(٢) . وقد جاء التأكيدي في كلام المناققين ، فقالوا : ﴿ إِنَّمَا خُنْ مُضِلِّحُونَ ﴾ ^(٣) .

قاعدة في المصدر

قال ابن عطية : سبيل الواجبات الإتيان بالمصدر مرفوعاً ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا سَكِّمَتُورٌ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ ^(٥) ، وسبيل المندوبات الإتيان به منصوباً ، كقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ الرَّقَابِ ﴾ ^(٦) ، ولهذا اختلفوا : هل كانت الوصية للزوجات واجبة لاختلاف القراءة في قوله : ﴿ وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ ^(٧) بالرفع والنصب .

قال أبو حيان : والأصل في هذه التفرقة في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ ^(٨) فإن الأول مندوب . والثاني واجب ، والنسكتة في ذلك أن الجملة الإسمية أثبت وآكد من الفعلية .



قاعدة في المعطف

هو ثلاثة أقسام :

عطف على اللفظ ، وهو الأصل وشرطه إمكان توجه العامل إلى المعطوف .
وعطف المحل وله ثلاث شروط : أحدها إمكان ظهور ذلك المحل في الصفيح ، فلا يجوز صهرت يزيد وعمراً ، لأنه لا يجوز صهرت زيداً . الثاني : أن يكون الموضع بحق ، الإصالة ، فلا يجوز « هذا الضارب زيداً وأخيه » ، لأن الوصف

(٣) البقرة ١١

(٦) محمد ٤

(٢) البقرة ٢٨٥

(٥) البقرة ١٧٨

(٨) انداريات ٢٥

(١) آل عمران ٥٣

(٤) البقرة ٢٢٩

(٧) البقرة ٢٤٠

المستوفى لشروط العمل ، والأصلُ إعماله لا إضافته . الثالث : وجود المحرز ، أى الطالب لذلك المحلّ ، فلا يجوز « إن زيدا » وعمراً قاعدان » ، لأن الطالب لرفع عمرو هو الابتداء ، وهو قد زال بدخول « إن » . وخالف فى هذا الشرط الكسائى مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ ... ﴾ ^(١) الآية . وأجيب ، بأن خبر « إن » فيها محذوف ، أى مأجورون أو آمنون . ولا تختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً . وقد أجاز الفارسيّ فى قوله : ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَبِوَمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٢) ، أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه . وعطف التوهم ، نحو « ليس زيد قائماً ولا قاعداً بالخلف » على توهم دخول الباء فى الخبر . وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل التوهم ، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك . وقد وقع هذا المطف فى الجرور فى قول زهير :

بَدَالِي أَيِّ لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقَ شَيْئًا إِذَا كَانَ حَائِثًا

وفى الجزوم فى قراءة غير أبى عمرو ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ ﴾ ^(٣) خرّجه الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم ، لأن معنى « لَوْلَا أَخَّرْتَنِي فَأَصَّدَّقْتُ » ومعنى « أَخَّرْتَنِي أَصَّدَّقْتُ » واحد ، وقراءة قبل ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ ^(٤) ، خرّجه الفارسيّ عليه لأنه من الموصولة فيها معنى الشرط .

وفى المنصوب فى قراءة حمزة وابن عامر ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٥) بفتح الباء ، لأنه على معنى « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

وقال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ﴾ ^(٦) : إنه عطف على

(١) المائدة ٦٩ (٢) هود ٦٠

(٣) المتفقون ١٠ ، وانظر تفسير القرطبي ١٨ : ١٣١

(٤) يوسف ٦٩٠ ومى قراءة ابن كثير ، وانظر تفسير القرطبي ٩ : ٢٥٧

(٥) هود ٧٧ (٦) الصافات ٦ ، ٧

على معنى ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾^(١)، وهو إِنَّا خَلَقْنَا الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا زينةً للسماء .

وقال بعضهم في قراءة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾^(٢) : إنه على معنى « أن تدهن » .

وقيل في قراءة حفص : ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ﴾^(٣) ، بالنصب : إنه عطف على معنى « لعلِّي أن أبلغ » ، لأن خبر « لعل » يقتضيه أن كثيراً .
وقيل في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ﴾^(٤) ، إنه على تقدير « ليشركم ويذيقكم » .

تنبيه

ظن ابن مالك أن المراد بالتوهم الغلط ، وليس كذلك ، كما نبه عليه أبو حيان وابن هشام ، بل هو مقصد صواب ، والمراد أنه عطف على المعنى ، أى جَوَزَ العربى في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه ، فمطف ملاحظاً له ، لا أنه غلط في ذلك ، ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن : إنه عطف على المعنى .

مسألة

اختلف في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه ، فمنه البيانون وابن مالك وابن عصفور ، ونقله عن الأكثرين ، وأجازه الصفار وجماعة ، مستدلّين بقوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥) في سورة البقرة ، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) ، في سورة الصف .

وقال الزمخشري في الأولى : ليس المعتمد بالمعطف الأمر حتى يُطلب له مشاكلة ، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة ثواب الكافرين .

(٣) غافر ٣٦ ، ٣٧

(٢) النظم ٩

(١) الصافات ٦ ، ٧

(٦) الصف ١٣

(٥) البقرة ٢٥

(٤) أنزوم ٦ :

(م ٢١ - الإنشائ ج ٢)

وفي الثانية : إن العطف على « تؤمنون » ، لأنه بمعنى « آمنوا » . وردَّ بأن الخطاب به للؤمنين ، ويد « بشر » للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأن الظاهر في « تؤمنون » أنه تفسير للتجارة لا طلب .

وقال السكاكي : الأمران معطوفان على « قل » مقدرة ، قيل « بأياها » وحذف القول كثير .

* * *

مسألة

اختلف في جواز عطف الإسمية على الفعلية وعكسه ، فالجمهور على الجواز ، وبعضهم على المنع ، وقد لهج به الرازي في تفسيره كثيراً . وردَّ به على الحنفية القائلين بتحريم أكل متروك التسمية أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ^(١) فقال : هي حجة للجواز لا للتحريم ، وذلك أن الواو ليست عاطفة لتخالف الجملتين بالإسمية والفعلية ، ولا للاستئناف ؛ لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها ، فبقي أن تكون للحال ، فتكون جملة الحال مقيدة للنهي ، والمعنى : لا تأكلوا منه في حال كونه فسقا ، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً ، والفسق قد فتره الله تعالى بقوله : ﴿ أَوْفِئْنَا أَهْلَ لَيْلٍ لَّيْلٍ لَّيْلٍ لَّيْلٍ ﴾ ^(٢) ، فالعنى لا تأكلوا منه إذا سُمي عليه غير الله . ومفهومه : فكلوا منه إذا لم يسمَّ عليه غير الله تعالى . انتهى .

قال ابن هشام : ولو أ بطل العطف بتخالف الجملتين بالإنشاء والخبر لكان صواباً .

مسألة

اختلف في جواز العطف على معمولي عاملين ، فالمشهور عن سيبويه المنع ، وبه قال المبرِّد وابن السراج وهشام ، وجوزّه الأخفش والكسائي والقرءاء والزجاج ، وخرج

عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأخيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴿١﴾ ،
 فيمن نصب « آيات » الأخيرة .

مسألة

اختلف في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، فجمهور البصريين على المنع ، وبعضهم والكوفيون على الجواز ، وخرج عليه قراءة حمزة : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٢) .

وقال أبو حيان في قوله تعالى : ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٣) : إن المسجد معطوف على ضمير « به » ، وإن لم يعد الجار . قال : والذي نختاره جواز ذلك لوروده في كلام العرب كثيراً نظماً ونثراً ، قال : ولنا متعبدون باتباع جمهور البصريين بل نتبع الدليل .

تم الجزء الثاني وبليه الجزء الثالث
 وأوله النوع الثالث والأربعون في الحكم والمتشابه

(٢) النساء ١ ، وفي قراءة حمزة ، واظهر تفسير القرطبي ٥ : ٢

(١) الجانية ٣ - ٥

(٣) البقرة ٢١٢

فهرس الموضوعات

النوع السادس والثلاثون

٨٨— ٣	في معرفة غريبه
٣	ذكر جماعة من ألف في هذا النوع وكتبهم
٥— ٣	أقوال العلماء في هذا الشأن
٥	فصل في ضرورة معرفة الغريب للمفسر
٥	ذكر ماورد عن ابن عباس وأصحابه في تفسير غريب
٤٦— ٥	القرآن مرتباً على السور
٥٤— ٤٦	ذكر ماورد من الغريب وتفسيره عن غير ابن عباس
٨٨— ٥٥	فصل فيما روى من الشعر موافقاً لألفاظ القرآن

* * *

النوع السابع والثلاثون

فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز

١٠٤— ٨٩	أمثلة مما نقل عن العلماء في ذلك
٩١— ٨٩	ماورد بلغة كنانة
٩٢ ، ٩١	ماورد بلغة هذيل
٩٤— ٩٢	ماورد بلغة حمير
٩٥ ، ٩٤	ماورد بلغة جرم
٩٦ ، ٩٥	ماورد بلغة أزدشنوة
٩٧	ماورد بلغة مذحج
٩٧	ماورد بلغة خثعم
٩٨ ، ٩٧	

٩٨

٩٨

٩٩ ، ٩٨

٩٩

٩٩

٩٩

٩٩

٩٩

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠١

١٠١

١٠١

١٠١

١٠١

١٠١

١٠١

ماورد بلغة قيس عيلان

ماورد بلغة سعد العشيرة

ماورد بلغة كندة

ماورد بلغة عذرة

ماورد بلغة حضرموت

ماورد بلغة غسان

ماورد بلغة مزينة

ماورد بلغة لحم

ماورد بلغة جذام

ماورد بلغة بني حنيفة

ماورد بلغة اليمامة

ماورد بلغة سبأ

ماورد بلغة سليم

ماورد بلغة عمارة

ماورد بلغة خزاعة

ماورد بلغة عمان

ماورد بلغة لحم

ماورد بلغة أنمار

ماورد بلغة الأشعر بين

ماورد بلغة الأوس

ماورد بلغة الحزرج

ماورد بلغة مدين

١٠٢	عدد اللغات التي في القرآن
١٠٣	ماورد بلغة همدان
١٠٣	ماورد بلغة تقيف
١٠٣	ماورد بلغة عك



الباب الثامن والثلاثون

١٢٠—١٠٥	فيما وقع بغير لغة العرب
١٠٨—١٠٥	أقوال العلماء في هذا الشأن
١٠٩—١٠٨	الألفاظ الأعجمية الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم
١١٩	قصيدة ابن السبكي التي ضمنها الألفاظ الأعجمية في القرآن
١١٩	قصيدة ابن حجر في هذا الشأن
١٢٠	قصيدة المؤلف في هذا الشأن أيضا



النوع التاسع والعشرون

٢٩—١٢١	في معرفة الوجوه والنظائر
٢٢ ، ١٢١	أقوال العلماء في هذا الشأن
٣١—١٢٢	أمثلة مماورد من الألفاظ ذات الوجوه :
٢٤ ، ١٢٢	المهدى
١٢٤	السوء

١٢٥	الصلاة
١٢٦ ، ١٢٥	الرحمة
١٢٧ ، ١٢٦	الفتنة
١٢٨ . ١٢٧	الروح
١٢٩ ، ١٢٨	القضاء
١٣٠ ، ١٢٩	الذكر
١٣١ ، ١٣١	الدعاء
١٣١	الإحصان
١٣٠ - ١٣٢	فصل عن ابن فارس في الألفاظ المختلفة الوجوه
١٣٩ ، ١٣٨	فصل في ذكر قواعد في هذا الشأن

* * *

النوع الأربعون

٢٥٩ - ١٤١	في معرفة الادوات التي يحتاج إليها المفسر
١٤٣ - ١٤١	المعزة
١٤٤ - ١٤٣	أحد
١٤٧ - ١٤٤	إذ
١٥٢ - ١٤٧	إذا
١٥٥ - ١٥٢	إذاً
١٥٦ - ١٥٥	أف
١٥٩ - ١٥٦	أل
١٥٩	ألاً
١٦١ - ١٥٩	إلاً

١٦١
١٦٣-١٦١
١٦٣
١٦٥-١٦٣
١٦٦-١٦٥
١٦٧ ، ١٦٦
١٧٠-١٦٧
١٧٣-١٧٠
١٧٤ ، ١٧٣
١٧٤
١٧٥
١٨٧-١٧٥
١٨٠ ، ١٧٩
١٨٠
١٨١ ، ١٨٠
١٨١
١٨٢ - ١٨١
١٨٢
١٨٥-١٨٢
١٨٦ ، ١٨٥
١٨٧- ١٨٦

الآن
إلى
اللهم
أم
أما
إما
إن
أن
إن
أن
أنتى
أو
أولى
إلى
أى
إيا
أبان
أين
الباء المفردة
بل
بن

۱۸۷	بُس
۱۸۸ ، ۱۸۷	بین
۱۸۸	الناء
۱۸۸	تبارك
۱۸۸	تقال
۱۹۰ ، ۱۸۹	نَم
۱۹۰	نَم
۱۹۱ ، ۱۹۰	جعل
۱۹۱	حاش
۱۹۲ — ۱۹۴	حتى
۱۹۵ ، ۱۹۴	حيث
۱۹۵	دون
۱۹۶ ، ۱۹۵	ذو
۱۹۶	رويدا
۱۹۶ ، ۱۹۷	رُب
۱۹۷ ، ۱۹۸	السین
۱۹۸	سوف
۱۹۸ ، ۱۹۹	سواء
۱۹۹	ساء
۱۹۹ ،	سبعان
۲۰۰	ظن
۲۰۱ ، ۲۰۲	على

٢٠٣ ، ٢٠٢

٢٠٦ - ٢٠٣

٢٠٧ ، ٢٠٦

٢٠٩ - ٢٠٨

٢١١ - ٢٠٩

٢١٢ ، ٢١١

٢١٣ - ٢١٢

٢١٥ - ٢١٤

٢١٦ ، ٢١٥

٢١٧ ، ٢١٦

٢١٨ ، ٢١٧

٢١٨

٢١٨

٢٢٠ ، ٢١٨

٢٢٠

٢٢٢ ، ٢٢١

٢٢٣ ، ٢٢٢

٢٢٣

٢٢٣ ، ٢٢٣

٢٢٧ - ٢٢٤

٢٣٠ - ٢٢٧

٢٣١ ، ٢٣٠

عن

عسى

عند

غير

القاء

في

قد

الكاف

كاد

كان

كأن

كأين

كذا

كل

كلا وكلنا

كلا

كم

كفى

كيف

اللام

لا

لات

٢٣١	لاجرم
٢٣٢-٢٣١	لكن
٢٣٢	لكن
٢٣٢	لدى ولدن
٢٣٢	لعل
٢٣٣	لم
٢٣٥-٢٣٤	لما
٢٣٦-٢٣٥	لن
٢٣٩-٢٣٦	لو
٢٤١-٢٣٩	لا
٢٤١	لوما
٢٤١	ليت
٢٤٢ ، ٢٤١	ليس
٢٤٥-٢٤٢	ما
٢٤٦-٢٤٥	ماذا
٢٤٦	متى
٢٤٧ ، ٢٤٦	مع
٢٤٩-٢٤٧	من
-٢٤٩	من
٢٥٠	مها
٢٥١ ، ٢٥٠	النون
٢٥٢ ، ٢٥١	التنوين

٢٥٢	نعم
٢٥٢	نعم
٢٥٣ ، ٢٥٢	الماء
٢٥٣	ها
٢٥٣	هات
٢٥٤ ، ٢٥٣	هل
٢٥٤	هلم
٢٥٤	هنا
٢٥٥ ، ٢٥٤	هيت
٢٥٥	هيات
٢٥٨ — ٢٥٥	الواو
٢٥٨	وى كان
٢٥٩ ، ٢٥٨	ويل
٢٥٩	يا

• • •

النوع الحادى والاربعون
فى معرفة إعرابه

٢٦٠ — ٢٨٠

٢٦٠

— ٢٦٠

٢٦٠ — ٢٦٨

المصنفات الواردة فى هذا الشأن
أقوال العلماء فى أهمية الإعراب للمفسر
الأمور التى يجب مراعاتها عن إعراب الآيات

٢٦٩	تنبيه في ذكر الحكم عند ما يتجاذب المعنى والإعراب شيئا واحدا
٢٧٧-٢٦٩	توجيه إعراب بعض الآيات
٢٨٠-٢٧٧	فصل فيما قرئ من القرآن بثلاثة أوجه
٢٨٠	قائده في ذكر ماورد في القرآن وأعرب مفعولا معه



النوع الثاني والأربعون

٣٢٠-٢٨١	في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها
٢٨١	قاعدة في الضمائر
٢٨٤-٢٨١	مرجع الضمير
٢٨٤	قاعدة في عود الضمير على أقرب مذكور
٢٨٥ ، ٢٨٤	قاعدة في توافق الضمائر في المرجع
٢٨٦ ، ٢٨٥	ضمير الفصل
٢٨٧ ، ٢٨٦	ضمير الشأن والقصة
٢٨٨ ، ٢٨٧	قاعدة في حكم عود الضمير على جمع العاقلات
٢٨٨ ، ٢٨٨	قاعدة في ترتيب مراعاة اللفظ والمعنى في الضمائر
٢٩١-٢٨٩	قاعدة في التذكير والتأنيث
٢٩٥-٢٩١	قاعدة في التعريف والتنكير
٢٩٥	قائده في ذكر الحكمة في تنكير « أحد والحمد »
٢٩٩-٢٩٦	قاعدة أخرى تتعلق بالتنكير والتعريف
	قائده
٣٠٢-٢٩٩	قاعدة في الإفراد والجمع

- ٣٠٤—٣٠٢ فصل عن الأخفش في الإفراد والجمع في القرآن
- ٣٠٥ فائدة في الألفاظ المعدولة في القرآن
- ٣٠٥ قاعدة في مقابلة الجمع بالجمع
- ٣١٠—٣٠٦ قاعدة في ذكر بعض الألفاظ يظن بها الترادف وليست منه
- ٣١٥—٣١٠ قاعدة في السؤال والجواب
- ٣١٦ ، ٣١٥ فائدة فيما سأل فيه الصحابة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٣١٧ ، ٣١٦ قاعدة في الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل
- ٣١٧ تنبيه في المراد بالتجدد
- ٣١٨ » في ذكر مضمرة الفعل ومظهره
- ٣١٩—٣١٨ » في دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد
- ٣١٩ قاعدة في المصدر
- ٣٢١—٣١٩ قاعدة في العطف وهو ثلاثة أقسام:
- ٣٢١ تنبيه حول المراد بالتوهم
- ٣٢٢ مسألة في جواز عطف الجملة الإسمية على الفعلية وعكسه
- ٣٢٣ مسألة في حكم جواز العطف على معمولي عاملين
- ٣٢٣ مسألة في جواز العطف على الضمير المجرور

تصويبات



خطأ	صواب	
الملق	الفلق	٤٦
والرّثى	والرّثى	٥٨
تَدْنِي	تُدْنِي	٦٣
اللَّيْل	اللَّيْل	٦٣
المَلِك	المَلِك	٦٤
أبحار	أبحار	١٠١
همدان	همدان	١٠٢
قريس	قريس	١٠٤
رسلا	رسولا	١٥٦
﴿والصائبون﴾	﴿والصائبون﴾	٢٧٦

* تذكر في هذا المكان بعض التصويبات على أن ننشر كل ما يظهر لنا من ذلك فيما بعد في آخر الجزء الرابع إن شاء الله وهو آخر الكتاب .



الافتتاح

في
عالم القرآن الكريم

تأليف

الحافظ جلال الدين الشيوطي

أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحضيري المصري الشافعي

المتولد بأسيوط سنة ٨٤٩ هـ، وتوفي بها سنة ٩١١ هـ

رحمته الله تعالى

المجلد الأول

تحقيق

محمد أبو فضل إبراهيم

من إصدارات

دار الشريعة والعلوم والأوقاف والدراسة والبحوث

أمانة العامة للدراسات والبحوث

الافتات في علم القرائ

تأليف
الحافظ جلال الدين السيوطي
أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير المصري الشافعي
المولود بأسسوط سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى بهاسنة ٩١١ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

من إصدارات
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الملكه العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

(١) يقول سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة البحر الفهامة ، الرُّحلة جلال الدين ، نجل سيدنا الإمام العالم العلامة كمال الدين السيوطي الشافعي ، فسح الله في مدته (١) .

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، تبصرةً لأولى الألباب ، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجَب المُعْجَب ، وجعله أجلّ الكتب قدراً ، وأغزرها علماً ، وأعذبها نظماً وأبلغها في الخطاب ، قرآناً عربياً غير ذي عوجٍ ، ولا مخلوقٍ ؛ لا شبهة (٢) فيه .
ولا ارتياب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب ، الذي عنت لقيوميته تلوجوه وخضعت لعظمته الرقاب .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشُعاب ، إلى خير أمة بأفضل كتاب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب ، صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم المساب .

وبعد ، فإن العلم بحر زخار ، لا يدرك له من قرار ، وطودٌ شامخ لا يسلك إلى قفّته ولا يُصار ، مَنْ أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً ، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً ، كيف وقد قال تعالى مخاطباً خلقه : ﴿ وَمَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) . وإن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها ،

(١ — ١) كذا في الأصل ، وفي ط : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، البحر الفهامة ، المحقق المدقق الحجة المحافظ المجتهد شيخ الإسلام والسلمين ، وارث علوم سيد المرسلين ، جلال الدين ، أوجد المجتهدين ، أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين ، عالم المسلمين ، أبو الناقب أبو بكر السيوطي الشافعي » .

(٢) ط : « ولا شبهة »

(٣) سورة الإسراء ٨٥ .

أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء ، وأبان فيه كل هدى ونهى ، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه ، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام . وفيه من القصاص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهّر العقول وتسلب القلوب ، وعجاز نظم لا يقدر عليه إلا اعلام الغيوب .

ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن ؛ كل واحد ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإمام عيني الناظرين ، خلاصة الوجود علامة الزمان ، نجر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محي الدين الكافيجي ^(١) — مدة ألقى أجله ، وأسمع عليه ظله — يقول : قد دونت في علوم التفسير كتاباً لم أشبق إليه ؛ فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان : الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية ، والثاني في شروط القول فيه بالرأى ، وبمدها خاتمة في آداب العالم والمتعلم ؛ فلم يشف لي ذلك غليلاً ، ولم يهديني إلى المقصود سبيلاً .

ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأئمة حامل لواء المذهب الطلبي علم الدين البلقيني رحمه الله تعالى ، على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين ^(٢) . سماه مواقع العلوم من مواقع النجوم ، فرأيت تاليفاً لطيفاً ، ومجموعاً

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي ، من كبار العلماء بالعقولات ، لازم السيوطي أكثر من ١٤ عاماً ، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافة في النحو ، وولى وظائف عصر ، منها مشيخاً للخلفاء النخوية وانتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر . توفي سنة ٨٧٩ هـ - شذرات الذهب ٧ : ٣٢٦ .
(٢) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنتاني المسقلاني ، أبو الفضل جلال الدين ، من علماء الحديث بمصر ، وإليه انتهت رئاسة الفتوى ، وولى القضاء بالديار المصرية مراراً ، مات بالقاهرة سنة ٨٢٤ هـ - سلك الدرر ٢ : ٣٠٨ . وفي حاشية الأصل : « البلقيني ، بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف ، ضبطه كذلك في كتابه الموضوع في الأنساب ، وقد سمعته منه » .

ظريفاً ، ذا ترتيبٍ وتقرير ، وتنويعٍ وتحبير . قال في خطبته :

قد اشتهرت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه مخاطبةُ لبعض خلفاء بني العباس ، فيها ذكر بعض أنواع القرآن ، يحصل منها المقصدنا الاقتباس . وقد صنف في علوم الحديث جماعة في القديم والحديث ، وتلك الأنواع في سنده دون متنه ، وفي مُسنديه ^(١) وأهل قنّه ، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة . فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى عليّ ؛ مما حواه القرآن الشريف ، من أنواع علمه المنيف ، وينحصر في أمور :

(الأول) : مواطن النزول وأوقاته ووقائعه ، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً : المكي ، المدني ، السفري ، الحضري القليل ، النهاري ، الصيفي ، الشتائي ، القرشي ، أسباب النزول ، أول ما نزل ، آخر ما نزل . (الأمر الثاني) : السند ، وهو ستة أنواع : للتواتر ، الأحاد ، الشاذ ، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ، الرواة ، الحفاظ .

(الأمر الثالث) : الأداء ، وهو ستة أنواع : الوقف ، الابتداء ، الإمالة ، لُذّة ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

(الأمر الرابع) : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع : الغريب ، المعرب ، المجاز ، المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

(الأمر الخامس) : المعاني المتعلقة بالأحكام ، وهو أربعة عشر نوعاً : العام الباقي على عمومته ، العام الخاص : العام الذي أريد به الخصوص ، ما خصّ فيه الكتاب السنة ، ما خصّصت فيه السنة الكتاب ، المجمل ، المبين ^(٢) ، المسأول ، المفهوم ، المطلق ، المقيد ، الناسخ ، المنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ ، وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين .

(الأمر السادس) : المعاني المتعلقة بالألفاظ ، وهو خمسة أنواع : الفصل ، الوصل ، الإيجاز ، الإطناب ، القصر .

(٢) حاشية الأصل من نسخة : « الظاهر » :

(١) ط : « أوفى مسنده » .

وبذلك تكملت الأنواع خمسين . ومن الأنواع ما لا يدخل تحت المحصر : الأسماء ،
الكنى ، الألقاب ، المبهمات .
فهذا نهاية ما حصر من الأنواع .

هذا آخر ما ذكره القاضى جلال الدين فى الخطبة ؛ ثم تكلم فى كل نوع منها بكلام
مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات . فصنفت فى ذلك كتاباً سميت به «التحجير
فى علوم التفسير» ، ضمنته ما ذكره البلقينى من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد
سمحت القريحة بنقلها ، وقلت فى خطبته :

أما بعد فإن العلوم وإن كثر عددها ، وانتشر فى الخافقين مددُها ، فغابيتها بحرٌ قعره
لا يدرك ، ونهايتها طَوْذٌ شامخ لا يستطيع إلى ذروته أن يُسلَّك ، وهذا يفتح لعالم بعد آخر
من الأبواب ، ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإنَّ مما أهمل^(١) المتقدمون تدوينه
حتى تحلّى فى آخر الزمان بأحسن زينة ، علم التفسير الذى هو كمصطلح الحديث ، فلم يدونه
أحدٌ لا فى القديم ولا فى الحديث ، حتى جاء شيخ الإسلام وعمدة الأنام ، علامة العصر ،
قاضى القضاة جلال الدين البلقينى رحمه الله تعالى ، فعمل فيه كتابه «مواقع العلوم من
مواقع النجوم» ، ففتح به ، وقسم أنواعه ورتبه ، ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، فإنه جعله
نيفاً وخمسين نوعاً ، منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلم فى كل نوعٍ منها بالتين من الكلام ،
فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير فى مقدمة نهايته : كل مبتدىء لشيء لم يسبق
إليه ، ومبتدع أمراً^(٢) لم يتقدّم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر^(٣) .

فظهر لى استخراج أنواع لم يسبق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوفِ الكلام عليها ،
فجرت المهمة إلى وضع كتاب فى هذا العلم ، وأجمع به إن شاء الله تعالى شوارده ، وأضمت
إليه فوائده ، وأنظم فى سلكه فرائده ؛ لأن كون فى إيجاد هذا العلم ثانى اثنين ، وواحداً

(١) ط : «أهل» تحريف

(٣) نهاية ابن الأثير ١ : ٤

(٢) النهاية ولأمر .

في جمع الشئبت منه كالف أو كالفين، ومصير أفني التفسير والحديث في استكمال التقاسيم ألفين. وإذ برز نوز كالمه وفاح، وطلع بدر كاله ولاح، وأذن فجره بالصباح، ونادى داعيه بالفلاح، سميته بالتحبير في علوم التفسير. وهذه فهرست الأنواع بعد المقدمة :

- النوع الأول والثاني: المكي والمدني .
- الثالث والرابع : الحضري والسفري .
- الخامس والسادس : النهاري والليلي .
- السابع والثامن : الصيفي والشتائي .
- التاسع والعاشر : القراشي والنومي .
- الحادي عشر : أسباب النزول .
- الثاني عشر : أول ما نزل .
- الثالث عشر : آخر ما نزل .
- الرابع عشر : ما عرف وقت نزوله .
- الخامس عشر : ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء .
- السادس عشر : ما أنزل منه على الأنبياء .
- السابع عشر : ما تكرر نزوله .
- الثامن عشر : ما نزل مفرداً .
- التاسع عشر : ما نزل جمعاً .
- العشرون : كيفية إنزاله . وهذه كلها متعلقة بالنزول .

الحادي والعشرون: المتواتر .

الثاني والعشرون: الأحاد .

الثالث والعشرون: الشاذ

الرابع والعشرون : قراءات النبي صلى الله عليه وسلم .

الخامس والسادس والعشرون :	الرواة والحفاظ :
السابع والعشرون :	كيفية التحمل :
الثامن والعشرون :	العالي والنازل :
التاسع والعشرون :	السلسل . وهذه متعلقة بالسند :
الثلاثون :	الابتداء :
الحادى والثلاثون :	الوقف :
الثانى والثلاثون :	الإمامة :
الثالث والثلاثون :	المد :
الرابع والثلاثون :	تخفيف المهمة :
الخامس والثلاثون :	الإدغام :
السادس والثلاثون :	الإخفاء :
السابع والثلاثون :	الإقلاب :
الثامن والثلاثون :	مخارج الحروف . وهذه متعلقة بالأداء :
التاسع والثلاثون :	الغريب :
الأربعون :	المعرب :
الحادى والأربعون :	المجاز :
الثانى والأربعون :	المشرك :
الثالث والأربعون :	المترادف :
الرابع والخامس والأربعون :	المحكم والمقشابه :
السادس والأربعون :	المشكل :
السابع والثامن والأربعون :	المحمل والبيتين :

التاسع والأربعون	: الاستعارة .
الخمسون	: التشبيه .
الحادى والثانى والخمسون	: الكناية والتعريض .
الثالث والخمسون	: العام الباقى على عمومته .
الرابع والخمسون	: العام المخصوص .
الخامس والخمسون	: العام الذى أريد به المخصوص .
السادس والخمسون	: ماخص فيه الكتاب السنة .
السابع والخمسون	: ماخصت فيه السنة الكتاب .
الثامن والخمسون	: المأول .
التاسع والخمسون	: المفهوم .
الستون والحادى والستون	: المطلق والمقيد .
الثانى والثالث والستون	: الناسخ والمنسوخ .
الرابع والستون	: ماعمل به واحد ثم نسخ .
الخامس والستون	: ما كان واجباً على واحد .
السادس والسابع والثامن والستون	: الإيجاز والإطناب والمساواة .
التاسع والستون	: الأشباه .
السبعون والحادى والسبعون	: الفصل والوصل .
الثانى والسبعون	: القصر .
الثالث والسبعون	: الاحتباك .
الرابع والسبعون	: القول بالموجب .
الخامس والسادس والسابع والسبعون	: المطابقة والمناسبة والمجانسة .
الثامن والتاسع والسبعون	: التورية والاستخدام .
الثمانون	: اللف والنشر .

الحادى والثمانون	: الالتفات .
الثانى والثمانون	: الفواصل والغايات .
الثالث والرابع والخامس والثمانون	: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله .
السادس والثمانون	: مفردات القرآن .
السابع والثمانون	: الأمثال .
الثامن والتاسع والثمانون	: آداب القارئ والمقرئ .
التسعون	: آداب المفسر .
الحادى والتسعون	: من يقبل تفسيره ومن يرد .
الثانى والتسعون	: غرائب التفسير .
الثالث والتسعون	: معرفة المفسرين .
الرابع والتسعون	: كتابة القرآن .
الخامس والتسعون	: تسمية السور .
السادس والتسعون	: ترتيب الآى والسور .
السابع والثامن والتاسع والتسعون	: الأسماء والكنى والألقاب .
المائة	: المهمات .
الأول بعد المائة	: أسماء من نزل فيهم القرآن .
الثانى بعد المائة	: التاريخ .

وهذا آخر ما ذكرته فى خطبة « التحبب » . وقد تم هذا الكتاب والله الحمد من سنة اثنتين وسبعين ، وكتبه من هوفى طبقة أشياخى من أولى التحقيق . ثم خطر لى بعد ذلك أن أولف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء . هذا كله وأنا أظن أنى مبتفرد بذلك ، غير مسبوق بالخوض فى هذه المسالك ، فبينما أنا أجهل فى ذلك فكراً ، أقدم رجلاً وأوخر أخرى ، إذ بلغنى أن الشيخ الإمام بدر

الدين محمد بن عبد الله الزركشي^(١)، أحد متأخري أصحابنا الشافعيين، ألف كتاباً في ذلك حافلاً، يسمى «البرهان في علوم القرآن»، فتطلبته حتى وقفت عليه، فوجدته، قال في خطبته :
لما كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن .
ومما فات المتقدمين، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستغرت الله تعالى—وله الحمد—في وضع كتاب في ذلك، جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في بُكَّته وعيوبه، وضمنته من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب مجباً^(٢)، ليكون مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، معيناً للمفسر على حقائقه، مطلقاً على بعض أسرارهِ ودقائقهِ، وسميته «البرهان في علوم القرآن»؛
وهذه فهرست أنواعه :

النوع الأول : معرفة سبب النزول .

الثاني : معرفة المناسبة^(٣) بين الآيات .

الثالث : معرفة الفواصل .

الرابع : معرفة الوجوه والنظائر .

الخامس : علم التشابه .

السادس : علم المبهات ..

السابع : في أسرار الفوائح .

الثامن : في خواتم السور .

التاسع : في معرفة المكي والمدني .

العاشر : في معرفة أول ما نزل .

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥، وتفقه بمذهب الشافعي، ولازم جمال الدين الإسكندر رئيس الشافعية عصره، وتخرج على الشيخ سراج الدين البلقيي والمافظ مغلطاي، وألف في الحديث والفقه الشافعي والأصول . وتوفي سنة ٧٩٤ . حسن المحاضرة ١ : ١٨٥ .

(٢) البرهان : « ما بهز القلوب طرباً ، وبهر العقول عجباً » .

(٣) البرهان : « المناسبات » .

- الحادى عشر : معرفة على كم لغة نزل .
- الثانى عشر : فى كيفية إنزاله .
- الثالث عشر : فى بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .
- الرابع عشر : معرفة تقسيمه .
- الخامس عشر : معرفة أسمائه .
- السادس عشر : معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
- السابع عشر : معرفة ما فيه من غير لغة العرب .
- الثامن عشر : معرفة غريبه .
- التاسع عشر : معرفة التصريف .
- العشرون : معرفة الأحكام .
- الحادى والعشرون : معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
- الثانى والعشرون : معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
- الثالث والعشرون : معرفة توجيه القرآن .
- الرابع والعشرون : معرفة الوقف .
- الخامس والعشرون : علم مرسوم الخط .
- السادس والعشرون : معرفة فضائله .
- السابع والعشرون : معرفة خواصه .
- الثامن والعشرون : هل فى القرآن شىء أفضل من شىء ؟
- التاسع والعشرون : فى آداب تلاوته .
- الثلاثون : فى أنه هل يجوز فى التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟
- الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكامنة فيه .

- والثاني والثلاثون : معرفة أحكامه .
 الثالث والثلاثون : معرفة جده .
 الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
 الخامس والثلاثون : معرفة مؤم^(١) المختلف .
 السادس والثلاثون : معرفة الحكم من التشابه .
 السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات .
 الثامن والثلاثون : معرفة إعجازه .
 التاسع والثلاثون : معرفة وجوب متواتره .
 الأربعون : في بيان معاضدة السنة الكتاب .
 الحادى والأربعون : معرفة تفسيره .
 الثانى والأربعون : معرفة وجوه المحاطبات .
 الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .
 الرابع والأربعون : في الكنايات والتعريض .
 الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام .
 السادس والأربعون : في ذكر ماتيسر من أساليب القرآن .
 السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .
 واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ
 عمره ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرمز إلى بعض
 فصوله ، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير^(١) ؟
 هذا آخر كلام الزركشى في خطبته .

(٢) بعدما في البرهان هذا البيت :

(١) البرهان : « نوم » .

قالوا خذ العَيْن من كُلِّ فَقُلْتُ لَهُمْ فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَظَرُ الْعَيْنِ

ولما وقفتُ على هذا الكتاب ، ازددت به سروراً ، وحَدَّثْتُ الله كثيراً ، وقوى العزم على إبراز ما أضمَرْتُه ، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته ، فوضعت هذا الكتاب العليّ الشأن ، الجليّ البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان ، ورتبتُ أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب البرهان ، وأدججت بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ماحققه أن يُبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشتف الآذان ، وسميته بالإتقان في علوم القرآن . وسدري في كل نوع منه إن شاء الله تعالى ما يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً ، وسدروى من مناهله العذبة رياً لا ظمأ بعده أبداً . وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه ، وسميته بمجمع البحرين ، ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية ، ومن الله استمدت التوفيق والهداية ، والمعونة والرعاية ؛ إنه قريب مجيب ، وماتوفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . وهذه فهرست أنواعه :

النوع الأول : معرفة المكي والمدني .

الثاني : معرفة الحضري والسفري .

الثالث : النهاري والليلي .

الرابع : الصيفي والشتائي .

الخامس : الفرائشي والنومي .

السادس : الأرضي والسماوي .

السابع : أول منازل .

الثامن : آخر منازل .

التاسع : أسباب النزول .

العاشر : منازل على لسان بعض الصحابة .

الحادي عشر : ما تكرر نزوله .

الثاني عشر : ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه .

- الثالث عشر : معرفة ما نزل مفترقا وما نزل جمعا .
 الرابع عشر : ما نزل مشيعا وما نزل مفردا .
 الخامس عشر : ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل
 النبي صلى الله عليه وسلم .
 السادس عشر : في كيفية إنزاله .
 السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سُورِهِ .
 الثامن عشر : في جمعه وترتيبه .
 التاسع عشر : في عدد سورهِ وآيَاتِهِ وكلماتِهِ وحروفِهِ .
 العشرون : في حُفَاطِهِ وروايتِهِ .
 الحادى والعشرون : في العالى والنازل .
 الثانى والعشرون : معرفة المتواتر .
 الثالث والعشرون : في المشهور .
 الرابع والعشرون : في الآحاد .
 الخامس والعشرون : في الشاذ .
 السادس والعشرون : الموضوع .
 السابع والعشرون : المدرج .
 الثامن والعشرون : في معرفة الوقف والابتداء .
 التاسع والعشرون : في بيان الموصول لفظا مفصول معنى .
 الثلاثون : في الإمالة والفتح وما بينهما .
 الحادى والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .
 الثانى والثلاثون : في المد والقصر .
 الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمزة .
 الرابع والثلاثون : في كيفية تحمله .
 الخامس والثلاثون : في آداب تلاوته .

- السادس والثلاثون : في معرفة غريبه .
السابع والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز .
الثامن والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب .
التاسع والثلاثون : في معرفة الوجوه والنظائر .
الأربعون : في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .
الحادي والأربعون : في معرفة إعرابه .
الثاني والأربعون : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها .
الثالث والأربعون : في الحكم والمتشابه .
الرابع والأربعون : في مقدمه ومؤخره .
الخامس والأربعون : في خاصه وعامه .
السادس والأربعون : في مجمله ومبينه .
السابع والأربعون : في ناسخه ومنسوخه .
الثامن والأربعون : في مشككه وموهم الاختلاف والتناقض .
التاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده .
الخمسون : في منطوقه ومفهومه .
الحادي والخمسون : في وجوه مخاطباته .
الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازه .
الثالث والخمسون : في تشبيهه واستعارته .
الرابع والخمسون : في كنايةاته وتعريضه .
الخامس والخمسون : في الحصر والاختصاص .
السادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب .
السابع والخمسون : في الخبر والإنشاء .
الثامن والخمسون : في بدائع القرآن .

التاسع والخمسون	: في فواصل الآي .
الستون	: في فوائج السور .
الحادى والستون	: في خواتم السور .
الثانى والستون	: في مناسبة الآيات والسور .
الثالث والستون	: في الآيات المشبهات .
الرابع والستون	: في إعجاز القرآن .
الخامس والستون	: في العلوم المستنبطة من القرآن .
السادس والستون	: في أمثاله .
السابع والستون	: في أقسامه .
الثامن والستون	: في جدله .
التاسع والستون	: في الأسماء والكنى والألقاب .
السبعون	: في مبهمات .
الحادى والسبعون	: في أسماء من نزل فيهم القرآن .
الثانى والسبعون	: في فضائل القرآن .
الثالث والسبعون	: في أفضل القرآن وفاضله .
الرابع والسبعون	: في مفردات القرآن .
الخامس والسبعون	: في خواصه .
السادس والسبعون	: في رسوم الخط وآداب كتابته .
السابع والسبعون	: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه .
الثامن والسبعون	: في شروط المفسر وآدابه .
التاسع والسبعون	: في غرائب التفسير .
الثمانون	: في طبقات المفسرين .

فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها؛ لزادت على

الثلاثمائة ، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ، وقفت على كثير منها .
ومن المصنفات في مثل هذا النمط — وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه وإنما هي طائفة يسيرة ونبذة قصيرة — فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي ، وجمال القراء للشيخ علم الدين السخاوي ، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة ، والبرهان في مشكلات القرآن لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة ؛ وكلها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل في جنب رمل عالج ، ونقطة قطري في حبال بحر زاخر .

* * *

وهذه أسماء الكتب التي نظرتها على هذا الكتاب ، ولخصته منها .
فمن الكتب الثقلية :

تفسير ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي الشيخ بن حيان ، والفريابي ،
وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وسعيد بن منصور — وهو جزء من سننه — والحاكم — وهو جزء من مستدركه — وتفسير الحافظ عماد الدين بن كثير ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ،
وفضائل القرآن لابن الضريس ، وفضائل القرآن لابن أبي شبة ، المصاحف لابن أبي داود ،
المصاحف لابن أشته ، الرد على من خالف مصحف عثمان لأبي بكر بن الأنباري ، أخلاق حملة القرآن للأجري ، التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ، شرح البخاري لابن حجر .
ومن جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى .

ومن كتب القراءات وتعلقات الأداء :

حamal القراء للسخاوي ، النشر والتقرير لابن الجزري ، الكامل للهذلي ، الإرشاد في القراءات العشر للواسطي ، الشواذ لابن غايون ، الوقف والابتداء لابن الأنباري ولاسجاوندی وللنحاس ،
وللداني وللعاني ولابن النكزاي ، قرة العين في الفتح والإمالة بين القظين لابن القاصح .

ومن كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب :

مفردات القرآن للراغب ، غريب القرآن لابن قتيبة وللعزيزي ، الوجوه والنظائر للنيسابوري ولابن عبد الصمد ، الواحد والجمع في القرآن لأبي الحسن الأخفش الأوسط ،

الزاهر لابن الأنباري ، شرح التسهيل والارتشاف لأبي حيان ، المغني لابن هشام ، الجني الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم ، إعراب القرآن لأبي البقاء والسمنين وللسفاحي وللمتجب الدين ، المحتسب في توجيه الشواذ لابن جني ، الخصائص له ، الخاطريات له ، ذقن الله ، أمالي ابن الحاجب ، المعرب للجو يقي ، مشكل القرآن لابن قتيبة ، اللغات التي نزل بها القرآن للقاسم بن سلام ^(١) . الغرائب والعجائب للكرماني ، قواعد في التفسير لابن نيمية .

ومن كتب الأحكام وتعلقاتها :

أحكام القرآن لإسماعيل القاضي ولبكر بن العلاء ولأبي بكر الرازي ولسكيا الهراسي ولابن العربي ، ولابن القزويني ولابن خوزمنداد . الناسخ والمنسوخ لمكي ولابن الحصار وللمتمم ولأبي جعفر النحاس ولابن العربي ولأبي داود السجستاني ، ولأبي عبيد القاسم بن سلام ^(٢) ولأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي . الإمام في أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام .

ومن الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة :

إعجاز القرآن للخطابي وللمرمان ولابن سُرّاق وللغاضي أبي بكر الباقلاني ولعبد القاهر الجرجاني وللإمام نغر الدين ، ولابن أبي الإصبع — واسمه البرهان — وللمزملكاني — واسمه البرهان أيضا — ومختصره له — واسمه المجيد — مجاز القرآن لابن عبد السلام ، الإعجاز في الحجاز لابن القيم ، نهاية التأميل في أسرار التنزيل للمزملكاني ، التبيان في البيان له ، المنهج المفيد في أحكام التوكيده ، بدائع القرآن لابن أبي الإصبع ، التحبير له ، الخواطر السوانح في أسرار الفوائد له ، أسرار التنزيل للشرف البارزي ، الأقصى القريب للتوخّي ، منهاج البلغاء لحازم ، العمدة لابن رشيق ، الصناعتين للمسكري ، الصباح لبدر الدين بن مالك ، التبيان للطّيبي .

(١) في الأصول : « لأبي القاسم محمد بن عبد الله » وهو خطأ فيه عليه مصحح ط ، قال : « وكذا أول النوع السابع والأربعون ، وهو صاحب كتاب الغريب المصنف » .
(٢) م : « رسلان » ، وصوابه من الأصل .

الكنايات للجرجاني ، الإغريض في الفرق بين الكفاية والتعريض للشيخ تقي الدين السبكي ، الاقتناص في الفرق بين المحصر والاختصاص له ، عروس الأفراح لولده بهاء الدين ، روض الأنفهام في أقسام الاستفهام للشيخ شمس الدين بن الصائغ ، نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير له ، المقدمة في سرّ الألفاظ المقدمة له ، أحكام الراي في أحكام الآي له ، مناسبات ترتيب السور لأبي جعفرين الزبير ، فواصل الآيات للطوفي ، المثل السائر لابن الأثير ، الفلك الدائر على المثل السائر^(١) ، كنز البراعة لابن الأثير ، شرح بدیع قدماء للموفق عبد اللطيف .
ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع :

البرهان في مشابه القرآن للكرماني ، درة التزويل وغرة التأويل في المشابه لأبي عهد الله الرازي ، كشف المعاني في المشابه ، المثاني للقاضي بدر الدين بن جماعة ، أمثال القرآن للماوردي ، أقسام القرآن لابن القيم ، جواهر القرآن للغزالي ، التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام للسهمي ، الذيل عليه لابن عساكر ، التبيان في مبهمات القرآن للقاضي بدر الدين بن جماعة ، أسماء من نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضير ، ذات الرشد في عدد الآي وشرحها للموصلي ، شرح آيات الصفات لابن اللبان ، المهر لنظيم في منافع القرآن العظيم لليافعي .

ومن كتب الرسم :

المقنع للداني ، شرح الرائية للسجاوي^(٢) ، شرحها لابن جُبارة .

ومن الكتب الجامعة :

بدائع القوائد ، لابن القيم ، كنز القوائد للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الفرر والدرر شريف المرتضى ، تذكرة البدرين صاحب ، جامع الفنون لابن شبيب الحنبلي ، النفيس بن الجوزي ، البستان لأبي الليث السمرقندي .

(١) لابن أبي الحديد .

(٢) الرائية ، هي القصيدة المسماة : « عقيلة أترابه القاصدين أسنى المقاصد » . في رسم المصحف ، نظم فاس فبرة الشاطبي . كشف الظنون .

ومن تفاسير غير المحدثين :

الكشاف وحاشيته للطبّي ، تفسير الإمام نجر الدين ، تفسير الإصمعيّ والحوفي ،
 وأبي حيان وابن عطية ، والتشيرى ، والمرسى ، وابن الجوزي ، وابن عقيل ، وابن رزين ،
 والواحدى والكواشى ، والماوردى ، وسليم الرازى ، وإمام الحرمين ، وابن بُرجان ،
 وابن بريزة ، وابن المنير . أمالى الرافعى على الفاتحة ، مقدّمة تفسير ابن النقيب .
 وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود .

التنوع الأول في معرفة المكي والمدني

أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم مكي والعزّ الديري. ومن فوائد معرفة ذلك ، العلم بالتأخر ، فيكون ناسخاً أو مخصّصاً ، على رأى من يرى تأخير المخصّص .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن: من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ،^(١) وترتيب منازل بمكة والمدينة ،^(٢) ومنازل بمكة وحكمه مدني ، ومنازل بالمدينة وحكمه مكي ، ومنازل بمكة في أهل المدينة ، ومنازل بالمدينة في أهل مكة ، وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي ، ومنازل بالجحفة ، ومنازل ببيت المقدس ، ومنازل بالطائف ، ومنازل بالحديبية ، ومنازل ليلاً ، ومنازل نهاراً ، ومنازل مشياً^(٣) ، ومنازل مفرداً ، والآيات المدنيات في السور المكية ، والآيات المكيّات في السور المدنية ، وما حمل من مكة إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى مكة ، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ومنازل مجّلاً ، ومنازل مفصّلاً ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدني وبعضهم مكي . فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميّز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى^(٤) . انتهى .

قلت: وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه ، فمنها ما أفردته بنوع ، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع .

وقال ابن العربي في كتابه الناسخ والمنسوخ: الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكياً ومدنياً ، وسفرياً وحضرياً ، وليلياً ونهارياً وسمائياً وأرضياً ، ومنازل بين السماء والأرض ، ومنازل تحت الأرض في القار .

(١-١) البرهان: « وترتيب منازل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً وترتيب منازل بالمدينة كذلك » .

(٢) المشيع : منازل وشيعته الملائكة ، وأورد منه الزركشي سورة الأعمام ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسي وسورة يونس . البرهان ١ : ١٩٩ .

(٣) نقله صاحب البرهان في ١ : ١٩٢ .

وقال ابن التقيب ^(١) في مقدمة تفسيره : المنزل من القرآن على أربعة أقسام : مكّي ، ومدني ، وما بعضه مكّي وبعضه مدني ، وما ليس بمكّي ولا مدني .

اعلم أن للناس في المكّي والمدني اصطلاحات ثلاثة :

(أشهرها) : أن المكّي منازل قبل الهجرة ، والمدني منازل بعدها ؛ سواء نزل بمكة أم بالمدينة ، عام الفتح أو عام حجة الوداع ، أم يسفر من الأسفار . أخرج عثمان بن سعد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام ، قال : منازل بمكة ومنازل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكّي ، ومنازل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ؛ وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن منازل في سفر الهجرة مكّي اصطلاحاً .

(الثاني) : أن المكّي منازل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني منازل بالمدينة . وعلى هذا تثبت الوسطة ، فمنازل بالأسفار لا يطلق عليه مكّي ولا مدني . وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عفير بن معدان ، عن ابن عامر عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة ، والمدينة ، والشام » قال الوليد : يعني بيت المقدس . وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : بل تفسيره : بتبوك أحسن . قلت : ويدخل في مكة ضواحيها كالمنازل بمعنى وعرفات والحديبية ، وفي المدينة ضواحيها كالمنازل بيدر وأحد وسلع .

(الثالث) : أن للمكّي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة . ومحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي .

قال القاضي أبو بكر في الانتصار : إنما يرجع في معرفة المكّي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والنسوخ ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول . انتهى

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال : «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت » .
وقال أيوب : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل — وأشار إلى سلع^(١) . أخرجه أبو نعيم في الحلية .
وقد ورد عن ابن عباس وغيره عدم المسكي والمدني . وأنا أسوق ما وقع لي من ذلك ، ثم أعقبه بتحرير ما اختلف فيه .

قال ابن سعد في الطبقات : أنبأنا الواقدي ، حدثني قدامة بن موسى ، عن أبي سلمة الحضرمي ، سمعت ابن عباس قال : سألت أبي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة ؟ فقال : نزل بها سبع وعشرون سورة ، وسائرهما بمكة .

وقال أبو جعفر النحاس في كتابه النسخ والنسوخ* : حدثني يموت بن المزرع ، حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ، حدثنا يونس بن حبيب ، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهدًا عن تلخيص آي القرآن ، المدني من المسكي فقال : سألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة فهي مكية ، إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ... ﴾^(٢) إلى تمام الآيات الثلاث ، وما تقدم من السور مدنيات . ونزلت بمكة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرحمن وإبراهيم والحجر والنحل — سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة ، في منصرفهم من أحد — وسورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج — سوى ثلاث آيات ﴿ هَذَانِ خَصَّانِ... ﴾^(٣) إلى تمام الآيات الثلاث ، فإنهن نزلن بالمدينة — وسورة المؤمنين والفرقان وسورة الشعراء — سوى خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ... ﴾^(٤) إلى آخرها . وسورة النمل والقصاص والعنكبوت والروم ولقمان — سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة : ﴿ وَلَوْ أَن مَآ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ... ﴾^(٥) إلى تمام

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . (٢) كذا في الأصل ، وفي ط : « غوث نذرع » .

(٣) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٣ . (٤) سورة الحج ١٩ — ٢١ .

(٥) سورة الشعراء ٢٢٤ . (٦) سورة لقمان ٢٧ .

الآيات — وسورة السجدة ، سوى ثلاث آيات : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا...﴾^(١) إلى تمام الآيات الثلاث . وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزمر ، سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾^(٢) إلى تمام الثلاث آيات . والخواصم السبعوق والذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة . والملك ون والحاقة وسأل وسورة نوح والجن والمزمل إلا آيتين : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾^(٣) . والمدثر إلى آخر القرآن إلا إذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، فإنهن مدينيات . ونزل بالمدينة سورة الأتقال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم .

هكذا أخرجه بطوله ، وإسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات من علماء العربيّة المشهورين .

* * *

وقال البيهقي في دلائل النبوة : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، حدثني يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالوا : أنزل الله من القرآن بمكة : اقرأ باسم ربك ، ون ، والمزمل ، والمدثر ، وتبت يدا أبي لهب ، وإذا الشمس كورت ، وسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ، والفجر ، والضحى ، وألم نشرح ، والعصر ، والعاديات ، والكوثر ، وألهاكم التكاثر ، وأرأيت ، وقل يا أيها الكافرون ، وأصحاب الفيل ، والفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وقل هو الله أحد ، والنجم ، وعيس ، وإنا أنزلناه ، والشمس وضحاها ، والسماء ذات البروج ، والتين ، والزيتون ، ولإيلاف قريش ، والقارعة ، ولأقسم بيوم القيامة ، والهزّة ، والمرسلات ، وق ، ولأقسم بهذا البلد ، والسماء والطارق ، واقتربت الساعة ، وص ، والجن ، ويس ، والفرقان ،

(١) سورة السجدة ١٨ .

(٢) سورة الزمر ٥٣ .

(٣) سورة المزمل ٢٠ .

والملائكة، وطه، والواقعة، وطسم، وطس، وطسم، وبنى إسرائيل، والتاسعة، وهود، ويوسف، وأصحاب الحجر، والأنعام، والصفافات، وتقمان، وسبأ، والزمر، وخم المؤمن، وخم الدخان، وخم السجدة، وحمسق، وخم الزخرف، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والفاشية، وأصحاب الكهف، والنحل، ونوح، وإبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، وآلم السجدة، والطور، وتبارك، والحاقة، وسأل، وعم يساءلون، والنازعات، وإذا السماء انشقت، وإذا السماء انفطرت، والروم، والعنكبوت.

وما نزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والمتعنة، والنساء، وإذا زلزلت، والحديد، ومحمد، والرعد، والرحمن، وهل أتى على الإنسان، والطلاق، ولم يكن، والحشر، وإذا جاء نصر الله، والنور، والحج، والمنافقون، والمجادلة، والحجرات، وبأيها النبي لم تحرم، والصف، والجمعة، والتغابن، والفتح، وبراءة. قال البيهقي: والتاسعة، يريد بها سورة بونس. قال: وقد سقط من هذه الرواية: الفاتحة والأعراف، وكهيعص، فيما نزل بمكة.

* * *

قال: وقد أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرارة الرقي، حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي، حدثنا خُصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس، أنه قال: إن أول ما نزل الله على نبيه من القرآن: اقرأ باسم ربك؛ فذكر معنى هذا الحديث، وذكر السور التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة، وقال: ولا حديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره مع المرسل الصحيح الذي تقدم.

* * *

وقال ابن الضريس^(١) في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمرو ابن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كانت إذا أنزلت فاتحة الكتاب بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما شاء، وكان أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك،

(١) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس، ذكره في تذكرة الحفاظ ٢: ٥٩٢.

ثم ن ، ثم بأيها المزمّل ، ثم بأيها المدثر ، ثم تبت يدأبي لهب ، ثم إذا الشمس كورت ، ثم سبّح
اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يغشى ، ثم والفجر ، ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والعصر ،
ثم والعاديات ، ثم إنا أعطيناك ، ثم ألهاكم التكاثر ، ثم رأيت الذى يكذب ، ثم قل بأيها
الكافرون ، ثم ألم تر كيف فعل ربك ، ثم قل أعوذ بربّ الفلق ، ثم قل أعوذ برب
الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، ثم والشمس
وضحاها ، ثم والسماء ذات البروج ، ثم والثنين ، ثم لإيلاف قريش ، ثم القارعة ، ثم لا أقسم
بيوم القيامة ، ثم ويل لكل همزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم لا أقسم بهذا البلد ، ثم والسماء
والطارق ، ثم اقتربت الساعة ، ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم قل أوحى ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم
الملائكة ، ثم كهيص ، ثم طه ، ثم الواقعة ، ثم طه الشعراء ، ثم طس ، ثم القصص ، ثم بنى إسرائيل ،
ثم يونس ، ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ، ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم
الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حمسق ، ثم حم الزخرف ، ثم الدخان ، ثم الجاثية ،
ثم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الفاشية ، ثم الكهف ، ثم النحل ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم
سورة إبراهيم ، ثم الأنبياء ، ثم المؤمنين ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الطور ، ثم تبارك الملك ، ثم
الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم النازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء
انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للمطففين . فهذا ما أنزل الله بمكة

ثم أنزل بالمدينة: سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم المتحنة ،
ثم النساء ، ثم إذا زلزلت ، ثم الحديد ، ثم القتال ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم الإنسان ،
ثم الطلاق ، ثم لم يكن ، ثم الحشر ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المناقون ، ثم
المجادلة ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الصف ، ثم الفتح ، ثم المائدة ثم براءة

وقال أبو عبيد فى فضائل القرآن: حدثنا عبد الله بن صالح ومعاوية بن صالح ، عن على بن أبى
طلحة ، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج

والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمتحنة ،
والخواريين - يريد الصف - والتغابن ، وبآيتها النبي إذا طلقتم النساء ، وبآيتها النبي لم تحرم ، والفجر ،
والليل ، وإن أنزلناه في ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله . وسائر ذلك بمكة .

وقال أبو بكر بن الأنباري : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا حجاج بن
منهال ، نبأنا هشام عن قتادة ، قال : نزل في المدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ،
والمائدة ، وبراءة ، والزعم ، والنحل ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ،
والحديد ، والرحمن ، والمجادلة ، والحشر ، والمتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمناقون ،
والتغابن ، والطلاق ، وبآيتها النبي لم تحرم ، إلى رأس العشر ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء
نصر الله . وسائر القرآن نزل بمكة .

وقال أبو الحسن بن الحصار في كتابه النسخ والمنسوخ : المدني باتفاق عشرون سورة ،
والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق ثم نظم في ذلك أبياتا فقال :

باسألي عن كتاب الله مجتهدا	وعن ترتب ما بُتلي من الشور
وكيف جاء بها المختار من مضر	صلى الإله على المختار من مضر
وما تقدم منها قبل هجرته	وما تأخر في بدو وفي حضر
ليعلم النسخ والتخصيص مجتهدا	بؤيد الحكم بالتاريخ والنظر
تعارض النقل في أم الكتاب وقد	توولت الحجر تنبيها لمعتبر
أم القرآن وفي أم القرى نزلت	ما كان للخمس قبل الحمد من أثر ^(١)
وبعد هجرة خير الناس قد نزلت	عشرون من سور القرآن في عشر

(١) في حاشية الأصل بعد هذا البيت :

لو كان ذلك لكان النسخ أولها ولم يقل بصريح النسخ من بشر

فان : ورد هذا البيت في التجر ، فأنظر لماذا أسقط هنا ، وقد بينت معنى هذا البيت بما مش أن تعبير ، فراجع .

فَأَرْبَعٌ مِنْ طَوَالِ السَّبْعِ أَوَّلُهَا
وتوبة الله إِنْ عُدَّتْ فسادَةٌ
وسورة لنبي الله محكمةٌ
ثم الحديدُ ويَتْلُوها مُجَادِلَةٌ
وسورة فضحَ الله النِّفاقَ بها
ولِلطَّلَاقِ وَلِلتَّحْرِيمِ حَكْمُهُمَا
هَذَا الَّذِي اتَّفَقَتْ فِيهِ الرِّوَاةُ لَهُ
فَالرَّعْدُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا مَتَى نَزَلَتْ
ومثلها سورة الرَّحْمَنِ شَاهِدُهَا
وسورةٌ لِلْحَوَارِيِّينَ قَدْ عُلِمَتْ
وليله القَدَرُ قَدْ خُصَّتْ بِمَلَّتِنَا
وقل هو الله من أوصاف خَالِقِنَا
وَذَا الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ الرِّوَاةُ
وماسوى ذاك مَكِّيٌّ تَنَزَّلُهُ
فليسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مَعْتَبَرًا

وخامسُ الحُسْنِ فِي الْأَنْفَالِ ذِي الْعِبَرِ
وسورة النُّورِ وَالْأَحْزَابِ ذِي الذِّكْرِ
والْفَتْحِ وَالْحُجُرَاتِ الْغُرُ فِي غُرَرِ
والْحَشْرِ ثُمَّ امْتِحَانُ اللَّهِ لِلْبَشَرِ
وسورة الْجَمْعِ تَذْكَارٌ لِدُّ كِرٍّ (١)
وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ تَنْبِيهًا عَلَى الْعُمْرِ
وقد تَعَارَضَتْ الْأَخْبَارُ فِي أُخْرِ
وَأَكْثَرُ النَّاسِ قَالُوا الرَّعْدُ كَالْقَمَرِ
ثُمَّ تَضَمَّنَ قَوْلُ الْجَنِّ فِي الْخَبَرِ
ثُمَّ التَّغَابُنِ وَالتَّطْفِيفِ ذُو النَّذْرِ
ولم يكن بعدها الزَّلْزَالُ فَاعْتَبِرِ
وَعُودَتَانِ تَرْدُ الْبَأْسَ بِالْقَدْرِ
وربما اسْتَمْتَنَيْتُ آيٌ مِنَ السُّورِ
فَلَا تَكُنْ مِنْ خِلَافِ النَّاسِ فِي حَصْرِ
إِلَّاخِلَافٍ لَهُ حَظٌّ مِّنَ النَّظَرِ

(١) حاشية الأصل : قوله : « سورة اجمع » ، أراد بها سورة الجمعة ، غُذِفَتْ التاء الضرورية النظم ، فلا يقال : إِنْ مراده بسورة الجمع سورة التغابن لقوله تعالى فيها :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾

أعنى سورة الجمع - فيخالف هذا ما يأتي بعد في النظم من جعله التغابن من لُحْتَفٍ فيه ، *
القول : ثم التغابن والتطفييف * .

فصل

في تحرير السور المختلف فيها

(سورة الفاتحة) : الأكثرون على أنها مكية ، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتي في النوع الثامن ، واستدل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ .^(١) وقد قسرها صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما في الصحيح . وسورة الحجر مكية باتفاق ، وقد امتن على رسوله فيها بها ، فدل على تقدم نزول الفاتحة عليها ، اذ يبعد أن يمتن عليه بما لم ينزل بعد ، وبأنه لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ، ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة . ذكره ابن عطية وغيره .

وقد روى الواحدى والثعلبى من طريق العلاء بن المسيب ، عن الفضل بن عمرو ، عن علي بن أبي طالب ، قال : نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش .

واشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية ، أخرجه الفريابي^(٢) في تفسيره ، وأبو عبيد في الفضائل بسند صحيح عنه . قال الحسين بن الفضل : هذه هفوة من مجاهد ، لأن العلماء على خلاف قوله ، وقد نقل ابن عطية القول بذلك عن الزهرى وعطاء وسودة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير .

وورد عن أبي هريرة بأسناد جيد ، قال الطبرانى فى الأوسط : حدثنا عبيد بن غنم ، نبأنا أبو بكر بن أبي شعبة ، نبأنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة ، أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب ، وأنزلت بالمدينة . ويحتمل

(١) سورة الحجر ٨٧

(٢) ط : الفريابي ، تصحيف ، فيه عليه مصحح ط في المستدرک ، قال : الفريابي المحدث نسبة إلى

بلد تسمى فرياب . وقال ياقوت : فرياب : بلدة من نواحي بلخ .

أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد .

وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين ؛ مرة بمكة ومرة بالمدينة ؛ مبالغة في تشریفها . وفيها قول رابع ، أنها نزلت نصفين ، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة ، حكاه أبو الليث السمرقندي .

(سورة النساء) : زعم النحاس أنها مكية مستنداً إلى إن قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ...﴾^(١) الآية نزلت بمكة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة ، وذلك مستندٌ واه ، لأنه لا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية ، خصوصاً أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني ؛ ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الرد عليه . ومما يرد عليه أيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت : « ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده » ، ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً . وقيل : نزلت عند الهجرة .

(سورة يونس) : المشهور أنها مكية ، وعن ابن عباس روايتان ، فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية . وأخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عنه ، ومن طريق ابن جريج عن عطاء عنه ، ومن طريق خفيف ، عن مجاهد ، عن ابن الزبير .

وأخرج من طريق عثمان ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنها مدنية ، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : لما بعث الله محمداً رسلاً أنكرت العرب ذلك - أو من أنكر ذلك منهم - فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، فأنزل الله تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا...﴾^(٢) الآية .

(سورة الرعد) : تقدم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس وعن علي بن أبي طلحة . أنها مكية ، وفي بقية الآثار أنها مدنية .

وأخرج أبو الشيخ مثله ، عن قتادة وأخرج الأول عن سعيد بن جبير .

وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر - قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ...﴾^(٣) ، أهو عبد الله

ابن سلام؟ قال : كيف وهذه السورة مكية ! ويؤيد القول بأنها مدنية ما أخرجه الطبراني وغيره عن أنس ، أن قوله الله : ﴿ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ ، نزل في قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل حين قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذي يجمع به بين الاختلاف ، أنها مكية إلا آيات منها .

(سورة الحج) : تقدم من طريق مجاهد ، عن ابن عباس ، أنها مكية إلا الآيات التي استثناهما ، وفي الآثار الباقية أنها مدنية .

وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي : عن ابن عباس ، ومن طريق ابن جريج وعثمان ، عن عطاء عن ابن عباس ، ومن طريق مجاهد عن ابن الزبير : أنها مدنية ، قال ابن الفرس ^(١) في أحكام القرآن : وقيل إنها مكية إلا : ﴿ هَذَا خُطْمَانِ ... ﴾ الآيات . وقيل : إلا عشر آيات . وقيل : مدنية إلا أربع آيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ إلى ﴿ عَقِيمٍ ﴾ . قاله قتادة وغيره . وقيل : كلها مدنية ، قاله الضحاك وغيره . وقيل : هي مختلطة ، فيها مدني ومكي ، وهو قول الجمهور . انتهى

ويؤيد مانسبه إلى الجمهور أنه ورد في آيات كثيرة ، منها أنه نزل بالمدينة كما حرمناه في أسباب النزول .

(سورة الفرقان) : قال ابن الفرس : الجمهور على أنها مكية . وقال الضحاك مدنية .
(سورة يس) : حكى أبو سليمان الدمشقي له قولاً إنها مدنية ، قال : وليس بالشهور .
(سورة ص) : حكى الجعبري قولاً إنها مدنية ، خلاف حكاية جماعة الإجماع على أنها مكية .
(سورة محمد) : حكى النسفي قولاً غريباً إنها مكية .
(سورة الحجرات) : حكى قولاً شاذاً إنها مكية .

(١) ابن الفرس ، بالعين المعجمة ، هو عبد النعم بن الفرس ، من فقهاء الحنفية ، كما ذكره في المستدرک .

(سورة الرحمن) : الجمهور على أنها مكّية ، وهو الصواب ، ويدل له ما رواه الترمذی
مواالحاكم عن جابر ، قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه سورة الرحمن
حتى فرغ ، قال : مالي أراكم سكوتاً ! للّجج كنوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم من
حمرة : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك
الحمد . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ؛ وقصة الجن كانت بمكة .
وأصرّح منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيد ، عن أسماء بنت أبي بكر ،
قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدّع بما يؤمر ،
والمشركون يسمعون : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ وفي هذا دليل على تقدّم نزولها
على سورة الحجر .

(سورة الحديد) : قال ابن الفرس : الجمهور على أنها مدنيّة ، وقال قوم : إنها مكّية ،
ولا خلاف أن فيها قرآناً مدنياً ، لكن يشبه صدرها أن يكون مكّياً .
قلت : الأمر كقال ، ففي مسند البزار وغيره عن عمر ، أنه دخل على أخته قبل أن يسلم ،
فإذا صحيفة فيها أول سورة الحديد ، قرأها ، وكان سبب إسلامه .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : لم يكن شيء بين إسلامه وبين أن نزلت
هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
سَبِيلٍ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ... ﴾ ^(١) الآية .

(سورة الصف) : المختار أنها مدنيّة ، ونسبها ابن الفرس إلى الجمهور ورجّحه ،
حويدل له ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبد الله بن سلام ، قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فتذاكرنا ، قلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعلناه ، فنزل
الله سبحانه : ﴿ سَيَجِيءُ اللَّهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . يأتيها الذين
امنوا لم تقولوا مالا تفعلون ... ﴿ ^(٢) ، حتى ختمها ، قال عبد الله : قرأها علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى ختمها .

(سورة الجمعة): الصحيح أنها مدنية لما روى البخاري عن أبي هريرة، قال: «كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل عليه سورة الجمعة: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يُلْحَقُوا بِهِمْ...﴾»^(١) قلت: من هم يارسل الله؟... الحديث. ومعلوم أن إسلام أبي هريرة بعد الهجرة بمدة. وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾^(٢) خطاب لليهود، وكانوا بالمدينة. وآخر السورة نزل في انفضاضهم حال الخطبة لما قدمت العير، كما في الأحاديث الصحيحة، فثبت أنها مدنية كلها.

(سورة التغابن): قيل مدنية، وقيل مكية إلا آخرها.

(سورة الملك): فيها قول غريب إنها مدنية.

(سورة الإنسان): قيل مدنية، وقيل مكية إلا آية واحدة: ﴿وَلَا تَطْعَمُ مِنْهُمْ آَمَنًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٣).

(سورة المطففين): قال ابن الفرس: قيل إنها مكية لذكر الأساطير فيها، وقيل: مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشد الناس فساداً في الكيل: وقيل: نزلت بمكة إلا قصة التطفيف، وقال قوم: نزلت بين مكة والمدينة. انتهى.

قلت: أخرج النسائي وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل.

(سورة الأعلى): الجمهور على أنها مكية، قال ابن الفرس: وقيل إنها مدنية. فذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

قلت: ويردّه ما أخرجه البخاري عن البراء بن عازب، قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرأنا

القرآن، ثم جاء عمارو بلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأرايت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فاجاء حتى قرأت «سبح اسم ربك الأعلى» في سورة مثلها.

(سورة الفجر): فيها قولان، حكاهما ابن العرّس. قال أبو حيان: والجمهور على أنها مكية.

(سورة البلد): حكى ابن العرّس فيها أيضا قولين، وقوله: ﴿هَذَا الْبَلَدُ﴾ يرد القول بأنها مدنية.

(سورة الليل): الأشهر أنها مكية، وقيل مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة

كما أخرجناه في أسباب النزول^(١). وقيل: فيها مكي ومدني.

(١) حاشية الأصل : « قوله كما أخرجناه في أسباب النزول ، قال رحمه الله في كتابه أسباب النزول من قصة النخلة مانعه : أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ، أن رجلا كانت له نخلة ، فرعها في دار رجل فقير ذي عيال ، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها التمر ، فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير ، فيترن من نخله حتى يأخذ الثمرة من أيديهم ، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه ، فشكا ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : اذهب . ولقي صلى الله النبي عليه وسلم صاحب النخلة ، فقال له : أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ، ولك بها نخلة في الجنة ، فقال الرجل : لقد أعطيت وإن لي نخلا كثيرا ، وما فيه نخلة أعجب لي ثمرة منها . ثم ذهب الرجل ولقي رجلا كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنهطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إذا أنا أخذتها ؟ قال : نعم ، فذهب الرجل فلقى صاحب النخلة ولكليها نخلة ، فقال له صاحب النخلة : أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أعطاني بنخلة المائلة في دار فلان نخلة في الجنة ! فقلت له : لقد أعطيت ولكن يجنيني تمرها ، ولي نخل كثير ، ما فيه نخلة أعجب لي ثمرة منها : فقال له الآخر : أريد بيعها ؟ فقال : لا ، إلا أن أعطى بها ما أريد ، ولا أظن أن أعطى . قال : فكم منك فيها ؟ قال : أربعون نخلة ، قال : لقد جئت بأمر عظيم ، ثم سكت عنه ، فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة فأشهد لي أن كنت صادقا ، فدعا قومه فأشهد له ، ثم ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إن النخلة قد صارت لي ، ومي لك ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب الدار ، فقال : النخلة لك وإماليك ، فأترل الله : « والليل إذا يفتنى ... » ، إلى آخر السورة . قال ابن كثير : غريب جدا . وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يذب في الله وفيه نزلت : « وسيجنبها الأتقى ... » إلى آخر السورة .

وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، قال : قال أبو قحافة لأبي بكر أراك تعشق أرقابا ضعفا ، فلو أنك أعتقت رجلا جلدًا ، بمنعوك ويقومون دونك ! فقال : يا أباي ، إنني أريد ما عند الله ، ففترلت هذه الآية فيه : « فأما من أعطى واتق . وصدق بالحقى ... » ، إلى آخر السورة =

(سورة القدر): فيها قولان ، والأكثر أنها مكية ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم ، عن الحسن بن عليّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بنى أمية على منبره ، فساء ذلك ، فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ، ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ...﴾ الحديث ، قال المزنيّ : وهو حديث منكر .

(سورة لم يكن) : قال ابن الفرّس : الأشهر أنّها مكية .

قلت : ويدلّ لمقابلته ما أخرجه أحمد عن أبي حنيفة البدرى قال : لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ إلى آخرها : قال جبريل : يا رسول الله ، إنّ ربك يأمرك أن تقرّ بها آيياً ... الحديث . وقد جزم ابن كثير بأنّها مدنية واستدلّ به .

(سورة الزلزلة) : فيها قولان ، ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدرى ، قال : لما نزلت : ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾ الآية : قلت : يا رسول الله ، إنى لراء على ... الحديث . وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد .

(سورة العاديات) : فيها قولان .

ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس : قال : «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ، فلبثت شهراً لا يأتيه منها خبر ، فنزلت «والعاديات...» ، الحديث .

(سورة الماكم) : الأشهر أنّها مكية ، ويدلّ لكونها مدنية — وهو المختار — ما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن ابن مبريدة ، أنّها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا ... الحديث .

وأخرج عن قتادة أنّها نزلت في اليهود .

= وأخرج البراء عن ابن الزبير ، قال : نزلت هذه الآية : «وما لأحد عنده من نعمة تجزى...» إلى آخرها ، في أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

هذا حاصل ما ذكره في كتابه أسباب النزول من قصته النخلة . وانظره في ٢ : ١٣٣

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن - يعني « لو كان لابن آدم واد من ذهب » - حتى نزلت: « ألهاكم التكاثر » .

وأخرج الترمذي ، عن عليّ قال : مازلنا نشكّ في عذاب القبر حتى نزلت في وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية .

(سورة أزيّت): فيها قولان ، حكاهما ابن الفرس .

(سورة الكوثر) : الصواب أنّها مدنية، ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءً ، فرفع رأسه متبسماً ، فقال : أنزلت على آتفا سورة ، فقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إنا أعطيناك الكوثر... ﴿ حتى ختمها ... الحديث .

(سورة الإخلاص) : فيها قولان ، لحديثين في سبب نزولها متعارضين . وجمع بعضهم بينهما بتكرّر نزولها ، ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية ، كما بينته في أسباب النزول (١) .

(المعوذتان) : المختار أنّهما مدنيتان ، لأنهما نزلتا في قصة سحر كبيد بن الأعصم ، كما أخرجه البيهقي في الدلائل .

فصل

قال البيهقي في الدلائل: في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها . وكذا قال ابن الحصار: وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة؛ قال: إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل .

فصل

في ذكر ما استثنى من المكي والمدني

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية. قال: وأما عكس ذلك، وهو نزول شيء من سورة بمكة، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة، فلم أراه إلا نادراً .

قلت: وهأنا أذكر ما وقفتُ على استثنائه من النوعين، مستوعباً ما رأيت من ذلك على الاصطلاح الأول دون الثاني، وأشير إلى أدلة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار السابق، ولا أذكر الأدلة بلفظها اختصاراً وإحالةً على كتابنا أسباب النزول .

(الفاتحة): تقدم قول أن نصفها نزل بالمدينة، والظاهر أنه النصف الثاني، ولادليل لهذا القول .

(البقرة): استثنى منها آيتان: ﴿ فَأَعْقُوا وَاصْتَحُوا ﴾ ^(١)، و﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ ^(٢) .

(الأنعام): قال ابن الحصار: استثنى منها تسع آيات، ولا يصح به نقل، خصوصاً قد ورد أنها نزلت جملة .

قلت: قد صح النقل عن ابن عباس استثناء: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا... ﴾ ^(٣) الآيات الثلاث كما تقدم، والبواقي: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٤) . لما أخرجه ابن أبي حاتم أنها

نزلت في مالك بن الصيف، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ ^(١) الآيةين،
نزلتافي مُسَيْلِمَةَ. وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرِفُونَ﴾ ^(٢)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ^(٣).

وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي، قال: نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا
بالمدينة في رجل من اليهود وهو الذي قال: ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^(٤).
وقال الفريابي: حدثنا سُفْيَانُ، عن إيث عن بشر، قال: الأنعام مكية إلا ﴿قُلْ

تَعَالَوْا أَتْلُكُمْ﴾ والآية التي بعدها.

(الأعراف): أخرج أبو الشيخ بن حيان عن قتادة قال: الأعراف مكية الآية
﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ ^(٥). وقال غيره: من هنا إلى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ ^(٦) مدن.
(الأفال): استثنى منها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ^(٧) الآية، قال
مقاتل: نزلت بمكة.

قلت: يردّه ماصح عن ابن عباس أنّ هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة كما أخرجناه
في أسباب النزول، واستثنى بعضهم قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ...﴾ ^(٨) الآية،
وصحّحه ابن العربي وغيره.

قلت: يؤيده ما أخرجه البزار، عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر.
(براءة): قال ابن العرس: مدنية إلا آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ ^(٩)
إلى آخرها.

قلت: غريب، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل! واستثنى بعضهم: ﴿مَا كَانَ

(٣) آية ١١٤

(٦) آية ١٧٢

(٩) آيات ١٢٨، ١٢٩

(٢) آية ٢٠

(٥) آية ١٦٣

(٨) آية ٦٤

(١) آيات ٢١، ٢٢

(٤) آية ٩١

(٧) آية ٣٠

تَلَنَّبِيَّ .. ﴿^(١) الآية ، وَمَا وَرَدَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي طَالِبٍ :
«لَا تَسْتَغْفِرُونَ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْكَ» .

(يونس) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ ..﴾ ^(٢) الْآيَتَيْنِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ
يُؤْمِنُ بِهِ ..﴾ ^(٣) الْآيَةِ . قِيلَ : نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ . وَقِيلَ : مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مَكِّيَّ وَالْبَاقِي
مَدَنِيَّ ، حَكَاهُ ابْنُ الْفَرَسِ وَالسَّخَاوِيُّ فِي جَمَالِ الْقُرَّاءِ .

(هود) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا ثَلَاثَ آيَاتٍ : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ ..﴾ ^(٤) ، ﴿أَقَمْنِ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ
مِنْ رَبِّهِ ..﴾ ^(٥) ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ..﴾ ^(٦) .

قُلْتُ : دَلِيلُ الثَّلَاثَةِ مَا صَحَّ مِنْ عِدَّةِ طُرُقِ أَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي خُقِّ أَبِي الْيُسْرِ .
(يوسف) : اسْتَفْتَنِي مِنْهَا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا ، حَكَاهُ أَبُو حَيَّانٍ ، وَهُوَ وَاهٍ جَدًّا
لَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهِ .

(الرعد) : أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سُورَةُ الرِّعْدِ مَدَنِيَّةٌ الْآيَةُ ، قَوْلُهُ : ﴿وَلَا يَزَالُ
الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ..﴾ ^(٧) وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ ، يَسْتَفْتِي
قَوْلُهُ : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿شَدِيدُ الْحَالِ ..﴾ ^(٨) كَمَا تَقَدَّمَ وَالْآيَةُ آخِرُهَا ، فَقَدْ
أَخْرَجَ ابْنُ مَرْثُومٍ عَنْ جُنْدَبٍ ، قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ حَتَّى أَخَذَ بَعْضَادَتِي بَابَ
الْمَسْجِدِ ، قَالَ : أُنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ أَيْ قَوْمَ ، أَتَعْلَمُونَ أَنِّي الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ﴾ ^(٩) ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

(إبراهيم) : أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ غَيْرُ آيَتَيْنِ مَدَنِيَّتَيْنِ :
﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَدْعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ إِلَى ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ ..﴾ ^(١٠) .

٤٠ آيَةُ (٣)

١١٤ آيَةُ (٦)

٩٥ ، ٩٤ آيَةُ (٢)

١٧ آيَةُ (٥)

١٣ — ٨ آيَتَا (٨)

١٩ ، ٢٨ آيَةُ (١٠)

١١٣ آيَةُ (١)

١٤ — ١٢ آيَةُ (٤)

٣١ آيَةُ (٧)

٤٣ آيَةُ (٩)

(الحجر) : استثنى بعضهم منها: ﴿وَأَقْدَمْنَاكَ سَبْعًا...﴾ الآية (١).
قلت: وينبغي استثناء قوله: ﴿وَأَقْدَمْنَاكَ السُّتْقَمِينَ...﴾ (٢)، الآية، لما أخرجه
الترمذى وغيره في سبب نزولها، وأنها في صفوف الصلاة.

(النحل) : تقدّم عن ابن عباس أنه استثنى آخرها، وسيأتى في السّفرى ما يؤيده.
وأخرج أبو الشّيع عن الشعبي، قال: نزلت النحل كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ...﴾ (٣) إلى آخرها.

وأخرج عن قتادة، قال: سورة النحل من قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ
مَا ظَلَمُوا...﴾ (٤) إلى آخرها مدنى، وما قبلها إلى آخر السورة مكي، وسيأتى في أول ما نزل
عن جابر بن زيد أن النحل نزل منها بمكة أربعون، وباقية بالمدينة. ويرد ذلك ما أخرجه
أحمد عن عثمان بن أبي العاص في نزول ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٥)،
وسيأتى في نوع الترتيب.

(الإسراء) : استثنى منها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ الآية (٦)، لما أخرجه
البخارى عن ابن مسعود أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح.
واستثنى منها أيضا: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا﴾ (٧)، وقوله: ﴿قُلْ لَيْتِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾ (٨) الآية، وقوله: ﴿وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...﴾ (٩) الآية، و﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ (١٠) لما أخرجه في
في أسباب النزول.

(الكهف) : استثنى من أوتها إلى ﴿جُرْرًا﴾ (١١)، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| (١) سورة الحجر ٨٧ | (٢) سورة الحجر ٢٤ |
| (٣) سورة النحل ١٢٦ | (٤) سورة النحل ٤١ |
| (٥) سورة النحل ٩٠ | (٦) سورة الإسراء ٨٥ |
| (٧) سورة الإسراء ٧٣ - ٨١ | (٨) سورة الإسراء ٨٨ |
| (٩) سورة الإسراء ٦٠ | (١٠) سورة الإسراء ١٠٧ |
| | (١١) سورة الكهف ١ - ٨ |

تَفْسِكَ... ﴿١﴾ الآية، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ﴿٢﴾ إلى آخر السورة .

(مریم) : استثنى منها آية السجدة، وقوله ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ﴿٣﴾

(طه) : استثنى منها : ﴿فَاضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...﴾ ﴿٤﴾ الآية .

قلت : ينبغي أن يستثنى آية أخرى فقد أخرج البزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال : أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيقاً فارسى إلى رجل من اليهود : أن أسلفنى دقيقاً إلى هلال رجب ، فقال : لا إلا برهن ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فقال : «أما والله إني لأدين في السماء أمين في الأرض » ، فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ ﴿٥﴾ .

(الأنبياء) : استثنى منها : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ...﴾ ﴿٦﴾ الآية .

(الحج) : تقدم ما يستثنى منها .

(المؤمنين) : استثنى منها : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ ، إلى قوله : ﴿مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٧﴾ .

(الفرقان) : استثنى منها : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ إلى ﴿رَحِيماً﴾ ﴿٨﴾ .

(الشعراء) : استثنى ابن عباس منها : ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ ﴿٩﴾ إلى آخرها كما تقدم . زاد

غيره قوله : ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٠﴾ ، حكاه ابن الغرس .

(القصص) : استثنى منها : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله : ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١١﴾ ،

فقد أخرج الطبراني ، عن ابن عباس أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي

الذين قدموا وشهدوا وقعة أحد ، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾ ﴿١٢﴾ الآية لما سيأتى .

- (٢) سورة الكهف ١٠٧
(٤) سورة طه ١٣٠
(٦) سورة الأنبياء ٤٤
(٨) سورة الفرقان ٦٨ - ٧٠
(١٠) سورة الشعراء ١٩٧
(١٢) سورة القصص ٨٥

- (١) سورة الكهف ٢٨
(٣) سورة ص ٧١
(٥) سورة طه ١٣١
(٧) سورة المؤمن ٦٤ - ٧٧
(٩) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٧
(١١) سورة القصص ٥٢ - ٥٥

(المنكبات): استثنى من أولها إلى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ^(١) ، لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها .

(قلت): ويضم إليه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَا بَةِ...﴾ ^(٢) الآية، لما أخرجه ابن أبي حاتم في سبب نزولها .

(لقمان): استثنى منها ابن عباس: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَائِي الْأَرْضُ...﴾ ^(٣) الآيات الثلاث كما تقدم .

(السجدة): استثنى منها ابن عباس: ﴿أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا...﴾ ^(٤) الآيات الثلاث كما

كما تقدم، وزاد غيره: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ^(٥) ويدل له ما أخرجه البزار عن بلال، قال: كنا نجلس في المسجد، وناس من الصحابة يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت.

(سبا): استثنى منها: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾ ^(٦) الآية . وروى الترمذي

عن فروة بن مسيك المرادي، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي ... الحديث، وفيه: «وأُنزل في سبا ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبا؟ ... الحديث .

قال ابن الحصار: هذا يدل على أن هذه القصة مدنية لأن مهاجرة فروة بعد إسلام تقيف سنة تسع .

قال: ويحتمل أن يكون قوله: «وأُنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل هجرته .

(يس): استثنى منها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ ^(٧) الآية، لما أخرجه الترمذي

والحاكم عن أبي سعيد، قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية . قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن آثارك تسكتب»، فلم

(٢) سورة المنكبات ٦٠

(٤) سورة السجدة ١٨ — ٢٠

(٦) سورة سبا ٦

(١) سورة المنكبات ١١

(٣) سورة لقمان ٢٧ — ٢٩

(٥) سورة السجدة ١٦

(٧) سورة يس ١٢

يَتَّقُوا . واستثنى بعضهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا...﴾^(١) الآية ، قيل: نزلت في المنافقين .
(الزمر): استثنى منها: ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ...﴾^(٢) الآيات الثلاث كما تقدم عن ابن عباس .

وأخرج الطبرانى من وجه آخر عنه أنها نزلت في وحشى قاتل حمزة ، وزاد بعضهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ...﴾^(٣) الآية ، ذكره السخاوى فى جمال القراء ، وزاد غيره: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾^(٤) الآية ، وحكاه ابن الجزرى .

(غافر) : استثنى منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) ، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية وغيره ، أنها نزلت فى اليهود كما ذكره الدجال ، وأوضحته فى أسباب النزول .

(شورى) : استثنى منها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾^(٦) .

قلت: بدلالة ما أخرجه الطبرانى والحاكم فى سبب نزولها ، فإنها نزلت فى الأنصار .
وقوله: ﴿وَلَوْ بَاسِطٌ...﴾^(٧) الآية نزلت فى أصحاب الصفة . واستثنى بعضهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٨) ، حكاه ابن العرس .

(الزخرف) : استثنى منها: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا...﴾^(٩) الآية ، قيل: نزلت بالمدينة وقيل: فى السماء .

(الجاثية) : استثنى منها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾^(١٠) الآية ، حكاه فى جمال القراء عن قتادة .

(الأحقاف) : استثنى منها: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾^(١١) الآية ، فقد

(٢) الزمر ٥٣ — ٥٥
(٤) سورة الزمر ٢٣
(٦) سورة الشورى ٢٤ — ٢٧
(٨) سورة الشورى ٣٩ ، ٤٠
(١٠) سورة الجاثية ١٤

(١) سورة يس ٤٧
(٣) سورة الزمر ١٠
(٥) سورة غافر ٥٦ ، ٥٧
(٧) سورة الشورى ٢٧
(٩) سورة الزخرف ٤٥
(١١) سورة الأحقاف ١٠

أخرج الطبراني بسند صحيح ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام ؛ وله طرق أخرى ، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق ، قال : أنزلت هذه الآية بمكة ، إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة ، وإنما كانت خصومة خاص بها محمداً صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عن الشعبي قال : ليس بعبد الله بن سلام ، وهذه الآية مكية . واستثنى بعضهم : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ... ﴾ ^(١) الآيات الأربع ، وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْقُرْمِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، حكاه في جمال القراء .

(ق) : استثنى منها : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ ﴾ إلى ﴿ الْغُوبِ ﴾ ^(٣) ، فقد أخرج الحاكم وغيره أنها نزلت في اليهود .

(النجم) : استثنى منها : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ ^(٤) إلى ﴿ اتَّقَى ﴾ . وقيل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي سَوَّى ... ﴾ ^(٥) الآيات التسع .

(القمر) : استثنى منها : ﴿ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ ... ﴾ ^(٦) الآية : هو مردود لما سيأتي في النوع الثاني عشر . وقيل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ... ﴾ ^(٧) الآيتين .

(الرحمن) : استثنى منها : ﴿ يَسْأَلُهُ ﴾ ^(٨) ، حكاه في جمال القراء .

(الواقعة) : استثنى منها : ﴿ نُفْلَةٍ مِنْ الْأَوَّلِينَ * وَنُفْلَةٍ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ ^(٩) وقوله : ﴿ فَلَا تَقِمْ بِمِوَاقِعِ الشُّجُومِ ﴾ ، إلى ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾ ^(١٠) ، لما أخرجه مسلم في سبب نزولها .

(١) سورة الأحقاف ١٥

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة القمر ٥٥

(٥) سورة الرحمن ٢٩

(٦) سورة الواقعة ٧٥ — ٨٢

(٧) سورة في ٢٨

(٨) سورة النجم ٣٣ وما بعدها

(٩) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥

(١٠) سورة الواقعة ١٣ ، ١٤

(الحديد) : يستثنى منها على القول بأنها مكية آخرها .

(المجادلة) : استثنى منها : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ... ﴾ ^(١) الآية ، حكاه ابن الفرّس وغيره .

(التغابن) : يُستثنى منها على أنها مكية آخرها ، لما أخرجه الترمذى والحاكم فى سبب نزولها .

(التحریم) : تقدّم عن قتادة أنّ المدنىّ منها إلى رأس العشر، والباقي مكى .

(تبارك) : أخرج جُوَيْرِىّ تفسيره عن الضّحّاك، عن ابن عباس : قال : أنزلت الملك فى أهل مكة إلا ثلاث آيات .

(ب) : استثنى منها : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ ، إلى ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ، ومن : ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ إلى ﴿ الصّٰلِحِينَ ﴾ ^(٣) ، فإنه مدنى ؛ حكاه السخاوى فى جمال القراء .

(المزمل) : استثنى منها : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ... ﴾ ^(٤) الآية ، حكاه الأصهبانى ، وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ... ﴾ ^(٥) إلى آخر السورة . حكاه ابن الفرّس ، ويردّه ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنّه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة ، وذلك حين فرض قيام الليل فى أوّل الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس .

(الإنسان) : استثنى منها : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٦) .

(المرسلات) : استثنى منها : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ ^(٧) . حكاه ابن الفرّس وغيره .

(١) سورة المجادلة ٧

(٢) سورة ن ١٧ — ٢٣

(٣) سورة المزمل ١٠ ، ١١

(٤) سورة الإنسان ٢٤

(٥) سورة ن ٤٨ — ٥٠

(٦) سورة المزمل ٢٠

(٧) سورة المرسلات ٤٨

(للطفقين): قيل: مكية إلا ست آيات من أولها .

(البلد) : قيل: مدنية إلا أربع آيات من أولها .

(الليل) : قيل: مكية إلا أولها .

ضوابط

في المكي والمدني

(أرأيت) : نزل ثلاث آيات من أولها بمكة ، والباقي بالمدينة .

أخرج الحاكم في مستدرّكه والبيهقي في الدلائل والبرزار في مسنده من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : ما كان « يأيها الذين آمنوا » أنزل بالمدينة ، وما كان « يأيها الناس » فبمكة .

وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلًا .

وأخرج عن ميمون بن مهران ، قال : ما كان في القرآن « يأيها الناس » أو « يا بني آدم » ، فإنه مكي ، وما كان « يأيها الذين آمنوا » فإنه مدني .

قال ابن عطية وابن الغرس وغيرهما : هو في « يأيها الذين آمنوا » صحيح وأما « يأيها الناس » فقد يأتي في المدني .

وقال ابن الحصار : قد اعتنى المتشاعلون بالنسخ بهذا الحديث ، واعتمدوه على ضعفه ، وقد اتفق الناس على أن النساء مدنيّة وأولها « يأيها الناس » ، وعلى أن الحج مكية ، وفيها « يأيها الذين آمنوا اركموا واسجدوا »^(١) .

وقال غيره : هذا القول إن أخذ على إطلاقه ، فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم ﴾^(٢) ، ﴿ يأيها الناس كملوا في الأرض ﴾^(٣) . وسورة النساء مدنية ، وأولها : ﴿ يأيها الناس ﴾ .

وقال مكي: هذا إنما هو في الأكثر ، وليس بعام ، وفي كثير من السور المسكية
« يا أيها الذين آمنوا » .

وقال غيره : الأقرب حملُه على أنه خطاب ، المقصود به — أو جل المقصود به —
أهل مكة أو المدينة .

وقال القاضي : إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فسلم ، وإن كان السبب فيه حصول
المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفاتهم
وباسمهم وجنسهم ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد
منها . نقله الإمام نحر الدين في تفسيره .

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،
قال : كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون ، فإما نزل بمكة ، وما كان من
القرائض والسنن فإما نزل بالمدينة .

وقال الجعبري : لمعرفة السكي وللذني طريقان : سماعي وقياسي ، فالسماعي ما وصل
إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسي كل سورة فيها « يا أيها الناس » فقط ، أو « كلاً » ، أو أولها
حرف هج ، سوى الزهراوين والرعد ، أو فيها قصة آدم وإبليس ، سوى البقرة فهي مكية .
وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية ، وكل سورة فيها فریضة أو حد ؛ فهي
مدنية . انتهى .

وقال مكي : كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية ؛ زاد غيره : سوى العنكبوت .
وفي كامل الهدى : كل سورة فيها سجدة فهي مكية .

وقال الدررني رحمه الله :

وما نزلت كلاً يثير فاعلمن * ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى
وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جابرة ، ففكرت
فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول ، وما نزل

منه في اليهود لم يحتاج إلى إيراد هلفيه^(١) لذاتهم وضعفهم؛ ذكره العناني .

فائدة

أخرج الطبراني ، عن ابن مسعود : نزل الفصل بمكة فكنا حججا نقرؤه ، لا ينزل غيره .

تفسيه

قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب المكي والمدني وما اختلف فيه وترتيب نزول ذلك ، والآيات المدنيات في السورة المكية والآيات المكيات في السور المدنية ، وبقي أوجه تتعلق بهذا النوع ذكر هو أمثاتها فنذكره .

مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... ﴾^(٢) الآية ، نزل بمكة يوم الفتح ، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة . وقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾^(٣) كذلك .

قلت : وكذا قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... ﴾^(٤) في آيات أخر .

ومثال ما نزل بالمدينة وحكمه مكي سورة المتحنة ، فإنها نزلت بالمدينة مخاطبة لأهل مكة . وقوله في النحل : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا... ﴾^(٥) إلى آخرها ، نزل بالمدينة مخاطبة أهل مكة ، وصدر براءة نزل بالمدينة خطابا لمشركي أهل مكة .

ومثال ما يشبه تنزيل المدني في السور المكية قوله في النجم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ

(١) كفا في الأمل ، ووط : « ما فيه » . سورة المجرات ١٣

(٢) سورة المائدة ٢

(٣) سورة النساء ٥٨

(٤) سورة النحل ٤١

كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعَمَ ﴿١﴾؛ فَإِنَّ الْفَوَاحِشَ كُلَّ ذَنْبٍ فِيهِ حَدٌّ وَالْكَبَائِرُ كُلَّ ذَنْبٍ عَاقِبَتُهُ النَّارُ، وَاللَّعَمُ مَا بَيْنَ الْحَدَّيْنِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ حَدٌّ وَلَا نَحْوُهُ .
ومثال ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، وقوله في الأنفال: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ ﴿٢﴾ الآية .

ومثال ما حُجِّلَ من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص .

قلت : وسبِّح، كما تقدم في حديث البخاري .

ومثال ما حُجِّلَ من المدينة إلى مكة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ ﴿٣﴾ وآية الرِّبَا، وصدر براءة، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾ ﴿٤﴾ الآيات .
ومثال ما حُجِّلَ إلى الحبشة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ...﴾ ﴿٥﴾ الآيات .

قلت : صحَّ حملها إلى الروم .

وينبغي أن يمثَّلَ لما حُجِّلَ إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صحَّ أن جمفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي .؛ وأخرجه أحمد في مسنده .

وأما منازل بالجنة والطائف وبيت المقدس والحديبية، فسيأتي في النوع الذي يلي هذا، ويضمُّ إليه ما نزل بمكة وعرفات وعسفان وتبوك وبدْر وأحد وحراء وحراء الأسد .

(٢) سورة الأنفال ٣٢

(٤) سورة النساء ٩٧

(١) سورة النجم ٣٢

(٣) سورة البقرة ٢١٧

(٥) سورة آل عمران ٦٤

التَّوَعُّدُ الثَّانِي فِي مَعْرِفَةِ الْمُحَضَّرِ وَالْمُحَضِّرِ

أمثلة المحضري كثيرة، وأما التسفري فله أمثلة تتبعها، منها: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (١) نزلت بمكة عام حجة الوداع، فأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي صلى الله عليه وسلم قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: قال: نعم، قال: أفلا نتخذُه مصلى؟ فنزلت.

وأخرج ابن مردويه عن طريق عمرو بن ميمون، عن عمر بن الخطاب، أنه مر بمقام إبراهيم فقال: يا رسول الله، أليس تقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذُه مصلى! فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت.

وقال ابن الحصار: نزلت إماماً في عُمره القضاء أو في غزوة أو في حجة الوداع. ومنها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾ (٢) الآية، روى ابن جرير عن الزهري أنها نزلت في عُمره الحديبية. وعن السدي أنها نزلت في حجة الوداع.

ومنها: ﴿وَأَنْمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (٣) فأخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم منضمخ بالزعفران، عليه جبة، فقال: كيف تأمرني في عمرتي؟ فنزلت، فقال: أين السائل عن العمرة؟ ألقى عنك ثيابك ثم اغتسل... الحديث.

ومنها: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ...﴾ (٤) الآية، نزلت بالحديبية، كما أخرجه أحمد، عن كعب بن عجرة الذي نزلت فيه، والواحدى عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَآتَى مِنَ الرَّسُولِ...﴾ (٥) الآية، قيل: نزلت يوم فتح مكة، ولم أفد له على دليل.

(٣) سورة البقرة ١٩٦

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٤) سورة البقرة ١٩٦

ومنها: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ ^(١) الآية، نزلت بمنى عام حجة الوداع، فيما أخرجه البيهقي في الدلائل.

ومنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهِ وَالرَّسُولِ...﴾ ^(٢) الآية، أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس، أنها نزلت بحمراء الأسد.

ومنها: آية التيسيم في النساء ^(٣)، أخرج ابن مردويه عن الأسلم بن شريك، أنها نزلت في بعض أسفار النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَوْدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ ^(٤) نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة، كما أخرجه سنيدي في تفسيره عن ابن جريج، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عباس.

ومنها: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ...﴾ ^(٥) الآية، نزلت بعسفان بين الظهر والعصر، كما أخرجه أحمد عن أبي عيَّاش الزُّرَقِيُّ.

ومنها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ^(٦)، أخرج البزار وغيره عن حذيفة أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسير له.

ومنها: أول المائدة، أخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن أسماء بنت يزيد، أنها نزلت بمنى. وأخرج في الدلائل عن أم عمرو، عن عمها، أنها نزلت في مسير له.

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب، قال: نزلت سورة المائدة في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة. ومنها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ ^(٧) في الصحيح عن عمر، أنها نزلت

(٢) سورة آل عمران ١٧٢

(٤) سورة النساء ٥٨

(٦) سورة النساء ١٧٦

(١) سورة البقرة ٢٨١

(٣) سورة النساء آية ٤٣

(٥) سورة النساء ١٠٢

(٧) سورة المائدة ٣

شئ عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع، وله طرق كثيرة، لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري، أنها نزلت يوم غدیر خم .

وأخرج مثله من حديث أبي هريرة، وفيه إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، مرجعه من حجة الوداع، وكلاهما لا يصح .

ومنها آية التيمم فيها، في الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة . وفي لفظ : « بالبيداء أو بذات الجيش » .

قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزم به في الاستذكار، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة الربييع . واستبعد ذلك بعض المتأخرين ، قال: لأن الربييع من ناحية مكة بين قديد والساحل ، وهذه القصة من ناحية خيبر ، لقول عائشة إنا « نزلت بالبيداء أو بذات الجيش » وهما بين المدينة وخيبر ، كما جزم به النووي ، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هي ذو الحليفة .

وقال أبو عبيد البكري : البيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة من طريق مكة ، قال : وذات الجيش من المدينة على بريد .

ومنها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا زَمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ... ﴾ ^(١) الآية . أخرج ابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخل، في الغزوة السابعة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به فأطلعه الله على ذلك .

ومنها : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، في صحيح ابن حبان ، عن أبي هريرة أنها نزلت في السفر : وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر أنها نزلت في ذات الرقيع بأعلى نخل في غزوة بني أنمار .

ومنها : أول الأنفال نزلت بيدر عقب الوقعة، كما أخرجه أحمد عن سعد بن أبي وقاص .

ومنها: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ...﴾ (١) الآية، نزلت بيدراً أيضاً كما أخرجه الترمذى عن عمر .

ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ...﴾ (٢) الآية، نزلت في بعض أسفاره كما أخرجه أحمد عن ثوبان .

ومنها: قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَصًا قَرِيبًا...﴾ (٣) الآيات، نزلت في غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس .

ومنها: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (٤)، نزلت في غزوة تبوك ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر .

ومنها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (٥) الآية، أخرج الطبرانى وابن مردويه ، عن ابن عباس، أنها نزلت لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً وهبط من ثنية عسفان، فزار قبر أمه، واستأذن في الاستغفار لها .

ومنها خاتمة النحل ، أخرج البيهقي في الدلائل والبراز عن أبي هريرة ، أنها نزلت بأحد ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على حمزة حين استشهد . وأخرج الترمذى والحاكم عن أبي بن كعب ، أنها نزلت يوم فتح مكة .

ومنها: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (٦) . أخرج أبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل من طريق شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، أنها نزلت في تبوك .

ومنها : أول الحج ، أخرج الترمذى والحاكم ، عن عمران بن حصين ، قال : لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا أَنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ﴾

(٢) سورة التوبة ٣٤

(٤) سورة التوبة ٦٥

(٦) سورة الإسراء ٧٦

(١) سورة الأفعال ٩

(٣) سورة التوبة ٤٣

(٥) سورة التوبة ١١٣

عَظِيمٌ ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (١) ، نزلت عليه هذه وهو في سفر... الحديث . وعند ابن مسعود بن من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت في مسيره في غزوة بني المصطلق .

ومنها : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ...﴾ (٢) الآيات . قال القاضي جلال الدين البلقيني : الظاهر أنها نزلت يوم بدر وقت المبارزة لما فيه من الإشارة : «هذان» .

ومنها : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ...﴾ (٣) الآية ، أخرج الترمذي عن ابن عباس : قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم كيهم لئلا يكون ، فنزلت ، قال ابن الحصار : استنبط بعضهم من هذا الحديث أنها نزلت في سفر الهجرة .

ومنها : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾ (٤) الآية ، قال ابن حبيب : نزلت بالاطائف ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ (٥) نزلت بالجحفة في سفر الهجرة ، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك .

ومنها : أوّل الروم . روى الترمذي عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس ، فأنجب ذلك المؤمنين فنزلت : ﴿الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله : ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ (٦) ، قال الترمذي : غلبت الروم ، يعني بالفتح .

ومنها : ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (٧) الآية ، قال ابن حبيب : نزلت في بيت المقدس ليلة الإسراء .

ومنها : ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً...﴾ (٨) الآية ، قال السخاوي في جلال

(٢) سورة الحج ١٩

(٤) سورة الفرقان ٤٥

(٦) سورة الروم ١ —

(٨) سورة محمد ١٣

(١) سورة الحج ٢٤١

(٣) سورة الحج ٣٩

(٥) سورة القصص ٨٥

(٧) سورة الزخرف ٤٥

القراء : قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تَوَجَّهَ مهاجراً إلى المدينة ، وقف ونظر إلى مكة وبكى ، فنزلت .

ومنها : سورة الفتح . أخرج الحاكم عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها ، وفي المستدرک أيضاً من حديث مجّمع بن جارية ، أن أولها نزل بكرع الغميم .

ومنها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... ﴾ (١) الآية ، أخرج الواحدی ، عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لمارق بلال على ظهر الكعبة وأذن ، فقال بعض الناس : أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ! .

ومنها : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ... ﴾ (٢) الآية ، قيل : إنها نزلت يوم بدر ؛ حكاه ابن الفرس ، وهو مردود لما سيأتى في النوع الثاني عشر ، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده . ومنها : قال السفي قوله : ﴿ نُفْلَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٤) نزائاً في سفره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند .

ومنها : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٥) أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق يعقوب بن مجاهد أبي حذرة ، قال : نزلت في رجل من الأنصار في غزوة تبوك ، لما نزلوا الحجر ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحملوا من مأها شيئاً ، ثم ارتحل ، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء ، فشكوا ذلك ، فدعا فأرسل الله سبحانه ، فأمرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من المنافقين : إِنَّمَا مُطَرْنَا بنوء كذا ، فنزلت .

ومنها : آية الامتحان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مهاجرات فامتنعوهن... ﴾ (٦) الآية ، أخرج ابن جرير وعن الزهري أنها نزلت بأسفل الحديبية .

(٢) سورة القمر ٤٥

(٤) سورة الواقعة ٨١

(٦) سورة الممتحنة ١٠

(١) سورة المجرات ١٣

(٣) سورة الواقعة ١٣

(٥) سورة الواقعة ٨٢

ومنها : سورة المنافقين ، أخرج الترمذی عن زید بن أرقم أنها نزلت ليلاً في غزوة تبوك . وأخرج سفيان أنها في غزوة بني المصطلق ، وبه جزم ابن إسحاق وغيره .
ومنها : سورة المرسلات ، أخرج الشيخان عن ابن مسعود : قال : « بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه : والمرسلات... » الحديث .

ومنها : سورة المطففين أو بعضها ، حكى النسفي وغيره ، أنها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة .

ومنها : أول سورة « اقرأ » نزل بغار حراء ، كما في الصحيحين .
ومنها : سورة الكوثر . أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ، أنها نزلت يوم الحديبية ، وفيه نظر .

ومنها : النصر : أخرج البزار والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر ، قال : أنزلت هذه السورة « إذا جاء نصر الله والفتح » ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر بواقته القصواء ، فرحلت ، ثم قام فخطب الناس ، فذكر خطبته المشهورة .

النوع الثالث معرفة البخاري والليث

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهراً؛ وأما الليل فتتبع له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذا أتاهم آتٍ فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل القبلة».

وروى مسلم عن أس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ببيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ (١) الآية، فمر رجل من بني سلمة، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة، فنادى: ألا إن القبلة قد حوت، فمالوا كلهم نحو القبلة، لكن في الصحيحين عن البراء، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه قبل بيت المقدس ستة عشر — أو سبعة عشر — شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت؛ فهذا يقتضي أنها نزلت نهراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل؛ لأن قضية أهل بقاء كانت في الصبح، وبقاء قريبة من المدينة، فيبعد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر البيان لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أن نزولها كان نهراً. والجواب عن حديث ابن عمر، أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح

إِلَى مَنْ هُوَ حَارِجُ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَهْلُ قُبَاءَ. وَقَوْلُهُ : «قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ»
مَجَازٌ، مِنْ إِبْطَاقِ اللَّيْلَةِ عَلَى بَعْضِ الْيَوْمِ الْمَاضِي وَالَّذِي يَلِيهِ .

قُلْتُ : وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا أَخْرَجَهُ الذَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلَى ، قَالَ : سَهَرْنَا يَوْمًا
وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَرَأَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ؛ حَتَّى فَرَّغَ
مِنْهَا ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ .

وَمِنْهَا : أَوَاخِرُ آلِ عِمْرَانَ ، أَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ مَرْذُوقٍ
وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ التَّفَكُّرِ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ بَلَاءًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُؤَذِّنُهُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ ، فَوَجَدَهُ يَبْكِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَبْكِيكَ ؟ قَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ
وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ : ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَايَاتٌ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ ! ^(١) ثُمَّ قَالَ : وَيَلِ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ !

وَمِنْهَا : ﴿ وَاللَّهُ يَفْصِلُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ ، حَتَّى نَزَلَتْ ، فَأُفْرِجَ رَأْسُهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ ، انْصَرَفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عِصْمَةَ بِنْتِ مَالِكِ الْخَطَمِيِّ ، قَالَ : كُنَّا نَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّيْلِ حَتَّى نَزَلَتْ ، فَتَرَكْنَا الْحِرَّاسَ .

وَمِنْهَا : سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
قَالَ : نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِمَكَّةَ لَيْلًا جَمَلَةً ، حَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَخَارُونَ بِالتَّسْبِيحِ .

وَمِنْهَا : آيَةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ^(٣) ، فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ كَعْبٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

توبتنا حين بقي الثالث الأخير من الليل .

ومنها : سورة مريم ؛ روى الطبراني وأبو عبيد في فضائله عن ابن عباس ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : ولدت لي الليلة جارية ، فقال : واليلة أنزلت على سورة مريم ، سمها مريم .

ومنها : أول الحج ، ذكره ابن حبيب ومحمد بن بركات السعدي في كتابه الناسخ والنسخ ، وجزم به السخاوي في جمال القراء . وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عمران بن حصين أنها نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم في سفر . وقد نكس بعض القوم ، وتفرق بعضهم ، فرفع بها صوته ... الحديث .

ومنها : آية الإذن في خروج النسوة في الأحزاب ، قال القاضي جلال الدين . والظاهر أنها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ... ﴾ ^(١) الآية ، ففي البخاري عن عائشة : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها — وكانت امرأة جسيمة لا تحفى على من يعرفها — فرآها عمر ، فقال : يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ! قالت : فأنكفأت راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه ليتعشى وفي يده عرق ، قلت : يا رسول الله ، خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا ؛ فأوحى الله إلي — وإن العرق في يده ما وضعه — فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

قال القاضي جلال الدين : وإنما قلنا إن ذلك كان أملاً ؛ لأنهن إنما كن يخرجن للحاجة ليلاً كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك .

ومنها : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا... ﴾ ^(٢) على قول ابن حبيب إنها نزلت ليلة الإسراء .

ومنها : أول الفتح ، ففي البخارى من حديث : « لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، فقرأ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ ... » الحديث .

ومنها : سورة « والمرسلات » ، قال السخاوى فى جمال القراء : روى عن ابن مسعود أنها نزلت ليلة الجحى بحراء .

قلت : هذا أثر لا يعرف ، ثم رأيت فى صحيح الإسماعيلى وهو مستخرجه على البخارى ، أنها نزلت ليلة عرفة بفار منى ، وهو فى الصحيحين بدون قوله : « ليلة عرفة » ، والمراد به الليلة التاسع من ذى الحجة ، فإنها التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيتها بمنى .

ومنها : المعوذتان ، فقد قاله ابن أشته فى المصاحف : نبأنا محمد بن يعقوب ، نبأنا أبو داود ، نبأنا عثمان بن أبى شيبة ، نبأنا جرير ، عن بيان ، عن قيس ، عن غفبة بن عامر الجهنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلت على الليلة آيات لم ير مثلهن ؛ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » .

* * *

فرع

ومنه ما نزل بين الليل والنهار فى وقت الصبح ، وذلك آيات :

ومنها : آية التيمم فى المائدة ، ففي الصحيح عن عائشة وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ اَعْلَمَكُم تَشْكُرُونَ ﴾ ^(١) .

ومنها : ﴿ ايس لك من الامر شئ ﴾ ^(٢) ، ففي الصحيح أنها نزلت وهو فى الركعة الأخيرة .

من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه .

* * *

تنبیه

فإن قلت : فأتصنع بحديث جابر مرفوعاً : « أصدق الرؤيا ما كان نهراً لأن الله حصني بالوحي نهراً » ؟ أخرجه الحاكم في تاريخه .
قلت : هذا الحديث مفكر لا يحتاج به .

النوع الرابع الصيفي والشتائي

قال الواحدى: أنزل الله فى الكلالة آيتين: إحداهما فى الشتاء، وهى التى فى أول النساء، والأخرى فى الصيف وهى التى فى آخرها.

وفى صحيح مسلم عن عمر: ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شيء ما راجعته فى الكلالة ^(١) وما أغاظ فى شيء ما أغاظ لى فيه، حتى طعن بإصبعه فى صدرى، وقال: «يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء!».

وفى المستدرك عن أبى هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكلالة؟ قال: أما سمعت الآية التى نزلت فى الصيف: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ^(١) وقد تقدم أن ذلك فى سفر حجة الوداع، فبعد من الصيف ما نزل فيها كأول المائدة، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٢) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ...﴾ ^(٣)، وآية الدين وسورة النعمر.

ومنه: الآيات النازلة فى غزوة تبوك، فقد كانت فى شدة الحر، أخرجه البيهقى فى الدلائل من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يخرج فى وجه من مغازبه إلا أظهر أنه يريد غيره، غير أنه فى غزوة تبوك قال: «يا أيها الناس إني أريد الروم»، فأعلمهم ذلك فى زمان البأس وشدة الحر وجذب البلاد، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(٢) سورة المائدة ٣

(١) سورة النساء ١٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٨١

في جهازه إذ قال المجّد بن قيس: «هل لك في بنات بنى الأصفر؟». قال: يا رسول الله، لقد علم قومي أنه ليس أخذ أشدَّ عجباً بالنساء مني، وإني أخاف إن رأيت نساء بنى الأصفر أن يفتنني، فائذن لي. فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي...﴾^(١) الآية.

وقال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾^(٢).

* * *

ومن أمثلة الشتاى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَرِزْقُ كَرِيمٍ﴾^(٣)؛ ففي الصحيح عن عائشة أنها نزلت في يوم شاتٍ.

والآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب، فقد كانت في البرد، ففي حديث حذيفة: تفرّق الناس عن رسول الله صلى عليه وسلم ليلة الأحزاب إلا اثني عشر رجلاً، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب، قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ماقت لك إلا حياء من البرد... الحديث؛ وفيه فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ...﴾^(٤) إلى آخرها، أخرجه البيهقي في الدلائل.

(١) سورة التوبة ٤٩.

(٤) سورة الأحزاب ٩.

(٣) سورة النور ١١ — ٢٦.

النَّفْعُ الْخَامِسُن الصِّبْرَانِي وَالنُّوْمِي

من أمثلة الفرائشي قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْضِلُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ^(١) كما تقدم ، وآية الثلاثة الذين خَلَّفُوا ، ففي الصحيح أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه ، وهو صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة .

واستشكل الجمع بين هذا وقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة : « ما نزل على الوحي في فراش امرأة غيرها » . قال القاضي جلال الدين : ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة .

قلت : ظفرت بما يؤخذ منه الجواب الذي أحسن من هذا ، فروى أبو يعلى في مسنده عن عائشة قالت : « أُعْطِيتُ تَسْعًا ... » الحديث ، وفيه : « وَإِنْ كَانَ الْوَحْيُ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَهْلِهِ فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَنْزِلُ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ فِي لِحَافِهِ » . وعلى هذا لامعارضة بين الحديثين كما لا يخفى .

وأما النُّوْمِي فن أمثلته سورة الكوثر ، لِمَا رَوَى مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغشى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً ، قلنا : ما أضحك بارسول الله ؟ فقال : أنزل على آتينا سورة ، فقرأ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ .

وقال الإمام الرافعي في أماليه : فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة ، وقالوا : من الوحي ما كان يأتيه في النوم ، لأن رؤيا الأنبياء وحى . قال : وهذا صحيح ، لكن الأشبه أن يقال : إن القرآن كله نزل في اليقظة ، وكأنه خطر له

في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة ، أو عُرِضَ عليه الكوثر الذي وزدت فيه
السورة ، فقرأها عليهم ، وفسرها لهم . ثم قال : ووردني بعض الروايات أنه أُغْمِيَ عليه ،
وقد يُحْمَلُ ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقال لها : بُرِحاء الوحي . انتهى .

قلت : الذي قاله الرافعي في غايه الاتجاه ، وهو الذي كنت أميلُ إليه قبل
الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصح من الأول ، لأن قوله : « أنزل على آفءاء » ، يدفع كونهما
نزلت قبل ذلك ، بل نقول : نزلت تلك الحالة وليس الإغفاء إغفاء نوم ، بل الحالة التي
كانت تعتريه عند الوحي ، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا .

التَّبَخُّ السَّادِسُ الْأَرْضِي وَالسَّمَاوِيُّ

تقدم قول ابن العربيّ إنّ من القرآن سماوياً وأرضياً وما نزل بين السماء والأرض وما نزل تحت الأرض في الغار. قال : وأخبرنا أبو بكر الفهرّيّ قال : أنبأنا التميميُّ ، أنبأنا هبة الله المفسر ، قال : نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات نزلت لافي الأرض ولا في السماء ؛ ثلاث في سورة الصافات : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ... ﴾ ^(١) الآيات الثلاث ، وواحدة في الزخرف : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ... ﴾ ^(٢) الآية ، والآيتان من آخر سورة البقرة نزلت ليلة المعراج .

قال ابن العربيّ : ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض . قال : وأما ما نزل تحت الأرض فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود . قلت : أما الآيات المتقدمة فلم أقف على مستند لما ذكره فيها ، إلا آخر البقرة ؛ فيمكن أن يستدل بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود : « لَمَّا أُسْرِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى إلى سدرة المنتهى ... » الحديث . وفيه : « فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ثَلَاثًا ، أُعْطِيَ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغَيْرَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ مِنْ أُمَّتِهِ بِاللَّهِ شَيْئًا الْمَقْحَمَاتِ » . وفي الكامل للذهليّ نزلت : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ... ﴾ ^(٤) إلى آخرها بقاب قوسين .

التَّوَعُّلُ السَّابِعُ مَعْرِفَةُ أَوَّلِ مَا نَزَلَ

اختلف في أول ما نزل من القرآن على أقوال :

— أحدها ؛ وهو الصحيح : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة ، قالت : « أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يأتى حرّاً ، فيتحنّث فيه الليالي ذوات العدد ، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها ، فتزوّد له مثلها ، حتى فجّاه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه ، فقال : اقرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فغطّنى ^(١) الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فغطّنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره ... » ^(٢) الحديث .

وأخرج الحاكم في المستدرک ، والبيهقى في الدلائل وصحّاه عن عائشة ، قالت : أول سورة نزلت من القرآن « اقرأ باسم ربك » .

وأخرج الطبرانى في الكبير بسندٍ على شرط الصحيح ، عن أبى رجاء الطماردى ، قال : كان أبو موسى يُقرئنا فيجلسنا حلقاً ، عليه ثوان أبيضان ، فإذا تلا هذه السورة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، قال : هذه أول سورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار ، عن عبيد ابن عمير ، قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : اقرأ ، قال : وما اقرأ ؟ فوالله ما أبقارى ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ . فكان يقول : هو أول ما أنزل .

وقال أبو عبيد في فضائله : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إن أول ما أنزل من القرآن اقرأ باسم ربك ون والقلم .

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف ، عن عبيد بن عمير : قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنمط ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارى ، قال : اقرأ باسم ربك ، فيروون أنها أول سورة أنزلت من السماء .

وأخرج عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء ، إذ أتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ إلى : ﴿ ما لم يعلم ﴾ .

* * *

— القول الثانى : ﴿ يأتها المدثر ﴾ ، روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : يأتها المدثر ، قلت : أو اقرأ باسم ربك ؟ قال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني جاورت بحراء ، فلما قضيت جوارى ، نزلت فاستبطنت الوادى ، فنظرت أمامى وخلفى ، وعن يمينى وشمالى ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو — يعنى جبريل — فأخذتنى رجفة ، فأبيت خديجة ، فأمرتهم فدنرونى ، فأنزل الله : ﴿ يأتها المدثر * قم فأنذر ﴾ .

وأجاب الأول عن هذا الحديث بأجوبة :

أحدها أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة ، فبين أن سورة المدثر نزلت بكلماتها قبل نزول تمام سورة اقرأ ، فإنها أول ما نزل منها صدرها : ويؤيد هذا ما فى الصحيحين أيضاً عن أبى سلمة ، عن جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن

فترة الوحي ، فقال في حديثه : بينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاني بمجاء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ، فذرّوني ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . فقوله : « الملك الذي جاني بمجاء » يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها « اقرأ باسم ربك » .

ثانيها : أن مراد جابر بالأوليّة أوليّة مخصوصة بما بعد فترة الوحي ، لا أوليّة مطلقة .
ثالثها : أن المراد أوليّة مخصوصة بالأمر بالإندار . وعبر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوّة « اقرأ باسم ربك » وأول ما نزل للرسالة « يا أيها المدثر » .

رابعها : أن المراد أول ما نزل بسبب متقدّم ، وهو ما وقع من التدثّر الناشئ عن الرعب ، وأما « اقرأ » فنزلت ابتداء بغير سبب متقدّم . ذكره ابن حجر .

خامسها : أن جابراً استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، فيقدم عليه ما روته عائشة . قاله الكرماني .

وأحسن هذه الأجوبة الأوّل والأخير .

* * *

القول الثالث : سورة الفاتحة ، قال في الكشف . ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت « اقرأ » ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب . قال ابن حجر : والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأوّل . وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول ، وحجته ما أخرجه البيهقي في الدلائل والواحدى من طريق يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : « إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء ، فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً » ، فقالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله إنك لتؤدّي الأمانة ، وتصل

الرَّحْمَ ، وَتَصَدِّقُ الْحَدِيثَ . فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَتْ خَدِيجَةُ حَدِيثَهُ لَهُ ، وَقَالَتْ : اذْهَبْ
مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ . فَاِنْطَلَقَا قَصَّاعًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءَ خَلْفِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ
فَاِنْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَفْقِ » ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ إِذَا أَنَاكَ ، فَابْتِثْتُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ انْتَبَهَيْتُ
فَأَخْبَرَنِي . فَلَمَّا خَلَانَا دَاهُ : يَا مُحَمَّدُ : قُلْ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
حَتَّى يَبْغُ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ... لِحَدِيثِ . هَذَا مَرْسَلٌ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : إِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا عَنْ نَزُولِهَا بَعْدَ مَا نَزَلَتْ
عَلَيْهِ أَقْرَأَ وَالْمُدَّثِّرُ .

* * *

الْقَوْلُ الرَّابِعُ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، حَكَاهُ ابْنُ النَّقِيبِ فِي مَقْدَمَةِ تَفْسِيرِهِ
قَوْلًا زَائِدًا .

وَأَخْرَجَ الْوَاحِدِيُّ بِإِسْنَادٍ عَنْ عِكْرَمَةَ وَالْحَسَنِ قَالَا : أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ « بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، وَأَوَّلُ سُورَةٍ « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ الضَّحَّاكَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَوَّلُ مَا نَزَلَ
جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ اسْتَعِذْ ، ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يَبْعَدُ قَوْلًا بِرَأْسِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ نَزُولِ السُّورَةِ نَزُولَ الْبِسْمَةِ
مَعَهَا ، فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَوُرِدَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ حَدِيثٌ آخَرُ : رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : « إِنْ أَوَّلُ مَا نَزَلَ
سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ
الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ » .

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ « أَقْرَأْ » ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ . وَأَجِيبُ
بِأَنَّ « مِنْ » مَقْدَرَةٌ ، أَيْ « مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ » ، وَالْمُرَادُ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ ، فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ قَبْلَ
بَعْدِ قُبْرَةِ الْوَحْيِ ، وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نَزُولِ بَقِيَّةِ « أَقْرَأْ » .

فرع

أخرج الواحدى من طريق الحسين بن واقد ، قال : سمعتُ على بن الحسين يقول :
 أوّل سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك ، وآخر سورة نزلت بها «المؤمنون» ، ويقال :
 العنكبوت . وأوّل سورة نزلت بالمدينة «ويل للمطففين» ، وآخر سورة نزلت بها براءة ،
 وأوّل سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم .

وفى شرح البخارى لابن حَجَر : اتفقوا على أن سورة البقرة أوّل سورة أنزلت
 بالمدينة . وفى دعوى الاتفاق نظر لقول على بن الحسين المذكور .

وفى تفسير النسفى عن الواقدى : إن أوّل سورة نزلت بالمدينة سورة القدر .

وقال : أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيص فى جزئه المشهور : حدثنا أبو العباس
 عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادى ، حدثنا حسان ابن إبراهيم الكرمانى ، حدثنا
 أمية الأزدي ، عن جابر بن زيد ، قال : أوّل ما أنزل الله من القرآن بمكة : «اقرأ باسم
 ربك ، ثم والقلم ، ثم يأيها المرسل ، ثم يأيها المدثر ، ثم الفاتحة ، ثم تبت يدا أبى كعب ، ثم
 إذا الشمس كورت ، ثم سبّح اسم ربك الأعلى ، ثم والليل إذا يفسى ، ثم والفجر ،
 ثم والضحى ، ثم ألم نشرح ، ثم والمصر ، ثم والماديات ، ثم الكوثر ، ثم الهاكم ،
 ثم أرايت الذى يكذب ، ثم الكافرون ، ثم ألم تر كيف ، ثم قل أعوذ برب الفلق ، ثم قل
 أعوذ برب الناس ، ثم قل هو الله أحد ، ثم والنجم ، ثم عبس ، ثم إنا أنزلناه ، ثم
 والشمس وضحاها ، ثم البروج ، ثم والتين ؛ ثم لإيلاف ؛ ثم القارعة ، ثم القيامة ، ثم
 ويل لكل همزة ، ثم والمرسلات ، ثم ق ، ثم البلد ، ثم الطارق ، ثم اقتربت الساعة ،
 ثم ص ، ثم الأعراف ، ثم الجن ، ثم يس ، ثم الفرقان ، ثم الملائكة ، ثم كهيعص ، ثم طه ،
 ثم الواقعة ، ثم الشعراء ، ثم طس ، سلمان ، ثم طسم القصص ، ثم بنى إسرائيل ،
 ثم التاسعة — يعنى يونس — ثم هود ، ثم يوسف ، ثم الحجر ، ثم الأنعام ، ثم الصافات ،

ثم لقمان ، ثم سبأ ، ثم الزمر ، ثم حم المؤمن ، ثم حم السجدة ، ثم حم الزخرف ، ثم حم الدخان ، ثم حم الجاثية ، ثم حم الأحقاف ، ثم الذاريات ، ثم الغاشية ، ثم الكهف ، ثم حمق ، ثم تنزيل السجدة ، ثم الأنبياء ، ثم النحل أربعين وبقيتها بالمدينة ، ثم إنا أرسلنا نوحا ، ثم الطور ، ثم المؤمنون ، ثم تبارك ، ثم الحاقة ، ثم سأل ، ثم عم يتساءلون ، ثم والنازعات ، ثم إذا السماء انفطرت ، ثم إذا السماء انشقت ، ثم الروم ، ثم العنكبوت ، ثم ويل للطففين ؛ فذاك ما أنزل بمكة .

وأنزل بالمدينة : سورة البقرة ؛ ثم آل عمران ، ثم الأنفال ، ثم الأحزاب ، ثم المائدة ، ثم المتحنة ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم الحج ، ثم المنافقون ، ثم المجادلة ، ثم التحريم ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم سبح الحواريين ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، خاتمة القرآن .

قلت : هذا سياق غريب ، وفي هذا الترتيب نظر ، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سماها : تقريب المأمول ، في ترتيب النزول فقال :

مَكِّيَّتْهَا سِتُّ ثَمَانُونَ	اَعْتَلَتْ	نُظِمَتْ عَلَى وَفْقِ النَّزُولِ لِمَنْ تَلَا
اَقْرَأُونُونُ مُزْمَلٌ	مَدْتُرٌ	وَالْحَمْدُ تَبَتْ كَوَّرَتْ اَلَاغْلَى عَلَا
لَيْلٌ وَفَجْرٌ وَالضُّحَى شَرَحٌ	وَعَصَ	رِ الْعَادِيَاتِ وَكَوْنُهَا كُمْ تَلَا
أَرَأَيْتَ قُلُوبَ الْفَقِيلِ مَعَ فَلَتَى كَذَا		نَاسٌ وَقُلٌ هُوَ نَجْمُهَا عَبَسَ جَلَا
قَدَّرَ شَمْسٌ وَالْبُرُوجُ وَتَيْنُهَا		لَا يَلَا فِ قَارِعَةِ قِيَامَةِ أَقْبَلَا
وَبَلٌ لِكُلِّ الْمُرْسَلَاتِ وَقَافٌ مَعَ		بَلَدٍ وَطَارِقُهَا مَعَ اقْتَرَبَتْ كَلَا
صَادٌّ وَأَعْرَافٌ وَجَنٌّ ثُمَّ يَا		سَيْنٌ وَفُرْقَانٌ وَفَاطِرٌ اغْتَلَى
كَافٌ وَطَه ثَلَاثَةُ الشُّعْرَا وَنَمَ		لِ قِصَّةِ الْإِسْرَا يُونُسُ هُوَذَا وَلَا
قُلُوبُ يُوسُفَ حَجَرٌ وَأَنْعَامٌ وَذَبْحٌ		ثُمَّ لَقْمَانُ سَبَأُ زَمْرٌ خَلَا

مع غافرٍ مع فُصِّلَتْ مَعَ زُخْرَفٍ
ذُرُوْهُ وَغَاشِيَةٌ وَكُهْفٌ ثُمَّ شَوْ
وَمُضَاجِعُ نُوحٍ وَطُورُ وَالْفَلَا
غَرَقُ مَعَ انْفِطَرَتْ وَكَدَحٌ ثُمَّ رُو
وَبَطِييَّةٍ عَشْرُونَ ثُمَّ ثَمَانُ الطُّ—
لَا حِزَابٍ مَائِدَةٌ امْتِحَانٌ وَالنَّسَا
وَمُحَمَّدٌ وَالرَّعْدُ وَالرَّحْمَنُ الْا
نَمْرُ وَنُورٌ ثُمَّ حَجٌّ وَالْمَنَا
تَحْرِيمُهُ مَعَ مُجْمَعَةٍ وَتَقَابُلٍ
أَمَّا الَّذِي قَدْ جَاءَنَا سَفَرِيَّةً
لَكِنْ إِذَا قَتَمْتَ لُجْبَشِيَّ بَدَا
إِنْ الَّذِي قَرَضَ انْتَمَى جُحْفِيَّهَا

وَدَخَانُ جَائِيَّةٌ وَأَحْقَافٌ تَلَا
رَى وَالْخَلِيلُ وَالْأَنْبِيَا نَحْلٌ حَلَا
حُ الْمَلِكِ وَاعِيَّةٌ وَسَالٌ وَعَمٌّ لَا
مُ الْعَنْكَبُوتِ وَطَفَنَتْ فَتَكَمَّلَا
مَعَ زُلْزِلَتْ ثُمَّ وَعِمْرَانُ وَأَنْفَالٌ جَلَا
سَانَ الطَّلَاقِ وَلَمْ يَكُنْ حَشْرٌ مَلَا
فَقِ مَعَ مُجَادَلَةٍ وَحُجْرَاتٍ وَلَا
صَفٍّ وَفَتَحَ تَوْبَةً خَتِمَتْ أُولَى
عَرَفِيٍّ أَكْمَلَتْ لَكُمْ قَدْ كَمَّلَا
وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلَنَا الشَّامِيَّ أَقْبَلَا
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ الْحَدِيثِيَّ الْإِنْجَلِيَّ

* * *

فرع في أوائل مخصوصة

أول : ما نزل في القتال : روى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس ، قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ ^(١) .

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية ، قال : أول آية نزلت في القتال بالمدينة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ ^(٢) . وفي الإكليل للحاكم : إن أول ما نزل في القتال : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ ^(٣) .

أول ما نزل في شأن القتل : آية الإسراء : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا... ﴾ ^(١) الآية ، أخرجه ابن جرير عن الضحاك .

أول ما نزل في الحمر : روى الطيالسي في مسنده عن ابن عمر ، قال : نزل في الحمر ثلاث آيات ؛ فأول شيء : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾ ^(٢) الآية ، فقيل : حرمت الحمر ، فقالوا : يا رسول الله ، دعنا ننتفع بها كما قال الله ؛ فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ ^(٣) فقيل : حرمت الحمر فقالوا : يا رسول الله ، لا نشربها قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ ^(٤) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت الحمر .

أول آية نزلت في الأطعمة بمكة آية الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ ^(٥) ثم آية النحل : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴾ ^(٦) إلى آخرها ، وبالمدينة آية البقرة : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ... ﴾ ^(٧) الآية ، ثم آية المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ... ﴾ ^(٨) الآية . قاله ابن الحصار .

وروى البخاري عن ابن مسعود ، قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم . وقال القرطبي : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ ^(٩) قال : هي أول ما أنزل الله من سورة براءة . وقال أيضا : حدثنا إسرائيل ، نبأنا سميد ، عن مسروق ، عن أبي الضحى ، قال : أول ما نزل من براءة : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(١٠) ، ثم نزل أولها ، ثم نزل آخرها .

(٢) سورة البقرة ٢١٩

(٤) سورة المائدة ٩٠

(٦) سورة النحل ١١٤

(٨) سورة المائدة ٣

(١٠) سورة التوبة ٤١

(١) سورة الإسراء ٣٣

(٣) سورة النساء ٤٣

(٥) سورة الأنعام ١٤٥

(٧) سورة البقرة ١٧٣

(٩) سورة التوبة ٢٥

وأخرج: ابن أشتة في كتاب المصاحف ، عن أبي مالك ، قال : كان أول براءة: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ سنوات ، ثم أنزلت براءة أول السورة فألفت بها أربعون آية .

وأخرج أيضاً من طريق داود ، عن عامر في قوله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ قال : هي أول آية نزلت في براءة في غزوة تبوك ، فلما رجع من تبوك نزلت براءة ، إلا ثمان وثلاثين آية من أولها .

وأخرج من طريق سفيان وغيره ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : أول ما نزل من آل عمران : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .^(١) ثم أنزلت بقيتها يوم أحد .

التَوْعُّ الْإِسْلَامِيّ مَعْرِفَةُ آخِرِ مَا نَزَلَ

فيه اختلاف ، فروى الشيخان عن البراء بن عازب ، قال : آخر آية ، نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ^(١) وآخر سورة نزلت براءة .

وأخرج البخاري عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت آية الربا .
وروى البيهقي عن عمر مثله ، والمراد بها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ^(٢) . وعند أحمد وابن ماجه عن عمر : من آخر ما نزل آية الربا .

وعند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ، قال : خطبنا عمر ، فقال : إن من آخر القرآن نزولا آية الربا .

1 وأخرج النسائي من طريق عكرمة ، عن ابن عباس قال : آخر شيء نزل من القرآن : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ ... ﴾ ^(٣) ، الآية .

وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ « آخر آية نزلت » .

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك ، عن ابن عباس .

وقال الترمذي في تفسيره : حدثنا سفيان ، عن الكلبي عن ابن صالح ، عن ابن عباس ، قال : آخر آية نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ ، الآية ، وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ وثمانون يوماً .

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١) الآية، وعاش النبي صلى الله عليه بعد نزول وسلم هذه الآية تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليتين خلقتا من ربيع الأول.

وأخرج ابن جرير مثله عن ابن جريج. وأخرج من طريق عطية عن أبي سعيد، قال: كان آخر آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ...﴾ الآية. وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب، قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين.

وأخرج ابن جريج من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. مرسل صحيح الاسناد.

قلت: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾، أي في شأن الفرائض.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: طريق الجمع بين القولين في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ أن هذه آية هي ختام الآيات المنزل في الربا، إذ هي معطوفة عليهن، ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عداها. ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث بخلاف آية البقرة. ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول انتهى.

وفي المستدرک عن أبي بن كعب، قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾^(٢) إلى آخر السورة.

وروى عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه، عن أبي، أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر، وكان رجال يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(١) ظَنُّوا أَن هَذَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُمُ أَبِي بِن كَعْبٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِي بِعِدْهَا آيَتَيْنِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ ^(٢) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، وَقَالَ: هَذَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: نَحْنُ بِمَا فَتَحَ بِهِ، بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ^(٣).

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويه، عَنْ أَبِي أَبْضَاءٍ، قَالَ: آخِرُ الْقُرْآنِ عَهْدًا بِاللَّهِ هَاتَانِ الْآيَتَانِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ بِلفظ «أَقْرَبُ الْقُرْآنِ بِالسَّمَاءِ عَهْدًا».

وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يَوْسُفَ الْمَكِّيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: «آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ الْمَائِدَةُ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحْلَوْهُ...» الْحَدِيثُ.

وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَالْفَتْحُ.

قُلْتُ: يَعْنِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ. وَفِي حَدِيثِ عُمَانَ الشَّهْوَورِ: بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نَزُولًا.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: يَجْمَعُ. بَيْنَ هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ — إِنْ صَحَّتْ —. بَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ أَجَابَ بِمَا عِنْدَهُ.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو . ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك فيُظن أنه آخر ما نزل في الترتيب . انتهى .

ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان أنه تلا هذه الآية : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾^(١) ، الآية : وقال : إنها آخر آية نزلت من القرآن . قال ابن كثير : هذا أثر مشكل ، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ، ولا تغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة .

قلت : ومثله ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾^(٢) هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء . وعند أحمد والنسائي عنه : لقد نزلت في آخر ما نزل ، ما نسخها شيء .

وأخرج ابن مردويه ، من طريق مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : آخر آية نزلت هذه الآية : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ...﴾^(٣) إلى آخرها .

قلت : وذلك أنها قالت : يا رسول الله أرى ، الله يذكرك الرجال ولا يذكرك النساء ! فنزلت : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٤) ، ونزلت : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٥) ، ونزلت هذه الآية ، فهي آخر الثلاثة نزولا ، أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة .

(١) سورة الكهف ١١٠

(٢) سورة النساء ٩٣

(٣) سورة النساء ٣٢

(٤) سورة آل عمران ١٩٥

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج ابن جرير عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لأشريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » . قال أنس : وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ... ﴾ ^(١) الآية .

قلت : يعنى فى آخر سورة نزلت .

وفى البرهان لإمام الحرمين : إن قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ ^(٢) الآية من آخر ما نزل .

وتعقبه ابن الحصار بأن السورة مكية باتفاق ، ولم يرد نقل بتأخر هذه الآية عن نزول السورة ، بل هى فى حاجة المشركين ومخاصمتهم وهم بمكة . انتهى .

* * *

نبيه

من المشكل على ما تقدم قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ^(٣) ، فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع ، وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها ، وقد صرح بذلك جماعة منهم الشدى فقال : لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، مع أنه وارد فى آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك . وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال : الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم ^(٤) بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه ، حتى حجة المسلمون لا يخالطهم المشركون . ثم آيده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، قال : كان المشركون والمسلمون يمجون جميعا ، فلما نزلت براءة نبي المشركون عن البيت ، وحج المسلمون لا يشاركونهم فى البيت الحرام أحد من المشركين ؛ فكان ذلك من تمام النعمة : ﴿ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٤) ط : « بإفرادهم »

(١) سورة التوبة ٥

(٣) سورة المائدة ٣

النوع التاسع معرفة سبب النزول

أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم على بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري ، خذف أسانيدَه ، ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسودة فلم نفق عليه كاملاً ، وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع ، سميته : «لياب النقول في أسباب النزول»^(١).

قال الجعبري : نزول القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفي هذا النوع مسائل :

المسألة الأولى :

زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن ، لجر يانه مجرى التاريخ ، وأخطأ في ذلك ، بل له فوائد :

منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

ومنها : أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصّصه ، فإذا عُرِف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ، ولا التفات إلى من شدّ فجوز ذلك .

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ، قال الواحدي . لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معاني القرآن .
وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ... ﴾ ^(١) الآية ، وقال : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي ، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبا ، لنعذب أجمعين ، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه . أخرجه الشيخان .

وحكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدى كرب ، أنهما كانا يقولان : الحمر مباحة ، ويحتجان بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ... ﴾ ^(٢) الآية . ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك ، وهو أن ناسا قالوا لما حرمت الحمر : كيف بمن قُتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الحمر وهى رجس ؟ فنزلت . أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنَ الْحَمِيصِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ... ﴾ ^(٣) فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآية لا عِدَّة عليها إذا لم ترتب . وقد بين ذلك سبب النزول ، وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء ، قالوا : قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن : الصغار والكبار ، فنزلت . أخرجه الحاكم عن أبي . فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة ، وارتاب : هل عليهن عِدَّة أولا ؟ وهل عدتهن كاللاتي في سورة البقرة أولا ؟ فمعنى « إِنْ ارْتَبْتُمْ » إِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ .

وجعلتم كيف يعتدّون ؛ فهذا حكمهم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(١) فإننا لو تركنا ومدلول اللفظ لا يقتضي أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً ، وهو خلاف الإجماع ، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر ، أو فيمن صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ ؛ على اختلاف الروايات في ذلك .

ومن ذلك : قوله : ﴿ إِنْ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... ﴾ ^(٢) الآية ؛ فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بذلك ، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية . فنزلت .

ومنها : دفع توهم الحصر ، قال الشافعي مامعناه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ ^(٣) الآية : إن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله وأحلّوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادة والمخادّة ، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرّمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتهموه نازلاً منزلة من يقول : لانا كل اليوم حلاوة فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال : لا حرام إلا ما أحللتهموه ؛ من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد حل ما وراءه ، إذ القصد إثبات التجريم لا إثبات الحل . قال إمام الحرمين : وهذا في غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنّا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية .

ومنها : معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين البهيم فيها ، ولقد قال مروان في

عبد الرحمن بن أبي بكر : إنا الذي أنزل فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دِينُهُ أِفْ لَكُمْ ﴾ ^(١) حتى ردت عليه عائشة وبيّنت له سبب نزولها .

* * *

المسئلة الثانية :

اختلف أهل الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ والأصح عندنا الأول ، وقد نزلت آيات في أسباب ، وانفقوا على تمديتها إلى غير أسبابها ، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية ، وحدّ القذف في رمة عائشة ، ثم تعدى إلى غيرهم . ومن يعتبر عموم اللفظ قال : خرجت هذه الآيات ونحوها لدليل آخر ، كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقاً لدليل قام على ذلك . قال الزمخشري في سورة الحمزة : يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ليتناول كلّ من باشر ذلك القبيح ، وليكون ذلك جارياً مجرى التعريض .

قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ ، احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات نزلت على أسباب خاصة شائناً دائماً بينهم ، قال ابن جرير : حدثني محمد بن أبي معشر ، أخبرنا أبي أبو معشر نجيج ، سمعت سعيداً القنبري يذكر محمد بن كعب القرظي ، فقال سعيد : إن في بعض كتب الله : إن الله عبداً ألسنتهم أخلّى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، لبسوا لباس مسوك الضأن من اللين ^(٢) ، يحترئون الدنيا بالدين . قال محمد بن كعب : هذا في كتاب الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ ^(٣) الآية ، فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت ؟ فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد ^(٤) .

(١) المسوك : جمع مسك ، وهو جلد الغم وغيرها .

(٢) تفسير الطبري ٤ : ٣١

(١) سورة الأحقاف ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠٤

فإن قلت : فهذا ابن عباس ، لم يعتبر عموم ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ... ﴾^(١) الآية ، بل قصرها على ما أنزلت فيه من قصة أهل الكتاب .

قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعم من السبب ، لكنه بين أن المراد باللفظ خاص ، ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظلم في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلِدْهُمُ إِلَّا نَحْنُ بِظُلْمٍ ﴾^(٢) بالشرك من قوله : ﴿ إِنَّ الشَّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ ﴾^(٣) مع فهم الصحابة العموم في كل ظلم . وقد ورد عن ابن عباس ما يدل على اعتبار العموم ، فإنه قال به في آية السرقة مع أنها نزلت في امرأة سرق . قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا أبو ثيملة بن عبد المؤمن ، عن نجيدة الحنفية ، قال : سألت ابن عباس عن قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾^(٤) ، أخاص أم عام ؟ قال : بل عام .

وقال ابن تيمية : قد يحىء كثيرا من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت في كذا ، لاسيما إن كان المذكور شخصا ، كقولهم : إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس ، وإن آية الكلاله نزلت في جابر بن عبد الله ، وإن قوله : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ ﴾^(٥) نزلت في بني قريظة والنضير ، ونظائر ذلك مما يذكر أن نزل في قوم من المشركين بمكة ، أو في قوم من اليهود والنصارى ، أو في قوم من المؤمنين . فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق ، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب : هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ .

(٢) - سورة الأنعام ٨٢

(٤) - سورة المائدة ٣٨

(١) - سورة آل عمران ١٨٨

(٣) - سورة لقمان ١٣

(٥) - سورة المائدة ٩

والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص وغيره
من كان بمنزلة ، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم ، فهي متناولة لذلك الشخص ولن
كان بمنزلة . انتهى .

أما

تنبيه

قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم ، إما آية نزلت في معين ولا عموم
لفظها ، فإنها تقصر عليه قطعاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ الذي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى ﴿ ^(١) فإنها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع ، وقد استدلت بها الإمام نجر الدين
الرازي مع قوله : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقًا كُمْ ﴾ ^(٢) على أنه أفضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

ووهيم من ظن أن الآية عامة في كل من عمل عمله ، إجراء له ^(٣) على القاعدة ؛ وهذا
غلط ، فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت
موصولة أو معرفة في جمع ؛ زاد قوم : أو مفرد ، بشرط ألا يكون هناك عهد ، واللام في
« الأتقى » ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعاً ، والأتقى ليس جمعاً بل هو
مفرد والمهد موجود ، خصوصاً مع ما يفيد صيغة « أفعل » من التمييز وقطع المشاركة ؛
فبطل القول بالعموم ، وتمين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضى الله عنه .

المسئلة الثالثة :

تقدم أن صورة السبب قطعية الدخول في العام ، وقد تنزل الآيات على الأسباب

(٢) سورة الحجرات ١٣

(١) سورة الليل ١٧ ، ١٨

(٣) ط : « أحراً » تحريف .

الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة، رعايةً لنظم القرآن وحسن السيق، فيكون ذلك الخاص قريباً من صورة السبب في كونه قطعاً الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق الجرد، مثاله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُجْرِبِينَ يُشْرَبُونَ بِمِزِّانٍ مُكْتَبٍ﴾ (١)، إلى آخره، فإنها إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود، لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، حرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم، فسألهم: مَنْ أهدى سبيلاً؟ محدوا أصحابه أم نحن؟ فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه، وأخذ المواقف عليهم ألا يكتبوه؛ فكان ذلك أمانة لازمة لهم، ولم يؤدوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلاً، حسداً للنبي صلى الله عليه وسلم. فقد تضمنت هذه الآية مع هذا القول التوعّد عليه المفيد للأمر بمقابلته المشتمل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم، بإفادة أنه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسب لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٢)، فهذا عام في كل أمانة، وذلك خاص بأمانة، هي صفة النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق السابق، والعام تالٍ للخاص في الرسم مترخٍ عنه في النزول، والمناسبة تقتضي دخول ما دلّ عليه الخاص في العام، ولذا قال ابن العربي في تفسيره: وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وقولهم: إن المشركين أهدى سبيلاً؛ فكان ذلك خيانةً منهم، فأنجز الكلام إلى ذكر جميع الأمانات. انتهى.

قال: بعضهم: ولا يرد تأخر نزول آية الأمانات التي قبلها بنحو ست سنين، لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول لافي المناسبة، لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها.

المسئلة الرابعة :

قال الواحدى : لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحوثا عن علمها ، وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن ، فقال : اتق الله وقل سداداً ؛ ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن ^(١) !

وقال غيره : معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابه بقرآن تحتف بالقضايا ، وربما لم يحزم بعضهم ، فقال : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا ، كما أخرج الأئمة الستة عن عبد الله ابن الزبير ، قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار فى شراج الحرة ^(٢) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اسق يازبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصارى : يا رسول الله ، أن كان ابن عمك ! فتلون وجهه ... الحديث ^(٣) . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت فى ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٤) .

قال : الحاكم فى علوم الحديث : إذا أخبر الصحابى الذى شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت فى كذا فإنه حديث مسند . ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره ، ومثله بما أخرجه مسلم عن جابر ، قال : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ ^(٥) .

وقال ابن تيمية : قولهم : نزلت هذه الآية فى كذا ، يراد به تارة سبب النزول ، ويراد

(١) أسباب النزول للواحدى ٤

(٢) الشراج ، بشين معجمة مكسورة : جمع شرجة ، بفتح فكون ، ومى مسابيل الماء بالحرة ، والحرة أرض ذات حجارة سود .

(٣) بقية الخبر : « ثم قال الزبير : اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة للأنصارى وله ، فلما أحفظ الأنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم . وانظر أسباب النزول ١٢٢ ، وتفسير القرطبي ٥ : ٢٦٩

به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا . وقد تنازع العلماء في قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا ، هل يجري مجرى السند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في السند، وغيره لا يدخله فيه، وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره ، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه ، فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في السند. انتهى .

وقال الزركشي: في البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا؛ فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها ^(١)، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع ^(٢).

قلت: والذي يُتحرّر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدى في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شئ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت، ونحو ذلك. وكذلك ذكره في قوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى .

* * *

(١) يمدّها في البرهان: «وجاعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند، كما في قول ابن عمر في قوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم)، وأما الإمام أحمد فلم يدخله في السند، وكذلك مسلم وغيره، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل» .

(٢) البرهان ١: ٣٢٣١ ،

(٣) سورة النساء ١٢٥

تنبيه

ما تقدم أنه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضا ، لكنه مرسل ، فقد يُقبل إذا صح السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ، كجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

* * *

المسئلة الخامسة :

كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية إسبابا متعددة ، وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة ، فإن عُبِّرَ أحدهم بقوله : نزلت في كذا ، والآخر : نزلت في كذا . وذكر أمراً آخر ، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما ، كما سيأتي تحقيقه في النوع الثامن والسبعين ، وإن عُبِّرَ واحد بقوله : نزلت في كذا ، وصرح الآخر بذلك كسبب خلافه فهو المعتمد ، وذلك استنباط ؛ مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن عمر ، قال أنزلت : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ ﴾ (١) في إتيان النساء في أدبارهن . وتقدم عن جابر التصريح بذلك سبب خلافه ، فالعتمد حديث جابر ، لأنه نقل ، وقول ابن عمر استنباط منه ، وقد وهم فيه ابن عباس ، وذكر مثل حديث جابر ، كما أخرجه أبو داود والحاكم

وإن ذكر واحد سببا وآخر سببا غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحا دون الآخر فالصحيح المعتمد ، مثاله ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن جندب : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتته امرأة ، فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فأنزل الله : ﴿ والتضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) سورة الضحى ١ — ٣ .

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة ، عن حفص بن ميسرة ، عن أمه عن أمها — وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن جروا دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل تحت السرير فأتا ، فكث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي ، فقال : يا خولة ، ما حدث في بيت رسول الله ؟ جبريل لا يأتي ، فقلت في نفسي : لو هبَّت البيت وكفستَه ! فأهويت بالمكينة تحت السرير ، فأخرجت الجرو فجاء النبي صلى الله عليه وسلم تُرَعْدُ لحيته — وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة — فأنزل الله : ﴿ وَالضُّحَى ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَرَى ﴾ .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة ، لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، وفي إسناده من لا يعرف ، فالمعتمد مافي الصحيح . ومن أمثلته أيضا ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، فقرحت اليهود ، فاستقبله بضعة عشر شهرا — وكان يحب قبلة إبراهيم — فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله : ﴿ قُولُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ^(١) فارتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ! فأنزل الله : ﴿ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عمر ، قال نزلت : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ، أن تُصَلِّيَ حينما توجهت بك را حلتك في التطوع .

وأخرج الترمذي — وضعفه — من حديث عامر بن ربيعة ، قال : كنا في سفر في ليلة مظلمة ، فلم ندر أين القبلة ؟ فصلى كل رجل منا على حاله ، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت .

وأخرج الدارقطني نحوه من حديث جابر ، بسند ضعيف أيضا .

وأخرج عن ابن جرير عن مجاهد، قال : لما نزلت : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قالوا : إلى أين؟ فنزلت . مرسل .

وأخرج عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إن آخاككم قدمات فصلوا عليه» فقالوا : إنه كان لا يصلّي إلى القبلة ، فنزلت . معضل غريب جدا .

فهذه خمسة أسباب مختلفة ، وأضعفها الأخير لإعضاله ، ثم ما قبله لإرساله ، ثم ما قبله لضعف روايته ، والثاني صحيح لكنه قال : قد أنزلت في كذا ، ولم يصرح بالسبب ، والأول صحيح الإسناد ، وصرح فيه بذكر السبب فهو المعتمد .

ومن أمثله أيضا ما أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة — أوسعيد — عن ابن عباس قال : خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، تعال فتمسح بآلهتنا ، وتدخل معك في دينك — وكان يحب إسلام قومه — فرق لهم ، فأنزل الله : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾ الآيات .

وأخرج ابن مردويه . من طريق العوفي ، عن ابن عباس أن ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أجلنا سنة حتى يهدي لآلهتنا . فإذا قبضنا الذي يهدي لها أحرزناه ثم أسلمنا . فهم أن يؤجلهم فنزلت . هذا يقتضي نزولها بالمدينة . وإسناده ضعيف ، والأول يقتضي نزولها بمكة وإسناده حسن ، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد بن جبيرة ، يرتقى إلى درجة الصحيح ، فهو المعتمد .

الحال الرابع^(٢) : أن يستوى الإسنادان في الصحة ، فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة ، أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات ، مثاله ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود ، قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يتوكل على عسيب ، فمر بنفَرٍ من اليهود ، فقال بعضهم : لو سألتموه ! فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع

رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صمد الوحي ، ثم قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١)

وأخرج الترمذى — وصححه من ابن عباس — قال : قالت قريش لليهود : اعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسألوه عن الروح ، فسألوه ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾ ^(١) الآية ، فهذا يقتضى أنها نزلت بمكة . والأول خلافه ، وقد رُجِّح بأن مارواه البخارى أصح من غيره ، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة .

الحال الخامس : ^(٢) أن يمكن نزولها عقيب السببين والأسباب المذكورة ، بالأى تكون معلومة التباعد ، كما فى الآيات السابقة ، فيحمل على ذلك بمثاله ما أخرجه البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس ، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « البينة أوحدها في ظهرك » ، فقال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ^(٣) ! فأنزل عليه : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ ... ﴾ ^(٤) حتى بلغ : ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) .

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً ، فقتله ، أيقتل به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاب السائل ، فأخبر عاصم عويمرا

(١) سورة الإسراء ٨٥

(٢) انظر ما سبق فى صفحة ٩١ و ٩٣

(٣) بعد فيما نقله القرطبى : « فجعل الذى صلى الله عليه وسلم يقول : « البينة أوحدها في ظهرك » ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إلى اصادق ، وليزنان الله فى أمرى ما يترى ظهري من الحدن »

(٤) سورة النور ٦

(٥) تفسير القرطبى ١٢ : ١٨٣ ، أسباب النزول للواحدى ٢٣٦ — ٢٣٨ وانظر صفحة ٩١ أيضاً

فقال : والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا سألته ، فاتاه ، فقال : إنه قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآنا ... الحديث ^(١) . جمع بينهما بأن أول ما وقع له ذلك هلال ، وصادف محيى عويمر أيضاً ، فنزلت في شأنهما معاً . وإلى هذا جنح النووى وسبقه الخطيب ، فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد .

وأخرج البزار ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : لو رأيت مع أمّ رومان رجلاً ما كنت فاعلابه ؟ قال : شرّاً ، قل : فأنّت يا عمر ؟ قال : كنت أقول : لعن الله الأعرج فإنه تخليث . فنزلت

قال ابن حجر : لا مانع من تعدّد الأسباب .

الحال السادس ^(٢) ألا يمكن ذلك ، فيحمل على تعدّد النزول وتكرره ، مثاله ما أخرجه الشيخان عن المسيّب ، قال : لما حضر أبا طالب الوفاة ، دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : أى عمّ ، قل : لا إله إلا الله ، أحاجّ لك بها عند الله ، فقال أبو جهل : وعبد الله يا أبا طالب ! أتربغ عن ملة عبد المطلب ! فلم يزالا يكأمانه حتى قال : هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنه » ، فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ... ﴾ ^(٣) الآية .

وأخرج الترمذى — وحسنه — عن عليّ ، قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ! فقال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت .

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : خرج النبي صل الله عليه وسلم يوماً

(١) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٢٦٧

(٢) أنظر ما سبق في ص ٩١ ، ٩٤٠٩٣

(٣) سورة التوبة ١١٣ ، وأنظر أسباب النزول للواحدى ١٩٧ — ١٩٩

إلى المقابر ، فجلس إلى قبر منها ، فواجه طويلاً ، ثم بكى ، فقال : إن القبر الذى جلستُ عنده قبر أُمِّي ، وإني استأذنتُ ربِّي فى الدعاء لها فلم يأذن لى ، فأنزل على : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول .

ومن أمثله أيضاً ما أخرجه البيهقي والبخاري ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد ، وقد مثَّل به ، فقال : « لأمثالن بسبعين منهم مكانك » . فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ... ﴾ ^(١) إلى آخر السورة .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب ، قال : لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون ، ومن المهاجرين ستة ، منهم حمزة ، فمَدُّلوا بهم ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لَنَرَمِينَ عليهم . فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ... ﴾ الآية ، فظاهره تأخير نزولها إلى الفتح ، وفى الحديث الذى قبله نزولها بأحد . قال ابن الحصار : ويجمع بأنَّها نزلت أولاً بمكة قبل الهجرة مع السورة لأنَّها مكية ، ثم ثانياً بأحد ، ثم ثالثاً يوم الفتح ، التذكير من الله لعباده . وجعل ابن كثير من هذا القسم آية الروح .

* * *

تنبيه

قد يكون فى إحدى القصتين « فتلاً » فيهم الراوى فيقول « فنزل » مثله ما أخرجه الترمذي ، — وصححه عن ابن عباس — ، قال : مرَّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم ، إذا وضع الله السموات على ذَهْ ، والأرضين على ذَهْ ، والماء على ذَهْ ، والجبال على ذَهْ ، وسائر الخلق على ذَهْ ؟ فأنزل الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِ... ﴿١﴾ الآية، والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم» وهو الصواب، فإن الآية مكية.

ومن أمثلته أيضا ما أخرجه البخاري عن أنس، قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد؟ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آفا، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ﴿٢﴾ قال ابن حجر في شرح البخاري: ظاهر السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الآية ردًّا على قول اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ. قال: وهذا هو المعتمد، فقد صحَّ في سبب نزول الآية قصة غير قصة ابن سلام.

* * *

تنبيه

عكس ما تقدم أن يُذكر سبب واحد في نزول آيات ﴿٣﴾ متفرقة، ولا إشكال في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى، مثاله ما أخرجه الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت: يارسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء! فأنزل الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ...﴾ ﴿٤﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج الحاكم عنها أيضا، قالت: قلت: يارسول الله تذكر الرجال ولا تذكر النساء! فأنزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ ﴿٥﴾ وأنزلت: ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾.

(٢) سورة البقرة ٩٧

(٤) سورة آل عمران ١٩٥

(١) سورة الأنعام ٩١

(٣) ط: د الآيات

(٥) سورة الأحزاب ٣٥

وأخرج أيضا عنها أنها قالت: يَغْزُو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث،
فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أنزل: ﴿وَإِنَّ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾.

ومن أمثله أيضا ما أخرجه البخاري من حديث زيد بن ثابت، أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾^(١)، فجاء ابن أم مكتوم، وقال: يا رسول الله، لو استطيع الجهاد لجاهدت—وكان
أعمى— فأنزل الله: ﴿غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت أيضا، قال: كنت أكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، فإني لو اضع القلم على أذني، إذ أمر بالقتال، فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى، فقال: كيف لي يا رسول الله وأنا أعمى! فأنزلت:
﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ...﴾^(٢).

ومن أمثله ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله
وسلم جالسا في ظل حُجرة، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان؛ فطاع رجل
أزرق، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ فانطلق
الرجل، فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ
مَا قَالُوا...﴾^(٣) الآية. وأخرجه الحاكم وأحمد بهذا اللفظ وآخره: فأنزل الله: ﴿يَوْمَ
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ...﴾^(٤) الآية.

* * *

تنبيه

تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة، واشدد به يدك، فإني حررتَه واستخرجته
بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم، ولم أَسْبِقْ إليه.

(٢) سورة التوبة ٩١

(٤) سورة المجادلة ١٨

(١) سورة النساء ٩٥

(٣) سورة التوبة ٧٤

النزوح العنابر فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول والأصل فيه موافقات عمر ، وقد أفردها بالتصنيف جماعة .

وأخرج الترمذی ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جعل الحق على لسان عمرو قلبه . قال ابن عمر : وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر .

وأخرج ابن مردويه ، عن مجاهد ، قال : كان عمر يرى الرأي ، فينزل به القرآن . وأخرج البخاري وغيره ، عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ^(١) ، وقلت : يا رسول الله ، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة ، فقلت لمن : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منك ﴾ ^(٢) ، فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن ابن عمر ، عن عمر ، قال ، وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب ، وفي أسارى ^(٣) بدر ، وفي مقام إبراهيم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي — أو وافقت ربي — في أربع ، نزلت هذه الآية : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ ^(٤) الآية ،

(٢) سورة التحريم ٥

(٤) سورة المؤمنين ١٢

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) ط : « أمري » .

فلما نزلت قلت أنا : ﴿ فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ، فنزلت : ﴿ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديًا لقي عمر بن الخطاب ، فقال : إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا ، فقال عمر : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢) قال : فنزلت على لسان عمر .

وأخرج سُنَيْدٌ في تفسيره ، عن سعيد بن جبیر ، أن سعد بن مُعَاذٍ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابن أخى ميمى في فوائده ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعا شيئاً من ذلك ، قالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ : زيد بن حارثة وأبو أيوب ، فنزلت كذلك .

وأخرج ابنُ أبي حاتم ، عن عكرمة ، قال : لما أبطأ على النساء الخبر في أحد خرجن يستخبرن ، فإذا رجلان مقبلان على بعير ، فقالت امرأة : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حى ، قالت : فلا أبالى ، يتخذ الله من عباده الشهداء ، فنزل القرآن على ما قالت : ﴿ وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ (٤) .

وقال ابن سعد في الطبقات : أخبرنا الواقدي ، حدثني إبراهيم بن محمد بن شريحيل العبدي ، عن أبيه ، قال : حمل مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ اللّوَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَقَطَعَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى ، فَأَخَذَ اللّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٥) ، ثم قطعت يده اليسرى ، فحنا على اللواء وضمة بمضديه إلى صدره ، وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ... ﴾ الآية ، ثم قتل ، فسقط اللواء .

(٢) سورة البقرة ٩٨

(٤) سورة آل عمران ١٤٠

(١) سورة المؤمنین ١٢ — ١٤

(٣) سورة النور ١٦

(٥) سورة آل عمران ١٤٤

قال محمد بن شرحبيل : وما نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَا تَحْمَدُ إِلَّا رَسُولًا ﴾ يومئذ حتى نزلت بعد ذلك .

تذنب

يقرب من هذا ماورد في القرآن على لسان غير الله، كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا يحكى بالقول، كقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾ ، الآية ، فإن هذا ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم لقوله آخرها : ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا... ﴾ ، ^(٢) الآية ، فإنه أوردها أيضاً على لسانه .

وقوله : ﴿ وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾ : ^(٣) الآية وارد على لسان جبريل .

وقوله : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَٰهَةٌ مَعَهُمْ ﴾ وإنا لنحن الصّافون * وإنا لنحن السّبحون ﴿ ^(٤) ، وارد على لسان الملائكة .

وكذا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وارد على ألسنة العباد، إلا أنه يمكن هنا تقدير القول أى قولوا ، وكذا الآيتان الأوليان يصح أن يقدر فيها « قل » بخلاف الثالثة والرابعة .

(٢) سورة الأنعام ١١٤

(٤) سورة الصافات ١٦٤ — ١٦٦

(١) سورة الأنعام ١٠٤

(٣) سورة مريم ٦٤

النوع الحادى عشر ما تكرر نزوله

صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، بأن من القرآن ما تكرر نزوله ، قال ابن الحصار: قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة ، وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل ، وأول سورة الروم .

وذكر ابن كثير منه آية الروح . وذكر قوم منه الفاتحة . وذكر بعضهم منه قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ^(١) الآية .

وقال الزركشى فى البرهان : قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه . ثم ذكر منه آية الروح ، وقوله: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ... ﴾ ^(٢) الآية .

قال : فإن سورة الإسراء وهود مكيتان ، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة ، ولهذا أشكل ذلك على بعضهم .

ولا إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة . قال : وكذلك ما ورد فى سورة الإخلاص من أنها جواب للمشركين بمكة ، وجواب لأهل الكتاب بالمدينة ، وكذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ^(٣) الآية . قال : والحكمة فى هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها ؛ تذكيراً لهم بها وبأنها تتضمن هذه . ^(٤)

(٢) سورة هود ١١٤

(١) سورة التوبة ١١٣

(٣) سورة التوبة ١١٣ . وأوردها بعدها فى البرهان : « وأُنزل الله فى أبى طالب : (إنك لاتهدى من أحببت) ، وهذه الآية نزلت فى آخر الأمر بالانفراق ، وموت أبى طالب كان بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى ، وجعلت فى براءة » .

(٤) البرهان ١ : ٢٩ ، ٣٠ مع تعرف

تنبيه

قد يجعل من ذلك الأحرف التي تُقرأ على وجهين فأكثر ، ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث أبي : « أن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف » ، فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة ، بل مرة بعد أخرى .

وفي جمال القراء للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين : إن قيل : فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت : يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد ، ونزلت في الثانية ببقية وجوها ، نحو ملك ومالك والسرائر والصرار ، ونحو ذلك . انتهى .

* * *

تنبيه

أنكر بعضهم كون شيء من القرآن يتكرر نزوله ، كذا رأيت في كتاب « الكفيل بمعاني التنزيل » ، وعلمه بأن تحصيل ما هو حاصل لفائدة فيه . وهو مردود بما تقدم من فوائده ، وبأنه يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى ، فإن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة . ورد بمنع الملازمة ، وبأنه لا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرآن لم يكن نزل به من قبل ، فيقرئه إياه . ورد بمنع اشتراط قوله : « لم يكن نزل به من قبل » . ثم قال : ولعلمهم بعنون بنزولها مرتين ، أن جبريل نزل حين حوت القبلة ، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة ، فظن ذلك نزولا لها مرة أخرى ، أو أقرأه فيها قراءة أخرى لم يقرئها له بمكة ، فظن ذلك إنزالاً . انتهى .

النوع الثاني عشر
ما نأختر حكمه عن نزوله
وما نأختر نزوله عن حكمه

قال الزركشي في البرهان : قد يكون النزول سابقا على الحكم ، كقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ (١) ، فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر . وأخرج البزار نحوه مرفوعا .

وقال بعضهم : لأدري ما وجه هذا التأويل ؟ لأن السورة مكّية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم ! وأجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم ، كما قال : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ فالسورة مكية ، وقد ظهر أثر الحِلِّ يوم فتح مكة ، حتى قال عليه السلام : « أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ » ، وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ ﴾ (٢) قال عمر بن الخطاب : فقلت : أيّ جمع ؟ فلما كان يوم بدر ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصليًا بالسيف ، ويقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ ﴾ ، فكانت نيوم بدر . أخرجه الطبراني في الأوسط . (٣)

وكذلك قوله : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (٤) ، قال قتادة : وعده الله وهو يومئذ بمكة أنه سيهزم جنداً من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر . أخرجه ابن أبي حاتم .

ومثله أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ ^(١)

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ قال : السيف ، والآية مكية متقدمة على فرض القتال ، ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضاً ، قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نضباً ، فجعل يقطعها بعمود كان في يده ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ ^(٢) ، ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .

وقال ابن الحصار : ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً ، تصريحاً وتعريضاً ، بأن الله سينجز وعده لرسوله ، ويقيم دينه ويظهره ؛ حتى تفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع ، ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا خلاف ، وأورد من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ^(٣) وقوله في سورة المزمل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ^(٤) . ومن ذلك قوله فيها : ﴿ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ^(٦) فقد قالت عائشة وابن عمر وعكرمة وجماعة : إنها نزلت في المؤذنين ، والآية مكية ولم يُشرع الأذان إلا بالمدينة .

ومن أمثله ما أخره نزوله عن حكمه آية الوضوء ، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت : « سقطت قلادة لي بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل ففني رأسه في حجرى راقداً ، وأقبل أبو بكر ، فلكرني لكررة شديدة وقال : حبست الناس في قلادة ! ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ، وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ إلى قوله :

(٢) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة المزمل

(٦) سورة فصلت ٣٣

(١) سورة بآ ٤٩

(٣) سورة الأنعام ١٤١

(٥) سورة المزمل ٢٠

﴿لعلكم تشكرون﴾^(١)، فالآية مدنيّة إجماعاً، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

قال ابن عبد البرّ معلوم: عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به، ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل.

وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدّماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة.

قلت: يردّه الإجماع على أن الآية مدنيّة.

ومن أمثلته أيضاً آية الجمعة، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة، وقول ابن العرّس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قطّ يردّه ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنيت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان، يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة، فقلت: يا أبتاه، رأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلّما سمعت النداء بالجمعة، لم هذا؟ قال: أي بني، كان أول من صلّى بنا الجمعة قبل مقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...﴾^(٢) الآية، فإنّها نزلت سنة

تسع، وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة.

قال ابن الحصار: فقد يكون مصرفها قبل ذلك معلوماً، ولم يكن فيه قرآن متلو، كما كان الوضوء معلوماً قبل نزول الآية، ثم نزلت تلاوة القرآن تأكيداً به.

* * *

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة التوبة ٦٠

النوع الثالث عشر ما نزل مفزقاً وما نزل جملاً

الأول غالب القرآن ، ومن أمثله في السور القصار «اقرأ» أول ما نزل منها ، إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾ ، والضحى أول ما نزل منها إلى قوله : ﴿ فترضى ﴾ كما في حديث الطبراني . ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة ، والإخلاص ، والكوثر ، وتبت ، ولم يكن ، والنصر ، والمعوذتان ، نزلتا معاً .

ومنه في السور الطوال المرسلات ، ففي المستدرک عن ابن مسعود ، قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار ، فنزلت عليه : ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ ، فأخذتها من فيه وإن فاه رطب ، بها فلا أدري بآيتها ختم : ﴿ فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ ^(١) ، أو ﴿ إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ ^(٢) .

ومنه سورة الصف لحديثها السابق في النوع الأول .

ومنه سورة الأنعام ، فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، حولها سبعون ألف ملك .

وأخرج الطبراني من طريق يوسف بن عطية الصفار — وهو متروك — عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك » .

وأخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علي قال : أنزل القرآن خمساً خمساً إلى سورة الأنعام ، فإنها نزلت جملة ، في ألف يشيعها من كل سماء سبعون

مَلَكًا حَتَّى أَذُوها إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وأخرج أبو الشيخ ^(١) عن أبي بن كعب مرفوعاً: «أُنزِلَتْ عَلَى سُورَةِ الْأَنْعَامِ جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ، يَشْمَعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ».

وأخرج عن مجاهد قال: «نزلت الأنعام كلها جملة واحدة معها خمسمائة ملك».

وأخرج عن عطاء قال: «أُنزِلَتْ الْأَنْعَامُ جَمِيعًا وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ».

فهذه شواهد يُقَوِّى بَعْضُهَا بَعْضًا.

وقال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث الوارد في أنها نزلت جملةً، رويناه من طريق أبي بن كعب. وفي إسناده ضَعْفٌ، ولم نر له إسنادًا صحيحًا، وقدرُوى ما يخالفه، فُروى أنها لم تنزل جملةً واحدة، بل نزلت آيات منها بالمدينة، اختلفوا في عددها، ف قيل: ثلاث، وقيل غير ذلك. انتهى والله أعلم.

* * *

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ. قال أبو نعيم: صنف الأحكام والتفسير. توفي سنة ٣٦٩. أخبار أصبهان ٢ : ٩٠.

التَوْعُ الرَّابِعُ عَشَرَ ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً

قال ابن حبيب ، وتبعه ابن النقيب : من القرآن ما نزل مشيعاً وهو سورة الأنعام شيعها سبعون ألف ملك ، وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك ، وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، وسورة يس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك ، ﴿وَإِسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ^(١) نزلت ومعها عشرون ألف ملك ، وسائر القرآن نزل به جبريل مفرداً بلا شيع .

قلت : أما سورة الأنعام فقد تقدم حديثها بطرقه ، ومن طرقه أيضاً ما أخرجه البيهقي في الشعب والطبراني بسند ضعيف ، عن أنس مرفوعاً : « نزلت سورة الأنعام ومعها مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسُدُّ مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ ، لَهُمْ رَجُلٌ بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ وَالْأَرْضِ تَرْنِجٌ » . وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث جابر ، قال : لما نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِائَةُ الْأَفْقِ » . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، لكن قال الذهبي : فيه انقطاع ، وأظنه موضوعاً . وأما فاتحة وسورة يس ، و﴿وَإِسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ ، فلم أقف على حديث فيها بذلك ولا أثر .

وأما آية الكرسي فقد ورد فيها وفي جميع آيات البقرة حديث ؛ أخرج أحمد في مسنده ، عن معقل يسار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الْبَقَرَةُ سِنَامُ الْقُرْآنِ وَذِرْوَتُهُ ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا ، وَاسْتَخْرَجَتْ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَوُصِلَتْ بِهَا » .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : « خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ، ومعه من الملائكة ماشاء الله » .

وبقي سور أخرى منها سورة الكهف ، قال ابنُ الضريس في فضائله . أخبرنا يزيد ابن عبد العزيز الطلياسي حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن إسماعيل بن رافع ، قال : بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بسورة ملء عظمها ما بين السماء والأرض شيعها سبعون ألف ملك ؟ سورة الكهف » .

* * *

تنبيه

لينظر في التوفيق بين ماضى وبين ما أخرجه ابنُ أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد ابن حُبير ، قال : ماجاء جبريل بالقرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بُعث إليه الملك ، بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

* * *

فائدة

قال ابنُ الضريس : أخبرنا محمود بن غيلان عن يزيد بن هارون ، أخبرني الوليد . - يعني ابن جميل - عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : أربع آيات نزلت من كنز العرش ، لم ينزل منه شيء غيرهن : أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وخاتمة سورة البقرة ، والكوثر .

قلت : أما الفاتحة فأخرج البيهقي في الشعب ، من حديث أنس مرفوعاً : إن الله أعطاني فيما من به علي : إني أعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي .

وأخرج الحاكم عن معقل بن يسار مرفوعاً : « أُعْطِيَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » .

وأخرج ابن راهويه في مسنده عن عليّ ، أنه سئل عن فاتحة الكتاب فقال : حدّثنا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنها نزلت من كنز تحت العرش .

وأما آخر البقرة فأخرج الدراميّ في مسنده ، عن أبيغ الكلاعيّ ، قال : قال رجل : يا رسول الله ، أيّ آيةٍ تحبّ أن تصيبك وأمتك ؟ قال : « آخر سورة البقرة ، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله » .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعاً : « اقْرءُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فَإِنَّ رَبِّي أَعْطَانِيهِمَا مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » .

وأخرج من حديث حذيفة : « أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَاهَا نَبِيٌّ قَبْلِي » .

وأخرج من حديث أبي ذرٍّ : « أُعْطِيَتْ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي » .

وله طرق كثيرة عن عمرو وعليّ وابن مسعود وغيرهم .

وأما آية الكرسي فتقدمت في حديث معقل بن يسار السابق .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ آية الكرسيّ ضحك ، وقال : « إنها من كنز الرحمن تحت العرش » .

وأخرج أبو عبيد ، عن عليّ قال : « آية الكرسيّ أُعْطِيَتْهَا نَبِيُّكُمْ مِنْ كَنْزِ تَحْتِ الْعَرْشِ ، وَلَمْ يُعْطَاهَا أَحَدٌ قَبْلَ نَبِيِّكُمْ » .

وأما سورة الكوثر فلم أقف فيها على حديث ، وقول أبي أمامة في ذلك يجري مجرى المرفوع ، وقد أخرجه أبو الشيخ بن حبان والديلمي وغيرهما من طريق محمد بن عبد الملك الديلمي عن يزيد بن هارون ، بإسناده السابق عن أبي أمامة مرفوعاً .

التَّوَعُّدُ الْخَامِسُ عَشَرَ
مَا أُنْزِلَ مِنْهُ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ
وَمَا لَمْ يُنْزَلْ مِنْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من الثانى الفاتحة وآية الكرسى وخاتمة البقرة ، كما تقدم فى الأحاديث قريباً
وروى مسلم عن ابن عباس: أتى النبى صلى الله عليه وسلم ملك، فقال: «أُبَشِّرُ بنورين
قد أُوتِيتهما لم يُؤْتِهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة» .

وأخرج الطبرانى عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قال : ترددوا فى الآيتين من آخر سورة
البقرة : ﴿وَأَمَّنَ الرَّسُولُ...﴾ ^(١) إلى خاتمتها ، فإن الله اصطفى بها محمداً .

وأخرج أبو عبيد فى فضائله عن كعب قال : إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ
أربع آيات لم يُعْطَهنَّ موسى ، وإنَّ موسى أُعْطِيَ آية لم يعطها محمد . قال : والآيات التى
أعطيهنَّ محمد : ﴿لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ...﴾ ^(٢) حتى ختم البقرة بقتلك
ثلاث آيات ، وآية الكرسى . والآية التى أعطىها موسى : « اللهم لا تولج الشيطان فى قلوبنا
وخلصنا منه ، من أجل أن لك الملكوت والأيدى والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء ،
الدهر الداهر ، أبداً أبداً آمين آمين » .

وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس ، قال : السبع الطوال لم يعطهنَّ أحد إلا
النبى صلى الله عليه وسلم ، وأُعْطِيَ موسى منها اثنتين .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً : « أُعْطِيتُ أمتى شيئاً لم يعطه أحد من الأمم »
عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ^(٣) .

ومن أمثلة الأول، ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس، قال: لما نزلت سَبِّح اسم ربك الأعلى، قال صلى الله عليه وسلم: «كلها في صحف إبراهيم وموسى»، فلما نزلت: ﴿وَإِذَا هَوَىٰ﴾ فبلغ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: ﴿وَفَىٰ أَنْ لَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ إلى قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذَرِ الْأُولَى﴾ (١).

وقال سميد بن منصور: حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: «نسخ من صحف إبراهيم وموسى».

وأخرج عن السدي قال: إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال القرطبي: نبأنا سفيان، عن أبيه، عن عكرمة: ﴿إِنَّ هَذَا لَقِيَ الصَّحُفَ الْأُولَى﴾ قال: هؤلاء الآيات.

وأخرج الحاكم، من طريق القاسم، عن أبي أمامة، قال: أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) و ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) و ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسْلَمَاتِ...﴾ (٤) الآية، والتي في سأل: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَائِمُونَ﴾ (٥) فلم يف بهذه السهام إلا إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال إنه - يعني - النبي صلى الله عليه وسلم الموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٦)، وحرزاً للأُمِّيِّينَ ... الحديث.

(٢) سورة التوبة ١١٢

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة الأحزاب ٤٥

(٨) - الإتيان ج ١

(١) سورة النجم ١ - ٥٦

(٣) سورة المؤمن ١ - ١١

(٥) سورة العارج ٢٣ - ٣٣

وأخرج ابن الصّريّس وغيره ، عن كعب ، قال : فتحت التوراة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ، ^(١) وختمت بـ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَبُرَ تَكْبِيرًا ﴾ ^(٢) .

وأخرج أيضا عنه ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(٣) ، وخاتمة التوراة خاتمة هود : ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٤) .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : أوّل ما أنزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ ^(٥) إلى آخرها .

وأخرج أبو عبيد عنه ، قال : أوّل ما أنزل الله في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ... ﴾ الآيات . قال بعضهم : يعني أنّ هذه الآيات اشتملت على الآيات العشر التي كتبها الله لموسى في التوراة أوّل ما كتب ، وهي : توحيد الله ، والنهي عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقة ، والزور ، ومدّة العين إلى ما في يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت .

وأخرج الدارقطني من حديث بريدة ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأعلمنك آية لم تنزل على نبيّ بعد سليمان غيري : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وروى البيهقي عن ابن عباس ، قال : أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحدٍ قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون سليمان بن داود : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الحاكم عن ابن ميسرة ، أنّ هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعائة

(٢) سورة الإسراء ١١١

(٤) سورة هود ١٢٣

(١) سورة الأنعام ١

(٣) سورة الأنعام ١

(٥) سورة الأنعام ١٥١

آية : ﴿ يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
أَوَّلُ سُورَةِ الْجُمُعَةِ .

* * *

فائدة

يدخل في هذا النوع ما أخرجه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
البرهان الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله : ﴿ وإنَّ عليكم الحافظين ﴾ كراماً
كاتبين ﴾ يعلمون ما تفعلون ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ وما تكون في شأن وما تتأول منه من
قرآن ﴾ ^(٢) الآية ، وقوله : ﴿ آمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ ^(٣) زاد غيره
آية أخرى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ ^(٤) .

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لو لا أن رأى برهان
ربه ﴾ ^(٥) قال : رأى آية من كتاب الله نهته ، مُمَات له في جدار الخائط .

(٢) سورة يونس ٦١

(٤) سورة الإسراء ٣٢ .

(١) سورة الانططار ١٠ — ١٢

(٣) سورة الرعد ٣٣

(٥) سورة يوسف ٢٤

النوع السادس عشر
في كيفية إنزاله

فيه مسائل :

الأولى :

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(٢) .

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال :

أحدها ، وهو الأصح الأشهر : أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة البدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة ، وثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين ؛ على حَسَبِ الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة .

وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في أثر بعض .

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً والنسائي من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ ^(٣) ﴿ وَقرآنًا فرقناه لتقرأه للناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ ^(٤) .

باب الناس

وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وفي آخره : فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً .

وأخرج الحاكم وابن أبي شيبه من طريق حسان بن حريث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : فُصِّلَ القرآن من الذكر ، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم . أسانيدھا كلها صحيحة .

وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس ، قال أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم أنزل نجوماً ^(١) . إسناده لا بأس به .
وأخرج الطبراني والبرزاز من وجه آخر عنه ، قال : أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ونزله جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم .

وأخرج ابن أبي شيبه في فضائل القرآن من وجه آخر عنه : دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة ، فوضعه في بيت العزة ، ثم جعل ينزله تنزيلاً .

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي ، عن محمد ، عن ابن أبي الجالد ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه سأل عطية بن الأسود فقال : أوقع في قلمي الشك قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ، وهذا نزل في شوال وفي ذي القعدة وفي ذي الحجة وفي الحرّم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس : إنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام .

قال أبو شامة : قوله : «رَسَلًا» أي رفقاً ، وعلى موقع النجوم ، أي على مثل مساقطها ،

يريد : أنزل مفروقاً يتلو بعضه بعضاً ، على تَوَدَّة ورفق ^(١) .

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة . وهذا القول ذكره الإمام نجر الدين الرازي بحثاً ، فقال : يحتمل أنه كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من اللوح إلى السماء الدنيا . ثم توقف ، هل هذا أولى أو الأول ! .

قال ابن كثير : وهذا الذي جعله احتمالاً نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان ، وحكى الإجماع على أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا . قلت : وتمن قال بقول مقاتل الحلبي والماوردي ويوافقه قول ابن شهاب : آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين .

القول الثالث : أنه ابتدئ . إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة ، من سائر الأوقات ، وبه قال الشعبي .

قال ابن حجر في شرح البخاري : والأول هو الصحيح المعتمد . قال : وقد حكى الماوردي قولاً رابعاً ، إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة ، وأن الحفظه نجمته على جبريل في عشرين ليلة ، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة . وهذا أيضاً غريب ، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة . وقال أبو شامة : كأن صاحب هذا القول أراد الجمع بين القولين : الأول والثاني .

قلت : هذا الذي حكاه الماوردي أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة

(١ — ١) كذا في الأصل ، وفي ط : « أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على ما وقع مفروقاً يتلو بعضه بعضاً ، على تَوَدَّة ورفق »

الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السّفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة .

تنبيهات

الأول : قيل السرّ في إنزاله جملة إلى السماء ، تفخيم أمره وأمر من نزل عليه ، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرّسل لأشرف الأمم ، قد قرّبناه إليهم لنزله عليهم ، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجّياً بحسب الوقائع لمبط به إلى الأرض جملة ، كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها ، فجعل له الأمرين : إنزاله جملة ، ثم إنزاله مفرداً ؛ تشريراً للمنزل عليه . ذكر ذلك أبو شامة في المرشد الوجيز .

وقال الحكيم التّرمذى : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليماً منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن بعثته ^(١) كانت رحمة ، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فوضع القرآن بيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حدّ الدنيا ، ووضعت النبوة في قلب محمد ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي ، كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظّ هذه الأمة من الله إلى الأمة .

وقال السّخاوى في جمال القراء : في نزوله إلى السماء جملة ، تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة ، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ؛ ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام ، وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السّفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له . قال : وفيه أيضاً التسوية بين نبيينا صلى الله عليه وسلم وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة ، والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجّياً ليحفظه .

قال أبو شامة : فإن قلت فقله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه ، فأنزل جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟ .

قلت : له وجهان : أحدهما أن يكون معنى الكلام إِنَّا حَكَمْنَا بِإِنْزَالِهِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وقضيناه ، وقدرناه في الأزل ، والثاني أن نلفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال ، أي ننزله جملة في ليلة القدر . انتهى .

الثاني : قال أبو شامة أيضا : الظاهر أن نزوله جملة إلى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحتمل أن يكون بعدها .

قلت : الظاهر هو الثاني ، وسيأتي الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل ثلاث عشرة خات منه ، والزبور ثمان عشرة خات منه ، والقرآن لأربع وعشرين خات منه » . وفي رواية : « وصحف إبراهيم لأول ليلة » قال : وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ولقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ . فيحتمل أن يكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة ، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول « اقرأ بسم ربك » .

قلت : لكن يشكك على هذا ما اشتهر من أنه صلى الله عليه وسلم بعث في شهر ربيع : ويحجب عن هذا بما ذكره أنه نبي أولاً بالرويا في شهر مولده ، ثم كانت مدتها ستة أشهر ، ثم أوحى إليه في اليقظة . ذكره البيهقي وغيره .

نعم يشكك على الحديث السابق ما أخرجه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن عن أبي قلابة ، قال : أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان .

الثالث : قال أبو شامة أيضا : فإن قيل ما السر في نزوله منجبا ؟ وهلا نزل كسائر الكتب جملة !

قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ، يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله : ﴿ كَذَلِكَ - أَى أَنزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مَفْرَقًا - لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادُكَ ﴾ ^(١) ، أى لنفوى به قلبك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كلِّ حادثة كان أقوى بالقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجنب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل .

وقيل : معنى « لنثبّت به فؤادك » أى لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ففرّق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء ، فإنه كان كاتباً قارئاً ، فيمكنه حفظ الجميع .

وقال ابن فورك : قيل : أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ ، وهو موسى ، وأنزل الله القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي .

وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا ؛ ومنه ماهو جواب لسؤال وما هو إنكار على قول قيل ، أو فعل فُعل ؛ وقد تقدّم ذلك في قول ابن عباس : ونزله جبريل بحواب كلام العباد وأعمالهم ، وقسّر به قوله : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٢) ، أخرجه عنه ابن أبي حاتم .

فالحاصل أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا .

تذنيب

ما تقدم في كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة ، هو مشهور في كلام العلماء ، وعلى ألسنتهم ، حتى كاد يكون إجماعاً ، وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك ، وقال : إنه لا دليل عليه ، بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن .

وأقول : الصواب الأول ، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان السابقة .

أخرج ابن أبي حاتم ، من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قالت اليهود : يا أبا القاسم ، لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى ، فنزلت . وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ : « قال المشركون » ، وأخرج نحوه عن قتادة والسدي .

فإن قلت : ليس في القرآن التصريح بذلك ، وإنما هو على تقدير ثبوته ، قول الكفار !

قلت : سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى بيان حكمته دليل على صحته ، ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول : إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها على الرسل السابقة ، كما أجاب بمثل ذلك قولهم : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلِّ الطَّعَامِ وَمَنْشَى فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ ^(١) وقولهم : ﴿ أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) وقولهم : كيف يكون رسولا ولا هم له إلا النساء ! فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾ ^(٤) إلى غير ذلك .

ومن الأدلة على ذلك أيضا قوله تعالى في إنزال التوراة على موسى يوم الصعقة : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً

(٢) سورة الاسراء ٩٤

(٤) سورة الرعد ٣٨

(١) سورة الفرقان ٧

(٣) سورة يوسف ١٠٩

وتفصيلاً لكلّ شيء أخذها بقوة^(١) ، ﴿وَأَتَى الْأَلْوَحَ﴾^(٢) ، ﴿وَأَسَكَّتْ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخْذَ الْأَلْوَحِ وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾^(٣) ، ﴿وَإِذْ تَقْنَأُ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^(٤) ؛ فهذه الآيات كلّها دالة على إتيانه التوراة جملة .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : أعطى موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد ، فيها تبليان لكلّ شيء ، وموعظة ، فلما جاء بها فرأى بنى إسرائيل عكوفاً على عبادة العجل رعى بالتوراة من يده فتحطمت ، فرفع الله منها ستة أسباع وبقي منها سبع .

وأخرج من طريق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، رفعه ، قال : الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سِدْرِ الْجَنَّةِ ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً .

وأخرج النسائي وغيره عن ابن عباس ، في حديث الفتون ، قال : أخذ موسى الألواح بعد ما سكّت عنه الغضب ، فأمرهم بالذي أمر الله أن يبلّغهم من الوظائف ، ففعلت عليهم ، وأبوا أن يقرؤا بها حتى نتقى الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم ، فأقرؤا بها .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : جاءتهم التوراة جملة واحدة ، فكبر عليهم ، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل ، فأخذوه عند ذلك .

فهذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة . ويؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفزقاً ، فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدرّج ؛ بخلاف ما لو نزل جملة واحدة ، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس ، لكثرة ما فيه من الفرائض والنهاي .

(٢) سورة الأعراف ١٠٥

(٤) سورة الأعراف ١٧١

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥

(٣) سورة الأعراف ١٥٤

وبوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة ، قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : « لا تشربوا الخمر » لقالوا : لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : « لا تزنا » لقالوا : لاندع الزنا أبداً . ثم رأيت هذه الحكمة مصرحاً بها في الناسخ والنسخ لمكي .

فرع

الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً وأكثر وأقل ؛ وقد صحّ نزولُ العشر آيات في قصّة الإفك جملة ، وصحّ نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصحّ نزول : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ ^(١) وحدها ؛ وهي بعض آية ، وكذا قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً... ﴾ ^(٢) إلى آخر الآية ، نزلت بعد نزول أول الآية كما حرّرناه في أسباب النزول وذلك بعض آية .

وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله : ﴿ بِمَوَاقِعِ ﴾ ^(٣) قال : أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات ، وأربع آيات ، وخمس آيات . وقال النسكراوي في كتاب الوقف : كان القرآن ينزل مفرقاً الآية والآيتين والثلاث والأربع ، وأكثر من ذلك .

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة قال : كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي ، ويخبران جبريل نزل بالقرآن خمس آيات ، وخمس آيات .

وأما ما أخرجه البيهقي في الشعب من طريق أبي خَلْدَةَ ، عن عمر ، قال : تعلموا القرآن

خمس آيات خمس آيات ، فإن جبريل ، كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً . ومن طريق ضعيف عن علي قال : أنزل القرآن خمساً خمساً بإسورة الأنعام ، ومن حفظ خمسا خمسا لم يذسه .

فالجواب ، أن معناه - إن صح - إلقاؤه إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا القدر حتى يحفظه ، ثم يلقى إليه الباقي لا إنزاله بهذا القدر خاصة ، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي أيضاً ، عن خالد بن دينار ، قال : قال لنا أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً .

* * *

المسئلة الثانية : في كيفية الإنزال والوحي :

قال الأصفهاني في أوائل تفسيره : اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل . واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهار القراءة ، ومنهم من قال : إن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ، ثم جبريل أذاه في الأرض وهو يهبط في المكان . وفي التنزيل طريقتان : أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية ، وأخذه من جبريل . والثاني أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه ، والأول أصعب الخالين . انتهى .

وقال الطيبي : لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانياً ، أو يحفظه من اللوح المحفوظ ، فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه .

وقال القطب الرازي في حواشي الكشف : الإنزال لغة بمعنى الإيواء ، وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل ، وكلاهما لا يتحققان في الكلام ، فهو مستعمل فيه

في معنى مجازي ، فمن قال : القرآن معنى قائم بذات الله تعالى ، فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ . ومن قال : القرآن هو الألفاظ ، فإنزاله مجرد إثباته في اللوح ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولاً عن المعنيين اللغويين . ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ ، وهذا مناسب للمعنى الثاني ، والمراد بإنزال السكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ ، وينزل بها فيلقمها انتهى .

وقال غيره : في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به . وذكر بعضهم أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ ، كل حرف منها بقدر جبل قاف ، وأن تحت كل حرف منها معانٍ لا يحيط بها إلا الله .

والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة ، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (١) .

والثالث : أن جبريل ألقى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك .

وقال البيهقي في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ : يريد - والله أعلم - إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع ، فيكون الملك منتقلاً به من علو إلى أسفل . قال أبو شامة : هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى .

قلت : ويؤيد أن جبريل تلقفه سمعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النّوّاس ابن سميان مرفوعاً : إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا

سمع بذلك أهل السماء صمقوا وخرثوا سجّداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فينتهى به على الملائكة، فكلماً مرّ بسماء سألته أهلها: ماذا قال ربّنا؟ قال: الحق، فينتهى به حيث أمر».

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصّفّوان، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة». وأصل الحديث في الصحيح.

وفي تفسير عليّ بن سهل النيسابوري: قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملةً في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزّة، فحفظه جبريل، وغشى على أهل السموات من هيبة كلام الله، فمرّ بهم جبريل، وقد أفاقوا، فقالوا: ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الحقّ — يعني القرآن — وهو معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (١) فاتى به جبريل إلى بيت العزّة، فأملأه على السّفرة الكتّبة — يعني الملائكة — وهو معنى قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (٢).

وقال: الجويني: كلام الله المنزّل قسماً: قسم قال لجبريل: قل للنبيّ الذي أنت مرسل إليه: إن الله يقول: افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربّه، ثم نزل على ذلك النبيّ وقال له ما قاله ربّه، ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن ينق به: قل لفلان: يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة، واجمع جنّدك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لانتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرّق، وحشّمهم على القتالة، لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة. وقسم آخر قال الله لجبريل: اقرأ على النبيّ هذا الكتاب، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفاً. انتهى.

قلت: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. ومن هنا جازرواية السنة بالمعنى، لأن جبريل أداها بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى، لأن جبريل أداها باللفظ، ولم يتح له إجماعه بالمعنى، والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به، وقسم يروونه بالمعنى؛ ولو حمل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف، فتأمل.

وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجويني.

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق عقیل عن الزهري، أنه سُئِلَ عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء فيثبت في قلبه، فيتكلّم به ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلّم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابته؛ ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يدينه للناس ويبلغهم إياه.

فصل

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات:

إحداها أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس كما في الصحيح. وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر، سألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: «أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض». قال الخطابي: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يبين له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوت خفق أجنحه الملك، والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكانا لغيره. وفي الصحيح أن هذه الحالة أشدّ حالات الوحي عليه، وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذ نزلت آية وعيد وتهديد.

الثانية : أن ينفث في رُوعه الكلام نفثاً ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن رُوح القدس نفث في رُوعي » . أخرجه الحاكم . وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها ، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في رُوعه .

الثالثة : أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه ، كما في الصحيح : « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » ، زاد أبو عوانة في صحيحه : « وهو أهوره على » .

الرابعة : أن يأتيه الملك في النوم ، وعَدَّ من هذا قوم سورة الكوثر ، وقد تقدم ما فيه .

الخامسة : أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء ، أو في النوم ، كما في حديث معاذ : « أتاني ربي فقال : فيم يختصم الملائكة الأعلى ... » الحديث . وليس في القرآن من هذا النوع شيء ، فيما أعلم ؛ نعم يمكن أن يُعدَّ منه آخر سورة البقرة لما تقدم ، وبعض سورة الضحى ، وألم نشرح ؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث عدي بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي مسألة ؛ وددت أني لم أكن سألته ؛ قلت : أي رب ، اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، فقال : يا محمد ، ألم أجذك بيتاً فأويت ، وضالاً فهديت ، وعائلاً فأغنيت ، وشرحت لك صدرك ، وحططت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكرك إلا ذكركت معي ! » .

فائدة

أخرج الإمام أحمد في تاريخه من طريق داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة .

قال ابن عسكر : والحكمة في توكيل إسماعيل أنه الموكَّل بالصُّور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ، ونبوته صلى الله عليه وسلم مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي ، (٩ — الإتيان ج ١)

كما وكل بنى القرنين رَافيل الذى يطوى الأرض بخالد بن سنان مالك خازن النار . وأخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن سابط ، قال : « فى أم الكتاب كل شئ . هو كائن إلى يوم القيامة فوكل ثلاثة بحفظه ^(١) من الملائكة ، فوكل جبريل بالكتب والوحى إلى الأنبياء وبالنصر عند الحروب وبالمهلكات إذا أراد الله أن يهلك قومًا ، ووكل ميكائيل بالقطر والنبات ، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس ؛ فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان فى أم الكتاب فيجدونه سواء » .
وأخرج أيضا عن عطاء بن السائب ، قال : أول ما يحاسب جبريل ، لأنه كان أمين الله على رسله .

فائدة ثانية

أخرج الحاكم والبيهقى عن زيد بن ثابت ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن بالتفخيم كهيئته ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ^(٢) ، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ ^(٣) ، ﴿وَالْأَلَاءَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ﴾ ^(٤) ، وأشبهه هذا . قلت : أخرجه ابن الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء ؛ فبين أن المرفوع منه أنزل القرآن بالتفخيم فقط ، وأن الباقي مدرج من كلام عمار بن عبد الملك أحد رواة الحديث ^(٥) .

فائدة أخرى

أخرج ابن أبى حاتم ، عن سفیان الثورى ، قال : لم ينزل وحى إلا بالعربية ، ثم ترجم كل نبي لقومه .

فائدة أخرى

أخرج ابن سعد عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل

(١) بمدها فى ط : « إلى يوم القيامة » . سورة المرسلات ٦

(٢) سورة الكهف ٩٦

(٣) سورة الأعراف ٥٤

(٤) عمار بن عبد الملك ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٢٧٢ ، وقال : « عن بقية ، أنى بالمعجب ، وقال الأزدي : « متروك الحديث » .

(٥) عمار بن عبد الملك ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ٤ : ٢٧٢ ، وقال : « عن بقية ، أنى بالمعجب ، وقال الأزدي : « متروك الحديث » .

عليه الوحي يقط في رأسه، ويتزبد وجهه، ويجذب رداء في تناباه، ويمرق حتى يتحدر منه مثل الجمان.

* * *

المسئلة الثالثة : في الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها .

قلت: ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » من رواية جمع من الصحابة :
أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان
ابن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان،
وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمر بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام
ابن حكيم، وأبي بكر، وأبي جهنم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري،
وأبي هريرة، وأم أيوب. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً، وقد نص أبو عبيد على تواتره .

وأخرج أبو يعلى في مسنده، أن عثمان قال على المنبر : أذكركم الله رجلاً سمع النبي صلى
الله عليه وسلم قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لَمَّا قام، فقاموا حتى
لم يُحْصَوْا، فشهدوا بذلك، فقال : وأنا أشهد معهم .

* * *

[اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف]

وسأسوق من رواهم ما يحتاج إليه فأقول : اختلف في معنى هذا الحديث على
نحو أربعين قولاً :

أحدها : أنه من الشكل الذي لا يدري معناه، لأن الحرف يصدق لغة على حرف
الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة . قاله ابن سعدان النحوي .

الثاني : أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة
ولفظ « السبعة » يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات
والسبعائة في المئين، ولا يراد العدد المعين . وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه . ويردّه ما في
حديث ابن عباس في الصحيحين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل على

حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، وفي حديث أبي عند مسلم: «إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرفٍ فرددتُ إليه: أن هوّن على أمّتي، فأرسل إلي: أن أقرأ على حرفين، فرددتُ إليه: أن هوّن على أمّتي، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف». وفي لفظ عنه عند النسائي: «إن جبريل وميكائيل أتياي، فقعده جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري؛ فقال جبريل: أقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده... حتى بلغ سبعة أحرف»، وفي حديث أبي بكره عنه: «فنظرت إلى ميكائيل فسكت. فعلمت أنه قد انتهت العدة». فهذا يدلّ عن إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

- الثالث: أن المراد بها سبع قراءات، وتُعقّب بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل ﴿عَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾^(١)، و﴿فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفٍ﴾^(٢).

- [الرابع]: وأجيب بأن المراد أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة، وبشكل على هذا أن في الكلمات ما قرئ على أكثر، وهذا يصلح أن يكون قولاً رابعاً.

- الخامس: أن المراد بها الأوجه التي يقع بها التغير؛ ذكره ابن قتيبة قال: فأولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل: ﴿وَلَا يَضَارُّكَ أَتَى﴾^(٣) بالفتح والرفع، وثانيها ما يتغير بالفعل مثل ﴿بَاعِدْ﴾ و﴿بَاعِذْ﴾^(٤) بلفظ الماضي والطلب، وثالثها ما يتغير بالنقط مثل ﴿نُذِشْرُهَا﴾^(٥) و﴿نُشْرُهَا﴾، ورابعها ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل ﴿طَلَحَ مَنْضُودٍ﴾ و﴿طَلَعَ﴾^(٦)، وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٧) و﴿سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾، - وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾^(٨)، و﴿الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى﴾، - وسابعها ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى، مثل: ﴿كَأَلْعَيْنِ الْمُنْفُوشِ﴾ و﴿كَالْصُوفِ الْمُنْفُوشِ﴾^(٩). وتعقب هذا قاسم بن ثابت، بأن الرخصة وقعت، وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف

(١) سورة المائدة ٦٠، وانظر تفسير القرطبي ٦: ٢٣٥ (٢) سورة الإسراء ٢٣، وانظر تفسير القرطبي ١٠: ٢٤٣

(٣) سورة البقرة ٢٨٢، وانظر تفسير القرطبي ٣: ٤٠٥

(٤) سورة سبأ ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٤: ٢٩١ (٥) سورة البقرة ٢٥٩، وانظر تفسير القرطبي ٣: ٢٩٥

(٦) سورة الواقعة ٢٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ٢٠٨ (٧) سورة في ١٩، وانظر تفسير القرطبي ١٧: ١٢

(٨) سورة الليل ٣، وانظر تفسير القرطبي ٢٠: ٨٠ (٩) سورة القارة ٥

الرسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها : ، وأجيب بأنه لا يلزم من ذلك توهين مقاله ابن قتيبة ، لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقاً ، وإنما اطلع عليه بالاستقراء .

[السادس] : وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف : الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث . الثاني : اختلاف تصرف الأفعال من ماض ومضارع وأمر . الثالث : وجوه الأعراب . الرابع : النقص والزيادة . الخامس : التقديم والتأخير . السادس : الإبدال . السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك ، وهذا هو القول السادس .

[السابع] : وقال بعضهم : المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد ، وقصر وتشديد وتخفيف وتلين وتحقيق ، وهذا هو القول السابع .

[الثامن] : وقال ابن الجزري : قد تتبعْتُ صحيح القراءة وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه ، لا يخرج عنها ، وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو ﴿ بِالْبُخْلِ ﴾ ^(١) بأربعة ويحسب بوجهين ، أو متغير في المعنى فقط ، نحو ﴿ فَنَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ^(٢) ، وإما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة ، نحو ﴿ تَبْلُوْا ﴾ ^(٣) و ﴿ تَلَوْا ﴾ ، أو عكس ذلك نحو ، ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ و ﴿ السِّرَاطِ ﴾ ^(٤) أو بتغيرهما نحو ﴿ وَاَمْضُوا ﴾ ^(٥) و ﴿ وَاَسْعَوْا ﴾ ، وإما في التقديم والتأخير ، نحو ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ ^(٦) ، أو في الزيادة والنقصان ، نحو ﴿ وَصَّى ﴾ ^(٧) و ﴿ أَوْصَى ﴾ ، فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها . قال : وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والرو والإشمام والتحقيق والتسهيل والنقل والإبدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى ، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً

(١) سورة النساء ٣٧	(٢) سورة البقرة ٣٧	(٣) سورة يونس ٣٠
(٤) سورة الفاتحة ٦	(٥) سورة الحجر ٦٥	
(٦) سورة التوبة ١١١ ، وفي تفسير القرطبي ٨ : ٢٦٨ . قرأ النخعي والأعمش وحزة والكسائي	(٧) سورة البقرة ١٣٢ وانظر تفسير القرطبي ٢ : ١٣٥	

وخلف بتقديم المفعول على الفاعل .

انتهى. وهذا هو القول الثامن. ومن أمثلة التقديم والتأخير قراءة الجمهور ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(١)، وقرأ ابن مسعود: ﴿على قلب كل متكبر﴾^(٢).

التاسع: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتنفة بالفاظ مختلفة، نحو أقبل، وتعال، وهلم وعجل، وأسرع، وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق. ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء، ويدل له ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكر «أن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كل شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال، وأقبل وهلم وأذهب وأسرع وعجل». هذا اللفظ رواه أحمد، وإسناده جيد. وأخرج أحمد والطبراني أيضا عن ابن مسعود نحوه. وعند أبي داود عن أبي: «قلت: سمعنا عليا عزيرا حكيما، ما لم تخاط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب».

وعند أحمد من حديث أبي هريرة: «أنزل القرآن على سبعة أحرف. عليا حكيما غفورا رحيا» وعنده أيضا من حديث عمر: «أن القرآن كله صواب، ما لم تجعل مغفرة عذابا أو عذابا مغفرة» أسانيدها جياذ.

قال ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب النثل للحروف التي نزل القرآن عليها، إنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه، خلافاً بينيه وبضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده. ثم أسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كَلَّمَ أَوْثَانَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾^(٣) «مروا فيه، «سعوا فيه»، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا﴾^(٤)، أمهلونا أخرونا.

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة، لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة

(٢) انظر النشر ١: ٢٦

(٤) سورة الحديد ١٣

(١) سورة غافر ٣٥

(٣) سورة البقرة ٢٠

بلفظ واحدٍ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإيقان الحفظ ، ثم نُسِخ بزوال العذروتيسر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البرّ والباقلاني وآخرون .

وفي فضائل أبي عبيد من طريق عَوْن بن عبد الله ، أن ابن مسعود أقرأ رجلاً : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ * طَعَامُ الْأَيْمِرِ ﴾ ^(١) فقال الرجل : « طَعَامُ الْيَتِيمِ » فردّها فلم يستقم بها لسانه ، فقال : أنستطيع أن تقول : طعام الفاجر ؟ قال : نعم ، قال : فافعل .

القول العاشر : إن المراد سبع لغات ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وتعلب الأزهري وآخرون ، واختاره ابن عطية ، وصححه البيهقي في الشعب . وتعمّب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ؛ وأجيب بأن المراد أفصحها ، فجاء عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العجز من هوازن . قال : والعجز : سعد بن بكر وجُشَم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ؛ وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم : علياهوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب علياهوازن وسُفلى تميم — يعني بني دارم .

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة السكيتين : كعب قريش وكعب خزاعة ، قيل ، وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ الدار واحدة — يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فسُهلّت عليهم لغتهم .

وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر ؛ واستنكر ذلك ابن قتيبة وقال : لم ينزل القرآن إلّا بلغة قريش ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ ^(٢) ، فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش ؛ وبذلك جزم أبو علي الأهوازي .

وقال أبو عبيد : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة

فيه ؛ فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم . قال : وبعض اللغات أسعد بها من بعض ، وأكثر نصيبا .

وقيل : نزل بلغة مضر خاصة ، لقوله عمر : نزل القرآن بلغة مضر . وعين بعضهم . فيما حكاه — ابن عبد البر السمع من مضر أنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد ابن خزيمة وقريش ؛ فهذه قبائل مضر ، تستوعب سبع لغات .

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ ، أنه قال : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أتيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة ، ولما كان فيهم من الحمية ، واطلب تسهيل فهم المراد .

وزاد غيره ، أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي ، بأن يغير كل أحد الكلمة بمزادها في لغته بل المرعى في ذلك السماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ! وأجيب بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عرصة بحرف ، إلى أن تمت سبعة . وبعد هذا كله رد هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ، كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة ، وقد اختلف قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته ، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات .

القول الحادي عشر : أن المراد سبعة أصناف ؛ والأحاديث السابقة تردده ، والقائلون به اختلفوا في تعيين ، السبعة : فقيل : أمر ونهي ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال . واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ... » الحديث .

وقد أجاب عنه قوم ؛ بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الأحاديث

الأخرى ؛ لأنّ سياق تلك الأحاديث يأتى حملها على هذا ، بل هى ظاهرة فى أنّ المراد أنّ الكلمة تقرأ وعلى جهين وثلاثة إلى سبعة ؛ تيسيراً وتهوئناً ، والشئ الواحد لا يكون حلالاً حراماً فى آية واحدة .

قال البيهقي : المراد بالسبعة الأحرف هنا الأنواع التى نزل عليها ، والمراد بها فى تلك الأحاديث اللغات التى يُقرأ بها . وقال غيره : من أول الأحرف السبعة بهذا ، فهو فاسد ، لأنّه محال أن يكون الحرف منها حراماً لأماسواه ، أو حلالاً لأماسواه ، ولأنّه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنّه حلال كله ، أو حرام كله ، أو أمثال كله . وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأنّ الإجماع على أنّ التوسعة لم تقع فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا فى تغيير شئ من المعانى المذكورة .

وقال الماوردي : هذا القول خطأ ، لأنّه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الجروف وإبدال حرف بحرف ؛ وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام .

وقال أبو عليّ الأهوازيّ وأبو العلاء المهدانيّ : قوله فى الحديث : « زاجر وآسر » الخ استئناف كلام آخر ، أى هو زاجر ، أى القرآن ، ولم يردّ به تفسير الأحرف السبعة ، وإنّما توهم ذلك من جهة الاتفاق فى العدد ؛ ويؤيده أن فى بعض طرقه زجراً وأمراً ؛ بالنصب ، أى نزل على هذه الصفة فى الأبواب السبعة .

وقال أبو شامة : يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب ، لالأحرف ، أى هى سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه ، أى أنزله الله على هذه الأصناف ، لم يقتصره منها على صنف واحد كغيره من الكتب .

[الثانى عشر] : وقيل : المراد بها المطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والنصّ والمؤوّل ، والناسخ والمنسوخ ، والجمل والمفسّر ، والاستثناء وأقسامه . حكاشيدلة عن الفقهاء ، وهذا هو القول الثانى عشر .

[الثالث عشر] : وقيل المراد بها : الحذف والصّلة ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة ،

والتكرار، والكتابة والحقيقة والجاز ، والجمل والمفسر ، والظاهر والغريب . حكاة عن أهل اللغة ؛ وهذا هو الثالث عشر .

[الرابع عشر]: وقيل : المراد بها التذكير والتأنيث ، والشرط والجزاء ، والتصريف والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والإفراد ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات . حكاة عن النحاة ، وهذا هو الرابع عشر .

[الخامس عشر] : وقيل المراد بها سبعة أنواع من المعاملات : الزهد والقناعة مع اليقين والجزم ، والخدمة مع الحياء والكرم ، والفتوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء ، والتضرع والاستغفار مع الرضا والشكر ، والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة ؛ حكاة عن الصوفية وهذا هو الخامس عشر .

القول السادس عشر : إن المراد بها سبعة علوم : علم الإنشاء والإيجاد ، وعلم التوحيد والتنزيه ، وعلم صفات الذات ، وعلم صفات الفعل ، وعلم العفو والعذاب ، وعلم الحشر والحساب ، وعلم النبوات ^(١) .

* * *

وقال ابن حجر : ذكر القرطبي عن ابن حبان ^(١) ، أنه بلغ الاختلاف في الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً ، ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة ، ولم أقف على كلام ابن حبان ^(٢) في هذا بعد تدبُّعي مظانه .

قلت : قد حكاة ابن النقيب في مقدّمة تفسيره عنه بواسطة الشرف المزيّ المرسي . فقال : قال ابن حبان . اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً : فمنهم من قال : هي زجر وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال . الثاني : حلال وحرام ، وأمر ونهى وزجر ، وخبر ماهو كائن بعد ، وأمثال .

(١) لم يذكر المؤلف سوى هذه الأقوال ، وذكر في ص ١٣١ أنها بلغت أربعين ...

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، كما في تفسير القرطبي ١ : ٤٢ .

الثالث : وعد ووعد ، وحلال وحرام ، ومواعظ وأمثال ، واحتجاج .

الرابع : أمر ونهى ، وبشارة ونذارة ، وأخبار ، وأمثال .

الخامس : محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، وخصوص وعموم ، وقصص .

السادس : أمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وجدل وقصص ، ومثل .

السابع : أمر ونهى ، وحد وعلم ، وسر ، وظهر وبطن .

الثامن : ناسخ ومنسوخ ، ووعد ووعد ، ورغم وتاديب ، وإنذار .

التاسع : حلال وحرام ، وافتتاح وأخبار ، وفصائل ، وعقوبات .

العاشر : أوامر وزواجر وأمثال وأنباء ، وعتب ووعظ وقصص .

الحادى عشر : حلال وحرام وأمثال ، ومنصوص ، وقصص وإباحات .

الثانى عشر : ظهر وبطن ، وفرض وندب ، وخصوص وعموم وأمثال .

الثالث عشر : أمر ونهى ، ووعد ووعد ، وإباحة ، وإرشاد ، واعتبار .

الرابع عشر : مقدم ومؤخر ، وفرائض وحدود ، ومواعظ ، ومتشابه ، وأمثال .

الخامس عشر : مفسر ومجمل ، ومقضى ونذوب وحتم ، وأمثال .

السادس عشر : أمر حتم وأمر ندب ، ونهى حتم ونهى ندب ، وأخبار وإباحات .

السابع عشر : أمر فرض ونهى حتم وأمر ندب ونهى مرشد ، ووعد ووعد ، وقصص .

الثامن عشر : سميع جهات لا يعتمد أها الكلام : لفظ خاص أريد به الخاص ، ولفظ

عام أريد به العام ، ولفظ عام أريد به الخاص ، ولفظ خاص أريد به العام ، ولفظ

يستغنى بتنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ، ولفظ لا يعلم معناه إلا الراشون .

التاسع عشر : إظهار الربوبية ، وإثبات الوجدانية ، وتعظيم الألوهية ، والتعبد لله ،

ومجانبة الإشراك ، والترغيب فى الثواب ، والترهيب من العقاب .

العشرون : سبع لغات ، منها خمس من هوازن ، واثنان لساثر العرب .
الحادى والعشرون : سبع لغات متفرقة لجميع العرب ، كل حرفٍ منها لقبيلة مشهورة .
الثانى والعشرون : سبع لغات ، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونضر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

الثالث والعشرون : سبع لغات : لغة قريش ، ولغة لليمن ، ولغة للجُرهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقُضاعة ، ولغة لتيم ، ولغة لطَيّ .

الرابع والعشرون : لغة السكعميين : كعب بن عمرو ، كعب بن لؤى ، ولهما سبع لغات .
الخامس والعشرون : اللغات المختلفة لأحياء العرب فى معنى واحد ، مثل هلم وهات وتعال وأقبل .
السادس والعشرون : سبع قرأت لسبعة من الصحابة : أبى بكر ، وعمر وعثمان وعلى ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى بن كعب ، رضى الله تعالى عنهم .

السابع والعشرون : همز ، وإمالة ، وفتح وكسر ، وتفخيم ، ومد ، وقصر .
الثامن والعشرون : تصريف ومصادر ، وعروض غريب وسجع ، ولغات مختلفة كلها فى شىء واحد .

التاسع والعشرون : كلمة واحدة تُعرَّب بسبعة أوجه ، حتى يكون المعنى واحداً ، وإن اختلف اللفظ فيه .

الثلاثون : أمهات الهجاء : والألف ، والباء ، الجيم ، الدال ، والراء ، والسين ، والعين .
لأن عليها تدور جوامع كلام العرب

الحادى والثلاثون : أمهات فى أسماء الرب ، مثل : الغفور الرحيم ، السميع البصير ،
العليم الحكيم .

الثانى والثلاثون : هى آية فى صفات الذات ، آية تفسيرها فى آية أخرى ، وآية يبانها

في السنة الصحيحة ، وآية في قصة الأنبياء والرسل ، وآية في خلق الأشياء ، وآية في وصف الجنة وآية في وصف النار .

الثالث والثلاثون : آية في وصف الصانع ، وآية في إثبات الوجدانية له ، وآية في إثبات صفاته ، وآية في إثبات رسله ، وآية في إثبات كتبه ، وآية في إثبات الإسلام ، وآية في نفي الكفر .

الرابع والثلاثون : سبع جهات من صفات الذات لله التي لا يقع عليها التكيف .
الخامس والثلاثون : الإيمان بالله ، ومباينة الشرك ، وإثبات الأوامر ، ومجانبة الزواجر ، والثبات على الإيمان ، وتحريم ما حرم الله ، وطاعة رسوله .

قال ابن حبان : فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً وكلمة محتملة وتحتل غيرها .
وقال المرسى : هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدرى مستند لها ولا عنى نقلت ، ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر ؛ مع أن كلها موجودة في القرآن ، فلا أدرى معنى التخصيص ! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح ، فإنه ما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه ، إنما اختلفا في قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة ، وهو جهل قبيح .

* * *

تنبيه

اختلف : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة ؟ فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى ذلك ، وبنوا عليه أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها ، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين ، إلى أنها مشتملة على ما يحتمل

رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عَرَضَهَا النبيّ صلى الله عليه وسلم على جبريل ، متضمّنة لها لم تترك حرفاً منها .

قال ابن الجزرى : وهذا هو الذى يظن صوابه .

، ويحاج عن الأول بما ذكره ابن جرير ، أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة ؛ وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه ، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفرق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً شائعاً ، وهم معصومون من الضلالة ، ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ، ولا شك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الأخيرة وغيره ، فانفق الصحابة على أن كتبوا ما تحقّقوا أنه قرآن مستقرّ فى العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

أخرج ابن أشته فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله ، من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني ، قال : القراءة التى عُرضت على النبيّ صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه ، هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم .

وأخرج ابن أشته ، عن ابن سيرين ، قال : كان جبريل يعارض النبيّ صلى الله عليه وسلم كل سنة فى شهر رمضان [مرة] ^(١) ، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين ، فيرون أن تكون قراءة هذه على العرضة الأخيرة .

وقال البغوى فى شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقي ، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ ، الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى جمعه ، وولاه عثمان كتب المصاحف .

النوع السابع عشر
في معرفة أسمايه وأسماء سوره

قال الجاحظ: سَمَّى الله كتابه اسماً مخالفاً لِمَا سَمَّى العربُ كلامهم على الجَمَلِ التفصيل . سَمَّى جَلَّتْه قرآنا ، كما سَمَّوْا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كغافية .

وقال أبو المعالي عُرَيْزِي بن عبد الملك المعروف بشَيْذَلَة ^(١) في كتاب البرهان : اعلم أن الله سَمَّى القرآن بِخَمْسَةِ وخمسين اسما :

سماه كتابا ومُبِينًا في قوله : ﴿ حُم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٢) .

وقرآنا وكريما : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٣) .

وكلاما : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

ونورا : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ ^(٥) .

وهُدًى ورحمة : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وفرقانا : ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ^(٧) .

وشفاء : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ ^(٨) .

وموعظة : ﴿ قَدْ جَاءَ نَصْرُكَ مِن رَّبِّكَ وَمَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ^(٩) .

(١) ط : « سَيْدَلَة » بالسين ، تصحيف ، وشَيْذَلَة ، ضبطها ضبط ابن خلكان « بفتح الشين والذال واللام » . وقال : « وهو لقب عليه ، ولأعرف معناه مع كشي عنه » . وعُرَيْزِي ، ضبط أيضاً بفتح العين وزاءين ، وهو ابن عبد الله أحد فقهاء الشافعية وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن . توفي سنة ٤٩٤ . واضر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ٤٠١ وكشف الضنون ٢٤١ .

(٣) سورة الواقعة ٧٧

(٢) سورة الدخان ١ ، ٢

(٥) سورة النساء ١٧٤

(٤) سورة التوبة ٦

(٧) سورة الفرقان ١

(٦) سورة يونس ٥٧

(٩) سورة يونس ٥٧

(٨) سورة الإسراء ٨٢

وذكرنا ومباركا: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (١)
وعلياً: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ﴾ (٢) .
وحكمة: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ (٣) .
وحكماً: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٤) .
ومهيمننا: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥) .
وحبلاً: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ (٦) .
وصراطاً مستقيماً: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٧) .
وقيماً: ﴿قِيَمًا لِّيُنذِرَ بِهِ﴾ (٨) .
وقولاً وفصلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (٩) .
ونبأ عظيماً: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ * عن النبأ العظيم (١٠) .
وأحسن الحديث، ومثنى، ومثابها: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثَابِهَا
مَثَانِي﴾ (١١) .

وتنزيلاً: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزْلٌ رُبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢) .
وروحاً: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (١٣) .
ووحياً: ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ بِالْوَحْيِ﴾ (١٤) .
وعربياً: ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا﴾ (١٥) .
وبصائر: ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ (١٦) .

- (٢) سورة الزخرف ٤
(٤) سورة يونس ٢
(٦) سورة آل عمران ١٠٣
(٨) سورة الكهف ٣
(١٠) سورة النبأ ٢، ١
(١٢) سورة الشعراء ١٩٢
(١٤) سورة الأنبياء ٤٥
(١٦) سورة الأعراف ٢٠٣

- (١) سورة الأنبياء ٥٠
(٣) سورة القمر ٥
(٥) سورة المائدة ٤٨
(٧) سورة الأنعام ١٥٣
(٩) سورة الطارق ١٣
(١١) سورة الزمر ٢٣
(١٣) سورة الشورى ٥٢
(١٥) سورة يوسف ٢

- وبيانا: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١)
- وعلمنا: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٢)
- وحقاً: ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٣)
- وهديا: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي ﴾ ^(٤)
- وعجبا: ﴿ قَرَأْنَا عَجَبًا ﴾ ^(٥)
- وتذكرة: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ ^(٦)
- والعروة الوثقى: ﴿ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(٧)
- وصدقا: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾ ^(٨)
- وعدلا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ^(٩)
- وأمرأ: ﴿ ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ ^(١٠)
- ومناديا: ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ ^(١١)
- وبشرى: ﴿ هَدَىٰ وَبَشَّرِ ﴾ ^(١٢)
- ومجيدا: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ ^(١٣)
- وزبوراً: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾ ^(١٤)
- وبشيراً ونذيراً: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا
ونذيراً ﴾ ^(١٥)
- وعزيزاً: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ^(١٦)

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (٢) سورة البقرة ١٢٥ | (١) سورة آل عمران ١٣٨ |
| (٤) سورة الاسراء ٩ | (٣) سورة آل عمران ٦٢ |
| (٦) سورة الحاقة ٤٨ | (٥) سورة الجن ٢١ |
| (٨) سورة الزمر ٣٣ | (٧) سورة البقرة ٢٥٦ |
| (١٠) سورة الطلاق ٥ | (٩) سورة الأنعام ١١٥ |
| (١٢) سورة البقرة ٩٧ | (١١) سورة آل عمران ١٩٣ |
| (١٤) سورة الأنبياء ١٠٥ | (١٣) سورة البروج ٢١ |
| (١٦) سورة فصلت ٤١ | (١٥) سورة فصلت ٤ ، ٣ |

وبلاغا: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

وقصصا: ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(٢) .

وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: ﴿ فِي صُحُفٍ مَّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ^(٣) . انتهى .

* * *

فأما تسميته كتابا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه ، والكتاب لغة الجمع .

والمبين ؛ لأنه أبان ، أى أظهر الحق من الباطل .

وأما القرآن فاختلف فيه ، فقال جماعة : هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروى عن الشافعى ، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه أنه كان يهمز قرأت ، ولا يهمز القرآن ، ويقول : القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

وقال قوم ، منهم الأشعرى : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء ، إذا ضمت أحدهما إلى الآخر ، وسمى به ، لقران السور والآيات والحروف فيه .

وقال الفرّاء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ، وبشابه بعضها بعضا وهى قرائن . وعلى القولين هو بلاهمز أيضا ونونه أصلية .

وقال الزجاج : هذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكنين قبلها .

واختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم منهم اللحياني : هو مصدر لقرأت ، كالرحجان

والفُقران ؛ سُمِّيَ به الكتاب القروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزجاج : هو وُضِفَ على فَعْلان ؛ مشتقٌّ من القَرء بمعنى الجمع ، ومنه : قرأتُ الماء في الحوض ، أى جمعته .

قال أبو عبيدة : وسُمِّيَ بذلك ، لأنه جَمَعَ السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ، ولا لجمع كل كلام قرآن . قال : وإنما سُمِّيَ قرآنا ؛ لكونه جَمَعَ ثمرات الكتب السالفة المنزلة . وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

وحكى قطرب قولاً : إنه إمّا سُمِّيَ قرآنا لأن القارئ يُظهره ويبيّنه من فيه ، أخذاً من قول العرب : ما قرأتِ الناقة سلاً قط ، أى مارمت بولده ، أى ما أسقطت ولداً ؛ أى ما حملت قط ؛ والقرآن يَلْفِظُهُ القارئ من فيه . ويلقيه فسُمِّيَ قرآنا .

قلت : والاختار عندي في هذه المسألة مانص عليه الشافعي .

وأما الكلام : فمشتق من الكلام بمعنى التأثير ؛ لأنه يؤثّر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

وأما النور : فلائنه يدرك به غوامض الحلال والحرام .

وأما الهدى ، فلائنه فيه الدلالة على الحق ؛ وهو من باب إطلاق المصدر على

الفاعل مبالغة

وأما الفرقان ؛ فلائنه فرق بين الحق والباطل ؛ وجهه بذلك مجاهد ، كما أخرجه ابن

أبي حاتم .

وأما الشفاء ، فلائنه يشفي من الأمراض القلبية ، كالكفر والجهل والغل ، والبدنية أيضاً

وأما الذِّكْر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية . والذكر أيضاً الشرف ، قال

تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَدَرُّكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(١) ، أى شرف لأنه بلغتهم .
وأما الحكمة ، فلأنه نزل على قانون المعبر من وضع كل شئ في محله ، ولأنه مشتمل على الحكمة
وأما الحكيم ، فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعاني ، وأحكمت عن
تطرق التبديل والتعريف والاختلاف والتباين .

وأما المهيم ، فلأنه شاهد على جميع الكتب والأمم السالفة .
وأما الحبل ، فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى . والحبل : السبب .

وأما الصراط المستقيم ، فلأنه طريق إلى الجنة ، قويم لا عوج فيه .
وأما المثاني ، فلأن فيه بيان قصص الأمم الماضية ، فهو مان لما تقدمه . وقيل : لتكرار
القصص والمواعظ فيه . وقيل : لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ والمعنى ، كقوله : ﴿ إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ ^(٢) ، حكاه الكرماني في عجائبه .

وأما المتشابه ، فلأنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق .

وأما الروح ، فلأنه تحيا به القلوب والأنفس .

وأما المجيد ، فلشرفه .

وأما العزيز ، فلأنه يعز على من يروم معارضته .

وأما البلاغ ، فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه . أو لأن فيه بلاغة وكفاية
عن غيره .

قال السَّافِي في بعض أجزائه : سمعت أبا الكرم التحوي يقول : سمعت أبا القاسم
التنوخى يقول : سمعت أبا الحسن الرماني ، وسئل : كل كتاب له ترجمة ، فترجمة كتاب الله ؟
فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾ ^(٣) .

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ^(٤) أنه القرآن .

(٢) سورة الأعلى ١٨

(٤) سورة طه ١٣١

(١) سورة الزخرف ٤٤

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

فائدة

حكى المظفرى فى تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن، قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلا، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه سّفر، فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت بالحشة كتابا يدعوّه المصحف، فسمّوه به.

قلت: أخرج ابنُ أشتة^(١) فى كتاب المصاحف من طريق موسى بن عُقبة، عن ابن شهاب، قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السّفر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإن الحبشة يسمّونه المصحف. وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف. ثم أوردته من طريق آخر عن ابن بريدة، وسيأتى فى النوع الذى يلى هذا.



فائدة ثانية

أخرج ابنُ الضريس^(٢) وغيره عن كعب، قال: فى التوراة: يا محمد، إني منزّل عليك توراة حديثة تفتح أعيناً عمياً، وأذانا صماً، وقلوباً غلغفاً.

وأخرج ابنُ أبى حاتم عن قتادة، قال: لما أخذ موسى الألواح قال: يارب، إني أجد فى الألواح أمة، أناجيلهم فى قلوبهم، فاجعلهم أمتى. قال: تلك أمة أحمد.

ففى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سمّيت التوراة فرقاناً فى قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾^(٣) وسمى صلى الله عليه وسلم الزبور قرآناً فى قوله: «خفف على داود القرآن».

(١) ابن أشتة، هو محمد بن عبد الله بن أشتة، أحد العلماء بالمرية والقراءات، وله كتاب فى شواذ القراءات توفى سنة ٣٠٦ طبعات القراء ١٨٤٢

(٢) هو محمد بن أبوب بن يحيى بن الضريس البجلي، أحد حفاظ الحديث، وله كتاب فى فضائل القرآن.

توفى سنة ٢٩٤. تذكرة الحفاظ ٢ : ١٩٥

(٣) سورة البقرة ٥٣

فصل فى أسماء السور

قال القُتُبى: السورة تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسارت ، أى أفضلت ، من السور وهو ما بقى من الشراب فى الإناء ؛ كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها .

ومنهم من يشبهها بسور البناء ، أى القطعة منه ، أى منزلة بعد منزلة .

وقيل : من سور المدينة ، لإحاطتها بآياتها واجتماعها ، ^(١) كاجتماع البيوت بالبيوت ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد .

وقيل : لارتفاعها ، لأنها كلام الله السورة المنزلة الرفيعة ، قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة تَرى كُلَّ مَلِكٍ حَوْلَهَا يَتَذَبذبُ ^(٢)

وقيل : لتكوين بعضها على بعض ، من التسوّر بمعنى التصاعد والتركب ، ومنه : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْحُرَابَ ﴾ ^(٣) .

وقال الجعفرى ^(٤) : حدّ السورة قرآن يشتمل على آى ، ذى فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات .

وقال غيره : السورة الطائفة المترجمة نوقيفا ، أى المسماة باسم خاصّ بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينّت ذلك .

ومما يدلّ لذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة ، قال : كان المشركون يقولون :

(١) نقله فى البرهان ١ : ٦٣ ، ٢٦٤ ، (٢) ديوانه ١٣ (٣) سورة ص ٢١ (٤) هو إبراهيم بن عمران لإبراهيم أبو إسحاق الجعفرى من فقهاء الشافعية ، له نحو مائة كتاب ، أكثرها فى القراءات ، منها شرح الشاطبية ، حديقّة الزهر فى عدد آى السور ، وخيلة أرباب المقاصد فى رسم المصحف وغيرها . توفى سنة ٧٣٢ . الدرر الكامنة ١ : ٥٠

سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزئون بها فنزل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ^(١) .
وقد ذكره بعضهم أن يقال : سورة كذا ، لما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعا :
« لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ، وكذا القرآن كله ، ولكن
قولوا : السورة التي تذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله » .
وإسناده ضعيف ، بل ادّعى ابن الجوزي أنه موضوع .

وقال البيهقي : إنما يعرف موقوفا على ابن عمر ، ثم أخرجه عنه بسند صحيح ، وقد صح
إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ، ومن
ثم لم يكرهه الجمهور .

* * *

فصل

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان فأكثر ؛ من ذلك :
(الفاتحة) : وقد وقفت لها على ثيفٍ وعشرين اسمًا ، وذلك يدل على شرفها ، فإن
كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى .

أحدها : فاتحة الكتاب ، أخرج ابن جرير ، من طريق ابن أبي ذئب عن المقبري ^(١)
عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ،
وهي السبع المثاني » وسميت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف ، وفي التعليم . وفي القراءة في
الصلاة . وقيل : لأنها أول سورة نزلت ، وقيل : لأنها أول سورة كتبت في اللوح المحفوظ .
حكاه المرسى ، وقال : إنه يحتاج إلى نقل ، وقيل : لأن الحمد فاتحة كل كلام ، وقيل : لأنها
فاتحة كل كتاب . حكاه المرسى ، ورد بأن الذي افتتح به كل كتاب هو الحمد فقط ، لا جميع السورة
وبأن الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن ، لا جنس الكتاب . قال : لأنه قد روى من

أسمائها فاتحة القرآن ، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحدا .

ثانيها : فاتحة القرآن ؛ كما أشار إليه المرسى .

وثالثها : ورابعها : أم الكتاب وأم القرآن ، وقد كره ابن سيرين أن تسمى أم الكتاب ، وكره الحسن أن تسمى أم القرآن ووافقهما بقى بن مخلد ، لأن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ ، قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) . وآيات الحلال والحرام ، قال تعالى : ﴿ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) ، قال المرسى : وقد روى حديث لا يصح : « لا يقولنَّ أحدكم أم الكتاب وليقل ، فاتحة الكتاب » .

قالت : هذا لأصل له في شيء من كتب الحديث ، وإنما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين ، فالتبس على المرسى ؛ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك ، فأخرج الدارقطني وصححه من حديث أبي هريرة مرفوعا : « إذا قرأتم الحمد فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنها أم القرآن ، وأم الكتاب والسبع المثاني » .

واختلف : لم تسمت بذلك ؟ قيل : لأنها يبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة ، قاله أبو عبيدة في مجازة ، وجزم به البخاري في صحيحه . واستشكل بأن ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب ، لأم الكتاب ؛ وأجيب بأن ذلك بالنظر إلى أن الأم مبتدأ الولد . قال الماودي : سُميت بذلك لتقدمها وتأخر ما سواها تبعاً لها ، لأنها أمته ، أى تقدمته ، ولهذا يقال لرأية الحرب أم ، لتقدمها واتباع الجيش لها . ويقال لامضى من سنى الإنسان أم لتقدمها ، ولمكة أم القرى لتقدمها على سائر القرى . وقيل : أم الشيء أصله ؛ وهى أصل القرآن لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحكم ، كما سيأتى تقريره في النوع الثالث والسبعين . وقيل : سُميت بذلك لأنها أفضل السور ، كما يقال

لرئيس القوم : أمّ القوم . وقيل : لأن حرمتها كحرمة القرآن كله . وقيل : لأن مفزغ أهل الإيمان إليها ، كما يقال للراية أمّ ، لأن مفزغ العسكر إليها . وقيل : لأنها محكمة والمحكمات أم الكتاب .

خامسها : القرآن العظيم ، روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأُمّ القرآن : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » ، وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن

سادسها : السبع المثاني ، وردت تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة ، أما تسميتها سبعة ؛ فلأنها سبع آيات . أخرج الدارقطني ذلك عن علي . وقيل فيها سبعة آداب ، في كل آية أدب ، وفيه يُعد . وقيل : لأنها خلت من سبعة أحرف : التاء ، والهمزة ، والحاء ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والفاء . قال المرسى : وهذا أضعف مما قبله لأن الشيء إنما يسمى بشيء وجد فيه لا بشيء فقد منه . وأما المثاني : فيحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لما فيها من الثناء على الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من الثنّيا ، لأن الله استثنّاها لهذه الأمة ، ويحتمل أن يكون من التثنية ، قيل : لأنها تنثني في كل ركعة ، ويقوّيه ما أخرجه ابن جرير بسند حسن عن عمر ، قال : السبع المثاني فاتحة الكتاب ، تنثني في كل ركعة . وقيل : لأنها تنثني بسورة أخرى ، وقيل : لأنها نزلت مرتين ، وقيل : لأنها على قسمين ثناء ودعاء ، وقيل : لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله ، كما في الحديث . وقيل : لأنها اجتمع فيها فصاحة المثاني وبلاغة المعاني : وقيل غير ذلك .

سابعها : الوافية ؛ كان سفيان بن عيينة يسميها به ، لأنها وافية بما في القرآن من المعاني قاله في الكشف . وقال الثعلبي : لأنها لا تقبل التنصيف ، فإن كل سورة من

القرآن لوقريّ نصفها في كلّ ركعة والنصف الثاني في أخرى لجاز بخلافها. وقال المرسي :
لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد .

ثامنها : الكنز ، لما تقدّم في أمّ القرآن ؛ قاله في الكشف ، وورد تسميتها بذلك في
حديث أنس السابق في النوع الرابع عشر .

تاسعها : الكافية ، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ، ولا يكفي عنها غيرها .

عاشرها : الأساس ، لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه .

حادى عشرها : النور .

ثاني عشرها وثالث عشرها : سورة الحمد وسورة الشكر .

رابع عشرها وخامس عشرها : سورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصرى .

سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها : الرقية والشفاء والشافية ، للأحاديث
الآتية في نوع الخواص .

تاسع عشرها : سورة الصلاة لتوقف الصلاة عليها .

[العشرون] : وقيل : إنّ من أسمائها الصلاة أيضا لحديث : «قسمت الصلاة بيني وبين

عبدى نصفين» أى السورة . قال المرسي : لأنها من لوازمها ؛ فهو من باب تسمية الشيء
باسم لازمه ، وهذا الاسم العشرون .

الحادى والعشرون : سورة الدعاء ، لاشتغالها عليه في قوله : ﴿ اهْدِنَا ﴾ .

الثانى والعشرون : سورة السؤال لذلك ، ذكره الأمام فخر الدين :

الثالث والعشرون : سورة تعليم المسألة ؛ قال المرسي : لأنّ فيها آداب السؤال ؛ لأنها

بدئت بالثناء قبله .

الرابع والعشرون : سورة المفاجاة ، لأنَّ العبد يناجى فيها ربَّه بقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ^(١) .

الخامس والعشرون : سورة التفويض ، لاشتغالها عليه في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

فهذا ما وقفت عليه من أسمائها ، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا .
ومن ذلك :

(سورة البقرة) : كان خالد بن معدان يسميها فسطاط القرآن ، وورد في حديث مرفوع في مسند الفردوس ، وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها ، وفي حديث المستدرك تسميتها : « سنام القرآن » ، وسنام كل شيء أعلاه .

و(آل عمران) : روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي عطف قال : اسم آل عمران في التوراة طيبة . وفي صحيح مسلم : تسميتها والبقرة الزَّهْرَاوِين .

و(المائدة) : تسمى أيضا المعقود والمنقذة ، قال ابن الفرس لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب .

و(الأنفال) : أخرج أبو الشيخ عن سعد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ، قال : تلك سورة بدر .

و(براءة) : تسمى أيضا التوبة لقوله فيها ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ ^(٢) الآية .
والفاخحة ، أخرج البخاري عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال :
التوبة ، بل هي الفاخحة ، مازالت تنزل : « ومنهم ، ومنهم ... » حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر

فيها . وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة ، قال : قال . عمر : ما فرغ من تنزيل براءة ، حتى ظننا أنه لا يبق منا أحد إلا سينزل فيه .

وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب . أخرج الحاكم في المستدرک عن حذيفة ، قال : التي يسمون سورة التوبة هي سورة العذاب . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبیر ، قال : كان عمر بن الخطاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل : سورة التوبة ، قال : هي إلى العذاب أقرب ، ما كادت تقلع عن الناس ، حتى ما كادت تبقى منهم أحدا .

والمشقة ، أخرج أبو الشيخ عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لابن عمر : سورة التوبة ، فقال : وأيتهن سورة التوبة ؟ فقال : براءة ، فقال : وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي ! ما كنا ندعوها إلا المشقة . أي المبرثة من النفاق .

والمقرة ، أخرج أبو الشيخ عن عبيد بن عمير ، قال : كانت تسمى براءة المنقرة ، نقرت عما في قلوب المشركين .

والبحوث بفتح الباء ، أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له : لو قدمت العام عن الغزو ! قال : أنت علينا البحوث يعني براءة ... الحديث .

والخافرة ، ذكره ابن الفرس لأنها حفرت عن قلوب المنافقين .

والمثيرة ، أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها المثيرة ، أنبأت بمثالبهم وعوراتهم .

وحكى ابن الفرس من أسمائها المبعثرة ، وأظنه تصحيف المنقرة ، فإن صح كملت الأسماء عشرة ، ثم رأيت كذلك — أعنى المبعثرة — بخط السخاوي في جمال القراء ، وقال : لأنها بعثت عن أسرار المنافقين .

وذكر فيه أيضاً من أسمائها الخزية ، والمنكئة ، والمشردة والمدممة .

(الفحل) : قال قتادة : تسمى سورة النعم ، أخرج ابن أبي حاتم ، قال ابن الفرس :

لَمَّا عَدَّدَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ عَلَى عِبَادِهِ .

(الإسراء) : تسمى أيضا سورة « سبحان » ، وسورة بني إسرائيل .

(الكهف) : ويقال لها سورة أصحاب الكهف ، كذا في حديث أخرجه ابن مَرْدُويه ، وروى البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعا ، أنها تدعى في التوراة الحائلة ، تحول بين قارئها وبين النار ، وقال : إنه منكر .

(طه) : تسمى أيضا سورة الكليم ، ذكره السخاوي في جمال القراء .

(الشعراء) : وقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة الجامعة .

(النمل) : تسمى أيضا سورة سليمان .

(السجدة) : تسمى أيضا المضاجع .

(فاطر) : تسمى سورة الملائكة .

(يس) : سماها صلى الله عليه وسلم قلب القرآن . أخرجه الترمذي من حديث أنس .

وأخرج البيهقي من حديث أبي بكر مرفوعا : « سورة يس تدعى في التوراة المِعمَة ، نعم بخيري الدنيا والآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية ، تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة » . وقال : إنه حديث منكر .

(الزمر) : تسمى سورة الغُرَف .

(غافر) : تسمى سورة الطول ، والمؤمن ، لقوله تعالى فيها : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(١) .

(فضلت) : تسمى السجدة ، وسورة المصاييح .

(الجاثية) : تسمى الشريعة ، وسورة الدهر ؛ حكاها الكرماني في العجائب .

(سورة محمد) : تسمى القتال .

(ق) : تسمى سورة الباسقات .

(اقتربت) : تسمى القمر ، وأخرج البيهقي عن ابن عباس « أنها تدعى في التوراة المبيضة »

تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه» ؛ وقال : أنه منكر .

(الرحمن) : سُمِّيَتْ في حديث عروس القرآن ، أخرجه البيهقي عن علي مرفوعا .

(المجادلة) : سُمِّيَتْ في مصحف أبي الزهراء .

(الحشر) : أخرج البخاري عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ،

قال : قل : سورة بني النضير . قال ابن حجر : كأنه كره تسميتها بالحشر ، لئلا يظن أن المراد يوم القيامة ، وإنما المراد به هنا إخراج بني النضير .

(الممتحنة) : قال ابن حجر : المشهور في هذه التسمية أنها بفتح الحاء وقد تكسر ،

فعلى الأول هو صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها ، وعلى الثاني هي صفة السورة كما قيل لبراءة : الفاضحة . وفي جمال القراء : تسمى أيضا سورة الامتحان وسورة المودة .

(الصف) : تسمى أيضا سورة الحواريين .

(الطلاق) : تسمى سورة النساء القصرى ، كذا سماها ابن مسعود ، أخرجه البخاري

وغيره ، وقد أنكره الداودي ، فقال : لأرى قوله : « القصرى » محظوظا ، ولا يقال في

سورة من القرآن : قصرى ولا قصرى . قال ابن حجر : وهو رد للأخبار الثابتة

بلامسند ، والقصر الطول أمر نسبي . وقد أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال :

« طولى الطوليين » ؛ وأراد بذلك سورة الأعراف .

(التحريم) : يقال لها سورة : المتحرم ، وسورة المحرم .

(تبارك) : تسمى سورة الملك : وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود ، قال : هي

في التوراة سورة الملك ؛ وهي المانعة تمنع من عذاب القبر ، وأخرج الترمذي من حديث

ابن عباس مرفوعا : « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » . وفي مسند عبيد من

حديث : « إنها المنجية والمجادلة ، تجادل يوم القيامة عندها لقارها » .

وفي تاريخ ابن عساكر من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها المنجية .
وأخرج الطبراني ، عن ابن مسعود قال : كنّا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة . وفي جلال القراء : تسمى أيضا الواقعة والمناعة .
(سأل) : تسمى المعارج والواقع .

(عم) : يقال لها النبأ ، والتساؤل ، والمعصرات .

(لم يكن) : تسمى سورة أهل الكتاب ، وكذلك سُميت في مصحف أبي ، وسورة
البينة ، وسورة القيامة ، وسورة البرية ، وسورة الانفكاك ، ذكر ذلك في جلال القراء .
(أرايت) : تسمى سورة الدّين ، وسورة الماعون .

(الكافرون) : تسمى المقشقة ؛ أخرجه ابن أبي حاتم عن زرارة بن أوفى ، قال في
جلال القراء : وتسمى أيضا سورة العبادة .

قال : (سورة النصر) : تسمى سورة التوديع ، لما فيها من الإيمان إلى وفاته صلى الله عليه وسلم .

قال : (سورة تبت) : تسمى سورة المسد .

(سورة الإخلاص) : تسمى الأساس ، لاشتغالها على توحيد الله وهو أساس الدين .

قال : (الفلق والناس) : يقال لها المعوذتان ، بكسر الواو ، والمشقة شقتان من قولهم :
خطيب مشفق .

* * *

تنبيه

قال الزركشي في البرهان : ينبغي البحث عن تمداد الأسماء : هل هو توقيف ،

أوبما يظهر من المناسبات ، فإن كان الثاني ^(١) فلم يعد المقطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة ، تقتضي اشتقاق أسماء لها . وهو بعيد .

قال : وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به ، ولا شك أن العرب تراعى في كثير من التسميات أخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو يكون معه أحكام أو أكثر أو سبق ، لإدراك الرأي للمسمى . ويسمى الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ؛ وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقربنة قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها ، وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ «الأنعام» في غيرها ، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْإِنْعَامِ حَمَلَةَ وِفْرَشًا ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ ^(٢) لم يرد في غيرها ؛ كما ورد ذكر النساء في سور ، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء ، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها ، فسميت بما يخصها .

قال : فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى ، فلم خصت باسم هود وحده مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول ؟ قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره في سورته ^(٣) : فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

قال : فإن قيل : فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع ! قيل : لما : أفردت

لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها ، فلم يقع فيها غير ذلك ، كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ^(١) . انتهى :

* * *

قلت : ولك أن تسأل فتقول : قد سميت سور جرت فيها قصص أنبياء باسمائهم ؛ كسورة نوح ، وسورة هود ، وسورة إبراهيم ، وسورة يونس ، وسورة آل عمران ، وسورة طس سليمان ، وسورة يوسف ، وسورة محمد ، وسورة صريم ، وسورة لقمان ، وسورة المؤمن . وقصة أقوام كذلك ، كسورة بني إسرائيل ، وسورة أصحاب الكهف ، وسورة الحجر ، وسورة سبأ ، وسورة الملائكة ، وسورة الجن ، وسورة المنافقين ، وسورة المطففين ؛ ومع هذا كله لم يفرّد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن ، حتى قال بعضهم : كذا القرآن أن يكون كله موسى ؛ وكان أولى سورة أن تسمى به سورة طه أو القصص أو الأعراف . لبسط قصته في الثلاثة ما لم يبسط في غيرها . وكذلك قصة آدم ، ذكرت في عدة سور ، ولم تسم به سورة ، كأنه اكتفاء بسورة الإنسان ، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص ، ولم تسم به سورة الصافات ، وقصة داود ذكرت في ص ولم تسم به ، فانظر في حكمة ذلك . على أنني رأيت بعد ذلك في جمال القراء للسجّاء ، أن سورة طه تسمى سورة الكليم ، وسمّاها الهذلي في كامله سورة موسى ، وأن سورة ص تسمى سورة داود . ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافات تسمى سورة الذبيح ، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر .

* * *

فصل

وكما سميت السورة الواحدة بأسماء ، سميت سور باسم واحد ، كالسور المسماة « ألم » أو « الر » ، على القول بأن فواتح السور أسماء لها .

فائدة في إعراب أسماء السور

قال أبو حيان في شرح التسهيل :

ما سُمِّيَ منها بجملة تحكى نحو « قل أوحى » و « آي، أمر الله » أو بفعل لا ضمير فيه أعرب إعراب ما لا ينصرف ، إلا ما في أوله همزة وصل ، فَنَقَطَ الفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف ، ويكتب بهاء على صورة الوقف ، فنقول : قرأت « اقترية » وفي الوقف « اقتربه » . أما الإعراب فلأنها صارت أسماء ، والأسماء معربة إلا لموجب بناء . وأما قطع همزة الوصل ، فلأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها . وأما قلب تائها هاء ، فلأن ذلك حكم تاء التانيث التي في الأسماء ، وأما كتبها هاء ، فلأن الخط تابع للوقف غالبا .

وما سُمِّيَ منها باسم ؛ فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد أو أضفت إليه سورة ، فعند ابن عصفور أنه موقوف لإعراب فيه ، وعند الشلّوبين يجوز فيه وجهان : الوقف والإعراب ؛ أما الأول — ويعبر عنه بالحكاية — فلأنها حروف مقطعة ^(١) تحكى كما هي . وأما الثاني فعلى جملة أسماء لحروف الهجاء ، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف ومنعه بناء على تانيثه . وإن لم تضاف إليه سورة لا لفظاً ولا تقديرًا فلك الوقف والإعراب مصروفاً وممنوعاً . وإن كان أكثر من حرف ؛ فإن وزان الأسماء الأجمعية كطاسين وحاميم أضفت إليه سورة أم لا ، فلك الحكاية والإعراب ممنوعاً ، موازنة قابيل وهابيل ، وإن لم يوازن ، فإن أمكن فيه التركيب كطاسين ميم ، وأضفت إليه سورة ، فلك الحكاية والإعراب ، أما مركب مفتوح النون كحضر موت ، أو معرب النون مضافاً لما بعده مصروفاً وممنوعاً على اعتقاد التذكيروالتانيث . وإن لم تضاف إليه سورة ، فالوقف على الحكاية ، والبناء كخمسة عشر ، والإعراب ممنوعاً . وإن لم يمكن التركيب فالوقف ليس إلا : أضفت إليه سورة أم لا ، نحو كهيمص وحمسق ، ولا يجوز إعرابه ، لأنه لا نظيره في الأسماء المعربة ، ولا تركيبه مزجاً ، لأنه لا يركب ذلك أسماء كثيرة ، وجوز يونس إعرابه ممنوعاً .

وما سُمِّيَ منها باسم غير حرف هاء ، فإن كان فيه اللام انجر ، نحو الأنفال

والأعراف والأنعام ، وإلّا مُنِعَ العِصْرُفُ إن لم يُضَفْ إليه سورة ، نحو هذه هود ونوح ، وقرأت هود ونوح ، وإن أضفت بقي على ما كان عليه قبل ، فإن كان فيه ما يوجب النع منع ، نحو قرأت سورة يونس ، وإلّا صُرِفَ نحو سورة نوح وسورة هود . انتهى ملخصا .

* * *

خاتمة

قَسَمَ القرآن إلى أربعة أقسام ، وجعل لكل قسم منه اسم ، أخرج أحمد وغيره من حديث واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُعْطِيَتْ مكان التوراة السبع الطُول ، وأُعْطِيَتْ مكان الزبور المثني ، وأُعْطِيَتْ مكان الأنجيل المثاني ، وَفُضِّلَتْ بالمفصل » . وسيأتى مزيد كلام في النوع الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى .

وفي جمال القراء : قال بعض السلف : في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيح ، فيما دينه ما افتتح بـ « الم » وبساتينه ما افتتح بـ « الر » ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبحات ، وديابحه آل حم ، ورياضه المقتل . وقالوا : الطواسيم ، والطواسين ، وآل حم ، والحواميم .

قلت : وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ، قال : الحواميم ديباج القرآن . قال السخاوي : وقوارع ^(١) القرآن الآيات التي يتعوذ بها ويتحصن ، سميت بذلك لأنها تفرع الشيطان وتدفعه وتقمعه ، كآية الكرسي والعمودتين ونحوها .

قلت : وفي مسند أحمد من حديث معاذ بن أنس مرفوعا : « آية العز ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً... ﴾ ^(٢) الآية » .

(١) في القاموس : « قوارع القرآن : الآيات التي من قرأها أمن من الشياطين والإنس والجن ، كأنها تفرع الشيطان » .

(٢) سورة الإسراء ١١١

التَوْعِ الثَّامِنُ عَشِيرُ فِي جَمْعِهِ وَتَرْبِيئِهِ

قال الذَّيْرُ عَاقُولِي^(١) في فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عُيينة، عن الزهري، عن عبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جميع في شيء.

قال الخطابي: إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لم يمسح أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر. وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن...» الحديث، فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب الشُّور.

[القول في جمع القرآن ثلاث مرات]

وقال الحاكم في المستدرك: لجمع القرآن ثلاث مرات:

أحداها: بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخرج بسندٍ على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت، قال: «كتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع...» الحديث.

قال البيهقي: يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثانية: بحضرة أبي بكر، روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت،

(١) الذَّيْرُ عَاقُولِي: منسوب إلى دبر العاقل، قريبة من أعمال بغداد.

قال : أرسل إلى أبو بكر ، مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استعمر^(١) بقرء القرآن ، وإني أخشى أن يستعمر القتل بالقرءاء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك شاب عاقل ، لا تنهك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه — فوالله لو كفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن — قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر . فتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري^(٢) ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ... ﴾^(٣) . حتى خاتمة براءة . فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعت علياً يقول : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ؛ رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع كتاب الله . لكن أخرج أيضاً من طريق ابن سيرين قال : قال علي : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آليت ألا آخذ على رءائي إلا الصلاة جمعة حتى أجمع القرآن لجمعه . قال ابن حجر : هذا الأثر ضعيف لا نقطاعه ، وبتقدير صحته ، فإrade بجمعه حفظه في صدره ، وما تقدم من رواية عبد خير عنه ، أصح ، فهو المعتمد .

(١) استعمر ، أى اشتد .

(٢) في الأصول « أبو خزيمة » ، وما أثبت من تفسير ابن كثير ٢ . ٤٠٥ ، وما يأتى في ص ١٠٧ من هذا الجزء .

(٣) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ .

قلت : قد ورد من طريق آخر أخرجه ابنُ الصَّرِيس في فضائله : حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا هُوَذَةُ بن خليفة ، حدثنا عَوْن ، عن محمد بن سيرين ، عن عِكْرَمَة ، قال : لما كان بعد بيعة أبي بكر ، قعد علي بن أبي طالب في بيته ، فقيل لأبي بكر : قد كره بيعتك ، فأرسل إليه ، فقال : أكرهت بيعتي ؟ قال : لا والله ، قال : ما أفعدك عني ؟ قال : رأيتُ كتاب الله يزاد فيه ، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا الصلاة حتى أجمعه ، قال له أبو بكر : فإنك نعمَ ما رأيت . قال محمد : فقلت لعكرمة : ألقوه كما أنزل ، الأول فالأول قال : لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يؤلقوه ذلك التأليف ما استطاعوا .

وأخرجه ابنُ أشتَه في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين ، وفيه أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ ، وأن ابن سيرين قال : فطلبتُ ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه .

وأخرج ابن أبي داود من طريق الحسن ، أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قتل يوم اليمامة ، فقال : إن الله ! وأمر بجمع القرآن ، فكان أول من جمعه في المصحف . إسناده منقطع ، والمراد بقوله : « فكان أول من جمعه » أي أشار بجمعه . قلت : ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ، ما أخرجه ابن أشتَه في كتاب المصاحف من طريق كهْمَس ، عن ابن بُريدة ، قال : أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة ، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه ، فجمعه ، ثم ائتمروا : ^(۱) ما يسمونه ؟ فقال بعضهم : سموه السُّفَر ، قال : ذلك اسم تسميه اليهود ، فكرهوه ، فقال : رأيت مثله بالحبيشة يُسمى للمصحف ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف . إسناده منقطع أيضا ، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر .

وأخرج ابن أبي داود ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قدم عمر ، فقال : مَنْ كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه شيئا من القرآن فليأت به وكانوا

(۱) ائتمروا ، أي تشاوروا .

يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُصَب ، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً حتى يشهد شهادته ؛ وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتب بمجرّد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به مَنْ تلقاه سماعاً ، مع كون زيدٍ كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط .

وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن أبا بكر قال لعمرّ وزيد : ائتما على باب المسجد ، فَمِنْ جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه . رجاله ثقات مع انقطاعه .

قال ابن حجر : وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب .

وقال السخاوي في جمال القراء : المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

قال أبو شامة ^(١) : وكان غرضهم ألا يكتب إلا مَنْ عيّن ما كتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، لئلا يجرّد الحفظ . قال : ولذلك قال في آخر سورة التوبة : لم أجدها مع غيره ، أي لم أجدها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتب بالحفظ دون الكتابة .

قلت : أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته ، كما يؤخذ مما تقدّم آخر النوع السادس عشر .

وقد أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث بن سعد ، قال : أوّل مَنْ جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية

(١) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المؤرخ المحدث ، صاحب كتاب الروضتين ، وله كتب في علوم القرآن والقراءات ، ذكر الزوكلي أن له كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، وقال : منه نسخة مخطوطة في المكتبة البلدية بالقدس ، . توفي سنة ٦٦٥ . الأعلام ٧٠ : ٤

إلا بشاهدي عدل، وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب.. وإن عمر أتى بآية الرّجْم: فلم يكتبها، لأنه كان وحده.

وقال الخارث المحاسبي^(١) في كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعُسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل: لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه^(٢).

وقد تقدم في حديث زيد أنه جمع القرآن من العُسب والأخاف، وفي رواية «الرقاع»، وفي أخرى: «وقطع الأديم»، وفي أخرى: «والأكتاف» وفي أخرى: والأضلاع، وفي أخرى: «والأقتاب». فالعُسب: جمع عيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الجلوص ويكتبون في الطرف العريض. والأخاف: بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة، آخره فاء: جمع نخفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهي الحجارة الدقاق، وقال الخطابي: صفائح الحجارة. والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد. والأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جفّ كتبوا عليه. والأقتاب: جمع قتب هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليتركب عليه.

(١) هو الخارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية وصاحب كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل، وغيره من كتب الصوف. توفي سنة ٢٤٣. ابن خلكان ١: ١٢٦ (٢) في الأصل: «صحفه»

وفي موطأ ابن وهب عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جمع أبو بكر القرآن في قرطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان بعمر، ففعل.

وفي مغازي موسى بن عقیبة، عن ابن شهاب: قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فرزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف.

قال ابن حجر: ووقع في رواية عمارة بن غزاة، أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأديم والعُصْب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كُتِبَ ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده.

قال: والأول أصح، إنما كان في الإديم والعُصْب أولاً، قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر ثم كادت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

* * *

قال الحاكم: والجمع الثالث^(١) هو ترتيب السور في زمن عثمان؛ روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح فرج إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسل إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق. قال زيد: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها،

فالتسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ مَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) ، فألحقناها في سورتها في المصحف .

قال ابن حجر : وكان ذلك في سنة خمس وعشرين . قال : وغفل بعض من أدر كناد فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ، ولم يذكره مستنداً . انتهى .

وأخرج ابن أشتة من طريق أبيوب عن أبي قلابة ، قال : حدثني رجل من بني عامر ، يقال له أنس بن مالك ، قال : اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الفلماني والمعلّمون ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فقال : عندي تكذيبون به وتلحنون فيه ! فنّ نأى عنيّ كان أشدّ تكذيباً ، وأكثّر لحناً . يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكْتُبُوا للناس إماماً . فاجتمعوا فكتبوا ؛ فكانوا إذا اختلفوا وتدارعوا في آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاناً ، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة ، فقال له : كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيكتبونها ، وقد تركوا لذلك مكاناً .

وأخرج ابن أبي داود ، من طريق محمد بن سيرين ؛ عن كثير بن أفلح ، قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف ، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الزبعة التي في بيت عمر ، فجاء بها ، وكان عثمان يتعاهدُهم ، فكانوا إذا تدارعوا في شيء آخروه . قال محمد : فظننت أنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدهم عهداً بالعرضة الأخيرة ؟ فيكتبونه على قوله .

وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح ، عن سويد بن غفلة ، قال : قال عليّ : لا تقولوا في عثمان إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملائمتنا ، قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ،

وهذا يكاد يكون كقراءتنا: فأتري؟ قال: أرى أن يُجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: نعم، ما رأيت

قال: ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمع في صحائف مرتباً لآيات سورته على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان كان لما كثرت الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرأوه بلغاتهم على آساع اللغات، فأدعى ذلك بعضهم إلى تحطئة بعض، فخشى من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للخرج والمشقة في ابتداء الأمل، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقصر على لغة واحدة.

وقال القاضي ^(٢) أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.

وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس إن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطاوعة على الحروف

(١) هو القاضي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، من علماء الكلام، وصاحب كتاب إعجاز القرآن وغيره من الكتب في علم الكلام. توفي سنة ٤٣٠. ابن خلكان ١: ٤٨١

السبعة التي نزل بها القرآن ، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق ؛ وقد قال على :
لو وُلِّيتُ لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها . انتهى .

فائدة

اختلف في عدّة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق ، فالشهور أنها خمسة .
وأخرج ابنُ أبي داود من طريق حمزة الزيات ، قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف .
قال ابن أبي داود : وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول : كتب سبعة مصاحف ،
فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة ،
وحبس بالمدينة واحداً .

فصل

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفيّ ، لا شبهة في ذلك ، وأما الإجماع فنقله
غير واحد ، منهم الزركشيّ في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته ، وعبارته : ترتيب الآيات
في سورها واقعٌ بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هدايين المسلمين . انتهى .
وسياتي من نصوص العلماء ما يدلّ عليه .

وأما النصوص ، فمنها حديث زيد السابق : « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن
من الرّقاع » .

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن
عباس ، قال : قلت لعثمان : ما حكمك على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة
وهي من المثين ، فقرنتم بينهما ولم تسكتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ،
ووضعتموها في السبع الطول ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل
عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول :
ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل

مانزل في المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لها أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتها في السبع الطول .

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره ، ثم صوبه ، ثم قال : « أتاني جبريل ، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى .. ﴾ ^(١) إلى آخرها » .

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا... ﴾ ^(٢) قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي ، لا أغير شيئاً منه من مكانه .

ومنها ما رواه مسلم عن عمر ، قال : ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله ، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال : « تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » .

ومنها الأحاديث في خواتيم سورة البقرة .

ومنها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » ، وفي لفظ عنده : « مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَى مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ » .

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ما ثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم لسور عديدة ، كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة ، والأعراف في صحيح البخاري ، أنه قرأها في المغرب ، وقأ أفلح ، روى النسائي ، أنه قرأها في الصبح حتى إذا جاء

ذكر موسى وهارون أخذته سَعْلَةٌ فركع . والروم رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي الصَّبْحِ . وَالْمُتَنَزِّلُ وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ رَوَى الشَّيْخَانُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا فِي صَبْحِ الْجُمُعَةِ ، وَفِي صَبْحِ الْمَسْجِدِ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا فِي الْخُطْبَةِ ، وَالرَّحْمَنُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَرَأَهَا عَلَى الْجَنَّةِ ، وَالنَّجْمُ فِي الصَّحِيحِ قَرَأَهَا بِمَكَّةَ عَلَى الْكَفَّارِ وَسَجَدَ فِي آخِرِهَا . وَاقْتَرَبَتْ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا مَعَ ق فِي الْعِيدِ وَالْجُمُعَةِ . وَالْمُتَنَزِّلُ فِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ . وَالصَّفَّ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ حِينَ أُنْزِلَتْ حَتَّى خَتَمَهَا بِ: فِي سُورَتِي مِنَ الْمَفْصَلِ تَدَلَّى قِرَاءَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِمَشْهَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ تَرْتِيبَ آيَاتِهَا تَوْقِيفِيٌّ ، وَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ لِيَرْتَبُوهَا تَرْتِيبًا سَمِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى خِلَافِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ ؛ نَعَمْ يُشْكَلُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَنَّى الْحَارِثُ بْنُ خَزِيمَةَ بَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعِيْتُهُمَا ، فَقَالَ عُمَرُ : وَأَنَا أَشْهَدُ ، لَقَدْ سَمِعْتُهُمَا . ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَتْ ثَلَاثُ آيَاتٍ لَجَعَلْتُهَا سُورَةً عَلَى حِدَةٍ ، فَانْظُرُوا آخِرَ سُورَةِ الْقُرْآنِ ، فَالْخُتْمُ فِي آخِرِهَا .

قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف .

قلت : يعارضه ما أخرجه ابن أبي داود أيضاً ، من طريق أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، أنهم جمعو القرآن ، فلما انتهوا إلى الآية التي في سورة براءة : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(١) ظنوا أن هذا آخر ما أنزل ، فقال أبي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني بعد هذا آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ... ﴾ ^(٢) إلى آخر السورة .

وقال مكي وغيره: ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، ولما لم يَأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسمة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: «ضعوا آية كذا في موضع كذا».

وقال أيضاً: الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأسر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظم الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدّم من ذلك مؤخراً ولا أخر منه مقدّم، وإن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وإنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سورته، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه. قال: وهذا الثاني أقرب.

وأخرج....^(١) عن ابن وهب، قال: سمعتُ مالِكاً يقول: إنما ألّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال البغوي في شرح السنة: الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئاً أو آخروا، ووضعوا له ترتيباً، لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه وبعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية، أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعى الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى

السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفترقا عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .
وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا » ، وقد حصل
اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما
أجمع الصحابة على وضعه هكذا في الصحف .

فصل

وأما ترتيب السور ؛ فهل هو توقيفي أيضا ، أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ خلاف ، فجمهور
العلماء على الثاني ، منهم مالك والقاضي أبو بكر في قوليه .

قال ابن فارس : جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطول
وتعقيبها بالمشين ، فهذا هو الذي تولته . الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في
السور ؛ فهو توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه . ومما
استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على النزول ،
وهو مصحف علي ، كان أوله : اقرأ ، ثم المدثر ، ثم ن ، ثم المزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير ، وهكذا
إلى آخر المكي والمدني ، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ؛
على اختلاف شديد ، وكذا مصحف أبي وغيره .

وأخرج ابن أشته في المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش عن حبان بن مجي عن
أبي محمد القرشي ، قال : أمرهم عثمان أن يتابعوا الطول ، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة
في السبع ، ولم يفصل بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم .

وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضي في أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين ،
فكانت السورة تنزل لأمرٍ يحدث ، والآية جوابا لمستخير ، ويوقف جبريل النبي صلى الله

عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فأتساق السور كأتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن .

وقال الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه في السنة التي توفّي فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولاً : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ، فأمره جبريل أن يضمها بين آيتي الربا والذين .

وقال الطيبي : أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفزقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ .

قال الزركشي في البرهان : والخلاف بين الفريقين لفظي ، لأن الفائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ، ولهذا قال مالك : إمتا ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم ، قال الخلاف إلى أنه : هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد^(١) فعلي ، بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر . وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير .

وقال البيهقي في الدخل : كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة ، لحديث عثمان السابق . ومال ابن عطية إلى أن كثير من السور كان قد علم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم ، كالسبع الطول والخواص والمفضل ، وإن ماسوى ذلك يمكن أن يكون قد فوّض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير : الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف ، كقوله : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران » ، رواه مسلم ، وكحديث سميد بن خالد : « قرأ صلى الله عليه وسلم بالسبع الطول في ركعة » . رواه ابن أبي شيبة في

مصنّفه ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المِفْصَل في ركعة .

وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ودرهم وطه والأنبياء : « إِيَّاهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي » ، فذكرها نسقاً كما استقرّ ترتيبها .

وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كتفيه ، ثم نفث فيهما ، فقرأ : قل هو الله أحد والمعوذتين .

وقال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف ^(١) السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث وائلة : « أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعُ الطُّوَلُ ... » ^(٢) الحديث .

قال : فهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من ذلك الوقت ، وإما جمع في المصحف على شيء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن .

وقال ابنُ الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إما كان بالوحي .

وقال ابن حجر : ترتيب بعض السور على بعضها ، أو معظمها ، لا يمتنع أن يكون توقيفياً . قال : وما يدلّ على أن ترتيبها توقيفيّ ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس حذيفة البغفيّ ، قال : كنت في الوفد الذين أسلموا من تكيف... الحديث . وفيه : فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « طرأ على حزبي من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيّه » ، فمألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : كيف تحزّبون القرآن ؟ قالوا : نحزّبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المِفْصَل من ق حتى نختم . قال : فهذا يدلّ على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المِفْصَل خاصة ، بخلاف ما عداه .

قلت : ومما يدل على أنه توقيفي كونه المواميم رتبت ولاء وكذا العواصم ، ولم ترتب المسبجات ولاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبجات ولاء وأخرت طس^(١) عن القصص . والذي بشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي ، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته صلى الله عليه وسلم سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك ؛ وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ، فلعلة فعل ذلك لبيان الجواز .

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال ، قال : سمعت ربيعة يسأل : لم قُدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدمتا وألف القرآن على علم من آتاهه ومن كان معه فيه ، واجتماعهم على علمهم بذلك ، فهذا مما ينتهي إليه ، ولا يسأل عنه .

خاتمة

السمع الطول : أو لها البقرة وآخرها براءة . كذا قال جماعة ؛ لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال : السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف . قال الراوى : وذكر السابعة فنسيتها ، وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سميد بن جبير ، أنها بونس ، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول ، وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف .

والثنون : ما وليها ، سميت بذلك ، لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها . والثاني : ما ولي الثنين ، لأنها ثنتان ، أى كانت بعدها ، فهي لها ثوان والثنون لها أوائل . وقال الفراء : هي السورة التي آياتها أقل من مائة ، لأنها ثنتان أكثر مما يثنى الطول والثنون . وقيل : لثنية الأمثال فيها بالعبر والخير . حكاه التكرادى

وقال في جمال القراء : هي السور التي نُثِبتَ فيها القصص ، وقد تُطلق علي القرآن كله وعلى الفاتحة كاتقدم .

والمفصل : ماوَلِيَ الثاني من قصاص السُّور ، سميّ بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة ، وقيل لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمّى بالحكم أيضا ، كما روى البخاري عن سعيد بن جبير ، قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، وآخره سورة الناس بلا نزاع . واختلف في أوله على اثني عشر قولاً :

أحدها : ق ، لحديث أوس السابق قريباً .

الثاني : الحُجرات ، وصحّحه النووي .

الثالث : القتال ، عزاه الماوردي للأكثرين .

الرابع : الجاثية ، حكاه القاضي عياض .

والخامس : الصافات .

السادس : الصف .

السابع : تبارك . حكى الثلاثة ابن أبي الصيّف اليميني في نكته على التنبيه .

التاسع : الرحمن ، حكاه ابن السّيد في أماليه على الموطأ .

العاشر : الإنسان .

الحادي عشر : سبح ، حكاه ابن الفركاح ^(١) في تعاليقه عن المرزوقي .

الثاني عشر : الضحى ، حكاه الخطّابي ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور

بالتكبير . وعبرة الراغب في مفرداته : المفصل من القرآن السبع الأخير .

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى تاج الدين بن الفركاح ، مؤرخ من علماء الشافعية . توفي سنة ٦٩٠ . طبقات الشافعية ٥ : ٦٠ .

فائدة

المفصل طوالٌ وأوساط وقصارٌ، قال ابن معن: فطواله إلى عمّ، وأوساطه منها إلى الضحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره. هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه

أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف، عن نافع، عن ابن عمر، أنه ذكر عنده المفصل فقال: وآى القرآن ليست بمفصل، ولكن قولوا: قصار السور وصفار السور. وقد استدلل بهذا على جواز أن يقال: سورة قصيرة أو صغيرة. وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، ورخص فيه آخرون. ذكره ابن أبي داود. وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قالا: لا تنقل: سورة خفيفة فإنه تعالى يقول: ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١)، ولكن سورة يسيرة.

فائدة

[في ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود]

قال ابن أشتة في كتاب المصاحف: أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو جعفر الكوفي، قال: هذا تأليف مصحف أبى: الحمد، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم يونس، ثم الأنفال، ثم براءة، ثم هود، ثم مريم، ثم الشعراء، ثم الحج، ثم يوسف، ثم الكهف، ثم النحل، ثم الأحزاب، ثم بنى إسرائيل، ثم الزمر أو لها حم، ثم طه، ثم الأنبياء، ثم النور، ثم المؤمنون، ثم سبأ، ثم العنكبوت، ثم المؤمن، ثم الرعد، ثم القصص، ثم النمل، ثم الصافات، ثم ص، ثم يس، ثم الحجر، ثم حمسق، ثم الروم، ثم الحديد، ثم الفتح، ثم القتال، ثم الظهار، ثم تبارك الملك، ثم السجدة، ثم إنا أرسلنا نوحا، ثم الأحقاف، ثم ق، ثم الرحمن، ثم الواقعة، ثم الجن، ثم النجم، ثم سأل سائل، ثم الزمل، ثم المدثر، ثم اقتربت، ثم حم، ثم الدخان، ثم لقمان

ثم حم الجاثية ، ثم الطور ، ثم الذاريات ، ثم ن ، ثم الحاقة ، ثم الحشر ، ثم الممتحنة ،
 ثم الرسائل ، ثم عم يتساءلون ، ثم لأقيم بيوم القيامة ، ثم إذا الشمس كورت ،
 ثم يأتيها النبی إذا طلقتم النساء ، ثم النازعات ، ثم التغابن ، ثم عبس ، ثم المطففين ،
 ثم إذا السماء انشقت ، ثم والتين والزيتون ، ثم اقرأ باسم ربك ، ثم الحجرات ،
 ثم المنافقون ، ثم الجمعة ، ثم لم تحرم ، ثم الفجر ، ثم لأقيم بهذا البلد ، ثم والليل ،
 ثم إذا السماء انقطرت ، ثم والشمس وضحاها ، ثم والسماء والطارق ؛ ثم سبح
 اسم ربك ، ثم الفاشية ، ثم الصف ، ثم سورة أهل الكتاب وهي لم يكن ، ثم الضحى ،
 ثم ألم نشرح ، ثم القارعة ، ثم التكاثر ، ثم العصر ، ثم سورة الخلق ، ثم سورة الحقد ، ثم ويل
 لكل هُمزة ، ثم إذا زلزلت ، ثم العاديات ، ثم القيل ، ثم لإيلاف ، ثم أرأيت ، ثم إنا أعطيناك ،
 ثم القدر ، ثم الكافرون ، ثم إذا جاء نصر الله ، ثم تبت ، ثم الصمد ، ثم الفلق ، ثم الناس .

* * *

قال ابن أشتة أيضا : وأخبرنا أبو الحسن بن نافع ، أن أبا جعفر محمد بن عمرو بن
 موسى حدثهم ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم ، حدثنا علي بن مهران الطائفي ،
 حدثنا جبر بن عبد الحميد ، قال : تأليف مصحف عبد الله بن مسعود :

الطول : البقرة ، والنساء ، وآل عمران ، والأعراف ، والأنعام ، والمائدة ويونس .
والثني : براءة ، والنحل ، وهود ، ويوسف ، والكهف ، وبنی إسرائيل ، والأنبياء ، وطه ،
 والمؤمنون ، والشعراء ، والصفات .

والثاني : الأحزاب ، والحج ، والقصص ، وطس النمل ، والنور ، والأنفال ،
 ومريم ، والعنكبوت ، والروم ، ويس ، والفرقان ، والحجر والرعد ، وسبا ،
 والملائكة ، وإبراهيم ، وص ، والذين كفروا ، ولقمان ، والزمر ، والخواصم :
 حم المؤمن ، والزخرف ، والسجدة ، وحملق الأحقاف ، والجاثية ، والدخان ،
 وإنا فتحنا لك ، والحشر ، وتنزيل السجدة ، والطلاق ، ون والقلم ، والحجرات ،

وتبارك، والتغابن، وإذا جاءك المنافقون، والجمعة، والصف، وقل أوحى، وإنا أرسلنا،
والمجادلة، والممتحنة، وبآياتها النبي لم تحرم .
والفصل : الرحمن، والنجم، والطور، والذاريات، واقتربت الساعة، والواقعة،
والنازعات، وسأل سائل، والمدثر، والمزمل، والمطففين، وعنبر، وهل أتى، والمرسلات،
والقيامة، وعم يتسألون، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، والفاشية، وسبح،
والليل، والفجر، والبروج، وإذا السماء انشقت، واقرأ باسم ربك، والبلد، والضعى،
والطارق، والعاديات، وأرأيت، والقارعة، ولم يكن، والشمس وضحاها، والتين،
وويل لكل همزة وألم تر كيف، وإيلاف قريش، وألهاكم، وإنا أنزلناه، وإذا زلزلت،
والعصر، وإذا جاء نصر الله، والكواثر، وقل يا أيها الكافرون، وتبت، وقل هو الله
أحد، وألم نشرح، وليس فيه الحمد، ولا الموءذتان .

النوع التاسع عشر
في عدد سورته وآياته وكلماته وحروفه

أما سورته فثانة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به ، وقيل : وثلاث عشرة بحمل الأنفال وبراءة سورة واحدة . أخرج أبو الشيخ عن أبي روق قال : الأنفال وبراءة سورة واحدة . وأخرج عن أبي رجاء قال : سألت الحسن عن الأنفال وبراءة : سورتان أم سورة ؟ قال : سورتان . ونقل مثل قول أبي روق عن مجاهد ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان .

وأخرج ابن أشته ، عن ابن لهيعة ، قال : يقولون : إن براءة من يسألونك ^(١) وإنا لم نكتب براءة « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنها من « يسألونك » وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويردّه تسمية النبي صلى الله عليه وسلم كلاهما .

ونقل صاحب الإقناع ، أن البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود ، قال : ولا يؤخذ بهذا .

قال القشيري : الصحيح أن التسمية لم تكن فيها ، لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها . وفي المستدرک عن ابن عباس قال : سألت علي بن أبي طالب : لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأنها أمان ، وبراءة نزلت بالسيف .

وعن مالك أن أولها لما سقط سقط معه البسملة ؛ فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها . وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنان عشرة سورة ، لأنه لم يكتب الموءذنين . وفي مصحف أبي ست عشرة ، لأنه كتب في آخره سورتي الحنفد والخلع .

أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين ، قال : كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والموءذنين ، واللهم إنا نستعينك ، واللهم إياك نعبد ، وتركهن ابن مسعود ، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والموءذنين .

(١) أي من الأنفال ، وأولها : « يسألونك عن الأنفال » .

وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدي، عن يحيى بن يعلى الأسدي، عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة عن عبد الله بن زُرير الغافقي، قال: قال لي عبد الملك ابن مروان: لقد علمت ما حملك على حبّ أبي تراب، إلا أنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب سورتين علمهما إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمتهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونُثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقي من طريق سفیان الثوري، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، أن عمر بن الخطاب قف بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونُثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عقمتك، إن عذابك بالكافرين ملحق.

قال ابن جريج: حكمة البسلة أنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، عن أبي بن كعب أنه كان يفتي بالسورتين، فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن حنبل المروزي عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبي وأبي موسى: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونُثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. وفيه: اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك، ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن أبي إسحاق، قال: أمنا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، بخراسان، قرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك.

وأخرج البيهقي وأبوداود في المراسيل عن خالد بن أبي عمران، أن جبريل نزل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة مع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ (١) الآية، لما قُنتَ يدعو على مُضِر.

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة، والصواب أنه خمس عشرة، فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك عن السخاوي في جمال القراء، عن جعفر الصادق وأبي نعيم أيضاً.

قلت: ويردّه ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هاني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فَضَّلَ اللهُ قَريشاً بِسَمْعٍ...» الحديث، وفيه: «وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم: لإيلاف قريش».

وفي كامل المحدثي عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرازي في تفسيره عن طاوس وعمر بن عبد العزيز.

فائدة

قيل: الحسكة في تسوير القرآن سُورًا تحقيق كون السورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقلٌّ؛ فسورة يوسف تترجم عن قصته، وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم، إلى غير ذلك. وسُورت السور طوالاً وأوساطاً وقصاراً؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرّج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه.

قال الزركشي في البرهان: فإن قلت: فهلا كانت الكتب السالفة كذلك؟

قلت: لوجوب، أحدها أنها لم تكن معجزات من جهة (٢) النظم والترتيب، والآخر

(٢) البرهان: «من ناحية».

(١) سورة آل عمران ١٢٨

أنها تيسر للحفظ ، لكن ذكر الزمخشري ما يخالفه ، فقال في الكشف :

الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة ، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة ، وبوب المصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالترجم ، منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف ، كان أحسن وأنعم من أن يكون باباً واحداً . ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ، ثم أخذ في آخر ، كان أنشط له ، وأبعث عن التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً [وانتهى إلى رأس برية] ^(١) نفّس ذلك منه ، ونشط ^(٢) للسير ، ومن ثم جرت القرآن أجزاء وأخماس . ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد ^(٣) فينا . » ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل . ومنها التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر ملائمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم ، إلى غير ذلك من الفوائد ^(٤) انتهى .

وما ذكره الزمخشري من تصوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب ، فقد أخرج ابن أبي حاتم ، عن قتادة ، قال : كنّا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة ، كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ، ولا حدود . وذكروا أن في الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال .

فصل في عدّ الآي

أفرد جماعة من القراء بالتصنيف ، قال الجعبري : حدّد الآية قرآن مركّب من جمل ولو تقديراً ، ذو مبدأ ومقطع ، مندرج في سورة ، وأصلها العلامة . ومنه : ﴿ إِن آيَةَ مَلَكٍ ﴾ ^(٥) ؛ لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة لأنها جماعة كلمة .

(٢) البرهان : « ونشطه »

(٤) نقله في البرهان : ٢٦٥١

(١) من البرهان

(٣) البرهان : « جل »

(٥) سورة البقرة ٢٤٨

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها .

وقيل : هي الواحدة من المدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى عجز المتحدّي بها .

وقيل : لأنها علامة على علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها .
قال الواحدى : وبعض أصحابنا يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ، لولا أن التوقيف ورد بماهى عليه الآن .

وقال أبو عمر والدانى : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله : ﴿ مُذْهَبَانِ ﴾ ^(١) .
وقال غيره : بل فيه غيرها ، مثل : والنجم ، والضحى ، والمصر ، وكذا فواتح السور عند من عدّها .

قال بعضهم : الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة . قال : فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها ؛ يعنى عن الكلام الذى بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها في آخر القرآن ، وعما قبلها وما بعدها في غيرها ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري : الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ، ولذلك عدّوا « ألم » آية حيث وقعت ، و « المص » ، ولم يعدّوا « المر » و « الر » ، وعدّوا « حم » آية في سورها ، و « طه » و « يس » ولم يعدّوا « طس » .

قلت : وما يدل على أنه توقيفى ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم بن أبى النّجود ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : قرأتني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من آل حم ، قال : يعنى الأحقاف . قال : وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمّيت الثلاثين ... الحديث .

وقال ابن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال : وتعديد الآي من معضلات القرآن ، ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ومنه ما يكون في أثناؤه .

وقال غيره : سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رموس الآي للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام ، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة .

وقد أخرج ابن الضريس ، من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه عن ابن عباس ، قال : جميع آي القرآن ستة آلاف وستمئة آية ، وجميع حروف القرآن ثلاثمئة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمئة حرف واحد وسبعون حرفا .

قال الداني : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة ، وقيل : وخمس وعشرون ، ، وقيل : وست وثلاثون .

قلت : أخرج الديلمي في مسند الفردوس ، من طريق الفيض بن وثيق ، عن فرات ابن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس مرفوعا : «درج الجنة على قدر آي القرآن ، بكل آية درجة ، فتلک ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية ، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض » . الفيض ، قال فيه ابن معين : كذاب خبيث .

وفي الشعب للبيهقي من حديث عائشة مرفوعا : « عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » . قال الحاكم : إسناده صحيح ، لكنه شاذ ، وأخرجه الآجري في حمة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا .

قال أبو عبد الله الموصلي في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد : اختلف في عدد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة وأهل المدينة عددان : عدد أول ، وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، وعدد آخر ، وهو عدد إسماعيل ابن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، وأما عدد أهل مكة فهو مروى عن عبد الله بن كثير ،

عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، وأما عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره ، عن عبد الله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحلواني وغيره ، عن هشام بن عمار . وزواه ابن ذكوان وهشام ، عن أيوب بن تميم القاري عن يحيى بن الحارث الذمري . قال : هذا العدد الذي نعهده عدد أهل الشام مما رواه المشيخة لنا عن الصحابة ، ورواه عبد الله بن عامر اليحصبي لنا وغيره ، عن أبي الدرداء . وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم بن المجاج الجحدري . وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام ، قال حمزة : أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي بن طالب .

* * *

قال : الموصلى : ثم سور القرآن على ثلاثة أقسام : قسم لم يختلف فيه ، لافى إجمال ولا فى تفصيل ، وقسم اختلف فيه تفصيلاً لإجمالاً ، وقسم اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً . فالأول أربعون سورة : يوسف مائة وإحدى عشرة ، الحجر تسع وتسعون ، النحل مائة وثمانية وعشرون ، الفرقان سبع وسبعون ، الأحزاب ثلاث وسبعون ، الفتح تسع وعشرون ، الحجرات والتغابن ثمان عشرة ، ق خمس وأربعون ، الذاريات ستون ، القمر خمس وخمسون ، الحشر أربع وعشرون ، الممتحنة ثلاث عشرة ، الصف أربع عشرة ، الجمعة والمناقون والضحى والعاديات إحدى عشرة ، التحريم اثنتا عشرة ، ن اثنتان وخمسون ، الإنسان إحدى وثلاثون ، الرسائل خمسون ، التكويد تسع وعشرون ، الانقطار وسبع تسع عشرة ، التطفيف ست وثلاثون ، البروج اثنتان وعشرون ، الغاشية ست وعشرون ، البلد عشرون ، الليل إحدى وعشرون ، ألم نشرح والتين وألها كم ثمان ، الهمزة تسع ، الفيل والفلق وتبت خمس ، الكافرون ست ، الكوثر والنصر ثلاث .

والقسم الثانى أربع سور : القصص ثمان وثمانون ، عدد أهل الكوفة « طسم » والبقون بدلها « أمة من الناس يسقون » (١) .

العنكبوت تسع وستون ؛ عدّ أهل الكوفة « الم » ، والبصرة بدلها ﴿ مخلصين له الدين ﴾ ^(١) ، والشام ﴿ وتقطعون السبيل ﴾ ^(٢) .

الجن ثمان وعشرون ، عدّ المكي ﴿ لن يحيرني من الله أحد ﴾ ^(٣) والباقون بدلها : ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ .

العصر ثلاث ، عدّ المدني الأخير : ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ ^(٤) ، دون ﴿ والعصر ﴾ وعكس الباقيون .

والقسم الثالث سبعون سورة :

- الفاتحة : الجمهور سبع ، فعّد الكوفي والمكي البسملة دون « أنعمت عليهم » وعكس الباقيون . وقال الحسن : ثمان ، فعدها ، وبعضهم ست فلم يعدّها ، وآخر تسع فعدها ﴿ وإياك نعبد ﴾ . ويقوى الأول ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة والحاكم والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم ﴾ صراط الذين أنعمت عليهم غير المقضوب عليهم ولا الضالين ﴾ ، قطعها آية آية ، وعدّها عدّ الأعراب ، وعدّ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية ولم يعدّ ﴿ عليهم ﴾ . وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن عبد خير ، قال : سئل على عن السبع المثاني ، فقال الحمد لله رب العالمين ، فقليل له : إنا همى ست آيات ، فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ آية . .

البقرة : مائتان وثمانون وخمس ، وقيل ست ، وقيل سبع .

آل عمران : مائتان ، وقيل : إلا آية .

النساء : مائة وسبعون وخمس ، وقيل ست وقيل سبع .

المائدة : مائة وعشرون ، وقيل واثنتان وقيل وثلاث .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩
(٤) سورة العصر ٣

(١) سورة العنكبوت ٦٥
(٣) سورة الجن ٢٢

- الأنعام : مائة وسبعون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : سبع .
الأعراف : مائتان وخمس ، وقيل : ست .
الأنفال : سبعون وخمس ، وقيل : ست وقيل سبع .
براءة : مائة وثلاثون ، وقيل : إلا آية .
يونس : مائة وعشرة ، وقيل : إلا آية .
هود : مائة وإحدى وعشرون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : ثلاث .
الرعد : أربعون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : سبع .
إبراهيم : إحدى وخمسون ، وقيل : اثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .
الإسراء : مائة وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .
الكهف : مائة وخمس ، وقيل : وست ، وقيل : وعشر ، وقيل : وإحدى عشرة .
مريم : تسعون وتسع ، وقيل : ثمان .
طه : مائة وثلاثون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : وأربعون .
الأنبياء : مائة وإحدى عشرة ، وقيل : واثنتا عشرة .
الحجج : سبعون وأربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
قد أفلح : مائة وثمان عشرة ، وقيل : تسع عشرة .
النور : ستون واثنتان ، وقيل : أربع .
الشعراء : مائتان وعشرون وست ، وقيل : سبع .
التمل : تسعون واثنتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .
الروم : ستون وقيل : إلا آية .
لقمان : ثلاثون وثلاث ، وقيل : أربع .

- السجدة: ثلاثون ، وقيل : إلا آية .
سبا : خمسون وأربع : وقيل : خمس .
فاطر : أربعون وست ، وقيل : خمس .
يس : ثمانون وثلاث ، وقيل : اثنتان .
الصفات : مائة وثمانون وآية ، وقيل : آيتان .
ص : ثمانون وخمس ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
الزمر : سبعون وآيتان ، وقيل : ثلاث : وقيل : خمس .
غافر : ثمانون وآيتان ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس ، وقيل : ست .
فصلت : خمسون واثنتان ، وقيل : ثلاث ، وقيل : أربع .
شورى : خمسون ، وقيل : ثلاث .
الزخرف : ثمانون وتسع ، وقيل : ثمان .
الدخان : خمسون وست ، وقيل : سبع ، وقيل : تسع .
الجاثية : ثلاثون وست ، وقيل : سبع .
الأحقاف : ثلاثون وأربع ، وقيل : خمس .
القتال : أربعون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .
الطور : أربعون وسبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع .
النجم : إحدى وستون ، وقيل : اثنتان .
الرحمن : سبعون وسبع ، وقيل : ست ، وقيل : ثمان .
الواقعة : تسعون وتسع ، وقيل : سبع ، وقيل : ست .
الحديد : ثلاثون وثمان ، وقيل : تسع .
قد سمع : اثنتان ، وقيل : إحدى وعشرون .
الطلاق : إحدى - وقيل : اثنتا - عشرة .

تبارك : ثلاثون ، وقيل : إحدى وثلاثون ، بعد ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير ﴾ ^(١) ، قال الموصلي : والصحيح الأول ، قال ابن شنبوذ : ولا يسوغ لأحدٍ خلافه للأخبار الواردة في ذلك . أخرج أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها ، حتى غفرله ، تبارك الذي بيده الملك » . وأخرج الطبراني بسند صحيح ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة في القرآن » ما هي إلا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك » .

الحاقة : إحدى - وقيل : اثنتان - وخسون .

المعارج : أربعون وأربع ، وقيل : ثلاث .

نوح : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المزمل : عشرون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : إلا آيتين .

المدثر : خمسون وخمس ، وقيل : ست .

القيامة : أربعون ، وقيل : إلا آية .

عم : أربعون ، وقيل : وآية .

النازعات : أربعون وخمس ، وقيل : ست .

عبس : أربعون ، وقيل : وآية ، وقيل : وآيتان .

الانشقاق : عشرون وثلاث ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .

الطارق : سبع عشرة ، وقيل : ست عشرة .

الفجر : ثلاثون ، وقيل : إلا آية ، وقيل : اثنتان وثلاثون .

الشمس : خمس عشرة ، وقيل : ست عشرة .

اقرأ : عشرون ، وقيل : إلا آية .

القدر : خمس ، وقيل : ست .

لم يكن : ثمان ، وقيل : تسع .

الزَّلْزَلَةُ : تسع ، وقيل : ثمان .
 القَارِعَةُ : ثمان ، وقيل : عشر ، وقيل : إحدى عشرة .
 قَرِيش : أربع ، وقيل : خمس .
 أَرَأَيْتَ : سبع ، وقيل : ست .
 الإِخْلَاصُ : أربع ، وقيل : خمس .
 النَّاسُ : سبع ، وقيل : ست .

ضوابط

البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ؛ من قرأ بحرف نزلت فيه عذها
 ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها .
 وعدت أهل الكوفة « ألم » حيث وقع آية ؛ وكذا المص ، وطه وكهيمص ؛ وطسم ،
 ويس ؛ وحم . وعدوا حمسق آيتين ؛ ومن عداهم لم يعد شيئا من ذلك .
 وأجمع أهل العدد على أنه لا يعد الر حيث وقع آية ؛ وكذا المر ، وطس ؛ وص ، وق ، ون .
 ثم منهم من علل بالآثر واتباع المنقول وأنه أمر لا قياس فيه ، ومنهم من قال : لم يعدوا ص ، ون ،
 وق ، لأنها على حرف واحد ؛ ولا طس ، لأنها خالفت أخوينها بحذف الميم ، ولأنها تشبه
 المفرد كقبايل ، ويس وإن كانت بهذا الوزن ، لكن أولها ياء فأشبهت الجمع ، إذ ليس
 لنا مفرد أوله ياء . ولم يعدوا الر بخلاف ألم ، لأنها أشبه بالفواصل من الر ، وكذلك أجمعوا
 على عد « بآيها المذثر » آية لما شكلته الفواصل بعده ، واختلفوا في « بآيها المزمّل » .
 قال الموصلي : وعدوا قوله : « ثم نظر » آية ، وليس في القرآن أقصر منها ، أما
 مثلها فعم ، والفجر ، والضحى .

تذنب

نظم على بن محمد الفالى أرجوزة في القرائن والأخوات ، ضمنها السور التي اتفقت
 في عدة الآي كالناتحة والماعون ، وكالرحمن والأنقال ، وكأيوسف والكهف
 والأنبياء ، وذلك معروف مما تقدم .

فائدة

يترتب على معرفة الآي وعِدِّها وفواصلها أحكام فقهية :

منها : اعتبارها فيمن جهل الفاتحة ، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات .

ومنها : اعتبارها في الخطبة ، فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة ، وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور ؛ وهاهنا بحث ؛ وهو أن ما اختلف في كونه آخر آية ، هل تكفي القراءة به في الخطبة ؟ محل نظر ؛ ولم أر من ذكره .

ومنها : اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة ، أو ما يقوم مقامها ، ففي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالسّتين إلى المائة .

ومنها : اعتبارها في قراءة قيام الليل ؛ ففي أحاديث : « مَنْ قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين » ، و « مَنْ قرأ بخمسين آية في ليلة كتب من الحافظين » ، و « مَنْ قرأ بمائة آية كتب من القانتين » ، و « مَنْ قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين » ، و « مَنْ قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر » ، و « مَنْ قرأ بخمسمائة وسبعمائة وألف آية ... » أخرجه الدارمي في مسنده مفرقة .
ومنها : اعتبارها في الوقف عليها كما سيأتي .

وقال الهنلي في كلامه : اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد ، حتى قال الزعفراني : العدد ليس بعلم ، وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه . قال : وليس كذلك ، فقيه من الفوائد ، معرفة الوقف ، ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لاتصح بنصف آية . وقال جَمْع من العلماء : تجزئ بآية ، وآخرون بثلاث آيات ، وآخرون لا بد من سبع ؛ والإعجاز لا يقع بدون آية ؛ فللمدد فائدة عظيمة في ذلك . انتهى .

فائدة ثانية

ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يُحصى ، كالأحاديث في الفاتحة ،

وأربع آيات من أول البقرة ، وآية الكرسي ، والآيتين خاتمة البقرة ؛ وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١) ﴿وَأَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) وفي البخاري عن ابن عباس : إذا سرتك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام : ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ...﴾ إلى قوله : ﴿مُهْتَدِينَ﴾ (٣).

وفي مسند أبي يعلى عن السور بن محزمة ، قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف : يا خال ، أخبرنا عن قصتك يوم أحد ، قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (٤).

فصل

وعده قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة ، وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة. وقيل : وأربعمائة وسبع وثلاثون ، ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك . قيل : وسبب الاختلاف في عد الكلمات ، أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ونلفظ ورسم ، واعتبار كلٍ منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوانب .

فصل

وتقدم عن ابن عباس عد حروفه ، وفيه أقوال آخر ، والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل منحه ، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الألفان ، وعدة الأنصاف والأثلاث إلى الأعيان ، وأوسع القول في ذلك ، فراجع منه ، فإن كتابنا موضوع للمهمات ، لا للمثل هذه البطالات .

وقد قال السخاوي : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإعما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك .

ومن الأحاديث في اعتبار الحروف ما أخرجه الترمذى عن ابن مسعود مرفوعاً: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» .

وسبعة وعشرون حرف وأخرج الطبرانى عن عمر بن الخطاب مرفوعاً : «القرآن ألف ألف حرف ، فمن قرأه صابراً محتسباً كان له بكل حرف زوجة من الخور العين» . رجاله ثقات إلا شيخ الطبرانى محمد بن عبيد بن آدم بن أبى إياس ، تكلم فيه الذهبي لهذا الحديث . وقد أحمل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضاً ، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد .

فائدة

قال بعض القراء : القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات ، فنصفه بالحروف النون من ﴿نُكْرًا﴾^(١) في الكهف ، والكاف من النصف الثانى .

ونصفه بالكلمات الدال من قوله : ﴿وَالْجُلُودُ﴾^(٢) في الحج ، وقوله : ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ﴾^(٣) من النصف الثانى .

ونصفه بالآيات ﴿يَافُكُونَ﴾ من سورة الشعراء ، وقوله ﴿فَأَلْقَى السِّجْرَةَ﴾^(٤) من النصف الثانى .

ونصفه على عداد السور آخر الحديد ، والمجادلة من النصف الثانى .

وهو عشرة بالأحزاب . وقيل : إن النصف بالحروف الكاف من «نكرا» . وقيل : الفاء من قوله : ﴿وَلَيْتَ تُلَظَّفُ﴾^(٥) .

(٢) سورة الحج ٢٠
(٤) سورة الشعراء ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الكهف ٧٤
(٣) سورة الحج ٢١
(٥) سورة الكهف ١٩

النوع العِشْرُونَ في معرفة خِصائصه وَرِوَايته

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»؛ أى تعلموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبتدأ بهما، واثنان من الأنصار. وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هو ابن جبل. قال الكرماني: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده، أى أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك.

وتعقب بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافه عمر، ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت، وانتهت إليه الرياسة في القراءة، وعاش بعدهم زمنا طويلا، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك ألا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذي يحفظون مثل الذي حفظوه وأزید، جماعة من الصحابة. وفي الصحيح في غزوة بدر معونة، أن الذين قُتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء، وكانوا سبعين رجلا.

وروى البخارى أيضا عن قتاده، قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبوزيد. قلت: من أبوزيد؟ قال: أحد عمومتى.

وروى أيضا من طريق ثابت، عن أنس، قال: مات النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبوزيد. وفيه مخالفة لحديث قتاده من وجهين: أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، والآخذ كراي الدرداء بدل أبي بن كعب، وقد استنكر جماعة من الأئمة الحصر في الأربعة.

وقال المازرى: لا يلزم من قول أنس: «لم يجمعه غيرهم»، أن يكون الواقع في نفس

الأمر كذلك ، لأنّ التقدير أنّه لا يعلم أنّ سوامهم جمعه ؛ وإلاّ فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة ، وتفرّقهم في البلاد ، وهذا لا يتمّ إلاّ إن كان بقي كل واحد منهم على انفراده ، وأخبره عن نفسه أنّه لم بكل له جمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا في غاية البعد في العادة ، وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . قال : وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه ، فإنّا لانسلم حمّله على ظاهره ، سلمناه ؛ ولكن من أين لهم أنّ الواقع في نفس الأمر كذلك ! سلمناه لكن لا يلزم من كون كل من الجسم الغفير لم يحفظه كله ألا يكون حفظ مجموعة الجسم الغفير ؛ وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكل ولو على التوزيع كفى .

وقال القرطبي : قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل في عهد النبي صلى الله عليه عليه وسلم بيتر معونة مثل هذا العدد . قال : وإنّا خصّ أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم ، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم .

وقال القاضي أبو بكر البلاقاني : الجواب عن حديث أنس من أوجه : أحدها : أنّه لا مفهوم له ، فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه .

الثاني : المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلاّ أولئك .

الثالث : لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلاّ أولئك .

الرابع : أنّ المراد يجمعه تلقّيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة ، بخلاف غيرهم ، فيحتمل أن يكون تلقّى بعضه بالواسطة .

الخامس : أنهم تصدّوا لإلقائه وتعليمه ، فاشتهروا به ، وخفي حال غيرهم عن عرف حالهم ، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه ، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك .

السادس : المراد بالجمع الكتابة ، فلا يفتى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلبه ، وأما هؤلاء فجموه كتابة ، وحفظوه عن ظهر قلب .

السابع : المراد أن أحداً لم يُفصح بأنه جمعه بمعنى أكل حفظه في عهد رسول الله صلى عليه وسلم إلا أولئك بخلاف غيرهم ، فلم يُفصح بذلك ، لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت آخر آية ؛ فعمل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير .

الثامن : أن المراد بجمعه السمع والطاعة له ، والعمل بموجبه ، وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية ، أن رجلاً أتى أبا الدرداء ، فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرأ ، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع .

قال ابن حجر : وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ؛ ولا سيما الأخير . قال : وقد ظهر لي احتمال آخر ؛ وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط ، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ، لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج ؛ كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : افتخر الحَيَّان : الأوس والخزرج ، فقال الأوس : متأربعة : من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومن عدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت ، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومن حتمه الدبر عاصم بن أبي ثابت ، فقال الخزرج : متأربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم ؛ فذكرهم .

قال : والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيح أنه بنى مسجداً بفناء داره ، فكان يقرأ فيه القرآن ؛ وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك . قال : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقى القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر ، حتى قالت : عائشة إنه صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بكرة وعشيًا . وقد صح حديث : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » ، وقد قدمه صلى الله عليه وسلم في مرضه إماماً له المهاجرين والأنصار ، فدل على أنه كان أقرأهم . انتهى .

وسبقه إلى ذلك ابن كثير .

قلت : لكن أخرج ابن أشته في المصاحف ، بسند صحيح عن محمد بن سيرين ، قال : مات أبو بكر ولم يُجمع القرآن ، وقُتِلَ عمر ولم يُجمع القرآن . قال ابن أشته : قال بعضهم : يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظاً ، وقال بعضهم : هو جمع المصاحف .

قال ابن حجر : وقد ورد عن عليّ ، أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبيّ صلى الله عليه وسلم . أخرجه ابن أبي داود .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ، قال : « جمعتُ القرآن ، فقرأت به كل ليلة فبلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : اقرأه في شهر ... » الحديث .

وأخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبد بن الصامت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصاريّ .

وأخرج البيهقي في المدخل ، عن ابن سيرين ، قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ، لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلّفوا في رجلين من ثلاثة : أبي الدرداء وعثمان . وقيل : عثمان وتميم الداريّ .

وأخرج هو وأبو داود ، عن الشعبيّ ، قال : جمع القرآن في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ستة : أبيّ ، وزيد ، ومُعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد ، وتجمع بن جارية ؛ قد أخذها إلا سورتين أو ثلاثة .

وقد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات : القراء من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فعَدَّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطاحه وسعداً ، وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة ، وعبد الله بن السائب ، والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سلمة . ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومُعاذ الذي يكنى أبا حايمة ، وتجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد . وصرح بأن بعضهم إنما أكله بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث

أنس . وعدّ ابن أبي داود منهم تميماً الدارياً وعُقبه بن عاصم .
وتمن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ، ذكره أبو عمرو الداني .

تنبيه

أبو زيد المذكور في حديث أنس ، اختلف في اسمه ، فقيل : سعد بن عبيد بن النعمان ، أحد بني عمرو بن عون ؛ وردّ بأنه أوسى وأنس خزرجي . وقد قال إنه أحد عمومته ، وبأنّ الشعبي عدّه هو وأبو زيد جمعياً فيمن جمع القرآن كما تقدم ، فدلّ على أنه غيره .

وقال أبو أحمد المسكري : لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد . وقال ابن حبيب في المحبر : سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وقال ابن حجر : قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة ، وهو خزرجي يكنى أبا زيد ، فلعلمه هو . وذكر أيضاً سعد بن المنذر بن أوس بن زهير ؛ وهو خزرجي ؛ لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد .

قال : ثمّ وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال ، فإنه روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس بن السكّن . قال : وكان رجلاً منا من بنى عدى بن النجار أحد همومي ، ومات ولم يدع عقباً ، ونحن ورثناه . قال ابن أبي داود : حدّثنا أنس بن خالد الأنصاري ، قال : هو قيس بن السكّن بن زعوراء من بنى عدى بن النجار . قال ابن أبي داود : مات قريباً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب علمه ، ولم يؤخذ عنه ، وكان عَقِيّاً بدريّاً . ومن الأقوال في اسمه : ثابت وأوس ومُعَاذ .



فائدة

ظفرت بامرأة من الصحابيَّات جمعت القرآن ، لم يدعها أحدٌ ممن تكلم في ذلك ، فأخرج ابن سعد في الطبقات : أنبأنا الفضل بن دكين ، قال : حدّثنا الوليد بن عبد الله بن

جميع ، قال حدثني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويسمّيها الشهيذة ، وكانت قد جمعت القرآن - أن رسول الله عليه وسلم حين غزا بدرًا ، قالت له : أتأذن لي فأخرج معك أدوي جرحاكم وأمريض مرضاكم ، لعل الله يهدي لي شهادة ؟ قال : إن الله مهديك شهادة . وكان صلى الله عليه وسلم قد أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان لها مؤذن ، ففتحها غلام لها وجارية كانت دبرتهما ، فقتلها في إمارة عمر ، فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : انطلقوا بنا نزور الشهيذة .

* * *

فصل

[في المشتهرين بالإقراء]

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة : عثمان ، وعلي ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء . قال : وقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبد الله ابن السائب ، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضا ، وأخذ عنهم خلق من التابعين .

فمن كان بالمدينة : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن أسلم .

وبمكة : عبيد بن عمير ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاوس ، مجاهد وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

وبالسكوفة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمر بن شرحبيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خثيم ، وعمر بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضيلة ، وسعيد بن جبير ، والنخعي والشعمي .

وبالبصرة : أبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

وبالشام: للغيرة بن أبي شهاب الحزومي صاحب عثمان ، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء .

ثم تجرد قوم ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا أئمةً يُقَدَّرُ بهم ويرحل إليهم ، فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبه بن نصاح ، ثم نافع بن أبي نعيم .

وبمكة : عبد الله بن كثير ، وحيد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن محيصن .
وبالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش ، ثم حمزة .
ثم الكسائي .

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعاصم الجحدري ثم يعقوب الحضرمي .

وبالشام : عبد الله بن عامر ، وعطية بن قيس الكلبي ، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ، ثم يحيى بن الحارث الذماري ، ثم شريح بن يزيد الحضرمي .
واشتهر من هؤلاء في الآفاق الأئمة السبعة :

نافع ؛ وقد أخذ عن سبعة من التابعين ، منهم أبو جعفر .

وابن كثير ؛ وأخذ عن عبد الله بن السائب الصحابي .

وأبو عمرو ؛ وأخذ عن التابعين .

وابن عامر ، وأخذ عن أبي الدرداء ، وأصحاب عثمان .

وعاصم ؛ وأخذ عن التابعين .

وحمزة ؛ وأخذ عن عاصم والأعمش والسبيعي ومنصور بن المعتمر وغيره .

والكسائي ؛ وأخذ عن حمزة وأبي بكر بن عيَّاش .

ثم انتشرت القراءات في الأقطار ، وتفرقوا أمماً بعد أمم ؛ واشتهر من رواية كل طريق من طرق السبعة راويان :

فمن نافع : قالون وورش ، عنه .

وعن ابن كثير : قنبل والبرقي ، عن أصحابه عنه .

وعن أبي عمرو : الدوري والسوسي ، عن اليزيدي ، عنه .

وعن ابن عامر : هشام وابن ذكوان عن أصحابه ، عنه .

وعن عاصم : أبو بكر بن عيَّاش ، وحفص ، عنه .

وعن حمزة : خلف وخلاد ، عن سليم عنه .

وعن الكسائي : الدوري ، وأبو الخارث .

* * *

ثم لما اتسع الخرق وكاد الباطل ياتمس بالحق ، قام جهابذة الأمة ، وبالفوا في الاجتهاد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزّوا الوجوه والروايات ، وميّزوا الصحيح والمشهور والشاذّ بأصول أصلوها ، وأركان فصولها .

فأول من صنف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم أحمد بن جُبَيْر الكوفي ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري ، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجواني ، ثم أبو بكر بن مجاهد ، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها ، جامعاً ومفرداً ، وموجزاً ومسهباً ، وأئمة القراءات لا تحصى .

وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي ، ثم حافظ القراءات أبو الخير ابن الجزري .

النوع الحادى والعشرون
معرفة القسالى والتأزل من أسانيد

اعلم أن طلب علو الإسناد سنة ، فإنه قرب إلى الله تعالى ؛ وقد قسمه أهل الحديث إلى خمسة أقسام ورأيتها تأتى هنا :

الأول : القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث العدد بإسناد نظيف غير ضعيف ، وهو أفضل أنواع العلو وأجلها ؛ وأعلى ما يقع للشيوخ فى هذا الزمان إسناد رجاله أربعة عشر رجلا ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان ، ثم خمسة عشر ؛ وإنما يقع ذلك من قراءة عاصم من رواية حفص وقراءة يعقوب من رواية رؤيس .

* * *

الثانى من أقسام العلو عند المحدثين : القرب إلى إمام من أئمة الحديث كالأعمش وهشيم وابن جريح والأوزاعى ومالك ؛ ونظيره هنا القرب إلى إمام من الأئمة السبعة ، فأعلى ما يقع اليوم للشيوخ بالإسناد المتصل بالتلاوة إلى نافع اثنا عشر ، وإلى عامر اثنا عشر .

* * *

الثالث عند المحدثين : العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة ، بأن يروى حديثا لورواه من طريق كتاب من الستة وقع أنزل مما لورواه من غير طريقها ، ونظيره هنا العلو بالنسبة إلى بعض الكتب المشهورة فى القراءات ، كالتيسير والشاطبية . ويقع فى هذا ، النوع المواقفات ، والأبدال ، والمساواة ، والمصالحات .

فالواقفة : أن تجتمع طريقة مع أحد أصحاب الكتب فى شيخه ، وقد يكون مع علو على مالورواه من طريقه ؛ وقد لا يكون ؛ مثاله هذا الفن قراءة ابن كثير رواية البرزى ، طريق ابن بنان عن أبى ربيعة عنه ، يرويه ابن الجزرى من كتاب المفتاح لأبى منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون ، ومن كتاب المصباح لأبى الكرم

الشهرزورى ، وقرأ بها كلٌّ من المذكورين على عبد السيد بن عتاب ، فراويته لها من أحد الطريقين ، تسمى موافقة للآخر ، باصطلاح أهل الحديث .

والبدل : أن يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعداً ، وقد يكون أيضاً بعلو ، وقد لا يكون . مثاله هنا قراءة أبى عمرو رواية الدورى طريق ابن مجاهد ، عن أبى الزّعراء عنه ، رواها ابن الجزرى من كتاب التيسير ، قرأ بها الدّانى على أبى القاسم عبد العزيز بن جعفر البغدادى ، وقرأ بها على أبى طاهر عن ابن مجاهد ، ومن المصباح ، قرأ بها أبو الكرم على أبى القاسم يحيى بن أحمد السّيبى ، وقرأ بها على أبى الحسن الحمّامى ، وقرأ على أبى طاهر ، فروايته لهما من طريق المصباح تسمى بدلاً للدّانى في شيخ شيخه .

والمساواة : أن يكون بين الراوى والنّبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابى أو من دونه إلى شيخ أحد أصحاب الكتب ، كما بين أحد أصحاب الكتب والنّبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابى أو من دونه على ما ذكر من العدد .

والمصاحفة : أن يكون أكثر عدداً منه بواحد ؛ فكانه لقي صاحب ذلك الكتاب وصاحبه ، وأخذ عنه ؛ مثاله قراءة نافع ؛ رواها الشاطبى عن أبى عبد الله محمد بن على النّفري عن أبى عبد الله بن غلام الفرس ، عن سليمان بن نجاح وغيره ، عن أبى عمرو الدانى ، عن أبى الفتح فارس بن أحمد ، عن عبد الباقي بن الحسن ، عن إبراهيم بن عمر المقرئ ، عن أبى الحسين بن بويان ، عن أبى بكر بن الأشعث ، عن أبى جعفر الرّبعى المعروف بابى نشيط ، عن قالون ، عن نافع . ورواها ابن الجزرى عن أبى محمد بن البغدادى وغيره ، عن البضائع عن الكمال بن فارس ، عن أبى اليّمن الكندى ، عن أبى القاسم هبة الله ابن أحمد الحريرى ، عن أبى بكر الخياط ، عن القَرَضى ، عن ابن بويان . فهذه مساواة لابن الجزرى ، لأنّ بينه وبين ابن بويان سبعة ، وهو العدد الذى بين الشاطبى وبينه ، وهى لمن أخذ عن ابن الجزرى مصاحفة للشاطبى .

ومما يشبه هذا التقسيم الذى لأهل الحديث ، تقسيم القراء أحوال الإسناد، إلى قراءة ورواية وطريق ووجه ، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم ، وانفتت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة ، وإن كان للراوى عنه فرواية، أو لمن بعده فإزلاً فطريق ، أو لأعلى هذه الصفة مما هو راجع إلى تخير القارى فيه، فوجه .

* * *

الرابع من أقسام العلوّ : تقدّم وفاة الشيخ عن قريبه الذى أخذ عن شيخه ، فالأخذ مثلاً عن التاج بن مكثوم أعلى من الأخذ عن أبى المعالى بن اللّبان ، وعن ابن اللّبان أعلى من البرهان الشامى ، وإن اشتركوا فى الأخذ عن أبى حيان ، لتقدم وفاة الأوّل على الثانى، والثانى على الثالث .

* * *

الخامس : العلوّ بموت الشيخ لا مع التفاتٍ لأمرٍ آخر ، أو شيخ آخر متى يكون . قال بعض المحدّثين : يوصف الأسناد بالعلوّ إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة . وقال ابن منده : ثلاثون ؛ فعلى هذا ، الأخذ عن أصحاب ابن الجزرى عالٍ من سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ لأنّ ابنَ الجزرى آخر مَنْ كان سنّه عالياً ، ومضى عليه حينئذ من موته ثلاثون سنة .

فهذا ما حرّرتّه من قواعد الحديث ، وخرّجت عليه قواعد القراءات ، ولم أسبق إليه والله الحمد والمنة .

وإذا عرفت العلوّ بأقسامه، عرفت النزول ، فإنه ضده ، وحيث ذمّ النزول فهو مالم ينجبر بكون رجاله أعلم وأحفظ وأتقن أو أجل أو أشهر أو أروع ؛ أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول .

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس
والسادس والسابع والعشرون
معرفة المتواتر والمিশهور والآحاد
والشاذ والموضوع والمذرج

اعلم أن القاضي جلال الدين البلقيني قال : القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ ،
فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر ، ويلحق
بها قراءة الصحابة ، والشاذ قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم .
وهذا الكلام فيه نظرٌ يُعرف مما سذكروه ؛ وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام
القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري ، قال في أوّل كتابه النشر : كلُّ قراءةٍ
وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العمانية ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ،
فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحلُّ إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة
التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن
العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق
عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت عن السبعة أم عن كبر منهم . هذا هو
الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو
شامة ، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحدٍ منهم خلافه .

قال أبو شامة في المرشد الوجيز : لا ينبغي أن يُفتَر بكل قراءة تُقرَى ^(١) إلى أحد السبعة
ويطلق عليها لفظ الصحة ، وأنها أنزلت هكذا ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد
بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختصّ ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نقلت عن غيرهم من
القراء ، فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا على

(١) الشعر : « تعزى إلى واحد » .

مَنْ تَنَسَّبَ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ لِلنَّسُوبَةِ إِلَى كُلِّ قَارِئٍ مِنَ السَّبْعَةِ وَغَيْرِهِمْ مَنْقُسَةٌ إِلَى الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ وَالشَّاذُّ ؛ غَيْرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةَ لَشَهْرَتِهِمْ وَكَثْرَةَ الصَّحِيحِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ فِي قِرَائَتِهِمْ ، تَرَكْنَ النَّفْسَ إِلَى مَا نَقَلَ عَنْهُمْ فَوْقَ مَا يَنْقُلُ عَنْ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ : فَقَوْلُنَا فِي الضَّابِطِ : « وَلَوْ بَوَّجَهُ » ، نَرِيدُ بِهِ وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ النَّحْوِ ، سِوَاهُ كَانَ أَفْصَحَ أَمْ فَصِيحًا ، مَجْمَعًا عَلَيْهِ أَمْ مُخْتَلَفًا فِيهِ اخْتِلَافًا لَا يَضُرُّ مِثْلَهُ ، إِذَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ تَمَّا شَاعَ وَذَاعَ ، وَتَلَقَّاهُ الْأَثَمَةُ بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ ؛ إِذْ هُوَ الْأَصْلُ الْأَعْظَمُ ، وَالرَّكْنُ الْأَقْوَمُ . وَكَمْ مِنْ قِرَاءَةٍ أَنْكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ النَّحْوِ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ؛ وَلَمْ يَقْبَلُوا أَنْكَارَهُمْ ، كَمَا سَكَنَ ﴿ بَارِئُكُمْ ﴾ ^(١) ، وَ﴿ بِأَمْرُكُمْ ﴾ ^(٢) ، وَخَفَضَ ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ^(٣) ، وَنَسَبَ ﴿ لِيُجْزَى قَوْمًا ﴾ ^(٤) ، وَالْفَصْلُ بَيْنَ الْمُضَافِينَ فِي ﴿ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ^(٥) وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قَالَ الدَّانِيُّ : وَأَثَمَةُ الْقِرَاءَةِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي اللُّغَةِ وَالْأَقْبَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ وَالْأَصَحِّ فِي الْفَقْلِ ، وَإِذَا ثَبَتَتِ الرِّوَايَةُ لَمْ يَرُدِّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ وَلَا فُتُوْلُغَةٍ ، لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، يَلْزَمُ قَبُولُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا .

قُلْتُ : أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : أَرَادَ اتِّبَاعَ مَنْ قَبَلْنَا فِي الْحُرُوفِ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، لَا يَجُوزُ مُخَالَفَةُ الْمُصْحَفِ الَّذِي هُوَ إِمَامٌ ، وَلَا مُخَالَفَةُ الْقِرَاءَاتِ الَّتِي هِيَ مَشْهُورَةٌ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَائِقًا فِي اللُّغَةِ أَوْ أَظْهَرَ مِنْهَا .

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ : وَنَعْنِي بِمُوَافَقَةِ أَحَدِ الْمَصَاحِفِ مَا كَانَ ثَابِتًا فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ ؛ كَقِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ ﴾ ^(٦) فِي الْبَقَرَةِ بِغَيْرِ وَوَاوٍ ، وَ﴿ بِالزَّبْرِ وَبِالْكِتَابِ ﴾ ^(٧)

(١) سورة البقرة ٥٤ (٢) سورة البقرة ٦٧ (٣) سورة النساء ١
 (٤) سورة البقرة ١٤ قال القرطبي : « بَاءٌ مضمومة وفتح الزاي على الفعل المجهول وقومًا بالنصب ، قال السكسائي : معناه ليُجزى الجزاء قومًا » . (٥) سورة الأنعام ١٣٧ وانظر القرطبي ٧ : ٩١ .
 (٦) سورة البقرة ١١٦ (٧) سورة آل عمران ١٨٤ .

بإثبات الباء فيها ؛ فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي ، وكقراءة ابن كثير ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(١) في آخر براءة ، بزيادة « من » فإنه ثابت في المصحف المسكي ، ونحو ذلك ؛ فإن لم تكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذاً لمخالفتها الرسم المجمع عليه .

وقولنا : « ولو احتمالاً » ، نغني به ما وافقه ولو تقديرًا كـ ﴿ مَلِكْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فإنه كتب في الجميع بلا ألف ، فقراءة الحذف توافقه تحقيقاً ، وقراءة الألف توافقه تقديرًا ، لحذفها في الخط اختصاراً كما كتب : ﴿ مَلِكْ الْمَلِكْ ﴾^(٢) .

وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقاً ، نحو « تعلمون » بالتاء والياء و « يغفر لكم » بالياء والنون ؛ ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل في حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضي الله عنهم في علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم . وانظر كيف كتبوا « الصراط » بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتسكون قراءة السين - وإن خالفت الرسم من وجه - قدأنت على الأصل ، فيمعتلان ، وتسكون قراءة الإشمام محتملة ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك . وعُدَّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل ، ولذلك اختلف في ﴿ بَصْطَةً ﴾^(٣) الأعراف دون ﴿ بَسْطَةً ﴾^(٤) البقرة ، لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد ، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ، ووردت مشهورة مستفاضة ، ولذا لم يعدوا إثبات ياء الزوائد ، وحذف ياء ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾^(٥) في الكهف ، وواو ﴿ وَأَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٦) والطاء من ﴿ بَصْنِينَ ﴾^(٧) ونحوه من مخالفة الرسم الردودة ، فإن الخلاف في ذلك مفتقر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتُشميه صحة القراءة وشهرتها وتلقاها بالقبول ، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها ، وتقديمها وتأخيرها ؛ حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني ،

(٢) سورة آل عمران ٢٦

(٤) سورة البقرة ٢٤٧

(٦) سورة المنافقين ٢٠

(١) سورة التوبة ١٠٠

(٣) سورة الأعراف ٦٩

(٥) سورة الكهف ٧٠

(٧) سورة النكوير ٢٤

فإن حكمه في حكم الكلمة ، لاتسوغ مخالفة الرسم فيه ؛ وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته .

قال : وقولنا : « وصحّ مسندها » نغني به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهي ؛ وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن ، غير معدودة عندهم من الغلط ، أو مما شذّ بها بعضهم .

قال : وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ، ولم يكتف بصحة السند ؛ وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأن ما جاء بحجى الأحاد لا يثبت به قرآن .

قال : وهذا مما لا يخفى مافيه ؛ فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره ؛ إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله ، وقُطِع بكونه قرآناً ، سواء وافق الرسم أم لا . وإذا شرطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة . وقد قال أبو شامة : شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواترة ، أي كل فردٍ فردٍ فيما روى عنهم .

قالوا : والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب ، ونحن بهذا نقول ؛ ولكن فلما اجتمعت على نقله عنهم الطرق ، واتفقت عليه الفرق من غير تكبيره ، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر في بعضها .

وقال الجعبري : الشرط واحد ؛ وهو صحة النقل ، ويلزم الآخرين ، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن في العربية ، وأتقن الرسم ، انحلت له هذه الشبهة .

وقال مكي : ماروى في القرآن على ثلاثة أقسام :

قسم يُقرأ به وبكفر جاحده ، وهو ما نقله التفات ، ووافق العربية وخط للصحف .

وقسم صحّ نقله عن الأحاد ، وصحّ في العربية ، وخالف لفظه الخط ، فيقبل ولا يقرأ به

لأمرين : مخالفته لما أجمع عليه ، وأنه لم يؤخذ بإجماع ، بل بنحر الآحاد ولا يثبت به قرآن ، ولا يكفر جاحده ، ولبس ماضع إذ جرده !

وقسم نقله ثقة ، ولا وجه له في العربية ، أو نقله غير ثقة ، فلا يقبل وإن وافق الخط . وقال ابن الجزرى : مثال الأول كثير كـ « مالك » « وملك » ، و « يخذعون » و « يخذعون » ، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره « والد كَرِ والأنتى » ، ^(١) وقراءة ابن عباس : « وكان أمامهم ملكٌ يأخذُ كل سفينة صالحة » ^(٢) ، ونحو ذلك . قال : واختلف العلماء في القراءة بذلك ، والأكثر على المنع ، لأنها لم تتواتر ، وإن ثبتت بالنقل ؛ فهي منسوخة بالعرضة الأخيرة ، أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى .

ومثال ما نقله غير ثقة كثيرٌ مما في كتب الشواذ ، مما غالب إسناده ضعيف ؛ وكالقراءة النسوبة إلى الإمام أبى حنيفة التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزازى ، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلى ، ومنها : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ^(٣) يرفع « الله » ونصب « العلماء » ، وقد كتب الدارقطنى وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع ، لأصل له . ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية . قليل لا يكاد يوجد ، وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع « معاش » بالهمز .

قال : وبقي قسم رابع مردود أيضا ، وهو ماوافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة فهذا رده أحق ، ومنعه أشد ، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر ، وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر بن مِقْسَم ، وعُقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه ، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق الذى لأصل له يرجع إليه ولا ركن يعتمد في الأداء عليه . قال : أماما له أصل كذلك ، فإنه مما بصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام « قال

(١) - سورة الليل ٤ في قوله : « وما خلق الذكر والأنثى » . (٢) - سورة الكهف ٧٩

(٣) - سورة قاطر ٢٨

رجلان» على «قال رب»، ونحوه مما لا يخالف نصاً ولا أصلاً، ولا يرد إجماعاً، مع أنه قليل جداً^(١).

قلت: أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جداً، وقد تحررلى منه أن القراءات أنواع: الأول: المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى متناه: وغالب القراءات كذلك.

الثانى: المشهور، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية والرسم؛ واشتهر عند القراء، فلم يعدّه من الغلط ولا من الشذوذ، ويُقرأ به على ما ذكر ابن الجزرى ويُفهّمه كلام ابن شامة السابق. ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض، وأمثلة ذلك كثيرة فى فرش الحروف من كتب القراءات كالذى قبله، ومن أشهر ما صُنف فى ذلك التيسير للدانى، وقصيدة الشاطبى، وأوعية النشر فى القراءات العشر، وتقريب النشر، كلاهما لابن الجزرى.

الثالث: الآحاد، وهو ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يُقرأ به، وقد عقد الترمذى فى جامعه، والحاكم فى مستدركه لذلك باباً أخرج فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد؛ من ذلك ما أخرج الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ: «متكئين على رفارف خضرٍ وعَبَاقِرِيَّ حسان»^(٢).

وأخرج من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ: «وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَاتٍ أَعْيُنٌ»^(٣).

وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ»^(٤).

(١) النشر ٩: ١ — ١٨ مع تصرف واختصار (٢) سورة الرحمن ٧٦، وانظر تفسير القرطبي ١٦: ١٩١

(٤) سورة التوبة ١٢٨

(٣) سورة السجدة ١٧

بفتح الفاء. وأخرج عن عائشة أنها صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿قُرْوْخَ وَرَيْحَانَ﴾^(١) يعني بضم الراء .
الرابع الشاذ ، وهو ما لم يصحّ سنده ، وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة « مَلِكُ يَوْمِ
الدين » بصيغة الماضي ، ونصب « يوم » ، و « إِيَّاكَ يُعْبَدُ » بينائنه للمفعول .
الخامس : الموضوع كقراءات الخزاعي .

وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج ؛ وهو ما زيد في القراءات على
وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص « وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّ »^(٢) أخرجه
سعيد بن منصور .

وقراءة ابن عباس . « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ
الْحَجِّ »^(٣) . أخرجه البخاري .

وقراءة ابن الزبير : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ »^(٤) قال عمر : فما أدري : أكانت
قراءته أم فسر ؟ أخرجه سعيد بن منصور ، وأخرجه الأنباري ؛ وجزم بأنه تفسير .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ : « وَإِنْ مِنْكُمْ الْإِوَارِدُهَا » ، « الْوُرُودُ الدَّخُولُ »^(٥) .
قال ابن الأنباري : قوله : « الْوُرُودُ الدَّخُولُ » ، تفسير من الحسن لمعنى الورد . وغلط فيه
بعض الرواة فالحقه بالقرآن .

قال ابن الجزري في آخر كلامه : وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة
إيضاحاً وبياناً ، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً ، فهم آمنون من
الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه .

وأما من يقول : إن بعض الصحابة كان يحيز القراءة بالمعنى ، فقد كذب . انتهى .
وسأفرد في هذا النوع — أعني المدرج — تأليفاً مستقلاً .

(٢) سورة النساء ١٢
(٤) سورة آل عمران ١٠٤

(١) سورة الواقعة ٨٩
(٣) سورة البقرة ١٩٨
(٥) سورة مريم ٧١

تنبيهات

الأول : لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه؛ وأما في محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققى أهل السنة ، للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر في تفاصيل مثله ؛ لأن هذا المعجز العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصراف المستقيم ، مما تتوفر الدواعى على نقل جملته وتفاصيله ، فما نُقل أحاداً ولم يتواتر ، يُقطع بأنه ليس من القرآن قطعاً . وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط في ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله ؛ وليس بشرط في محله ووضعه وترتيبه ؛ بل يكفى فيها نقل الأحاد . قيل : وهو الذى يقتضيه صنع الشافعى في إثبات البسملة من كل سورة .

وردد هذا المذهب بأن الدليل السابق يقتضى التواتر في الجميع ، ولأنه لو لم يشترط لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر وثبوت كثير مما ليس بقرآن ، أما الأول فلأن لو لم نشترط التواتر في المحل جاز ألا يتواتر كثير من المتكررات الواقعة في القرآن ، مثل ﴿ فَيَأْتِىَ الْآءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴾ ؛ وأما الثانى فلأنه إذا لم يتواتر بعض القرآن بحسب المحل ، جاز إثبات ذلك البعض في الموضع بنقل الأحاد .

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن حكماً لا علماً بخبر الواحد دون الاستفاضة ، وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه .

وقال قوم من المتكلمين : إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف ؛ إذا كانت تلك الأوجه صواباً فى العربية ، وإن لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بها ؛ وأبى ذلك أهل الحق ، وأنكروه وخطئوا من قال به . انتهى .

وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بإنكار البسملة قولهم على هذا الأصل ،

وَقَرَّوْهُ بِأَنهَآ لَمْ تَتَوَاتَرَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ ، وَمَالَمْ يَتَوَاتَرَ فَلَيْسَ بِقِرَآنٍ .

وَأَجِيبَ مَنْ قَبِلْنَا مَنَعَ كَوْنَهَا لَمْ تَتَوَاتَرَ ، فَرُبَّ مَتَوَاتِرٍ عِنْدَ قَوْمٍ دُونَ آخَرِينَ ، وَفِي وَقْتٍ دُونَ آخَرَ ، وَيَكُنِّي فِي تَوَاتُرِهَا إِثْبَاتُهَا فِي مَصَاحِفِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ بِحِطِّ الْمَصْحَفِ ، مَعَ مَنْعِهِمْ أَنْ يُسَكِّتَ فِي الْمَصْحَفِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَأَسْمَاءِ السُّورِ ، وَآمِينَ ، وَالْأَعْشَارِ ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ قِرَآنًا لَمَّا اسْتَجَازُوا إِثْبَاتَهَا بِحِطِّهِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَى اعْتِقَادِهَا ، فَيَكُونُونَ مَفْرَرِينَ بِالْمُسْلِمِينَ ، حَامِلِينَ لَهُمْ عَلَى اعْتِقَادِ مَا لَيْسَ بِقِرَآنٍ قِرَآنًا ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَحْزُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي الصَّحَابَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : لَعَلَّهَا أُثْبِتَتْ لِلْفَصْلِ بَيْنَ السُّورِ ؛ أَجِيبُ بِأَنَّ هَذَا فِيهِ تَفْرِيرٌ ، وَلَا يَحْزُوزُ ارْتِكَابُهُ لِمَجْرَدِ الْفَصْلِ ؛ وَلَوْ كَانَتْ لَهُ لَسَكَّتِبْتَ بَيْنَ بَرَاءَةِ وَالْأَنْفَالِ .

وَيَدُلُّ لَكُونَهَا قِرَآنًا مَنْزِلًا مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ... الْحَدِيثُ ؛ وَفِيهِ : وَعَدَّ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » آيَةً ، وَلَمْ يَعُدَّ « عَلَيْهِمْ » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الْمَعْرِفَةِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : اسْتَرَقَ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّاسِ أَعْظَمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَابْنُ مَرْدُودٍ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ، مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَغْفَلَ النَّاسُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَمْ تَنْزَلْ عَلَى أَحَدٍ سِوَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ ؛ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

وَأَخْرَجَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ بُرَيْدَةَ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا أَخْرَجُ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى أَخْبِرَكَ بِآيَةٍ لَمْ تَنْزَلْ عَلَى نَبِيٍّ بَعْدَ سَلِيمَانَ غَيْرِي » . ثُمَّ قَالَ : « بَأَيِّ شَيْءٍ تَفْتَتِحُ الْقُرْآنَ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ ؟ » ، قُلْتُ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » قَالَ ، « هِيَ هِيَ » .

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي والبزار من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم » . زاد البزار : « فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت ، أو ابتدئت سورة أخرى »

وأخرج الحاكم من وجه آخر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت » . إسناده على شرط الشيخين .

وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبريل فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، علم أنها سورة . إسناده صحيح .
وأخرج البيهقي في الشعب وغيره عن ابن مسعود ، قال : كنا لا نعلم فصلاً بين السورتين ، حتى تنزل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو شامة : يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه صلى الله عليه وسلم على جبريل ، كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية ، فيعلم أن السورة قد انقضت . وعبر صلى الله عليه وسلم بلفظ النزول إشعاراً بأنها قرآن في جميع أوائل السور . ويحتمل أن يكون المراد أن جميع آيات كل سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة ، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة ، واستعرض السورة ، فيعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنها قد ختمت ، ولا يلحق بها شيء .

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عباس ، قال : السبع المثاني فاتحة الكتاب ، : قيل : فآين السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وأخرج الدارقطني بسند صحيح ، عن علي : أنه سئل عن السبع المثاني ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : إنما هي ست آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية .

وأخرج الدارقطني وأبو نعيم والحاكم في تاريخه بسند ضعيف عن نافع ، عن ابن

عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقى عليّ : بسم الله الرحمن الرحيم » .

وأخرج الواحدى من وجه آخر عن تافع عن ابن عمر ، قال : نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة .

وأخرج البيهقى من وجه ثالث ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه كان يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ، وإذا ختم السورة قرأها ، ويقول : ما كتبت في المصحف إلا لتقرأ .

وأخرج الدارقطنى بسند صحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأتم الحمد ، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنها أم القرآن ، وأم الكتاب والسبع المثاني ، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » .

وأخرج مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءً ، ثم رفع رأسه متبسماً ، فقال : أنزلت على آفاسورة ، قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر ... الحديث .

فيذه الأحاديث تعطى التواتر المعنوى بكونها قرآناً منزلاً في أوائل السور .

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام نجر الدين ، قال : نُقِلَ في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن ، وهو في غاية الصعوبة ، لأننا إن قلنا : إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة بكون ذلك من القرآن ، فإنكاره يوجب الكفر ، وإن قلنا : لم يكن حاصلًا في ذلك الزمان ، فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل . قال : وإلا غلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة . وكذا قال القاضي أبو بكر : لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه . إنما حَكَّهَا وأسقطها من مصحفه

إنكاراً لكتابتها ، لا جحداً لكونها قرآناً ؛ لأنه كانت السنة عنده ألا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإثباته فيه ، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به .
وقال النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منها شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح .

وقال ابن حزم في المحلى : هذا كذب على ابن مسعود وموضوع ، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زرّعه ، وفيها المعوذتان والفاتحة .

وقال ابن حجر في شرح البخاري : قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك ، فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، قال : كان عبد الله بن مسعود يحكّ المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إلهما ليستا من كتاب الله .

وأخرج البزار والطبراني من وجه آخر عنه ، أنه كان يحكّ المعوذتين من المصحف ويقول : إتما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، وكان لا يقرأ بهما . أسانيد صحيحة . قال البزار : لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة ، وقد صحّ أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في الصلاة .

قال ابن حجر : فقول من قال إنه كذب عليه مردود ، والظن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الروايات صحيحة ، والتأويل محتمل . قال : وقد أوله القاضي وغيره على إنكار الكتابة كما سبق . قال : وهو تأويل حسن ؛ إلا أن الرواية الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : « ويقول : إلهما ليستا من كتاب الله » . قال : ويمكن حمل لفظ « كتاب الله » على المصحف فيتم التأويل المذكور . قال : لكن من تأمل سياق الطرق المذكورة ، استبعد هذا الجمع .

قال : وقد أجاب ابن الصباغ ، بأنه لم يستقرّ عنده القطع بذلك ، ثم حصل الاتفاق بعد

ذلك ، وحاصله أنهما كانتا متواترتين في عصره ؛ لكنهما لم يتواترا عنده. انتهى .

وقال ابن قتبية في مشكل القرآن : ظنّ ابن مسعود أنّ المعوذتين ليستا من القرآن لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ، فأقام على ظنه ، ولا يقول : إنه أصاب في ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار .

قال : وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه ، فليس لظنه أنها ليست من القرآن ، معاذ الله ! ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتبت وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلّمها على كل واحد (١) .

قلت : وإسقاطه الفاتحة من مصحفه ، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدم في أوائل النوع التاسع عشر .

* * *

التنبيه الثاني

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيةها ، من تخفيف وتشديد وغيرهما ، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة .

قال : الزركشي : والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ، فإن إسنادهم هذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد .

قلت : في ذلك نظر لما سيأتي . واستثنى أبو شامة - كما تقدم - الألفاظ المختلف فيها عن القراء .

واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء كاللدة والإمالة وتحقيق الهمزة . وقال

(١) من كل القرآن ص ٣٣ ، ٣٤ مع تصرف في العبارة واختصار

غيره : الحق أن أصل المد والإمالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كلفيته .
كذا قال الزركشي ، قال : وأما أنواع تحقيق الهمزة فكليهما متواترة .

وقال ابن الجزري : لانعلم أحداً تقدم ابن الحاجب إلى ذلك ، وقد نصّ على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضي أبو بكر وغيره ، وهو الصواب ، لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه ، لأن اللفظ لا يقوم إلا به ، ولا يصح إلا بوجوده .

* * *

التنبيه الثالث

قال أبو شامة : ظنّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل .

وقال أبو العباس بن عمار : لقد نقل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كلّ من قلّ نظره ، أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ؛ وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أوزاد ليزيل الشبهة . ووقع له أيضاً في اقتصاره عن كلّ إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راوئ ثالث غيرها أبطلها ، وقد تكون هي أشهر وأصح وأظهر . وربما بالغ من لا يفهم نطقاً أو كُفراً .

وقال أبو بكر بن العربي : ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم ؛ فإن هؤلاء مثلهم أوفوهم . وكذا قال غير واحد ؛ منهم مكي وأبو العلاء الممداني وآخرون من أئمة القراء .

وقال أبو حيان : ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ثم ساق أسماءهم ، واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي ، واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس ،

فكيف يقتصر على الشوسى والدورى ، وليس لها مزية على غيرها ! لأن الجميع يشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ . قال : ولا أعرف لهذا سببا إلا ما قُضى من نقص العلم .

وقال مكى : من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً . قال : ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ، ووافق خط المصحف ، ألا يكون قرآناً ، وهذا غلط عظيم ؛ فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كآبى عبيد القاسم بن سلام وآبى حاتم السجستاني وآبى جعفر الطبرى وإسماعيل القاضي ، قد ذكروا أضعاف هؤلاء ، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع ، واستمروا على ذلك ، فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب . قال : والسبب فى الاختصار على السبعة - مع أن فى أئمة القراء من هو أجل منهم قدرأ ومثلهم أكثر من عددهم - أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً ، فلما تقاصرت المهمم ، اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة والاتفاق على الأخذ عنه ، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً ، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به ، كقراءة يعقوب وآبى جعفر وشيبة وغيرهم . قال : وقد صنف ابن جبير المسكى قبل ابن مجاهد كتاباً فى القراءات ، فاقصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً ؛ وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ؛ ويقال : إنه وجه سبعة : هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفاً إلى البحرين ، لكن لما لم يُسمع لهذين

المصحفين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف ، استبدلوا من غير البحرئين واليمن قارئين كل بهما العدد ، فصادف ذلك موافقة العدد الذي ورد الخبر به ، فوقع ذلك لمن لم يعرف أصل المسألة ؛ ولم تكن له فطنة ، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع . والأصل المعتمد عليه صحة السند في السماع ، واستقامة الوجه في العربية وموافقة الرسم . وأصحّ القراءات سنداً نافع وعاصم ، وأفصحها أبو عمرو والكسائي .

وقال القرّاب ^(١) في الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ؛ وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانشر وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد .

وقال الكواشى : كل ما صحّ سنده واستقام وجهه في العربية ، ووافق خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فُقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ .

وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على من ظنّ انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التفسير والشاطبية ، وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال في شرح المنهاج : قال الأصحاب : تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ؛ ولا تجوز بالشاذة وظاهر هذا يؤهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ ، وقد نقل البغوى الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر من السبع المشهورة ؛ وهذا القول هو الصواب .

قال : واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين : منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك فيه أنه لا تجوز قراءته لافى الصلاة ولا فى غيرها . ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ، ولم تشتهر القراءة به ؛ وإنما ورد من طريق غريب لا يقول عليها ، وهذا بظاهر المنع من القراءة به أيضاً . ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً ، فهذا الوجه للمنع منه ، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره .

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم القرّاب ، وانظر الفهرست ٤٦ :

قال : والبقوى أولى مَنْ يُعتمد عليه في ذلك ؛ فإنه مقرى ؛ فقيه جامع للعلوم . .
قال : وهكذا التفصيل في شواذ السبعة ، فإنّ عنهم شيئا كثيرا شاذّا . انتهى .

وقال ولده في منع الموانع : إنما قلنا في جمع الجوامع : والسبع متواترة ، ثم قلنا في الشاذ والصحيح : إنه ما وراء العشرة ، ولم نقل : والعشر متواترة ، لأنّ السبع لم يختلف في تواترها ، فذكرنا أولاً موضع الإجماع ، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف . قال : على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ، ولا يصحّ القول به عمّن يعتبر قوله في الدين ، وهي لا تخالف رسم المصحف . قال : وقد سمعتُ أبى يشدد النكير على بعض القضاة ، وقد بلغه أنه منع من القراءة بها ، واستأذنه بعض أصحابنا مرّة في إقراء السبع ، فقال : أذنت لك أن تقرّ العشر . انتهى .

وقال في جواب سؤال سألّه ابن الجزرى : القراءات السبع ، التي اقتصر عليها الشاطبي ، والثلاث التي هي قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة ، وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنّه منزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل .

* * *

التنبيه الرابع

باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في ﴿لَسْتُمْ﴾ و﴿لَا مَسْئَمَ﴾^(١) . وجواز وطرء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في ﴿يَطْهَرْنَ﴾^(٢) ، وقد حكوا خلافا غريبا في الآية ، إذا قرئت بقراءتين ، فحكى أبو الليث السمرقندى في كتاب البستان قولين : أحدهما أن الله قال بهما جميعا ، والثاني أن الله قال بقراءة واحدة ، إلا أنه أذن أن نقرأ بقراءتين . ثم اختار توسطا ، وهو أنّه إن كان لكل قراءة تفسير يفاير الآخر

(١) سورة النساء ٤٣ ، وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ، وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم ، وقراءة الفضل ﴿يَطْهَرْنَ﴾ بالتشديد .

فقد قال بهما جميعاً، وتصير القراءتان بمنزلة آيتين، مثل ﴿حتى يطهرن﴾ وإن كان تفسيرهما واحداً كـ ﴿البُيُوت﴾^(١) و﴿البُيُوت﴾^(١)؛ فإِذَا قال بإحداهما، وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة؛ على ما تعود لسأهم.

قال: فإن قيل: إذا قلتم إنه قال بإحداهما، فإِذَا القراءتين هي؟ قلنا: التي بلغة قريش. انتهى وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد:

منها: التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة.

ومنها: إظهار فضائلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتابٌ غيرهم إلا على وجه واحد.

ومنها: إعظام أجرها، من حيث أنهم يُفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظاً لفظاً، حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات، ثم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح.

ومنها: إظهار سر الله في كتابه وصيائمه له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة.

ومنها: المبالغة في إعجازه بإيجازه، إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة، لم يخف ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(٢) منزلاً لفعل الرجل، والمسح على الخف، واللفظ واحد، لكن باختلاف إعرابه.

ومنها: أن بعض القراءات يبين ماله يُجْهَل في القراءة الأخرى، فقراءة ﴿يَطْهَرُونَ﴾ بالتشديد مبيّنة لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، تبين أن المراد بقراءة ﴿فَاسْعَوْا﴾ الذهاب، لا المشي السريع.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة

(١) سورة البقرة ١٨٩ (٢) سورة المائدة ٦، بالرفع والنصب والخفض، وانظر تفسير القرطبي، ٦: ٩١
(٣) سورة الجمعة ٩، وهي قراءة ابن مسعود.

وتبيين معانيها ، كقراءة عائشة وحفصة « وَالْوُسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ » ^(١) ، وقراءة ابن مسعود « فَأَقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا » ^(٢) وقراءة جابر « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهَنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ^(٣) قال : فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يُروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة ! فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحّة التأويل . انتهى .

وقد اعتنيت في كتاب « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفادت معنى زائدا على القراءة المشهورة .

التنبيه الخامس

اختلف في العمل بالقراءة الشاذة ، فنقل إمام الحرمين في البرهان عن ظاهر مذهب الشافعي ، أنه لا يجوز ، وتبعه أبو نصر القشيري ، وجزم به ابن الحاجب ؛ لأنه نقله على أنه قرآن ، ولم يثبت . وذكر القاضيان : أبو الطيب والحسين ، والروائي والرافعي العمل بها ، تنزيلاً لها منزلة خبر الآحاد ، وصحّحه ابن السبكي في جمع الجوامع وشرح المختصر . وقد احتج أصحاب الأئمة على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود ، وعليه أبو حنيفة أيضاً . واحتج على وجوب التابع في صوم كفارة اليمين بقراءته ﴿ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ ^(٤) ، ولم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها كما سيأتي .

التنبيه السادس

من المهم معرفة توجيه القراءات ؛ وقد اعتنى به الأئمة ، وأفردوا فيه كتباً . منها الحجة لأبي على الفارسي والسكشاف لمكي ، والهداية للهدوي ، والاحتساب في توجيه الشواذ لابن جني . قال الكواشي : وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ،

(٣) سورة النور ٣٣

(٢) سورة المائدة ٣٨

(١) سورة البقرة ٢٣٨

(٤) سورة المائدة ٨٨ ، وقراءة الجمهور : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ ﴾

وزاد ابن مسعود : ﴿ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ ، وانظر تفسير القرطبي ٦ : ٢٨٣

أو مرجحاً ؛ إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها ؛ وهذا غير مرضي ، لأن كلاً منهما متواتر .

وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت ، عن ثعلب ، أنه قال : إذا اختلف الإعرابان في القرآن لم أفضّل إعراباً على إعراب ، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى .

وقال أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين ، إذا صحت القراءتان ألا يقال : إحداهما أجود ، لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا .

وقال أبوشامة : أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة «مالك» و «مليك» ، حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين . انتهى .

وقال بعضهم : توجيه القراءات الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة .

* * *

خاتمة

قال النخعي : كانوا يكرهون أن يقولوا : قراءة عبد الله ؛ وقراءة سالم ؛ وقراءة أبي ، وقراءة زيد ، بل يقال : فلان كان يقرأ بوجه كذا ؛ وفلان كان يقرأ بوجه كذا . قال النووي : والصحيح أن ذلك لا يكره .

التَّوَعُّ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ في معرفة الوقف والابتداء

أفردته بالتصنيف خلافاً ؛ منهم أبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، والزجاج ، والداني ، والعماني ، والسجواني ، وغيرهم . وهو فنٌ جليل ، به يعرف كيف أداء القراءة . والأصل فيه ما أخرج النحاس ، قال : حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، حدثنا هلال بن العلاء بن أبي وعبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا عبد الله بن عمرو الزرق ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن القاسم بن عوف البكري ، قال : سمعتُ عبد الله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإنَّ أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجلاً يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدرى ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه . قال النحاس : فهذا الحديث يدلُّ على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف ، كما يتعلمون القرآن .

وقول ابن عمر : « لقد عشنا برهة من دهرنا » يدلُّ على أن ذلك إجماع من الصحابة . ثابت ، أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه .

وعن علي في قوله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾^(١) ، قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

قال ابن الأنباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه .

وقال النكراوي^(٢) : باب الوقف عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل .

وفي النشر لابن الجزري : لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس

(١) سورة المزمل ٤

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكراوي ، مقرئ من أهل الإسكندرية ، وصاحب كتاب الاقتضاء في معرفة الوقف والابتداء . توفي سنة ٦٨٣ . طبقات القراءة ١ : ٥٢

واحد ؛ ولم يحز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة ، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وتعين ارتضاء ابتداء بعده ^(١) ، وتحتّم ألا يكون ذلك ممّا يحيل المعنى ^(٢) ، ولا يخلّ بالفهم ؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ، ويحصل القصد ؛ ولذلك حضّ الأئمة على تعلّمه ومعرفته ^(٣) . وفي كلام على دليل على وجوب ذلك ، وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلّمه إجماع من الصحابة ، وصحّ - بل تواتر - عندنا تعلّمه والاعتناء به من السلف الصالح ، كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين ، وصاحبه الإمام نافع ، وأبي عمرو ، ^(٤) ويعقوب ^(٥) ، وعاصم ، ^(٦) وغيرهم من الأئمة ؛ وكلامهم في ذلك معروف ، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب . ومن ثمّ اشترط كثير من الخلف من على الحيز ألا يحيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء ^(٧) ، وصحّ عن الشعبي أنّه قال : إذا قرأت ﴿ كلُّ مَنْ عَلَيْهِ تَهَانٍ ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(٨) .

قلت : أخرجه ابن أبي حاتم ^(٩) .

* * *

فصل

[في أنواع الوقف]

اصطلح الأئمة [على أن] لأنواع الوقف والابتداء أسماء ، واختلفوا في ذلك ، فقال ابن

(٢) النشتر : « يخل بالمعنى » .

(١) بعده في النشتر : « كما قدمنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : التزيت لمعرفه الوقف وتجويد الحروف . وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحداً ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، وتزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ، وما ينبغي أنه يوقف عليه عنده منها » .

(٥) النشتر : « يعقوب الحضرمي » .

(٤) النشتر : « وأبي عمرو بن العلاء » .

(٦) النشتر : « عاصم بن أبي الجود » .

(٧) بعده في النشتر : « وكان أئمتنا يوقفونا عند كل حرف ، ويشيرون إينافيه بالأصابع ، سنة أخذوها » .

كذلك عن شيوخهم الأولين » .

(٩) انظر النشتر ١ : ٢٢٤

(٨) سورة الرحمن ٢٦ ، ٢٧

الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه : تام ، وحسن ، وقبيح .

فالتام : الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يسكون بعده ما يتعلق به ، كقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .
والحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ لأن الابتداء بـ ﴿ حَرَّبَ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) لا يحسن لكونه صفة لما قبله .

والقبيح : هو الذي ليس بتام ولا حسن ، كالوقف على « بسم » من قوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . قال : ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا المنعوت دون نعمته ، ولا الرفع دون مرفوعه وعكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البديل دون مبدله ، ولا إن أو كان أو ظن أو خواها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، اسمياً أو حرفياً ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا حرف دون متعلقه ولا شرط دون جزائه .

* * *

وقال غيره : الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

فالتام : هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وأكثر ما يوجد عند رموس الآي غالباً ، كقوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) .
وقد يوجد في أثنائها كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً ﴾ ؛ هنا التمام ؛ لأنه انقضى كلام بلقيس ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ ﴾ ^(٤) .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ^(٥) ؛ هنا التمام ؛ لأنه انقضى كلام

(٢) سورة البقرة ٦

(٥) سورة النمل ٣٠

(١) سورة البقرة ٥

(٣) سورة الفاتحة ١

(٥) سورة الفرقان ٢٩

الظالم أبي بن خلف ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .

وقد وجد بعدها كقوله : ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ * وبالله ليل ﴿^(١)﴾ هنا التمام لأنه معطوف على المعنى ،
أى بالصباح وبالله ليل ^(٢) .

ومثله : ﴿ يَتَكُونُونَ ﴾ * وزخرفا ﴿^(٣)﴾ ، رأس الآية « يَتَكُونُونَ » و « زخرفا » هو التمام
لأنه معطوف على ما قبله ^(٤) .

وآخر كل قصة وما قبل أولها ، وآخر كل سورة ^(٥) ، وقبل باء النداء وفعل الأمر
والقسم ولا مة ، دون القول والشرط ما لم يتقدم جوابه ، و « كان الله » ، و « ما كان » ،
و « ذلك » ، و « لولا » ، غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو مافى معناه ^(٦) .

والكافي منقطع في اللفظ متعلق في المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده
أيضا ، نحو ﴿ حَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ ﴾ ^(٧) هنا الوقف ويتبدأ بما بعده ذلك ، وهكذا
كل رأس آية بعدها « لام كي » و « إلا » بمعنى « لكن » « وإن » الشديدة المكسورة ،
والاستفهام ، و « بل » ، « وألا » المحققة ، « والسين » ، « وسوف » ، للتهديد ^(٨) ،
و « نعم » و « بئس » ، و « كيلا » ، ما لم يتقدمهن قول أو قسم .

والحسن : هو الذى يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، نحو ﴿ الحمد لله
رب العالمين ﴾ ^(٩) .

والقبيح : هو الذى لا يفهم منه المراد ، كالحمد ، وأقبح منه الوقف على : ﴿ لقد كفر الذين
قالوا ﴾ ، ويتبدى : ﴿ إِنْ أَلَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾ ^(١٠) لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء ،

(٢) عبارة البرهان ١ : ٣٥١ : « مصبحين ،

(١) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨
رأس الآية ، والليل التمام .

(٤) بعدها البرهان : « من قوله : (ستفأ)

(٣) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥

(٥) بعدها في البرهان : « والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع والأثمان ، والأسباع ، والأنعام

والاعشار ، والأخلاس » .

(٦) البرهان ١ : ٣٥١

(٧) سورة النساء ٢٣

(٨) البرهان : « على التهديد » .

(٩) البرهان ١ : ٣٥٢ ، وبقية الكلام : « والرحمن الرحيم » ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء

بقوله : « رب العالمين » و « الرحمن الرحيم » و « مالك يوم الدين » ، لا يحسن ، لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالجرور قبيح .

(١٠) سورة المائدة ١٧

وَمَنْ تَعَمَّده وَقصد معناه فقد كفر . ومثله في الوقف : ﴿ قَبِهُتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ ^(١) .
﴿ فَلَمَّا التَّصَفُّ وَلَا بَوْنِهِ ﴾ ^(٢) .

وأقبح من هذا الوقف على المنفى دون حرف الإيجاب ، نحو : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٣) .
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ^(٤) ، فإن اضطر لأجل التنفس جاز ، ثم يرجع إلى
ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج . انتهى .

وقال السَّجَّانْدِي : الوقف على خمس مراتب : لازم ، ومطابق ، وجائز ، ومجوز
لوجه ، ومرخص ضرورة .

١ — فاللازم مالم يُوصل طرفاه غَيْرَ المراد ، نحو ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) يلزم الوقف هنا
إذ لو وصل بقوله : ﴿ نَحْنُ دَعَوْنَاهُ ﴾ ^(٦) تَوَهَّم أن الجملة صفة لقوله : ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فانتفى
الخداع عنهم ، وتقرّر الإيمان خالصا عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخداع .
وكما في قوله : ﴿ لَا ذُلُّ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ ^(٧) فإن جملة « تُثِيرُ » صفة « ذُلُّ » ، داخلة
حيز النفي ، أي ليست ذلولا مثيرا للأرض ، والقصد في الآية إثبات الخداع بعد نفي الإيمان .
ونحو ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ^(٨) ، فلو وصلها بقوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ ﴾ ، لأوهم أنه صفة لولد ، وأن النفي ولد موصوف بأن له ما في السموات ؛ والمراد
الولد مطلقا .

٢ — والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده ، كالاسم المبتدأ به نحو ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي ﴾ ^(٩) .
والفعل المستأنف نحو ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ ^(١٠) ، و﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ ﴾ ^(١١) ،

(٢) سورة المائدة ٨١٩٥
(٤) سورة الإسراء ١٠٥
(٦) سورة البقرة ٧١
(٨) سورة الشورى ١٣
(١٠) سورة البقرة ١٤٢

(١) سورة البقرة ٢٥٨
(٣) سورة محمد ١٩
(٥) سورة البقرة ٨ ، ٩
(٧) سورة النساء ١٧١
(٩) سورة النور ٥٥

و ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ^(١).

ومفعول المحذوف نحو : ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ ^(٢) ، ﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ ^(٣).

والشرط : نحو ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ ^(٤).

والاستفهام ولومقدرا، نحو ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ ^(٥) ، ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ ^(٦).

والنفي : ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَبَرَةُ﴾ ^(٧) ، ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ^(٨) ، حيث لم يكن

كل ذلك مقولا لقول سابق .

٣ — والجائز ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين ، نحو

﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ^(٩) ، فإن واو العطف تقتضى الوصل ، وتقديم المفعول على الفعل يقطع

النظم فإن التقدير : « ويوقنون بالآخرة » .

٤ — والمجوز لوجه ، نحو : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ^(١٠) لأن

القاء فى قوله . ﴿فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ﴾ ^(١١) تقتضى التسبب والجزاء ، وذلك يوجب الوصل ،

وكون نظم الفعل على الاستئناف يحمل للفصل وجها .

٥ — والمرخص ضرورة ، ما لا يستغنى ما بعده عما قبله ؛ لكنه يرخص لا نقطاع النفس

وطول الكلام ، ولا يلزمه الوصل بالعود ، لأن ما بعده جملة مفهومة ، كقوله ﴿وَالسَّمَاءُ

بِنَاءٍ﴾ ^(١٢) لأن قوله : ﴿وَأُنْزِلَ﴾ ^(١٣) لا يستغنى عن سياق الكلام ، فإن فاعله ضمير يعود

إلى ما قبله ، غير أن الجملة مفهومة .

(٢) سورة النساء ١٢٢

(٤) سورة الأنعام ٣٩

(٦) سورة الأثقال ٦٧

(٨) سورة الأحزاب ١٣

(١٠) سورة البقرة ٨٦

(١) سورة الطلاق ٧

(٣) سورة الأحزاب ١٣٨

(٥) سورة النساء ٨٨

(٧) سورة القصص ٦٨

(٩) سورة البقرة ٤

(١١) سورة البقرة ٢٢

وأما ما لا يجوز الوقف عليه ، فكالشرط دون جزائه ، والمبتدأ دون خبره ، ونحو ذلك .

* * *

وقال غيره : الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب : تام ، وشبيهه به ، وناقص ، وشبيهه به ، وحسن ، وشبيهه به ، وقبيح ، وشبيهه به .

وقال ابن الجزرى : أكثر ما ذكر الناس في أقسام الوقف غير منضبط ولا منحصر ، وأقرب ما قلته في ضبطه : إن الوقف ينقسم إلى اختياري واضطرابي ، لأن الكلام إما أن يتم أولا ، فإن تم كان اختياريًا ، وكونه تامًا لا يخلو إما ألا يكون له تعلق بما بعده البتة — أى لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى — فهو الوقف المسمى بالتام لتامه المطلق يوقف عليه . ويتبدأ بما بعده ، ثم مثله بما تقدم في التام ^(١) .

قال : وقد يكون الوقف تامًا في تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على آخر ، نحو : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) تام ، إن كان ما بعده مستأنفا ، غير تام إن كان معطوفا . ونحو فواتح السور ، الوقف عليها تام إن أعربت مبتدأ والخبر محذوف أو عكسه ، أى ألم هذه ، أو هذه ألم ، أو مفعولا بـ « قُلْ » مقدرا غير تام إن كان ما بعده هو الخبر . ونحو ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ وَأَمَّا ﴾ ^(٣) ، تام على قراءة ﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ بكسر الخاء ، كاف على قراءة الفتح . ونحو ﴿ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ^(٤) ، تام على قراءة من رفع الاسم الكريم بعدها ، حسن على قراءة من خفض .

وقد يتفاضل التام ، نحو ﴿ مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ^(٥) كلاهما ، تام إلا أن الأول أتم من الثانى ، لاشتراك الثانى فيما بعده في معنى الخطاب بخلاف الأول ^(٦) .

وهذا هو الذى سماه هو بعضهم شبيها بالتام .

(٢) سورة آل عمران ٧
(٤) سورة سبأ ٦ ؟
(٦) النسر ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨

(١) النسر ١ : ٢٢٥
(٣) سورة البقرة ١٢٥
(٥) سورة الفاتحة ٤ ، ٣

ومنه ما يتأكد استحسانه لبيان المعنى المقصود به ، وهو الذى سماه السَّجَّادُ ندىً باللازم ، وإن كان له تعلق ، فلا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى فقط ، وهو المسمى بالكافى للاكتفاء به واستغنائه عما بعده ، واستغنائه ما بعده عنه ، كقوله : ﴿ وَتَمَارِزْنَاهُمْ بِمُفَقِّوْنَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٣) .

أو بتفاضل فى الكفاية كتفاضل التمام نحو ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ كاف ، ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ أكفى منه ، ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ ^(٤) أكفى منهما .

وقد يكون الوقف كافياً على تفسير وإعراب وقراءة ، غير كافٍ على آخر ، نحو قوله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ^(٥) كافٍ إن جعلت « ما » بعده نافية ، حسن إن فُتِرت موصولة .

﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٦) كافٍ إن أعراب ما بعده مبتدأ خبره ﴿ عَلَى هُدًى ﴾ ^(٧) . حسن إن جعل خبر ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(٨) ، أو خبر ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ ﴾ ^(٩) .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ ^(١٠) كافٍ على قراءة ﴿ أَمْ تَقُولُونَ ﴾ ^(١١) بالخطاب ، حسن على قراءة الْغَيْبِ .

﴿ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ كافٍ على قراءة مَنْ رَفَعَ ﴿ فَيَغْفِرُ ﴾ و﴿ يَعَذِّبُ ﴾ ^(١٢) ، حسن على قراءة مَنْ جَزَمَ .

وإن كان التعلق من جهة اللفظ ؛ فهو المسمى بالحسن ، لأنه فى نفسه حسن مفيد ، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى ؛ إلا أن يكون رأس آية ، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الأداء ، لمحيته عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث أم سلمة الآتى .

وقد يكون الوقف حسناً على تقدير ، وكافياً أو تاماً على آخر ، نحو ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١٣)

- (٢) سورة البقرة ٤
(٤) سورة البقرة ١٠
(٦) سورة البقرة ٤
(٨) سورة البقرة ٣
(١٠) سورة البقرة ١٣٩
(١٢) سورة البقرة ٢٨٤

- (١) سورة البقرة ٣
(٣) سورة البقرة ٥
(٥) سورة البقرة ١٠٢
(٧) سورة البقرة ٥
(٩) سورة البقرة ٤
(١١) سورة البقرة ١٤٠
(١٣) سورة البقرة ٢

حسن إن جعل مابعدنا ، كافٍ إن جعل خبر مقدّر ، أو مفعول مقدّر ، على القطع . تامّ إن جعل مبتدأ خبره ﴿ أولئك ﴾ .

وإن لم يتم الكلام ؛ كان الوقف عليه اضطرارياً ، وهو المسمّى بالقبيح ، لا يجوز تعمد الوقف عليه إلاّ لضرورة ، من انقطاع نفس ونحوه ، لعدم الفائدة أو لفساد المعنى ، نحو ﴿ صراط الذين ﴾ .^(١)

وقد يكون بعضه أقبح من بعض ، نحو ﴿ فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُؤَيَّة ﴾^(٢) ، لإيهامه أنها مع البنت شركاء في النصف .

وأقبح منه نحو : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾^(٣) ، ﴿ قَوْلِ لِلْمُصَلِّينَ ﴾^(٤) ، ﴿ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٥) .

فهذا حكم الوقف اختياريّاً واضطراريّاً .

وأما الابتداء فلا يكون إلاّ اختياريّاً ، لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز الإيمسقل بالمعنى موفٍ بالمقصود ، وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، وتتفاوت تماماً وكفاية وحسناً وقبحاً ، بحسب التمام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالاته ، نحو الوقف على ﴿ وَمِنْ النَّاسِ ﴾^(٦) ، فإنّ الابتداء بـ « الناس » قبيح ، و﴿ آمَنَّا ﴾ تامّ ؛ فلو وقف على ﴿ مَنْ يَقُولُ ﴾ كان الابتداء بـ « يقول » أحسن من الابتداء بـ « مَنْ » .

وكذا الوقف على ﴿ ختم الله ﴾^(٧) قبيح ، والابتداء بـ « الله » أقبح وبـ « ختم » كافٍ . والوقف على ﴿ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ و﴿ المسيح ابن الله ﴾^(٨) قبيح ، والابتداء بـ ابن أقبح ، وبـ عزير والمسيح أشدّ قبحاً .

ولو وقف على ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ ﴾^(٩) ضرورة ، كان الابتداء بالجلالة قبيحاً ، وبـ « وعدنا » أقبح منه وبـ « ما » أقبح منهما .

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٦) سورة البقرة ٨

(٩) سورة الأحزاب

(٢) سورة النساء ١١

(٥) سورة النساء ٤٣

(٨) سورة التوبة ٣٠

(١) سورة الفاتحة ٦

(٤) سورة الماعون ٤

(٧) سورة البقرة ٧

وقد يكون الوقف حسناً والابتداء به قبيحاً ، نحو : ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِنَّا كُنَّا﴾^(١) الوقف عليه حسن ، والابتداء به قبيح ، لفساد المعنى ، إذ يصير تحذيراً من الإيمان بالله . وقد يكون الوقف قبيحاً والابتداء جيداً ، نحو ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾^(٢) ، الوقف على « هذا » قبيح لفصله بين المبتدأ وخبره ، ولأنه يوهم أن الإشارة إلى المرقد ، والابتداء بهذا كافٍ أوتاماً لاستثناؤه .

تنبيهات

الأول : قولهم : لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا كذا ، قال ابن الجزرى : إنما يريدون به الجواز الأدائى ؛ وهو الذى يحسن فى القراءة ويروق فى التلاوة ، ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه ؛ اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراداه الله ، فإنه يكفر فضلاً عن أن يأنم^(٣) .

الثانى : قال ابن الجزرى أيضاً : ليس كل ما يتعسف به بعض العربيين أو يتكلفه بعض القراء ، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضى وفقاً أو ابتداءً ينبغى أن يعتمد الوقف عليه ، بل ينبغى تحرّم المعنى الأتم ، والوقف الأوجه ؛ وذلك نحو الوقف على : ﴿وَارْحَمْنَا أَنْتَ﴾ والابتداء ﴿مَوْلَانَا فَأَنْصُرُنَا﴾^(٤) على معنى النداء .

ونحو ﴿ثُمَّ جَاءَكَ يَخْلِفُونَ﴾ ، ويتبدى ﴿بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾^(٥) .

ونحو ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكْ﴾^(٦) ، ويتبدى ﴿بِاللّهِ إِنْ الشَّرْكَ﴾ ، على معنى القسم .

ونحو ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ ويتبدى ﴿اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧) .

(١) سورة الممتحنة ١
(٢) النمل ١ : ٢٣ مع اختصار وتصرف (٤) سورة البقرة ٢٥٦
(٥) سورة النساء ٦٢
(٦) سورة لقمان ١٣
(٧) سورة الإنسان ٣٠

ونحو ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ، ويتندى ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ ^(١) .
فكله تعسف وتمحل وتحريف للكلم عن مواضعه ^(٢) .

الثالث : يفتقر في طول الفواصل والقصص والجل المعترضة ونحو ذلك وفي حالة جمع القراءات وقراءة التحقيق والتزيل مالا يفتقر في غيرها ، فربما أجزى الوقف والابتداء لبعض ما ذكر ، ولو كان لغير ذلك لم ينبج ، وهذا الذي سماه السجائدي المرخص ضرورة ، ومثله بقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ ^(٣) .

قال ابن الجزري : والأحسن تمثيله بنحو ﴿قَبِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ^(٤) وبنحو ﴿النَّبِيِّينَ﴾ ^(٥) ، وبنحو ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ ^(٦) ، وبنحو ﴿عَاهَدُوا﴾ ^(٧) ، وبنحو كل من فواصل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ إلى آخر القصة ^(٨) .

وقال صاحب المستوفى ^(٩) : النحويون يكرهون الوقف الناقص في التزيل مع إمكان التام ، فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام ، حسن الأخذ بالناقص ، كقوله : ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ إلى قوله : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ، إن كسرت بعده إن ، وإن فتحها فإلى قوله : ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لُبَدًا﴾ ^(١٠) .

* * *

قال : ومحسن الوقف الناقص أمور منها أن يكون لضرب من البيان ، كقوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فإن الوقف هنا يبين أن ﴿قِيمًا﴾ ^(١١) منفصل عنه ، وأنه حال في نية التقديم . وكقوله : ﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ ^(١٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي . ومنها أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف ، نحو ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوتَ كِتَابِيَّةً﴾ * ولم أدر ما حسابيئة ^(١٣) .

(١) سورة البقرة ١٥٨

(٢) سورة البقرة ٢٢

(٣) سورة البقرة ٦١

(٤) سورة النحر ١ : ٢٣٦

(٥) النحر ١ : ٢٣١

(٦) سورة البقرة ١٧٧ الأحزاب ١٥

(٧) سورة البقرة ١٧٧ (٨) سورة البقرة ١٧٧

(٩) هو جمال الدين أبوسعد علي بن مسعود بن محمود

ابن أحمد بن الحكيم الفرغاني ، وكتاب المستوفى منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم — ١٧٦١ — نجد

(١٠) سورة الكهف ١ ، ٢

(١١) سورة الجن ١ — ١٩

(١٢) سورة الحافة ٢٥ ، ٢٦

(١٣) سورة النساء ٢٣

قال ابن الجزرى : وكما اغتفر الوقف لما ذكر ، قد لا يغتفر ولا يحسن فيما قصر من الجمل ، وإن لم يكن التعلق لفظيا ، نحو ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾ ^(١) ، ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ ﴾ ^(٢) ؛ لقرب الوقف على ﴿ بِالرَّسْلِ ﴾ ^(٣) وعلى ﴿ الْقُدْسِ ﴾ ^(٤) . وكذا يراعى فى الوقف الازدواج ، فى وصل ما بوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه وانقطع تعلقه بما بعده لفظا ، وذلك من أجل ازدواجه ، نحو ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ — مع — وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ^(٥) . ونحو ﴿ مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ — مع — وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ، ونحو ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ — مع — وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَنَحْوُ ﴾ ^(٧) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ — مع — وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا ﴾ ^(٨) .

الرابع : قد يحيزون الوقف على حرف [ويحيز آخرون الوقف ^(٩)] على آخر ، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد ؛ فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر ، كمن أجاز الوقف على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فإنه لا يحيزه على ﴿ فِيهِ ﴾ ، والذي يحيزه على ﴿ فِيهِ ﴾ ، لا يحيزه على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ ^(١٠) .

وكالوقف على ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ﴾ ، فإن بينه وبين ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ ^(١١) مراقبة . والوقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فإن بينه وبين ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(١٢) مراقبة . قال ابن الجزرى : وأول من نبه على المراقبة فى الوقف أبو الفضل الرازى ، أخذه من المراقبة فى العروض ^(١٣) .

الخامس : قال ابن مجاهد : لا يقوم بالتمام فى الوقف إلا نحوى عالم بالقراءات ، عالم

- | | |
|---|--|
| (١) سورة البقرة ٨٧ | (٢) سورة البقرة ١٣٤ |
| (٣) سورة البقرة ٢٠٣ | (٤) سورة فاطر ١٣ |
| (٥) سورة فصلت ٤٦ ، وانظر النشر ١ : ٢٣٧ (٦) من النشر | (٧) سورة البقرة ٢ |
| (٨) سورة البقرة ٢٨٢ | (٩) سورة آل عمران ٧ |
| (١٠) المقتضب وهو أن يكون الجزء مرة مفاعيل . ومرة مفاعيلين وانظر النشر ١ : ٢٣٧ | (١١) المراقبة فى العروض ، تأتى فى عروض المضارع |
| (١٢) الإفتان — ج ١ | |

بالتفسير والتعصص وتحليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن .

وقال غير متوكلنا علم الله ، ولهذا من لم يقبل شهادتنا الخاف وإن تاب ، وقف عند قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ^(١) . وعن مروح بذلك التكرار ، قال في كتب الوقف : لا بد للقرئ من معرفة بعض مذاهب الأئمة المشهورين في اللغة ، لأن ذلك يسير على معرفة لوقف والابتداء ؛ لأن في القرآن مواضع يبنى الوقف على مذهب بعضهم ، ويمتنع على مذهب آخر .

فما احتججه إلى علم النحو وتقديراته ، فلأن من جل ﴿ مِثْلَهُ أَيْكُمُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(٢) متصلاً على الإغراء ، وقف على ما قبله ، أو أعمل فيما قبله فلا [وقف] .
وأما احتججه إلى القراءات ، فها تقدم من أن الوقف قد يكون ثلثاً على قرائته غير تامة على أخرى .

وأما احتججه إلى التفسير ، فلهذا إنا وقف على ﴿ فَأَيُّهَا عِزَّةٌ عَلَيْهِمْ أَرْعِينَ مَنَ ﴾ ^(٣) كان للنبي : إياها عِزَّةٌ عليهم هذه المدة ، وإنا وقف على ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ كان النبي إياها عِزَّةٌ عليهم أبداً ، وأن التيمار سين ؛ فرجع في هذا إلى التفسير . وقد تقدم أيضاً أن الوقف يكون ثلثاً على تفسير وإعراب ، غير تام على تفسير وإعراب آخر .

وأما احتججه إلى التي قسروا ، لأن مرة تقاطع الكلام إتماماً تكون بعد معرفة مثله ، كقوله : ﴿ وَلَا يَجْزُكَ قَوْلُهُمْ إِلَى الْعِزَّةِ ﴾ ^(٤) قوله : ﴿ إِلَى الْعِزَّةِ ﴾ استئناف لا قولهم . وقوله : ﴿ وَلَا يَحْلُونَ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ ﴾ ^(٥) ويحلى ﴿ أَنْتَا ﴾ ؛ وقال الشيخ عز الدين الأحسن الوقف على ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، لأن إضاعة الآية إلى الآيات أولى من إضاعة علم الوصول إليها ، لأن الراد إلى آيات المعانيها موقوف عليها بالسرقة ، ولم تمتع عنهم فزعون وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه ﴾ ويحلى ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ^(٦)

(١) سورة البقرة ٤

(٢) سورة الأئمة ٢١

(٣) سورة القصص ٢٥

(٤) سورة الحج ٢٨

(٥) سورة يونس ٦٥

(٦) سورة يوسف ٢٤

على أن المعنى: «لولا أن رأى برهان ربه لم بها»؛ قدّم جواب «لولا» ليكون فهمتضيا،
فيلم بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير.

السادس: حكى ابن برهان النحوى عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، أنه
ذهب إلى أن تقدير الوقوف عليه من القرآن بالتام والناقص والحسن والقيح، وتسميته
بذلك بدعة، ومتعمد الوقوف على نحوه مبتدع، قال: لأن القرآن معجز وهو كاتمة
الواحدة، فكلمه قرآن وبعضه قرآن، وكلمه تام حسن، وبعضه تام حسن.

السابع: لأئمة الفراء مذاهب في الوقف والابتداء، فقلع كلن يرأى مجلسها بحسب
المعنى، وابن كثير وحمة حيث يقطع النفس. واستثنى ابن كثير ﴿وَمَا يَسْمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
الله﴾^(١)، ﴿وَمَا يَشْعُرْكُمْ﴾^(٢)، ﴿إِنَّمَا يَسْمُ بَشَر﴾^(٣)، فتمد الوقف عليها. وعلم
والكأنى حيث تم الكلام، وأبو عمرو يتعذر عوس الآى ويقول: هو أحب إلى قد
قال بعضهم: إن الوقف عليه ستة.

وقال البيهقى في الشعب وآخرون: الأفضل الوقف على عوس الآيات، وإن تعلق
بما بعدها، أتبعنا الهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته.

روى أبو داود وغيره عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كلن إذا قرأ قل
قراءته آية آية، يقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾،
ثم يقف، ﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف.

الثامن: الوقف والقطع والسكت، عبارات يُطلقها المتقدمون غالبا، مرادها
الوقف، والتأخرون، فرقوا قالوا:

القطع : عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة ، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها ، وهو الذى يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ، ولا يكون إلا على رأس آية ، لأنّ رءوس الآى فى نفسها مقاطع ؛ أخرج سعيد بن منصور فى سننه ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، أنه قال : كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآية ويدعوا بعضها . إسناده صحيح . وعبد الله بن أبي الهذيل تابعى كبير ، وقوله : « كانوا » ، يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك .

والوقف : عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لانبثاق الإعراض ، ويكون فى رءوس الآى وأواسطها ، ولا يأتى فى وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسماً .

والسكت : عبارة عن قطع الصوت زمناً هودون زمن الوقف عادة من غير تنفس . واختلفت ألفاظ الأئمة فى التأدية عنه ، مما يدل على طوله وقصره ؛ فعن حمزة فى السكت على الساكن قبل الهمزة سكتة بسيرة ، وقال الأثنانى : قصيرة ، وعن الكسائى . سكتة مختلصة من غير إشباع . وقال ابن غلبون : وقفة بسيرة ، وقال مكى : وقفة خفيفة . وقال ابن شريح : وقفة . وعن قتية : من غير قطع نفس ، وقال الدائى : سكتة لطيفة من غير قطع . وقال الجعبرى : قطع الصوت زمناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النفس ، لأنه أن طال صار وقفاً ؛ فى عبارات أخر .

قال ابن الجزرى : والصحيح أنه مقيد بالسماح والنقل ، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به ، لمعنى مقصود بذاته . وقيل : يجوز فى رءوس الآى ، مطلقاً حالة الوصل لقصد البيان . وحمل بعضهم الحديث الوارد على ذلك ^(١) .

* * *

ضوابط

١ — كل ما فى القرآن من « الذى » و « الذين » ، يجوز فيه الوصل بما قبله نعمًا ، والقطع على

أنه خبر ، إلا في سبعة مواضع ، فإنه يتعمّن الابتداء بها .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ﴾ ^(١) ، في البقرة .

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ ^(٢) ، فيها وفي الأنعام أيضا .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ ^(٣) ، في البقرة .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ ^(٤) ، في براءة .

﴿ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ ﴾ ، في الفرقان ^(٥) .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ ^(٦) ، في غافر .

وفي الكشف في قوله : ﴿ الَّذِي يُوسُّوس ﴾ ^(٧) ، يجوز أن يقف القارىء على الموصوف

ويبتدىء « الذي » إن حملته على القطع ، بخلاف ما إذا جعلته صفة .

وقال الرماني : الصفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها ، وإن

كانت للمدح جاز ، لأن عاملها في المدح غير عامل الموصوف ^(٨) .

* * *

٢ — الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ، إن كان منقطعا ، فيه مذاهب :

الجواز مطلقا ، لأنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه .

والمنع مطلقا ، لاحتياجه إلى ما قبله لفظا ، لأنه لم يعمد استعمال « إلا » وما في معناها إلا

متصلة بما قبلها ، ومعنى ، لأن ما قبلها مشعر بتمام الكلام في المعنى ، إذ قولك : ما في الدار أحد

هو الذي صحح « إلا الحمار » ، ولو قلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأ .

والثالث التفصيل ؛ فإن صرح بالخبر جاز لا استقلال الجملة واستغنائها عما قبلها ، وإن

لم يصرح به فلا ، لا افتقارها . قاله ابن الحاجب في أماليه .

(٢) سورة البقرة ١٤٦ وفي الانعام ٢٠

(٤) سورة التوبة ٢٠

(٦) سورة غافر ٧

(٨) البرهان ١ : ٣٥٨

(١) سورة البقرة ١٢١

(٣) سورة البقرة ٢٧٥

(٥) سورة الفرقان ٤٣

(٧) سورة الناس ٥

٣ — الوقف على الجملة التداخية جاز، كما نقله ابن الحاجب عن المحققين، لأنها مستقلة وما بعدها جملة أخرى، وإن كانت الأولى تتعلق بها

٤ — كل ما في القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه، لأن ما بعده حكاية .
قوله الموحى في تفسيره .

٥ — كلاً في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، منها سبعة للردع أخلاقاً، فيوقف عليها، وذلك :

﴿عَنْهَا﴾ * كلاً ﴿ في مريم ^(١) .

﴿عَزَّاهُ﴾ * كلاً ﴿ ^(٢) في مريم .

﴿أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ * قَالَ كلاً ﴿ ^(٣) في الشعراء .

﴿إِنَّا لَنَذَرُكَوْنَ﴾ * قَالَ كلاً ﴿ ^(٤) في الشعراء .

﴿شُرَكَاءَ﴾ * كلاً ﴿ ^(٥) في سبأ .

﴿أَنْ أَرْبِدَ﴾ * كلاً ﴿ ^(٦) في الدثر .

﴿أَتَى الْقَرْيَةَ﴾ * كلاً ﴿ ^(٧) في القيلة .

والباقي منها لم يصرح في حقاها، فلا يوقف عليه، ومنها ما احتل الأمر في فيه الوجهان .

وقال مكي : هي أربعة أقسام : الأول ما يحسن الوقف فيه عليها على معنى الردع وهو

الاختيار، ويجوز الإيتلاء بها على معنى «حاشا»، وذلك أحد عشر موضعاً :

اثنان في مريم، وفي قد أفلح جوسياً، واثنان في الطرح، واثنان في الدثر : ﴿أَنْ أَرْبِدَ﴾

كلاً ﴿ ^(٨) ، ﴿مُنْشَرَّةً﴾ * كلاً ﴿ ^(٩) ، ﴿بِوَقِّ الطَّقِيقِ﴾ (أساطير الأولين) * كلاً ﴿ ^(١٠) ، ﴿بِوَقِّ الصَّيْرِ﴾

﴿أَمَانٍ﴾ * كلاً ﴿ ^(١١) ، وفي القمرة ﴿أَخْلَدَ﴾ * كلاً ﴿ ^(١٢) .

(١) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩ (٢) سورة مريم ٨١ ، ٨٢ (٣) سورة الشعراء ١٥ ، ١٥

(٤) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٥) سورة سبأ ٢٧ (٦) سورة الدثر ١٥ ، ١٦

(٧) سورة القيلة ١١ ، ١١ (٨) سورة الدثر ١٥ ، ١٦ (٩) سورة الدثر ٥٢ ، ٥٣

(١٠) سورة الطق ١٣ ، ١٤ (١١) سورة الصير ١٦ ، ١٧ (١٢) سورة القمرة ٣ ، ٤

الثاني : ما يحسن الوقف عليها ولا يجوز الابتداء بها ، وهو موصوفان في الثمراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴾ قال كلاً^(١) ، ﴿ إِنَّا لَنُدْرِكُكُمْ ﴾ قال كلاً^(٢) .

الثالث : ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها ، بل توصل بغيرها وما يبدع ، وهو موصوفان في عم والنكار : ﴿ تُمْ كَلَّا سَيَكُونُ ﴾^(٣) ، ﴿ تُمْ كَلَّا سَوْفَ تَكُونُ ﴾^(٤) .

الرابع : ما لا يحسن الوقف عليها ، ولكن يُبتدأ بها ، وهو الثمانية عشر البقية .

٦ — يلي في القرآن في اثنين وعشرين موصفاً ، وهي ثلاثة أقسام :
الأول : ما لا يجوز الوقف عليها إجماعاً الخلق ما يبدع بما قبلها ، وهو ستة مواضع :
في الأنعام : ﴿ يَلِيَّ هَدْيًا ﴾^(٥) .

في النحل : ﴿ يَلِيَّ وَغَدًا عَلَيْهِ حَنًا ﴾^(٦) .

في ساء : ﴿ قُلْ يَلِيَّ هَدْيٌ لِّتَأْتِيَكُمْ ﴾^(٧) .

في الزمر : ﴿ يَلِيَّ قَدَامَتِكَ ﴾^(٨) .

في الأحقاف : ﴿ يَلِيَّ هَدْيًا ﴾^(٩) .

في التين : ﴿ كُلُّ يَلِيَّ هَدْيٍ ﴾^(١٠) .

في القيلة : ﴿ يَلِيَّ قَادِرِينَ ﴾^(١١) .

الثاني : ما فيه خلاف هو الاختيار التبعي فلك حجة مواضع :

في البقرة : ﴿ يَلِيَّ وَتَكُنْ لِيَكُنَّ قَالِي ﴾^(١٢) .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

(٤) سورة النكار ٢

(٦) سورة النحل ٢٨

(٨) سورة الزمر ٥٩

(١٠) سورة التين ٧

(١٢) سورة البقرة ٢٦٠

(١) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥

(٣) سورة التين ٤

(٥) سورة الأنعام ٢٠

(٧) سورة ساء ٢

(٩) سورة الأحقاف ٢٦

(١١) سورة القيلة ٤

في الزمر : ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتْ﴾ ^(١) .

في الزخرف : ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا﴾ ^(٢) .

في الحديد : ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ ^(٣) .

في تبارك : ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا﴾ ^(٤) .

الثالث : ما الاختيار جواز الوقف عليها ؛ وهو العشرة الباقية .

* * *

٧ — نعم في القرآن في أربعة مواضع :

في الأعراف : ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنِ﴾ ^(٥) ، والختار الوقف عليها ؛ لأن ما بعدها غير متعلق بما قبلها ، إذ ليس من قول أهل النار .

وفيها وفي الشعراء : ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذْنُ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ^(٦) .

وفي الصافات : ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ ^(٧) . والختار لا يوقف عليها ، لتعلق ما بعدها بما قبلها ، لاتصاله بالقول .

ضابط

قال ابن الجزري في النشر : كل ما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده ^(٨) .

* * *

فصل في كيفية الوقف على أواخر الكلم

للوقف في كلام العرب أوجه متعددة ؛ والمستعمل منها عند ثمة القراءة تسعة : التكون ، والروم ، والإشمام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام ، والحذف ، والإثبات ، والإلحاق .

(٢) سورة الزخرف ٨٠

(٤) سورة الملك ٩

(١) سورة الزمر ٧١

(٣) سورة الحديد ١٤

(٥) سورة الأعراف ٤٤

(٦) سورة الشعراء ٤٢ ، وفي الأعراف ١١٤ ، وفيها : ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ .

(٨) النصر ١ : ٢٣٤

(٧) سورة الصافات ١٨

فأما السكون ، فهو الأصل في الوقف على الكلم المحركة وصلًا ، لأن معنى الوقف التّرك والقطع ، ولأنه ضدّ الابتداء ، فكما لا يُبتدأ بما كن لا يُوقف على متحرك ، وهو اختيار كثير من القراء .

وأما الرّؤم : فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة ، وقال بعضهم : تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها . قال ابن الجزرى : وكلا القولين واحد . ويختص بالرفوع والمجزوم والمضوم والمكسور ، بخلاف المفتوح ؛ لأنّ الفتحّة خفيفة ، إذا خرج بعضها خرج ساثرها ، فلا تقبل التبعيض .

وأما الإشمام : فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت . وقيل : أن تجعل شفّتك على صورتها ، وكلاهما واحد . ويختص بالضمّة ، سواء كانت حركة إعراب أم بناء ؛ إذا كانت لازمة ، أما العارضة وميم الجمع عند من ضمّ وهاء التانيث فلا روم في ذلك ولا إشمام . وقيد ابن الجزرى هاء التانيث بما يوقف عليها بالهاء ، بخلاف ما يوقف عليها بالتاء للرسم . ثم إن الوقف بالرّؤم والإشمام ورد عن أبي عمرو والكوفيين نصًّا ، ولم يأت عن الباقيين فيه شيء ، واستعجه أهل الأداء في قراءتهم أيضا ؛ وفائدته بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ، ليظهر للسامع أو الناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها .

وأما الإبدال : ففي الاسم المنصوب المنون ، يوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ، ومثله إذن ، وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء ، يوقف عليه بالهاء بدلاً منها . وفيما آخره همزة متطرّقة بعد حركة أو ألف ، فإنه يوقف عليه عند حمزة بإبدالها حرف مدّ من جنس ما قبلها . ثم إن كان ألفًا جاز حذفها نحو ، اقرأ ، وتنبّ ، ويبدأ ، وإن امرؤ ، من شاطئ ، ويشاء ، ومن السماء ، ومن ماء .

وأما النقل : ففيها ما آخره همزة بعد ساكن ، فإنه يوقف عليه عند حمزة بنقل حركتها إليه ، فتحرك بهاء ثم تحذف هي ، سواء كان الساكن صحيحا - نحو دفعه ، ملء ، ينظر

للرء ، لكل باب منهم جزء ، بين الرء وقلبه ، بين الرء وزوجه ، يخرج الحبء ؛ ولا تلمن لها — أمها أو والوالأصليتين ؛ سواء كانتا حرف مد ، نحو السىء ، وحىء ، وضىء ، أن تبوء ، لتبوء ، وما علمت من سوء ، أم لين نحو شىء ، قوم سوء ، مثل سوء .

وأما الإدغام : فحيا آخره همز بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمز من جنس ما قبله ، نحو القسىء ، وبرىء ، وقروء .

وأما المحذف : ففي الإياءات الزوائد عند من يثبتها وصلًا ، ومحذفها وقفا . وياءات الزوائد — وهى التى لم ترسم — مائة إحدى وعشرون ، منها خمس وثلاثون فى حشوالآى ، والباقي فى رموس الآى ؛ فنافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى وأبو جعفر يثبتونها فى الوصل دون الوقف ، وابن كثير ويعقوب يثبتان فى الحالين ، وابن عامر وعاصم وحلف يحذفون فى الحالين ، وربما خرج بعضهم عن أصله فى بعضها .

وأما الإثبات : ففي الإياءات المحذوفات وصلًا عند من يثبتها وقفاً ، نحو هادٍ ، ووالٍ ، وواقٍ ، وواقٍ .

وأما الإلحاق : فما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يلحقها فى عم ، وفيهم ، وبم ، ولم ، ومم ، والنون المشددة من جمع الإناث ، نحوهن ، ومثلهن ، والنون المفتوحة ، نحو العالمين ، والذين ، والمفلحون ، والشدد ، المبني ، نحو ألا تملؤ على ، وخلقت بيدى ، ومصرخى ، ولدى .

* * *

قاعدة

أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية فى الوقف إبدالاً وإثباتاً ، وحذفاً ووصلاً وقطعاً ، إلا أنه ورد عنهم اختلاف فى أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالهاء ، وبالإلحاق الهاء فيما تقدم وغيره ، وإثبات الياء فى مواضع لم ترسم بها ،

والواقف « ويدع الإنسان » « يوم يدع الداع » ، « ستدع الزبانية » ، و « يمح الله الباطل »
والآلف في « آية المؤمن » ، « آية الساحر » ، « آية الغلان » .

وتحذف النون في « كآين » حيث وقع ، فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء ويوصل
« آيائاً » في الإسراء ، ومال في النساء ، والكهف والفرقان وسأل . وقطع ، « ويكأن »
« ويكأنه » ، « وألأيسجلوا » .

ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع .

النوع التاسع والبشرون
في بيان الموصول لفظاً والمفصول معنى

هو نوع مهم جدير أن يفرد بالتصنيف ؛ وهو أصل كبير في الوقف ، ولهذا جعلته عقبه ، وبه يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فَمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، فإن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق ؛ وصرح به في حديث أخرجه أحمد والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه من طريق الحسن عن سمرة مرفوعاً ، وأخرجه ابن أبي حاتم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس ، لكن آخر الآية مشكل ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء ، وآدم نبي مكرم ، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعاً ، وقد جر ذلك بعضهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء ، وأنها في رجل وزوجته كانا من أهل الملل ، وتعدى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارتهم ؛ وما زالت في وقفة من ذلك ، حتى رأيت ابن أبي حاتم قال : أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم ؛ حدثنا أحمد بن مفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) قال : هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب .

وقال عبدالرازق : أخبرنا ابن عيينة ، سمعت صدقة بن عبد الله بن كثير المسكي ، يحدث عن السدي ، قال : هذا من الموصول المفصول .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حمزة ، حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : هذه مفصلة ، إطاعاه في الولد ، ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، هذه لقوم محمد ؛ فاتحلت عنى هذه العقدة ، وانجملت لى هذه المعضلة

وانضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء ﴿فِي آتَاهُمَا﴾ ، وأن مابعده تخلص إلى قصة العرب ، وإشراكهم الأصنام . ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد الثنية ، ولو كانت القصة واحدة لقال : « عَمَّا يَشْرِكُونَ » كقوله ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا فَاِذَا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا﴾ ^(١) ، وكذلك الضمائر في قوله بعده : ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ ^(٢) ، ومابعده إلى آخر الآيات ؛ وحسن التخلّص والاستطراد من أساليب القرآن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ...﴾ ^(٣) الآية ، فإنه على تقدير الوصل يكون : « الراسخون يعلمون تأويله » وعلى تقدير الفصل بخلافه . وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الشَّثَاءِ وَأَبِي نَهْيِكَ ، قالا : إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة . ويؤيد ذلك كون الآية دلت على ذم متبعي المشابهة ووصفهم بالزيغ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(٤) فإن ظاهر الآية يقتضي أن القصر مشروط بالخوف ، وأنه لا يقصر مع الأمن ، وقد قال به إظهار الآية جماعة منهم عائشة ، لكن بين سبب النزول أن هذا من الموصول ، فأخرج ابن جرير من حديث عليّ ، قال : سأل قوم من بني النجار ^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إننا نضرب في الأرض ، فكيف نصلي ؟ فأنزل الله : ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي ، فلما كان بعد ذلك بحول ، غزا النبي صلى الله عليه وسلم ، فصلّى الظهر ، فقال المشركون : لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم ، هلا شددتم عليهم ! فقال قائل منهم : إن لهم أخرى مثلها في أثرها ، فأنزل الله بين الصلاتين : ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله . ﴿عَذَابًا مِهينًا﴾ ، فترلت صلاة الخوف ؛ فتبين بهذا الحديث أن قوله : ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ شرط فيما بعده ، وهو صلاة الخوف لافي صلاة القصر ، وقد قال ابن جرير : هذا تأويل في

(٢) سورة الأعراف ١٩١

(٤) سورة النساء ١٠١

(١) سورة الأعراف ١٩٠

(٣) سورة آل عمران ٧

(٥) في الطبري : « من النجار » .

الآية حسن ؛ لولم تكن في الآية « إذا » ^(١) .

قال ابن القيس : ويصح مع « إذا » على جعل الواو زائدة .

قلت : يعنى ويكون من اعتراض الشرط على الشرط ، وأحسن منه أن يجعل « إذا » زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها .

وقال ابن الجوزى فى كتابه التفسير : قد تآى العرب بكلمة إلى جانب كلمة أخرى كأنها معها ، وهى غير متصلة بها ، وفى القرآن : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ^(٢) هذا قول اللأ ، فقال فرعون : ﴿ فَأَإِذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ^(٣) .

ومثله : ﴿ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٤) . انتهى كلامها ، قال يوسف : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ^(٥) .

ومثله : ﴿ إِنْ الْمُلُوكُ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ^(٦) هذا انتهى قولها ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٧) .

ومثله : ﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ^(٨) انتهى قول الكفار ، قالت الملائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ . وأخرج ابن أبى حاتم عن قتاده فى هذه الآية ، قال : آية من كتاب الله : أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى ، قالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ، هذا قول أهل النفاق ، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

وأخرج عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُكُمْ إِنْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٩) قال : وما يدريك أنهم يؤمنون إذا جاءت ! ثم استقبل بخبر قال : ﴿ إِنْهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

(٢) سورة الأعراف ١١٠

(٤) سورة النمل ٣٤

(٦) سورة الأنعام ١٠٩ ، بكسر همزة إن ،

(١) تفسير الطبرى ٩ : ١٢٧

(٣) سورة يوسف ٥٢ ، ٥١

(٥) سورة يس ٥٢

ومى قراءة أبى عمرو ابن كثير أيضا - وانظر تفسير القرطى ٧ : ٦٤

التعريف بالفتوح والإمامة
في الإمامة والفتح والتأنيث

أفرده بالتعريف جماعة من القراء منهم ابن القماص ^(١) عمل كتابه : قرّة العين في الفتح والإمامة وبين القفطين .

قال الداني : الفتح والإمامة لغتان مشهورتان قاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن باقتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمامة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ، قال : والأصل فيها حديث حذيفة مرفوعاً : « اقرعوا القرآن بفتح العرب وأصواتها ، وإياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين » ، قال : فالإمامة لاشك من الأحرف السبعة ، ومن لحون العرب وأصواتها .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء ، قال : يعني بالألف والياء التفخيم والإمامة .

وأخرج في تاريخ القراء من طريق أبي عاصم الضرير الكوفي ، عن محمد بن عبد الله ^(٢) ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، قال : قرأ رجل على عبد الله بن مسعود « طه » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر الطاء والماء ، فقال الرجل « طه » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر الطاء والماء ، فقال الرجل : « طه » ولم يكسر ، فقال عبد الله : « طِه » وكسر ثم قال : هكذا علّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن الجزري : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ورجاله ثقات

(١) هو علي بن عثمان بن محمد ، المعروف بابن القماص ، شارح الشاطبية وكتاب قرّة العين وغيرهما من

القراءات ، توفي سنة ٨٠١ . الجواهر المضية ١ : ٢٦٦

(٢) في الأصول : « عبيد » وما أثبتته من النشر

إلا محمد عبید الله ، وهو الغزرمی^(١) ، فإنه ضعيف عند أهل الحديث ، وكان رجلاً صالحاً ، لكن ذهب كُتبه فكان يحدث من حفظه ، فأُتِيَ عليه من ذلك^(٢) . قلت : وحديثه هذا أخرجه ابن مردويه في تفسيره وزاد في آخره : وكذا أنزل بها جبريل .

وفي جمال القراء ، عن صفوان بن عسال ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ يا يحيى ﴾ ، فقليل له : يارسول الله ، تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال : هي لغة الأخوال بنى سعد .

وأخرج ابن أشقة ، عن أبي حاتم قال : احتجّ الكوفيون في الإمامة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات ، فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات . الإمامة أن ينحَوَ بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً ، وهو المحض . ويقال له : الإضجاع والبطح والكسر قليلاً وهو بين اللفظين ، ويقال له أيضاً : التقايل والتلطيف ، وبين بين ، فهي قسمان : شديدة ومتوسطة ، وكلاهما جائز في القراءة ، والشديدة يختب معها القلب الخالص ، والإشباع المبالغ ، فيه والمتوسطة ، بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة .

قال : الداني : وعلمائونا مختلفون أيهما أوجه وأولى ؟ وأنا أختار الإمامة الوسطى التي هي بين بين ؛ لأن الغرض من الإمامة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكستها للكسر المجاور لها أو الياء . وأما الفتح ؛ فهو فتح القارئ فاه بلفظ الحرف ، ويقال له التفتيح ، وهو شديد ومتوسط فالشديد هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ، ولا يجوز في القرآن بل هو معدوم في

(١) في النشر : « وأبو عامر هذا هو محمد بن عبد الله يقال له : الكنون ويعرف بالمسجدي ، ومحمد ابن عبيد الله شيخه هو الغزرمي الكوفي .
(٢) النشر ٢ : ٣١

لغة العرب ، والمتوسط ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة . قال الداني : وهذا هو الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء .

واختلفوا : هل الإمالة فرع عن الفتح ، أو كل منهما أصل برأسه ؟ ووجه الأول أن الإمالة لا تكون إلا لسبب ، فإن فقد لزوم الفتح ، وإن وجد جاز الفتح والإمالة ؛ فما من كلمة تُمال إلا في العرب من يفتحها ، فدل أطراد الفتح على أصلته وفعليتها .

* * *

والكلام في الإمالة من خمسة أوجه : أسبابها ، ووجوهها ، وفائدتها ، ومن يُميل ، وما يُتمال^(١) .

أما أسبابها فذكرها القراء عشرة ، قال ابن الجزري : وهي ترجع إلى شيتين : أحدهما الكسرة ، والثاني الياء ، وكل منهما يكون مقدماً على محل الإمالة من الكلمة أو متأخراً عنه ، ويكون أيضاً مقدراً في محل الإمالة . وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ولا مقدرتين في محل الإمالة ؛ ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريح الكلمة . وقد تُمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى مالة ، وتسمى هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تُمال الألف تشبيهاً بالألف المالة .

قال ابن الجزري : وتمال أيضاً بسبب كثرة الاستعمال . والفرق بين الاسم والحرف ، فتبلغ الأسباب اثني عشر سبباً . فأما الإمالة لأجل الكسرة السابقة ، فشرطها أن يكون الفاصل بينها وبين الألف حرفاً واحداً ، نحو كتاب وحساب — وهذا الفاصل إنما حصل باعتبار الألف ، وأما الفتحة المالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة — أو حرفين أوهما ساكن نحو إنسان ، أو مفتوحين والثاني هاء خلفائها .

(١) آخر الفصل ٢ : ٢٢ وما بعدها .

وأما الياء السابقة فإما ملاصقة الألف كالحياة، والأياى، أو منصولة بحرفين أحدهما الهاء كيدها.
وأما الكسرة المتأخرة، فسواء كانت لازمة نحو عابد، أم عارضة نحو من الناس، وفي
النار. وأما الياء المتأخرة فنحو مبيع، وأما الكسرة المقدرة فنحو خاف، إذا أصل «خوف».
وأما الياء المقدرة، فنحو يخشى والهدى وأبى والثرى، فإن الألف في كل ذلك متقلبة
عن ياء، تحركت وافتتح ما قبلها.

وأما الكسرة العارضة في بعض أحوال الكلمة، فنحو طاب، وجاء، وشاء، وزاد،
لأن الفاء تكسر من ذلك مع ضمير الرفع المتحرك.
وأما الياء العارضة كذلك نحو تلاو غزا، فإن الياء فيها عن واو، وإِنَّمَا أُمِيلَتْ
لانتقالها ياء في ثَبَلَى وَغَزَى.

وأما الإمالة لأجل الإمالة، فكإمالة الكسائي الألف بعد النون من «إِنَّ اللَّهَ» لإمالة
الألف من «لَهُ»، ولم يمل «وإِنَّا إِلِيهِ» لعدم ذلك بعده، وجعل من ذلك إمالة الضحى والقرى،
وضحاها، وتلاها.

وأما الإمالة لأجل الشبه، فإمالة ألف التانيث في نحو الحسنى، وألف موسى وعيسى
لشبهها بألف الهدى.

وأما الإمالة لكثرة الاستعمال، فكإمالة الناس في الأحوال الثلاث، على ما رواه
صاحب المنهاج.

وأما الإمالة للفرق بين الاسم والحرف، فكإمالة الفوايح كما قال سيبويه: إن إمالة باء وتاء
في حروف المعجم لأنها أسماء ما يلفظ به، فليست مثل ما ولا وغيرهما من الحروف^(١).

* * *

وأما وجوها: فأربعة، ترجع إلى الأسباب المذكورة. أصلها اثنان: المناسبة والإشعار؛
فأما المناسبة فقسم واحد، وهو فيما أُمِيلَ لسبب موجود في اللفظ. وفيما أُمِيلَ لإمالة غيره،
فإنهم أرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف المائل لسبب الإمالة من وجه
واحد، وعلى نمط واحد.

وأما الإشعار فثلاثة أقسام : إشعار بالأصل ^(١) ، وإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع ^(٢) ، وإشعار بالشبه ^(٣) المشعر بالأصل .

* * *

وأما فائدتها فسهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمثلاً أو الأصل .

* * *

أما من أمال فكل القراء العشرة إلا ابن كثير ، فإنه لم يمل شيئاً في جميع القرآن .

* * *

وأما ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات والكتب المؤلفة في الإمالة .

ونذكر هنا ما يدخل تحت ضابط :

خمزة والكسائي وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء ، حيث وقعت في القرآن ، في اسم أو فعل ؛ كلهدي ، والهوى ، والفتى ، والعمى ، والزنا ، وآتى ، وأبى ، وسمى ، ويخشى ، ويرضى ، واجتبى ، واشترى ، ومذوى ، وماوى ، وأدنى ، وأزكى .

وكل ألف تأتي على «فعل» بضم الفاء أو كسرهما أو فتحها ، كطوبى ، وبشرى ، وقضوى ، والقرنى ، والأثنى ، والدنيا ، وإحدى ، وذكرى ، وسيا ، وضيزى ، وموتى ، ومرضى ، والسوى ، والتقوى . وألحقوا بذلك موسى ، وعيسى ، ويحيى .

وكل ما كان على وزن «فعل» بالضم أو الفتح ، كسكاري ، وكسالى ، وأسارى ، ويتامى ، ونصارى ، والأياحى .

وكل ما رسم في المصاحف بالياء ، نحو بئى ، ومتى ، وبأسفى ، وبأوبائى ، وباحسرى ، وآتى للاستفهام . واستثنى من ذلك : حتى ، وإلى ، وعلى ، ولدى ، ومازكى ؛ فلم تمل بحال .

وكذلك أمالوا من الواوى ما كسر أوله أو ضم ، وهو الربا كيف وقع ، والضحي كيف جاء ، والقوى والعلى .

(١) النسر : « وذلك إذا كانت الألف المائلة منقلبة عن ياء أو عن واو مكسورة » .

(٢) النسر : « الإشعار بما يعرض في الكلمة في بعض المواضع من ظهور كسرة أو ياء حسبما تقتضيه التصاريف دون الأصل » .

(٣) النسر : « الإشعار بالشبه المشعر بالأصل ، وذلك كإمالة ألف التانيث والمعلق بها » .

وأما الوارد من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق ، وهي : طه ، والنجم ،
وسأل ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى
والعلق . ووافق على هذه السور أبو عمرو وورش .

وأما أبو عمرو وكل ما كان فيه راء بعد ألف ؛ بأى وزن كان ، كذكرى ، وبشرى ،
وأسرى ، وأراه ، واشترى ، ويرى ، والقرى ، والنصارى ، وأسارى ، وسكارى ،
ووافق على ألفات « فعلى » كيف أتت .

وأما أبو عمرو والكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة ، مجرورة ، نحو الدار ، والنار
والقهار ، والغفار ، والنهار ، والديار ، والكفار ، والأبكار ، وبقنطار ، وأبصارهم ،
وأوبارها ، وأشعارها ، وحمارك ؛ سواء كانت الألف أصلية أم زائدة .

وأما حمزة الألف من عين الفعل الماضى من عشرة أفعال ، وهي : زاد ، وشاء ، وجاء ،
وخاب ، وران ، وخاف ، وزاغ ، وطاب ، وضاق ، وحاق حيث وقعت ، وكيف جاءت .
وأما الكسائي هاء التانيث وما قبلها وقفا مطلقا بعد خمسة عشر حرفا يجمعها قولك :
« نجحت زينب لود شمس » ، فالهاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليحة ولجة ، والياء كشلاثة
وخبيثة ، والياء كبقعة والميعة ، والزاي كبارزة وأعزة ، والياء كخشية وشيبة ، والنون
كسنة وجنة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كليلة وثلة ، والذال كلذة والموقوذة ، والواو
كقسوة والمروة ، والدال كبلدة وعدة ، والشين كالفاحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ،
والسين كالخامسة وخمسة .

ويفتح مطلقا بعد عشرة حرف ، وهي : جاع وحروف الاستعلاء « قط خص ضفط » ، والأربعة
الباقية وهي « أ كهر » ، إن كان قبل كل منهما ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن
يميل ، وإلا يفتح .

وبقى أحرف فيها خلف وتفصيل ، ولا ضابط يجمعها ؛ فلتنظر من كتب الفن .

وأما فواتح السور ، فأما « الر » فى السور الخمسة حمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو
وابن عامر وأبو بكر ، وبين وبين ورش .

وأمال الهاء من فاتحة مريم وطه أبو عمرو والكسائي وأبو بكر .
وأمال حمزة وخلف طه دون مريم .
وأمال الياء من أول مريم من أمال « الر » ، إلا أبا عمرو على المشهور عنه .
ومن أول يس ، الثلاثة الأولون وأبو بكر .
وأمال هؤلاء الأربعة الطاء من طه ، وطسم ، وطس والهاء من حم في السور السبع ،
وواقفهم في الهاء ابن ذكوان .

* * *

خاتمة

كره قوم الإمامة الحديث « نزل القرآن بالتفخيم » ، وأجيب عنه بأوجه :

أحدها : أنه نزل بذلك ثم رخص في الإمامة .

ثانيها : أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه كلام النساء .

ثالثها : أن معناه أنزل بالشدة والغلظة على المشركين ، قال في جمال القراء : وهو بعيد
في تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضا بالرحمة والرافة .

رابعها : أن معناه بالتعظيم بالتبجيل ، أي عظموه ، ومجّلوه ، فخص بذلك على تعظيم
القرآن وتبجيله .

خامسها : أن المراد بالتفخيم تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع
المختلف فيها دون إسكانها ، لأنه أشيع لها وأنعم .

قال الداني : وكذا جاء مفسرا عن ابن عباس ، ثم قال : حدثنا ابن خاقان ، حدثنا
أحمد بن محمد ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا القاسم ، سمعت الكسائي يخبر عن
سلمان : عن الزهري ، قال : قال ابن عباس : نزل القرآن بالثقل والتفخيم ، نحو قوله :

«الجمعة» وأشبه ذلك من التثنية ، ثم أورد حديث الحاكم عن زيد بن ثابت مرفوعاً :
«نزل القرآن بالتضخيم» .

وقال محمد بن مقاتل أحد رواة : سمعت عمرا يقول : ﴿عُذْرًا أَوْ تَنْذَرًا﴾^(١)
و﴿الصَّادِقِينَ﴾ يعني بتحريك الأوسط في ذلك .

قال : ويؤيده قول أبي عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله لإحرفا واحدا :
«عشرة» فإهم يحزموه ، وأهل نجد يتركون التضخيم في الكلام ؛ إلا هذا الحرف فإنهم
يقولون «عشرة» بالكسر .

قال الداني : فهذا الوجه أولى في تفسير الخبر .

(١) سورة المرسلات ٦ ، وفي قراءة روح والحسن ، وانظر إتحاف فضلاء البشر ٤٣٠ وتفسير
القرطبي ١٩ : ١٥٤

(٢) سورة الكهف ٩٦ ، وانظر تفسير القرطبي ١١ : ٦١

التحريك الحادى والثلاثون فى الإدغام والإظهار والإختلاف والإقحام

أترد ذلك بالصنيف جملة من القراء .
الإدغام : هو التقطع بحرفين حرفاً كالثانى ، مشدداً . وينقسم إلى كبير وصغير :

[الإدغام الكبير]

قال الكبير ما كان أول الحرفين فيه متحركاً ، سواء كانا مثليين أم جنسين ، أم متقاربين ، ومضى كبيراً الكثرة وقوعه ، إذا الحركة أكثر من السكون . وقيل لتأثيره فى إسكان المتحرك قبل إدغامه ، وقيل لما فيه من الصعوبة ، وقيل : لشموله نوعى التلحين والجنسين والمتقاربين ، والمشهور بنسبته إليه من الأئمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء . وورد عن جماعة خارج العشرة ، كالحسن البصرى ، والأعمش ، وابن محيصن ، وغيرهم .
ووجهه : طلب التخفيف ، وكثير من المصنفين فى القراءات لم يذكره البتة كأبي عبيد فى كتابه ^(١) ، وابن مجاهد فى مسبته ^(٢) ، ومكي فى تبصرته ^(٣) ، والطنبكي فى روضته ^(٤) ، وابن سفيان فى هدايته ^(٥) ، وابن شريح فى كافيته ^(٦) ، والمهدوى فى هدايته ^(٧) وغيرهم .

- (١) هو الكتاب المسمى بالإمام ، قال صاحب النشر : كان أول إمام يعتبر جمع القراءات فى كتاب ، هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلها فيما أحسب خسة وعشرين فارقاً .
- (٢) هو كتاب السبعة لأبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، التوفى سنة ٣٢٤ ، ذكره صاحب النشر فى ١ : ٨١ ، وذكر طريق روايته عنه .
- (٣) التبصرة فى القراءات السبع ، لأبى محمد مكي بن أبى طالب القيسى التوفى سنة ٤٣٧ ، ذكره صاحب كنف الظنون ، وقال : « فى خسة أجزاء ، وهو من أشهر مصنفاته » .
- (٤) كتاب الروضة لأبى عمر أحمد بن عبد الله بن أبى الطلسكى الأندلسى التوفى سنة ٤٢٩ ، ذكره صاحب النشر فى الجزء الأول ص ٧١ .
- (٥) الهادى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن سفيان القيروانى التوفى سنة ٤١٥ ، ذكره صاحب كنف الظنون .
- (٦) الكافى فى القراءات السبع لأبى عبد الله محمد بن شريح التوفى سنة ٤٨٦ ، ذكره صاحب كنف الظنون .
- (٧) الهداية فى القراءات لأبى العباس أحمد بن عمار التوفى سنة ٤٣٠ ، ذكره فى كنف الظنون .

قال في تقريب النشر : ونعني بالمتماثلين ما اتفقا مخرجاً وصفة ، والمتجانسين ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة ، وبالتقاريين ما تقاربا مخرجاً أو صفة . فأما المدغم من المتماثلين ، فوقع في سبعة عشر حرفاً : وهى الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو « الكتاب بالحق » ، « الموت تحبسونهما » ، « حيث نفقتموه » ، « النكاح حتى » ، « شهر رمضان » ، « الناس سكارى » ، « يشفع عنده » ، « يبتغ غير الإسلام » ، « اختلف فيه » ، « أفاق قال » ، « أنك كنت » ، « لا قبل لهم » ، « الرحيم مالك » ، « نحن نسبح » ، « فهو ولهم » ، « فيه هدى » ، « يأتى يوم » .

وشرطه أن يلتقى المثلان خطأ ، فلا يدغم ^(١) في نحو « أنا نذير » من أجل وجود الألف ^(٢) ، وأن يكونا من كلمتين ، فإن التقيان كلمة فلا يدغم ، إلا في حرفين نحو « مناسيكم » في البقرة ، و « ماسلككم » في المدثر ، وألا يكون الأول تاء ضمير المتكلم أو خطاباً ، فلا يدغم ، نحو « كنت تراباً » ، « أفأنت تسمع » ، ولا مشدداً ، فلا يدغم نحو « مس مقر » ، « رب بما » ولا منوناً ، فلا يدغم نحو « غفور رحيم » ، « سميع عليم » . ^(٣) وأما المدغم من المتجانسين والتقاريين فهو ستة عشر حرفاً ، يجمعها : « رض سنشد بحتك بذل قم » ؛ وشرطه ألا يكون الأول مشدداً نحو « أشد ذكراً » ، ولا منوناً ، و « في ظلمات ثلاث » ؛ ولاتاء ضمير نحو « خاقت طينا » ، فالباء تدغم في الميم في « يعذب ن يشاء » فقط .

والتاء في عشرة أحرف : التاء « بالبينات ثم » ، والجيم « الصالحات جنات » ، والذال « السينات ذلك » ، والزاي « الجنة زمرا » ، والسين « الصالحات سندخلهم » ، ولم يغم « ولم يؤت سمة » للجزم مع خفة الفتحة ، والشين « بأربعة شهداء » ، والصاد « الملائكة صفاء » ، والضاد « والعاديات ضبحاً » ، والطاء « أقم الصلاة طرفي النهار » ، والظاء « الملائكة ظالمى » .

(١) عبارة تقريب النشر : « فيدغم نحو (إنه هو) ، ولا يمنع الصلة ويظهر في نحو (أنا نذير) .

(٢) التقريب : « وجود الألف خطأ » (٣) تقريب النشر ٩ ، ١٠ .

والتاء في خمسة أحرف : التاء «حيث تؤمرون» ، والذال «الحرث ذلك» ، والسين «وورث سايمان» ، والشين «حيث شتما» ، والضاد «حديث ضيف» .

والجيم في حرفين : الشين «أخرج شطأه» ، والتاء «ذى المعارج تعرج» .
والحاء في العين ، في «زحزح عن النار» فقط .

والذال في عشرة أحرف : التاء «المساجد تلك» ، «بعد تو كيدها» ، والتاء «يريد ثواب» ، والجيم «داود جالوت» ، والذال «القلائد ذلك» ، والزاي «يكاد زيتها» والسين «الأصفاد سرايلهم» ، والشين «شهد شاهد» ، والصاد «نفقد صواع» ، والضاد «من بعد ضراء» ، والظاء «يريد ظلما» . ولا تدغم مفتوحة بعد ساكن إلا في التاء لقوة التجانس .
والذال في السين في قوله : «فاتخذ سبيله» ، والصاد في قوله : «ما اتخذ صاحبة» .
والراء في اللام ، نحو «هنّ أظهر لكم» «المصير لا يكلف» ، «والنهار آيات» . فإن فتحت وسكن ما قبلها لم تدغم ، نحو «والحمير لتركبوها» .

والسين في الزاي في قوله : «وإذا النفوس زوجت» ، والشين في قوله : «الرأس شيبا» .
والشين في السين في «ذى العرش سبيلا» فقط . والضاد «لبعض شأنهم» فقط .

والقاف في الكاف إذا ما تحرك ما قبلها نحو «ينفق كيف يشاء» ، وكذا إذا كانت معها في كلمة واحدة وبعدها ميم ، نحو «خلقكم» .
والكاف في القاف إذا تحرك ما قبلها نحو «تقدس لك قال» ؛ إلا إن سكن نحو «وتركوك قائما» ^(١) .

واللام في الراء إذا تحرك ما قبلها ، نحو «رسل ربك» ، أو سكن وهي مضمومة أو مكسورة نحو «لقول رسول» ، «إلى سبيل ربك» ، إلا إن فتحت نحو «فيقول رب» ، إلا لام قال تدغم حيث وقعت ، نحو «قال رب» ، «قال رجلان» .

واليم تكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها فتختفي بفتح نحو « أعلم بالثا كرن » ، « يحكم بينهم » ، « مرميها » ؛ وهذا نوع من الإختلاء المذكور في الترجمة . وقد قال هرو في النشر : إنه غير صواب ؛ فإن سكن ما قبلها أظهرت ، نحو « إبراهيم عليه » .

والتون تلغم إذا تحرك ما قبلها في الراء وفي اللام ، نحو « تأخذ ثيك » ، « لن تون لك » ، « فإن سكن أظهرت عددا ، نحو « مخلوقون بهم » ، « أن تكون لهم » ، « ألا تومن نحن ، فلها تلغم نحو « نحن له » ، « وما نحن لك » ، لكثرة دورها وتكرار التون فيها ، ولزوم حركاتها وظلها ^(١) .

تبيين

الأول : واتى أبو عمرو حمزة ومقرب في أحرف مخصوصة استوعبها ابن الجزري في كتابه : النشر والقريب .

الثاني : أجمع الأئمة السيرة على إظهار « هـ » لا « تـ » على يوسف ^(٢) ، واختلفوا في الظية ، قرأ أبو جعفر بإدغمه مخفاً بلا إنشابة ، وقرأ الباقون بالإشارة رؤيا وإحلاما .

ضابط

قال ابن الجزري : جميع ما أدغمه أبو عمرو من اللامين والطارئين ، إلقاء وصل السورة بالسورة ، ألف حرق وثلاثمائة وأربعة أحرف ، لدخول آخر القدر لم يكن ، وإلقاء يسلم ووصل آخر السورة باليسلة ، ألف وثلاثمائة وخمسة ، لدخول آخر الرعد بأول

إبراهيم ، وآخرون إبراهيم بأول الحبر ، وإذا فصل بالسكت ولم يسيل ، ألفوا ثلاثاً وثلاثين .

[الإدغام الصغير]

وأما الإدغام الصغير ، فهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً ، وهو واجب ومتع وجازر ، والذي جرت عادة القراء على كره في كتب الخلاف ، هو الجائز لأن الذي اختلف القراء فيه ، وهو قسآن :

الأول إدغام حرف من كلمة في حروف متصلة من كلمات متفرقة وتختصر في : إذ هو قد ، وتاء التانيث ، وهل ، ويل .

فإذ ، اختلف في الإدغام لإظهار ما عدا ستة أحرف : التاء « إذ تيرآ » والجيم « إذ جيل » ، والdal « إذ دخلت » ، والزاي « إذ زالت » ، والسين « إذ سمعتموه » ، والصاد « إذ صرقتا » . وقد اختلف فيها عند ثمانية أحرف : الجيم « ولقد جلهكم » ، والdal « ولقد قرأنا » ، والزاي « ولقد زينا » ، والسين « قد سألنا » ، والسين « قد شقنا » ، والصاد « ولقد صرقتا » ، والصاد « قد خلوا » ، والطاء « قد ظلم » .

وتاء التانيث ، اختلف فيها عند ستة أحرف : التاء « سيدت نمود » ، والجيم « تصيحت جودهم » ، والزاي « حيث ردتاهم » ، والسين « أتيت سبع سائل » ، والصاد « علمت صوامع » ، والطاء « كانت ظلة » .

ولام « هل » هو « يل » اختلف فيها عند ثمانية أحرف ، تختص بل منها بحجة الزاي « يل رن » ، والسين « يل سوات » ، والصاد « يل خلوا » ، والطاء « يل طبع » ، والطاء « يل ظنتم » .

وتختص هل بالتاء « هل ثوب » ، ويشارك في التاء والنون « هل تنصون » ، « يل تانيهم » ، « هل تمن » « يل تنبع » .

القسم الثانى : إدغام حروف قرُبت مخرجها وهى ، سبعة عشر حرفا اختلف فيها :
أحدها: الباء عند الفاء فى «أويقلب فسوف» ، «وإن تعَجَّب فعجب» « اذهب
» ، « فاذهب فإن» ، «ومن لم يتب فأولئك» .

الثانى : « يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ » فى البقرة .

الثالث : « اركب معنا » فى هود .

الرابع : « نخسف بهم » فى سبأ .

الخامس : الراء الساكنة عند اللام نحو « يَغْفِرُ لَكُمْ » ، « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ » .

السادس : اللام الساكنة فى الدال « مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ » حيث وقع .

السابع : التاء فى الدال فى « يَلْهَثْ ذَلِكَ » .

الثامن : الدال فى التاء « من يرد ثواب » حيث وقع .

التاسع : الدال فى التاء من « اتخذتم » ، وما جاء من لفظه .

العاشر : الدال فيها من « فنبتتها » فى طه .

الحادى عشر : الدال فيها أيضا فى « عَذَّبْتُ رَبِّي » فى غافر والدخان .

الثانى عشر : التاء من « لَبِثْتُ » و « لَبِثْتُ » كيف جاءا .

الثالث عشر : التاء فى « أَوْزَنْتُمُوهَا » فى الأعراف والزخرف .

الرابع عشر : الدال فى الدال فى « كهيعص ذِكر » .

الخامس عشر : النون فى الواو من « يس والقرآن » .

السادس عشر : النون فيها من « ن والقلم » .

السابع عشر : النون عند الميم من « طسم » أول الشعراء والقصص .

قاعدة

كلّ حرفين التّقياء ؛ أولهما ساكن وكانا مثلين ، أو جنسين وجب إدغام الأوّل منهما لغة وقراءة .

فالمثلان نحو « اضربْ بعصاك » ، « رَبحَتْ تجارتهم » ، « وقد دخلوا » ، « اذهب وقل لهم » « وهم من » ، « عن نفس » ، « يدرككم » ، « بوجهه » .
والجنسان : نحو « قالت طائفة » ، « وقد نبين » ، « إذ ظلمتم » ، « بلّ ران » ، « هل رأيتم » ، « قل رب » ، « ما لم يكن أوّل المثلين حرف مدّ نحو « قاتلوا وهم » ، « الذي يوسوس » ، « أو أوّل الجنسين حرف حلق نحو « فاصفح عنهم » .

* * *

فائدة

كره قوم الإدغام في القرآن ، وعن حمزة أنه كرهه في الصلاة ، فتحصلنا على ثلاثة أقوال .

تذنيب

يلحق بالقسمين السابقين قسم آخر اختلف في بعضه ، وهو أحكام النون الساكنة والتنوين ، ولها أحكام أربعة : إظهار ، وإدغام ، وإقلاب ، وإخفاء .

فالإظهار لجميع القراء عند ستة أحرف ، وهي حروف الحلق : الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، نحو « بَنَّاوْنَ » « مَن آمَن » ، « فأنهار » ، « من هادٍ » ، « جُرْف هار » « أنعمت » ، « من عمل » ، « عذاب عظيم » ، « وانحر » ، « من حكيم حميد » ، « فيسئفزون » « من غلّ » ، « إله غيره » ، و « المتخففة » ، « من خير » ، « قوم خصمون » .
وبعضهم يخفي عند الخاء والغين .

والإدغام في ستة ؛ حرفان بلاغنة ؛ وهما اللام والراء ، نحو « فإن لم تفعلوا » ، « هُدَى للمتقين » ، « من ربهم » ، « ثمرة رزقا » . وأربعة بغنة ، وهي : النون ، والميم ، والياء ، والواو ،

نحو «عن نفس» ، «حطة تنفر» ، «من مال» ، «مثلاً ما» ، «من وال» «رعد وبرق» ،
«من يقول» ، «وبرق يعملون» .

والإقلاب عند حرف واحد ، وهو الباء نحو «أنبئهم» ، «من يعدم» ، «صم بكم»
بقلب النون والتنوين عند الباء مما خاصة فتخفى بفئة .

* * *

والإخفاء عند باقى الحروف وهى خمسة عشر : التاء ، والتاء ، والجيم ، والذال ،
والذال ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والقاف ،
والقاف ، والسكاف ، نحو كنتم ، من باب ، جنات تجري ، والآتى ، من ثمرة ، قولاً ثقيلًا ،
أنجيتنا ، أن جعل ، خلقاً جديداً ، أندادا ، أن دعوا ، كأساً دهاقا ، أنذرتهم ، من ذهب ، وكلا
ذرية ، تنزبل ، من زوال ، صعيداً زلقاً ، الإنسان ، من سوء ، رجلاً سلباً ، لما أنشره ، إن شاء ،
غفور شكور ، الأنصار ، أن صدوكم ، جمالات صفر ، منضود ، من ضلّ ، وكلا ضربتنا ،
مقنطرة ، من طين ، صعيداً طيباً ، ينظرون ، من ظهير ، ظلاً ظليلاً ، فافلق ، من
فضله ، خالداً فيها ، اقلبوا ، من قرار ، سميع قريب ، المنكر ، من كتاب ، كتاب كريم .
والإخفاء حالة بين الإدغام والإظهار ، ولأبد من الفئة معه .

التَوْعُ الثَّانِي والثَّلَاثُونَ فِي الْمَدِّ وَالْقَصْرِ

أقره جماعة من القراء بالتصنيف ، والأصل في المد ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، حدثنا شهاب بن خراش ، حدثني مسعود بن يزيد الكندي ، قال : كان ابن مسعود يقرئ رجلاً ، قرأ الرجل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّائِكِينَ ﴾ ^(١) مرسله ، قال ابن مسعود : ما هكذا قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أقرأها : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالسَّائِكِينَ ﴾ فذ . وهذا حديث جليل حجة ، ونص في الباب ، رجال إسناده قات ، أخرجه الطبراني في الكبير .

المد : عبارة عن زيادة مطر في حرف اللد على المد الطبيعي ؛ وهو الذي لا تقوم ذات حرف اللد دونه ^(٢) .

والقصر : ترك تلك الزيادة ، وإبقاء المد الطبيعي على حاله .

وحرف اللد الألف مطلقاً ، والواو الساكنة الضموم ما قبلها ، والياء الساكنة الكسور ما قبلها .

وسيه لظني ومعتوى ، فالظني إما همز أو سكون ، فالهمز يكون بعد حرف اللد وقبله ، والثاني نحو آدم ، ورأي ، وإيمان ، وخاطنين ، وأوتوا ، والوعدة .
والأول إن كان منه في كلمة واحدة فهو اتصل ، نحو أولئك ، شاعته ، والسوى ، ومن سوء ، وضى .

وإن كان حرف اللد آخر كلمة والهمز أول أخرى فهو للتفصل نحو بما أنزل ، يا أيها ، قلوا آمنا ، أسه إلى الله ، في أنحكم ، به إلا الفاسقين .

ووجه المدّ لأجل الهمز أن حرف المدّ خفيّ ، والهمز صعب ، فزيد في الخفيّ ليتمكن من النطق بالصعب .

والسكون إمّا لازم ، وهو الذي لا يتغيّر في حاله ، نحو الضالّين ، ودأّبه ، والم ، وأتخاجّوني . أو عارض وهو الذي يعرض للوقف ونحوه ، نحو العباد ، والحساب ، ونستعين ، والرحيم ، وبوقنون حالة الوقف وفيه هدى ، وقال لهم ، ويقول ربنا حالة الإدغام .

ووجه المدّ للسكون التمكن من الجمع بين الساكنين ، فكانه قام مقام حركة .

* * *

وقد أجمع القراء على مدّ نوعيّ المتصل وذو الساكن اللازم ؛ وإن اختلفوا في مقداره . واختلفوا في مدّ النوعين الآخرين وهما المنفصل وذو الساكن العارض ، وفي قصرهما .

فأما المتصل فاتفق الجمهور على مدّه قدرًا واحدًا مشبعًا من غير إغش .

وذهب آخرون إلى تفاضله كتفاضل المنفصل ، فالطويل لحزّة وورش ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائي وخلف ، ودونها لأبي عمرو والباقيين .

وذهب بعضهم إلى أنه مرتبتان فقط : الطويل لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

وأما ذو الساكن — ويقال له مدّ العدل لأنه يعدل حركة — فالجمهور أيضا على مدّه مشبعًا قدرًا واحدًا من غير إفراط ، وذهب بعضهم إلى تفاوته .

وأما المنفصل — ويقال له مدّ الفصل ، لأنه يفصل بين الكلمتين ، ومدّ البسط لأنه يبسط بين الكلمتين ، ومدّ الاعتبار ، لا اعتبار الكلمتين من كلمة ، ومدّ حرف بحرف ، أي مدّ كلمة بكلمة ، والمدّ الجائز ، من أجل الخلاف في مدّ وقصره — فقد اختلفت العبارات في مقدار مدّه اختلافًا لا يمكن ضبطه .

والحاصل أن له سبع مراتب :

الأولى : القصر ؛ وهو حذف المدّ العرَضِيّ ، وإبقاء ذات حرف المدّ على ما فيها من غير زيادة ؛ وهى فى المنفصل خاصة لأبى جعفر وابن كثير ، ولأبى عمرو عند الجمهور .

الثانية : فُوق القصر قليلا ، وقُدّرت بألفين . وبعضهم بألفٍ ونصف ، وهى لأبى عمرو ، فى المتصل والمنفصل عند صاحب التيسير ^(١)

الثالثة : فُوقها قليلا ، وهى التوسّط عند الجميع ؛ وقُدّرت بثلاث أَلِفَات ، وقيل بألفين ونصف ، وقيل بألفين ، على أنّ ما قبلها بألف ونصف ، وهى لابن عامر والكسائى فى الضريّين عند صاحب التيسير .

الرابعة : فُوقها قليلا ، وقُدّرت بأربع أَلِفَات ، وقيل بثلاث ونصف ، وقيل بثلاث على اختلاف فيما قبلها ؛ وهى لعاسم فى الضريّين عند صاحب التيسير .

الخامسة : فُوقها ^(٢) قليلا ، وقُدّرت بخمس أَلِفَات ، وبأربع ونصف ، وبأربع ، على الخلاف ، وهى فيها حمزة وورش عنده .

السادسة : فوق ذلك ، وقُدّرها الهذلىّ بخمس أَلِفَات على تقدير الخامسة بأربع ، وذكر أنها حمزة .

السابعة : الإفراط ، قُدّرها الهذلىّ بست ، وذكرها الورش . قال ابن الجزرى : وهذا الاختلاف فى تقدير المراتب بالأَلِفَات لآتعميق وراءه ، بل هو لفظيّ ، لأن المرتبة الدنيا — وهى القصر — إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية ، ثم كذلك حتى تنتهى إلى القصوى .

* * *

وأما العارض فيجوز فيه لكلّ من القراء كلّ من الأوجه الثلاثة : المدّ

(١) ط : « التفسير » ، وهو خطأ ، صوابه من الأصل والتيسير لأبى عمرو الدانى .

(٢) ط : « فوائدها » ، تحريف

والقصر ، وهى أوجه تخيير ؛ وأما السبب المعنوى فهو قصد المبالغة فى النفى ، وهو سبب قوى مقصود عند العرب ، وإن كان أضعف من اللفظى عند القراء ، ومنه مد التعظيم فى نحو « لا إله إلا هو » ، « لا إله إلا الله » ، « لا إله إلا أنت » . وقد ورد عن أصحاب القصر فى المنفصل لهذا المعنى ، ويسمى مد المبالغة . قال ابن مهران فى كتاب المئات : إنما سُميَ مد المبالغة لأنه كلب للمبالغة فى نفي الألَهية سوى الله تعالى . قال : وهذا مذهب معروف عند العرب ، لأنها تُمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة ، وعند المبالغة فى نفي شئ ، ويمدّون ما لا أصل له بهذه العلة . قال ابن الجزرى : وقد ورد عن حمزة مد المبالغة للنفي فى « لا » التى للتبرئة ، نحو « لا ريب فيه » « لاشية فيها » ، « لا مرد له » ، « لا جرم » ، وقدره فى ذلك وسط ، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه . نص عليه ابن القصاص (١) .

وقد يجتمع السببان : اللفظى والمعنوى ، فى نحو « لا إله إلا » ، و « لا إكراه فى الدين » و « لا إثم عليه » ، فُيَمَدّ لجرّة مدّا مشبعا على أصله فى المدّ لأجل الهمز ، وبلغى المعنوى ، إعمالا للأقوى وإلغاء للأضعف .

قاعدة

إذا تغير سبب المدّ جاز المدّ مراعاة للأصل ، والقصر نظرا للفظ ، سواء كان السبب همزا أو سكونا ، سواء تغير الهمز بين بين ، أو بإبدال ، أو حذف ؛ والمدّ أولى فيمابقى لتغيره أثر ، نحو ﴿ هؤلاء إن كنتم ﴾ (٢) فى قراءة قالون والبرى ، والقصر فيما مذهب أثره نحوها فى قراءة أبى عمرو (٣) .

(١) هو محمد بن إسرائيل بن أبى بكر ، أبو عبدالله السلمى المعروف بابن الفصاح ، مقرأ من أهل دمشق ، وهو صاحب كتاب الاستبصار والمعنى ، وكلاهما فى الفراءات . توفى سنة ٦٧١ . طبقات القراء ٢ : ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة ٣١

(٣) قراءة قالون والبرى « تسهيل الهمزة الأولى بين الهمزة والياء وتحقيق الثانية » ، وقرأ أبو عمرو بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية . وانظر إتحاف أنصلا ، بشر ١٣٢

قاعدة

متى اجتمع سببان : قوى وضعيف عمل بالقوى ، وألفى الضعيف إجماعا ، ويتخرج عليها فروع :

منها الفرع السابق في اجتماع اللفظي والمعنوي .

ومنها نحو « جاءوا أباهم » ، و « رأى أيديهم » ، إذ اقوى لورش لا يجوز فيه القصر ولا التوسط بل الإشباع ، عملا بأقوى السببين ، وهو المد لأجل الهمز بعده ، فإن وقف على « جاءوا » أو « رأى » جازت الأوجه الثلاثة بسبب تقدم الهمز على حرف المد وذهاب سببية الهمز بعده .

* * *

فائدة

قال أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابورى : مدّات القرآن على عشرة أوجه :
مدّ الحجز في نحو « أنذرتهم » ، « أنت قلت للناس » ، « إذا متنا » ، « أولق عليه الذكر » ؛ لأنه أدخل بين الهمزتين حاجزا بينهما لاستئصال العرب جمعهما ، وقدره ألف تامة بالإجماع ، فحصل الحجز بذلك .

ومدّ العدل في كلّ حرف مشدّد وقبله حرف مدّولين نحو « الضالين » ، لأنه يعدل حركة ، أى يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين .

ومدّ التمكن في نحو « أوئك » ، و « الملائكة » و « شعائر » ؛ من ^(١) المدّات التي تليها همزة لأنه جلب ليتمكن به من تحقيقها وإخراجها من مخرجها .

ومدّ البسط ويسمى أيضا مدّ الفصل في نحو « بما أنزل » ، لأنه يبسط بين كلمتين ، ويصل به بين كلمتين متصلتين .

ومدّ الرّزم في نحو « ها أنتم » لأنهم يرومون همزة من « أنتم » ولا يحققونها ولا يتركونها أصلا ، ولكن يلبثونها ؛ ويشيرون إليها ؛ وهذا على مذهب من لا يهمز « ها أنتم » ، وقدره ألف ونصف .

ومدّ الفرق في نحو « الآن » لأنه يفرق به بين الاستفهام والخبر ، وقدره ألف

تامة بالإجماع . فإن كان بين ألف المدّ حرف مشدّد زيد ألف أخرى ليتمكن به من تحقيق الهمزة نحو « ذاكرين الله » .

ومدّ البنية في نحو ماء ، ودعاء ، ونداء ، وزكرياء ، لأن الاسم بُني على المدّ ، فرقا بينه وبين المقصور .

ومدّ المبالغة في نحو « لا إله إلا الله » .

ومدّ البذل من الهمزة في نحو آدم وآخر وآمن ، وقدره ألف تامة بالإجماع .

ومدّ الأصل في الأفعال الممدودة ، نحو جاء ، وشاء ، والفرق بينه وبين مدّ البنية أن تلك الأسماء بُنيت على المدّ ، فرقا بينها وبين المقصور ، وهذه مدّات في أصول أفعال أحدثت لمعان . انتهى

التَّوَعُّ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ فِي تَخْفِيفِ الْهَمْزِ

فيه تصانيف مفردة .

اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقاً ، وأبعدها مخرجاً ، تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً ؛ ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ؛ كابن كثير من رواية ابن فليح ، وكنافع من رواية ورش وكأبي عمرو ، فإن مادة قراءته عن أهل الحجاز . وقد أخرج ابن عدى من طريق موسى بن عبيدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما همز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمرو ، ولا الخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم .

قال أبو شامة : هذا حديث لا يحتاج به ، وموسى بن عبيدة الرِّبَذِيُّ ضعيف عند أئمة الحديث . قلت : وكذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرک ، من طريق حمران بن أعين ، عن أبي الأسود الدؤلى ، عن أبي ذر ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، فقال : لست بنبي الله ، ولكني نبي الله . قال الذهبي : حديث منكر ، وحمران رافضى ليس بثقة .

وأحكام الهمز كثيرة لا يحصيها أقل من مجلد ، والذي نورد هنا أن تحقيقه أربعة أنواع : أحدها : النقل لحركته إلى الساكن قبله ، فيسقط نحو « قَدْ أَفْلَحَ » بفتح الدال ، وبه قرأ نافع من طريق ورش ، وذلك حيث كان الساكن صحيحاً آخرّاً والهمزة أولاً . واستثنى أصحاب يعقوب عن ورش ﴿ كِتَابِيَّةٌ * إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ ^(١) ؛ فسكنوا الميم وحققوا الهمزة ، وأما الباقيون فحققوا وسكنوا في جميع القرآن .

وثانيهما: الإبدال، بأن تبدل الهمزة الساكنة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها، فتبدل ألفاً بعد الفتح نحو ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ وواواً بعد الضمّ، نحو ﴿يَوْمَنُونَ﴾، وياء بعد الكسر نحو ﴿جِيتَ﴾، وبه قرأ أبو عمرو، وسواء كانت الهمزة فاء أم عينا أم لاماً، إلا أن يكون سكنها جزماً، نحو ﴿نَنسَأُهَا﴾ أو بناءً نحو ﴿أَرْجِيْهُ﴾، أو يكون ترك الهمزة فيه أنقل، وهو ﴿تُوَوِي إِلَيْكَ﴾ في الأحزاب، أو يوقع في الالتباس وهو ﴿رُئِيَ﴾ في مريم، فإن تحرّكت فلا خلاف عنه في التحقيق نحو «يؤده».

ثالثها: التسهيل بينها وبين حركتها. فإن اتفق الهمزتان في الفتح سهّل الثانية الحرميّان وأبو عمرو وهشام، وأبدلها ورش ألفاً، وابن كثير لا يدخل قبلها ألفاً، وقالون وهشام وأبو عمرو ويدخلونها، والباقون من السبعة يحققون. وإن اختلفا بالفتح والكسر سهّل الحرميّان وأبو عمرو والثانية، وأدخل قالون وأبو عمرو قبلها ألفاً، والباقون يحققون. أو بالفتح والضم، وذلك في «قُلْ أُوْتِبِشْكُم»، «أَوْ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ»، «أَوَّلَقِي» فقط. فالثلاثة يسهّلون، وقالون يدخل ألفاً، والباقون يحققون.

قال الداني: وقد أشار الصحابة إلى التسهيل بكتابة الثانية واواً.

رابعها: الإسقاط بلانقل، وبه قرأ أبو عمرو، إذا اتفقا في الحركة وكانا في كلمتين، فإن اتفقا كسرا نحو «هؤلاء إن كنتم»، جعل ورش وقنبل الثانية كياء ساكنة وقالون والبرزى الأولى كياء مكسورة وأسقطها أبو عمرو والباقون يحققون. وإن اتفقا فتحاً نحو «جاء أجابه» جعل ورش وقنبل الثانية كمدة، وأسقط الثلاثة الأولى، والباقون يحققون. أو ضمّاً وهو «أولياه أولئك»، فقط أسقطها أبو عمرو، وجعلها قالون والبرزى كواو مضمومة، والآخرون يحملان الثانية كواو ساكنة، والباقون يحققون.

ثم اختلفوا في الساقط: هل هو الأولى أو الثانية؟ الأول عن أبي عمرو، والثاني عن الخليل من النحاة.

وتظهر فائدة الخلاف في المد، فإن كان الساقط الأولى فهو منفصل، أو الثانية فهو متصل.

النوع الرابع والثلاثون في كيفية تحمُّله

اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة؛ صرح به الجرجاني في الشافعي^(١) والعبادي وغيرهما. قال الجويني: والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ يباغون هذا العدد سقط عن الباقيين، وإلا أُنِمَّ الكل. وتعليمه أيضا فرض كفاية، وهو من أفضل القرب، ففي الصحيح: «خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآن وعلمه»^(٢).

وأوجه التحمُّل عند أهل الحديث، السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة والمكاتبة والوصية والإعلام والوجداء، فأما غير الأولين فلا يأتي هنا، لما يعلم مما سند كره.

وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً، وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكن لم يأخذ به أحدٌ من القراء، والمنع فيه ظاهر؛ لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كلٌّ مَنْ سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته، بخلاف الحديث، فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن؛ وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء؛ كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه نزل بلفظهم.

ومما يدلُّ للقراءة على الشيخ عرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل في

(١) كتاب الشافعي في فروع الشافعي، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٤٨٢، ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل الزركشي عنه في البرهان ١: ٤٥٦.

(٢) قوله في البرهان ١: ٣٥٦.

رمضان كل عام ؛ ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزرى لما قدم القاهرة وازدحت عليه الخلق ، لم ينسح وقته لقراءة الجميع ، فكان يقرأ عليهم الآية ، ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة ، فلم يكتف بقراءته .

وتجوز القراءة على الشيخ ؛ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة ، إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم . وقد كان الشيخ علم الدين السخاوى يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أما كن مختلفة ، ويرد على كل منهم ، وكذا لو كان الشيخ مشغلاً بشغل آخر كنسخ ومطالعة .
وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط ، بل يكفي ولو من المصحف .

* * *

فصل

كيفية القراءة ثلاث :

أحدها : التحقيق ، وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهزمة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات ، وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض ، بالسكت والترتيل والتؤدة وملاحظة الجائز من الوقوف بلاقصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه ؛ وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ . ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات ، وتكرير الرّاءات ، وتحريك السّوا كن وتطين النّونات بالمبالغة في الغنات ، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وما فوق الجعودة قَطَط ، وما فوق القراءة ليس بقراءة !

وكذا يحتر زمن الفصل بين حروف الكلمة ، كمن يقف على التاء من « نستعين » وقفة لطيفة ، مدعياً أنه يرتل ؛ وهذا النوع من القراءة مذهب حمزة وورش ، وقد أخرج فيه الدانى حديثاً في كتاب التجويد مسلاً إلى أبى بن كعب ، أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق ، وقال : إنه غريب مستقيم الإسناد .

الثانية : الحذر ، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين ؛ وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين ، والاختلاس والبدل والإدغام الكبير ، وتخفيف الهمزة ، ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ ، وتمكن الحروف بدون بثر حروف المد ، واختلاس أكثر الحركات ، وذهاب صوت الغنة والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة ، ولا توصف بها التلاوة ؛ وهذا النوع مذهب ابن كثير وأبي جعفر . ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب .

الثالثة : التدوير ، وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحذر ، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مدّ المنفصل ، ولم يبلغ فيه الإشباع ، وهو مذهب سائر القراء ، وهو المختار عند أكثر أهل الاداء .

* * *

تذنيه

سيأتى فى النوع الذى يلى هذا استحباب الترتيل فى القراءة ، والفرق بينه وبين التحقيق — فيما ذكره بعضهم — أن التحقيق يكون للرباضة والتعليم والتمرين ، والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط ؛ فكل تحقيق ترتيل ، وليس كل ترتيل تحقيقا .

* * *

فصل

من المهمات تجويد القرآن ، وقد أفردته جماعة كثيرون بالتصنيف ؛ ومنهم الداني وغيره . أخرج عن ابن مسعود أنه قال : « جودوا القرآن » .

قال القراء : التجويد حلية القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته ، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تنكف ، وإلى ذلك أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ

القرآن غَضًّا كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبده — يعنى ابن مسعود — وكان رضى الله عنه قد أُعْطِيَ حظًا عظيمًا في تجويد القرآن ، ولا شك أن الأمة ، كما هم متعبّدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده ، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصّفة المتعلّقة من أئمة القراء ، المتصلة بالحضرة النبويّة . وقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا ، فقسّموا اللحن إلى جلى وخفى ، فاللحن خُلِّلَ بطرأ على الألفاظ فيخلّ ، إلّا أن الجلى يُخلّ إخلالًا ظاهرًا ؛ يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم ، وهو الخطأ فى الإعراب ، والخفى يخلّ إخلالًا يختصّ بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقّوه من أفواه العلماء ، وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء . (٢)

قال ابن الجزرى : ولا أعلم لميلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتّقى من فم الحين . وقاعدته ترجع إلى معرفة كيميّة الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف ؛ وقد تقدمت الأربعة الأول ، وأما الترقيق فالحروف المستقلة كلّها مرقّقة ، لا يجوز تفخيمها ، إلّا اللام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعًا ، أو بعد حروف الإطباق فى رواية ، إلّا الرّاء المضمومة أو المفتوحة مطلقًا ، أو الساكنة فى بعض الأحوال . والحروف المستعملية كلّها منخّمة لا يستثنى منها شيء فى حال من الأحوال . (٣)

وأما مخارج الحروف ؛ فالصحيح عند القراء ومتقدّمى النجاة كالخليل أنّها سبعة عشر . وقال كثير من الترقيقين : ستمّة عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية ، وهى حروف المدّ واللين ، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الخلق (٤) والواو من مخرج المتحركة ، وكذا الياء . (٥)

(١) انظر النشر ١ : ٢١٢ والعبارة فيه : « وكان رضى الله عنه قد أُعْطِيَ حظًا عظيمًا فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى ، وناهيك برجل أحبّ إلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن منه . »
(٢) النشر ١ : ٢٣٤
(٣) ط : « الخافى » ، وما أثبتته من النشر
(٤) النشر ١ : ٢٣٤

وقال قوم : أربعة عشر^(١) ، فأسقطوا مخرج النون واللام والراء ، وجملوها من مخرج واحد .

قال ابنُ الحاجب : وكلّ ذلك تقريب ، وإلاّ فلـكلّ حرف مخرج على حدة .

قال القراء : واختيار مخرج الحرف محققاً ، أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتى بالحرف بعده ساكناً أو مشدداً ، وهو أبين ، ملاحظاً فيه صفات ذلك الحرف^(٢) :

المخرج الأوّل : الجوف للألف والواو والياء الساكنين بعد حركة تجانسهما^(٣) .
الثاني : أقصى الحلق ، للمهزة والهاء .

الثالث : وسطه ، للعين والحاء المهملتين .

الرابع : أدناه للقم^(٤) ، للغين والحاء .

الخامس : أقصى اللسان ممّا يلي الحلق وما فوقه من الحنك لتقاف .

السادس : أقصاه من أسفل مخرج القاف قليلاً ، وما يليه من الحنك للكاف^(٥) .

السابع : وسطه^(٦) ، بينه وبين وسط الحنك ، للجيم والشين والياء .

الثامن : للضاد المعجمة ، من أوّل حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر ، وقيل : الأيمن .

التاسع : اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى^(٧) .

(١) في النشتر : « ذهب قطرب والجزمي والقراء وابن دريد وابن كيسان إلى أنها أربعة عشر »

(٢) النشتر ١ : ١٩٨

(٣) عبارة النشتر : « وهو للألف والواو الساكنة المضمومة قبلها ، والياء الساكنة المنكسورة ما قبلها ، وهذه الحروف تسمى حروف الدوللين ، وتسمى الهوائية والجوفية ، وإنما سبقت إلى الجوف لأنها انقطع مخرجها » .

(٤) النشتر : « أدنى الحلق إلى القم » .

(٥) النشتر : « وهذان الحرفان يقال لكل منهما هوى ، نسبة إلى الهواة ، وهى بين القم والخلق » .

(٦) أى وسط اللسان . (٧) النشتر : « مما فوق الضاحك والناز والرباعية والثنية » :

العاشر : للنون من طرفه ، أسفل اللام قليلا .

الحادى عشر : للراء من مخرج النون ، لسكنها أدخل فى ظهر اللسان ^(١) .

الثانى عشر : لاطاء والدال والتاء من طر اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك ^(٢) .

الثالث عشر : الحرف الصغير ، والصاد والسين والزأى ، من بين طرف اللسان وفوق
الثنايا السفلى ^(٣) .

الرابع عشر : للطاء والتاء والذال ، من بين طرفه ، وأطراف الثنايا العليا ^(٤) .

الخامس عشر : للفاء ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

السادس عشر : للباء والميم والواو غير المديّة بين الشفتين ^(٥) .

السابع عشر : الخيشوم للغنة فى الإدغام والنون أو والميم الساكنة ^(٦) .

قال فى النشر : فالهمزة والهاء اشتركا مخرجاً وانفتاحاً واستقلاً ، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة ، والعين والحاء اشتركا كذلك ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة ، والغين والحاء اشتركا مخرجاً ورخاوة واستعلاء وانفتاحاً ، وانفردت الغين بالجهر ، والجيم والشين والياء اشتركت مخرجاً وانفتاحاً واستقلاً ، وانفردت الجيم بالشدة ، واشتركت مع الياء فى الجهر ، وانفردت الشين بالهمس والتنشئ ، واشتركت مع الياء فى الرخاوة ، والصاد والطاء اشتركا صفة جهر اورخاوة واستعلاء ، وإطباقاً ، وانفردا مخرجاً ، وانفردت الصاد

(١) النشر : « وهذه الثلاثة يقال لها الداقية ، نسبة إلى موضع مخرجها ، وهو طرف اللسان ، إذ طرف كل شئ ذاقه » .

(٢) النشر : « ويقال لهذه الثلاثة النطقية ، لأنها تخرج من نطق الفار الأعلى ، وهو سقفه » .

(٣) النشر : « وهذه الثلاثة الأحرف هى الأسلية ، لأنها تخرج من أسلة اللسان ، وهو مستدقه » .

(٤) النشر : « ويقال لها : اللثوبة ، نسبة إلى اللثة ، وهو اللحم المركب فيه الأسنان » .

(٥) النشر : « وهذه الأحرف الأربعة يقال لها الشفوية ، نسبة إلى الموضع الذى تخرج منه ، وهو الشفتان » .

(٦) النشر : ١ : ١٩٩ — ٢٠١

بالاستطالة ، والطاء والهمال والناء اشتركت مخرجاً وشدة ، وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء ، واشتركت مع الدال في الجهر ، وانفردت الناء بالهمس ، واشتركت مع الدال في الانفتاح والاستفال ، والطاء والدال والناء اشتركت مخرجاً ورخاوة ، وانفردت الطاء بالاستعلاء والإطباق ، واشتركت مع الدال في الجهر ، وانفردت الناء بالهمس ، واشتركت مع الدال انفتاحاً واستفالاً ، والصاد والزاي والسين اشتركت مخرجاً ورخاوة وصفيراً ، وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء واشتركت مع السين في الهمس ، وانفردت الزاي بالجهر ، واشتركت مع السين في الانفتاح والاستفال ، فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مؤنّى حقّه ، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد ، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب ؛ وقوى وضعيف ، ومفخم ومزقق ، فيجذب القوى الضعيف ، ويغلب المفخم المزقق ، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقّه إلا بالرياضة الشديدة ؛ فمن أحكم حجة التلفّظ حالة التركيب ، حصل حقيقة التجويد ^(١) .

ومن قصيدة الشيخ علم الدين في التجويد — ومن خطه نقلت :

لا تحسب التجويد مدّاً مفرطاً	أو مدت ما لا مدت فيه لوان
أو أن تشدد بعد مدّ همزة	أو أن تلوك الحروف كالسكران
أو أن تفوه بهمزة متهوّعاً	فيفرّ سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلاتك طاعياً	فيه ولا تك محسّر الميزان
فإذا همزت فجيء به متلفظاً	من غير ما بهزّ وغير توان
وامدد حروف المدّ عند مسكن	أو همزة حسناً أحياناً

قائده

قال في جمال القراء : قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء ، ويقال : إن أول ما غنى به من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّامِيَّةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ ^(٢) ؛ نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر :

(١) النشر ١ : ٢١٤

(٢) سورة الكهف : ٧٩

أما التظاوة فإنى سوف أنعتها * نعمتا يوافق عندى بعض ما فيها
وقد قال صلى الله عليه وسلم فى هؤلاء : « مفتونة وقلوبهم قلوب من يعجبهم شأنهم » .
ومما ابتدعه شئ - سموه الترعيد ، وهو أن يرعد صوته كالذى يرعد من برد أو ألم .
وآخر سموه الترقيص ، وهو أن يروم السكون على الساكن ، ثم ينفر مع الحركة كأنه
فى عدو أو هرولة .

وآخر يسمى التطريب ، وهو أن يترنم بالقرآن وينغم به فيمد فى غير مواضع المد ،
ويزيد فى المد على ما لا ينبغى .

وآخر يسمى التحزين ، وهو أن يأنى على وجه حزين يكاد يبكى مع خشوع وخضوع .
ومن ذلك نوع أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلهم بصوت واحد ،
فيقولون فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ « أفَل تَعْقِلُونَ » ، بحذف الألف ، و « قَالَ آمَنَّا »
بحذف الواو ، ويمدّون ما لا يمدّ ، ليستقيم لهم الطريق التى سلكوها ، وينبغى أن يسمى
التحريف . انتهى

فصل

فى كيفية الأخذ بإفراد القراءات ، وجمعها

الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمه برواية ، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلا
أثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمه الواحدة ، واستقرّ عليه العمل ، ولم
يسكنوا يسمحون به إلا لمن أفرد القراءات ، وأتقن طرقها ، وقرأ لكل قارئه بختمه
على حدة ، بل إذا كان للشيخ روايان قرءوا لكل راوٍ بختمه ، ثم يجمعون له ، وهكذا .
وتساهل قوم ، فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمه ، سوى نافع وحمزة ،
فإنهم كانوا يأخذون بختمه لقائلون ، ثم ختمه لورث ، ثم ختمه لخلف ، ثم ختمه لخلاّد ، ولا يسمح

أحد. بالجمع إلا بعد ذلك ، نعم إذا رأوا شخصاً أفرد وجمع على شيخ معتبر ، وأجيز وتأهل ، وأراد أن يجمع القراءات في ختمه ، لا يكلفونه الإفراد لعلمهم بوصوله إلى حد المعرفة والإتقان . ثم لهم في الجمع مذهبان :

أحدهما : لجمع بالحرف بأن يشرع في القراءة ، فإذا مرَّ بكلمة فيها خُلفٌ أعادها بمفردها ؛ حتى يستوفي ما فيها ، ثم يقف عليها إن صلحت للوقف ، وإلا وصلها بآخر وجه ، حتى ينتهي إلى الوقف ؛ وإن كان الخلف يتعلق بكلمتين كالمد المنفصل ، وقف على الثانية ، واستوعب الخلاف ، وانتقل إلى ما بعدها ؛ وهذا مذهب المصريين ، وهو أوثق في الاستيفاء ، وأخف على الآخذ ، لكنه يخرج عن رونق القراءة وحسن التلاوة .

الثاني : الجمع بالوقف بأن يشرع بقراءة من قدمه حتى ينتهي إلى وقف ، ثم يعود إلى القارئ الذي بعده إلى ذلك الوقف ، ثم يعود ، وهكذا حتى يفرغ ؛ وهذا مذهب الشاميين ، وهو أشد استحضاراً ، وأشد استظهاراً ، وأطول زمناً ، وأجود مكاناً . وكان بعضهم يجمع بالآية على هذا الرسم ^(١) ، وذكر أبو الحسن القبحاقي ^(٢) في قصيدته وشرحها : الجامع القراءات شروطاً سبعة ، حاصلها خمسة :

أحدها : حسن الوقف .

ثانيها : حسن الابتداء .

ثالثها : حسن الأداء .

رابعها : عدم التركيب ، فإذا قرأ قارئ لا ينتقل إلى قراءة غيره حتى يتم ما فيها ، فإن فعل لم يدعه الشيخ ، بل يشير إليه بيده ؛ فإن لم يتفطن ، قال : لم تصل ، فإن لم يتفطن مكث حتى يتذكر ، فإن عجز ذكر له .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم

(١) انظر النشر ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧

الكنز الفيضاني ، المتوفى سنة ٧٢٣ ، وقصيدته على وزن الشاطبية ، نظم فيها مراراً عليها من تبصرة

لشكي وكان لابن شريح ولوجيز الأهوازي . النشر ١ : ٩٧

الخامس : رعاية الترتيب في القراءة والابتداء بما بدأ به المؤلفون في كتبهم ، فيبدأ بنافع قبل ابن كثير ، ويقالون قبل ورش .

قال ابن الجزرى : والصواب أن هذا ليس بشرط بل مستحب ، بل الذين أدركناهم من الأستاذين لا يعدّون الماهر إلّا مَنْ يلتزم تقديم شخص بعينه ، وبعضهم كان يراعى في الجمع التّناسب ، فيبدأ بالقصر ، ثم بالرتبة التي فوقه وهكذا إلى آخر مراتب المدّ ، ويبدأ بالمشع ، ثم بما دونه إلى القصر ؛ وإنما يُسلّك ذلك مع شيخ بارع عظيم الاستحضار ، أمّا غيره فيُسلّك معه ترتيب واحد .

قال : وعلى الجامع أن ينظر ما في الأحرف من الخلاف أصولاً وفُرشاً ، فما أمكن فيه التداخل اكتفى منه بوجه ، وما لم يمكن ، فيه نظر ، فإن أمكن عطفه على ما قبله بكلمة أو كلمتين أو بأكثر من غير تخليط ولا تركيب اعتمده ، وإن لم يحسن عطفه رجع إلى موضع ابتدائه حتى يستوعب الأوجه كلها من غير إهمال ولا تركيب ولا إعادة مداخل ؛ فإن الأول ممنوع ، والثاني مكروه ، والثالث معيب ^(١) .

وأما القراءة بالتلفيق وخط قراءة بأخرى ، فسيأتى بسطه في النوع الذى يلي هذا .
وأما القراءات والروايات والطرق والأوجه فليس للقارئ أن يدع منها شيئاً أو يتخل به ، فإنه خللٌ في إكمال الرواية ، إلّا الأوجه ، فإنها على سبيل التخيير ، فأى وجه أتى به أجزأه في تلك الرواية .

وأما قدر ما يقرأ حال الأخذ ، فقد كان الصدر الأول لا يزيدون على عشر آيات لكائن من كان ، وأمّا مَنْ بعدهم فرأوه بحسب قوة الأخذ .

قال ابن الجزرى : والذى استقرّ عليه العمل الأخذ في الأفراد بجزء من أجزاء مائة وعشرين ، وفي الجمع بجزء من أجزاء مائتين وأربعين ، ولم يحدّ له آخرون حدّاً ، وهو اختيار السخاوى .

وقد تلخصت هذا النوع ، ورتبت فيه متفرقات كلام أئمة القراءات ، وهو نوع مهم يحتاج إليه القارئ ، كاحتياج الحدّث إلى مثله من علم الحديث .

فائدة

ادعى ابن خبير الإجماع على أنه ليس لأحد أن ينقل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما لم يكن له به رواية ، ولو بالإجازة ؛ فهل يكون حكم القرآن كذلك ؛ فليس لأحد أن ينقل آية أو يقرأها ما لم يقرأها على شيخ ؛ لم أر في ذلك نقلاً ، ولذلك وجه من حيث أن الاحتياط في أداء الفاظ القرآن أشد منه في ألفاظ الحديث . ولعدم اشتراطه فيه وجه ، من حيث أن اشتراط ذلك في الحديث ؛ إنما هو لخوف أن يدخل في الحديث ما ليس منه ، أو يُتقوّل على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، والقرآن محفوظ متناهي متداول مبسّر ، وهذا هو الظاهر .

فائدة ثانية

الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة ، فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك ، وإن لم يُجزه أحد ، وعلى ذلك السلف الأولون والصدور الصالح ، وكذلك في كل علم ، وفي الإقراء والإفتاء ؛ خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً ؛ وإنما اصطاح الناس على الإجازة ، لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم ، لقصور مقامهم عن ذلك ، والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط ، فُجِلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المُجَاز بالأهلية .

فائدة ثالثة

ما اعتاده كثير من مشايخ القراء ؛ من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مال في مقابلها ، لا يجوز إجماعاً ، بل إن علم أهليته وجب عليه الإجازة ، أو عدمها حرم عليه ، وليست الإجازة مما يقابل بالمال ، فلا يجوز أخذه عنها ، ولا الأجرة عليها ؛ وفي فتاوى الصدر موهوب الجزري من أصحابنا ، أنه سئل عن شيخ طلب من الطالب شيئاً على إجازته ، (١٩) (إفتان ج ١ - ١)

فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة؟ فأجاب : لا تجب الإجازة على الشيخ ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليها .

وسُئِلَ أيضاً عن رجل أجازهُ الشيخ بالإقراء ، ثم بان أَنَّهُ لادين له ، وخاف الشيخ من تفریطه ، فهل له النزول عن الإجازة؟ فأجاب : لا تبطل الإجازة بكونه غير دين . وأما أخذ الأجرة على التعليم فخائر ؛ ففي البخارى : « إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » . وقيل : إنَّ تعيّن عليه لم يجز ، واختاره الحلبي . وقيل : لا يجوز مطلقاً ، وعليه أبو حنيفة ، لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت ، أَنَّهُ علم رجلاً من أهل الصُّفَّة القرآن ، فأهدى له قوساً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ سرَّكَ أن تطوَّق بها طوقاً من نار فاقبلها » .

وأجاب من جوزه بأنَّ في إسناده مقالا ، ولأنَّه تبرع بتعليمه ، فلم يستحق شيئاً ، ثم أهدى إليه على سبيل العِوض ، فلم يجز له الأخذ ، بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم .

وفي البستان ^(١) لأبي الليث : التعليم على ثلاثة أوجه :

أحدها : للحسبة ، ولا يأخذ به عوضاً .

والثاني : أن يعلم بالأجرة .

والثالث : أن يعلم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبل .

فالأوّل مأجور وعليه عمل الأنبياء ، والثاني مختلف فيه ، والأرجح الجواز ، والثالث يجوز إجماعاً ؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان معلماً للخلق ، وكان يقبل الهدية .

(١) هو كتاب بستان العارفين لأبي الليث صرين محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٥٥ ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « هو كتاب مختصر مفيد على مائة وخمسين باباً في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية والحاصل والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

فائدة رابعة

كان ابن بَصَّحَان إذا رَدَّ على القارئ شيئاً فاته فلم يعرفه ، كتبه عليه عنده ، فإذا أكمل الختمة وطلب الإجازة ، سأله عن تلك المواضع ، فإن عرفها أجازها ، وإلا تركه يجمع ختمة أخرى .

* * *

فائدة أخرى

على مريد تحقيق القراءات وإحكام تلاوة الحروف ، أن يحفظ كتاباً كاملاً يستحضر به اختلاف القراءة ، وتمييز الخلاف الواجب من الخلاف الجائز .

* * *

فائدة أخرى

قال ابن الصلاح في فتاويه ^(١) : قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر ، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك ، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس .

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن نصر الدمشقي المعروف بابن الصلاح ، المتوفى سنة ٦٤٣ ، وصاحب المقدمة المعروفة باسمه في علوم الحديث ، قال ابن خالكان « وكانت فتاويه مسددة ، وهو أحد أشياخي » . وقال صاحب كشف الظنون . « فتاوى ابن الصلاح جميعها بعض طلبته . . . وهي في مجلد كبير الهوائد . وانظر طبقات الشافعية ٥ : ١٣٧ »

النوع الخامس والثلاثون في آداب تلاوته وتأليفه

إفاده بالتصنيف جماعة ، منهم النووي في التبيان ^(١) ، وقد ذكر فيه ، وفي شرح المذهب ، وفي الأذكار ، جملة من الآداب ، وأنا أخلصها هنا ، وأزيد عليها أضعافها ، وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها .

* * *

مسألة

يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته ، قال تعالى مثنياعلى من كان ذلك دأبه : ﴿ يَقُولُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٢) .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر : « لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار... » ^(٣) .

وروى الترمذي من حديث ابن مسعود : « مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » .

وأخرج من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب سبحانه وتعالى : مَنْ شغله القرآن وذكرى عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله سائر على خلقه » .

وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

وأخرج البيهقي من حديث عائشة : « البيت الذي يقرأ فيه القرآن يترأى لأهل السماء كما تترأى النجوم لأهل الأرض » .

(١) هو الإمام محيي الدين يحيى بن برى بن برى النووي الشافعي ، أحد علماء الشام وحفاظ الحديث بها ، ولد بزم من أعمال دمشق سنة ٦٣١ ، وتوفي بها سنة ٦٧٧ . وكتاب التبيان في آداب حملة القرآن ، مرتب على عشرة أبواب ، وكتاب الأذكار منتخب من كلام سيد الأبرار ، والمذهب في فروع فقه الشافعية . وانظر ترجمة في طبقات الشافعية ٥ : ١٦٥

(٢) سورة آل عمران ١١٢

(٣) بقية الحديث كما في لفظ مسلم ٥٢٨ : « ورجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه آناء الليل والنهار » .

وأخرج من حديث أنس : « نودوا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » .
وأخرج من حديث النعمان بن بشير : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن » .
وأخرج من حديث سُمرة بن جُنْدَب : « كل مؤدبٍ يحب أن تؤتى مأدبته ، ومأدبة الله القرآن ، فلا تهجروه » .

وأخرج من حديث عبيدة المكي مرفوعاً وموقوفاً : « يا أهل القرآن ، لا تتوسدوا القرآن وأتلوه حتى تلاوته آناء الليل والنهار وأفشوه ، وتدبروا ما فيه ، لعلكم تفلحون » .
وقد كان للسلف في قَدْر القراءة عادات ، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة : « مَنْ كان يحتم في اليوم واللييلة ثمانى ختمات : أربعاً في الليل ، وأربعاً في النهار » ، ويليهِ : « مَنْ كان يحتم في اليوم واللييلة أربعاً » ، ويليهِ ثلاثاً ، ويليهِ ، ختمين ، ويليهِ ختمة .

وقد ذمّت عائشة ذلك ، فأخرج ابنُ أبي داود عن مسلم بن مخرق ، قال : قلت لعائشة : إن رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً ، فقالت : قرءوا ولم يقرءوا ، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام ، فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمرّ بآية فيها استبشار إلاّ دعا ورغب ، ولا بآية فيها تحذير إلاّ دعا واستعاذ . ويلي ذلك مَنْ كان يحتم في ليلتين ، ويليهِ من كان يحتم في كل ثلاث ، وهو حسن . وكره جماعات الختم في أقلّ من ذلك ، لما روى أبو داود والترمذى ، وصححه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : « لا يفقه مَنْ قرأ القرآن في أقلّ من ثلاث » .

وأخرج ابن أبي دواد وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفاً ، قال : « لا تقرأوا القرآن في أقلّ من ثلاث » .

وأخرج أبو عبيد عن مُعَاذ بن جَبَل أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن في أقلّ من ثلاث .
وأخرج أحمد وأبو عبيد عن سعيد بن المنذر — وليس له غيره — قال : قلت : يا رسول الله ، أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال : نعم ، إن استطعت .

وبليه: مَنْ ختم في أربع، ثم في خمس، ثم في ست، ثم في سبع، وهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثرين من الصحابة وغيرهم.

أخرج الشيخان عن عبد الله بن عمرو، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ القرآن في شهر»، قلت: إني أجد قوّة، قال: اقرأه في عشر، قلت: إني أجد قوّة، قال: اقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك.

وأخرج أبو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان، عن قيس بن أبي صمصمة — وليس له غيره — أنه قال: يا رسول الله، في كم اقرأ القرآن؟ قال: في خمسة عشر، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: اقرأه في جمعة.

وبلى ذلك: مَنْ ختم في ثمان، ثم في عشر، ثم في شهر، ثم في شهرين.

أخرج ابن أبي داود، عن مكحول، قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك.

وقال أبو الليث في البستان: ينبغي للقارئ أن يحتم في السنة مرتين، إن لم يقدر على الزيادة.

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة، أنه قال: مَنْ قرأ القرآن في كل سنة مرتين، فقد أدى حقّه؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين.

وقال غيره: يُكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر، نص عليه أحمد، لأنّ عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم: في كم نختم القرآن؟ قال: في أربعين يوماً، رواه أبو داود.

وقال النووي في الأذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ، وكذلك

مَنْ كَانَ مُشْغُولًا بِشَرِّ الْعِلْمِ ، أَوْ فَضْلِ الْحُكُومَاتِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِهْمَاتِ الدِّينِ وَالْمَصَالِحِ الْعَامَةِ ، فَلْيَقْتَصِرْ عَلَى قَدْرِ لَا يَصِلُ بِسَبَبِهِ إِخْلَالُ مَا هُوَ مُرْصَدٌ لَهُ ، وَلَا فَوَاتُ كَمَالِهِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ فَلْيَسْتَكْثِرْ مَا أَمْكَنَهُ ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى حَدِّ الْمَلَلِ أَوْ الْهَذَرَةِ فِي الْقِرَاءَةِ ^(١) .

* * *

مسألة

نسيانته كبيرة ، صرّح به النووي في الروضة وغيرها ، لحديث أبي داود وغيره : « عَرِضَتْ عَلَى ذَنْوبُ أُمِّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْجُلِ ثُمَّ نَسِيَهَا » .

وروى أيضا حديث : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَ لِقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُجْزِمَ » . وفي الصحيحين : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، هُوَ أَشَدُّ تَعَلُّقًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا » ^(٢) .

* * *

مسألة

يَسْتَحَبُّ الْوُضُوءُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَذْكَارِ ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ .

قال إمام الحرمين : وَلَا تَسْكُرْهُ الْقِرَاءَةُ لِلْمَحْدَثِ ، لِأَنَّهُ صَحَّحَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ مَعَ الْحَدَثِ . قَالَ فِي شَرْحِ الْمَهَذَّبِ : وَإِذَا كَانَ يَقْرَأُ فَعَرَضَتْ لَهُ رِيحٌ أَمْسَكَ عَنِ الْقِرَاءَةِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ خُرُوجُهَا . وَأَمَّا الْجُنُبُ وَالْحَائِضُ فَتَحْرُمُ عَلَيْهِمَا الْقِرَاءَةُ ، نَعَمْ يَجُوزُ لَهَا النَّظَرُ فِي الْمَصْحَفِ وَإِمْرَارُهُ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَمَّا مُتَنَجِّسٌ الْفَهْمُ فَتَسْكُرُهُ لَهُ الْقِرَاءَةُ . وَقِيلَ : تَحْرُمُ كَسُّ الْمَصْحَفِ بِالْيَدِ النَّجَسَةِ .

(١) الهذرة : السرعة في القراءة . (٢) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، وألفظه : « في عقابها » . وتعاهدوا القرآن ، أي جددوا عهداً بملزمة تلاوته .

مسألة

وتسنّ القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد ، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق ؛ قال النووي : ومذهبنا لا نكره فيهما . قال : وكرهها الشعبي في الحش^(١) ، وبیت الرّحا وهي تدوير ، قال : وهو مقتضى مذهبنا .

* * *

مسألة

وبستحب أن يجلس مستقبلًا متخضعا بسكينة ووقار ، مطرًا رأسه .

* * *

مسألة

ويسنّ أن يستاك تعظيما وتطهيرا ، وقد روى ابن ماجه عن عليّ موقوفا والبزار بسند جيّد عنه مرفوعا : « إن أفواهكم طرق للقرآن ، فطيبوها بالسّواك » . قلت : ولو قطع القراءة وعاد عن قرب ، فمقتضى استحباب التعموذ إعادة السواك أيضا .

* * *

مسألة

ويسنّ التعموذ قبل القراءة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٢) ، أى أردت قراءته .

وذهب قوم إلى أنّه يتعموذ بعدها لظاهر الآية ، وقوم إلى وجوبها لظاهر الأمر .

قال النووي : فلو مرّ على قوم سلّم عليهم وعاد إلى القراءة ، فإن أعاد التعموذ كان حسنا . قال : وصفته المختارة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ؛ وكان جماعة من الساف يزيدون : « السميع العليم » . انتهى .

وعن حمزة : أستعيذ ونستعيذ واستعذت ، واختاره صاحب الهداية من الحنفية لمطابقة لفظ القرآن .

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .
وعن أبي السّمال : « أعوذ بالله القويّ ، من الشيطان الغويّ » .
وعن قوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » :
وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم » .
وفيهما ألفاظ أخر .

قال الحلواني في جامعه : ليس للاستعاذة حدّ يُتَمَتَّى إليه ، من شاء زاد ومن شاء نقص .
وفي النشر لابن الجزري : المختار عند أئمة القراءة الجهر بها ، وقيل : يُسرّ مطامقا ،
وقيل : فيما عدا الفاتحة . قال : وقد أطلقوا اختيار الجهر . وقيدته أبوشامة بقيد لا بدّ منه ؛
وهو أن يكون بحضرة من يسمعه . قال : لأن الجهر بالتعوذ إظهار شعار القراءة كالجهر
بالتلبية وتسكيرات العيد . ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها ، لا يفوته منها
شيء ، وإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاتته من المقرؤه شيء ، وهذا المعنى
هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها .

قال : واختلف المتأخرون في المراد بإخفائها ، فالجمهور على أن المراد به الإسرار ،
فلا بدّ من التلّفظ وإسماع نفسه ، وقيل : السكتان بأن يذكرها بقلبه بلا تلفظ .
قال : وإذا قطع القراءة لإعراضاً أو بكلام أجنبيّ — ولورد السلام — استأنفها
أو يتعلّق بالقراءة فلا^(١) . قال : وهل هي سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة ، فهل يكفي
استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولاً ؟ لم أرفه نصّاً ، والظاهر الثاني ، لأن
المقصود اعتصام القارئ والتجاوّه بالله من شرّ الشيطان ، فلا يكون تعوذ واحد كافياً عن
آخر . انتهى كلام ابن الجزري^(٢) .

مسألة

وليحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير براءة ، لأن أكثر العلماء على أنها آية

(١) كذا في الأصل ، وفي النشر : « أو كلام يتعلّق بالقراءة لم يعد الاستعاذة »

(٢) انظر النشر ١ : ٢٥٢ وما بعدها ، نقله بتصريف .

فإذا أخلَّ بها كان تاركاً لبعض الختمة عند الأكثرين ، فإن قرأ من أثناء سورة استُجِبت له أيضاً ، نصَّ عليه الشافعيّ فيما نقله العباديّ ، قال القراء : وبتأ كد عند قراءة ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ^(١) ، و﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ ^(٢) لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة ، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان .

قال ابن الجزريّ : الابتداء بالآي وسط براءة ، قلّ مَنْ تعرّض له ، وقد صرح بالبسملة فيه أبو الحسن السخاويّ ، وردّ عليه الجمهريّ ^(٣) .

* * *

مسألة

لا تحتاج قراءة القرآن إلى نيّة كسائر الأذكار ، إلا إذا نذر ها خارج الصلاة ، فلا بدّ من نية التّذرّ أو الفرض ؛ ولو عيّن الزمان ، فلو تركها لم تجز . نقله القموليّ في الجواهر .

* * *

مسألة

يسنّ الترتيل في قراءة القرآن ، قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ .

وروى أبو داود وغيره عن أمّ سلمة ، أنّها نعتت قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم : «قراءة مفسّرة ، حرفاً حرفاً» .

وفي البخاريّ عن أنس ، أنّه سُئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدّاً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ «الله» ، ويمدّ «الرحمن» ، ويمدّ «الرحيم» .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ، أنّ رجلاً قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة ، فقال : «هذا كهذا الشعر ، إنّ قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب ، فرسخ فيه نفع» ^(٤) .

وأخرج الآجُرِّي في حمة القرآن ، عن ابن مسعود قال : « لا تنثروه نثر الدَّقْل ^(١) ، ولا تهذَّوه هذا الشَّعر ، قفوا عند عجائبه ، وخرِّكوا به القلوب ، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة » .

وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً : يقال لصاحب القرآن : اقرأ وأرق في الدرجات ، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها .
قال في شرح في المذهب : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع .

قالوا : وقراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل .
قالوا : واستحب الترتيل للتدبر ، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير ، وأشد تأثيراً في القلب ، ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه . انتهى

وفي النشر : اختلف ؛ هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها ؛ وأحسن بعض أئمتنا ، فقال : إن ثواب قراءة الترتيل أجلّ قدرًا ، وثواب الكثرة أكثر عددًا لأن بكل حرف عشر حسنات ^(٢) .

وفي البرهان للزركشي : كمال الترتيل تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، وألا يدغم حرف في حرف . وقيل : هذا أقله وأكمله أن يقرأه على منازله ، فإن قرأ تهديدًا لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيمًا لفظ به على التعظيم ^(٣) .

* * *

مسألة

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم ، وبه تشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ^(٤) ،

وقال ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ^(١) وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويعتقد قبول ذلك ؛ فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر ، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل ، أو عذاب أشفق وتعوذ ، أو تنزية نزّه وعظّم ، أو دعاء تضرّع وطلب .

أخرج مسلم عن حذيفة ، قال : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ ، ثُمَّ النَّسَاءَ ، فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مَرَّسًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ .

وروى أبو داود والنسائي وغيرهما ، عن عوف بن مالك ، قال : قُتِّمْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ، فَقَامَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقْرَةِ ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةً إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ .

وأخرج أبو داود والترمذي حديث : « مَنْ قَرَأَ وَالتِّينَ وَالزَّيْتُونَ ، فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا ، فَلْيَقُلْ : بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ . ، وَمَنْ قَرَأَ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّجَ الْمُوتَى﴾ ، فَلْيَقُلْ : بَلَى ، وَمَنْ قَرَأَ وَالْمُرْسَلَاتِ ، فَلْيَقُلْ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ، فَلْيَقُلْ : آمَنَّا بِاللَّهِ .

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، قَالَ : سَبَّحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى .

وأخرج الترمذي والحاكم ، عن جابر ، قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ ، فَكَانُوا أَحْسَنَ مُرَدِّدًا مِنْكُمْ ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ : « فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » قَالُوا : وَلَا شَيْءَ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ : فَلَكَ الْحَمْدُ .

وأخرج ابن مردويه والديلمي وابن أبي الدنيا في الدعاء وغيرهم بسند ضعيف جدًا ،

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ (١) الآية ، فقال : اللهم أمرت بالدعاء ، وتكففت بالإجابة ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، أشهد أنك فرد أحد صمد ، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفؤاً أحد ، وأشهد أن وعدك حق ، ولقاءك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنتك تبعث من في القبور . وأخرج أبو داود وغيره عن وائل بن حجر ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ، فقال : « آمين » يمد بها صوته .

وأخرجه الطبراني بلفظ قال : « آمين » ثلاث مرات ، وأخرجه البيهقي بلفظ : قال : « رب اغفر لي آمين » .

وأخرج أبو عبيد ، عن أبي ميسرة ، أن جبريل لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة « آمين » .

وأخرج عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال : آمين . قال النووي : ومن الآداب إذا قرأ نحو ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيَ رَبُّ اللَّهِ﴾ (٢) ، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (٣) ، أن يخفص بها صوته . كذا كان النخعي يفعل .

مسألة

لابأس بتكرير الآية وترديدها ، روى النسائي وغيره عن أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى أصبح : ﴿إِن تَعَذَّبْهُمْ فَبَأْسُ لَهُمْ عِبَادِكُمْ...﴾ (٤) الآية .

مسألة

يستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر عليه ، والحزن والخشوع قال تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ (٥) .

وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه « فإذا عيناه تذر فان » .

وفي الشعب للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا : « إن هذا القرآن نزل بحزن وكتابة فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتبأ كوا » .

وفيه من مرسل عبد الملك بن عمير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني قارئ عليكم سورة ، فمن بكى فله الجنة ، فإن لم تبكوا فتبأ كوا » .

وفي مسند أبي يعلى حديث : « اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن » .

وعند الطبراني : « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به » .

قال في شرح المذهب : وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم يفكر في تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك ، فإنه من المصائب .

* * *

مسألة

يسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها لحديث ابن حبان وغيره : « زينوا القرآن بأصواتكم » . وفي لفظ عند الدارمي : « حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » .

وأخرج البزار وغيره حديث : « حُسْنُ الصوت زينة القرآن » .

وفيه أحاديث صحيحة كثيرة ، فإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع ، بحيث لا يخرج إلى حد التمليط .

وأما القراءة بالألحان ، فنص الشافعي في المختصر أنه لا بأس بها . وعن رواية الربيع الجيزي أنها مكروهة .

قال الرافعي: قال الجمهور ليست على قولين ، بل المكروه أن يُفْرِط في المد ، وفي إشباع الحركات ، حتى يتولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الإدغام ، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة .

قال في زوائد الروضة : والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم . قال : وهذا مراد الشافعي بالكراهة .

قلت : وفيه حديث : «اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتابين وأهل الفسق ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » . أخرجه الطبراني والبيهقي .

قال النووي : ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها ، للحديث الصحيح ، ولا بأس باجتماع الجماعة في القراءة ولا بإدارتها ، وهي أن يقرأ بعض الجماعة قطعة ثم البعض قطعة بعدها .

مسألة

يستحب قراءته بالتفخيم لحديث الحاكم : «نزل القرآن بالتفخيم» ، قال الحلبي : ومعناه أنه يقرأه على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت فيه كلام النساء . قال : ولا يدخل في هذا كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراءة . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالاته .

مسألة

وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت بالترادة ، وأحاديث تقتضي الإسرار

وخفض الصوت ، فمن الأول حديث الصحيحين : «مأذن الله لشيء ماأذن لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن ، يجهر به » .

ومن الثاني حديث أبي داود والترمذي والنسائي : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالسر بالصدقة » .

قال النووي : والجمع بينهما أن الإخفاء أفضل ، حيث خاف الرؤيا ، أو تأذى مصلون أو نيام بجهره ، والجهر أفضل في غير ذلك ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، وبطرد النوم ويزيد في النشاط . وبدل لهذا الجمع حديث أبي داود بسند صحيح ، عن أبي سعيد : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة ، فكشف الستر ، وقال : «ألا إن كلكم مناجاة لربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضاً ، ولا يرفع بعضهم على بعضهم في القراءة » .

وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ، لأن السر قد يمل فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار » .

* * *

مسألة

القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه ، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة ، قال النووي : هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً ، ولم أر فيه خلافاً . قال : ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ ، ويختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف ؛ لكان هذا قولاً حسناً .

قلت : ومن أدلة القراءة في المصحف ما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعاً : «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة » .

وأخرج أبو عبيد بسند ضعيف : « فضل قراءة القرآن نظراً ، على من يقرؤه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة » .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً : « من سرّه أن يحبّ الله ورسوله ؛ فليقرأ في المصحف » ، وقال : إنّه منكر .

وأخرج بسند حسن موقوفاً : « أديبوا النظر في المصحف » .
وحكى الزركشي في البرهان ما بحثه النووي قولاً ، وحكى معه قولاً ثالثاً : إن القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً ، وإن ابن عبد السلام اختاره ، لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف ^(١) .

مسألة

قال في التبيان ^(٢) : إذا أرتجى على القارئ فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه ، فسأل عنه غيره ، فينبغي أن يتأدّب بما جاء عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود ، قالوا : إذا سأل أحدكم أخاه عن آية ، فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ، ولا يقول كيف كذا وكذا ، فإنه يلبس عليه . انتهى .

وقال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف : هل بالتاء أو بالياء ؟ فليقرأ بالياء فإن القرآن مذكر ، وإن شك في حرف : هل هو مهموز أو غير مهموز ؟ فليترك الهمز ، وإن شك في حرف : هل يكون موصولاً أو مقطوعاً ؟ فليقرأ بالوصل ، وإن شك في حرف : هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شك في حرف : هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأول غير لحن في موضع ، والثاني لحن في بعض المواضع .

(١) البرهان ١ : ٤٦٣ ، وهو الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام الشافعي شيخ الإسلام ، المتوفى سنة ٦٦٠ .
(٢) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي ، المتوفى سنة ٦٧٦ ، ذكره في كشف الظنون ٣٤٠ .

قلت: أخرج عبد الرزاق عن ابن مسعود، قال: إذا اختلفتم في باء وتاء، فاجعلوها باء، ذكروا القرآن. ففهم منه ثعلب أن ما احتمل تذكيره وتانيثه كان تذكيره أجود. ورد بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التانيث لكثرة ما في القرآن منه بالتانيث نحو ﴿النار وعدها الله﴾^(١)، ﴿التفت الساق بالساق﴾^(٢)، ﴿قالت لهم رسولهم﴾^(٣)، وإذا امتنع إرادة غير الحقيقي فالحقيقي أولى، قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتانيث غلب فيه التذكير، كقوله تعالى: ﴿والنخل باسقات﴾^(٤)، ﴿أعجاز نخل خاوية﴾^(٥)، فأنث مع جواز التذكير، قال تعالى: ﴿أعجاز نخل منقعر﴾^(٦)، ﴿من الشجر الأخضر﴾^(٧).

قالوا: فليس المراد ما فهم «ذكروا» الموعظة والدعاء كما قال تعالى: ﴿فذكروا بالقرآن﴾^(٨) إلا أنه حذف الجار، والمقصود: ذكروا الناس بالقرآن، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه.

قلت: أول الأثر بابي هذا الحمل.

وقال الواحدى: الأمر ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتانيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذكر، نحو ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾^(٩) قال: ويدل على إرادة هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كحمزة والكسائي، ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا القبيل، بالتذكير نحو ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾^(١٠) وهذا في غير الحقيقي.

* * *

مسألة

بكره قطع القراءة لكاملة أحد، قال: الحلیمی: لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره.

(٢) سورة القيامة ٢٩

(٤) سورة ق ١٠

(٦) سورة القمر ٢٠

(٨) سورة ق ٥٥

(١٠) سورة النور ٢٤

(١) سورة الحج ٧٢

(٣) سورة إبراهيم ١١

(٥) سورة الحاقة ٧

(٧) سورة يس ٨٠

(٩) سورة البقرة ٨

وأبدّه البيهقي بما في الصحيح : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يشكلم حتى يفرغ منه .

ويكره أيضا الضحك والعبث والنظر إلى ما يليه

* * *

مسألة

ولا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً، سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة أم خارجها . وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً، وعن أبي يوسف ومحمد لمن لا يحسن العربية ، لكن في شارح البزدوي أن أبا حنيفة رجع عن ذلك ، ووجه النع أنه يذهبُ إيجازه المقصود منه .

وعن القفال^(١) من أصحابنا : إن القراءة بالفارسية لا تتصور ، قيل له : فإذاً لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ، قال : ليس كذلك ، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأ بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى ، لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن ، بخلاف التفسير .

* * *

مسألة

لا تجوز القراءة بالشاذ : نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك ، لكن ذكر موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة ، قياساً على رواية الحديث بالمعنى .

* * *

مسألة

الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال في شرح الهمداني : لأن ترتيبه لحكمة ، فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع ، كصلاة صبح يوم الجمعة بالتمّ تنزيل وهل أتى ونظائره ، فلو فرق السور أو عكسها جاز وترك الأفضل . قال : وأما قراءة السورة من

(١) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعي الناشئ المعروف بالفتال الكبير ، صاحب المصنفات في الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، توفي سنة ٣١٥ . ضلّات الذهب ٣ : ٥٢

آخرها إلى أولها فتتفق على منعه ، لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ، ويزيل حكمة الترتيب .
قلت : وفيه أثر ، أخرج الطبراني بسند جيد ، عن ابن مسعود ، أنه سئل عن رجل يقرأ
القرآن منكوساً ، قال : ذاك منكوس القلب .

وأما خلط سورة بسورة ، فقد الحليمي تركه من الآداب ، لما أخرجه أبو عبيد عن
سعيد بن المسيب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة
ومن هذه السورة ، فقال : يا بلال ، مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه
السورة ، قال : الطيب بالطيب ، فقال : « اقرأ السورة على وجهها - أو قال - على نحوها » .
مرسل صحيح ، وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره .

وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر ، عن عمر مولى غفرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال : « إذا قرأت السورة فانفذهها » .

وقال : حدثنا معاذ عن ابن عون ، قال : سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من
السورة آيتين ثم يدعها ، ويأخذ في غيرها ، وقال : ليتق أحدكم أن يأنم إنما كبيراً
وهو لا يشعر .

وأخرج عن ابن مسعود ، قال : إذا ابتدأت في سورة ، فأردت تتحول منها إلى
غيرها فتحول إلى « قل هو الله أخذ » ، فإذا ابتدأت فيها فلا تتحول منها حتى تحتمها .
وأخرج عن ابن أبي الهذيل . قال : كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآية
ويدعوا بعضها .

قال أبو عبيد : الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة ، كما أنكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما كرهه ابن سيرين .

وأما حديث عبد الله ، فوجهه عندي أن يبتدئ الرجل في السورة يريد إتمامها ، ثم
يبدؤه في أخرى ، فأما من ابتداء القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية ، وترك

التأليف لآى القرآن ، فإنما يفعله من لاعلم له ، لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك . انتهى .
وقد نقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .
قال البيهقى : وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ
من جهة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذه عن جبريل ، فالأولى للقارى أن يقرأ على
التأليف المنقول ، وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم .

مسألة

قال الحلبي : يسن استيفاء كل حرف أثبتته قارى ليكون قد أتى على جميع ما هو
قرآن . وقال ابن الصلاح والنووى ، إذا ابتداء بقراءة أحد من القراء فينبغى ألا يزال
على تلك القراءة مادام الكلام مرتبطاً ، فإذا انقضى ارتباطه ، فله أن يقرأ بقراءة أخرى .
والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس .

وقال غيرهما بالمنع مطلقاً .

قال ابن الجزرى : والصواب أن يقال : إن كانت إحدى القراءتين مرتبة على
الأخرى منسج ذلك منسج تحريم ، كمن يقرأ : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ برفعهما
أو نصبهما ، أخذ رفع « آدم » من قراءة غير ابن كثير ورفع « كلمات » من قراءته ،
ونحو ذلك مما لا يجوز في العربية واللغة ، ومالم يكن كذلك فرق فيه بين مقام الرواية
وغيرها ، فإن كان على سبيل الرواية حرّم أيضاً ، لأنه كذب في الرواية وتخليط ، وإن
كان على سبيل التلاوة جاز .

مسألة

يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللفظ والحديث بحضور القراءة ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

* * *

مسألة

يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة ، وهي أربع عشرة : في الأعراف والرعد ، والنحل ، والإسراء ، وصريم ، وفي الحجّ سجدتان ، والفرقان ، والنمل ، وآلم تنزيل ، وفُصّات ، والنجم ، وإذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربك ، وأماص فمستحبة . وليست من عزائم السجود ؛ أي متأكّداته . وزاد بعضهم آخر الحجر . نقله ابن الفرس في أحكامه .

* * *

مسألة

قال النووي : الأوقات المختارة للقراءة ، أفضلها ما كان في الصلاة ثم الليل ، ثم نصفه الأخير ، وهي بين المغرب والشاء محبوبة . وأفضل النهار بعد الصبح . ولا تُكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه ، وأما ما رواه ابن أبي داود عن مُعَاذ بن رفاعه ، عن مشايخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر — وقالوا : هو دراسة يهود — فغير مقبول ، ولأصل له . ويُختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ، ثم الاثنين ، والخميس . ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأول من ذى الحجة ، ومن الشهور رمضان .

ويُختار لابتدائه ليلة الجمعة ، ولختمه ليلة الخميس ، فقد روى ابنُ أبي داود ، عن عثمان بن عفان ، أنه كان يفعل ذلك .

والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل ؛ لما رواه الدارميّ بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص ، قال : إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلّت عليه الملائكة حتى يمسي . قال في الإحياء : ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر ، وأول الليل في ركعتي سنة المغرب .

مسألة

وعن ابن المبارك ، يستحب الختم في الشتاء أول الليل ، وفي الصيف أول النهار .

مسألة

يسنّ صوم يوم الختم ، أخرجه ابن أبي داود عن جماعة من التابعين ، وأن محضر أهله وأصدقائه . أخرج الطبراني ، عن أنس ، أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . وأخرج ابن أبي داود عن الحكم بن عتيبة ، قال : أرسل إلى مجاهد وعنده ابن أبي أمية ، وقال : إنا أرسلنا إليك لأننا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن .

وأخرج عن مجاهد ، قال : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون : عنده تنزل الرحمة .

* * *

مسألة

يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن ، وهي قراءة المسكتين . أخرج البيهقي في الشعب وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة ، سمعت عكرمة بن سليمان قال : قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي . ، فلما بلغت الضحى ، قال : كبر حتى تحتم ، فأتى قرأت على عبد الله بن كثير ، فأمرني بذلك وقال : قرأت على مجاهد فأمرني بذلك . وأخبر مجاهد ، أنه قرأ على ابن عباس ، فأمره بذلك .

وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب ، فأمره بذلك . كذا أخرجه موقوفا . ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن بزة مرفوعا .

وأخرجه من هذا الوجه - أعنى الرفوع - الحاكم في مستدركه ، وصححه ، وله طرق كثيرة عن البرقي .

وعن موسى بن هارون قال : قال لي البرقي : قال لي محمد بن إدريس الشافعي : إن تركت التكبير فقدت سنة من سنن نبيك ، قال الحافظ عماد الدين بن كثير : وهذا يقتضى تصحيحه للحديث .

وروى أبو العلاء الهمداني، عن البرقي أن الأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قَلَّ مُحَمَّدًا رَبُّهُ، فنزلت سورة الضحى، فكَبَّرَ النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير: ولم يروَ ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف.

وقال الحلبي: نكتة التكبير التشبيه للقراءة بصوم رمضان إذا أكل كل عدته يكَبَّرُ، فكذا هنا يكَبَّرُ إذا أكل عدة السورة. قال: وصفته أن يَقِفَ بعد كل سورة وقفة، ويقول: الله أكبر.

وكذا قال سليم الرازي من أصحابنا في تفسيره: يُكَبِّرُ بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة. قال: وَمَنْ لَا يَكَبِّرُ من القراء، حَجَّتْهُمْ أَنْ في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن بأن يداوم عليه فتوهم أنه منه.

وفي النشر: اختلف القراء في ابتدائه، هل هو من أول الضحى أو من آخرها؟ وفي انتهائه: هل هو أول سورة الناس أو آخرها؟ وفي وصله بأولها أو آخرها وقطعه، والخلاف في الكل مبني على أصل، وهو أنه: هل هو لأول السورة أو لآخرها، وفي لفظه فقيل: الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر: وسواء في التكبير في الصلاة وخارجها - صرح به السخاوي وأبو شامة.

* * *

مسألة

يسن الدعاء عقب الختم، لحديث الطبراني وغيره عن العرياض بن سارية مرفوعا: «مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ».

وفي الشعب من حديث أنس مرفوعا: «مَنْ قرأ القرآن وحمد الرب، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم واستغفر ربه، فقد طلب الخير مكانه».

مسألة

يسنّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم ، لحديث الترمذی وغيره: «أحبُّ الأعمال إلى الله الحال المرتحل ، الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره ، كلّما حلّ ارتحل .»

وأخرج الدارمی بسند حسن ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ : «قل أعوذ برب الناس» افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى : «أولئك هم المفلحون» ، ثم دعا بدعاء الختمة ، ثم قام .

مسألة

عن الإمام أحمد ، أنه منع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ، لكن عمل الناس على خلافه . قال بعضهم : والحكمة فيه ماورد أنها تعدل ثلث القرآن ، فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فكان ينبغي أن تقرأ أربعا ليحصل له ختمتان !

قلنا : المقصود أن يكون على يقين من حصول ختمة ، إما التي قرأها ، وإما التي حصل ثوابها بتكرير السورة . انتهى .

قلت : وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ماله حصل في القراءة من خلل ، وكما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان ، فينبغي أن يقاس تكرير سورة الإخلاص على إتمام رمضان بست من شوال .

مسألة

بكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها . وأخرج الآجری من حديث عمران بن الحصين مرفوعا : « مَنْ قرأ القرآن ، فليسأل الله به ، فإنه سيأتي قوم يقرءون القرآن يسألون الناس به .»

وروى البخارى في تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه ، ألون بكل حرف عشر لعنات » .

* * *

مسألة

يسكره أن يقول : نيت آية كذا ، بل أنسيتها ، لحديث الصحيحين في النهي عن ذلك .

* * *

مسألة

الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميت ، ومذهبنا خلافه ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْأَمْسَى ﴾ ^(١) .

* * *

فصل في الاقتباس وما جرى مجراه

الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن ، لاعلى أنه منه ، بالآ يقال فيه قال الله تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا . وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله ، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين ، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا . وقد تعرض له جماعة من المتأخرين ، فسئل عنه الشيخ عز الدين عبد السلام ، فأجازه ، واستدل له بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قوله في الصلاة وغيرها : « وجهت وجهي : » إلى آخره وقوله . « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ، اقض عني الدين ، واغنني من الفقر » .

وفي سياق كلام لأبي بكر : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

وفي آخر حديث لابن عمر : قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . انتهى .
وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام الموعظ والثناء والدعاء ، وفي النثر لادلالة
فيه على جوازه في الشعر ، وبينهما فرق ، فإن القاضي أبابكر من المالكية صرح
بأن تضمينه في الشعر مكروه وفي النثر جائز .

واستعمله أيضا في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفا .
وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليماني صاحب مختصر الروضة في شرح بديعية :
ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ولو في النظم فهو
مقبول ؟ وغيره مردود .

وفي شرح بديعية ابن حجة : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود
فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .
والثاني : ما كان في القول والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين : أحدهما منسب لله إلى نفسه - ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ،
قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله : « إن الينا إياهم ،
إن علينا حسابهم » - والآخر تضمنين آية في معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك ، كقول

أَوْحَى إِلَى عِشَاقِهِ طَرَفُهُ « هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ »
وَرَدُّهُ يَنْطِقُ مِنْ خَلْفِهِ « لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ »

قلت : وهذا التقسيم حسن جدا ، وبه أقول .

وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور
القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وإجلالهم أن من شعره قوله

بِأَمْنٍ عَدَى ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اعْتَرَفَ ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفَ
أَبْشُرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ : إِنْ يَنْتَهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره له فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه يجوز . وقيل إن ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كل واحد يهيمون ، ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي ، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين ، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر .

قلت : ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله ، وقد قدمنا أن ذلك خارج عنه .

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين ، فقال في عروس الأفراح : الورع اجتناب ذلك كله ، وأن ينزه عن مثله كلام الله ورسوله .

قلت : رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء ، منهم الإمام أبو القاسم الرافعي ، قال : وأنشده في أماليه ، ورواه عنه أئمة كبار :

الملكُ لله الَّذِي عَنَتِ الوجوه له وذَلَّتْ عنده الأربابُ
متفردًا بالملك والسلطان قد خسر الذين تجاذبوه وخابوا
دعهم وزعم الملك يوم غرورهم فسيعلمون غدًا من الكذاب!

وروى البيهقي في شعب الإيمان ، عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمى ، قال : أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه : .

سَلِّ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقَهُ فَإِنَّ التَّقَى خَيْرُ مَا تَكْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَصْنَعْ لَهُ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ

ويقرب من الاقتباس شئبان :

أحدهما : قراءة القرآن يراد بها الكلام . قال النووي في التبيان : ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافًا ، فروى عن النخعي ، أنه كان يكره أن يتأول القرآن لشيء يعرض من أمر الدنيا .

وأخرج عن عمر بن الخطاب ، أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة : ﴿والتين والزيتون وطور سينين﴾ ، ثم رفع صوته ، فقال : ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ . وأخرج عن حُكَيْمِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْحَكَمَةِ أَتَى عَلِيًّا وَهُوَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فَقَالَ : ﴿لَتَنْ أُشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ^(١) ، فَأَجَابَهُ فِي الصَّلَاةِ : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾ ^(٢) . انتهى . وقال غيره : يكره ضرب الامثال من القرآن ، صرح به من أصحابنا العمد البهيقي تلميذ البغوي ، كما نقله الصلاح في فوائد رحلته .

الثاني : التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره ، وهو جائز بلا شك ، وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم قوله :

مَجَازٌ حَقِيقَتُهَا فَاعْبُرُوا وَلَا تَعْمُرُوا هَوْنُهَا تَهْنُ
وَمَاحِشُنُ بَيْتٍ لَهُ زَخْرَفٌ تَرَاهُ إِذَا زَلْزَلَتْ لَمْ يَكُنْ !

خَشِيَ أَنْ يَكُونَ ارْتِكَابَ حَرَامٍ ، لِاسْتِعْمَالِهِ هَذِهِ الْأَفْظَاظَ الْقُرْآنِيَّةَ فِي الشَّعْرِ ، فَجَاءَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيٍّ الدِّينِ بْنِ دَقِيقٍ يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهُمَا ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : « وَمَا حَسَنُ كَفٍّ » ، فَقَالَ : بِاسْتِدْلَالِ أَفْذَتَنِي وَأَفْتَبَتَنِي .



خاتمة

قال الزركشي في البرهان : لا يجوز تعدّي أمثلة القرآن ، ولذلك أنكر على الحريري قوله ^(٣) : « فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا أُخْرِجَ ^(٤) مِنَ التَّابُوتِ ، وَأَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ » . وأى معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ

(٢) سورة الروم ٦٠

(١) سورة الزمر ٦٥

(٣) في مقاماته الفرضية ، وهي الخامسة عشرة ١ : ٢٣ - بشرح الشريشي .

(٤) أخرج : أضيق .

البيوت لبیت العنكبوت ﴿^(١)﴾ ، فأدخل « إن » ، وبني أفعال التفضيل ، وبناءه من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرف الجمع باللام ، وآتى في خبر « إن » باللام ^(٢) .

لكن إستشكل هذا بقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٣) ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما دون البعوضة ، فقال : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنَ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ^(٤) ... » .

قلت : قد قال قوم في الآية : إن معنى قوله : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ في الحسنة ، وعبر بعضهم عن هذا بقوله : معناه : « فمادونها » ، فزال الإشكال ^(٥) .

* * *

تمّ الجزء الأول من كتاب الإتيان في علوم القرآن
للإمام السيوطي ويليه الجزء الثاني وأوله : الباب
السادس والثلاثون في معرفة غريبة ؟

* * *

•

(١) سورة العنكبوت ٤٦

(٢) بعدها في البرهان : وقد قال الله تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا » وكان اللائق بالحري ألا يتجاوز هذه المبالغة ، وما بعد تمثيل الله تمثيل وقول الله أقوم قبل ، وأوضح سبيل . . . »

(٣) سورة البقرة ٢٦

(٤) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ٢٢١ عن الترمذي ، ونقله فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء » .

(٥) البرهان ١ : ٤٨٤

فهرس الموضوعات

الصفحة

* ١١ - ١

تصدير

* * *

٢١ - ٣

مقدمة المؤلف :

٤

الكلام على كتاب محي الدين الكافيجي في علوم القرآن

٥ ، ٤

كتاب مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال الدين البلقيني

١٠ - ٦

كتاب التحرير في علوم التفسير للمؤلف

١٣ - ١١

كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي

شروع المؤلف في تأليف كتاب الإتيان ، ثم ذكر ثبت

١٧ - ١٤

لأبوابه الثمانية

١٨

مراجع المؤلف من الكتب النقلية

١٨

من جوامع الحديث والمسانيد

١٩ ، ١٨

من كتب القراءات

١٩

من كتب الأحكام وتعلقاتها

١٩

من الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة

٢٠

من الكتب المتعلقة بالقرآن

٢٠

من كتب الرسم

٢٠

من الكتب الجامعة

٢١

من كتب التفاسير لغير المحدثين

* الأرقام في التذييل .

صفحة

النوع الأول

٢٢ — ٥٠

في معرفة المكي والمدني

٢٣

اصطلاحات العلماء في المكي والمدني

قصيدة ابن الخطار في أسماء السور المكية وأسماء السور

٢٨

المدنية .

٣٠

فصل في تحرير السور المختلف فيها

٣٨

فصل في ذكر بعض الشواهد التي تضمنت آيات من المكي والمدني

٣٨

فصل في ذكر ما استثنى من المكي والمدني

٤٧

ذكر ضوابط في المكي والمدني

٤٩ — ٥٠

فائدة في ذكر ما نزل من المفصل بمكة

٤٩

تنبيه بذكر مسائل أخرى تتعلق بالمكي والمدني

النوع الثاني

٥١ — ٥٧

في معرفة الحصري والسفري

٥١ — ٥٧

إيراد أمثلة متنوعة لكل منهما

النوع الثالث

٦٠ — ٦٢

معرفة النهاري والليلي

٦٠ — ٦١

أمثلة لكل منهما

٦١ ، ٦٢

فرع في ذكر ما نزل بين الليل والنهار

٦٢

تنبيه في الكلام على الرؤيا النهارية

صفحة

النوع الرابع

ذكر الصيفي والشتائي

٦٢ — ٦٣

٦٤ ، ٦٣

ذكر آيات لكل منها

* * *

النوع الخامس

الفراشي والنومي

٦٦ ، ٦٥

٦٦ ، ٦٥

ذكر آيات لكل منهما

* * *

النوع السادس

الأرضي والسمائي

٦٧

٦٧

ذكر آيات لكل منهما

* * *

النوع السابع

معرفة أول منازل

٦٨ — ٧٦

٦٨ — ٧١

٧٢ ، ٧٣

٧٣ ، ٧٤

٧٤ — ٧٦

ذكر الأقوال المختلفة في ذلك

فرع في ترتيب منازل من السور

قصيدة البرهان الجعبري في هذا الشأن

فرع في ذكر أوائل مخصوصة

* * *

النوع الثامن

معرفة آخر منازل

٧٧ — ٨١

٧٧ — ٨١

الأقوال المختلفة في الآيات التي تتصل بذلك

الصفحة

٨١

تنبيه في ذكر المشكل في هذا الشأن

* * *

النوع التاسع

٩٨ — ٨٢

معرفة سبب النزول

٨٢

ذكر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع

تقسيم نزول القرآن إلى قسمين : قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة

٨٥ — ٨٢

أو سؤال ، وذكر مسائل في هذا الشأن :

المسألة الأولى : الفوائد المترتبة على معرفة أسباب النزول

المسألة الثانية : في الخلاف بين الأصوليين : هل العبرة بعموم اللفظ

٨٧ — ٨٥

أو بخصوص السبب ؟

٨٨ ، ٨٧

المسألة الثالثة : قد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة

المسألة الرابعة : في أن أسباب النزول لا يمكن معرفتها إلا بالرواية والسمع

٩٠ ، ٨٩

من النقائ .

٩٦ — ٩١

المسألة الخامسة : في ذكر أسباب النزول المتعددة للآية الواحدة .

٩٨ ، ٩٧

تنبيه في ذكر سبب واحد لنزول آيات متعددة

* * *

النوع العاشر

١٠١ — ٩٩

فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة

١٠٠ ، ٩٩

ذكر آيات من ذلك

تذنيب في ذكر ما ورد من القرآن على لسان غير الله سبحانه كالنبي عليه

١٠١

السلام وجبريل من الملائكة

صفحة

النوع الحادى عشر

ما تكرر نزوله

١٠٢-١٠٣

١٠٢

ذكر طائفة من الآيات في هذا الشأن

١٠٣

تنبيهه في ذكر ما يقرأ على وجهين فأكثر من هذا الباب

١٠٣

تنبيهه بذكر قول من ينكر تكرار النزول للآية الواحدة .

* * *

النوع الثانى عشر

١٠٤-١٠٦

ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

* * *

النوع الثالث عشر

١٠٧ ، ١٠٨

ما نزل مفرداً وما نزل جمعا

١٠٧ ، ١٠٨

ذكر طائفة من الآيات الواردة في ذلك

* * *

النوع الرابع عشر

١٠٠-١١١

ما نزل مشيعا وما نزل مفرداً

١٠٩ ، ١١٠

ذكر طائفة من الآيات الواردة في ذلك

١١٠ ، ١١١

فائدة في ذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن

* * *

النوع الخامس عشر

١١٢-١١٥

ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل

١١٢ ، ١١٣

النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر طائفة من الآيات الواردة في هذا الشأن

فائدة في ذكر الآيات التي كانت البرهان الذى أرى به يوسف عليه السلام ١١٥

صفحة

النوع السادس عشر

١٤٢ — ١١٨

في كيفية إنزاله

١١٩ — ١١٦

في كيفية إنزال القرآن من اللوح المحفوظ

١٤٢ — ١٢٥

السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا

١٢٣

تذنيب

١٢٤

فروع

١٢٩ — ١٢٥

كيفية الإنزال والوحي

١٣١ — ١٤٩

فوائد متفرقة

١٤١ — ١٣١

اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف

١٤٢ ، ١٤١

أقوال العلماء في اشتغال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة.

* * *

النوع السابع عشر

١١٣ — ١٤٣

في معرفة أسمائه وأسماء سورته

١٤٦ — ١٤٣

ذكر ما أورده أبو المعالي عزیزی في هذا الشأن

١٤٨ — ١٤٦

ذكر تعليل أسماء السور

١٤٩

ذكر سبب تسمية ما جمع من القرآن بالمصحف

١٤٩

فصل في إيراد قول من أطلق اسم التوراة أو الإنجيل على القرآن

١٥١ ، ١٥٠

فصل في أسماء السور

١٥٩ — ١٥١

فصل في إيراد أسماء متعددة لبعض السور

تنبيه: هل تعداد الأسماء توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ، وأقوال

١٦١ — ١٥٩

العلماء في ذلك ؟

١٦١

فصل في إطلاق اسم واحد على طائفة من السور

٣ ، ١٦٢

فائدة في إعراب أسماء السور

صفحة

فائدة في تقسيم القرآن إلى أربعة أقسام : السبع الطول ، والمئين
والثاني ، والفصل .

١٦٣ — ١٨٣

* * *

النوع الثامن عشر

١٦٤ — ١٨٣

في جمعه وترتيبه

١٦٤ — ١٧٢

القول في جمع القرآن ثلاث مرات

١٧٢

فائدة في ذكر عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى سائر الآفاق

١٧٢ — ١٧٦

فصل في ذكر الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي

فصل في اختلاف أقوال العلماء في ترتيب السور ، هو توفيقى أو

١٧٦ — ١٧٩

أو باجتهاد الصحابة ؟

١٧٩ — ١٨٠

السبع الطول ، وسور المئين ، وسور المئتين ، وسور المفصل

١٨١

فائدة في أنواع المفصل

١٨١ — ١٨٣

فائدة في ترتيب مصحف أبي وابن مسعود

* * *

النوع التاسع عشر

١٨٤ — ١٩٩

في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

١٨٦

تنبيه بذكر عدد سور مصحف أبي

١٨٦ — ١٨٧

فائدة في ذكر الحكمة في تسوير القرآن سوراً

١٨٧ — ١٩٥

فصل في عدد الآي

١٩٥

ذكر ضوابط في هذا الشأن

١٩٥

ذكر الكلام على منظومة علي بن محمد الغالى في عدد الآي

١٩٦

فائدة في ذكر الفوائد المترتبة على معرفة عدد الآي .

صفحة

- فائدة أخرى في ذكر الأحاديث الواردة في هذا الشأن
١٩٧٠ ١٩٦
١٩٧
فصل في عدد كلمات القرآن .
١٩٨٠ ١٩٧
فصل في عدد حروف القرآن .
فائدة في الكلام على موضع نصف القرآن باعتبار الحروف والكلمات
١٩٨ والآيات والسُّور

النوع العشرون

- في معرفة حفاظه وروائه
٢٠٣—١٩٩
تنبيه في تحقيق اسم أبي زيد أحد الصحابة من الأنصار الذين جمعوا القرآن ٢٠١
ذكر المرأة الصحابية التي اشتركت في جمع القرآن ٢٠٤ ، ٢٠٣
فصل في ذكر المشتهرين بالإقراء ٢٠٦—٢٠٤

* * *

النوع الحادي والعشرون

- معرفة العالي والنازل من أسانيده
٢٠٩—٢٠٧
أقسام العالي منه ٢٠٩—٢٠٧

* * *

النوع الثاني والثالث والرابع والخامس

والسادس والسابع والعشرون

- معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج
٢٢٩—٢١٠
ذكر أقوال العلماء في ذلك ٢١٥—٢١٠
ذكر ما نقله المؤلف عن ابن الجزري في أنواع القراءات
٢١٦—٢١٥
القول في المتواتر ٢٢٢ ، ٢٢٢
الفرق بين القرآن والقراءات ٢٢٣ ، ٢٢٢
ذكر القراءات المرادة بالحديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ٢٢٦—٢٢٣

صفحة

٢٢٨—٢٢٦

ذكر الأحكام المترتبة على اختلافات القراءات .

٢٢٨

اختلاف العلماء في العمل بالقراءة الشاذة

٢٢٩ ، ٢٢٨

الكلام في توجيهات القراءات وما أُلّف من الكتب في هذا الشأن

* * *

النوع الثامن والعشرون

٢٥١—٢٣٠

في معرفة الوقف والابتداء

٢٣٩—٢٣١

فصل في أنواع الوقف

٢٤٤—٢٣٩

ذكر مسائل مختلفة تتعلق بالوقف

ضوابط :

٢٤٥ ، ٢٤٤

كل ما في القرآن من «الذى» و«الذين»

٢٤٦ ، ٢٤٥

حكم الوقف على المستثنى منه دون المستثنى

٢٤٧ ، ٢٤٦

كلاً في القرآن

٢٤٧ ، ٢٤٧

بلى في القرآن

٢٤٨

نعم في القرآن

٢٥٠—٢٤٨

فصل في كيفية الوقف في أواخر الكلم .

فائده في ذكر إجماع العلماء على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية إبدالاً وإثباتاً وحذفاً ووضلاً وقطماً

٢٥١ ، ٢٥٠

* * *

النوع التاسع والعشرون

٢٥٤—٢٥٢

في بيان الموصول لفظاً المفصول معنى

* * *

النوع الثلاثون

٢٦٢—٢٥٥

في الإمالة والفتح وما بينهما

صفحة

٢٥٦ ، ٢٥٥	ذكر المصنفات المؤلفة في ذلك وأقوال العلماء في هذا الشأن
٢٥٧ ، ٢٥٦	حقيقة الإمامة
٢٥٨ ، ٢٥٧	أسباب الإمامة
٢٥٩ ، ٢٥٨	وجوه الإمامة
٢٥٩	فائدة الإمامة
٢٥٩	من آمال
٢٥٩	ما يُمال
٢٦٢ ، ٢٦١	فائدة في الكلام على حديث: « نزل القرآن بالتفخيم »

* * *

النوع الحادى والثلاثون

٢٦٣ — ٢٦٠	في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب
٢٦٣ — ٢٦٢	الإدغام الكبير
٢٦٢ — ٢٦٨	الإدغام الصغير
٢٦٩	فائدة في إدغام الحرفين المتلين
٢٦٩	تذنيب في أحكام النون الساكنة والتنوين
٢٧٠	الإقلاب
٢٧٠	الإخفاء

* * *

النوع الثانى والثلاثون

٢٧١ ، ٢٧٦	في المد والقصر
٢٧١	الأصل في المد
٢٧١	حقيقة القصر

صفحة	
٢٧١	حروف المد
٢٧١	أسباب المد
٢٧٢	أنواع المد
٢٧٣ ، ٢٧٢	مراتب المد
٢٧٤	حكم المد إذا تغير سببه
٢٧٥	حكم المد عند اجتماع سببين قوى وضعيف
٢٧٦ ، ٢٧٥	مدات القرآن

* * *

النوع الثالث والثلاثون

٢٧٨ ، ٢٧٧	في تخفيف الهمز
٢٧٧	الكلام على الهمز
٢٧٧—٢٧٧	أحكام الهمز

* * *

النوع الرابع والثلاثون

٢٩٠—٢٧٩	في كيفية تحمله
٢٨٠ ، ٢٧٩	أقوال العلماء في الحفظ والقراءة والسمع
٢٨١ ٢٨٠	فصل في كيفية القراءة
٢٨١	تنبيه في الفرق بين الترتيل والتحقيق
٢٨٥—٢٨١	فصل في الكلام على تجويد القرآن ومخارج الحروف
٢٨٦—٢٨٥	فائدة في حكم القراءة بأصوات الغناء
٢٨٨—٢٨٦	فصل في كيفية الأخذ بأفراد القراءات وجمعها

صفحة

٢٨٩	فائدة في شرط تحمل القرآن
٢٨٩	فائدة ثانية في حُكم الإجازة عن الشيخ
٢٩٠ ، ٢٧٩	فائدة ثالثة في حُكم أخذ الأموال عن الإجازة
٢٩٠	فائدة رابعة عن ابن بصحان في ردّ القارئ عند ما يخطئ
	النوع الخامس والثلاثون
٢٩٢ — ٣١٨	في آداب تلاوته وتاليه
٢٩٢	ذكر المصنفات التي وضعت في هذا الشأن
٢٩٢ — ٢٩٥	ذكر فضل قراءة القرآن وتلاوته
٢٩٥	حُكم نسيان القرآن
٢٩٥	استحباب الوضوء لقراءة القرآن
٢٩٦	حسن قراءة القرآن في مكان نظيف
٢٩٦	الاستيلاء عند قراءته
٢٩٦ ، ٢٩٧	حكم التعمّد عند قراءة القرآن
٢٩٧	حكم البسملة في قراءة القرآن
٢٩٨	حكم النية عند قراءة القرآن
٢٩٨ ، ٢٩٩	الترتيل في التلاوة
٢٩٩ ، ٣٠١	وجوب التدبّر والفهم عند القراءة
٣٠١	تكرار تلاوة الآية
٣٠١ ، ٣٠٢	استحباب البكاء أو التباكى عند القراءة
٣٠٢ ، ٣٠٣	تحسين الصّوت بالقراءة وتزيينها
٣٠٣	استحباب تفخيم القراءة دون تخضيع الصوت
٣٠٣ ، ٣٠٤	ذكر الأحاديث الواردة في رفع الصوت عند القراءة

صحة

٣٠٤	القراءة في المصحف والقراءة من الحفظ
٣٠٦، ٣٠٥	الحكم عند الإرتاج على القارئ
٣٠٦	كراهة قطع القراءة بالكلام
٣٠٧	عدم جواز قراءة القرآن بالأعجمية
٣٠٧	حكم القراءة بالشاذ
٣٠٩—٣٠٧	الأولى القراءة بترتيب المصحف
٣٠٩	وجوب استيفاء القراءة بالحرف عند الابتداء به
٣٠٩	وجوب الاستماع عند تلاوة القرآن
٣١٠	يسن السجود عند قراءة آية السجدة
٣١٠	الأوقات المختارة للقراءة
٣١١	يسن الصوم عند الختم
٣١١	يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن
٣١٢	الدعاء عقب الختم
٣١٣	ما يقرأ عقب الختم
٣١٣	حكم تكرار سورة الإخلاص
٣١٣	حكم التكسب بالقرآن
٣١٤	حكم القراءة الميت
٣١٧—٣١٤	فصل في الاقتباس وما جرى مجراه
٣١٨، ٣١٧	عدم جواز تعدى أمثلة القرآن

تنبيه

وقع بعض الأخطاء المطبعية في بعض آيات القرآن الكريم نذكر صوابها فيما يلي ،
وبقية الاستدراكات والتصحيحات نذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٠	١٠	لَا زَوَاجِكَ	لَا زَوَاجِكَ
٦١	١٥	الَّذِينَ	الَّذِينَ
١١٥	٥	الْحَافِظِينَ	لِحَافِظِينَ
١١٦	٥	لَيْلَةَ الْقَدْرِ	لَيْلَةِ الْقَدْرِ
١٢١	٥	فَوَادُكَ	فَوَادُكَ
٢٢٧	١٢	الْأَمِينِ عَلَى قَلْبِكَ	الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ
١٥٥	٤	نَسْتَمِينُ	نَسْتَمِينُ
٢٤٠	١٣	لُبْدًا	لِبْدًا